دير القديس أنبا مقار
برية شيهيت

الرؤية الإلهية للأعياد الكنسية

- ٥ -

الروح القدس
الرب المحيي

(في كتابين)

الكتاب الأول

الأب متى المسكين

كتاب: الروح القدس الرب المحيي
المؤلف: الأب متى المسكين
الطبعة الأولى: ١٩٨١
الطبعات اللاحقة: ٢٠٠١- ٢٠١٥
الطبعة السادسة: ٢٠٢٠
مطبعة دير القديس أنبا مقار ـــــ وادي النطرون
ص. ب ٢٧٨٠ ـــــ القاهرة
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ١١٧٣٦/ ٢٠١١
رقم الإيداع الدولي: ISNB 977-240-276-9
الناشر: دار مجلة مرقس.ص ب ٣١ شبرا
جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للناشر.

المسكين متى
الروح القدس: الرب المحيي/ متى المسكين ط٤
برية شيهيت: دير القديس أنبا مقار، ٢٠١١
٩٩٢ص ؛ ١٥سم
تدمك ٩ ٢٧٦ ٢٤٠ ٩٧٧
١- الروح القدس أ – العنوان
٢٣١٫٣

الفهرس العام

الكتاب الأول

المحتويات

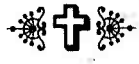
الموضوع	سنة النشر	صفحة
تقديم	١٩٨١	٧
يوم الخمسين في التقليد الآبائي	١٩٨٠	١١
الروح القدس وعمله داخل النفس (عرض لأقوال الآباء النُسَّاك)	١٩٧٤	٤٣
العنصرة	١٩٦٠	١٥٥
الروح القدس وكمال استعلان الثالوث عند القديس أثناسيوس	١٩٨١	٢٠٧
كيف يتم تقديس النفس بالروح القدس في لاهوت القديس كيرلس	١٩٧٨	٣٣٥
الروح القدس روح الوحدة في التقليد الكنسي حتى عصر القديس كيرلس الكبير	١٩٨٠	٣٦٣

الكتاب الثاني

المحتويات

الموضوع	سنة النشر	صفحة
الباراكليت		
(الروح القدس في حياة الناس)	١٩٦١	٤٣٩
الروح القدس والإفخارستيا		
(وسيلتان إلهيتان لتوثيق علاقتنا الكيانية بالمسيح)	١٩٧٧	٥٣٥
عمل الروح القدس في العذراء وفينا	١٩٧٣	٥٦٩
الروح القدس والرهبنة		
(حياة الأنبا أنطونيوس امتداد لشعلة يوم الخمسين)	١٩٦٨	٥٨٧
الروح القدس والاستشهاد.....	١٩٧٣	٦٠١
أعمال الروح القدس في العهد القديم	١٩٧٦	٦١٣
مقالات قصيرة عن الروح القدس	١٩٦٧	٦٥١
مع الروح القدس في جهادنا اليومي	١٩٧٥	٧٠١
الروح القدس في مواجهة العدو لحساب ملكوت الله	١٩٧٨	٧٤٧
الروح القدس يمنحنا القيامة.....	١٩٧٩	٧٦٥
حلول الروح القدس يوم الخمسين (موعد الآب)	١٩٧٣	٧٨٥
الصوم والروح القدس والخدمة.....	١٩٧٩	٨٠٣
المواهب الكنسية		
(الروح القدس في حياة الكنيسة)	١٩٦٩	٨٣١

الروح القدس وحركات التبشير المعاصرة ١٩٧٦ ٨٨١
ماذا حدث يوم الخمسين ١٩٨١ ٩٠١
يوم الخمسين وميلاد الكنيسة ٢٠٠٢ ٩١٥
الفهرس الموضوعي للكتاب ٩٣٠



تقديم

مجمع القسطنطينية المسكوني الثاني

(مايو سنة ٣٨١م)

ولاهوت الروح القدس

كان لاهوت الروح القدس من المبادئ الإيمانية الأساسية، التي استلمها الرسل القديسون من الرب منذ البدء، وسلّموها إلى الكنيسة عبر التعاليم والإنجيل والأسرار: «عمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس» (مت ٢٨: ١٩)؛ فالتساوي هنا بين الأقانيم واضحٌ ومطلق، على أساس وحدة الذات والجوهر في الله الواحد.

ولكن بقيام الأريوسية - في أوائل القرن الرابع - وتنكُّرها لمبدأ وحدة الجوهر الإلهي للآب والابن؛ انفتح المجال أمام جماعة مقدونيوس أسقف القسطنطينية - في أواخر نفس القرن - لإنكار لاهوت الروح القدس، واعتباره في رتبة الملائكة(١)؛ مما دعا أساقفة الشرق لعقد مجمع ضدَّه سنة ٣٦٠م، حيث أسقطوه عن كرسيه(٢).

وبازدياد البلبلة، بسبب هذه التعاليم، أحسَّ الإمبراطور ثيئودوسيوس

---

(1) *Early Hist. of Christ. Doct.*, p. 360.

(2) Hefele, *Councils*, vol. ii, pp. 185, 273.

الكبير بالخطر المحدق بالكنيسة؛ فدعا إلى عقد مجمع مسكوني لهذا الغرض، ولتدعيم قوانين مجمع نيقية.

فاجتمع في القسطنطينية مائة وخمسون أسقفاً، كلهم شرقيون؛ وامتنعت روما عن إيفاد مندوبين عنها، لكنها أقرَّت قانونية هذا المجمع لخطورته. وقد بدأ المجمع جلساته في شهر مايو سنة ٣٨١م.

رأسَ المجمع الأسقف ميليتوس أسقف أنطاكية؛ وإذ تُوفِّي قبل انفضاض المجمع، اختير للرئاسة القديس غريغوريوس الثيولوغوس الذي عُيِّن أسقفاً على القسطنطينية مدَّة قصيرة، ولكن باحتجاج البابا تيموثاوس الإسكندري مع أساقفة مصر بسبب كسر الثيولوغوس للقانون رقم ١٤ لمجمع نيقية - الذي ينص على عدم نقل الأساقفة من إيبارشياتهم - تنازل القديس غريغوريوس واعتزل في مدينة نزينزي، تاركاً الرئاسة لنكتاريوس، الذي اختير أسقفاً على القسطنطينية من بعده.

وكان أشهر الأساقفة الأرثوذكس الذين حضروا المجمع، البابا تيموثاوس الإسكندري، الذي رأسَ جماعة المدافعين عن وحدة جوهر الثالوث(٣)، وهم: ملاتيوس أسقف أنطاكية، وكيرلس الأورشليمي وغريغوريوس الثيولوغوس وغريغوريوس النيسي، ونكتاريوس أسقف القسطنطينية، واسخوليوس أسقف تسالونيكي، وديودور أسقف طرسوس، وأكاكيوس أسقف بيريّة؛ هؤلاء هم أعمدة الكنيسة في ذلك الوقت الذين دعَّموا قوانين مجمع نيقية بفمٍ واحد.

وإمعاناً من الإمبراطور في إظهار حقيقة التعاليم الرسولية، دعا جماعة

---

(3) Sozomen., VII, 7, NPNF, ser 2, vol. 15, p. 380.

المقدونيين المبتدعين للحضور، فحضر منهم ستة وثلاثون أسقفاً. وبعد تقديم البراهين الكتابية، والأدلّة القاطعة من تعاليم الآباء حسب التقليد الرسولي المستقر في كافة الكنائس، حكم الآباء بتجريد مقدونيوس من جميع رتبه الكهنوتية، وثبّتوا الإيمان المستقيم الذي أقرّه مجمع نيقية، كما أضافوا إلى نص دستوره القائل: [... نعم نؤمن بالروح القدس]، أضافوا الآتي:

[الرب المحيي، المنبثق من الآب، المسجود له والممجَّد مع الآب والابن، والناطق في الأنبياء؛ وبكنيسة واحدة مقدَّسة جامعة رسولية؛ ونعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا. وننتظر قيامة الأموات، وحياة الدهر الآتي. آمين].

هذا هو دستور الإيمان، الذي لازلنا نتلوه كل يوم، معترفين بفضل هؤلاء الأساقفة العظام، الذين حفظوا لنا الوديعة الإيمانية التي سلّمت للقديسين.

وتكريماً منّا لهذه الذكرى العطرة، التي حفرها الروح القدس في أعماق وجدان الكنيسة، قمنا بهذا الجهد المتواضع، بتقديم هذه المقالات للقارئ، لعلّ يكون فيها استمرارٌ لحركة الروح القدس الذي أحيا الكنيسة، وألهب نار الإيمان والحب في قلوب كل هذه الأجيال، دون أن تقوى عليها عواصف العالم.

الأب متى المسكين

دير القديس أنبا مقار
١٤يونية ١٩٨١م – عيد حلول الروح القدس
الموافق ٧ بؤونة ١٦٩٧ش

كتاب

يوم الخمسين
في التقليد الآبائي

سنة ١٩٧٩

المحتويات

مقدِّمة ١٣
أولاً: التقليد الآبائي بالنسبة لمركز الروح القدس في الثالوث الأقدس ١٥
ثانياً: مركز الروح القدس في الكنيسة ٢٤
(أ) سلطان الروح القدس في الكنيسة ٢٧
(ب) علاقة الروح القدس بالمسيح في الكنيسة ٣٠
ثالثاً: حلول الروح القدس والشركة في الطبيعة الإلهية ٣٣
رابعاً: غاية الحلول وغاية الاشتراك في الطبيعة الإلهية ٣٦

مقدِّمة

الكنيسة تواجه اليوم تحدِّيات قويَّة من الداخل والخارج، على المستوى الروحي العملي، ونقصد به الحركات الجديدة المنتمية لنشاط الروح القدس؛ أو العقيدي النظري، ونقصد به التعليم الذي تقدِّمه الكنيسة الأرثوذكسية للعالم والذي تعيش وتؤمن به من جهة الروح القدس.

والإجابة على التساؤلات أو التحدِّيات لا تكون بالاجتهاد الفكري الشخصي، لأن المسألة تتعلَّق بتقليد الكنيسة الذي عاشته منذ بدء وجودها في أشخاص آبائنا الذين سجَّلوا لنا هذا التقليد منذ أواخر القرن الأول، أي بعد عصر الأناجيل والرسل مباشرة.

وبالدراسة المنهجية الجادة والتعمُّق الروحي يرى كل المؤرِّخين واللاهوتيين التقليديين أن تقليد الكنيسة الأرثوذكسية حي متحرِّك بنمو يمكن الامتداد به والإضافة إليه، ولكن لا يمكن الخروج عنه أو البناء على أساس آخر، لذلك فهو ليس جامداً أو ميِّتاً كما تصفه بعض الطوائف التي تحرَّرت منه كلية فعاشوا تقليدهم الفكري الخاص الذي يختلف من فرد إلى فرد.

لذلك، فالضرورة تحتِّم علينا أن لا نقول أو نشهد للروح القدس في حياتنا أو تعليمنا إلا على ضوء التقليد الآبائي، الذي هو بدوره ملتزم في الأساس بكلمة الإنجيل. فتقليد الكنيسة هو الذي يحدِّد صحة المعنى أو

الشرح أو التطبيق، سواء في اللاهوت العقيدي النظـــري أو اللاهـــوت الروحي النسكي العملي. وكل خروج عن خط الآباء العام يخرجنا دون أن ندري عن **مفهوم** الأرثوذكسية **وعن حياة الكنيسة** التي انصبغت بهـــا ألفي سنة، فسر **الإيمان** الصحيح مرتبط **بفاعليته، والمعرفة** النظرية مرتبطة **بالتطبيق العملي**، وهذا وذاك تسليم من الرب ومن الرســـل واســـتعلان روح الله القدوس الذي ظهر بتفوُّق عام شامل وكامل في يوم الخمسين، ولا يزال يغذي الكنيسة ويعلن ذاته في الأفراد.

وهنا في هذا المقال نقدِّم لمحة سريعة عن موهبة انسكاب الروح القدس يوم الخمسين في التقليد الآبائي.



أولاً: التقليد الآبائي
بالنسبة لمركز الروح القدس في الثالوث الأقدس

إن سر الله العظيم المخفي منذ الدهور - سر الثالوث بمفاعيله المتعدِّدة للإنسان، انكشف لرسله بحسب شهادة القديس بولس الرسول لعمل يوم الخمسين في الرسل، إذ استُعلن بواسطة الروح القدس، بقوَّة فائقة وحكمة لا تُعانَد، سر المسيح ابن الله الذي جمع فيه الآب كل شيء ما في السموات وما على الأرض، هذا السر الذي ناله أيضاً القديس بولس الرسول بالسويَّة كباقي الرسل كامتداد مستمر لعمل يوم الخمسين: «أنه **بإعلان عرَّفني بالسر**، الذي بحسبه حينما تقرأونه تقدرون أن تفهموا درايتي **بسر المسيح** الذي في أجيال أُخر لم يُعرَّف به بنو البشر كما قد أُعلن **الآن لرسله القديسين وأنبيائه بالروح (الذين استلموا من الرسل)**: أن الأمم شركاء في الميراث والجسد ونوال موعده في المسيح بالإنجيل الذي صرت أنا خادماً له **حسب موهبة نعمة الله** المعطاة لي، **حسب فعل قوَّته** ... وأُنير الجميع فيما هو "شركة السر" المكتوم منذ الدهور في الله خالق الجميع بيسوع المسيح، لكي يُعرَّف الآن ... **بواسطة الكنيسة** (كيان حي) بحكمة الله المتنوعة حسب قصد الدهور الذي صنعه في المسيح يسوع ربنا.» (أف ٣: ٢-١١)

وهكذا ينتقل القديس بولس الرسول من الإيمان بالمسيح - ابن الله - **كسرٍّ كان مكتوماً** في الله في كل الدهور السابقة، إلى أن صار سرًّا

مستعلناً بالروح، وأُعلن جهاراً لرسله القديسين، لكي يستنير به الجميع. ثم يؤكّد القديس بولس ذلك مرَّة أخرى، أن **هذا السر أصبح يخص جميع الأُمم** كأمر من الله لإطاعة الإيمان بالمسيح: «وللقادر أن يثبِّتكم حسب إنجيلي والكرازة بيسوع المسيح **حسب إعلان السر الذي كان مكتوماً في** الأزمنة الأزلية ولكن **أُظهر الآن وأُعلم به جميع الأُمم** (منذ يوم الخمسين) بالكتب النبويَّة **حسب أمر الإله الأزلي لإطاعة الإيمان.**» (رو ١٦: ٢٥-٢٦)

ولقد ظلَّ هذا السر، سر الآب والابن والروح القدس، العامل لخلاص كل الشعوب، يُستعلن حسب أمر الإله الأزلي بواسطة الروح القدس الذي انسكب يوم الخمسين و لم ينقطع انسكابه حتى اليوم، وهذا معناه أن الله نفسه - بالروح القدس - هو الذي يضطلع بإعلان سرِّه للأُمم بواسطة قديسيه!!

فالإنجيل الذي كتبه الرسل هو «كلمة الله» المقولة بالروح القدس كشهادة مزدوجة، شهادة الله والإنسان «روح الحق ... يشهد لي وتشهدون أنتم أيضاً» (يو ١٥: ٢٦-٢٧)، كذلك التقليد الكنسي بعمقه السرِّي والسرائري بدأ بدوره الفعَّال يشرح كلمة الإنجيل ويدبِّر فعاليتها بالروح القدس نفسه في الأسرار منذ يوم الخمسين حتى اليوم.

أما التاريخ الفعلي للتقليد الآبائي فيما بعد الرسل فيبدأ منذ عصر "إيرينيئوس" المُعتبر "أبو التقليد الكنسي" (آسيا الصغرى). وقد انتقل هذا التقليد بسرعة خاطفة إلى الإسكندرية - التي نظن أن تقليدها موروث

من الرسل أنفسهم - حيث استوطنها بعمق وغِنَى لا يُجارَى، ومن أورشليم انتقل إلى سوريا بنفس السرعة ثم آسيا الصغرى مرَّة أُخرى بواسطة الآباء الكبادوكيين.

ولكن من أجل استفادة القارئ، نود أن نؤكِّد أن استعلان سر الله في التقليد كان ولا يزال يعتمد جدًّا، بل يلتزم التزاماً، بحياة تقوية وشركة قويَّة في المسيح والروح القدس وصلاة وتكريس كلِّي، وهذا كان متوفِّراً لدى الآباء، فالتقليد الآبائي هو صنيعة الروح القدس إنما في أواني مهيَّأة جدًّا ومعدَّة لعمل الروح القدس بحريَّة وانقياد سهل، لاستعلان الحق الإلهي الفائق وسر الخلاص المكتوم.

لذلك كم نحتاج إلى تقوى ومحبة واتضاع لكي نستجلي سر الروح القدس وندخل به إلى سر المسيح؟ كما يقول الكتاب: «بنورك يا رب نعاين النور» (مز ٣٦: ٩ حسب الإجبية)! ولذلك كم يتطلَّب من الإنسان القداسة حتى باستعلان المسيح ندرك أعماق الله!!

وفي ذلك يقول القديس إيرينيئوس:

[الآب هو الجوهر غير المنظور للابن،
والابن هو الجوهر المنظور للآب.][1]

«الذي رآني فقد رأى الآب» (يو ١٤: ٩)، «الروح ... يعلِّمكم كل شيء» (يو ١٤: ٢٦)!!، فالمسيح الذي هو مركز سر الله للخلاص المكتوم سابقاً هو الذي يضطلع بنفسه بإعلان سر الله: "لكي تتعزَّى قلوبهم وهي متحدة في المحبة لكل غِنَى يقين الفهم، لمعرفة سر الله في

---

(١) ضد الهرطقات ٤: ٥.

الآب وفي المسيح الذي فيه تختبئ كل كنوز الحكمة والمعرفة" (كو ٢: ٢-٣ ترجمة عن النص اليوناني).

ولقد اضطلع الروح القدس بكشف أعماق سر الله هذا - المكتوم منذ الدهور في المسيح، منذ يوم الخمسين، كاشفاً وشاهداً بكنوز الحكمة والفهم «بكل حكمة وفطنة» المذخرة في المسيح لأجلنا ولخلاص العالم بسرٍّ لا يُنطق به، «أن الأُمم شركاء في الميراث والجسد».

هذا الأمر الذي صار فرحاً أبديًّا وتهليلاً من كل القلب لدى كل إنسان اقبل هذا الاستعلان، استعلان سر يوم الخمسين، وتيقَّن أنه وارث وشريك في المسيح لله بالروح القدس الذي لا يكف عن الشهادة في الداخل!!

لذلك يتركَّز التقليد الآبائي بصورة أساسية على أن سر يوم الخمسين هو بدء انكشاف عمل الثالوث الشخصي في الإنسان، بتأكيد الروح القدس وبقوَّة: أن الإنسان صار بحق ويقين في شركة الثالوث، شركة حيَّة فعَّالة مع الآب والابن والروح القدس، سواء بصبغة المعمودية أو بالحياة اليومية بعمق الصلاة والنسك ويقين الفهم، الأمر الذي يعلِّق عليه القديس يوحنا الرسول بأنه يكون مصدر فرح أبدي: «لكي يكون لكم أيضاً شركة معنا، وأما شركتنا نحن فهي مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح، ونكتب إليكم هذا لكي يكون **فرحكم كاملاً**.» (١يو ١: ٣-٤)

وهنا نسرد للقارئ شيئاً من تقليد الآباء عن مركز الروح القدس في الثالوث، حتى لا ينحرف الإنسان نحو التعلُّق بأقنوم دون باقي الأقانيم!! يقول القديس أثناسيوس الرسولي:

[ولكي يكمل فيه (أي في المسيح) **كل معرفتنا بالله** ويضع طقس الانضمام للكنيسة (المعمودية) التي بها **اتحدنا بشخصه وبالآب**، أوصى تلاميذه قائلاً: اذهبوا وتلمذوا جميع الأُمم وعمِّدوهم (اصبغوهم) باسم الآب والابن والروح القدس.][٢]

ويلاحظ القارئ أن "الدعاء بالاسم" في التقليد الآبائي القديم، هو بمثابة التواجد في الحضرة الإلهية وهو واسطة للحلول في المعمودية - كما في الإفخارستيا وباقي الأسرار - وتجده يأتي دائماً باسم الثالوث!!

يقول القديس **أمبروسيوس**:

[لقد ثبت لدينا أن حضور ونعمة الآب والابن والروح القدس هو شيء واحد وكيان واحد علوي إلهي.][٣]

يقول العلاَّمة **ديديموس**:

[إن **مَنْ تأهَّل أن يأخذ الروح القدس**، أو **الابن**، فله **الآب أيضاً**.][٤]

يقول القديس **أمبروسيوس**:

[هكذا أيضاً يأتي الروح القدس الذي فيه - عندما يأتي - يصير ملء حلول الآب والابن.][٥]

[النعمة تفيض من الروح القدس كما تأتي من الآب والابن، لأنه **كيف تقوم العطية أو النعمة بدون الروح ما دامت كل النعم الإلهية**

---

(٢) القديس أثناسيوس الرسولي عن الروح القدس - الرسالة الأُولى: ٦

(٣) عن الروح القدس ١: ١١: ١٢٥.

(٤) عن الثالوث J. Quasten, *Patrology* iii, p. 96

(٥) عن الروح القدس ١١: ١٢٣.

كائنة في الروح القدس.][٦]

يقول القديس **كيرلس الأُورشليمي**:

[إن النفس التي في الخطية حينما تصير بالتوبة **مستحقة للروح القدس** تأتي بأغمار من الثمار؛ فبينما الروح القدس واحد، ولكن كثيرة هي الفضائل التي يعملها بإرادة الله **وباسم يسوع المسيح.**][٧]

يقول القديس **أثناسيوس الرسولي**:

[هذه الحقيقة أيضاً تبيِّن أن عمل الثالوث واحد. فالرسول لا يعني أن ما يُعطَى يُعطَى بالتجزئة وعلى حدة من كل أقنوم، بل **إن ما يُعطَى فهو يُعطى في الثالوث، وإن كل ما يُعطَى هو من الله الواحد** ... وهكذا نرى أنه عندما يُقال **إن الروح القدس في أي واحد فإن هذا معناه أن الكلمة حال فيه مانحاً الروح القدس.**][٨]

[وإننا **نصير أبناءً عندما نقبل الروح القدس**، لأن الكتاب يقول: «إذ لم تأخذوا روح العبودية أيضاً للخوف بل أخذتم روح التبني» (رو٨: ١٥)، فإن كنَّا بالروح القدس قد صرنا أبناء فواضح أننا **في المسيح** دُعينا **أولاد الله.**][٩]

[وعندما يُعطَى لنا الروح القدس، يصبح الله فينا، لأن يوحنا الرسول كتب: «إن أحب بعضنا بعضاً فالله يثبت فينا، بهذا نعرف **أننا نثبت فيه وهو فينا أنه قد أعطانا من روحه**...»

---

(٦) شرحه ١٢: ١٢٨.

(٧) عظة ١٦: ٤.

(٨) الرسالة الأُولى لسيرابيون ٣١.

(٩) الرسالة الأُولى لسيرابيون ١٩.

(١يو ٤: ١٢-١٣).][١٠]

أما القديس **إيرينيئوس** فيوضِّح لنا عمل الروح القدس بالنسبة للثالوث هكذا:

[والأبرار يعتادون الشركة في مجد الله الآب ويتمتَّعون بالشركة مع الملائكة والاتحاد بالكائنات الروحية، **ويرتفعون في الروح إلى الابن وفي الابن إلى الآب.**][١١]

[**الله بواسطة الابن والروح القدس يرفع الإنسان إليه.**][١٢]

[رؤية الله تتم بواسطة الروح القدس بالبنوَّة، وتتم بواسطة الابن **بالتبني**، ولكن **أبوَّته** لا تتم رؤيتها إلا في ملكوت السموات. **فالروح يُعدُّ الإنسان والابن يقوده إلى الآب، أما الآب فإنه يُعطي الإنسان عدم الفساد للحياة الأبدية**، وذلك بالتطلُّع إليه بالحق.][١٣]

[أما **رؤية الله** (معرفته بالروح) فهي هي **حياة الإنسان.**][١٤]

ويقول القديس **أثناسيوس:**

[**هذا هو إيمان الكنيسة الجامعة لأن الرب أسَّسها في الثالوث، وأصَّلها فيه** عندما قال لتلاميذه اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمِّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس (مت ٢٨: ١٩)][١٥]

---

(١٠) المرجع السابق.

(11) Lawson, *Biblical Theology of St. Iren.*, p 285.

(١٢) المرجع السابق صفحة ٦.

(١٣) المرجع السابق صفحة ٢٨٥.

(١٤) ضد الهراطقة ٤: ٦: ٥.

(١٥) الرسالة ٣: ٦.

نستخلص من ذلك:

أولاً: أن **الوحدة المتكاملة بين عمل الأقانيم** لخلاص الإنسان متأصِّلة ومتجذِّرة وملتزمة بصورة كاملة وأساسية **بوحدانية الله**، فلا يوجد عمل لأقنوم يختص بنفسه فقط خارج أو بدون عمل أقنوم آخر، وإلا ما استطعنا أن نقول إن الأقانيم الثلاثة إله واحد.

ثانياً: كذلك لا يمكن فصل عمل أي أقنوم عن الأقنوم ذاته، لأن أساس عمل أقنوم الروح القدس مثلاً هو تقديم الإنسان فيه (أي في الروح) أساساً وبالنهاية لأقنوم الابن ليتحد به، وعمل أقنوم الابن هو تقديم الإنسان فيه (أي في الابن) أساساً وبالنهاية لأقنوم الآب ليتحد به. أي لا يوجد عمل للأقانيم خارج هدف الاتحاد بالله، وإلا خرج الخلاص عن مفهومه وغايته النهائية وهو الاتحاد بالله: «أنا فيهم وأنتَ فيَّ ليكونوا مكمَّلين إلى واحد.» (يو ١٧: ٢٣)

وغنيٌّ عن البيان هنا أن مفهوم الاتحاد أو الشركة في الطبيعة الإلهية أو الأقانيم بالمفهوم الأرثوذكسي، لا يلغي كيان الإنسان أو طبيعته، ولا يرفعه إلى درجة الألوهة، فالاتحاد والشركة هي لاكتساب مواهب وفضائل وإلغاء ضعفات وخطايا "أخذ الذي لنا، وأعطانا الذي له" (التسبحة السنوية، ثيئوطوكية الجمعة)، وليس لامتلاك طبيعة الله أو أقانيمه، فالله سيظل آخر بالنسبة للإنسان بالرغم من امتلاك الله للإنسان وحلوله فيه، وبالرغم من ملئه للإنسان إلى ملء قامة المسيح، «فهو الملء الذي يملأ الكل في الكل» (أف ١: ٢٣)، بل وبالرغم من حصول الإنسان بسبب هذا الاتحاد على حالة التبني.

فنحن لا يمكن أن نصير أبناء **إلا في المسيح**، ولا يمكن أن نرث المواعيد **إلا في الروح**.

ولكن لن يستطيع الإنسان مهما أوتي من المواهب والعطايا، ومهما حصل من تبرير وتقديس، أن يستنفذ غِنَى المسيح في المجد ولا كمال التقديس في الروح. صحيح أننا سنظهر معه في المجد، ولكن كمستضيئين وليس كأصحاب النور، وصحيح «نعلم أنه إذا أُظهر نكون مثله» (١يو ٣: ٢)، ولكن لأننا سنراه كما هو فينطبع نور وجهه علينا ونأخذ صورته ومثاله.



ثانياً: مركز الروح القدس في الكنيسة

كانت عقيدة الثالوث، كما ذكرنا، موضع عبادة صامتة في الكنيسة منذ البدء كما يقول القديس **باسيليوس**:

[اجعلوا غير المنطوق به (سر الثالوث) معبوداً في صمت.][١٦]

وكانت الكنيسة تُبنَى وتنمو بالروح القدس بسرعة وثبات وبساطة فائقة: «وأما الكنائس ... فكان لها سلامٌ، وكانت تُبنَى وتسير في خوف الرب، **وبتعزية الروح القدس كانت تتكاثر**» (أع ٩: ٣١)، لأن التلاميذ الذين اؤتمنوا على إدارة وتدبير شئون الكنيسة كانوا يمتلئون كل يوم من الروح القدس: «**وأما التلاميذ فكانوا يمتلئون من الفرح والروح القدس.**» (أع ١٣: ٥٢)

هذه كانت في الحقيقة الغاية الأساسية والعُظمَى التي من أجلها أرسل الرب الروح القدس من عند الآب في يوم الخمسين. والمسيح تشدَّد جدًّا مع التلاميذ في عدم العمل بدون حلول الروح القدس بل وحدَّد إقامتهم وجمَّد حركتهم حتى ينالوا هذه القوَّة من الأعالي. وبهذا ارتبطت الكنيسة في عملها ونموها وتعليمها وشهادتها بالروح القدس ارتباطاً أبديًّا لا يمكن التقليل من قيمته وإلا تجمَّدت الكنيسة. فبقدر انسكاب هذه القوَّة من الأعالي بقدر ما يكون نموها وحركتها ونشاطها في الداخل وامتدادها

---

(١٦) عن الروح القدس ١٨: ٤٤ (رقم النسخة اليونانية).

الفعَّال في الخارج حتى «إلى أقصى الأرض».

وقد حدَّد القديس بولس الرسول مدى الارتباط الشديد بين الحصول على "**قوَّة الروح القدس**" وبين **حلول المسيح** في قلوب المؤمنين للحصول على **كل ملء الله**، سواء للأفراد أو للكنيسة كلها في المحبة.

+ «بسبب هذا **أحني ركبتيَّ** (**طقس السجدة**) لدى أبي ربنا يسوع المسيح لكي يعطيكم بحسب غنَى مجده أن **تتأيَّدوا بالقوة بروحه** في الإنسان الباطن **ليحل المسيح بالإيمان في قلوبكم** وأنتم متأصِّلون ومتأسِّسون في المحبة حتى تستطيعوا أن تدركوا **مع جميع القديسين** ما هو العرض والطول والعمق والعلو وتعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة **لكي تمتلئوا إلى كل ملء الله**.» (أف ٣: ١٤-١٩)

ويلاحظ القارئ في هذه الآيات أن مفتاح كل هذه العطايا وحلول المسيح بالنسبة للفرد والكنيسة للوصول إلى كل ملء الله يتوقَّف على هذه الحقيقة: «**أن تتأيَّدوا بالقوَّة بروحه**»!! وكأنما نحن أمام المسيح مرَّة أخرى مكرِّراً تحذيره لتلاميذه: «فأقيموا في مدينة أورشليم **إلى أن تُلْبَسُوا قوَّة من الأعالي**.» (لو ٢٤: ٤٩)

وبذلك يكشف لنا القديس بولس الرسول عن بقاء وعي الكنيسة صاحياً بالنسبة لمركز الروح القدس في الكنيسة، بل واستطاع ذلك القديس الملتهب بحب الكنيسة والذي أفنى حياته في غرس بذارها أن يربط بخيط ذهبي بديع متنقلاً بين **قوَّة الروح القدس، إلى حلول المسيح في القلب، إلى تأصُّل وتأسُّس الحب الإلهي، إلى عمق وارتفاع الشركة مع القديسين، إلى المعرفة المتعمِّقة في حب المسيح، إلى بلوغ كل ملء الله!** واضعاً بذلك أساس بناء الكنيسة في عمق الثالوث ولكن مبتدئاً **بقوَّة**

الروح القدس!!

هنا يظهر لنا أصل التقليد من جهة مركز الروح القدس في الثالوث، ثم مركز الثالوث في الكنيسة، ومركز الكنيسة في شركة القديسين المتأسِّسة على الحب الإلهي.

في الحقيقة هذا يُحسب منتهى التكامل العقيدي في العبادة بحسب التقليد الآبائي.

[لقد أسَّس كنيسته على الأنهار إذ **جعلها بتدبيره الإلهي قادرة أن تأخذ الروح القدس** الذي منه تفيض النِّعَم كما من رأس الينبوع حيث تخرج أنهار مياه حيَّة.](١٧) **العلاَّمة ديديموس** (على المزامير)

[العالَم هو البحر الذي تمخر فيه الكنيسة كسفينة تلاطم الأعماق ولكنها لن تتحطَّم، لأنها تحمل ربَّانها الماهر المسيح، أما شراعها الفاخر فهو الروح القدس.](١٨) العلاَّمة **هيبوليتس**

وفي اللاهوت النسكي اعتاد التقليد أن يشير إلى أن الشراع في السفينة هو عمل نعمة الروح القدس المجَّاني، وأن المجاذيف هي بمثابة الأعمال والجهادات والإماتات.



(17) Quasten iii, 97.
(18) Quasten ii, 203.

أ - سلطان الروح القدس في الكنيسة

الكنيسة باعتبارها جسد المسيح، وقد أوجدها بموته وقيامته، سلَّمها للروح القدس ليملأها بالمواهب اللازمة لنموها وتكميلها ثم استعلائها، وأيضاً لكي يظل الرب يدبِّرها بنفسه كرأس لها، بواسطة عمل الروح القدس في الأفراد ليكونوا جسداً واحداً وروحاً واحداً، ولكن بمواهب متعدِّدة جدًّا حتى تبلغ إلى قامة ملء المسيح.

ولكن بوجود الرئاسات الكهنوتية نشأت مشكلة ظلَّت تحتاج في كل العصور إلى تحديد عمل الروح القدس تحديداً قانونياً. فهل الكنيسة، باعتبارها صاحبة السلطان الذي أخذته من الرب ومن الروح القدس، خاضعة لنعمة وسلطان الروح القدس؟

أم أن نعمة وسلطان الروح القدس أصبح خاضعاً لسلطان الرئاسات الكهنوتية؟

لقد أجابت الكنيسة - عمليًّا - خلال العصور المظلمة بالحل الثاني، ولكن الأساس التقليدي الراسخ كان قد تقرَّر منذ زمان المجمع المسكوني الثاني في القسطنطينية حينما أعلن الإيمان بالروح القدس أنه "رب"، وأنه بحسب الكتاب هو المضطلع دائماً بتعليم الحق في الكنيسة فيما يخص كل شيء قاله المسيح وكل شيء جديد لم يقله المسيح، «ويخبركم بأمور آتية» (يو ١٦: ١٣) وذلك لأنبيائها وقديسيها والمختارين أيضاً.

يقول القديس **غريغوريوس النزينزي**:

[إن مخلِّصنا قال إن له أشياء أُخر يريد أن يقولها ولكنه قال إن تلاميذه آنئذ لا يستطيعون أن يحتملوها ... لذلك بقيت هذه الأشياء مخفيَّة، ولكنه عاد فقال إن **كل الأشياء ستُعلَّم لهم بواسطة الروح عندما يأتي ويحل بيننا.**][١٩]

[الروح القدس نفسه يسكن بيننا ويمدنا بإيضاحات وافية عن شخصه.][٢٠]

ويقول القديس **يوحنا ذهبي الفم**:

[وبحلول الروح القدس يتم التقديس الذي من خلاله يصبح الله نفسه هو الذي يباشر سلطانه على المختارين والذين أقامهم مدبِّرين من شعبه.][٢١]

أما القديس **كيرلس الكبير** فيقول:

[لأن الرب الإله أمر موسى الحكيم أن يختار سبعين شيخاً من جماعة اليهود وصرَّح علانية: «وآخذ من الروح الذي عليك وأضع عليهم» (عد ١١: ١٧). وأطاع موسى وأحضرهم إلى خيمة الاجتماع (عد ١١: ٢٤)، إلا رجلان تخلَّفا عن الحضور ومكثا في المحلَّة وهما ألداد وميداد، لكن الله وضع عليهما الروح الإلهي كما وعد، وأخذ الكل النعمة ... الذين كانوا في خيمة الاجتماع مع موسى وكذلك الاثنان اللذان تخلَّفا، الكل تنبَّأوا.

---

(١٩) عظة على الروح القدس ٥: ٢٧.

(٢٠) المرجع السابق ٥: ٢٦.

(٢١) عظة على يوم الخمسين: النسخة اليونانية: PG 459 D

وفي الحقيقة إن الرجلين اللذين تخلَّفا تنبَّآ ونالا النعمة من فوق قبل الباقين. إلا أن يشوع بن نوع الذي كان يلازم موسى دائماً والذي لم يفهم معنى السر، ظنَّ أن الرجلين ألداد وميداد يمهِّدان لانقسام مماثل لما صنعه «داثان وأبيرام». ولذلك أسرع إلى موسى قائلاً: «يا سيِّدي موسى اردعهما» (عدد ١١: ٢٨). ولكن بماذا أجاب ذلك الرجل العظيم والحكيم الذي رأى بحكمته أن النعمة من فوق وأنهما قد نالا معاً قوَّة الروح القدس؟ «هل تغار أنت لي؟ يا ليت كل شعب الرب كانوا أنبياء إذا جعل الرب روحه عليهم» (عد ١١: ٢٩). ولاحظ كيف ينتهر يشوع الذي لم يعرف ماذا حدث. كان موسى يتمنَّى أن يعطي الروح للشعب كله، ولكن هذا كان سيحدث في الوقت المعين عندما يمنح الرب المسيح للكل الروح القدس.][٢٢]

ويستخدم القديس كيرلس الأُورشليمي هذه الواقعة بعينها ثم يزيد عليها بعض الكلمات لإثبات حرية سلطان الروح القدس في العمل بوضع اليد فوق تصور الإنسان:

[فبعدما اختير السبعون شيخاً، أتى الرب في السحابة وأخذ من الروح الذي على موسى ووضع على السبعين شيخاً (من خلال طقس وضع يد موسى عليهم - عد ١١: ٢٤-٢٥). لم ينقسم الروح، ولكن نعمته توزَّعت على قدر الأوعية وطاقة الآخذين، ولكن كان الموجودون ثمانية وستين فقط تنبَّأوا، وكان ألداد وميداد غائبين، **فلكي يظهر أنه ليس موسى الذي كان يمنح العطية،**

---

(٢٢) تفسير إنجيل يوحنا ٢٠:٢٢، ٢٣.

ولكن الروح هو الذي كان يعمل ذلك، تنبَّأ في الحال ألداد وميداد مع أنهما لم يكونا حاضِرَيْن مع الشيوخ.][٢٣]

ب - علاقة الروح القدس بالمسيح في الكنيسة

لقد أشار القديس بولس الرسول في أماكن عديدة إلى العلاقة الوثيقة بين عمل الروح القدس وعمل المسيح في الكنيسة. فهو يقول: «وليس أحد يقدر أن يقول يسوع رب إلا بالروح القدس» (١كو ١٢: ٣). وأيضاً: «إن كان أحد ليس له روح المسيح فذلك ليس له» (رو ٨: ٩). وقوله: «ثم بما أنكم أبناء أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخاً يا أبا الآب.» (غل ٤: ٦)

وهكذا يتحقَّق أن الروح القدس يعمل في الأشخاص وفي الكنيسة لاستعلان المسيح ووجوده، أي يحقق فينا موته وقيامته وحياته بل ومجده أيضاً: «ذاك يمجِّدني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم.» (يو ١٦: ١٤)

يقول القديس **كيرلس الكبير**:

[قد وعد المسيح أن يأتي بنفسه، فكشف بذلك عن أن الروح القدس لم يكن مجيئه لشيء آخر سوى تحقيق وجوده هو شخصيًّا.][٢٤]

يقول **القديس باسيليوس**:

[عن مجيء المسيح؟ **فالروح هو السابق!**

---

(٢٣) للموعوظين ١٦: ٢٥.

(٢٤) وردت عن "هوسكن" في شرحه لإنجيل يوحنا (١٩٤٠)، صفحة ٥٤٠.

عن الحضور بالتجسُّد؟ **فالروح لا يفارق!**
عن عمل المعجزات ومواهب الشفاء؟ **فكله بالروح القدس!**
عن إخراج الشيَّاطين؟ **فبروح الله!**
عن مغفرة الخطايا؟ **فيعطيها الروح القدس**: «لكن اغتسلتم بل تقدَّستم بل تبرَّرتم باسم الرب يسوع وبروح إلهنا» (١كو ٦: ١١).][٢٥]

وهكذا نستطيع أن نتحقَّق بوضوح أن عطية الروح القدس يوم الخمسين كانت بالنسبة للكنيسة - بحسب تقليد الآباء - بداية حضور المسيح السرِّي في الكنيسة، حيث بدأ يمارس وجوده كرأس للكنيسة، التي هي جسده يدبِّرها بنفسه من خلال عمل الروح القدس حيث يجمع أعضاءه ويوحِّدهم ويحرِّكهم بالروح القدس:

[أينما وُجدَت الكنيسة وُجدَ الروح القدس، وأينما وُجِدَ الروح القدس وُجِدَت الكنيسة.][٢٦] **القديس إيرينيئوس**

[وبقدر ما توجد الكنيسة، وحيثما توجد أسرار الرب بقدر ما يتعطَّف ويتفضَّل بالحضور.][٢٧] **القديس أمبروسيوس**

[لأنه لا يمكن أن يكون الروح القدس موجوداً ولا يكون المسيح نفسه أيضاً موجوداً.][٢٨] **القديس يوحنا ذهبي الفم**

كذلك فالقديس **أثناسيوس الرسولي** يربط بشدَّة بين التجسُّد

---

(٢٥) عن الروح القدس ١٩: ٤٩.
(٢٦) ضد الهرطقات ٣: ٢٤١.
(٢٧) عن الأسرار، الفصل الخامس.
(٢٨) عن رسالة رومية: عظة ١٣، صفحة ٤٣٦.

وإرسال الروح القدس معتبراً يوم الخمسين أو الحصول على الروح القدس غاية التجسُّد:

[الكلمة أخذ جسداً لكي نأخذ الروح.](٢٩)

ولكن الذي نريد أن ننقله للقارئ ليس منطوق تقليد الآباء من جهة علاقة الروح القدس بالمسيح، بل بالحري روح الآباء نفسه، لأن الآباء كتبوا وشرحوا إيمانهم الذي كانوا يعيشونه بالروح، فلولا أنه كانت لهم علاقة حيَّة بالروح القدس، ولولا أنهم نالوا بالفعل قوَّة الروح القدس، ما استطاعوا أن يواجهوا تحدِّيات عصرهم بإيمانهم بالمسيح الذي أعلنوه أمام ملوك وقضاة تحت تهديد الموت.

لأنه بمجرَّد أن تسري قوَّة الروح القدس في داخل الإنسان الباطن يتأيَّد الإنسان بمعونة فائقة، ويحس بنار تتأجَّج في صدره من أجل الشهادة للمسيح وإعلان مجده، لأن هذه تكون شهادة الروح القدس نفسه للمسيح داخلنا.

إذن فالمسألة ليست دراسة عن أقوال آباء أو عن تقليد قديم لا وجود له، بل نحن نكتب عن تقليد مهيَّأ للممارسة، وروح مستعد للانسكاب.

[فأجسادنا التي من الطين إذا التهبت بحرارة ونعمة الروح القدس تشهد لآلام الرب يسوع وتعترف جهراً بالإيمان به ... هذا بلا شك هو الروح القدس الذي يُدعى ناراً كما يُدعى نوراً.](٣٠)

ق. أمبروسيوس

---

(29) PG 26, 996C.

(٣٠) عن الروح القدس ١٤: ١٦٦.

يقول القديس **غريغوريوس النزينزي:**

[الروح القدس هو الذي يكمِّلنا لكي نأخذ المعمودية، ولكن بعد المعمودية نطلبه كعطية قائمة بذاتها.](٣١)

ثالثاً: حلول الروح القدس والشركة في الطبيعة الإلهية

لا يفرق التقليد الآبائي بين الأقانيم بالنسبة للحلول.

[وهكذا نرى أنه **عندما يُقال إن الروح القدس في أي واحد**، فإن هذا يعني أن **الكلمة حالٌ فيه** مانحاً الروح القدس.](٣٢)

القديس أثناسيوس الرسولي

[**لأننا إذ تكون لنا شركة في الروح القدس تكون لنا نعمة الكلمة، وتكون لنا أيضاً محبة الآب في الكلمة، وكما أن نعمة الثالوث واحدة هكذا أيضاً لا يمكن أن يتجزَّأ الثالوث.**](٣٣)

[**وعندما يكون الروح القدس فينا، يكون فينا أيضاً الكلمة الذي يمنح الروح القدس، والآب هو في الكلمة**، وهذا يتفق مع ما قيل: «إليه نأتي (أنا والآب) وعنده نصنع منزلاً» (يو ١٤: ٢٣)، لأنه **حيث وُجدَ النور وُجدَ أيضاً الشعاع، وحيث وُجدَ الشعاع وُجدَ أيضاً نشاطه ووُجدَت نعمته الخافقة**، هذا ما نادى به أيضاً الرسول

---

(٣١) عن الروح القدس ٢٩.

(٣٢) الرسالة الأولى عن الروح القدس ٣١.

(٣٣) الرسالة الثالثة ٥.

عندما كتب لأهل كورنثوس: «نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله وشركة الروح القدس مع جميعكم» (٢كو ١٣: ١٤)؛ لأن النعمة والموهبة التي تُمنح، **إنما تُمنح في الثالوث** من الآب والابن في الروح القدس.][٣٤] **القديس أثناسيوس الرسولي**

[ومنذ حلوله يوم الخمسين - لم يعد حلوله بالقوَّة ἐνεργείαν ولكن ربما نستطيع أن نقول جوهريًّا οὐσιωδῶς مؤتلفاً معنا وساكناً فينا.][٣٥] القديس **غريغوريوس النزينزي**

[لأن **الإيمان بالثالوث** - الذي سُلِّم إلينا - يُتحدنا بالله.][٣٦]

[ولقد تحدَّث المسيح مع تلاميذه كثيراً بخصوص الروح القدس حتى لا يتصوَّروا أنه مجرَّد فعل أو قوَّة غير شخصية = ἐνεργέιαν ἀνυπόστατον.][٣٧] **القديس يوحنا ذهبي الفم**

ويعود التقليد ويؤكِّد في مواضع كثيرة عن أن حلول الروح القدس يعطي الإنسان شركة في الطبيعة الإلهية:

[وإن كنَّا **بالاشتراك في الروح القدس نصبح «شركاء الطبيعة الإلهية»** (**٢بط ١: ٤**)... **لأن الذين فيهم الروح القدس تصبح لهم الطبيعة الإلهية** على هذا الأساس. وإن كان **الروح القدس يجعل الناس شركاء الطبيعة الإلهية** فلا شك أن طبيعته طبيعة إلهية.][٣٨]
القديس أثناسيوس الرسولي

---

(٣٤) الرسالة الأُولى ٣٠.
(٣٥) عن يوم الخمسين ١١ PG 36, 444 C
(٣٦) الرسالة الأُولى ٣٠.
(٣٧) على سفر الأعمال ٧.
(٣٨) الرسالة الأولى ٢٤.

[وجعل البشر **يأخذون من طبيعته بالاشتراك في الروح القدس، وبهذه الصورة قدَّس الطبيعة الإنسانية** بالقوَّة والمجد اللذين هما فوق الطبيعة الإنسانية، ولا يوجد أدنى انحراف أو ابتعاد عن الحق فيما ذكرته.](٣٩) **القديس كيرلس الكبير**

[وعندما نفخ فيهم وقال: «**اقبلوا الروح القدس**» (يو ٢٠: ٢٢) **جعلهم شركاء في طبيعته ومنحهم سكنى الروح القدس**، وجعلهم أيضاً شركاء في مجده بإعطائهم القوَّة لحل وربط الخطايا.](٤٠)
القديس كيرلس الكبير

[هكذا أيضاً تنسكب محبة الله في قلوبنا **بالروح القدس حتى لا نظن أنه مجرَّد عمل أو فعل**، لأنه **هو** الذي يعطي **وهو** الينبوع الغني بالحب الإلهي، ولكي ندرك على وجه التحقيق أن هذا الذي ينسكب لا يمكن أن يكون من صفات الخليقة بل من **خصائص الطبيعة الإلهية**.](٤١) **القديس أمبروسيوس**

[**بالروح نقتني صورة الله وننمو إلى مشابهته، وبالروح كما يقول معلّمنا بطرس – نصير شركاء الطبيعة الإلهية**، وهذه الشركة لا تعطينا ميراثاً جسديًّا، بل تلك الرابطة الروحية في نعمة التبني.](٤٢)
القديس أمبروسيوس

(٣٩) شرح إنجيل يوحنا ٢٠: ٢٢ و٢٣.
(٤٠) شرح إنجيل لوقا ٥: ٢٣.
(٤١) على الروح القدس ٨: ٩٤ و٩٥.
(٤٢) المرجع السابق ٦: ٨٠.

رابعاً: غاية الحلول وغاية الاشتراك في الطبيعة الإلهية

مرَّة أخرى نشير إلى أن معنى الحلول ومعنى الاشتراك في الطبيعة الإلهية لا يفيد قط أن الإنسان يصير صاحباً أو مالكاً للطبيعة الإلهية أو يخرج عن جوهر إنسانيته، ولكن يتركَّز - حسب التقليد الآبائي - في استرداد صورة الله ومثاله التي كانت فيه سابقاً والتي فقدها الإنسان بالسقوط. فمعنى أن الإنسان صار شريكاً في الطبيعة الإلهية هو بالتحديد القاطع، حسب قول الآباء، أنه استعاد صورة الله ومثاله وحصل على مشيئة الله في أعماقه «لتكن مشيئتك.» (مت ٦:١١)

يقول القديس **أمبروسيوس**:

[الذي ينال الروح القدس يمتلئ من مشيئة الله.](٤٣)

وصار بذلك ابناً بالتبني في شخص يسوع المسيح. فالإنسان سيظل هو الإنسان، العبد المتبنَّى، صاحب الطبيعة الساقطة التي استعادت صورة مجد الله في المسيح، «أنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني» (يو ١٧: ٢٢)، واستعادت حياتها الأبدية بقيامة المسيح وشركة الروح القدس.

ولكن كل ما نتوسَّل إليه ونرجوه من هذا الكتاب، أن لا يظن أحد أن الاتحاد بالمسيح في الروح القدس والشركة في الطبيعة الإلهية هي مجرَّد

---

(٤٣) على الروح القدس ٧: ٨٩.

نظرية إيمان وعقيدة أو موضوع تأمُّل، ولكنها حقيقة تُعاش، وتغيُّر حقيقي يشمل كيان الإنسان، وشركة حقيقية مع الرب ومع الروح، لها برهانها ولها مفاعيلها ولها حبها المتأجِّج ولهيبها الذي يجعل الإنسان لا يهدأ عن التسبيح والحمد والشهادة ليل نهار بفرح لا يُنطق به، لأن حياةً حقيقية ومحبَّةً إلهية تنسكب في قلب الإنسان، فهو اتحاد حقيقي، واستعادة صادقة لصورة القداسة الإلهية التي فقدناها، ولكن لا يستطيع إنسان في الوجود أن يستنفد غنَى المسيح هذا ولا قداسة الروح، فالإنسان سيظل آخذاً والله سيظَل معطياً إلى أبد الآبدين.

ولقد اختارت الكنيسة أن يكون التعييد لحلول الروح القدس يوم الخمسين - طلباً لاستمرار حلوله ودوام عمله - **بالسجود إلى الأرض، بدعاء نحو الأقانيم الثلاثة**. لذلك سُمِّي الطقس بأكمله طقس السجدة، فليس من طريق آخر للدخول إلى الثالوث من أجل انسكاب الروح إلا **من خلال الاتضاع** والانسحاق **مع الرغبة الشديدة** في اقتناء هذه العطية الثمينة، **بالصلاة الحارة، والمحبة الملتهبة**، ليكون هذا تعبيراً صادقاً من طرف الإنسان عن استعداده **لقبول المواعيد العُظمى والثمينة!!**

وكأنما بهذا يعود الإنسان باللاوعي إلى خلقته الترابية الأُولى ساجداً بين يدي الله (الثالوث) ليتلقَّى تجديداً للنفخة الأُولى بالروح القدس ليستعيد ما فقده:

[الله الآب **بواسطة الابن والروح القدس جَبَلَ الإنسان على صورة الله** ... فالإنسان الكامل يتكوَّن من شركة واتحاد النفس التي تقبَّلت "روح الآب" مع الجسد الذي صُنع أيضاً على مثال الله، فالإنسان يصير كاملاً **روحانيًّا بسبب انسكاب "الروح"**

(روح الله) فيه فيكون على صورة الله ومثاله، فإذا فقدت النفس "الروح" (روح الله) يصير مخلوقاً غير كامل كطبيعة الحيوان يحمل صورة الله ولكنه يكون فاقداً المشابهة والمثال اللذين يعطيهما الروح.][٤٤] القديس إيرينيئوس

[فإن كان بنفخة الله قد حصلنا في البدء على صورة الله ومثاله التي تتكلَّم عنها الأسفار، ثم بالخطية فقدناها، ولكن الآن – بعد المعمودية – قد صرنا كما كنا عندما خُلقنا أوَّلاً بلا خطية ولنا سلطان على أنفسنا.][٤٥] العلامة ديديموس

[ولكي نعلم أنه هو هو الذي في البدء خلقنا وختمنا بالروح القدس، لذلك يمنح مخلِّصنا الروح القدس من خلال العلامة المنظورة، أي "النفخة" للرسل القديسين، لأنهم باكورة الطبيعة البشرية المجددة، وكما كتب موسى عن الخلق الأول أن الله نفخ في أنف الإنسان نسمة الحياة، يحدث نفس الشيء الذي حدث في البدء عندما يجدِّد الله الإنسان، وكما خُلق الإنسان في البدء على صورة خالقه، كذلك الآن بالاشتراك في الروح القدس يتغيَّر إلى صورة خالقه ويصبح على مثاله، ولا يوجد لدينا أدنى شك في أن الروح القدس هو الذي يختم صورة المخلِّص على قلوب الذين يقبلون المخلِّص: «يا أولادي الذين أتمخَّض بكُم أيضاً إلى أن يتصوَّر المسيح فيكم» (غل ٤:١٩)، وهو يقول إن المسيح لن

(٤٤) مجموعة الآباء ٥ و٦ و١.

(٤٥) عن الثالوث: Quasten, *op. cit.* 3, p. 98

يتصوَّر فيهم إلا بالاشتراك بالروح القدس.][٤٦] القديس كيرلس الكبير

[إذن فقد خُتمنا بروح الله «الذي فيه أيضاً إذ آمنتم خُتمتم بروح الموعد القدوس، الذي هو عربون ميراثنا» (أف ١: ١٣-١٤)، فنحن **نُختم بالروح لكي نقتني بهاءه وصورته ونعمته ... حتى يُصوِّر الروح القدس فينا مشابهة الصورة الإلهية.][٤٧] القديس أمبروسيوس**

وهذا التقليد الراسخ عند الآباء في كيفية استرجاع صورة الله ومثاله بالروح القدس متأسِّس أصلاً على الكتاب المقدَّس الذي فيه يقول القديس بولس الرسول: «وحيث روح الرب هناك حريَّة، ونحن جميعاً **ناظرين مجد الرب** بوجه مكشوف (أي بدون برقع الناموس الذي كان يخفي نور وجه الله) كما في مرآة **نتغيَّر إلى تلك الصورة عينها** (صورة مجد وجه الرب) **من مجد إلى مجد كما من الرب الروح.**» (٢كو ٣: ١٧-١٨)

ولكن في التقليد الآبائي لا تُفهم كلمة «ناظرين ... نتغيَّر» بمعناها اليوناني الفلسفي، أي **بواسطة التأمُّل في الله نتغيَّر** إلى تلك الصورة، لأن هذا هو منهج التأمُّل الأفلاطوني الجامد Static، ولكن يأخذها التقليد الكنسي بمعناها القديم الكتابي المتوارث: «فقال **وجهي يسير فأريحك**، فقال موسى له إن لم يسر "**وجهك**" **فلا تُصعدنا من هنا، فإنه بماذا يُعلَم أني وجدت نعمة** في عينيك أنا وشعبك، أليس بمسيرك معنا؟» (خر ٣٣: ١٤-١٦)

هنا التطلُّع إلى وجه الله يلازمه مسيرة وحركة مع قيادة النعمة، العبادة

---

(٤٦) على إنجيل يوحنا ٢٠: ٢٢-٢٣.

(٤٧) على الروح القدس ٦: ٧٩.

هنا عمل وجهد وتغيُّر Dynamic بقيادة الله.

إذن، فالنظر إلى مجد الرب والتغيُّر إلى صورته بعينها من مجد إلى مجد، هي باقتفاء أثر نور مجد وجه الرب بالعمل حسب الإنجيل وبقيادة الروح، بالتغيُّر «تغيَّروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم» (رو ١٢: ٢)، وبالخلع واللبس المستمر: «خلعتم الإنسان العتيق مع أعماله، ولبستم الجديد **الذي يتجدَّد للمعرفة حسب صورة خالقه**» (كو ٣: ٩-١٠)، «أن تخلعوا من جهة التصرُّف السابق الإنسان العتيق الفاسد بحسب شهوات الغرور، وتتجدَّدوا بروح ذهنكم، وتلبسوا الإنسان الجديد **المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق.**» (أف ٤: ٢٢-٢٤)

وهكذا يسير التقليد الآبائي على منهج الإنجيل بدقة ووضوح من جهة عمل الروح القدس في الطبيعة البشرية لاسترجاع صورة الله ومثاله:

[وعندما يوجد الروح القدس فإنه **يحوِّل جبلة الناس من طين إلى ذهب** (كناية عن قداسة السمائي).][٤٨] القديس **يوحنا ذهبي الفم**

[لأن الروح القدس لا ينتقل من مكان لمكان، بل يتحرَّك من التزام المشيئة لتأمين الخلاص والفداء، من نعمة إعطاء الحياة إلى نعمة التقديس، لكي ينقلنا من طبيعة التراب إلى السماء، من الشقاء إلى المجد، ومن العبودية إلى الملوكية.][٤٩] **القديس أمبروسيوس**

ولقد استقبل النُسَّاك هذه المبادئ الإيمانية بحرارة وجدية، ويكفي للتدليل على ذلك ما سجَّله القديس أنطونيوس عن علاقته الشخصية

---

(٤٨) على رسالة رومية عظة ٤.

(٤٩) على الروح القدس ١١: ١٢٢.

بالروح القدس وحماسه البالغ في توصيل هذه الخبرة الفائقة:

[الروح الناري الذي قبلته أنا، اقبلوه أنتم أيضاً.](٥٠)

ويعلّق أنبا تادرس تلميذ أنبا باخوم على موهبة اقتناء الروح القدس بقوله:

[ماذا يكون أعظم من أن يقتني الإنسان الروح القدس.](٥١)

ولقد كانت مفاعيل الروح القدس في حياة الآباء وتصرُّفاتهم كلها معجزات تفوق الوصف، ولكن لاتضاع الآباء وحيائهم الشديد كانوا يخفون مواهبهم، ولكن كثيرين منهم لم يستطيعوا أن يخفوا نور الروح القدس الذي كان يشع حتى من وجوههم وأجسادهم. ومعروف بالتحقيق أن الأب أرسانيوس كان وجهه أثناء الصلاة "يتقد كالنار" بشهادة تلميذه، وكذلك الأب "بامو" والأب "شيشوي" والأب "سلوانس"، وهذه إشارة مبدعة أخذها الآباء اللاهوتيون كبرهان لما هو عتيد أن تقوم عليه أجساد القديسين في المجد العتيد أن يُستعلن فيهم.

ولهذا يتوسَّل إلينا القديس بولس الرسول من جهة هذا الأمر:

+ «فأطلب إليكم أيها الإخوة برأفة الله أن **تقدِّموا أجسادكم ذبيحة حيَّة مقدَّسة مرضية عند الله.**» (رو ١٢: ١)

وعن هذه الحقيقة يقول القديس **مقاريوس الكبير**:

[وفي القيامة العتيدة سينبعث الروح القدس من الداخل ليغطِّي أجساد القديسين ويزينها بالمجد الذي كان فيهم سابقاً، وإنما كان

---

(٥٠) الرسالة الثامنة.

(٥١) حياة أنبا باخوميوس.

مخفيًّا فيهم داخل نفوسهم، فما يحصل عليه الإنسان الآن (من مجد الروح) سيصير ظاهراً في الجسد هناك (في القيامة).][٥٢]

ولكن الآباء لم يتفاخروا قط بما نالوه من مجد داخلي[٥٣] أو خارجي، سواء في أرواحهم من الداخل أو في أجسادهم من الخارج، بل بالحري كان يتقد الروح القدس فيهم من جهة تأليم أجسادهم ونفوسهم بحمل أثقال الضعفاء والمرضى. ولا يمكن أن ننسى الأب "أغاثون" الذي كان يشتهي أن يأخذ جسد إنسان مجذوم ويعطيه جسده، وقد اختبر الله نيَّته بالفعل في هذا الأمر فوجدها صادقة[٥٤].

لقد كان الروح القدس هو حياة الآباء وهو الناطق فيهم وهذا هو ما نعنيه من كلمة التقليد.



(٥٢) عظة ٥: ١٩

(٥٣) نسمع اليوم بافتخار بعض الإخوة بما نالوه من مواهب بشيء من التعالي المستتر وراء تمجيد الله، وهذا يُحسب في التقليد الآبائي نقيصة، وفي منهج الإنجيل غباوة روحية، وقد فعلها بولس الرسول مرَّة تحت الالتزام ثم ندم عليها: «قد صرت غبيًّا وأنا أفتخر، أنتم ألزمتموني.» (٢كو ١٢: ١١)

(٥٤) أقوال الآباء PG 65:26.

كتاب

الروح القدس
وعمله داخل النفس
عرضٌ لأقوال الآباء النسّاك

سنة ١٩٧٤

المحتويات

صفحة

مقدِّمة..... ٤٩

- تعبيرات لاهوتية عن الروح القدس للقديسَيْن

أثناسيوس الرسولي وكيرلس الكبير..... ٦٢

- العلاقة بين الروح القدس في اللاهوت العقائدي،

والروح القدس في اللاهوت النسكي..... ٦٧

الفصل الأول

الروح القدس في تعليم القديسَيْنْ أنبا أنطونيوس وأنبا مقار

أولاً: عمق العلاقة التي تربط النفس بالروح القدس: ٧٦

(أ) على نمط العلاقة بين الروح القدس والكروبيم ٧٦

(ب) الطبيعة النارية التي للروح القدس تنتقل للنفس البشرية ٨٦

(ج) تغلغل الروح القدس في جوهر النفس البشرية ٨٩

(د) التحام سرِّي فائق الوصف بين الروح القدس والنفس ٨٩

(هـ) التأثير الناتج من دوام مواجهة النفس للروح القدس ٩٠

(و) الروح القدس ينغرس داخل طبيعة النفس ٩١

(ز) الروح القدس يحمل النفس على ذراعيه ٩١

(ح) الروح القدس غنَى النفس ٩٢

(ط) امتزاج النفس بالروح واكتسابها لطبيعته ٩٥

(ي) الروح القدس لباس النفس العريانة ٩٦

(ك) الروح القدس تاج النفس واللؤلؤة الملوكية ٩٨

(ل) الروح القدس ملح النفس الذي يحفظها من الفساد ٩٨
(م) الروح القدس نور النفس ومصباحها ١٠٠
(ن) الروح القدس حياة النفس ١٠٠
(س) الروح القدس سبت النفس وعيدها الأبدي ١٠١
(ع) الروح القدس فرح النفس وملكوتها ١٠٢
ثانياً: أهمية عمل الروح القدس داخل النفس
في صراعها ضد طبيعتها القديمة:
(أ) الروح القدس سبَّاق إلى الدعوة للتوبة وسبَّاق إلى المعونة ١٠٤
(ب) الروح حارس ضد النكسة..... ١٠٥
(ج) الروح لا يُلزم النفس بالتوبة، ولكنه يزكِّيها ١٠٦
(د) الروح هو القادر على إيقاف عمل الإنسان العتيق ١٠٨
(هـ) الروح لا يعمل وحده، بل يحتاج إلى الإرادة ١١١
(و) عدم الإذعان للروح القدس خسارة عظيمة ١٢٠
(ز) وجود الروح القدس لا يمنع التجارب ١٢٢
ثالثاً: الروح القدس يختم النفس بخاتم العهد ويعطيها ميثاق الروح ١٢٦

الفصل الثاني

الروح القدس في تعاليم مار إسحق

١ - الصلاة وعمل الروح القدس ١٣١
(أ) الصلاة ومعونة الروح - "النعمة هي الملكوت" ١٣١
(ب) المجاهدة في الصلاة بتغصُّب والحصول على النعمة
ومعونة الروح القدس ١٣٢
(ج) توقير الصلاة وتكريمها
يؤهِّل للحصول على النعمة وعلى عمل الروح القدس ١٣٢
٢ - الجهاد وعمل الروح القدس ١٣٣

٣ - جهاد الفضيلة يؤهِّل لفعل الروح القدس ١٣٣
٤ - الجهاد ضد الأفكار الشريرة وعمل الروح القدس ١٣٤
٥ - الجهاد بالأعمال الجسدية وعمل الروح القدس ١٣٤
٦ - احتمال الضيقات وعمل الروح القدس ١٣٤
٧ - احتقار أباطيل العالم ومحبة الآخرين يلازمها الروح القدس ١٣٤
٨ - احتمال التجارب يؤهِّل الإنسان لعناية الروح القدس ١٣٥
٩ - الاتضاع يحرِّك الروح القدس ١٣٥
١٠ - السؤال بالليل والنهار بدموع يؤهِّل لعطية الروح القدس ١٣٥
١١ - ترتيل المزامير والامتلاء من الروح القدس ١٣٦
١٢ - الصلاة بحرارة الروح تحرق الشهوات والأفكار ١٣٦
١٣ - الثبوت الدائم في الصلاة والروح القدس ١٣٦
١٤ - إذا كثرت النعمة تزداد جرأة الإيمان ١٣٦
١٥ - سُكنَى الروح القدس والتعزية بالتجارب ١٣٦
١٦ - القراءة المستنيرة تؤهِّل لعمل الروح القدس ١٣٧
١٧ - الروح القدس يعمل في الصلاة الحارة النقية ١٣٧
١٨ - الروح القدس الباراقليط وقوَّة الإيمان المعزِّي ١٣٧
١٩ - عمل الروح القدس المفاجئ ١٣٨
٢٠ - الروح القدس وحزن التوبة ١٣٨
٢١ - تبادل مستمر بين عزاء الروح القدس
وبين التخلية والأحزان والقتالات ١٣٨
٢٢ - التوبة والروح القدس ١٣٩
٢٣ - الروح القدس والاحتراس والتدقيق ١٤٠
٢٤ - إمكانية السقوط بعد نيل النعمة ١٤٠
٢٥ - الروح القدس والاتكال على ذراع البشر ١٤٠

٤٦ — الروح القدس الرب المحيي

٢٦ - الروح القدس والجهاد ضد الخطايا ١٤١
٢٧ - الروح القدس والصوم ١٤١
٢٨ - الروح القدس والصلاة الدائمة ١٤١
٢٩ - الروح القدس والصلاة الروحانية ١٤٢
٣٠ - الروح القدس ومعونة البسطاء المتّكلين على الله ١٤٢
٣١ - الروح القدس والسقوط في البرودة والثقل ١٤٢
٣٢ - الروح القدس والتجارب ١٤٢
٣٣ - الروح القدس والصبر في الضيقات ١٤٣
٣٤ - الروح القدس ونعمة العزاء ١٤٤
٣٥ - الروح القدس والحركة الأُولى داخل النفس للخلاص ١٤٤
٣٦ - الروح القدس وسُكنَى النعمة في القلب ١٤٤
٣٧ - الروح القدس ومذمَّة الناس ١٤٤
٣٨ - الروح القدس ورفع النعمة بغتة ١٤٥
٣٩ - الروح القدس وضبط الهوَى ١٤٥
٤٠ - الروح القدس ومحبة الصلاة ١٤٥
٤١ - الروح القدس والصلاح المغروس في طبيعة النفس ١٤٥
٤٢ - الروح القدس والصلاة بدون كلمات منطوقة ١٤٦
٤٣ - الروح القدس وتقديس القلب والكلمة ١٤٦
٤٤ - الروح القدس وإمكانية الإحساس به ١٤٧
٤٥ - الروح القدس وتقديس هيكل النفس والصلاة الدائمة ١٤٧
٤٦ - الروح القدس وذبيحة جسد المسيح ١٤٧
٤٧ - الروح القدس والقفز في الطريق الضيِّق بتسرُّع ١٤٧
٤٨ - الروح القدس وعمله بعد المعمودية ١٤٨
٤٩ - الروح القدس يقرع ولا يستطيع الدخول ١٤٩

٥٠ - الروح القدس ودعوة الخطاة ١٤٩
كلمة في الختام ١٤٩
العظة السابعة والخمسون للقديس مقاريوس الكبير ١٥١

مقدِّمة

الآباء القديسون الأوائل لهم سيرة عليها بصمة الروح القدس بلا نزاع، إنها سيرة روحانية بكل معنى الكلمة، ورائحة الروح القدس **العطرة** - كما يصفها القديس أنبا أنطونيوس[1] - تفوح من أعمالهم وأقوالهم التي تركوها لنا ميراثاً ثميناً.

والعجب أن هؤلاء القديسين، من حيث سيرتهم السابقة، فإن غالبيتهم خرجوا من بيوت أمية وبيئات اجتماعية دون المتوسطة، ومنهم مَنْ كانوا أشراراً عتاة تقلَّبوا على كل مراتب الخطية والشر، ولكن بانقيادهم للروح القدس بعزم لا يُقهر وبنشاط حار وتلقائية سريعة بلا تحفُّظ عند تقبُّلهم أول هاتف للتوبة، صاروا قديسين وأبراراً، وصارت حياتهم نبراساً ونموذجاً للكنيسة كلها، للإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق.

واستمرَّت فاعلية الروح القدس الصفة الأُولى والعُظمى السائدة على كل نشاطهم وحياتهم، فأكملوا قول الرسول - «منقادين بروح الله» (رو ٨: ١٤). لذلك فقد استطاع الروح أن يحقِّق في حياتهم بل وفي أنفسهم وأجسادهم كل مواهب المسيح وعطاياه الخلاصية الفائقة. فحياتهم ترجمة واقعية لمعنى الفداء وعمل الخلاص والمسح بالدم والميلاد الثاني وحياة التجديد والإيمان العامل بالمحبة، والرجاء الحار الذي يعيش

(١) «رسائل القديس أنطونيوس»، طبعة ٢٠٠٩، الرسالة التاسعة عشر - صفحة ١٣٠.

ملء المستقبل في صميم الحاضر ويتذوَّق حتى فداء الجسد، والحب الذي يحوِّل أعظم الآلام إلى نشيد للنصرة، حتى في أشد وأعنف الاضطهادات كانت تُسمع من أفواههم تسبحة الغلبة والخلاص، والنطق بالشهادة الحسنة للمسيح من تحت حد السيف.

فالذي يقرأ رسائل القديس أنطونيوس يخرج بانطباع روحي لا يمكن أن يفارقه مدى الحياة: نار. نار. نار، الدعامة الأساسية في تعاليم أنطونيوس نار إلهية تسكن النفس وتطير بها مرتفعة نحو السماء. هذه النار عند أنطونيوس هي سر الحياة الروحية وأساس كل سيرة في المسيح ومبدأ كل فضيلة وعلّة كل عمل صالح:

[إذا عُدِمْتَ هذه النار تصير كالطير الذي نُزِع جناحه.]

(الرسالة الثامنة عشر)

لذلك فحروب الشيطان تتركَّز كلها ضد هذه النار الإلهية التي تسكن النفس:

[فلا تَدَعوا قوَّة هذه النار تُنزع منكم، لأن حروباً كثيرة كائنة لكم من الشيطان لأجل هذه النار المعطاة لكم من الرب لكي ينزعها منكم، لأنه يعلم أنه لا قدرة له عليكم ما دامت نار الله فيكم.] (الرسالة الثامنة عشر)

ولا يطيق أنبا أنطونيوس أن يرى أحداً بدون هذه النار، فهو يستحث أولاده جميعاً وكافة مَنْ يسمعه أو يقرأ له أن يقتني هذه النار، لأنها جوهر الحياة الروحية والقوَّة الوحيدة الدافعة التي تدفع النفس إلى السماء وسط محن الحياة وحقد الشيطان وكل أهوال الموت! اسمعه يقول:

[ذلك الروح الناري العظيم الذي قبلتُه أنا اقبلوه أنتم أيضاً]،

ثم يتوسَّل إلى أولاده أن لا يشكُّوا قط في إمكانية قبوله:

[لا تفكّروا في قلوبكم وتكونوا ذوي قلبين وتقولوا مَنْ يقدر أن يقبل هذا، لا يا أولادي، لا تدعوا هذه الأفكار تأتي على قلوبكم، بل اطلبوا باستقامة قلب وأنتم تقبلونه.] (الرسالة الثامنة)

وعند القديس أنطونيوس، عبثاً يقاوم الإنسان أفكاره الشريرة ونشاط قواه التصويرية للنجاسة أو البغضة أو الحقد أو العداوة إلى أن يستسلم العقل لله نهائيًّا وكليًّا، ويسلِّم كل أفكاره للروح القدس ليحرقها أمامه:

[وبسلطة العقل تطلبون من الله أن ينعم عليكم بإتيان ناره غير المادية من العُلا إليكم لتحرق كل أفكاركم ومشوراتكم الردية التي في تلك المجمرة (أي الجسد).] (الرسالة السادسة عشر)

†††

ولا ينفرد أنبا أنطونيوس بهذا الإحساس الغامر والدائم لفعل الروح القدس الناري في النفس والجسد، بل يشاركه بنفس الحماس والغيرة أنبا مقار، في الإحساس بفاعلية النار الإلهية داخل النفس كاشفاً سرًّا من أسرار قوَّة صلاة القديسين الذين تسكنهم هذه النار الإلهية. إذ يقرِّر أن طبيعة هذه النار الإلهية طبيعة حارقة للشيطان وكل أفكاره وتصاويره:

[النفس إذا كان لها إقامة في شركة الروح القدس، فإن طول إقامتها في نار الروح ونوره الإلهي يحصنها ضد أية مضرَّة من أي روح شرير لأنه إذا اقترب من النفس فإنه يحترق بنار الروح السمائي.]
(العظة الثلاثون).

ويعود أنبا مقار ويؤكِّد أنه يستحيل على النفس القاسية والقلب

الحديدي الصخري الذي تقسَّى بالخطية والشهوة والكبرياء والعداوة، يستحيل أن يلين إلا بهذه النار السمائية، فهي وحدها القادرة على تغيير طبيعة النفس:

[حتى إذا نالت النفس هذه النار السمائية ومحبة الروح، حينئذ تنفك من محبة العالم وتفلت من كل فساد الأهواء وتتغيَّر طبيعتها من يبوسة الخطية.] (العظة الرابعة)

كذلك فالذي يقرأ عظات أنبا مقار يخرج بانطباع عام لا يمكن أن يُمحى من قلبه، وهو تركيزه الفائق للوصف والحد على شدَّة العلاقة التي تربط الروح القدس بطبيعة النفس التائبة. فهو لا يكف ولا يهدأ من إعطاء التشبيهات المتوالية حتى يرسم في ذهن السامع عمق الصلة السريَّة المتعدِّدة الصفات والإمكانيات التي تربط بين الروح القدس والنفس. ومن ثمَّ فإن تعدُّد الرُّبط وتعدُّد الصلات هو هو سر تعدُّد المعونات وتعدُّد مفاعيل الروح القدس في النفس البشرية. فالقديس أنبا مقار يمثِّل الالتحام الكائن بين طبيعة الروح القدس وطبيعة النفس بالتعانق الحادث بين خيوط السَدَاة القويَّة الزاهية بخيوط اللُّحمة الضعيفة الباهتة التي يتكوَّن منها نسيج بهيج له صفة الأقوى.

ثم يعود ويمثِّل التغلغل الكائن بين طبيعة الروح القدس وطبيعة النفس بالماء الذي يغمر قطعة صخرية ويحيط بها من كل الجهات، فيجعلها تخف وتسهل حركتها. ثم يعود ويمثِّل التداخل الشديد والغامر بين الروح القدس والنفس بإيقاد مصباح في مكان مظلم. ثم يعود ويمثِّل الاتحاد بين الروح القدس والنفس باتحاد نسمة الحياة بالجسد القابل للموت. ثم يعود ويمثِّل اتحاد الروح القدس بالنفس، باتحاد النار بالحديد الصلب لفترة

طويلة حتى يذوب ويتغيَّر عن طبيعته. ثم يعود ويمثِّل هذا الاتحاد بالجناحين بالنسبة للطائر الذي يطير بهما في السماء، ثم يعود ويمثِّل هذا الاتحاد بالمعجزة التي تمَّت على يدي أليشع النبي عندما ألقى قطعة خشب صغيرة في الماء (٢مل ٦: ٤-٧)، فالتصق الخشب بالحديد الساقط في قعر الماء وارتفع به إلى السطح، والأخف رفع الأثقل!!

وفوق هذا كله، وقبل هذا كله، يصف الاتحاد الكائن بين الروح القدس والنفس البشرية بالعلاقة السريَّة جدًّا القائمة بين روح الله والكروبيم الحامل لعرش الله، هذه الصلة التي جعلت من الكروبيم ذوي الأوجه المخلوقة، كائناً حيّاً روحانيًّا مسبِّحاً، **كريماً جدًّا** ولائقاً أن يحمل عرش الله.

هذا، ولكل تشبيه من هذه التشبيهات عمل خاص للروح القدس يعمله داخل النفس ليكمِّلها بالكمال المسيحي!!

ويكفي القارئ أن يتصوَّر في نفسه إمكانية وجود الصلات جميعاً التي تربط بين نفسه وبين الروح القدس، حتى ينذهل من فرط رحمة الله وحبه واتضاعه الذي وهبنا روحه الخاص الذي جعله بهذا القرب من طبيعتنا، وهذا الحب المجَّاني والتودُّد الفائق الاتضاع، لنتوب ونتجدَّد في الذهن والسيرة، ونصير بواسطته وبالاتحاد به والشركة معه خليقة روحانية صالحة جديرة بحلول الله ولكي يملأها بمجده لنسبِّحه الليل والنهار وإلى الأبد تسبيح الغلبة والخلاص.

†††

أما مار إسحق فعلى مدى كتبه الأربعة الضخمة التي تضم أكثر من

ستمائة صفحة والتي يتحدَّث فيها عن كل ما يهم الناسك المسيحي السائر في طريق الحياة الأبدية، هذه كلها يخرج منها القارئ بانطباع يملك عليه كل تفكيره وهو عمل النعمة في الجهاد اليومي: النعمة، النعمة، النعمة.

والنعمة عند مار إسحق **"هي الملكوت"**، وهذا أيضاً هو ذات ما يقوله أنبا مقار في خطابه الكبير:

[... لأن ما هو هذا الملكوت الداخلي؟ «هوذا ملكوت الله داخلكم» إلا " فرح الروح"، هذا الذي يتدفَّق بقوَّة في النفوس المستعدَّة. أليس هذا الفرح وهذه الراحة المثمرة وهذا السُّكْر الروحاني هو نفس ما يتذوَّقه المختارون في الفردوس في نور مجد الله؟].

كذلك فإن النعمة عند مار إسحق هي أيضاً **عطية** الروح القدس، **وهي الروح القدس**، ثم بدونها لا يمكن أن تُقام صلاة مقبولة أمام الله، بدونها يستحيل أن تهدأ الأفكار الطائشة وينجمع الفكر في الصلاة، بدونها لا يمكن أن يصلِّي الإنسان حتى ولو بتغصُّب، بدونها يستحيل الجهاد الجسدي أو النسك أو الصوم الخالي من الإرهاق والتوجُّع، بدونها يستحيل احتمال الضيقات أو المظالم، بدونها يستحيل الصبر على الآلام والأمراض والأعواز، بدونها يستحيل الانفطام عن شهوات الدنيا ومجاذبات العدو، بدونها يستحيل القيام بأعمال إيمانية جريئة وإعطاء الشهادة الشُّجاعة في حينها، بدونها يستحيل مواجهة الموت بدون انزعاج.

والعكس، عند مار إسحق أيضاً، صحيح. فالنعمة التي تمنح الصلاة

تحل وتأتى أيضاً بالصلاة!! أو بمعنى آخر إن النعمة أولاً تشجع وتحث على الصلاة، فإذا استجاب الإنسان لحث النعمة تعود فتنسكب جهاراً بغزارة وبحرارة. كذلك فالنعمة التي توحي بالتغصب تأتى أيضاً بالتغصب، أو بمعنى آخر، يقول إن النعمة تحث على التغصب، فإذا استجبنا للتغصب سواء على الصلاة أو الصوم أو احتمال الإهانة أو الشتيمة أو الظلم تكون النتيجة أن النعمة تنسكب جهاراً بغزارة وفيض عظيم.

كذلك، فإن النعمة وبنفس هذا الاتجاه المزدوج، تأتي بفيض وبغزارة عند احتمال الضيقات والآلام والأمراض والانفطام عن شهوات العالم والجسد والشيطان وعند القيام بأعمال إيمانية جريئة والشهادة الحسنة.

وهكذا تغطّي النعمة كل تعاليم مار إسحق، فهي تعمل من خلف النفس لتحثّها على ركوب الصعاب حبًّا وكرامة وشهادة للمصلوب، ثم تسرع لتسند يمين السائر في الطريق الحرجة. فإذا تقوَّم ونجح، تُسرع وتتلقّاه بالأحضان عند نهاية الجهاد لتملأه أفراحاً سماوية وهدوء نفس، هذا الذي يسمِّيه مار إسحق "عدم التألُّم" الذي يبلغه المجاهد النشيط المُعان بالنعمة في نهاية الطريق الحرجة!!

وتعاليم **مار إسحق** تبلغ قمَّتها عندما يتحدَّث عن الحب الإلهي، فهو الثمرة الوحيدة التي تثبت أن الجهاد صحيح من صلاة وصوم ونسك وخدمة وعبادة. ولكن لا يمكن اقتناء الحب الإلهي بالصلاة ولا بالصوم ولا بالنسك ولا بأي عمل آخر، فهو من عمل الروح القدس مباشرة:

[حب الله ليس هو عاطفة عابرة بدون إفراز، ولا هو يُقتَنَى من معرفة الكتب، ولا هو يتولَّد من الفضيلة وعمل مخافة الله، أو

يُقتَنَى بالجهاد أو بتصوُّر حب الله، ولا يأتي من تأدية واجبات المحبة حسب الوصية؛ بل **إذا قبل الإنسان روح الاستعلانات وتجدَّدت نفسه بحركات الروح** وحكمة الله التي تفوق العالم، فإنه يحس بعظمة الله جدًّا في نفسه. **وبدون هذا الروح لا يمكن أن يدنو أحد من مذاقة الحب الممدوحة.**]

(مار إسحق: الجزء الأول من الميمر الأول)

†††

ولكن من وجهة نظر الكنيسة نستطيع أن نقول إن العنصر الأساسي المشترك في حياة الآباء جميعاً من جهة عمل الروح القدس النشط، هو عملية البناء العجيبة التي يضطلع بها الروح القدس، بناء جسد المسيح السرِّي، من هذه النماذج المخلوقة المتجدِّدة المتعدِّدة من الشخصيات البارزة وغير البارزة، من الأفراد والجماعات والتجمُّعات في كل الأماكن وعبر الأجيال، كل مَنْ انقاد بالروح وأطاعه وخضع لصوته وسار بتدبيره السرِّي البسيط. حتى أنه أصبح لدينا الآن من واقع حياة هؤلاء الآباء العظام ومناهجهم وسلوكهم وأقوالهم صورة رؤيوية لكنيسة المسيح الروحيَّة، جسده السرِّي، تكاد تكون كاملة. أو بمعنى آخر ألا نستطيع أن نرى بالروح من حياة هؤلاء الآباء الأطهار وكل إخوتنا ومن سلوكهم العفيف وترفُّعهم عن أهواء هذا العالم وهروبهم من مجده الباطل وسلطانهم المطلق على الجسد وفرحهم في الآلام واحتمالهم وصبرهم الفائق على كل الضيقات والمحن - أقول ألا نرى في هذا صورة للمسيح القائم من الموت غالباً العالم وساحقاً الشيطان تحت رجليه؟

ثم ألم ينجح الروح القدس بهذا في تكوين أعضاء ممتازة لجسد المسيح

السرِّي بقيادته الحكيمة الفردية والجماعية لهؤلاء الآباء وتلاميذهم ورعاياهم في طريق الصليب؟ ألم ينجح الروح القدس في وضع صليب المسيح على أكتاف هؤلاء بطرق متنوعة، وهكذا يقودهم حتى الجلجثة والقبر من خلال أعظم المحن والآلام، ثم يعبر بهم بتشجيعاته وتعزياته بل وأفراحه وتهليلاته إلى مجد القيامة وهم لا يزالون في صميم الجسد والعالم وفي مواجهة الشيطان الساقط تحت أرجلهم سريعاً؟

ثم أليس بهؤلاء يقدِّم الروح القدس قيامة حقيقية دائمة إلى العالم؟ محققاً نصرة كاملة دائمة لصليب المسيح فوق العدو وفوق العالم؟ ثم ألا يحق للروح القدس بعد هذا أن يقف في وسط مختاريه وينطق بلسانهم مرَّة أخرى: «ثقوا أنا قد غلبت العالم» (يو ١٦: ٣٣)؟ ويكون بذلك قد تمَّم بالفعل وعلى طول المدى وعد المسيح: «فهو يشهد لي وتشهدون أنتم أيضاً.» (يو ١٥: ٢٦-٢٧)

والنتيجة الحتمية لهذه المقدِّمة هي سؤالنا لأنفسنا: ما هو مقدار عمل الروح القدس فينا؟

ولكي نستطيع أن نرد على هذا السؤال نسأل سؤالاً آخر: هل نحن نعيش في شركة القديسين حقاً؟ لأن الروح القدس لا يعمل خارج شركة القديسين، لأن شركة القديسين هي جسد المسيح السرِّي، أما شركتنا مع القديسين فهي شركة **حب وآلام وجهاد** مشترك يقودها الروح القدس، سرًّا وعلانية.

أما شركة الحب مع القديسين فلا يُقصد به الحب البارد الروتيني الذي نتعامل به مع الله ومع الناس أو الأقارب أو الإخوة، بل الحب الساخن الملتهب كالنار المتَّقدة التي ترتفع دائماً إلى فوق والتي تحصد كل ما

يعترضها!! الحب الذي يزكّيه الروح فلا يكف الإنسان من رفع وجهه إلى فوق والدموع في عينيه، فلا يعرف صديقاً من عدو ولا قريباً من غريب، لا يضع العراقيل ولا يسوِّف في البذل، لا يعرف المداراة ولا الممالأة ولا المحاباة، يميل دائماً إلى الأضعف والأصغر والأحقر والمظلوم. هذا الحب الساخن هو المؤهِّل الوحيد للالتحام الكامل مع بقيَّة أعضاء الجسد، أي مؤهِّل الشركة في جسد المسيح السرِّي، **فهو المؤشِّر الأول والأعظم الذي يدلُّك على مقدار عمل الروح القدس في داخلك.**

أما شركة الآلام مع القديسين فهي قبول نوع الصليب الذي يُلقَى عليك، باعتباره النصيب المعيَّن بتدبير الروح القدس لتكميل خلاصك سواء كان في نفسك أو في جسدك أو في مسئولياتك أو كرامتك أو سُمعتك، ولكن بدون تذمُّر أو صراخ أو حقد أو طلب النقمة، بل بقبوله من يد الله بالرِّضَا والشكر باعتباره دواءً وعلاجاً تحدَّد نوعه ومقداره وزمنه بمنتهى الحكمة والرحمة معاً وبالقدر اللازم الحتمي لشفاء النفس وخلاصها. فإن كان لائقاً أن يكمِّل المسيح نفسه بالآلام وهو رئيس الخلاص، فكم يكون لائقاً أن يكمل الروح القدس خلاصنا بالآلام بصفتنا أعضاء جسد المسيح، وهو هو الذي كُمِّل بالآلام؟

إذن فنوع الصليب المُلقَى علينا **ودرجة احتمالنا له، ثم درجة قبولنا ثم درجة رضانا ثم درجة شكرنا، كل هذا يحدِّد مقدار شركتنا في الآلام مع القديسين وبالتالي يحدِّد مقدار عمل الروح القدس في داخلنا.**

أما شركتنا في الجهاد مع القديسين فهي استجابتنا العملية لكل وصايا المسيح التي اقترحها لحفظ خلاصنا في أمان من مهاجمة العدو وحروبه التي يشنُّها على كل مَنْ يتجاسر ويخرج من تحت سلطانه ويقاوم إغراءاته وأباطيله.

فالمسيح أوصى بالصلاة الدائمة، والسهر القلبي، وعدم الملل من الصلاة أو السهر حتى لا ندخل في تجربة مع العدو. وأوصى بالصوم للنجاة من سلطة العدو وإخراجه بالقوَّة من الفكر أو الأعضاء أو الإرادة. وينبِّهنا المسيح بوضوح أنه لا توجد أيَّة وسيلة أخرى نُخرج بها الشيطان من تسلُّطه على الجسد إلا الصوم المشفوع بالصلاة: «هذا الجنس لا يخرج إلا بالصلاة والصوم.» (مت ١٧: ٢١)

كما أعطى المسيح المَثَل للاعتكاف المؤقَّت للملء من الصلاة: «وكان يمضي إلى موضع خلاء وكان يُصلِّي» (مر ١: ٣٥)، وللاعتكاف الطويل نوعاً ما لاكتساب الراحة الداخلية وتجديد قوى الروح: «وكان يمضي إلى الجبل ويبيت هناك، وكان يمضي الليل كله في الصلاة» (انظر لو ٢١: ٣٧، ٦: ١٢)، كما أعطانا المَثَل للاعتكاف الطويل في البرية لمواجهة النفس وكل تجارب العدو والتخلُّص من سلطان الجسد والعالم «وللوقت أخرجه الروح إلى البرية. وكان هناك في البرية أربعين يوماً يُجرَّب من الشيطان، وكان مع الوحوش، وصارت الملائكة تخدمه.» (مر ١: ١٢-١٣)

هذا الجهاد الذي تشترك فيه كل قوَى الإنسان الجسدية والنفسية ضرورة حتمية يزكِّيها المسيح ويؤازرها الروح القدس لمواجهة عدو خبيث ينتهز كل فرص ضعف الإنسان في أية ناحية من نواحي كيانه الجسدي أو النفسي لكي يُسقطه في الخطية، لحرمانه من حياة القداسة التي يشترك فيها القديسون، تمهيداً لفصله عن بقية أعضاء جسد المسيح حتى لا يعاين الله إلى الأبد.

لذلك فإن مستوى جهادك، ثم مقدار مساهلة الروح لك ومؤازرته

في كل جهاد، وتقويته لعزيمتك في هذا الجهاد بكل أنواعه ودرجاته حسب الوصية، ثم الفرح والغيرة التي تتولَّد من الجهاد والمثابرة فيه، **كل هذا يكشف عن مقدار "انقيادك" للروح القدس، وبالتالي يوضِّح لك مقدار عمل الروح داخلك.**

وهذا ينتهي بنا في النهاية إلى السؤال الخطير: فماذا لو كان الروح القدس روح المحبة الساخنة منطفئاً في القلب، فلا رَفْعَ وجه ولا دموعَ حب ولا حرارة في علاقتنا مع الآخرين ولا تودُّداً ولا بذلاً بفرح ولا اشتياقاً يحرق القلب لخلاص النفوس السائرة في طريق الهلاك؟

ثم ماذا لو كان روح العزاء منقطعاً فعْله داخل النفس، حيث انعدام القدرة على مجرَّد احتمال الألم أو تحمُّلَ إساءة أو ظلم أو إهانة أو شكر على تجربة أو حتى مجرَّد الصبر في الضيق أو الرد على تعيير العدو؟

كذلك ماذا لو كان روح الجهاد محزوناً داخل النفس بسبب الكسل والتواني والاستهتار بالصلاة والصوم والسهر والتململ من أي جهد مبذول في خدمة الروح؟

كل هذا يكشف بلا مواربة أن الروح القدس إما منطفئ، أو محزون، أو لم يملأ القلب بعد. وهنا يقف القديسون النُسَّاك العظام أنطونيوس ومقاريوس وكل الذين غلبوا وعبروا، يستحثوننا بكل توسُّل. فأنبا مقاريوس يُنادي أولاده أن **يقفوا على أرجلهم يطلبون هذه العطية ويصرخون إلى الله كمجروحين جرحاً مميتاً، أو كمَنْ يعترضهم شبح الموت ليصدَّهم عن الحياة الأبدية.** وأنبا أنطونيوس يتوسَّل إلى أولاده أن يديموا الطلبة باجتهاد ولا ينقسموا في أفكارهم أو يقولوا مَنْ يقدر أن يقبل هذا:

[لا يا أولادي لا تدعوا هذه الأفكار تأتي على قلوبكم. اطلبوا باستقامة قلب وأنتم تقبلونه. اطلبوا باستقامة قلب هذا الروح النارى، وحينئذ يُعطَى لكم. أديموا الطلبة باجتهاد من كل قلوبكم فإنه يُعطَى لكم، لأن ذاك الروح يسكن في القلوب المستقيمة. وإن طلبتي من أجلكم في الليل والنهار أن يكون فيكم هذا الروح بعظمته ولذته الذي قبله جميع الأطهار ... اطلبوا لكي يُلقي الرب يسوع في قلوبكم هذه النار التي جاء ليلقيها على الأرض حتى تستطيعوا أن تتدرَّبوا في عزائمكم وحواسكم!] (رسائل القديس أنطونيوس، الرسالة الثامنة)

+++

وهكذا نأتي إلى ختام هذه المقدِّمة متوسِّلين إلى الله بكل رجاء وطلبة، من أجل كل نفس في الكنيسة أن يكون الآن هو الوقت المقبول لها وساعة الخلاص وبدء التوبة للمصالحة مع الروح القدس، لتجديد الحياة وللدخول الصادق في شركة القديسين.

تمهيـــــد:

تعبيرات لاهوتية عن الروح القدس للقديسَيْن أثناسيوس الرسولي وكيرلس الكبير

وإن كان شغل اللاهوتيين الشاغل هو الدفاع عن الإيمان بسبب الصراع اللاهوتي الحادث في أيامهم، إلا أنه لم تخلُ تعبيراتهم العقائدية الصرف من منفعة عظيمة للنسَّاك الذين كانوا يعيشون في نور هذه الحقائق اللاهوتية، لأن اللاهوت الحقيقي هو ما كان عن تجربة إيمانية صادقة وتذوُّق من صميم الممارسة. واللاهوتي الحقيقي هو مَنْ عاش مع الله وارتفع إليه بالرؤيا ودخل إليه وخرج!!

ومن أعظم مميِّزات لاهوت القديسَيْن أثناسيوس وكيرلس: صحَّة عن اختبار، ودقَّة عن صفاء الرؤيا، وتصميم يبلغ حد الاستشهاد بسبب قناعة أتت من عمق الإحساس بالحق.

لذلك رأينا، قبل أن نأتي إلى أقوال الآباء النسَّاك العملية، أن نورد هذه اللمحات المبدعة عن الروح لهذين اللاهوتيَّيْن، وهما القديسان ربيبا النسَّاك واللذان تتلمذا على أيديهم قبل أن يتبوءا عرش الكرازة ويتسلَّما مسئولية الدفاع عن الإيمان المستقيم للكنيسة كلها، أثناسيوس على يدي أنطونيوس، وكيرلس على أيدي أبناء أنبا مقار.

أقوال للقديس أثناسيوس الرسولي

(من رسائل عن الروح القدس)[1]

[وعندما كتب إلى أهل تسالونيكي قائلاً: «لا تطفئوا الروح» (١تس ٥: ١٩)، كان يتحدَّث إلى أشخاص يعرفون "مَنْ" هو **الذي قبلوه** - لئلا بسبب الإهمال يطفئوا نعمة **الروح الذي كان قد اشتعل في داخلهم**.] (صفحة ١٢)

[ولكي يكمل لنا المسيح فيه (أي في الروح القدس) كل **معرفتنا بالله** ويضع طقس **الانضمام للكنيسة** (المعمودية) والذي به (أي بالروح القدس) اتحدنا بشخصه (أي بشخص المسيح) **وبالآب**.] (صفحة ١٧)

[كما أن المسيح ابن حقيقي، فإننا **نصير أبناءً عندما نقبل الروح القدس**. «إذ لم تأخذوا روح العبودية أيضاً للخوف بل أخذتم روح التبني» (رو ٨: ١٥). وإن كنا بالروح القدس قد صرنا أبناء، فواضح أننا في المسيح قد دُعينا أولاد الله «وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله» (يو ١: ١٢).] (صفحة ٥١)

[وعندما يعطي لنا الروح القدس (قال المخلِّص: «اقبلوا الروح

---

(١) عن كتاب: "رسائل القديس أثناسيوس الرسولي عن الروح القدس" تعريب القس مرقس داود.

القدس» – يو ٢٠: ٢٢) يصبح الله فينا.] (صفحة ٥١ و٥٢)

[الروح القدس هو **روح القداسة والتجديد.**] (صفحة ٥٨)

[الروح القدس **يُدعى "مسحة" وهو "الختم".**] (صفحة ٦٠)

[والذين يُمسحون يقولون عندما ينالون المسحة: «نحن رائحة المسيح الذكية» (٢كو ٢: ١٥)، والختم له قالب المسيح الذي يختم، **والذين يُختمون (بالروح) يشتركون فيه إذ يتشكَّلون بشكله،** كما يقول الرسول: «يا أولادي الذين أتمخَّض بكم أيضاً إلى أن يتصوَّر المسيح فيكم.» (غل ٤: ١٩)

وهكذا إذ نُختم نصير بحق – كما يقول بطرس الرسول – «شركاء الطبيعة الإلهية» (٢بط ١: ٤).] (صفحة ٦١ و٦٢)

[المسحة والختم الذي فينا لا ينتمي إلى طبيعة مخلوقة بل إلى طبيعة الابن الذي يُتحدنا بالآب عن طريق الروح القدس الذي فينا.] (صفحة ٦٢)

[إن كنا **بالاشتراك في الروح القدس نصبح «شركاء الطبيعة الإلهية»** (٢بط ١: ٤)، فمن الجنون أن نقول إن الروح القدس له طبيعة مخلوقة ... **لأن الذين فيهم الروح القدس، تصبح لهم الطبيعة الإلهية** على هذا الأساس. **وإن كان الروح القدس يجعل الناس شركاء الطبيعة الإلهية،** فلا شك في أن طبيعته طبيعة إلهية.] (صفحة ٦٢ و٦٣)

[عندما يُقال إن **الروح القدس في إنسان،** فإن هذا يعني أن الكلمة حالٌ فيه **مانحاً الروح القدس.**] (صفحة ٧٩)

[لأننا إذ تكون لنا شركة في الروح القدس، تكون لنا "**نعمة الكلمة**" وتكون لنا أيضاً محبة الآب في الكلمة.] (صفحة ١٠٦)

ومن كتابات القديس كيرلس الكبير

١ - [(أ) **الروح القدس هو الرباط الذي يربط أنفسنا بالآب والابن.**

(ب) **الروح القدس هو صورة الابن، وهو حينما يطبع ذاته على أنفسنا، فهو يعيد خلقتنا لتكون على صورة الابن الذي هو بالتالي على صورة الآب.**

(ج) **الروح القدس هو القوَّة التقديسية في الثالوث،** بحيث أن التقديس أو القداسة هي صفة جوهرية، كما الأبوَّة والبنوَّة للابن.][٢]

٢ - [الروح القدس يؤهِّلنا عندما يجعلنا مطابقين للابن في بنوَّة مكتسبة، وهكذا يستعيد أو يسترجع عمل الآب فينا.][٣]

٣ - [(أ) وبما أن **الروح القدس يجعل الذين يسكن فيهم أبناء الله وشركاء في الطبيعة الإلهية،** لذلك فإننا باتحادنا بالله نصرخ بإيمان:

---

(2) "*La Sanctification d'après Sainte Cyrile d'Alex.*", J. Mahè., Revue d'histoire ecclesiast. 10 (1909), p. 480. Cited by St. Vladimir's Th. R. Q. 18/1/1974.

(3) "*El Sp. Sanct. Cyrile d'Alex.*" J. Sagües, cited by St. Vladimir's Th. R. Q. 18/1/1974, ibid.

«يا أبا الآب».][٤]

[(ب) إن التجديد الذي نحصل عليه هو في الحقيقة من عمل الثالوث ... حتى وعندما ننسب لكل أقنوم عملاً مما يحدث لنا أو للخليقة. ولكن علينا أن نؤمن بالرغم من ذلك أن كل شيء هو من الآب بالابن في الروح القدس[٥].

١ - سواء كان خلقة ما[٦].

٢ - أو دعوة للتلمذة[٧].

٣ - أو هبة عدم الموت[٨].

٤ - أو تقديس الحياة[٩].

٥ - أو كل ما يهبنا الله إيَّاه من الصالحات[١٠]].

٤ - [فالروح القدس **يرسله الآب للقديسين** بواسطة الابن.][١١]

٥ - [كل شيء إنما **يُستعاد مجدَّداً** للآب بالابن **في الروح القدس.**][١٢]

٦ - [المسيح نفسه يحل بواسطة الروح القدس في مَنْ يعرفه ويربطه بواسطة نفسه بالقرابة الروحية مع الله الآب.][١٣]

---

(4) *Thesaurus* XXXIII, PG 75. Cols. 589, 606, 749, 905, 1085, 1088, 1089, cited by St. Vladimir's Th. R. Q. 18/1/1974, ibid.

(5) *In Jo. Evang.,* X, PG 74, col. 336.

(6) *Contra Julian* III, PG 76, col. 649 & *De Rect. Fid.* PG 76, col. 1204.

(7) *Adv. Nest.* IV: PG 76, col. 108.

(8) *In Jo. Evang.,* IX, PG 74, col. 280.

(9) *De SS. Trinit.,* Dialog V, PG 75, col. 1000.

(10) *De Rect. Fid.,* PG 76, col. 1272.

(11) *Thesaurus,* PG 75, col. 581.

(12) *In Jo. Evang.,* XI, PG 74, col. 541.

(13) *Ibid.,* col. 577 A.

العلاقة بين
الروح القدس في اللاهوت العقائدي،
والروح القدس في اللاهوت النسكي

أهم ما نريد أن نلفت إليه الأنظار في لاهوت كيرلس الكبير العقائدي بخصوص عمل الروح القدس داخل النفس البشرية، الذي يعتبر بحق المدخل الأساسي للاهوت النسكي، هو ما تضمَّنته العبارة التي أكَّد عليها كمعيار أساسي في كل لاهوته:

[πάντα ἐστὶν παρὰ Πατρὸς δι' Υἱοῦ ἐν Πνεύματι]

[كل شيء هو من الآب بالابن في الروح القدس]

أي أن كل ما يحدث للنفس البشرية هو حصيلة حتمية لعمل الثالوث المشترك. ولكن الفعل المباشر للنفس الذي يتضمَّن كل عمل الآب والابن، هو "**في الروح القدس**".

فالروح القدس لا يعمل من نفسه، كما يقول الكتاب: «لأنه لا يتكلَّم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلَّم به» (يو ١٦: ١٣). ولكنه متخصِّص كليَّة في توصيل عمل الآب والابن!

فالروح القدس هو هو الذي يجعل المسيح وكل ما للمسيح من موت وقيامة وحياة فينا ولنا مباشرة، ثم **هو هو** و"**بالمسيح**" يجعلنا تحت أبوَّة الآب وسلطانه وحبه وتدبيره وكل عطاياه.

فإذا كانت فينا علامات وفاعلية موت المسيح الإرادي وقيامته دائماً

الموت والعالم، وحياته التي لا يشوبها الموت، فإن هذا يؤكِّد أن الروح القدس موجود وفعَّال فينا وأنه أكمل مشيئة الابن تماماً.

كذلك فإن كانت فينا دالة البنوَّة لله الآب في الصلاة الحارة المنطلقة التي يلهبها الحب الإلهي الأبوي، فإن الضمير يصرخ في حرارة الإيمان والحب «يا أبَّا الآب» بلا هوادة، وهذا معناه أن الروح القدس موجود وفعَّال وأنه قد أكمل مشيئة الآب فينا.

فالمسيح قدَّم لنا الفداء والخلاص بسفك دمه، ولكن الروح القدس هو الذي يورِّثنا هذا الفداء والخلاص ويجعله بسهولة فائقة حقًّا لنا ونصيباً، ولكنه لا يورِّثنا هذا الفداء والخلاص على وثيقة مكتوبة بل برش الضمير بدم المسيح، وغسل الجسد بالمعمودية، وفعل المسحة السرائري، بتأثير وواقعية حسيَّة، حتى أن الضمير يحس ويشهد بهذا ويفرح به، ثم يثق بنتيجة أعظم من أية وثيقة مكتوبة: «لنتقدَّم بقلب صادق في يقين الإيمان مرشوشة قلوبنا من ضمير شرير (الاعتراف والتناول) ومغتسلة أجسادنا بماء نقي، لنتمسَّك بإقرار الرجاء راسخاً لأن الذي وعد هو أمين.» (عب ١٠: ٢٣)

ولكن حذارِ أن يتوهَّم أحد أن الروح القدس أو ثمار الروح القدس يمكن أن تُقتنى ببرنامج جهادات، أو يمكن أن تُرى أو تُعلن حسيًّا، لأن ثمار الروح القدس هي كطبيعته تماماً، غير منظورة، يُسمع صوتها ولكنك لا تعلم من أين تأتي ولا إلى أين تذهب، هي تُرى بالإيمان فقط وتُحَس بالإيمان فقط، إنما بيقين أشد من يقين الحواس الخمس مجتمعة معاً.

ولكن الروح القدس لا يكتفي **بهذا الفعل السرائري** الذي فيه ينقل لنا المسيح وكل ما للمسيح محبوساً في إحساس الضمير فقط، بل يسلِّط

الروح القدس فعله السري في العقل فيعطيه مسحة عقلية أيضاً بواسطة الكلمة، فينيره. وهكذا يصير العقل شريكاً في إدراك عمل المسيح الذي مارسه الروح القدس داخل القلب والضمير. وهكذا يمسح الروح القدس "**العقل**" و"**الضمير**" معاً بمسحة روحية تحمل طابع وختم وصورة المسيح، «الذي فيه أيضاً أنتم إذ سمعتم كلمة الحق إنجيل خلاصكم، الذي فيه أيضاً إذ آمنتم خُتمتم بروح الموعد القدوس.» (أف ١: ١٣)

كل هذا يعني أن المسيح وكل ما عمله المسيح من أجلنا يضطلع الروح القدس بتوريثه لنا في عمق أعماق كياننا الروحي الجديد، كختم ناري وصورة حيَّة مطبوعة لا تُمحى. ومن أجل هذا يُدعى الروح القدس هنا «**روح المسيح فينا**.» (راجع: غل ٤: ٦)

ثم على نمط هذا العمل وهذه الصلة يورِّثنا الروح القدس علاقة الآب بالابن، بصورة حيَّة وفعَّالة في الضمير وفي العقل بأثر قوي أعظم مما تتركه النار في اللحم، حتى أننا نصرخ بملء اليقين والدالة ندعو الله الآب، بفم المسيح: «يا أبَّا الآب». وهنا يُدعى الروح القدس «**روح الآب فينا**» (راجع: مت ١٠: ٢٠)، الذي به نصير أبناءً للآب بالتبني، وإخوة للمسيح بالنعمة.

هذا ما يقصده القديس كيرلس من تعبيره اللاهوتي الجزل والعميق: [كل شيء هو من الآب بالابن في الروح القدس]، حيث بدون الروح القدس تنقطع هذه الصلة المتسلسلة من الآب إلينا، فلا شيء يصلنا بالابن ولا شيء يصلنا من الآب.

وهكذا بدون الروح القدس سنظل ضالين وتائهين عن محبة الآب ونعمة الابن، فلا فداء ولا خلاص ولا تبني ولا دالة ولا أي رجاء.

وما يقصده القديس كيرلس في لاهوته العقائدي عندما كرَّر عشرات المرَّات تأكيده أن [كل شيء هو من الآب بالابن في الروح القدس] هو بعينه ما سبق وأكَّده المسيح إنما بصورة أخرى حينما قال عن الروح القدس: «إنه **لا يتكلَّم من نفسه** بل كل ما يسمع يتكلَّم به، ويخبركم بأمور آتية. ذاك يمجِّدني لأنه **يأخذ مما لي ويخبركم (ويوصِّله لكم)**. **كل ما للآب هو لي**، لهذا قلت **إنه يأخذ مما لي ويخبركم**.» (يو ١٦: ١٣ - ١٥)

وهذا يؤكِّد أن اهتمام الروح القدس الأساسي من نحونا وعمله الرسمي من جهة إقامته فينا، إنما هو محصور تماماً في تسليمنا وتوريثنا المسيح وكل ما عمله المسيح باسم الآب وبمشيئة الآب!!

هذا المفهوم اللاهوتي العقائدي العميق الذي سجَّله اللاهوتيون للكنيسة، أدركه الآباء النسَّاك بحسهم الروحي العميق، وخلصوا منه إلى أن الحصول على الروح القدس معناه بلوغ غاية كل شيء، فهو روح الإيمان بالآب والابن، وهو روح الرجاء بالحياة الأبدية، وهو روح الحب الإلهي والدالة مع الله وكل مشيئة الآب والابن. لذلك كان سعيهم الحار الملتهب وجهدهم ودموعهم وصومهم الليل والنهار لاقتناء الروح القدس والتودُّد إليه - كما سنعرضه عليك أيها القارئ من أقوالهم - أمراً يفوق الوصف والعقل، لأنهم تيقَّنوا أنه طالما لم يمتلئ المجاهد من الروح القدس، ويحس بعمله الداخلي من جهة الإحراق والتطهير، وغسل الضمير بالدم الإلهي، وانفتاح الذهن بمسحة النور الإلهي، لمعاينة نور مجد المسيح والآب من خلال كلمة الإنجيل؛ فعبثاً يجاهد! لأن المقابل الحتمي لعدم الامتلاء من الروح القدس هو البقاء في الخطية والحرمان من كل محبة الآب ونعمة

الابن الوحيد.

لذلك فإن أوصاف الروح القدس في اللاهوت النسكي من خلال تطبيقاته العملية في حياة الآباء وأعمالهم وسلوكهم هو أعظم برهان لصدق أوصاف الروح القدس كما جاء في اللاهوت العقائدي المعتمِد على النصوص الإنجيلية.

كذلك ينبغي أن نعي جيداً مضمون وسبب أمر الرسول: «امتلئوا بالروح» (أف ٥: ١٨)، كأمر نسكي قائم على أساس عقيدي. فهنا الوصية جاءت بصيغة الأمر بالرغم من أنه عمل يفوق الإرادة ويعلو فوق كل محاولة أو جهد بشري. هذا يكشف عن سر لاهوتي هو وجود الروح القدس في النفس البشرية السابق على الملء، فلأن الروح القدس حاضر وموجود بفعل العماد وسر المسحة (الميرون)، أصبح من اللازم وعلى مستوى الأمر أن يعطَى الروح الموجود فينا فرصة للملء، أو أن نهيِّئ له الحرية للعمل بلا عائق حتى الملء!! علماً بأن الفعل «امتلئوا» كما جاء باليونانية هو في صيغة الأمر المبني للمجهول، بمعنى أن الروح هو الذي سيملأنا إذا أعطيناه الفرصة.

هكذا ننتقل دائماً من المنطوق النظري في اللاهوت العقائدي إلى التطبيق العملي في اللاهوت النسكي من جهة التعامل مع الروح القدس.

فاللاهوت العقائدي يقرِّر نظريًّا أن الروح القدس هو فينا حتميًّا بسرِّي العماد المقدَّس والمسحة (الميرون)؛ ولكن تظل هذه الحقيقة كائنة بلا فعل ولا نحسَّها، وكأن الروح القدس بلا عمل ولا أثر، إلى أن يتدخَّل اللاهوت النسكي ويعطي الوصية «امتلئوا بالروح»، فنقع في الحال تحت التزام العمل بإضرام هذه الموهبة بالجهاد النسكي وإخلاء

العوائق أمام نار الروح القدس للتأجُّج!! وحينئذ نبدأ نحس بالروح وهو يغلي في صدورنا غلياناً.

هذا الانتقال العجيب من مضمون اللاهوت النظري إلى فعَّالية اللاهوت النسكي يمكن وضعه كالآتي:

لأننا أخذنا الروح القدس بالميلاد من الماء والروح وبسر المسحة (الميرون) دون أن نشعر، أصبح يتحتَّم علينا أن نحيا به في ملء الوعي.

أو بصيغة أخرى:

لأن الروح القدس صار فينا بالسر حسب الإيمان والعقيدة، فنحن نؤمَر أمراً من جهة الله بالإنجيل أن نمتلئ بالروح بالعمل. وهكذا فإن كل عطية من الله توهب لنا مجاناً بالإيمان تتحوَّل فينا إلى التزام بعمل مكمِّل. وكل نعمة يتحتَّم أن تنشئ فينا نعمة أكثر حتى الملء.

هذا هو في الواقع منبع اللاهوت النسكي، أي أن الإيمان العقائدي بالروح هو السبب أو المصدر السرِّي العميق المحسوس والموجود في النفس الذي جعل الآباء يسرعون في الركض في ميدان الفضيلة والجهاد للامتلاء ويستحثوننا بإلحاح لا يهدأ أن نتبع هذا الاتجاه.

على أن الملء من الروح القدس مهما قطعنا فيه من شوط، لا يمكن أن يبلغ في شعورنا إلى الإحساس بالاكتفاء، لأن كل ملء ينشئ فينا توتُّراً جديداً وإحساساً بالنقص بسبب الفارق الدائم بين الملء في الحاضر والملء المعدِّ لنا كما ينبغي في المستقبل. علماً بأنه بقدر الملء من الروح القدس بقدر الملء من المسيح؛ لأنه كلما أفسحنا للروح القدس مكاناً في القلب والحياة، كلما أفسح الروح القدس فينا مكاناً للمسيح!! وهكذا يُستعلن المسيح في قديسيه بقدر طاقة القديسين على الملء من الروح!!

وذلك بتهيئة القلب ليكون منزلاً مريحاً لإقامة دائمة له.

لذلك كم هو ثمين، كم هو ضروري، كم هو جوهري لخلاصنا وفرحنا أن نتبع القديسين في منهجهم النسكي مدقّقين جدًّا في كل نصيحة وكل كلمة من جهة الامتلاء من الروح القدس، ونتبع بوعي وغيرة واهتمام لا يهدأ نصيحة الرسول: «اسلكوا بالروح (القدس) فلا تكمّلوا شهوة الجسد ... ولكن الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات. إن كنَّا نعيش بالروح فلنسلك أيضاً بحسب الروح» (غل ٥: ١٦ و٢٤-٢٥)، «كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله» (رو ٨: ١٤). أي نُسلِّم كل الفكر، كل الإرادة، كل المشورة، كل العمل للروح القدس ليقود الحياة برمتها، ماضيها وحاضرها ومستقبلها، مستخدماً ضعفنا وقوَّتنا، نجاحنا وفشلنا، صحتنا ومرضنا، ليوجِّه كل شيء نحو الغرض الذي من أجله «مات المسيح عنَّا وقام»:

«امتلئوا بالروح»!!

عرضٌ لأقوال الآباء النُّسَّاك

الفصل الأول
الروح القدس في تعليم
القديسَيْن أنبا أنطونيوس[1] وأنبا مقاريوس[2]

عندما نقرأ رسائل القديس أنطونيوس وعظات القديس مقاريوس، ندرك عمق العلاقة العملية التي تربط النفس البشرية بالروح القدس، وذلك من جهة طبيعة النفس الجديدة التي تنالها بالمعمودية.

كذلك ندرك أهمية عمل الروح القدس داخل النفس في صراعها اليومي ضد طبيعتها القديمة وضد العدو.

وفي النهاية نكتشف من أقوالهم الغاية السعيدة التي تبلغها النفس بدوام تعهُّد الروح القدس لها، وكيف يختمها في النهاية بخاتم العهد ويعطيها ميثاق الروح.

وسوف نعرض لهذه النواحي الثلاث باختصار، وذلك من أقوال الآباء، مع تعليق بسيط، حتى لا يفوت القارئ عمق المعنى وجمال المقصد، عسى أن يلتقط شيئاً لحياته من إلهامات هؤلاء القديسين العظام.

---

(١) كتاب: روضة النفوس في رسائل القديس أنطونيوس، القاهرة سنة ١٨٩٩م

(٢) كتاب: العظات الروحية لأبينا القديس مقاريوس المصري، مترجم من اللغة الإنكليزية ومقابلة مع الرومية (أي: اليونانية).

أولاً: عمق العلاقة التي تربط النفس بالروح القدس

(أ) علاقة الروح القدس بالنفس البشرية على نمط علاقة الروح القدس بالكروبيم والسرافيم:

نقدِّم هنا للقارئ بادئ ذي بدء ملخَّصاً لكل ما جاء عن الكروبيم والسرافيم بحسب وصف الكتاب المقدَّس في سفري حزقيال وإشعياء وسفر رؤيا يوحنا اللاهوتي، ثم ما جاء عنهما في قدَّاس القديس مرقس الرسول:

أولاً: الشاروبيم أو الكروبيم: مفردها "كروب"، وهم الأربعة الأحياء غير المتجسِّدين الذين رآهم حزقيال النبي في رؤياه [الأصحاح الأوَّل كله، والثالث: ١٢ و١٣ و١٤، والتاسع: ٣، والعاشر كله]:

١ - لكل واحد من الحيوانات الأربعة أربعة وجوه، وجه إنسان، ووجه أسد، ووجه ثور، ووجه نسر (حز ١: ١٠).

أما البَكَرات فلكل واحدة أربعة أوجه: الوجه الأول وجه كروب (ثور)، والوجه الثاني وجه إنسان، والثالث وجه أسد، والرابع وجه نسر (حز ١٠: ١٤).

ولكل واحد أربعة أجنحة (حز ١٠: ٢١).

٢ - وشبه يد إنسان تحت أجنحتها، وهي متصلة ببعضها، وفيها روح (حز ١٠: ٢١).

٣ - كل جسمها وظهورها وأيديها وأجنحتها والبَكَرات ملآنة عيوناً حواليها (حز ١٠: ١٢).

٤ – وسُمع صوت أجنحة الكروبيم كصوت الله القدير إذا تكلَّم (حز ١٠: ٥).

٥ – منظرها كجمر نار متَّقدة كمنظر مصابيح، وللنار لمعانٍ، ومن النار كان يخرج برق (حز ١: ١٣).

٦ – **وإلى حيث يسيِّرها "الروح" تسير، لأن "الروح" يسيِّرها حسبما يشاء** (حز ١: ٢٠).

٧ – وإذا وقفت أرخت أجنحتها (حز ١: ٢٤).

٨ – وفوق المقبَّب الذي على رؤوسها شبه عرش بلون حجر العقيق الأزرق (حز ١: ٢٦).

٩ – وعلى شبه العرش من فوق يجلس شبه إنسان (المسيح) منظره من حقويه إلى فوق كالنحاس اللامع المتَّقد بالنار، ومن حقويه إلى تحت كمنظر النار في وسط قوس القزح في اليوم المطير كمنظر شبه مجد الرب (حز ١: ٢٦ – ٢٨).

١٠ – ولما رأيته خررت على وجهي!! (حز ١: ٢٨).

ثانياً: السرافيم: ومفردها ساروف (كلمة عبرية تعني الملتهب ناراً). وهم الأحياء غير المتجسِّدين الذين رآهم إشعياء النبي (الأصحاح ٦) وهم الواقفون حول الله من فوق:

١ – لكل واحد منهم ستَّة أجنحة، باثنين يغطِّي وجهه، وباثنين يغطِّي رجليه، وباثنين يطير.

٢ – هذا ينادي ذاك ويقول: «**قدوس قدوس قدوس رب الجنود مجده ملْء كل الأرض.**» (إش٦:٣)

٣ – السرافيم ليسوا متصلين ببعضهم، لأن كل صاروف يستطيع أن يطير بمفرده «فطار إليَّ واحد من الصاروفيم وبيده جمرة أخذها

بملقط من على المذبح ومسَّ بها فمي وقال إن هذه مسَّت شفتيك فانتُزع إثمك وكُفِّر عن خطيتك.» (إش ٦: ٦-٧)

ثالثاً: الأربعة الأحياء غير المتجسِّدين كما جاء في سفر الرؤيا: وفي الواقع إن رؤيا يوحنا تجمع بين شاروبيم حزقيال النبي وسرافيم إشعياء النبي، سواء في وصف تكوينها أو في خدمتها. حيث يلاحظ القارئ أنها تظهر بمظهر الكروبيم وتؤدِّي خدمة التقديس العُظمى التي للسرافيم:

١ - وفي وسط العرش وحول العرش أربعة حيوانات (الكروبيم والسرافيم معاً).

٢ - مملوءة عيوناً من قدَّام ومن وراء (صفة الكروبيم).

٣ - الحيوان الأول شبه أسد، والحيوان الثاني شبه ثور، والحيوان الثالث له وجه مثل وجه إنسان، والحيوان الرابع شبه نسر طائر (صفة كل كروب).

٤ - والأربعة حيوانات لكل واحد منها ستَّة أجنحة حولها، ومن الداخل مملوءة عيوناً (صفة السرافيم).

٥ - ولا تزال نهاراً وليلاً قائلة قدوس قدوس قدوس الرب الإله القادر على كل شيء (الضابط الكل)، الذي كان والكائن والذي يأتي (وهذه خدمة السرافيم).

رابعاً: الكروبيم والسرافيم كما جاء في قداس القديس مرقس الرسول: وهنا تجمع الكنيسة بروح مار مرقس كل ما جاء عن الكروبيم والسرافيم في حزقيال النبي وإشعياء النبي وسفر الرؤيا، حيث تقدِّم لنا الكروبيم والسرافيم باعتبارهما اثنين عدداً.

["حيواناك الكريمان جدًّا" ذوا الستة الأجنحة، والكثيرا الأعين،

بجناحين يغطُّون وجوههم من أجل لاهوتك الذي لا يُستطاع النظر إليه ولا التفكير فيه، وباثنين يغطُّون أرجلهم، ويطيرون باثنين.

والكل يقدِّسك على الدوام.

ولكن مع الكل الذي يقدِّسك اقبل تقديسنا منَّا **نحن أيضاً** يا رب، **إذ نسبِّحك معهم** قائلين: قدوس قدوس قدوس رب الجنود السماء والأرض مملوءتان من مجدك الأقدس.] (القداس الكيرلسي)

وهكذا في نهاية هذا التسلسل الرؤيوي التقليدي الذي استغرق هذا الزمان كله منذ أيام إشعياء وحزقيال وحتى إلى القداس وسفر الرؤيا (بحسب التسلسل الزمني)، تنتهي هذه الرؤيا السرية العجيبة بهذا التطابق المدهش بين الخلائق السمائية المسبِّحة وبين الكنيسة - وبالتالي النفس البشرية - باعتبارها "مخلوقاً منوطاً به تسبيح الله" على غرار الكروبيم والسرافيم، تماماً بل وبتوازي يكاد التطابق بينهما يجعل منهما صفَّين لخورس واحد، الواحد سمائي والآخر أرضي:

[اقبل تقديسنا منَّا **نحن أيضاً** يا رب إذ **نسبِّحك معهم** قائلين (نفس التسبحة بحروفها) قدوس قدوس قدوس رب الجنود، السماء والأرض مملوءتان من مجدك المقدَّس].

هذا التطابق الوظيفي في العمل الروحي الفائق بين الكروبيم والسرافيم وبين النفس البشرية في تسبيح وتقديس الله، لا يقف في نظر الآباء النسَّاك العظام وبالأخص القديس أنطونيوس والقديس مقاريوس الكبير عند محيط العمل الواحد فقط، بل يمتد بصورة عميقة وسرية للغاية ليشمل تطابقاً في علاقة الروح القدس بين الكروبيم والسرافيم والنفس

البشرية من جهة الخلقة وتدرُّجها على الوجوه الأربعة. فيرى القديس أنطونيوس أن النفس البشرية متدرجة في نموها الروحي وبفعل الروح القدس من الثور الذي يرمز إلى الاجتهاد، إلى الأسد الذي يرمز إلى النصرة على الأعداء، إلى النسر الذي يرمز إلى التسامي النهائي نحو أعلى السموات برفع الروح القدس (الرسالة ١٩ - صفحة ١١٧ و١١٨).

أما القديس مقاريوس فيرى أن نفس رؤيا حزقيال النبي كانت في حقيقتها ليست نهائية في حد ذاتها، بل كانت ترمز أساساً إلى خلقة النفس البشرية. كما يركز بصفة خاصة على العلاقة التي ظهرت بين روح الله والكروبيم أنها ترمز إلى نوع العلاقة الكائنة الآن بين النفس البشرية والروح القدس. لذلك فنحن نعتبر أن العظة الأُولى من العظات الخمسين التي للقديس مقاريوس والخاصة بتطبيق الأوصاف الخلقية التي للكاروبيم على النفس البشرية، من العظات الهامة جدًّا في اللاهوت النسكي.

يقول القديس أنبا مقار:

[إن حزقيال النبي المبارك رأى من الله رؤيا جليلة ... وهي رؤيا مشحونة بالأسرار الفائقة الوصف. الكروبيم وهي أربعة حيوانات روحانية حيَّة لكل منها أربعة وجوه مختلفة ... **فهذا الذي رآه النبي بصحة الوجود كان حقًّا أكيداً، ولكن الشيء الذي يدل عليه، أي الذي سبق فكان ظلاًّ له مقدماً هو شيء آخر، هو مادة سريَّة إلهية، وهو السر الذي كان مخفيًّا بالمعنى الحقيقي عن العصور والأجيال السالفة، وهذا ظهر عند مجيء المسيح، لأن السر الذي رآه هو النفس الحليمة لكونها ستقبل مولاها فيما بعد وتصير هي**

ذاتها كرسيًّا لمجده. لأن النفس التي تستحق أن تشترك في روح نوره وتستنير بحسن مجده الذي لا يوصف لكونه هيأها بهذا الروح لتكون مقرًّا له ومسكناً، تصير كلها نوراً وكلها وجهاً وكلها عيناً[٣]. وليس فيها جزء إلا ويكون مملوءًا من أعين النور الروحانية، يعني ليس فيها جزء مظلم بل هي بكليتها تصير نوراً وروحاً وتمتلئ كلها عيوناً فلا يكون لها دبر (مؤخرة) ولا شيء من وراء (خلف) بل تظهر كلها وجهاً بحسن مجد نور المسيح الراكب والجالس عليها ...

هكذا النفس التي تستنير بحسن المجد الذي لا يوصف، حسن مجد النور الذي لوجه المسيح، وتشترك في الروح القدس بالكمال، فتُحسب أهلاً لأن تكون مسكن الله وكرسيه، والمسيح نفسه قائدها وسائقها وحاملها وساندها يزيِّنها بالجمال الروحاني، لأن الكتاب يقول: «ويد الإنسان من تحت الكروب» أي المسيح الذي يركبها ويهديها طريقها ... ويقودها بزمام الروح.

أما الأوجه الأربعة (الحيوانات الأربعة) أي النسر والأسد والثور والإنسان، فهي رمز لقوات النفس الناطقة.

أما أجسادنا فستُكرَّم أيضاً في القيامة بعد أن تكون النفس قد تمجَّدت على الأرض وامتزجت بالروح القدس.] (العظة الأُولى)

وقد يبدو تشبيه النفس البشرية بالكروبيم، كما يقدِّمه القديس أنبا مقار، بسيطاً، ولكنه في الحقيقة عميق عمقاً بلا حدود، فالأمر غاية في

---

(٣) يقصد القديس أنبا مقار أن النفس تصير بشركتها في الروح القدس منيرة مثل الكروبيم (كلها نور)، وتصير لها أعين كثيرة أي ملآنة أعيناً (كلها عيناً) كناية عن المعرفة والاستنارة، وتصير بدون مؤخرة مثل الكروبيم أي لا شيء مخفي عن عينيها وعن الله مثل الكروبيم (كلها وجهاً!!).

الدقة والأهمية، لأنه يعتبر أن النفس البشرية خُلقت أصلاً لتكون على رتبة الكروبيم، أي لتكون مسكناً وعرشاً لله ليستريح فيها الله، وفي نفس الوقت يلزم بالتالي أن تكون طيِّعة في حركتها تتحرَّك وفق مشيئة الله لتكميل مقاصده. وهذا إن كنا وجدناه في حالة الكروبيم من جهة عمل روح الله، حيث كثرة الأعين في الكروبيم ترمز إلى كثرة الاستنارة والمعرفة، واللمعان والنار يرمزان إلى حرارة الروح والغيرة المقدَّسة، والأجنحة ترمز إلى الخفَّة والقدرة على التسامي والارتفاع، وتغطية الأرجل ترمز إلى التعفُّف والحشمة، ثم بعد ذلك كله فإن الحركة وتوجيهها في الكروبيم هما من عمل روح الله كليَّة، ويد الإنسان التي تحت الكروب إشارة إلى عمل المسيح. كل هذا نجده يتم حرفيًّا في النفس البشرية.

فلكي تصير النفس البشرية مسكناً وكرسيًّا لله، يتحتَّم أن تتقد بنار الروح القدس، لتصير قادرة بالفعل على كل عمل صالح، وتجسر على أعمال الإيمان والشهادة العالية، ثم يتحتَّم أن تنفتح بصيرة النفس انفتاحاً كاملاً لتدرك كل أمور الله ولا يخفى عليها شيء، بل تصير وكأنها كلها عين ونور. كذلك يتحتَّم أن تخفَّ النفس ولا تعود ترتبط بأمور الأرض، بل يكون لها مطلق الحرية أن ترتفع وتعيش في جو الروح بلا عائق، أي تصير وكأن لها أجنحة للطيران السريع الحاد؛ كذلك من جهة تغطية الوجه تعبيراً عن خشية النفس من الله التي هي بمثابة تغطية جزئية لئلا تنعمي البصيرة من بهاء مجد الله، كذلك من جهة تغطية الأرجل التي هي بمثابة العفة ومتطلباتها الدائمة مهما كان سمو النفس وارتفاعها.

وهكذا نرى أن للروح القدس عملاً في النفس البشرية غاية في الأهمية

وغاية في الدقَّة، وهو عمل لابد أن يكون متكاملاً من كل الوجوه، وإلا فلا تتأهَّل النفس البشرية لسكنى الله أو احتماله، وهذا كله قد استوفاه القديس أنبا مقار على مدى الخمسين مقالة.

ويقيناً أن شرح القديس أنبا مقار لهذه العلاقة الصميمية الكائنة بين الكروبيم والنفس البشرية وعمل الروح القدس فيها هو جدير بالدراسة الجادة، لأن التقليد الليتورجي ألزمنا بهذا حينما جعل تسبحة الكروبيم في قمة صلاة الإفخارستيا، عندما وضع تسبحة الكروبيم في فم الكنيسة قبل قراءة الإنجيل مباشرة (مواجهة حضور "الكلمة") وقبل الصلاة التأسيسية لتحويل الخبز والخمر إلى سر الجسد والدم (مواجهة حضور "المسيح")، حيث ينبهنا الطقس إلى أن النفس البشرية قد صارت بالفعل مؤهَّلة في هذه اللحظات لحمل المسيح، بطبيعتها الجديدة، ولتسبحة الكروبيم بالدرجة الأُولى باعتبارها حاملة للكلمة ولطبيعة اللاهوت، لكونها صارت مسكناً لله!

ويبدأ القديس أنبا مقار يوضِّح علاقة النفس البشرية مع الروح القدس على أساس ما هو قائم بين الروح والكروبيم في رؤيا حزقيال ١: ٢٠: «**روح الحيوانات كانت في البكرات**» (**العظة الأولى**) باعتبار أن رؤيا حزقيال عن الكروبيم الحامل لعرش الله كانت رمزاً للنفس البشرية التي ستصير مسكناً لله.

يقول القديس أنبا مقار:

[كذلك النفس التي تستنير بحُسن المجد الذي لا يوصف، حُسن مجد النور الذي لوجه المسيح، **وتشترك في الروح القدس** بالكمال وتُحسب أهلاً لتكون مسكناً لله وكرسيًّا له، حيث تصير كلها

عيناً وكلها نوراً وكلها وجهاً وكلها مجداً وكلها روحاً، **والمسيح نفسه قائدها** وسائقها وحاملها وساندها، ويد الإنسان (المسيح) من تحت الكروب يقودها بزمام الروح ويهديها في الطريق.] (العظة رقم ١٩)

[الرب يرسل **روحه الخفيف النشيط الصالح السماوي**، وبواسطته يخرِج النفس التي غطست في مياه الإثم، **ويصيِّرها خفيفة ويرفعها على جناحه إلى أعلى السماء، ويغيِّرها من طبيعتها الأصلية تغييراً كاملاً.**] (العظة ٤٤ صفحة ٢٨٣)

وأيضاً:

[كذلك **النفوس المقدَّسة تنقاد وتهتدي في طريقها بروح المسيح إذ يرشدها إلى حيث يشاء.** فإن شاء، أقامت في التأملات السمائية؛ وإن شاء، لبثت في الجسد (الأعمال)؛ وإن شاء لازمته في خدمته. لأنه كما أن أجنحة الطائر هي له بمنزلة الرجلين، كذلك **نور الروح السمائي يتخذ من الأفكار المناسبة أجنحة للنفس، ويهدي الطريق أمامها ويوجهها حيث يستحسن هو.**

فكما سَمِعْتَ إذن هذه الأمور، افحص نفسك جيِّداً، إن كنت مالكاً إيَّاها فِي روحك، فإن لم تكن مالكاً إيَّاها بل تحتاج إلى مثل هذه الخبرات الروحانية العظيمة فسبيلك أن تكتئب وتحزن متلهِّفاً كمَنْ هو منفصل عن الملكوت بالموت، وكمجروح اصرخ إلى الرب واسأل بإيمان، ليصيِّرك حقًّا أهلاً لهذه الحياة الحقَّانية.]

(العظة الأُولى صفحة ١٤)

ويقول القديس أنبا أنطونيوس:

[حرَّكني الروح أن أكتب لكم عن الكروبيم الذي نظره حزقيال النبي **الذي هو مثال لنفوس المؤمنين الذين يجاهدون وينالون الكمال.** هذا له أربعة أجنحة وهي مملوءة عيوناً، وله أيضاً أربعة وجوه ناظرة إلى الجهات الأربع ...

فاعلموا إذن أن الوجه الأول من الكروبيم، وهو وجه الإنسان، **رمز للمؤمنين** الذين في العالم العاملين بما يختص بهم من وصايا.

فإذا خرج أحد أولئك إلى شكل الرهبنة، فقد تشبَّه بوجه الثور، لأنه **يعمل ويجتهد في الوصايا** التي للرهبنة **والقتال المحسوس.**

فإذا كمَّل الجميع على ترتيبه، وخرج وسكن البرية، وتفرَّد في الوحدة **لقتال الشياطين غير المنظورين،** فقد تشبَّه بوجه الأسد الذي هو سلطان الوحوش البرية.

فإذا غلب الأعداء غير المنظورين وتسلَّط على الأوجاع ومَلَكَها، فإنه يرتفع بالروح القدس وينظر للمناظر الإلهية ويتشبَّه بوجه النسر ويتم عليه المكتوب: «يتجدَّد مثل النسر شبابك» (مز ١٠٣: ٥)، ويكون عقله حينئذ يفرز ما يأتيه من ستة جهاته، **فيتشبَّه بتلك الأجنحة الأربعة المملوءة عيوناً ويصير كروبياً روحانياً.**]

(الرسالة ١٩ صفحة ١١٧ و١١٨ و١١٩)

وهنا ننبِّه ذهن القارئ إلى أن هؤلاء الآباء العظام لا يشبِّهون نسبة الروح القدس للنفس بما هو حادث في الكروبيم، بل يؤكِّدون أن النفس البشرية أصبحت هي الكروبيم الجديد في العهد الجديد، وذلك بسبب سكنى الروح القدس وقيادته الإلهية للنفس السعيدة: «أنتم هيكل الله

وروح الله يسكن فيكم» (١كو ٣: ١٦). لذلك نجدهم يلحُّون إلحاحاً شديداً علينا أن نجتهد غاية الجهد للحصول على فاعلية الروح القدس وحرارته وقيادته لحياتنا باعتبار أن هذا يحدِّد تحديداً قاطعاً إن كنا نصلح أن نكون هيكلاً لله وروح الله يسكن فينا.

(ب) علاقة الروح القدس بالنفس،
على أساس الطبيعة النارية التي للروح القدس:

أولاً: وهنا يشرح الآباء كيف أن هذه الطبيعة النارية تستمد النفس منها، بالاتحاد والعشرة، قدرة على الارتفاع نحو الله، **فتصير طبيعة الروح القدس النارية بمثابة أجنحة روحانية غير منظورة للنفس، تمنحها قدرات وكفاءات جديدة للسمو بالحياة كلها.**

ثانياً: هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن **هذه الطبيعة النارية التي للروح القدس، المعبَّر عنها في الكتاب:** «إلهنا نارٌ آكلة» (عب ١٢: ٢٩)، **متى دخلت النفس وتفاعلت معها واشتعلت النفس بها، فإنها تصبح طبيعة جديدة للنفس البشرية، طبيعة حارقة للأفكار الشريرة بل وحارقة للشياطين أنفسهم. هذا الذي نسمع عنه في قصص بعض الآباء كيف كانت صلواتهم من القوَّة لدرجة أنها كانت تحرق الشياطين فيصيروا أمامهم بشبه الدخان.**

١ - يقول القديس أنبا أنطونيوس:

[وتشبه النفس التي تسكنها نار الله وحرارة الأعمال الصالحة التي اشتعل بها قلبها، تشبه طيراً ذا جناحين يطير بهما مرتفعاً في السماء، **فأجنحة النفس المتعبِّدة لله هي قوَّة نار الله التي تطير بها النفس إلى العُلا. فإذا عدمت هذه النار، لا يصير لها استطاعة**

للارتفاع، كالطير الذي نُزع جناحه!! فلا تدعوا قوَّة هذه النار تُنزع منكم، لأن حروباً كثيرة كائنة لكم من الشيطان لأجل هذه النار المعطاة لكم من الرب لكي ينزعها منكم.

لأنه يعلم أنه لا قدرة له عليكم ما دامت نار الله فيكم ... لهذا يقاوم بشدَّة النفوس المتعبِّدة لله عبادة حسنة بأوجاع كثيرة يلقيها في النفس ليطفئ هذه النار التي هي قوام كل فضيلة. فإذا انغلب الشيطان وارتد خائباً فإن روح الله يسكن فيهم، وإذا سكن الروح القدس فيهم يريحهم من جميع أعمالهم (جهاداتهم ضد الخطية)، ويجعل نير الله حلواً لديهم جداً، ويجعل فرح الله فيهم نهاراً وليلاً، ويربِّي عقولهم ويغذيها!!] (الرسالة الثامنة عشر)

[ذلك الروح الناري العظيم، هذا الذي قبلته أنا، اقبلوه أنتم أيضاً. وإذا أردتم أن تقبلوه ويسكن فيكم فقدِّموا أولاً أتعاب الجسد وتواضع القلب، وارفعوا أفكاركم إلى السماء في الليل والنهار، واطلبوا باستقامة قلب هذا الروح الناري، وحينئذ يُعطَى لكم، لأنه هكذا وصل إليه إيليا التسبيتي وأليشع وكافة الأنبياء. ولا تفكّروا في قلوبكم وتكونوا ذوي قلبين وتقولوا مَنْ يقدر أن يقبل هذا؟ لا يا أولادي، لا تَدَعوا هذه الأفكار تأتي على قلوبكم، بل اطلبوا باستقامة قلب وأنتم تقبلونه. وأنا أيضاً أبوكم أجتهد معكم وأطلب لأجلكم أن تقبلوه، لأني عارف أنكم كاملون وقادرون على قبوله، لأن كل مَنْ يفلِّح ذاته بهذه الفلاحة فإن الروح يُعطَى له في كل جيل وإلى الأبد. وأنا أعرف أن أُناساً قبلوه، ولما لم يكمِّلوا هذه الفلاحة لم يثبت فيهم. فأما أنتم يا أحبائي الذين أشتهي أن

أنظركم لأجل استقامة عقولكم، **أديموا الطلبة باجتهاد من كافة قلوبكم فإنه يُعطَى لكم**، لأن ذاك الروح يسكن في القلوب المستقيمة. وإذا قبلتموه فإنه يكشف لكم الأسرار العلوية وأشياء أخرى لا أستطيع أن أُعبِّر عنها في قرطاس بقلم ومداد ...]

[**وأما أنا فطلبتي الآن ليلاً ونهاراً ليكون فيكم عَظَمَة ولذة هذا الروح الذي قد قبله جميع الأطهار**. وإني يا أولادي الأحباء بعد أن كتبت هذه الرسالة **تحرَّك فيَّ روح الله** أن أكتب لكم عن هذا الروح الناري في آخرها وعن المحبة الإلهية. **عرَّفتكم أشياء أخرى كثيرة عن هذا الروح لكي تقتنوها جميعها**. وكما أقريتكم السلام في مبدأ هذه الرسالة كذلك أيضاً أُقريكم السلام بمحبة الرب في آخرها **بهذا الروح الناري الذي قبلته أنا وإيَّاكم بنعمة الرب. وأطلب إليكم أن تتركوا إرادتكم الحسيَّة وتلتزموا الهدوء بكل نوع، لكيما تسكن عندكم القوَّات العلوية بمؤازرة هذا الروح القدس** وتعينكم على العمل بإرادة الثالوث الأقدس الآب والابن والروح القدس. له السبح دائماً سرمديًّا إلى أبد الآبدين آمين.]
(الرسالة الثامنة صفحة ٥٠ و٥٢)

٢ – ويقول القديس أنبا مقار:

[**النفس إذا كان لها إقامة في شركة الروح القدس فإن طول إقامتها في نار الروح ونوره الإلهي يحصنها** ضد أية مضرَّة من أي روح شرير، لأنه إذا اقترب من النفس فإنه يحترق بنار الروح السمائي.]
(العظة ٣٠ صفحة ٢٣٣)

[الرب يُرسل **روحه الخفيف النشيط الصالح السماوي** وبواسطته

يخرج النفس التي غطست في مياه الإثم ويصيِّرها خفيفة، ويرفعها على جناحه إلى أعلى السماء **ويغيِّرها من طبيعتها الأصلية تغييراً كاملاً.**] (العظة ٤٤ صفحة ٢٣٣)

ويقول القديس أنبا أنطونيوس:

[اجعلوا هذا الجسد الذي أنتم لابسونه مجمرة ترفعون فيها جميع أفكاركم ومشوراتكم الرديئة وتضعونها أمام الرب ليرفع قلوبكم إليه، وبسلطة العقل تطلبون منه أن **ينعم عليكم بإتيان ناره غير الهيولانية من العُلا إليكم لتحرق كل ما في تلك المجمرة وتطهرها.**]

(الرسالة السادسة صفحة ٣٧)

(ج) علاقة الروح القدس بالنفس من جهة تغلغله داخل جوهر النفس، وتأثيره المباشر على الأفكار، ثم تأثيره غير المباشر على الجسد:

يقول القديس أنبا مقار:

[ريح الروح القدس الذي **ينسم على النفوس وينعش** الذين هم في النور الإلهي، **وينفذ في جوهر النفس كله وأفكارها**، وكذلك **يروِّح ويرطِّب أعضاء الجسد** براحة إلهية لا توصف].

(العظة الثانية – ص٢٠)

(د) علاقة الروح القدس بالنفس علاقة التحام سري فائق الوصف.

فبالرغم من الإختلاف الكلي بين طبيعة الروح القدس وطبيعة النفس، إلا أنه يلتحم بها كخيوط النسيج المتداخلة من صنفين، والتي ترى وكأنها نسيج واحد متحد ملتحم له صفة الأقوى! هكذا يدخل الروح القدس داخل النفس، فيلاشي ما هو أضعف فيها ويعطيها الأقوى مما له.

يقول القديس أنبا مقار:

[هذا معناه أن **النفوس التي تطلب ما ليس من طبيعتها، أي تقديس الروح**، فإنَّ هواها كله يتعلَّق بالرب، إليه تسعى وتصلِّي، وبه تنشغل أفكارها راذلة كل ما عداه. **لذلك تُحسب تلك النفوس أهلاً لنيل زيت النعمة السمائية**. وأما النفوس التي تبقى على طبيعتها، فإنها تهبط بأفكارها إلى الأرض، وبالأرض يكون همها وتصرُّفها، وتظن أنها تختص بالعريس فتتزيَّن ببر الجسد، والحقيقة أنها غير مولودة من الروح من فوق كونها لم تنل دهن البهجة ... **لذلك لا تقدر أن تنشغل بالحكمة الصالحة التي للروح، التي هي غريبة أصلاً عن طبيعتنا، أعني النعمة السمائية التي يلزم أن تكون ممزوجة في جبلتنا كالسُّدَّة مع اللحمة**، لنقدر أن ندخل سويًّا مع الرب إلى العرس السمائي وننال الخلاص الأبدي.] (العظة الرابعة صفحة ٢٩ و٣٠)

(هـ) **علاقة الروح القدس بالنفس، وما ينشأ من دوام مواجهة النفس للقوَّة المؤثِّرة الفعَّالة للروح القدس** وخصوصاً من جهة قساوة النفس البشرية وتصلُّفها، بسبب الجهل الناشئ من الخطية والتعدِّي؛ وتشبيه ذلك بانصهار الحديد عند تعرُّضه لنار شديدة ولمدَّة طويلة:

ثم كشف مدى التغيُّر الكامل الذي يصيب الشخصية برمَّتها بعد أن يصيب الأعضاء عضواً عضواً.

يقول القديس أنبا مقار:

[فكما أن الحديد إذا أُلقي في النار يتحوَّل عنه الجوهر اليابس الذي لطبيعته ويصير ليِّناً بقدر مقامه في النار، كذلك النفس التي تنكر العالم وتعلق شوقها بالرب بالتفتيش الكثير والكد والجهاد،

وتنتظره انتظاراً دائماً بالإيمان والرجاء **حتى تنال النار السمائية ومحبة الروح؛ حينئذ تنفك من محبة العالم وتفلت من كل فساد الأهواء، وتتغيَّر طبيعتها من يبوسة الخطية** وتخضع للعريس السمائي بحب شديد لا يوصف.] (العظة الرابعة صفحة ٣٤)

[النعمة حينما يلمحها الإنسان من على بُعْد، يفرح بها، **ولكن حينما تدخله القوَّة الإلهية وتمسك أعضاءه كلها وتستأسر قلبه ولُبَّه لمحبة الله، فإنه يتغيَّر ويصير شخصاً آخر.**]
(العظة السابعة صفحة ٥٩)

(و) **علاقة الروح القدس بالنفس علاقة ثبوت ونمو كعلاقة الشجرة** الناضجة بالتربة الجيِّدة على مجرى الماء، فهي علاقة قويَّة غير منظورة إلا من جهة نتائجها وثمارها العجيبة.

يقول القديس أنبا مقار:

[إن كان أحد ليست نعمة الله مغروسة فيه وثابتة فيه، حتى تصبح ماسكة بنفسه ليلاً ونهاراً كأنها طبيعة ثانية، تهديه وتحثُّه وترشده إلى الأمور الصالحة؛ فعلى الأقل يلزمه التدقيق والخوف والاجتهاد والندم.] (العظة ١٦ صفحة ١٣٦)

(ز) **العلاقة بين الروح القدس والنفس حينما تبلغ إلى مستوى الخضوع والأُلفة الكاملة،** تكون كمحصِّلة طفل صغير عاجز محمول على ذراع رجل حكيم يسير به حسبما يرى ويشاء. وهكذا يصبح للطفل - أي للنفس العاجزة - قدرات وإمكانيات ومواهب الروح القدس، وكأنها لها خاصة. كما يلغي الروح القدس كل ما يشاء من عجز النفس، ويصحِّحها كما يريد.

يقول القديس أنبا مقار:

[**وهذه الأشياء تتم في النفس بفعل الروح وكأنها ناشئة من الطبيعة نشوءًا خالصاً**، كمثل طفل على ذراع رجل يحمله حيث يشاء، **هكذا النعمة تعمل في النفس، تحمل العقل وترفعه إلى السموات وإلى الراحة الأبدية.**] (العظة ١٦ صفحة ١٤٠)

[ليس ممكناً للنفس أن تعبُر من ذاتها من بحر الخطية المرِّ وتجوز هوَّة قوَّات الظلمة الصعبة، إلا إذا نالت روح المسيح اللطيف السمائي، الذي يمكنه أن يعبر بها وسط قوَّات الشر؛ **فإنه بواسطة هذا الروح يمكنها أن تصل إلى ميناء الراحة السمائية.**] (العظة ٤٤ صفحة ٢٨٣)

(ح) **العلاقة بين الروح القدس والنفس في حالة سكنى الروح الدائم هي بمثابة حصول النفس على أعظم كنز للخيرات السمائية**، فتصير في أوج الغنى وكأنها استؤمنت على كل ما لله، تأخذ وتعطي بلا حساب. أما بدون الروح القدس فالنفس مهما حاولت التظاهر بالغِنَى، فهي الشقيَّة والبائسة والفقيرة والعُريانة، تتحدَّث عن الغِنَى وهي تتضوَّر جوعاً، وتبشِّر بالسعادة وهي في البؤس تقيم، وتتباهى بالحلل النورانية وعريها منظور لدى كل السمائيين.

يقول القديس أنبا مقار:

[الذين من الله يطلبون فيجدون كنز الروح القدس السماوي، يضيء الله قلوبهم فيكمِّلون بر الفضائل وغاية الصلاح الذي في وصايا الرب ... بمساعدة غِنَى النعمة غير المنظور فيهم. من أجل هذا يقول الرسول: «لنا هذا الكنز في أوانٍ خزفية» (٢كو ٤:

٧). أي لما كانوا في الجسد حُسبوا أهلاً لأن يمتلكوا في باطنهم قوَّة الله المقدَّسة (أف ٣: ١٦). **فكل مَنْ امتلك هذا الكنز السماوي وامتلكه في باطنه، أي كنز الروح القدس، فإنه يصير قادراً أن يكمِّل في روحه** (مت ٣: ١٥) **بر الوصايا وعمل الفضائل، بنقاوة وبدون عيب وبلا اغتصاب أو صعوبة**. فلنتوسَّل إلى الله ونطلب منه باجتهاد ونتضرَّع بانسكاب لكي يهبنا مجَّاناً كنز روحه القدوس، لكي بذلك نستطيع أن نسير في جميع وصاياه بدون لوم ولا عيب ونكمِّل بر الروح.] (العظة ١٨ صفحة ١٥٢)

[المسكين العُريان الفقير يهلك من الجوع إذ ليس له ما يبتاعه، أما مَنْ كان ذا خزائن وأموال فإنه بسهولة وبلا تعب يتسلَّط على أي شيء يمتلكه - كذلك النفس العُريانة المحرومة من شركة الروح القدس، تكون في شدَّة الخطية القاسية، ومهما حاولت فإنها لا تُثمر ثمرة واحدة من ثمار بر الروح بالحق، إلا **إذا حصلت أولاً على شركة هذا الروح ذاته** ...] (العظة ١٨ صفحة ١٥٣)

[لذلك يجب على كل واحد أن **يغصب نفسه على التوسُّل إلى الله لكي يُحسب أهلاً لنوال كنز الروح القدس السماوي**، حتى يقدر أن يتمِّم وصايا الرب بطهارة بلا تعب أو صعوبة أو عيب، **الأمر الذي لا يمكنه أن يتمِّمه بدون كنز الروح حتى ولو بالاغتصاب، لأن النفس إذا كانت محرومة من شركة الروح القدس، كيف تقدر أن تحصل على أعمال وغِنَى الروح؟**] (العظة ١٨ صفحة ١٥٣)

[الإنسان الغني عندما يريد أن يصنع وليمة فاخرة لضيوفه، يأخذ

الأموال من خزائنه ويعدُّ لضيوفه بالعز والفخر؛ أما الفقير فإنه إن أراد ذلك، يستعير كل شيء حتى المائدة والأواني، فإذا انتهت الوليمة يرد لكل إنسان ما اقترضه منه ويعود فقيراً كما كان ... **هكذا الأغنياء بالروح القدس الذين عندهم الغِنَى السماوي وشركة الروح مع نفوسهم**، إذا تكلَّموا بكلام الحق ووعظوا الآخرين بالأقوال الروحانية، فإنما يصدر هذا من ذخيرتهم الروحية التي حصلوا عليها، **ولا يخشون الضلال، لأنهم حائزون على الكنز السماوي الذي منه يُخرجون الصلاح ويُعزُّون بالروح، ويُحيون نفوس سامعيهم**: «**وكلامي وكرازتي لم يكونا بكلام الحكمة الإنسانية المقنع بل ببرهان الروح والقوَّة**» (١كو ٢: ٤)؛ أما الفقير الذي لا يملك غِنَى المسيح، ولم تمتلك نفسه الكنز الروحاني الذي ينبع الصلاح بالأقوال والأعمال والأفكار والأسرار الروحانية التي لا توصف؛ فإذا شاء هذا أن ينطق بالحق ليعزِّي سامعيه، وهو لم ينل قوَّة كلمة الله ولا امتلك الحق في باطنه، فإنه يقتبس آيات من الكتاب المقدَّس أو مما سمعه من الروحانيين يتذكرها ويرويها ويعلِّم بها، فيظهر وكأنه يعزِّي سامعيه وهم ينتفعون مما ينطق به، ولكنه حينما ينتهي مما يرويه (نقلاً عن الآخرين) يعود هو إلى فقره وعُريه (جا ١٢: ٧). هذا لأن ليس له كنز الروح كاقتناء يقتنيه لنفسه حتى يأخذ منه وينفع ويحيي الآخرين، **لأنه هو لم يحيا أولاً ولا قَبِلَ الروح القدس وابتهج به!**].

[هذا يوجب علينا أن نطلب من الله باجتهاد قلب وإيمان، **حتى يهبنا أن نجد في قلوبنا هذا الغِنَى، أي كنز المسيح، بقوَّة الروح القدس وفاعليته**، حتى إذا قبلنا نحن منه أولاً ما هو لفائدتنا أي

الخلاص والحياة الأبدية والرب نفسه، حينئذ نستطيع أن نفيد غيرنا (لو ١٢: ٣٢-٣٤).] (العظة ١٨: صفحة ١٥٢-١٥٥)

[وأخص كل شيء هو المداومة في الصلاة. ولكن يوجد أمر ضروري وهو أن **يحصل الإنسان على كنز حياته في نفسه وفي عقله، وهو الرب، حتى إذا كان يشتغل أو يصلّي أو يقرأ يكون حاصلاً على ذاك الذي لا يزول وهو الروح القدس.**] (العظة الثالثة صفحة ٢٣)

(ط) **العلاقة بين الروح القدس والنفس من كثرة الالتحام ودوام فاعلية الروح في النفس**، وهي تشبه الحجر المسامي، لمَّا يتشبَّع بالماء ويتخلَّله باستمرار ويحيط به من كل الجهات، فإن الماء يخرج منه وكأن الحجر صار ينبوع ماء؛ هكذا النفس الصلفة الجافة الجامدة تصير بدوام فعل الروح القدس ينبوعاً تجري منه أنهار ماء حي!!

يقول القديس أنبا مقار:

[وهكذا **ليس لفاعلية الروح القدس في النفس انقطاع، بل من فعل إلى فعل، حتى تصل النفس إلى كمال الروح ويتم تطهيرها من أهوائها الفاسدة وتتحد بالروح المعزِّي بألفة لا توصف، وتختلط بالروح تماماً، وتُحسب النفس أهلاً لأن تصير روحانية في ذاتها بهذا الاختلاط.** وكالحجر في وسط المياه، هكذا **هذه النفوس تصير مغمورة بالروح القدس متشبِّهة بالمسيح نفسه**، حيث تكون حاصلة في باطنها على فضائل قوَّة الروح بلا تغيير وبلا عيب من داخل ومن خارج، لأن الروح يكون قد أتى بهم إلى الكمال.]
(العظة ١٨ صفحة ١٥٧ و١٥٨)

(ي) العلاقة بين الروح القدس والنفس، علاقة تحنية فائقة العطف:

فالروح القدس وهو القداسة والنور والمجد لا يطيق أن يبقى بلا عمل إزاء النفس العارية المفضوحة بنجاساتها وظلمتها وخزيها وعارها، فهو إذ يحتويها يغطيها بمجده وقداسته الفائقة، وهكذا تلبس النفس النور والمجد الإلهي والبهاء والقداسة والبر، إذ تلبس الروح القدس، ولكن كل هذا على أساس شرط غاية في الأهمية، وهو أن تدرك النفس أنها هي الشقية والبائسة والفقيرة والعُريانة فعلاً، وتطلب من جرَّاء خشيتها العُظمى لله أن يغطيها برحمته!

يقول القديس أنبا مقار:

[إن كان أحد عرياناً من **الملابس الإلهية السمائية التي هي قوَّة الروح القدس**، كما قال بولس الرسول: «إن كان أحد ليس فيه روح المسيح فهو ليس من خاصته» (رو ٨: ٩)، فعليه أن يبكي ويتوسَّل إلى الرب حتى ينال الثوب الروحاني الذي من السماء ويأخذ غطاءً لنفسه العارية، العارية عن القوَّة الإلهية، **لأن كل مَنْ هو غير مكسي بكساء الروح القدس فهو مكسو بالعيب، عيب الشهوات الدنيَّة.**

إن كان أحد يوجد عُرياناً في وسط الناس، يحل به حزي عظيم وفضيحة، ويهرب منه حتى أصدقاؤه وأقاربه، **كذلك ينصرف الله عن النفوس غير المكسية بلباس الروح القدس، كونها لم تلبس الرب يسوع في ملء ثقة الإيمان بالقوَّة والحق.**

الإنسان الأول لما رأى نفسه عُرياناً خجل، فما أعظم فضيحة العُري الجسدي، ثم كم بالحري تكون النفس العارية عن القوَّة

الإلهية، التي لم تكتسِ بعد بلباسها الأبدي الروحاني غير الموصوف، الرب يسوع، بل تظل في شهوتها الفاضحة.

كل مَنْ كان عُرياناً غير مكتسي بالمجد الإلهي، عليه أن يستحي ويقر بفضيحته، كما استحى آدم من عري جسده، حتى وبعد أن ستر نفسه بورق التين، فلم يزل خجله يلازمه، لعلمه بفقره وعُريه الحقيقي (إلى أن جاءه المسيح)، هكذا فلتطلب النفس من المسيح حتى يكسوها بمجده، دون أن تحاول أن تعمل لنفسها غطاءً مزيَّفاً من أعمال برها، مدَّعية أن عليها لباس الخلاص (إش ٦١: ١٠)، لأن مَنْ استند على برِّه دون برِّ الله (رو ١٠: ٣ و٤)، أي المسيح الذي صار لنا من الله برًّا وخلاصاً وفداءً (١كو ١: ٣٠)، فإن برَّه (الذي يستتر به) يصير في اليوم الأخير ظاهراً كخرقة دنسة (إش ٦٤: ٦).]

(العظة ٢٠ صفحة ١٦٥ و١٦٧)

[إذا بقيت الطبيعة البشرية عُريانة بذاتها **ولم تقبل عشرة الطبيعة الإلهية والامتزاج بها،** فإنها تبقى ذليلة ولا يستقيم حالها أبداً، لأن النفس دُعيت لتكون **هيكلاً** لله **وبيتاً** له **وعروساً ... فإذا قَبِلَت نفسك الروح السمائي وعاشرته، ودخل هو إلى نفسك، فحينئذ تصير رجلاً كاملاً لله وابناً وارثاً.**] (العظة ٣٢ صفحة ٢٤٣ و٢٤٤)

[يقول الرسول (٢كو ٥: ٣): «إن كنا لابسين فلا نوجد (بعد) عُراة»، **يعني لا نوجد مجرَّدين من شركة الروح القدس وعشرته،** الذي فيه وحده تجد النفس المؤمنة راحتها. ولأجل هذا يتشجَّع المسيحيون العائشون بالحق والقوَّة ويفرحون عند خروجهم من

الجسد، **لأن لهم هذا البيت الذي لم تصنعه أيدي، وهو قوَّة الروح الساكن فيهم**، فإذا نُقض بيت الجسد، لا يخافون، لأن لهم **البيت السماوي، بيت الروح** والمجد الذي لا يفسد.]
(العظة الخامسة صفحة ٤٨ و٤٩)

(ك) **العلاقة بين الروح القدس والنفس، لا تبلغ إلى مستوى اللبس فحسب**، بل إن الروح القدس وهو اللؤلؤة الكثيرة الثمن يهب ذاته للنفس البشرية، فتبدو النفس، وهي متكلِّلة بالروح القدس، وكأنها حاملة لعلامة وختم الملوكية، فتُحسب من ذرية الملك السمائي.

يقول القديس أنبا مقار:
[اللؤلؤة التي في تاج الملك ليس لأحد غير الملك أن يتقلَّدها، **كذلك الإنسان إن لم يولد من الروح القدس الملك السمائي فيصير من الذرية السمائية الملوكية** (أي ابناً للملكوت) وابناً لله، فلا يقدر أن يلبس هذه اللؤلؤة السمائية الكثيرة الثمن، أي الرب. أما الذين أُعطوا سلطاناً أن يصيروا أولاد الله، فهؤلاء عندهم اللؤلؤة يلبسونها، ويحيون، ويملكون مع المسيح إلى الأبد، كما قال الرسول: «لأنه هكذا كما لبسنا صورة الأرضي نلبس أيضاً صورة السماوي» (١كو ١٥: ٤٩).] (العظة ٢٣ صفحة ١٧٤)

(ل) **العلاقة بين الروح القدس والنفس، علاقة تطهير عميق وفعَّال كالملح المعقِّم بالنسبة للحم الطري**. وهذا الفعل العميق والسرِّي ألمح الله إليه لما طالب في الناموس قديماً أن تملَّح كل ذبيحة بملح، حتى تصير مقبولة أمام الله.

وقد نبَّه الرب يسوع كثيراً إلى معنى الملح الروحي. لعلنا ندرك معناه

على المستوى النسكي والعملي.

يقول القديس أنبا مقار:

[إن كان أحد عنده كمية من اللحم وتغافل عنها و لم يضع فيها ملحاً، فلابد أنها تنتن، كذلك الطبيعة البشرية فهي بمثابة اللحم، أما الملح فهو الطبيعة الإلهية التي للروح القدس؛ فإذا لم تُخلَط الطبيعة البشرية بملح اللاهوت الصالح المقدَّس، فلا يمكن للنفس البشرية أن تخلو من عفونة الخطية ... أما بدون مساعدة الروح القدس فمهما جاهَدَت النفس فإنها تضل ضلالاً عظيماً، لأن مثل هذه النفس لا تكون أصلاً أهلاً للأماكن السمائية، أي الملكوت (يو ١٤: ٢، أف ٢: ٦).] (العظة ٢٤ صفحة ١٧٨ و١٧٩)

[فمن حيث كان الرسل **في نفوسهم أنواراً**، أعطوا النور لكل المؤمنين، **فأناروا قلوب الناس بنور الروح السماوي، ذلك الذي هم أنفسهم كانوا مستنيرين به. وكما كانوا ملحاً في ذواتهم، كذلك كانوا يملّحون كل نفس مؤمنة بملح الروح القدس**، كانوا يملّحون نفوس البشر من داخل بملح الروح، فيُصلحونها ويثبّتونها ويطيّبونها من رائحتها العفنة. فكما أن اللحم إذا لَم يملَّح يفسد ويمتلئ عفناً ويعيش الدود على نتانته، كذلك **كل نفس لا تُصلَح بالروح القدس ولا تُملَّح بالملح السماوي – أي قوَّة الله – تنقلب حالاً إلى عفونة ويسكنها نتن الأفكار الشريرة، والدود اللَّعين الشرير – أي أرواح النجاسة – ترتع فيها**، "قد أنْتَنَتْ، قاحت جراحاتي" (مز ٣٨: ٥). ولكن إذا فرَّت النفس إلى الله وآمنت وطلبت ملح الحياة أي الروح المحب الصالح، فحينئذ الملح السماوي يُميت لوقته

الدود الكريه وينزع النتانة ويطهِّرها بقوَّته ... لأنه هكذا حدَّد الله في الناموس قديماً على سبيل المجاز أن تُملَّح كل ذبيحة بملحٍ (لا ٢: ١٣).] (العظة الأُولى صفحة ١٠)

(م) **العلاقة بين الروح القدس والنفس، هي علاقة النور بالظلمة.** والنور هو الذي يأتي دائماً إلى الظلمة، الروح القدس مصباح النفس، ولكن أعجب ما في هذه العلاقة السريَّة أن النفس المظلمة بدوام قبولها للنور، تصير منيرة ثم تصير نوراً!! النفس تتحوَّل إلى نور بسبب طبيعة الروح القدس السخيَّة المتواضعة، لأن الروح القدس يعطي في النهاية نفسه، يعطيها لكل نفس تقبله!!

يقول القديس أنبا مقار:

[إن النفس تحتاج إلى المصباح الإلهي وهو الروح القدس، الذي ينير بيت النفس المظلم.] (العظة ١١ صفحة ٧٦)

[فمن حيث كان الرسل في نفوسهم أنواراً!! أعطوا النور لكل المؤمنين فأناروا قلوب الناس بنور الروح السماوي، ذلك الذي هم أنفسهم كانوا مستنيرين به.] (العظة الأُولى صفحة ١٠)

[كذلك **النفس التي تستنير بحُسن المجد الذي لا يُوصف، حُسن مجد النور الذي لوجه المَسيح، وتشترك في الروح القدس** بالكمال، وتُحسب أهلاً لتكون مسكناً لله وكرسيًّا له، حيث **تصير كلها عيناً وكلها نوراً، وكلها وجهاً، وكلها مجداً، وكلها روحاً.**]
(العظة الأُولى صفحة ٧)

(ن) **العلاقة بين الروح القدس والنفس، هي علاقة حياة بموت.** فالروح محيي بلاهوته والنفس ميتة بخطيتها. وهذه في الحقيقة أعلى وأعظم

علاقة تربط الروح القدس بالنفس، فالنفس بالروح القدس تصبح حيَّة ومنيرة بالنسبة لله والملكوت وحياة الدهر الآتي. وبدون الروح القدس ميتة ومظلمة فيما لله!!

يقول القديس أنبا مقار:

[كما أن الجسد بدون النفس يكون ميتاً، ولا قدرة له على عمل أي شيء؛ كذلك **النفس بدون الروح القدس تكون ميتة بالنسبة لملكوت الله، ولا قدرة لها على فعل أي عمل من أعمال الله**].

[وكما أن حياة الجسد في هذه الدنيا هي النفس، كذلك **النفس في الأبدية حياتها هي روح الله**. ولهذا يجب على طالب الإيمان أن يلتمس نوال الروح القدس، لأنه حياة النفس. وقد جاء الرب خصيصاً ليمنحنا روحه القدوس الذي هو النور «والحياة كانت نور الناس» (يو ١: ٤). **فالذي لا ينال في هذا العالم نور الروح الإلهي، فإنه لا يعاين النور وقت خروجه من الجسد، ولا يدخل ملكوت الله.**] (العظة ٣٠ صفحة ٢٣١ و٢٣٢)

(س) **العلاقة بين الروح القدس والنفس، كالعلاقة بين يوم السبت وبين الجسد المتعَب الواقع تحت مرارة العبودية وشقاء السخرة.** فكما كان السبت في العهد القديم هو يوم البهجة والراحة والعتق من كل عمل وهمٍّ وتعب وعبودية وسخرة من كل نوع، هكذا صار الروح القدس هو السبت العظيم، سبت الراحة الأبدية، والعتق الروحي، وبهجة الخلاص من كل عبودية وسخرة من كل نوع، وبالأخص عبودية الشيطان وسُخْرَته المرَّة، وذلك بالنسبة للنفس البشرية التي قبلته ودخل إليها!!

يقول القديس أنبا مقار:

[لأن الرب دعا نفس الإنسان إلى الراحة الجديدة: «تعالوا إليَّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال **وأنا أريحكم**» (مت ١١: ٢٨) ... وأحمالها الثقيلة هي أفكارها الباطلة النجسة ونير أفعال الخبث. **وكل النفوس التي تطيع الدعوة وتأتي إليه يريحها من هذه الأفكار الثقيلة الباهظة ويطلقها من كل إثم، وهكذا تحفظ النفس السبت الجديد الدائم، السبت الصحيح المبهج المقدَّس، وتعيِّد عيد الروح القدس**، عيد الفرح والخدمة النقية المقبولة لدى الله ... فالمجد لمن ارتضى بمعاملة خلائقه، الآبِ والابنِ والروحِ القدس إلى الأبد آمين.] (العظة ٣٥ صفحة ٢٥٣)

ويقول أيضاً القديس أنبا مقار:

[إن الراحة الحقيقية في نظر المسيحيين، هي افتداؤنا من نير الخطايا؛ وحصولنا، بعد تطهير قلوبنا، على ملء الروح، ثم سُكنَى ذلك الروح داخلنا بقوَّته الفعَّالة، لأنه هو الذي يستحثنا بعد ذلك للتقدُّم. وبالإجمال **فإن الروح القدس هو الذي يمتد بنا دائماً إلى الأمام. «فلنجتهد إذن أن ندخل تلك الراحة»** (عب ٤: ١١).]

(عن الخطاب الكبير المترجم من الفرنسية عن الأصل اليوناني).

(ع) الروح القدس فرح النفس وملكوتها:

يقول القديس أنبا مقار:

[... المحبة هي القوة التي توجه النفس نحو الله، بعمل الروح الذي يكمل الاتحاد الوثيق بين نفسنا ومحبة الرب. هذا يتم بواسطة الصلاة، إنما بتدخُّل المعونة الإلهية الموهوبة للمختارين، الذين

حُسبوا أهلاً لها. وهكذا تتولَّد المحبة السماوية الشديدة والمودَّة الحارة التي تُضرم في النفس نار الروح القدس.

... وهذا يدفع المؤمن أن يلحَّ طالباً من الله بصلوات متواترة أن يكمل له القول: «سكبت الفرح في قلبي» (مز ٤: ٧)، أو بحسب قول الرب: «ها ملكوت الله داخلكم» (لو ١٧: ٢١). **لأن ما هو هذا الملكوت الداخلي إلا فرح الروح**، هذا الذي يتدفَّق بقوَّة في النفوس المستعدَّة. أليس هذا الفرح، وهذه "الراحة المثمرة" وهذا "السُّكر الروحاني"، كل هذا، أليس هو نفس ما تذوَّقه المختارون في الفردوس في نور مجد الله؟

إن عربون هذا الفرح المفرط وباكورته تُعطَى للنفوس البارة الأمينة، عن طريق الشركة الحيَّة الفعَّالة مع الروح القدس، كما يقول بولس الرسول: "فالذي يعزِّينا في ضيقتنا ويقوِّينا لنحتمل كل تجربة هو هذا الروح عينه الذي سيعزِّيكم أنتم أيضاً من قِبَلِ الله". (راجع ٢كو ١: ٤)، وأيضاً كالمزمور القائل: «أشبعت نفسي كأنها من شحم ودسم» (مز ٦٣: ٥)، وأقوال أُخرى مشابهة. والمقصود من هذا الفرح والتهليل بالروح وهذه التعزية هو التنعُّم بالله.] (عن الخطاب الكبير المترجم من الفرنسية عن الأصل اليوناني)



ثانياً: أهمية عمل الروح القدس داخل النفس في صراعها ضد طبيعتها القديمة

الذي يقرأ للآباء، يُدرك في الحال أهمية العمل الخطير الذي يقوم به الروح القدس لمؤازرة النفس في صراعها بعد المعمودية ضد طبيعتها القديمة؛ بحيث يتراءى للقارئ أنه بدون عمل الروح القدس يستحيل على النفس الانسلاخ من عاداتها القديمة، ومن انحلال طبيعتها ومن تواطئها الأول مع الشيطان.

كذلك فإن التشجيعات التي يبثها الآباء بكلماتهم النارية الملتهبة فينا، من جهة سخاء الروح القدس، وتودده المجاني لنفوسنا، بحسب توصية الرب يسوع، يجعلنا في الحقيقة أمام دينونة عظمى إذا أهملنا طلب معونة الروح القدس ليلاً ونهاراً.

(أ) الروح سبَّاق إلى الدعوة للتوبة وسبَّاق إلى المعونة:

إن جميع الآباء والنُّسَّاك وكل الذين دخلوا بالحق في مواعيد الله لا يمكن أن ينسوا البداية الرائعة، كيف دعاهم الله بطرق متنوعة كان الروح القدس في جميعها سبَّاقاً إلى الدعوة، سبَّاقاً إلى المعونة، سبَّاقاً إلى تقديم عروض المحبة والتعليم، حتى أن النفس الخاطئة لا تجد أيَّة قدرة على مقاومة إغراء الروح القدس وتودُّده الوديع المذهل داخل النفس، مهما كانت أكوام الخطايا والعثرات والزلات التي تراكمت فوق حياة النفس.

يقول القديس أنبا أنطونيوس:

[قبل كل شيء أنا أطلب خلاصكم بالرب، وأقول إن النفوس التي بلغت إليها بشارة روح الله من رجال ونساء ... يكون قلبهم مستعداً أن يتبع روح الله فيقبلون مواعيد الله براحة].

[وقبل كل شيء فإن **الروح القدس يدعوهم ويسهِّل عليهم كل الأمور، حتى يحلو لهم الدخول في التوبة، ويُظهر لهم طرقها على الحقيقة، ليتوبوا بأرواحهم بالقوَّة ويقمعوا الجسد والروح،** حتى يطهُر كلاهما ويصيرا وارثَيْن للحياة الأبدية.]

(العظة الأولى صفحة ١٠ و١١)

ويقول القديس أنبا مقار:

[ينبغي للإنسان أن يذوق نعمة الله لأنه قال: «ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب.» (مز ٣٤: ٨)

فهذه المذاقة هي هي فضيلة الروح القدس، الذي تناله النفس بفعل الإيمان وبإيقان القلب، لأن كل بني النور خدَّام العهد الجديد بالروح القدس لا يتعلَّمون (فقط) من البشر، بل تعليمهم من الله يكون، لأن النعمة ذاتها تكتب في قلوبهم ناموس الروح].

(العظة ١٥ صفحة ١١٢)

[وكما أن النحلة تصنع عسلها سرًّا في الخلايا، كذلك النعمة تعمل محبتها في القلب سرًّا.] (العظة ١٦ صفحة ١٣٦)

(ب) الروح يقف حارساً على باب التوبة، يقنع النفس بطرق عديدة بعدم الرجوع عنها.

بعد أن يدعو الروح القدس ويسهِّل الدخول للتوبة، يقف حارساً

للنفس، حتى لا تتجاذبها شهواتها الأُولى وتجرَّها إلى الحنث في توبتها. وهو يستخدم في ذلك كافة الطرق لتحذير النفس، فإذا سمعت النفس، وصبرت، وانقادت للروح، ينفتح أمامها طريق التوبة بمواهبه وتعزياته التي تفوق العقل.

يقول القديس أنبا أنطونيوس:

[روح التوبة يعزِّي الإنسان ويعرِّفه أن لا يرجع إلى ورائه، ولا يتعلَّق بشيء من أمور العالم، ويفتح عيني النفس أيضاً للتوبة الحقيقية، لكي تتطهَّر النفس مع الجسد، ويكونا كلاهما في الطهارة واحداً، لأن **هذا هو تعليم الروح القدس، إذ يسعى أمامهما، ويطهِّرهما، ويمحو عنهما الطبائع الممزوجة في الجسد، وينقلهما إلى الخلقة الأُولى التي كانت قبل المخالفة**، ولا يبقى في الإنسان شيء من أمور العدو. وعند ذلك يصير الجسد تابعاً لإرادة العقل، يطهِّره في كل شيء، **ويتعلَّم من الروح القدس**، كما قال الرسول: «إني أُخضع جسدي وأستعبده» (١كو ٩: ٢٧).] (الرسالة الأُولى صفحة ١١ و١٢)

[لأن الروح القدس المعزِّي المأخوذ في المعمودية يعطينا العمل بالتوبة ليردَّنا ثانية لرئاستنا الأُولى].

[كل الذين يعتمدون للمسيح يلبسون المسيح، كما قال الرسول (انظر غل ٣: ٢٧)، وينالون نعمة الروح القدس...] (الرسالة السابعة صفحة ٤٦)

(ج) الروح لا يُلزم النفس بالتوبة، ولكنه يزكيها للنفس فقط، فإن قَبلت أعانها، وإن حنثت تركها.

الروح يزكّي التوبة، ويذيق النفس شيئاً من سلام الله وفرح الروح وبهجة الخلاص في البداية، فإن هي قبلت الدعوة، وانقادت للحق، وتصادقت مع صوت الحكمة، أحاطها الروح القدس بمعونات وتعزيات أكثر فأكثر، حتى تقوى على كل شهواتها وعاداتها القديمة. ولكن إن هي تحامقت، وانجذبت لشهواتها الحمقاء وعاداتها القديمة انحسر الروح القدس وتراجع، وظهرت على المسرح قوّات العدو تسوق النفس إلى مصير مظلم. وهكذا يستمر الصراع داخل النفس إلى أن تقرِّر النفس موقفها النهائي الذي تتحمَّل وحدها مسئوليته.

يقول القديس أنبا أنطونيوس:

[إذا تسلَّحَت النفس بالصبر الدائم والشهادات التي من أنفاس الله، **فإن الروح القدس يرشد العقل إلى تطهير النفس والجسد كليهما** ... فإن غفل الإنسان عن هذه الشهادات والتعاليم التي سمعها، فحينئذ تقوَى عليه الأرواح الرديَّة، وتنجِّس جسده، **وتشكّكه في كيف تأتي إليه المعونة.**] (الرسالة الأُولى صفحة ١٢ و١٣)

[**فإن رجعت النفس ولصقت بروح الخلاص**، فعند ذلك تعلم أن الصبر من أجل الله هو راحتها وسلامها.] (الرسالة الأُولى صفحة ١٣)

ويقول القديس أنبا مقار:

[ولكن إن تجاسرت نفسه وقاومت ترتيب الروح القدس، فإن القوَّة التي وُضعَت فيه تنسحب، وبذلك تتولَّد في قلبه محاربات واضطرابات، ثم تضايقه آلام الجسد في كل لحظة بمهاجمة العدو.]

[فإن تاب قلبه وتمسَّك بوصايا الروح القدس، فإن معونة الله تكون عليه.] (الرسالة إلى أولاده صفحة ١٥ و١٦)

(د) **الروح القدس هو القادر على إيقاف عمل الإنسان العتيق وإبطال سلطان الشهوات والعادات بقوَّة فائقة للعقل**، فهو رجاء الخلاص الوحيد أمام الإنسان المربوط بخطاياه. لذلك ينبِّهنا الآباء من جهة التوسُّل والصراخ واللجاجة بلا هدوء ولا توقُّف ولا ملل حتى ننال هذه القوَّة الفائقة.

يقول القديس أنبا مقار:

[فلنتوسَّل إلى الله إذن أن ينزع منَّا الإنسان العتيق، لأنه هو وحده القادر على نزعه منَّا مع الخطية، لأنهما أقوى منَّا، بحيث أنهما استأسرانا واستعبدانا في مملكتيهما ...

لأن الخطية أصبحت ممزوجة بالنفس، مع أنه لكل منهما ما يختص بطبيعته. ولكن لا يمكن افتراق النفس من الخطية، إلا بأن يرسل الله هدوءًا، ويُسكت الروح الشرير (العامل) في النفس والجسد ... فلنلتمس من الله أن يهب لنا أجنحة حمامة (مز ٥٥: ٦)، أي الروح القدس، لنطير إليه ونطمئن، ويفرِّق عنَّا الروح الشرير، ويقطعه منَّا نفساً وجسداً، لأنه هو وحده القادر على ذلك.] (العظة الثامنة صفحة ١٨)

[لأن بمعصية الإنسان الأول دخل فينا الفساد، وهو فساد أهوائنا الغريب عن طبيعتنا، ولكنه مهما تأصَّل في الطبيعة بطول العادة والأُلفة، **إلا أنه يقتضي أن يُستخرج ثانية بواسطة ضيف طبيعتنا، أي موهبة الروح القدس، لنعود إلى حال النقاوة الأصلية**. ولكن طالما نحن لم ننل محبة الروح السمائي، بالطلبات والتضرُّعات المستديمة، وبالإيمان، والصلاة، والزهد في العالم، **وطالما لم تلتصق طبيعتنا بهذه**

المحبة التي هي الرب (١يو ٤: ١٦)، **فتتقدَّس بمحبة الروح القدس** بعد تدنُّسها بالخطية ثم نستمر بلا عيب إلى النهاية بالاجتهاد في وصايا الرب، فلا يمكننا الحصول على الملكوت السماوي].

[فكما أن الحديد إذا أُلقي في النار، يتحوَّل عنه الجوهر اليابس الذي لطبيعته ويصير ليناً بقدر مقامه في النار، كذلك النفس التي تنكر العالم، وتعلِّق شوقها بالرب بالتفتيش الكثير والكدِّ والجهاد، وتنتظره انتظاراً دائماً بالإيمان والرجاء **حتى تنال النار السمائية ومحبة الروح**، حينئذ تنفك من محبة العالم، وتفلت من كل فساد الأهواء، **وتتغيَّر طبيعتها من يبوسة الخطية**، وتخضع للغريس السمائي بحب شديد لا يوصف.] (العظة الرابعة صفحة ٣٤ و٣٥)

[جميع الذين يُحسبون أهلاً حقًّا **أن يشتركوا في الروح القدس الذي هو المحبوب السمائي**، فإنهم يتجرَّدون بالكلية من حب العالم، ويُغمرون بالشهوة السمائية.] (العظة الرابعة صفحة ٣٥)

[النعمة حينما يلمحها الإنسان من على بُعد يفرح بها، ولكن حينما تدخله القوَّة الإلهية وتمسك أعضاءه كلها وتستأسر قلبه ولُبَّه لمحبة الله، فإنه يتغيَّر ويصير شخصاً آخر.] (العظة السابعة صفحة ٥٩)

[يجدر بالنفس التي تؤمن بالمسيح إيماناً صحيحاً أن تنتقل (كو ١: ١٣) وتتغيَّر من حالتها الفاسدة إلى حالة الصلاح، ومن طبيعتها الدنيئة إلى طبيعة إلهية، **وأن تتجدَّد بقوَّة الروح القدس**، وهكذا تصير أهلاً لملكوت السموات.] (العظة ٤٤ صفحة ٢٨٣)

[فسبيلنا أن نؤمن بمواعيده الفائقة بكل القلب، فإن الذي وعد هو

أمين. لذلك يجدر بنا أن نحب الرب، وأن نجتهد في كل الفضائل بكافة الطرق، طالبين على الدوام وبلا انقطاع أن ننال موعد روحه تاماً كاملاً، لكي تحيا نفوسنا ما دمنا في الجسد، لأنه إذا لم تنل نفوسنا في هذه الحياة تقديس الروح بكثرة الإيمان والصلاة، وتشترك في الطبيعة الإلهية ... فلا تكون أهلاً للملكوت.] (العظة ٤٤ صفحة ٢٨٥)

[لذلك يجب على كل واحد أن **يغصب نفسه على التوسُّل إلى الله، لكي يُحسب أهلاً لنوال كنز الروح القدس السماوي،** حتى يقدر أن يتمِّم وصايا الرب بطهارة، بلا تعب، أو صعوبة، أو عيب، الأمر الذي لا يمكنه أن يتمِّمه بدون كنز الروح حتى ولو بالاغتصاب، لأن النفس إذا كانت محرومة من شركة الروح القدس، كيف تقدر أن تحصل على أعمال وغِنَى الروح؟] (العظة ١٨ صفحة ١٥٣)

ويقول القديس أنبا أنطونيوس:

[الذي يطلب من الرب باجتهاد ومحبة بحسب وصاياه وتعاليمه، فإن الرب يكون معه ويعطيه نعمة الروح القدس ... **والذين استحقوا هذه النعمة، سعوا حسب الوصية بكل قوَّتهم ونيَّاتهم، فقبلوا روح البنوَّة وتعلَّموا من الروح القدس.**

اطلبوا لكي النار التي ألقاها الرب يسوع على الأرض يلقيها في قلوبكم لتستطيعوا أن تتدرَّبوا في عزائمكم وحواسكم.]

(الرسالة الثالثة صفحة ٢٣ و٢٤)

(هـ) **الروح القدس لا يعمل وحده ضد الجسد العتيق داخل النفس**، بل لابد من إرادة مقاومة العالم ومن الجهاد المتواصل، وأن تكون إرادة الإنسان على موافقة تامة مع الروح القدس، وعلى أعلى يقظتها، وإلا يتوقّف عمل الروح القدس ويصير وجوده بلا فائدة.

يقول القديس أنبا مقار:

[وكما أن الطفل الرضيع الذي يأتي إلى هذه الدنيا لا يبقى في قامته الطفولية طول الأيام، ولكنه يكتسب كل يوم نموًّا جديداً حسب النواميس الخفية للطبيعة التي تعمل فيه، إلى أن يبلغ إلى عمر الرجل الكامل وملء الإدراك في خبرة الحياة؛ هكذا أيضاً وبنفس الحال يحدث للذي يولد من فوق بواسطة الماء والروح، فإنه لا ينبغي أن يبقى في الطفولة الروحية ويتوقّف عن النمو، بل ينبغي عليه، بالصراع واحتمال الآلام التي تهاجمه بكثرة، أن يستخدم الصبر ويتقدَّم كل يوم في عراكه المتواصل، إلى أن يصل إلى ملء القامة الروحية التي كتب عنها الرسول: «إلى أن ننتهي جميعنا إلى وحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله، إلى إنسان كامل، إلى قياس قامة ملء المسيح، كي لا نكون فيما بعد أطفالاً مضطربين ومحمولين بكل ريح تعليم، بحيلة الناس، بمكر، إلى مكيدة الضلال، بل عاملين الحق في المحبة، ننمو بكل وسيلة في ذاك الذي هو الرأس المسيح.» (أف ٤: ١٣-١٥)

وفي موضع آخر أيضاً: «ولا تشاكلوا هذا الدهر، بل تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم، لتختبروا ما هي إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة» (رو ١٢: ٢)، حتى تبلغوا منتهى المشيئة الإلهية،

محقِّقين ملء قامة النمو الذي هو فيض الروح. لأن في الولادة الجسدية يصل الطفل إلى ملء النمو بواسطة القوَّة الطبيعية التي تأتي به، من تلقاء ذاتها، إلى قامة الرجل الكامل، حيث يظهر جليًّا أن العناية الإلهية العامة هي التي حدَّدت هذه الغاية دون تدخُّل قط من إرادة الإنسان الحرَّة، لأن إرادة الإنسان لا تدخل في نمو الجسد.

ولكن بالنسبة للولادة من فوق - الولادة حسب الروح - فلا توجد هذه القوَّة التي تعمل بدون جهاد، إنما يلزم هنا تدخُّل الجهد الشاق والصراع والمثابرة والإرادة التي لا تكل، وبالإجمال كل وسائل الجهاد الشخصي، بمقتضى كلمة ربنا «اجتهدوا أن تدخلوا من الباب الضيق» (لو ١٣: ٢٤)، وقوله أيضاً: «لأن ملكوت السموات يُغصب» (مت ١١: ١٢)، وأيضاً: «بصبركم اقتنوا أنفسكم» (لو ٢١: ١٩)، «مَنْ يصبر إلى المنتهى، فهذا يخلص» (مت ١٠: ٢٢). ويقول الرسول: «ولنحاضر بالصبر في الجهاد الموضوع أمامنا» (عب ١٢: ١)، «هكذا اركضوا لكي تنالوا (الإكليل)» (١كو ٩: ٢٤)، وأيضاً: "ما أكثر ما يحتاج خدَّام الله إلى الصبر" (انظر عب ١٠: ٣٦).

إذن، فإنه بالعمل الجاد والجهد الشخصي وبالألم والمعاناة يصل المرء إلى النمو، **فبقدر ما يتقدَّم المرء في ممارسة الوصايا عن حب وحرارة، بنفس هذا القياس تنشئ نعمة الروح الملازمة لجهاد الإنسان تحصيلاً أكبر في التجديد الروحي.** لأنه وإن كان من المؤكَّد أننا بالنعمة والغفران الإلهي نتقبَّل الخلاص، إلا أن هذا أيضاً

هو من عمل الإيمان، والحب، والجهاد، والاستعداد الشخصي، وذلك بالتصميم على النمو والتقدُّم لبلوغ القياس الكامل للقامة الروحية، لأنه بالنعمة والجهاد معاً يتم لنا ميراث الحياة الأبدية.

فليس شيء يتم بعمل القوَّة الإلهية أو النعمة بدون الجهد، وغيرة الإنسان القويَّة التي تشارك بالفعل في تقدُّمه ونموه، كما أنه أيضاً ليس يتم نتيجة العمل الشخصي أو الجهد والغيرة دون مؤازرة الروح القدس وتعضيده Synergy، الذي يجعلنا قادرين على الوصول إلى ملء قامة الحرية والنقاوة: «إن لم يبنِ الرب البيت فباطلاً يتعب البنَّاؤون. إن لم يحفظ الرب المدينة فباطلاً يسهر الحارس» (مز ١٢٧: ١). وأيضاً: «لأنه ليس بسيفهم امتلكوا الأرض ولا ذراعهم خلَّصتهم (مع أنه لابد من الجهاد ومناطحة الأعداء)، لكن يمينك وذراعك ونور وجهك.» (مز ٤٤: ٣)

إذن يلزم الاتحاد الكامل بين القوَّة الإلهية وجهادنا الخاص، وباختصار يعلِّمنا النبي عن أمرين:

الأول: هو أن كبرياء المتَّكلين على ذواتهم يؤدِّي إلى السقوط.

والثاني: هو أن بالإيمان والمحبة، ونحن مستندون على النعمة، نبلغ رجاء الحياة الأبدية.

ما هي إذن هذه الإرادة الصالحة التي يحثنا الرسول على اقتنائها، كل واحد لنفسه، بغيرة لا تفتر ولا تنقطع؟ أليس هي نفسها تلك التي يشير إليها الرب في التطويبات قائلاً: «طوبى للأنقياء القلب، لأنهم يعاينون الله» (مت ٥: ٨)؟ وأيضاً: «كونوا أنتم كاملين

كما أن أباكم الذي في السموات هو كامل» (مت ٥: ٤٨)؟

فالتخلُّص من الخطية هو وعدٌ تحمله لنا هذه الآيات، ولكن على أساس الكف عن شهوات الشرور، وتقديس القلب، بواسطة الشركة مع الروح، الذي يكمِّل ويقدِّس إلى كل ملء الله، كل نفس استسلمت لله عن إيمان وحب.]

(عن الخطاب الكبير المترجم من الفرنسية عن الأصل اليوناني)

ويقول القديس أنبا مقار أيضاً:

[ومرَّة ثانية، يطلب إلى أولئك الذين حُسبوا أهلاً أن يتقبَّلوا روح الموعد في المعمودية، يستحثهم على السعي في التقدُّم قائلاً: «لذلك أنا أيضاً إذ قد سمعت بإيمانكم بالرب يسوع ومحبتكم نحو جميع القديسين، لا أزال شاكراً لأجلكم ذاكراً إيَّاكم في صلواتي، كي يعطيكم إله ربنا يسوع المسيح أبو المجد، روح الحكمة والإعلان في معرفته، مستنيرة عيون أذهانكم لتعلموا ما هو رجاء دعوته، وما هو غِنَى مجد ميراثه في القديسين، وما هي عظمة قدرته الفائقة نحونا نحن المؤمنين.» (أف ١: ١٥-١٩)

ورغبة منه في أن يعبِّر بأكثر وضوح عن شركة الروح واقتنائه، يستطرد مبيناً النموذج الكامل لهذه العطية: «حسب عمل شدَّة قوَّته الذي عمله في المسيح، إذ أقامه من الأموات ...» (أف١: ٢٠) لكي تنالوا أنتم أيضاً الملء حسب قوَّة روحه.]

(عن الخطاب الكبير المترجم من الفرنسية عن الأصل اليوناني)

يقول القديس أنبا مقار:

[إن قوَّة نعمة الله في الإنسان وموهبة الروح القدس، التي تُحسب

النفس الأمينة أهلاً لقبولها، يتبعها جهاد عظيم، وصبر كثير، وطول أناة، وتجارب وبلايا تُمتحن بها إرادة الإنسان بأصناف الشدائد كلها، فإن لم تحزن الروح في أي أمر بل تكون موافقة للنعمة في تكميل الوصايا، فإنها تُحسب أهلاً لأن تُطلق من شدائدها، وتنال ملء تبني الروح، مع ما قيل عنه من سر الغِنَى الروحي والحكمة التي ليست من هذا العالم. وهذه جميعها يشترك فيها المسيحيون العائشون بالحق].

[ولكن **لم يُسمع قط أن أحداً اقتنى نفسه واقتنى روح المحبة السمائي دون أن يبتعد عن أشياء هذا العالم، ويبذل نفسه في حب المسيح** ... جاعلاً عقله كله، وقاصراً اعتناءه وتلهفه، على طلب جوهر النفس العقلي، **منتظراً برجاء كامل مجيء الروح القدس عليه** ...] (العظة التاسعة صفحة ٦٧-٦٩)

[إن النفوس التي تحب الله وتشتهي أن تلبس المسيح بإيمان ورجاء زائد لا تحتاج إلى مَنْ يذكّرها، ولا تكون قط خالية من شهوة المحبة الإلهية ... ولو أنها تصير أحياناً في فراغ (جفاف)، ولكن لأنها تكون مسمَّرة بكليتها في صليب المسيح، فإنها تشعر يوماً فيوماً بحسب اختباري بتقدُّمها الروحاني نحو العريس السمائي، **ولأنها تكون مجروحة بشهوة سمائية وجائعة لبر الفضائل، فإنه يكون لها اشتياق عظيم، لا يخمد، إلى الروح القدس ليضيء عليها.**

وبقدر ما تُحسب أهلاً للمواهب الروحانية، يزداد فيها الشوق الإلهي، الذي يكون قد ملأها اضطراماً، ولا تكف عن تفتيش ذاتها باجتهاد وبلا ملل؛ وبقدر ما تحس بالترقّي

الروحاني، تزداد جوعاً وعطشاً إلى اقتناء النعمة ...

فمثل هذه النفوس التي تحب الرب حبًّا حاراً لا ينطفئ، تستأهل الحياة الأبدية، وتُحسب أهلاً للافتداء من الأهواء الدنيئة، وتنال نورَ الروح القدس بالتمام، وحضورَه الذي لا يُوصف، والشركة السريَّة بملء النعمة.] (العظة ١٠ صفحة ٧١ و٧٢)

[فجميع الذين هم للخدمة، ويفعلون كل شيء ببشاشة وغيرة وإيمان وحب لله، فعملهم هذا يأتي بهم بعد فترة إلى معرفة الحق عينه، لأن الرب ينكشف لنفوسهم والروح القدس يعلّمهم طريقه.] (العظة ١٢ صفحة ٩٥)

[فكل مَنْ شاء أن يرضي الله بالحق وينال منه النعمة السماوية، نعمة الروح القدس، وأن ينمو في الروح القدس، فهو مُطالَب بأن يغصب نفسه إلى وصايا الله كلها، ويُخضع لها قلبه النافر ... ويداوم الصلاة والطلب إلى الله كل حين، حتى وبعد أن ينال رغبته ويذوق الله ويصير شريكاً في الروح القدس ... والروح ذاته يمنحه هذا، ويعلّمه الصلاة الحقيقية، والمحبة الصحيحة، والوداعة الصادقة، التي كان قبلاً يشتهيها ويغصب نفسه إليها ...]

[فلنغصب إذن نفوسنا إلى التواضع العقلي والوداعة والمحبة، حتى ولو لم يكن للقلب إرادة في ذلك، ملتمسين ذلك من الله بالإيمان والرجاء والمحبة بلا انقطاع، بأمل وانتظار أن يرسل روحه إلى قلوبنا، حتى نصلّي إلى الله ونسجد له بالروح والحق، والروح ذاته يصلّي فينا، لعل الروح نفسه يعلّمنا الصلاة الحقيقية التي لا نقدر على تحصيلها الآن بالاغتصاب ...] (العظة ١٩ صفحة ١٦٣)

[فمَنْ أراد يصير شريكاً في المجد الإلهي، وينظر الرب في قوَّة نفسه بوجه مكشوف كما في مرآة، عليه أن يطلب المعونة من الله بشدَّة قوَّته، وبحب لا يخمد، ورغبة لا تتوقَّف، بل ومن كل قلبه ليلاً ونهاراً ... **وهو لا يمكنه أن ينال ذلك، إلا إذا حرم نفسه من لذة العالم، ومن شهوات القوَّة المعادية** (١بط ٢: ١١، يو ٨: ٤٤).]
(العظة ٢٥ الصفحة ١٨٢)

[فلنُصلِّ نحن، إذن، بكامل ثقة الإيمان والحس، لننال روحه القدوس ... حتى لا يعود يتسلَّط علينا خداع هذا العالم الحاضر، بل نكون في ملء ثقة الروح ... ولا نيأس، لأن نعمة الله ترتضي بقبول الخاطئين التائبين ... **فلنأتِ بقلب مستقيم منفصل عن هموم الأشغال، فيعطينا شركة الروح.**

وإرادة الإنسان هي كمعين طبيعي ... **وتمام عمل الروح القدس يستند بكليته على إرادة الإنسان، وكذلك إذا وجَّهنا إليه كل إرادتنا، فإنه ينسب العمل كله إلينا، فإنه إله عجيب في كل الأمور ويفوق كل إدراك.**] (العظة ٣٧ صفحة ٢٥٩)

يقول القديس أنبا أنطونيوس:

[اتفاق الجسد (الأعمال الجسدية من صوم وسهر وضبط حواس) مع النفس في التوبة ضرورة. فإذا نال العقل هذه النعمة، عند ذلك يطلب بالروح القدس، ويبتدئ يطرد عن النفس كل المصاعب التي تأتي عليها من شهوات القلب. **لأن الروح القدس إذا صار للعقل شركة معه، من جهة حفظ الوصايا التي يتعلَّمها، فإنه يرشده لينزع الأوجاع** (الأهواء النفسانية) **عن النفس، الواحدة بعد الأخرى**، التي

تكون قد امتزجت بالجسد، أو التي تكون في النفس خاصة من أعلى الرأس حتى أسفل القدمين:

+ العينان تنظران بطهارة واستقامة، ولا يبقى فيها شهوة غريبة.

+ والأذنان تسمعان بالسلام من جهة كل الخليقة، ولا تحتملان النميمة.

+ اللسان يتكلَّم بالخير وبطهارة ... لأن العقل إذا تقوَّى وابتدأ يأخذ من الروح، فإن اللسان يتطهَّر ويفحص كل كلمة ينطق بها، حتى لا تكون فيها إرادة جسدانية.

+ واليدان لا تعملان بحسب هوى النفس، ولكن الروح يعدُّهما لرفع الصلاة وعمل الرحمة والعطاء، فيتم القول: «إن رَفْع يديَّ كقربان المساء» (مز ١٤١: ٢).

+ والبطن يصير مدقَّقاً ويتحرَّز من المآكل والمشارب، ويتخلَّص من الشهوات والشبع التي تختلط بها قوَّة العدو، والتي تكون قد تسلَّطت على البطن بسبب النفس الشهوانية. لأن كل الذين يطلبون الطهارة، فإن روح الله يهديهم إلى الاستقامة (العفة). وهكذا يتم القول: «فإذا كنتم تأكلون أو تشربون أو تفعلون شيئاً فافعلوا كل شيء لمجد الله» (١كو ١٠: ٣١).

+ والرجلان يضبطهما القلب الذي يكون قد امتلأ بالنعمة، ويحرِّكهما بإرادة الروح القدس لتخدما في الأعمال الصالحة.

+ لأن الذي يطلب الخلاص بالحقيقة ويتمسَّك بالطهارة، **فإن الروح القدس ينزع عنه حركات (الخطية) براحة، والروح القدس يصير ملجأ له وقوَّة، ويطفئ عنه كل الشرور المتحرِّكة عليه. وهكذا يرجع الجسد تحت سلطان الروح القدس.]**

[**فإذا دامت النفس على الصبر، والاستماع الحسن للروح القدس الذي يجتذبها للتوبة، فإن الله يترأف على تعبها** وأتعاب الجسد، الذي هو كثرة الصوم، والسهر، والهذيذ في الكتب المقدَّسة، والصلاة بغير فتور، والخدمة لجميع الناس، بقلب طاهر ومسكنة الروح، وهكذا ينجيها الرب من جميع التجارب ويخلِّصها برحمته.]
(الرسالة الأولى صفحة ١٢-١٤)

[اطلبوا لكي النار التي ألقاها الرب يسوع على الأرض يلقيها في قلوبكم، لتستطيعوا أن تتدرَّبوا في عزائمكم وحواسكم.]
(الرسالة الثالثة صفحة ٢٥)

[وروح الله لا يسكن في نفس أو جسد خاطئ، لأنه قدوس وبعيد عن كل غش.] (الرسالة الرابعة صفحة ٢٧)

[إن كل مَنْ لا يبغض ما يختص بالأرض وكل أعمالها من كل قلبه، ويرفع عقله إلى العُلا نحو الآب، فلا يستطيع أن يخلُص. أما مَنْ استطاع ذلك، فالرب يترأَّف على أتعابه، وينعم عليه بالنار غير المنظورة غير المادية، لتحرق كل الأوجاع التي فيه وتطهِّر عقله، وعند ذلك يسكن فيه الروح القدس، ويكون معه.] (الرسالة الخامسة صفحة ٢٩)

[إن محبة الرب تتعاهد ضمائرنا، وتساعد كل الذين قد جعلوا أفكار قلوبهم مرتبطة بتذكار كنيسة الأطهار ليل نهار، **هؤلاء يكون الروح القدس مذكِّراً لهم دائماً، يطلب عنهم، لأنهم قد صاروا له أولاداً، لأنه هو ولدهم بالله.**] (الرسالة الثانية عشر صفحة ٦٢)

[إن كل إنسان، رجلاً كان أو امرأة، فيه قوَّة محبة كائنة للحركة،

إما جهة الإلهيات وإما جهة الجسديات، فالإلهيون يحبون اللاهوتية، والجسديون يحبون الجسديات، **أما أنتم فبسبب أن اللاهوتية فيكم، فإني أحبكم بكل قلبي وروحي لاقتنائكم الله فيكم.** وقد صرتم عندي في مكانة عظيمة، ولذلك أطلب من أجلكم لكي **تزدادوا في محبته لتنمو اللاهوتية فيكم.**] (الرسالة الثالثة عشر صفحة ٦٥)

(و) **عدم الإذعان للروح القدس خسارة عظيمة**، وأي مقاومة أو عناد يُنهي بسرعة على حالة النعمة التي يكون فيها الإنسان، حيث يدخل الإنسان في تأديب مُرٍّ، ويذوق معنى التخلّي وهجران النعمة، تلك التي توقعنا في يد الشيطان. علماً بأن الاستمرار في معاندة الروح القدس، وإهمال إنذاراته، قد ينتهي بهجران لا عودة فيه، وسقوط نهائي من النعمة.

يقول القديس أنبا مقار:

[فسبيلنا أن نجتهد، وبغاية التبصُّر نسعى في عمل خلاصنا، بخوف ورعدة، **ومهما كنتم أنتم الذين صرتم شركاء في روح المسيح، فلا ترتفعوا في نفوسكم على أي وجه، سواء كنتم أدنياء أو عظماء، ولا تتكبَّروا على النصيحة، ولا تعاندوا روح النعمة، لئلا تُنْفَوا من الحياة التي كنتم شركاء فيها.**] (عظة ١٢ صفحة ١٠٣)

[**سؤال: هل يسقط مَنْ له موهبة النعمة؟**

جواب: إن اتِّبع الإهمال يسقط لا محالة، لأن أعداءنا لا يتوانون في إثارة الحرب علينا (١بط ٥: ٨) ولا يتوقّفون (عن المقاومة) قط.

سؤال: هل تبقى النعمة في الإنسان بعد سقوطه؟

جواب: الله يشاء أن يعود الإنسان إلى الحياة، وينصحه بأن يعود ثانية إلى البكاء والتوبة، فالنعمة تبقى لتجعلك محصناً بزيادة، بتوبتك عن الأشياء التي ارتكبتها.] (العظة ١٥ صفحة ١٠٩)

[فها قد ترى أن الذين قد تجدَّدوا وذاقوا الموهبة السماوية يسقطون، لأن الإنسان له إرادة لإرضاء الروح، وإرادة لإحزانه.]
(العظة ٢٧ صفحة ٢١٣)

[أولئك أيضاً الذين ذاقوا نعمة الله، وصاروا شركاء الروح القدس، إن لم يصونوا أنفسهم صيانة تامة، فإن النور ينحجب عنهم انحجاباً كاملاً ويصبحون أشر مما كانوا عليه أولاً في حال دينونتهم، وليس أن الله هو الذي تحوَّل أو ضعف أو أن الروح ينطفئ، بل الأشخاص ذواتهم لا يوافقون النعمة فيُطرحون ويقعون في مصائب ... «أَبَعْدَ ما ابتدأتم بالروح تُكمَّلون الآن بالجسد» (غل ٣: ٣).] (العظة ١٥ صفحة ١٢١)

ويقول القديس أنبا أنطونيوس:

[إذا تسلَّحت النفس بالصبر الدائم والشهادات التي من أنفاس الله، فإن الروح القدس يرشد العقل إلى تطهير النفس والجسد كليهما **... فإن غفل الإنسان عن هذه الشهادات والتعاليم التي سمعها، فحينئذ تقوى عليه الأرواح الرديئة، وتنجِّس جسده، وتشكِّكه في كيف تأتي إليه المعونة.**] (الرسالة الأُولى صفحة ١٢ و١٣)

[لأن بولس الرسول يقول: «لا تطفئوا الروح» (١تس ٥: ١٩) ... واعلموا يا أولادي أن الروح لا ينطفئ منَّا، إلا بالكلام الباطل، والمزاح، وأعمال أُخر كثيرة لا يمكن أن أكتبها واحدة

فواحدة.] (الرسالة الحادية عشر – ص ٦١)

[وأنا أبوكم، أجتهد أيضاً معكم، وأطلب من أجلكم، **لكي تقبلوا هذا الروح**، لأني أعرف أنكم كاملون **وقادرون على قبوله**. لأن كل مَنْ يفلِّح نفسه بهذه الفلاحة، فإن الروح يُعطَى له في كل جيل وإلى الأبد – **وأعرف أُناساً قبلوه، ولما لم يكمِّلوا هذه الفلاحة، لم يثبُت فيهم.**] (الرسالة الثامنة صفحة ٥٠ و٥١)

(ز) **إن وجود الروح القدس في النفس لا يمنع حصول التجارب والأحزان والضيقات المتنوِّعة، بحسد الشيطان**، بل إن الروح القدس يستخدمها لمصلحة النفس، وتنمية إيمانها، وترسيخها في المحبة. لذلك ينذرنا الآباء بشدَّة، أن لا نرفض التجارب، أو نحزن لمقاومة الشيطان لنا، بل بالحري نزداد عناداً وثباتاً ورجاءً، حتى يفرح بنا الروح القدس، ويحارب عنَّا، ثم يُدخلنا الراحة الأخيرة.

يقول القديس أنبا مقار:

[**إن قوَّة نعمة الله في الإنسان وموهبة الروح القدس التي تُحسب النفس الأمينة أهلاً لقبولها، يتبعها جهاد عظيم**، وصبر كثير، وطول أناة، وتجارب وبلايا، تُمتحن بها إرادة الإنسان بأصناف الشدائد كلها، فإن لم تحزن الروح في أي أمر، بل تكون موافقة للنعمة في تكميل الوصايا، فإنها تُحسب أهلاً أن تُطلَق من شدائدها، **وتنالَ ملءَ تبني الروح**، مع ما قيل عنه من سر الغِنَى الروحي، والحكمة التي ليست من هذا العالم، وهذه جميعها يشترك فيها المسيحيون العائشون بالحق]. (العظة التاسعة صفحة ٦٧ و٦٨)

[إن حرية الإرادة التي في قدرة الإنسان محصورة ومحدودة في

مقاومة الشيطان فقط، وليست لها قدرة السيطرة على الشهوات مطلقاً، لأن داود النبي يقول: «إن لم يبنِ الرب البيت فباطلاً يتعب البنَّاؤون، وإن لم يحرس الرب المدينة فباطلاً يسهر الحارس» (مز ١٢٧: ١). لأنه لا يمكن لأحد أن يمشي على الحية ويدوس الأسد والتنين، إلا إذا جاهد أولاً في تطهير نفسه، ثم نال قوَّة من القائل: «ها أنا أعطيكم سلطاناً لتدوسوا الحيات والعقارب وكل قوَّة العدو» (لو ١٠: ١٩). **لأنه لو كانت الطبيعة البشرية قادرة على أن تقاوم مخاتلة الشيطان بدون سلاح الروح القدس الكامل، ما كان الرسول بولس قد قال: «وإله السلام سيسحق الشيطان تحت أرجلكم سريعاً»** (رو ١٦: ٢٠)، وأيضاً: «يبيده الرب بروح فمه» (٢تس ٢: ٨). ولهذا أمرنا المسيح أن نطلب من الله: «لا تدخلنا التجارب **لكن نجنا من الشرير»، فإن لم يكن لنا عون آخر عال نخلص به من سهام الخبيث المتوقدة ونُدعى به للبنوَّة، فكل سيرتنا لن تجدي نفعاً.**] (العظة ٢٥ صفحة ١٨١)

[النفس إذا كان لها إقامة في شركة الروح القدس، فإن طول إقامتها في نار الروح ونوره الإلهي يحصِّنها ضد أيَّة مضرَّة من أي روح شرير، لأنه إذا اقترب من النفس فإنه يحترق بنار الروح السمائي.] (العظة ٣٠ صفحة ٢٣٣)

[ومتى صار قلب الإنسان وكأنه قد ذبل (بالتجارب)، وكاد يعثر في كل تجارب العدو، حينئذ يرسل الله، محب البشر والمعتني بخليقته، **قوَّة مقدَّسة، ويثبِّته، ويُخضع قلبه ونفسه وجسده وكل أعضائه إلى نير الباراقليط.** لأنه هو قد قال: «احملوا نيري عليكم

وتعلَّموا مني، لأني وديع ومتواضع القلب» (مت ١١: ٢٩)].

[ومتى تجرَّب بكل أنواع (التجارب)، **فإن الروح القدس يبدأ يعلن له الأشياء السمائية**(٤)، أي كل ما يعود بالاستحقاق والعدل على القديسين، وعلى كل الذين وضعوا رجاءهم في رحمته.]
(الرسالة إلى أولاده: ١١ و١٣)

ويقول القديس أنبا أنطونيوس:

[فإذا دامت النفس على الصبر والاستماع الحسن للروح القدس الذي يجتذبها للتوبة، فإن الله يتراءف على تعبها وأتعاب الجسد، التي هي كثرة الصوم، والسهر، والهذيذ في الكتب المقدَّسة، والصلاة بغير فتور، والخدمة لجميع الناس، بقلب طاهر ومسكنة روح، وهكذا ينجيها الرب من جميع التجارب ويخلِّصها برحمته.] (الرسالة الأولى صفحة ١٦)

[وتشبه النفس، التي تسكنها نار الله وحرارة الأعمال الصالحة التي اشتعلت بها قلوبهم - تشبه طيراً ذا جناحين يطير بهما مرتفعاً في السماء ...، **فأجنحة النفس المتعبِّدة لله هي قوَّة نار الله التي تطير بها النفس إلى العُلا، فإذا عدمت هذه النار، لا يصير لها استطاعة للارتفاع كالطير الذي نُزع جناحه!!** ...

فلا تَدَعوا قوَّة هذه النار تُنزع منكم، لأن حروباً كثيرة كائنة لكم من الشيطان لأجل هذه النار المعطاة لكم من الرب لكي ينزعها منكم، لأنه يعلم أنه لا قوَّة له عليكم، مادامت نار الله

(٤) لذلك يسميه الآباء روح الاستعلانات.

فيكم ... لهذا يقاوم بشدَّة النفوس المتعبدة لله عبادة حسنة، بأوجاعٍ كثيرة، يلقيها في النفس ليطفئ هذه النار التي هي قوام كل فضيلة؛ فإذا انغلب الشيطان وارتد خائباً، فإن روح الله يسكن فيهم، وإذا سكن الروح القدس فيهم، يريحهم من جميع أعمالهم (جهاداتهم ضد الخطية)، ويجعل نير الله حلواً لديهم جدًّا، ويجعل فرح الله فيهم نهاراً وليلاً، ويربِّي عقولهم ويغذيها!!

ولأجل محبة ربنا للبشر، يطلق على محبيه تجارب مضادة، حتى لا يتعظَّم قلبهم، بل يثبتوا في الجهاد، وحينئذ يصير بدل القوَّة ثقل وضعف، وعوض الفرح حزن، وعوض الراحة والهدوء قلق، وعوض الحلاوة مرارة، **وبكثير مثل هذه يصاب مُحبُّ الله، فإذا تقوَّى في الجهاد وغلب، فإن روح الله يكون معه في كل شيء ويقوِّيه!!]**

(الرسالة الثامنة عشر صفحة ١٠٥ و١١٢)

[لأن التجارب لا تأتي بقوَّة إلا على الذين قد قبلوا الروح القدس، لأنهم عند قبولهم الروح، تأتي عليهم التجارب من الشيطان، لكون **الروح القدس يطلقها عليهم،** لأن الشيطان ليس له سلطان أن يغصب أحداً من المؤمنين إلا أن يُعطى ذلك من جهة الروح القدس.] (الرسالة التاسعة عشر صفحة ١١٤ و١١٥)



ثالثاً: الروح القدس يختم النفس بخاتم العهد ويعطيها ميثاق الروح

وهكذا بعد أن يجتاز الروح القدس بالنفس كل الاختبارات اللازمة لخلاصها، وتحتمل التجربة بصبر وطول أناة، يزكيها الروح القدس ويملأها من خمره الجديدة، ويضع على رأسها إكليل البر، فتحس النفس بنهايتها السعيدة، كما أحس بولس الرسول، وتشهد الشهادة الأخيرة الحسنة، فلا تكف عن التسبيح والترتيل والشكر.

يقول القديس أنبا مقار:

[كذلك النفس التي تستنير بحسن المجد الذي لا يوصف، حسن مجد النور الذي لوجه المسيح، وتشترك في الروح القدس بالكمال، وتُحسب أهلاً لتكون مسكناً لله وكرسياً له، حيث تصير كلها عيناً وكلها نوراً وكلها وجهاً وكلها مجداً وكلها روحاً، والمسيح نفسه قائدها وسائقها وحاملها وساندها، ويد الإنسان (المسيح) من تحت الكروب يقودها بزمام الروح ويهديها في الطريق.]
(العظة الأُولى صفحة ٨)

[كذلك **النفوس المقدَّسة، تنقاد وتهتدي في طريقها بروح المسيح**، إذ يرشدها إلى حيث يشاء، فإن شاء أقامت في التأملات السمائية، وإن شاء لبثت في الجسد (الأعمال)، وإن شاء لازمته في خدمته. لأنه كما أن أجنحة الطائر هي له بمنزلة الرجلين، كذلك نور

الروح السمائي، فهو يتخذ من الأفكار المناسبة أجنحة للنفس، **ويهدي الطريق أمامها، ويوجهها حيث يستحسن هو.**] (العظة الأُولى صفحة ١٤)

[ريح الروح القدس الذي ينسم على النفوس، **وينعش الذين هم في النور الإلهي**، وينفذ في جوهر النفس كله وأفكارها، وكذلك **يروِّح ويرطِّب أعضاء الجسد براحة إلهية لا توصف.**]
(العظة الثانية صفحة ٢١)

[أما طرق عمل الروح القدس في النفس فهو تارة يعطيها أن تفرح **فرحاً لا يوصف**، وتارة يجعلها **كعروس تتنعَّم بألفة عريسها** بملذات إلهية، وتارة يجعلها تكون **كالملائكة بالخفة** غير منحصرة بالأمور الأرضية، وتارة يجعلها **تسكر بالروح بالأسرار الإلهية**، وأحياناً تصير حاملة لهموم كل جنس البشر، تندم عنهم، **وتتشفَّع في ذرية آدم، حيث يلتهب فيها الحب من جهة الطبيعة البشرية**، فتنوح وتولول عليها، وأحياناً يتقد فيها فرح الروح لمحبة الإنسان، دون أن تفرِّق بين الجيد والرديء، وأحياناً **تتضع جدًّا بالروح، لتعيش تحت كل شخص، حاسبة نفسها أقل وأدنى من الكل. وأحياناً تحارب بأسلحة الروح، كبطل يهجم على أعدائه، ويقاتلهم بحرارة ويظفر بهم، وأحياناً تستريح النفس**، وتصير في هدوء عظيم وسكون وصمت، منهمكة بملذات روحانية، وأحياناً تعلِّمها النعمة بفهم وحكمة لا توصف، بمعرفة الروح الفائقة].

[**وهكذا، ليس لفاعلية الروح القدس في النفس انقطاع، بل من فعل إلى فعل**، حتى تصل النفس إلى كمال الروح، ويتم تطهيرها من

أهوائها الفاسدة، وتتحد بالروح المعزِّي بأُلفة لا توصف، وتختلط بالروح تماماً، وتُحسب النفس أهلاً لأن تصير روحانية في ذاتها بهذا الاختلاط.] (العظة ١٨ صفحة ١٥٦ و١٥٧)

[النفس التي لا يكون **مطبوعاً عليها صورة الروح القدس السمائي بالنور الذي لا يوصف**(٥)، فإنها لا تليق بالأمجاد السماوية، لأن الذي دُعي إلى الوليمة وليس عليه لباس العُرس طُرد خارجاً، لأنه **لم يكن حاملاً للصورة السمائية، لأن هذه هي علامة الرب وختمه المختوم على النفس – أي الروح القدس بنوره غير الموصوف.**]
(العظة ٣٠ صفحة ٢٣٢)

[قد أتى ربنا يسوع المسيح **ليحوِّل ويجدِّد ويخلق ثانية النفس** التي انعكست بالشهوات الدنيئة والمعصية، **بحيث أنه يمزجها بروحه الإلهي، ليصنع لها عقلاً جديداً، وعيوناً جديدة، وآذاناً جديدة، ولساناً جديداً روحانيًّا**، وبالاختصار يصير المؤمنون به بشراً جديداً، وإناءً جديداً، **بعد أن يمسحهم بنوره، ليصب فيهم من الخمر الجديد، أي روحه القدوس**، كما قال إن الخمر الجديدة توضع في زقاق جديدة (مت ٩: ١٧).] (العظة ٣٧ صفحة ٢٨٠)

[والروح القدس يعين هؤلاء، ويصونهم ويرشد أنفسهم إرشاداً محسوساً به. **كذلك فإن الروح القدس يلهم القديسين والأشخاص الموشَّحين به التسبيح، والترتيل، والصلاة لله بنقاوة قلب.**]
(العظة ٤٧ صفحة ٣٠٠ و٣٠٢)

---

(٥) ويُرمز إليها بالهالة المنيرة التي تُرسم حول رأس القديسين.

[ومتى صار قلب الإنسان وكأنه قد ذبل (بالتجارب)، وكاد يعثر في كل تجارب العدو، حينئذ يرسل الله، محب البشر والمعتني بخليقته، قوَّة مقدَّسة، ويثبِّته، **ويُخضع قلبه ونفسه وجسده وكل أعضائه إلى نير الباراقليط، لأنه هو قد قال: «احملوا نيري عليكم وتعلَّموا مني، لأني وديع ومتواضع القلب»** (مت ١١: ٢٩).] (الرسالة إلى أولادة ١١)

[ومتى تجرَّب بكل أنواع (التجارب)، فإن الروح القدس يبدأ يعلن له الأشياء السمائية، أي كل ما يعود بالاستحقاق والعدل على القديسين، وعلى الذين وضعوا رجاءهم في رحمته.] (الرسالة إلى أولاده ١٣)

[وبعد هذا كله يقطع الباراقليط عهداً مع نقاوة قلبه وثبات نفسه وقداسة جسده وتواضع روحه، فيجعله يتجاوز كل الخليقة. ويعمل فيه الروح القدس، بحيث أن فمه لا يتكلَّم بأعمال الناس، ويرى المستقيم بعينيه، ويضع حارساً لفمه، ويرسم طريقاً مستقيماً لخطواته، ويقتني برَّ يديه، والمثابرة في الصلاة مع تعب الجسد والسهر المتكرِّر. **هذه الأشياء يرتبها الباراقليط فيه بقياس إفراز، وليس بتشويش، بل بهدوء.]** (الرسالة إلى أولاده ١٤)

ويقول القديس أنبا أنطونيوس:

[اعلموا يا أولادي الأحباء بالرب، **أن الروح القدس أزلي سرمدي، يفوح رائحة زكية حلوة، لا توصف بلسان، كما قيل. مَنْ هم الذين عرفوا لذَّة الروح وحلاوته، إلا الذين استحقوا أن يحل فيهم. وهذا معلوم أن كثيرين لم يستحقوه، لأن روح التوبة لا يسكن في نفوس**

الروح القدس الرب المحيي ج ٩ ج١

التائبين إلا بعد أتعاب كثيرة جداً. فإذا سكن فيها، يسلمها الـــروح القدس، ويحل فيها].

[وأيضاً الروح القدس لا يسكن في نفس متكبِّرة، بـــل في أنفـــس المتواضعين، الذين أفكارهم جميعها في الكمال. فإذا سكن في هؤلاء هذا الروح، فإنهم يرسلون للرب شكراً عظيماً وتمجيداً أكثر، لأنهم استحقوا حلول الروح القدس فيهم.]

(الرسالة التاسعة عشر صفحة ١١٢ و١١٣)



الفصل الثاني

الروح القدس في تعاليم القديس مار إسحق

إن تعليم مار إسحق في جملته يُعتبر امتداداً لتعليم القديسين الذين سبقوه، حيث يقرِّر ذلك في كتاباته النسكية التي تركها، معتبراً نفسه تلميذاً لَمَنْ سبقوه، وبالأكثر للقديس أنبا مقار الكبير. وهو يذكر أنه يستقي معرفته بتدقيق من كتاب أنبا مقار الذي كان بين يديه (وهو مفقود الآن).

ومار إسحق يُعتبر من القديسين القلائل الذين تركوا لنا منهجاً متكاملاً في الحياة النسكية. وقد خصَّ الروح القدس وعمله داخل النفس بجزء كبير من تعاليمه وإرشاداته، التي ضمَّنها كتبه الأربعة المعروفة. ونحن نقدِّمها مع تعليقات بسيطة قبل كل قول، عسى أن تجد منفذاً لقلب القارئ، فتحرِّك نفسه لاقتبال هذه النعمة الفائقة القدر.

(١) الصلاة وعمل الروح القدس

الجزء الأول: الميمر الأول:

(أ) الصلاة ومعونة الروح – "النعمة هي الملكوت":

+ الصلاة إذا كانت بدافع الحب الإلهي تشجِّع الضمير وتُلبس العقل قوَّة، ومنها يتكوَّن الرجاء الذي يلهب الضمير، ويجعل المجاهدين يصبرون على كل الضيقات وكل شرور الأرض، ويستهينون بها

إزاء الخيرات الموعود بها. وعلى هذا المنوال تظل النعمة وقوَّة الروح تشجِّع الضمير من وقت إلى وقت، ويراها كما في مرآة.

+ والصلاة الكاملة تنير الطريق الضيِّق الصاعد فوق هذا العالم وترفع النفس نحو السماء. وبالصلاة تنحدر (تنسكب) النعمة، هذه التي تسمَّى الملكوت.

+ والإحساس بالنعمة يجعل الإنسان ينسى كل ما على الأرض، حيث يتأكَّد الإنسان أن القوَّة هي من الله، وبينما الإنسان على الأرض، تكون سيرته في السماويات. ويحس الإنسان أن له مقويًّا ومعيناً سمائيًّا غير منظور يعضده في كل وقت ويرفع الإنسان فوق طبيعته.

الجزء الأول: الميمر الثاني:

(ب) المجاهدة في الصلاة بتغصُّب والحصول على النعمة ومعونة الروح القدس:

+ اغصب نفسك قليلاً، وأنت تجد نعمة عند الله.

لأنك بقدر ما تغصب ذاتك في الصلاة، تقترب منك المعونة الإلهية، وتأخذ قوَّة من الروح القدس الخفي.

(ج) تكريم الصلاة وتوقيرها يؤهِّل للحصول على النعمة وعلى عمل الروح القدس:

+ بقدر الكرامة التي يقدِّمها الإنسان لله في الصلاة بحركات الجسد وبالضمير معاً، تأتيه نقاوة الحركات واستضاءة، ويؤهَّل لنعمة كثيرة من العلاء بتدبير الله.

+ الاهتمام بوقار الصلاة ورفع اليدين ووقوف متعفِّف وسجود منسحق، هذه تُعتبر زي الصلاة الحسن، وبقدر ما يزيِّن (الإنسان)

نفسه بهذا الزي، فإنه يؤهَّل سريعاً لعمل الروح القدس.

+ إذا لم نوافق الأفكار والمناظر التي تتشكَّل في فكرنا وقت الصلاة وقاتلناها (بنشاط)، فإن النعمة تؤازرنا.

(٢) الجهاد وعمل الروح القدس

الجزء الأول: الميمر الثاني:

+ **لا تصدِّق يا أخي أنه بدون جهاد الأعمال يمكن أن ينعتق الإنسان من الآلام (الشهوات المريضة) أو يشرق عليه نور النعمة.** لأننا رأينا أنه لا تُعطَى المواهب إلا لأشخاص محبين للجهاد (عمَّالين) قد تعرَّوا من الإنسان العتيق.

(٣) جهاد الفضيلة يؤهِّل لفعل الروح القدس

الجزء الأول: الميمر الثالث:

+ فضيلتان تؤهِّلان الإنسان لموهبتين:

الصلاة بغير فتور ولا طياشة، مع هدم لمح أفكار الشهوات (الآلام) ومجاذبات الشياطين حال ما تظهر في الفكر أو يحس بها القلب. هاتان الفضيلتان تلدان وتمنحان موهبتين إلهيتين، تشملان جميع مواهب الروح الأخرى، ويعتبرهما الأب إشعياء (الإسقيطي) أنهما تفوقان كافة الفضائل لأنهما أرفع منها جميعاً. هاتان الموهبتان هما:

الأولى: حركة روحانية داخل النفس تتأجَّج بنار الروح القدس لحب الله الكامل.

والثانية: رؤية نور مجد المسيح. «بنورك نعاين النور» (مز ٣٦: ٩).

(٤) الجهاد ضد الأفكار الشريرة وعمل الروح القدس

+ إذا تجلَّد المتوحِّد وثبت في السكون و لم يرتخِ في الجهاد، يبتدئ يجد الراحة قليلاً قليلاً وتعينه النعمة على الدوام، وتطرد الشياطين من أمامه **بفعل ومشورة الروح القدس "اللاصق به"**.

(٥) الجهاد بالأعمال الجسدية وعمل الروح القدس

الجزء الأول: الميمر الرابع:

+ كما أنه لا يستطيع إنسان أن يشعل النار المادية المنظورة من دون نوع من أنواع الوقيد، هكذا **من دون العمل المحسوس بالجسد لا يؤهَّل الإنسان لنار النعمة الإلهية في قلبه، ولا يمكن أن يقتني حرارة الحب الإلهي ومعرفة الله.**

(٦) احتمال الضيقات وعمل الروح القدس

+ الذي يُشقي ذاته من أجل الله **ويجاهد وهو خائف من الخطية يستحق أن يرى عجائب الله.** لأن المتضايق من أجل الله يحمله الله على كفِّه أينما كان؛ ولا يدنو منه شر بنوع التجربة إلا لكي يُظهر الله عنايته به! كما يقول القديس باسيليوس: **[مَنْ ذا الذي نال روح الله بالاتساع وكثرة المآكل!]**.

(٧) احتقار أباطيل العالم ومحبة الآخرين يلازمهما الروح القدس

+ **كلما يُهان العالم عندك، تزداد فيك المحبة نحو الآخرين، ويلازم هذا نعمة الروح القدس.**

وكلما ازداد فيك التمسُّك بالعالم، نقصت فيك محبة القريب.

(٨) من احتمال التجارب، يؤهَّل الإنسان لعناية الروح القدس

+ مَنْ يقرب باب الكتب بحكمة، باب الفضيلة ينفتح أمامه، ومَنْ يدخل باب الفضيلة، باب التجارب ينفتح عليه.

مَنْ يدخل باب التجارب من أجل الله، تحيط به عناية الله وتلتصق به الملائكة.

ومَنْ يصبر على المجاذبات التي تصادفه في هذا الباب، يؤهَّل لعناية الروح القدس.

(٩) الاتضاع يحرِّك الروح القدس

+ **إذا لم يتضع الإنسان لا تقترب منه المعونة الإلهية.**

لأن نعمة الله قائمة عن بُعد تراقب الإنسان على الدوام خصوصاً وقت الصلاة، فإذا تحرَّك فيه فكر اتضاع تقترب منه النعمة في الحال ومعها ربوات من المعونات. **وهذه تُمنح وقت الصلاة أكثر من بقية الأوقات.**

(١٠) السؤال بالليل والنهار بدموع يؤهِّل لعطية الروح القدس

+ **الذي يقف أمام الله بالليل وبالنهار يسأل الله غفران خطاياه بدموع وحزن، يجود عليه بقوَّة الروح القدس لكي يَكْمُل في محبته ويحفظ وصاياه.**

حتى وإذا لم يكن قد استحق بعد لدموع النعمة، وحتى ولو امتنعت عليه **دموع ندم النفس**، فإن حزن قلبه وندامة ضميره تقوم له بدل الدموع، ولكن على أن لا يهدأ من الصلاة والطلبة.

(١١) ترتيل المزامير والامتلاء من الروح القدس

الجزء الأول: الميمر السادس:

+ **الذي يداوم ترتيل المزامير، بدون طياشة، يمتلئ من الروح القدس.**

(١٢) الصلاة بحرارة الروح تحرق الشهوات والأفكار

+ **حرارة الصلاة والهذيذ بالله تحرق الآلام** (الشهوات المريضة)، والأفكار الشريرة كما بنار إلهية.

(١٣) الثبوت الدائم في الصلاة والروح القدس

الجزء الأول: الميمر السابع:

+ **اثبت في الصلاة** أكثر من أية خدمة أخرى، **لتنال دالة ...، ومعونة من النعمة وقوَّة إلهية تحل عليك.**

(١٤) إذا كثرت النعمة تزداد جرأة الإيمان

الجزء الثاني: الميمر الأول:

+ **إذا كثرت النعمة في الإنسان،** أحب البر والتقوى، وهان عليه الموت في سبيلهما ولا يعود يبالي بمؤذيات الجسد، مهما بلغت، لأنه يقيسها مقابل الراحة المزمعة.

(١٥) سُكنى الروح القدس والتعزية بالتجارب

الجزء الثاني: الميمر الأول:

+ **إذا سكن الروح القدس النفس، فإنه لا يعزيها بالاسترخاء والراحة؛ بل بالتعب والضيقات الدائمة، يعلّمها وينشّطها ويحكّمها للمعرفة،** لأن إرادة الروح القدس أن يكمِّل بالآلام والأتعاب تدبير محبيه، أما الذين يسعون وراء حياة الراحة، فهؤلاء ليس روح الله يسكن فيهم

بل روح الشيطان، هوذا بولس الرسول يفتخر أنه كان يموت كل يوم. وهذا الأمر هو الذي يفرز ويفصل ما بين بني الله وبني العالم، فبنو الله بالأتعاب يعيشون أما بنو العالم فبالراحة والتنعيم.

(١٦) القراءة المستنيرة تؤهِّل لعمل الروح القدس

الجزء الثاني: الميمر الخامس:

+ المبتدئون في السيرة الروحانية إذا كان قصدهم مستقيماً، فإنهم إذا ابتدأوا بالقراءة فإن النعمة تبتدئ تعمل معهم.

(١٧) الروح القدس يعمل في الصلاة الحارة النقية

الجزء الثاني: الميمر السادس:

+ **ليس هناك وقت أقرب وأوفق لعمل الروح القدس من وقت الصلاة.** لأن فيها يتكلَّم الإنسان مع الله، وفي هذا الوقت حيث التضرُّع والطلب تكون حركة النفس والفكر مُنجمعة إلى الله شاخصة فيه، فيُبتلع الضمير بالكلام مع الله. في هذا الوقت يبتدئ الروح القدس يجود على النفس، بمعرفة، حسب درجة الإنسان.

(١٨) الروح القدس الباراقليط وقوَّة الإيمان المعزِّي

الجزء الثاني: الميمر الثامن:

+ **الإيمان هو نور يشرق داخل النفس، بعمل النعمة،** وبشهادة الضمير يستند القلب، فيثق بالرجاء بيقين، بدون انقسام أو أي ظن، وليس من التقليد أو سماع الأذن. والقديسون **بقوَّة الإيمان** يتدبَّرون بتنعُّم ... **وقوَّة هذا الإيمان التي تحل عليهم في كل وقت وكل مكان هي هي من الباراقليط.** وبهذه القوَّة - أي الباراقليط

- تشتعل كل النفس كما من حرارة النار، وتجسر على الأشـــياء الخطرة بثقتها بالله واتكالها عليه.

(١٩) عمل الروح القدس المفاجئ

الجزء الثاني: الميمر التاسع:

+ **إن النعمة قد تفتقد الإنسان "بغتة"**، فتفيض أحياناً الدموع من عينيه بغير توقُّف، أو يمتلئ من حزن توبة حاد يتحرَّك في القلب، أو فرح بغير سبب واضح، أو بلذة السجود الكثير (الميطانيات).

(٢٠) الروح القدس وحزن التوبة

الجزء الثاني: باب مشورات مفيدة:

+ **لا تظن أنه من دون النعمة الإلهية يمكن أن يقع حزن التوبة في القلـــب،** لأنها موهبة يقبلها الإنسان خفيًّا برحمة الله للانجذاب إلى الحياة.

(٢١) تبادل مستمر بين عزاء الروح القدس وبين التخلية والأحزان والقتالات

الجزء الثاني: باب مشورات مفيدة:

+ هذا الأمر كتب عنه القديس أنبا مقار بعناية كـــثيرة واهتمـــام، لتذكرة الإخوة وتعليمهم، لئلا يسقطوا في قطع الرجـــاء وقـــت انقلاب العزاء إلى الضد.

قال أبًّا مقار:

[التقلُّب يحدث لكل إنسان كتقلُّب الرياح، في وقت برد، وبعـــد قليل حرارة. **وهذا إنما يكون لتدرُّجنا في الطريق وتدّريبنا: وقـــتٌ قتالٌ ووقتٌ معونة من النعمـــة**، وقتٌ تدخل النفس في ألم مفـــسد

وتتواثب عليها أمواج صعبة؛ ثم يحدث التغيير وتفتقدها النعمة، فتملأ القلب فرحاً وسلاماً من الله وأفكاراً عفيفة صالحة - وهنا يشير القديس أنبا مقار بقوله: "أفكار عفيفة صالحة" إلى أن ما قبلها كانت بالضرورة أفكاراً وحشية نجسة - (التعقيب هنا لمار إسحق). ثم إذا تواترت هكذا العوارض من صالح إلى ما هو ضدَّه لا تَضعفْ وتقصِّرْ وتقطع الرجاء. كما أن في وقت افتقاد النعمة لا تفتخر بل بالحري في وقت الفرح انتظر الضيقة - وقول القديس أنبا مقار: "لا تقصر وتقطع الرجاء وقت تواتر الضيقة" ليس معناه أن نقعد ولا نحارب قبالة الضيقة - (التعقيب هنا لمار إسحق). أما الذي يتخلَّف عن هذا فهو يكون من نصيب الذئاب.] انتهت رسالة أنبا مقار.

ويستمر تعقيب مار إسحق هكذا:

+ يا للعجب من هذا القديس أنبا مقار - كيف بكلمة صغيرة حصر هذا الفصل الكثير من المفهومات والمعاني، فاستطاع أن يطرد الشك بالتمام من فكر القارئ عندما قال: "المتخلِّف عن هذا هو من نصيب الذئاب"، ويقصد بذلك الذي يريد أن يسلك وحده في طريق لم يَسِر فيها الآباء القديسون.

+ وفي موضع آخر يقول القديس أنبا مقار: [إذا دَنَت منَّا الملائكة القديسون، فإنهم يملأوننا من الرؤية الروحانية، ويهرب من أمامنا جميع المقاومين، ويكون لنا عندئذ هدوء وسلام لا يُنطق بهما].

(٢٢) التوبة والروح القدس

الجزء الثاني: روح التوبة:

+ التوبة إذا سكنت في القلب تعلِّم الإنسان اتضاع النفس والازدراء

بالذات، وهذان هما حصن كل الفضائل. كما توحي إليه التوبة بأعمال تغصُّبية كثيرة خفيَّة وظاهرة، تفعل في القلب وتنقيه وتعدُّه لقبول الروح القدس.

(٢٣) الروح القدس والاحتراس والتدقيق

الجزء الثاني: روح التوبة:

+ أنا أشير عليك أيها التائب المتضع لأجل الحب، إن كنت قد ظفرت بالرحمة وتنقيت بالتوبة وبدأت تؤهَّل لأفعال الروح القدس، احترس أن لا تسيِّب حواسك، واحفظ قلبك ونُسك بطنك، واحرص على الوداعة التي فيك، وبالأكثر احفظ لسانك، وتضرَّع بدموع كثيرة أن يحفظك المسيح خفيًّا وظاهراً، ورتِّل مع داود النبي: «روحك القدوس (يا رب) لا تنزعه مني.» (مز ٥١: ١١)

(٢٤) إمكانية السقوط بعد نيل النعمة

الجزء الثاني: روح التوبة:

+ حتى ولو أن القلب يتقدَّس بحلول الروح القدس ويؤهَّل لاستعلان أسرار المعرفة، إذا الإنسان بدأ يستعمل الانحلال وعدم الاحتراس، ويتهاون في التدبير، ويميل إلى الشبع، ويرجع إلى قيئه الأول، فإن القلب يظلم بالتخلية، ويخيب من النور والحياة والنعمة.

(٢٥) الروح القدس والاتكال على ذراع البشر

الجزء الثاني: في ترتيب السكون:

+ لا تتكل على إنسان، لئلا تخيب من النعمة.

(٢٦) الروح القدس والجهاد ضد الخطايا

الجزء الثاني: في ترتيب السكون:

+ الإنسان الذي يحارب قبالة الآلام (الشهوات المريضة) بحسب الوصايا لكي يقطعها من القلب، فإن النعمة لا تهدأ من مساعدته خفيًّا.

(٢٧) الروح القدس والصوم

الجزء الثالث: الباب الرابع:

+ الصوم واسطة بين الناموس القديم والنعمة المجانية الموهوبة لنا من المسيح تعالى، ومن يتهاون بالصوم يتراخى ويضعف عن بقية الجهادات. وبدل النصرة يضع نفسه في خطر قبالة الانهزام في الحروب، لأنه بدون الصوم يكون قد وفد إلى الجهاد عارياً من السلاح (الصوم)، لأن الصوم هو درع الأعضاء، والجوع هو سلاح الحفظ، الذي يجعل الفكر رصيناً ثابتاً عند مصادمة الآلام الصعبة والضوائق المحزنة!!

(٢٨) الروح القدس والصلاة الدائمة

الجزء الثالث: الباب الرابع:

+ إذا أُهِّل الإنسان للصلاة الدائمة فهو يكون قد بلغ إلى كمال السيرة، لأن الروح القدس يكون ساكناً فيه، لأنه إذا لم يقبل الإنسان موهبة الباراقليط على التحقيق، لا يمكنه أن يصلّي على الدوام براحة، لأن الروح القدس إذا سكن في إنسان، فإنه لا يفتر عن الصلاة، لأن الروح القدس فيه يصلّي على الدوام، فإن كان مستيقظاً أو نائماً لا تنقطع الصلاة من نفسه.

(٢٩) الروح القدس والصلاة الروحانية

الجزء الثالث: الباب الرابع:

+ **الصلاة الروحانية هي حركة النفس الداخلية، عندما تكون في شركة مع الروح القدس**؛ حيث ترتفع النفس فوق طبيعتها وتتخلَّف عن الشعور بالأمور الحاضرة.

(٣٠) الروح القدس ومعونة البسطاء المتكلين على الله

الجزء الثالث: الباب السادس:

+ نعمة الله تحمل الناس ذوي الطهارة والبسطاء، الذين ألقوا مقاليدهم في يد الله ونبذوا العالم من كل قلوبهم وساروا وراءه حسب وعده. **فتضرَّع أنت إلى الله، وابك تجاه نعمته، ونُح، واشقَ الليل والنهار أمامه، إلى أن يُنفذ لك معونة نعمته.**

(٣١) الروح القدس والسقوط في البرودة والثقل

الجزء الثالث: الباب الرابع عشر:

+ **أنا أتضرَّع إليك بمحبة** إذا أنت تجرَّبت بهذه الأمور (البرودة وثقل الأعضاء)، التي يطلقها الله على الإنسان ليمتحنه ويختبره بها، **انهض حالاً بحرارة وغيرة، وانفض عنك (التهاون والكسل)، واغصب نفسك قليلاً، فإن النعمة تدنو منك** كما كانت أولاً، وتأتيك قوَّة أخرى مُخفى فيها أنواع كثيرة من المعونات، وحينئذ يتعجَّب الإنسان من مثل هذا التغيير ويتفلسف.

(٣٢) الروح القدس والتجارب

الجزء الثالث: الباب الرابع عشر:

+ **إن الباري، سبحانه، قد رأى بحكمته أن تكون النعم بمقدار المحن!!**

فلا يمكن أن تأتي موهبة عظيمة وتسبقها تجربة ضعيفة!! والعزاء على مقدار الحزن!!

لأن هذه وتلك مرتَّبة بمقدار بعضها على البعض.

تأتي التجربة، وبعد ذلك المواهب والنعم!! أو أن النعمة تأتي أولاً وتعقبها التجربة!!

على أن التجربة لا تأتي إن لم يسبق الله ويرفع منزلة النفس عن مقدارها الأول.

غير أن النعمة لا تتقدَّم إلى أحد إن لم يسبق ويذُقْ التجارب، وهذه وتلك للتهذيب.

(٣٣) الروح القدس والصبر في الضيقات

الجزء الثالث: الباب الحادي والعشرون:

+ كل الضيقات والأحزان التي لا تحتملها بصبر، عقابها يتضاعف عليك. **وصبر الإنسان يزيل مصائبه**، أما صغر النفس فهو أصل العذاب.

الصبر قوَّة تتولَّد من سعة القلب، وعسير على الإنسان أن يحصل عليها بدون النعمة الإلهية، التي تتحنَّن على الإنسان من مواصلة الصلاة والطلبات والدموع الغزيرة. **وأيضاً بمقدار اتضاعك ينعم عليك الروح بالصبر في أحزانك**؛ وعلى قدر احتمالك يخف ثقل شدائدك ويزداد عزاؤك؛ **ومن كثرة عزائك تزداد محبتك لله؛ وبقدر محبتك تعظم مسرَّتك بالروح القدس!!**

(٣٤) الروح القدس ونعمة العزاء

الجزء الثالث: الباب السابع والعشرون:

+ **إذا كثر الصبر في نفوسنا، فإنه يكون دليلاً على أننا قبلنا نعمة العزاء في الخفاء** = (أي الباراقليط، أي المعزِّي).

(٣٥) الروح القدس والحركة الأُولى داخل النفس للخلاص

الجزء الثالث: الباب الثامن والعشرون:

+ الحركة الأولى الحالّة في الإنسان من قِبَل محبة الله للبشر، عملها هو أن ترشد النفس إلى الخلاص، وهي تأتي في القلب حتى قبل أن تتغيَّر طبيعته (العتيقة)، ويتبع هذه الحركة تهاون بالعالم، وتنبع منها جميع الحركات الصالحة المؤدِّية إلى الحياة.

(٣٦) الروح القدس وسُكنى النعمة في القلب

الجزء الثالث: الباب الثامن والعشرون:

+ **النعمة لا تأتي دفعة واحدة وتسكن بالكمال في النفس، بل قليلاً قليلاً**، لأنه لابد أن يكون وقت للتجربة ووقت للعزاء. ولا يزال هذا يلازمنا إلى وقت الخروج من العالم.

(٣٧) الروح القدس ومذمَّة الناس

الجزء الثالث: الباب الحادي والثلاثون:

+ **الإنسان الذي يطلق لسانه على كل الناس بالجيد والرديء، لا يؤهَّل لنعمة الله.**

(٣٨) الروح القدس ورفع النعمة بغتة

الجزء الرابع: في أنواع الأفكار:

+ الإنسان الذي يلومه ضميره ثم يسوِّف ويدوس على ضميره بلا تقويم، وبعد هذا تظل عناية الله تنبهه للتوبة ولا تكف عن تأديبه؛ في وقت تقمعه وفي وقت تكرمه؛ وفي وقت ترذله وتحزنه بالعوارض والأمراض والخسارات، ثم تجذبه بالرحمة للتقويم - وبالرغم من ذلك كله يقيم هو مزدرياً متهاوناً بطّالاً لا يتحرَّك لنخس النية، **ترتفع منه النعمة بغتة.**

(٣٩) الروح القدس وضبط الهوَى

الجزء الرابع: مشورات نافعة:

+ **الذي يغلب مشيئة نفسه ويضبط هواه، هو مجاهد نشيط، والنعمة تعمل فيه بزيادة.**

(٤٠) الروح القدس ومحبة الصلاة

الجزء الرابع: مشورات نافعة:

+ **الذي خارجاً عن الصلاة يظل ضميره منشغلاً بكلام الله، يكون قد ربط نفسه بعمل عظيم متضاعف، والنعمة تعمل فيه بزيادة.**

(٤١) الروح القدس والصلاح المغروس في طبيعة النفس

الجزء الرابع: رؤوس المعرفة:

+ الصلاح موضوع في طبع النفس، كالنار الموضوعة في طبع الحجر والحديد وهي مفتقرة لمن يحرِّكها. والذي يحرِّكها هو النعمة مع حرص الإنسان واجتهاده (هذا الكلام عجيب جدًّا وعميق جدًّا).

الروح القدس الروح المحيي م ١٠ ج ١

(٤٢) الروح القدس والصلاة بدون كلمات منطوقة

الجزء الرابع: رؤوس المعرفة:

+ الذبيحة غير الهيولية (غير المادية: أي الروحانية) **هي سجود العقل** عندما يشخص بالصلاة، وإنما بدون كلمات منطوقة، **بل بالروح**، حيث العقل يظل مطأطئاً رأسه أمام العظمة.

+ توجد صلاة بكلمات منطوقة، ولكن غير محدودة وغير محفوظة: هذه من فعل الإرادة الصالحة. **وتوجد صلاة بكلمات غير منطوقة: هذه من فعل الروح القدس والنعمة والمعونة خفيًّا.**

(٤٣) الروح القدس وتقديس القلب والكلمة

الجزء الرابع: رؤوس المعرفة:

+ القداسة هي أن الإنسان يتقدَّس بقوَّة فعل الروح القدس بالصلاة.

+ وإلى أن يتقدَّس قلبنا بروح الرب، لن نقدر أن نفرز الحركات التي من الشيطان، والتي من الملائكة، والتي من الطبع، والتي من تحريك الروح القدس.

+إلى أن تتقدَّس كلمتنا بالروح القدس، لن تكون مخيفة للشياطين، ولن تخضع لها الطبائع الصامتة أو الناطقة.

+ إلى أن نتطهَّر من أفعال الخطية، لا يحل في أنفسنا الروح القدس.

+ إلى أن يصفو العقل، ما يستطيع أن يشترك في فعل الروح القدس.

+ إذا امتزجت قوَّة الروح القدس بهذيذ العقل، يرتفع العقل إلى قدرة الدهش في الله.

(٤٤) الروح القدس وإمكانية الإحساس به

الجزء الرابع: رؤوس المعرفة: الميمر الأول:

+ **الإحساس بالنعمة عقليًا إنما يبدأ بالإحساس بعمل التوبة عقليًا**، (يقصد الإحساس المعقول وليس الإحساس الملموس).

(٤٥) الروح القدس وتقديس هيكل النفس والصلاة الدائمة

الجزء الرابع: رؤوس المعرفة: الميمر الأول:

+ عمل القديسين بني النور هو عمل ميخائيل وجبرائيل، ومن مائدة واحدة يغتذون، **وصلاة القديسين بني النور لا تنقطع لأنه قد تقدَّس هيكل نفسهم بالروح.**

(٤٦) الروح القدس وذبيحة جسد المسيح

الجزء الرابع: رؤوس المعرفة: الميمر الأول:

+ **في الساعة التي يقدِّم فيها الكاهن ذبيحة جسد المسيح ودمه المحيي، يحل الروح القدس ويمنح الغفران للخليقة.** والكروبيم والسيرافيم والملائكة يقفون بدهش عظيم، ويفرحون بالأسرار المقدَّسة بعجب لا يُنطق به.

(٤٧) الروح القدس والقفز في الطريق الضيِّق بتسرُّع

الجزء الرابع: رؤوس المعرفة: الميمر الأول:

+ **ليس لنا أن نبلغ إلى الميناء الهادئ بالوثب**، ولا أن نعبر إلى بلد السلامة بدون صبر على الضوائق والتجارب المختلفة، ومقاساة الشياطين والجهادات والحروب الصعبة حتى الدم؛ **ولا يمكن أن نحسّ بالحق بدون النعمة** وهداية الأب الروحي.

+ أما الصبيان بحرارة الوثبات الطبيعية (الطموح الروحي بالنشاط المزيّف)، فإنهم بسبب حماسهم المعثر يتراءى لهم أنهم بلغوا هدفهم عندما يقرأون سيرة الآباء ويتمثلون بكلامهم أو يسمعون تعليماً يفوق قامتهم. هؤلاء تمقتهم النعمة وتحكم عليهم أن يصبروا ولا يقفزوا في الهواء ظانين أنهم يعملون العظائم، وتحكم عليهم أن يعملوا في الكرم بهدوء حتى زمان الراحة الحقيقية. **فإذا تجاسروا بزيادة، تتخلّى عنهم النعمة** فيقعوا في ربوات التجارب، وينمحقوا بآلام الجسد، وتغشاهم ظلمة النفس، وتستهزئ بهم الشياطين.

(٤٨) الروح القدس وعمله بعد المعمودية

الجزء الرابع: رؤوس المعرفة: الميمر الثاني:

+ الذي قد وُلِدَ روحيًّا من العماد المقدّس وتتلمذ للتدبير الملائكي، ينبغي له أن **يعمل ويجاهد مقابل الآلام، ويسأل نعمة الله أن يولَد للطهارة، ويؤهَّل إلى ما هو فوق الطبع بسر استعلان الروح القدس، لكي يقبل عربون مجد كنز البنوَّة.**

+ **نحن نأخذ الروح القدس بعد العماد كالعربون لإبطال الخطية، ونَيْل قوَّة نقاتل بها قبالة الآلام والشيطان، فإذا تأهَّلنا لنقاوة القلب بالجهاد مقابل الآلام** (الشهوات المريضة)، **فإن الروح القدس يزيد لنا قوَّة منه لكي نستطيع أن نكون فوق الطبع، وأن نقبل مجد الرب** باستعلان نوره غير المنطوق به.

+ **هذه القوَّة – قوَّة الروح القدس – كمَّلت كل الأبرار والقديسين في أجيالهم. هذا هو الروح القدس الذي دُعي من ربنا روح البارقليط، ودُعي من بولس الرسول مكمِّل القديسين، واصطلح**

الآباء على تسميته روح الاستعلانات.

(٤٩) الروح القدس يقرع ولا يستطيع الدخول

الجزء الرابع: رؤوس المعرفة: الميمر الثاني:

+ **ما دامت الشهوات (الآلام) ثابتة في القلب، والنفس تميل إليها وتتنازل معها، فإن الروح القدس لن يجد له راحة داخل تلك النفس، يقرع ولا يستطيع العبور للداخل، غير أنه يصبر ويثابر على قرع باب القلب كطبيعة محبته.**

(٥٠) الروح القدس ودعوة الخطاة

الجزء الرابع: رؤوس المعرفة: الميمر الثاني:

+ افهم هذا أيضاً، أنه **حتى العشَّارون والزناة لا تهدأ النعمة من أن تدعوهم وتوقظهم وتجذبهم للتوبة**، وتذيقهم طعم الحياة، وتصيدهم بصنارة روحانية للحياة الأبدية.

كلمة في الختام

لم نشأ أن نبوِّب أقوال مار إسحق، لأنها بوضعها الحالي تتناسب في تدرجها مع كل قارئ، ويقيناً لو انفتح قلب القارئ لاستطاع أن يكسب كثيراً جداً من هذه السطور القليلة بوضعها البسيط هذا.

ويلاحظ القارئ أن ما دوَّناه عن الروح القدس في هذا الكتاب، إنما هو خبرات أعظم الآباء النُسَّاك الذين عاشوا بالروح وتكمَّلوا بالروح وكتبوا لنا شيئاً مما عاينوه ومارسوه، فالأمر الآن لا يختص بمعرفة وجدل، إنما يختص بتوبة وحياة في مخافة الله بسر الروح.

صلاة

يا رب أرسل فيضاً من روحك القدوس على كنيستك في هذه الأيام، واملأ شعبك من مواهب الروح،

ليذوق مختاروك بهجة الخلاص، ويفرحوا بنور وجهك، ويتهلَّلوا بعمل نعمتك في حياتهم كل يوم،

بصلوات كل قديسيك الذين كملوا في المجد.

وصلوات قديسيك الذين لا يزالون يجاهدون في الحق،

وبالأكثر املأ رأس كنيستنا البابا شنوده وكل إخوته المطارنة والأساقفة بكل ملء الروح.

حتى يسري عمل نعمتك في مجراه التقليدي إلى كل فرد في رعيَّتك المقدَّسة.



العظة السابعة والخمسون[٦]
للقديس مقاريوس الكبير

١ - الروح القدس يهبُّ حيث يشاء.

فهو يهبُّ على النفوس المضيئة المشعَّة الإلهية التي تشتاق بشدَّة أن تخدمه بكل اجتهاد.

فإن كانت مطيعة للروح المستحق كل سجود، فهو يعطيها مخافة الله وحرارة المبتدئين.

ومتى صار ذلك فيها، يعطيها أن تبغض العالم تماماً وكل ما يمكن اشتهاؤه فيه للهلاك: الذهب والفضة وثياب الجسد المغرية، كما أيضاً الأب والأم والزوجة والأولاد.

ثم يجعل عمل الله للإنسان أحلى من العسل ومن شهد العسل، سواء كان تعبَ الأصوام أو سهر الليالي أو السكون ἡσυχία أو خدمة الآخرين أو الصدقة، فإن كل أمور الله تصير له حلوة.

٢ - ولكن متى علَّمه كل ذلك، فإنه يسلِّمه إلى التجربة.

---

(٦) وهي إحدى سبع عظات لم تترجم بعد إلى العربية، مرقّمة من ٥١ إلى ٥٧؛ تُرجمت من الفرنسية عن الأصل اليوناني في الباترولوجيا جريكا.

وقد رأينا أن نقدِّمها للقارئ هنا في الختام، كنموذج للتركيز الآبائي على فعل الروح القدس داخل النفس.

وحينئذ كل ما كان له حلواً، يصير له ثقيلاً وصعباً.

وكثيرون من الذين لم يجرَّبوا قبل ذلك، يسقطون تحت هذا الثقل ويصيرون جسدانيين. وهم الذين يقصدهم بولس حينما يقول: «أبعدما ابتدأتم بالروح، تُكمَّلون الآن بالجسد؟ أهذا المقدار احتملتم عبثاً؟» (غل ٣: ٣ و٤)

فما احتملوه عبثاً إنما هو الأتعاب التي احتملوها من أجل الله.

لأن الإنسان الذي تلاشى عزمه تماماً وترك السعي، لم يفقد فقط أجر أتعابه، بل صار معرَّضاً لعقاب أعظم، لأنه احتقر وبدَّد النعمة التي من فوق.

٣ - أما إذا قاوم الإنسان الشيطان في هذه التجربة الأُولى وغلبه، فإن الله يعطيه حرارة متصلة رزينة وبدون اضطراب. لأن الحرارة الأُولى كانت مندفعة ومشوَّشة وغير منتظمة؛ وأما الثانية فهي أفضل، وهي تولِّد الرؤيا، إذ أنها تثمر بالصبر وليس بها اضطراب، بل هي صادقة وغير مشوَّشة.

فمثل سفينة راسية في ميناء هادئ، هكذا الحرارة الثانية كلها سلام.

٤ - والآن أيها الأولاد، اقتنوا هذه الحرارة الثانية لكي تخفّ عليكم جميع الأشياء، لأن هذه الحرارة التي بحسب الله تطرح إلى خارج كل الآلام، وتطرد من الإنسان كل ثقل (ضجر)، وتجعل اللاهوتية تساكنه بحيث يصير هيكلاً لله، كما هو مكتوب «سأسكن فيهم وأسير بينهم» (لا ٢٦: ١١ و١٢، ٢كو ٦: ١٦)

٥ - فإذا شئتم أن تعود إليكم الحرارة التي فارقتكم، فهذا ما ينبغي أن

تعملوه: ليقطع الإنسان عهداً بينه وبين الله، وليقل في حضرته:

"اغفر لي ما صنعته في تهاوني"، وأيضاً: "لن أعود أعصاك بعد"

ولكي يحفظ نفسه في المستقبل من كل تهاون، يجب عليه أن لا يعطي ذاته أبداً أيَّة راحة جسدية ولا نفسية، بل ليكشف أفكاره أمام الرب نهاراً وليلاً، وليبكِ بلا انقطاع أمام الرب وليبكِّت نفسه بكل حزن قائلاً لها: "كيف صرتِ متهاونة حتى الآن؟ كيف بقيتِ قفرة كل هذه الأيام؟"

ولكي يحفظ في نفسه ذكر الدينونة والملكوت الأبدي، يجب عليه أن يبكِّت نفسه باستمرار قائلاً لها: "كيف أجزل الله لكِ كل هذه الكرامات وأنت تعيشين في التهاون؟ لقد أخضع لكِ الخليقة كلها وأنت لا تكونين مطيعة؟" فمتى قال هذا لنفسه مبكِّتاً إيَّاها ليلاً ونهاراً وفي كلَ ساعة، فإن الحرارة الإلهية تعود إليه سريعاً - ولكن حرارة أفضل على كل وجه من الأُولى.

٦ - لما أحسَّ الطوباني داود الضجر نازلاً عليه قال: «تفكَّرتُ في أيام القدَم السنين الدهرية (وكنت أتأمل)» (مز ٧٧: ٥)، وأيضاً: «تذكَّرت الأَيام الأُولى ولهجت في كل أعمالك، وفي صنائع يديك كنت أتأمَّل، صارت نفسي لكَ مثل أرض بلا ماءٍ.» (مز ١٤٣: ٥ و٦ بحسب الأجبية)

فمتى استَعَدتَ الحرارة داخلك، اشتغل بالهذيذ بعظائم الله.

وحينئذ ستخلص بنعمة الآب والابن والروح القدس إلى الدهر، آمين.

العنصرة

يوم الخمسين

سنة ١٩٦٠



المحتويات

		صفحة
أولاً: في معنى العنصرة		١٥٨
ثانياً: في مظهر العنصرة	(أ) معنى الريح في المفهوم اللاهوتي	١٦٢
	(ب) معنى النار في المفهوم اللاهوتي	١٦٤
ثالثاً: في أقنوم العنصرة	(أ) أقنوم الروح القدس	١٦٩
	(ب) علاقة الروح القدس بالآب والابن	١٧٢
	(ج) إرسال الروح القدس إلى الكنيسة	١٧٣
رابعاً: في سر العنصرة		١٧٦
	(أ) الهيئة التي حل بها الروح القدس	١٧٧
	(ب) النتائج التي ترتبت على حلول الروح القدس	١٧٨
خامساً: في إنسان العنصرة	(أ) عمل الآب في الإنسان الجديد	١٨١
	(ب) عمل الابن في الإنسان الجديد	١٨٤
	(ج) عمل الروح القدس في الإنسان الجديد	١٩٠
	أولاً: الروح القدس والماء (الميلاد الثاني)	١٩٠
	ثانياً: الروح القدس والميرون (المسحة)	١٩٦

أولاً: في معنى العنصرة

أصل الكلمة(١):

كلمة العنصرة كلمة عبرية أصيلة، وهي ليست أرامية ولا سريانية؛ وهي تستعمل في العبرية الحديثة في ما كانت تُستعمل فيه في العبرية القديمة تماماً. وأصل الكلمة "عسار" ومنها كلمة "عَسَرِيت" التي جاءت منها كلمة العنصرة. والكلمة "عسار" معناها "اجتمع" أو "جمع"، حيث كانوا يجتمعون ويعيِّدون في هذا العيد. وهي تأتي بمعنى "منع" أو "امتنع" لأنه يمتنع فيه العمل لأنه يوم مقدس.

وعيد العنصرة عند اليهود هو "**عيد الأسابيع**"، أو "**عيد الحصاد**"، أو "**عيد الخمسين**". وعيد الأسابيع ترجمته العبرية "هَجْشبعوت"، حيث "حاج" بمعنى عيد، و"شبعوت" = السبوعات أي الأسابيع. ويسميه العلماء وبالأخص علماء التلمود "عَسَرِيت"، أما عيد الحصاد فترجمته العبرية "حاج هفصير" حيث "هفصير" هو الحصاد، وأُطلق على هذا العيد في الترجمة اليونانية للتوراة كلمة "بِنْتيكُستي" أي الخمسين.

والكنيسة استعارت هذه الكلمة (العنصرة) كما هي وأطلقتها على عيد حلول الروح القدس. ولأنه يقع في اليوم الخمسين من قيامة الرب فهي تسميه أيضاً بعيد "البنتيكستي" أي عيد الخمسين.

---

(1) Dictionnaire de Maleh.

وكلمة ''العنصرة'' تشير في أصل اشتقاقها اللغوي إلى ''الجمع'' أو ''الحفل''، لذلك فالكنيسة مُحقَّة أيضاً في جعل اسم العنصرة وقفاً على هذا العيد بالذات، لأن في هذا اليوم تقدَّس محفل التلاميذ بحضور الروح القدس تقديساً مستمراً، فصار ذلك المحفل المقدس كنيسة مقدسة، لم يفارقها الروح القدس منذ ذلك اليوم إلى وقتنا هذا.

لا عجب إذن أن تعيِّد الكنيسة عيد العنصرة، هو عيدها.

وهي لا تغفل في عيدها هذا أن تصلي مع الكنيسة المنتصرة أختها التي في السماء، فترفع في هذا اليوم بخوراً كثيراً جداً مع صلوات متواترة على أرواح المنتقلين كنوع من الشركة المتصلة وتبادل الشفاعة، لأنها ترى في ذلك كمال التعييد!

في سفر التكوين نقرأ كيف خلق الله الإنسان من تراب الأرض؛ خلقه وأعطاه نسمة حياة على صورته ومثاله. وقصة سقوط الإنسان في المعصية وانغلابه للشر والخطية، وسريان حكم الموت في كيانه الإنساني قصة تحوي من الأسرار العميقة شيئاً لا يُستهان به، نود لو نعود إليها بالشرح والتوضيح في مناسبة أخرى لو يشاء الله ذلك، ولكننا نعلم على كل حال أن الإنسان الأول أنسل نسلاً بعد قبوله الموت في كيانه نتيجة لخطيئته، وبذلك صار كل بني آدم في الخطية يولدون وبالخطية يموتون.

كان هذا إلى أن جاء المسيح الرب منقذ جنسنا من الخطية والموت. لأنه «هو نفسه حمل خطايانا في جسده على الخشبة لكي نموت عن الخطايا فنحيا للبر.» (١بط ٢: ٢٤)

ولما مات المسيح رفع عنا حكم الموت: «لأن الموت الذي ماته قد ماته للخطية» (رو ٦: ١٠). وبذلك صارت طبيعتنا البشرية حرة مرة أخرى؛ ولكن ظلت في حاجة إلى قوة جديدة تحفظها، وإلى عمل إلهي جديد يرفعها إلى مستوى القداسة اللائقة بحياة الشركة مع الله: «لكي لا يعيش (الإنسان) أيضاً الزمان الباقي في الجسد لشهوات الناس بل لإرادة الله.» (١بط ٤: ٢)

في يوم الخمسين من قيامة الرب تقبَّلت الطبيعة البشرية هذه القوة الروحية الجديدة، تقبَّلتها بصورة ظاهرة، فحلَّ الروح القدس على التلاميذ جهاراً بصوت مسموع ومنظر أخَّاذ، ودخل وملأ الطبيعة البشرية فجدّد خلقتها وقوَّاها ورفع من مستواها الروحي بشكل عملي إعجازي فائق، أدهش الذين عاينوا حوادث ذلك اليوم العظيم الخالد.

في يوم الخمسين حدث فعل خلْقي جديد في طبيعة الإنسان، ظهرت مفاعيله في سلوك التلاميذ وفي إمكانياتهم وفي لغتهم وفي مفهوماتهم وفي علمهم، الأمر الذي حيَّر رؤساء الكهنة والحكام؛ ولكن لم يقتصر هذا التغيير المفاجيء الشديد على التلاميذ، بل المدهش حقاً أنه انتقل إلى كل من آمن واعتمد وقَبِلَ وضع اليد، حتى فُهم جيداً أن حلول الروح القدس على التلاميذ كان عملاً تكميلياً لأعمال الخليقة الأولى. لـــذلك نرى أن يوم الخمسين أصبح مرتبطاً باليوم السادس من سفر التكوين ارتباطاً جوهرياً من حيث خلقة الإنسان.

فالعنصرة من هذا الوجه ميلاد جديد للتلاميذ في طبيعة جديدة خلقها المسيح من جسده بموته وقيامته وعمل الروح القدس.

وحينما نتأمل في الوضع الذي كمل فيه هذا العمل الخلْقي الجديد

نندهش إذ نجد أنه لم يتم بصورة فردية كخلقة آدم الأولى، بل كان التلاميذ مجتمعين معاً «مع النساء ومريم أم يسوع» (أع ١: ١٤) في حالة خشوع وصلاة. إذن، فطبيعة الإنسان استقبلت خلقتها الروحية الجديدة على صورة كنيسة!!!

هذا معناه أن ميلاد الإنسان الجديد محصور في ميلاد الكنيسة، وطبيعة الإنسان الجديدة لابد وأن تشمل في صميم جوهرها ارتباطاً حياً وصلة وثيقة بالكنيسة. لا توجد فردية في الخليقة الجديدة!

نحن نأخـــذ طبيعة الإنسان الجديد من الكنيسة، ولا يمكن لأحد أن يولد من الماء والروح ويصير خليقة جديدة في المسيح يسوع خارج الكنيسة.

العنصرة، إذن، عيد الكنيسة، هو ذكرى ميلادها.

ميلاد الكنيسة ليس قصة، هو حياة متحدة بطبيعة الروح القدس.

نحن نحيا في ميلاد كنيستنا، نحيا في طبيعتها الجديدة المتحدة بالمسيح والروح.

العنصرة عيد الحياة بالروح للذين يعيشون حقاً في المسيح.

ثانياً: في مظهر العنصرة

استُعلن الروح القدس في يوم الخمسين في مظهرين: مظهر ريح عاصف، ومظهر ألسنة من نار.

+ «ولما حضر يوم الخمسين كان الجميع معاً بنفس واحدة، وصار بغتةً من السماء صوت كما من هبوب ريح عاصفة وملأ كل البيت حيث كانوا جالسين، وظهرت لهم ألسنة منقسمة كأنها من نار واستقرت على كل واحد منهم.» (أع ٢: ١-٣)

(أ) معنى الريح في المفهوم اللاهوتي:

مما يلفت النظر في اللغتين العبرية واليونانية أن الريح والروح لهما كلمة واحدة تعبِّر عنهما، ولكن لا تقتصر الصلة بين الريح والروح في الاشتراك اللفظي فقط، بل نكتشف من حديث المسيح مع نيقوديموس في الأصحاح الثالث من إنجيل يوحنا أن هناك تشابهاً بين طبيعة عمل الريح وعمل الروح من وجهة الميلاد الجديد من الماء والروح: « الريح تهب حيث تشاء وتسمع صوتها، لكنك لا تعلم من أين تأتي ولا إلى أين تذهب، هكذا كل من وُلد من الروح.» (يو ٣: ٨)

وأكثر من ذلك نلاحظ أن حضور الله كثيراً ما يكون مقروناً بهبوب رياح عاصفة، فمثلاً في سفر أيوب نقرأ هكذا: «فأجاب الربُّ أيوبَ من العاصفة.» (أي ٣٨: ١)

وفي المزمور الخمسين نقرأ: «يأتي إلهنا ولا يصمت، نار قدامه تأكل،

وحوله عاصف جداً.» (مز ٥٠: ٣)

وناحوم النبي يتكلم من جهة ذلك: «الرب في الزوبعة، وفي العاصف طريقه» (نا ١: ٣)، وموسى مع الشعب ارتعبوا لما خاطبهم الرب: «من وسط النار والعاصف» (تث ٥: ٢٢ و٢٣)(٢). وإيليا أيضاً لم يواجه الله إلا بعد عبوره في الريح العاصف: «وإذا بالرب عابر وريح عظيمة وشديدة قد شقّت الجبال وكسَّرت الصخور أمام الرب.» (١مل ١٩: ١١)

أما في سفر حزقيال فنعثر على عمل الريح والروح معاً في اصطلاح واحد يعبِّر تعبيراً عن وحدة سرية في المفهوم اللاهوتي بينهما، إذ يقول النبي: «فقال لي: تنبأ للروح، تنبأ يا ابن آدم وقل للروح: هكذا قال السيد الرب: **هلم يا روح من الرياح الأربع وهبّ على هؤلاء القتلى ليحيوا**» (حز ٣٧: ٩)، فمع أن الهبوب هو من طبيعة الريح إلا أننا نجده هنا من عمل الروح أيضاً.

من ذلك نستطيع أن نكوِّن فكرة من وجهة لاهوتية عن الريح العاصف الذي اقترن به الروح القدس وقت حلوله يوم الخمسين، فهو في الواقع تعبير عن حضور الله، هو إشارة واضحة عن لاهوت الروح القدس، وبالأخص قول الكتاب عنه:

+ «صار بغتة من السماء صوت كما من هبوب ريح عاصفة.» (أع٢: ٢)

---

(٢) حسب الترجمة السبعينية. ويُلاحظ أن هذا النص يُقرأ ضمن نبوات الساعة الأولى من صلوات السجدة، مساء يوم عيد العنصرة.

فهو ريح سمائي، نقرأ عنه فيما بعد أنه ملأ البيت ثم ملأ جميع الحاضرين في البيت. إذن، فهو ريح مالئ للمكان والزمان والكيان، الله وحده هو الذي يملأ المكان والزمان والكيان.

لذلك نجد في هذا الريح السمائي، الحاضر في المكان والمالئ الكل، حضوراً إلهياً وإنما على نمط جديد؛ ففي العهد القديم نجد بعض أمثلة فردية حلَّ فيها الروح، ولكنه كان حلولاً مؤقتاً ومغلقاً، مغلقاً لأنه لم يكن يستطيع أن يؤثر في الطبيعة البشرية آنذاك تأثيراً عاماً مولِّداً كما حدث يوم الخمسين، وصار ينتقل إلى كل من يعمِّده التلاميذ ويضعون عليه اليد.

الروح استطاع يوم الخمسين أن يدخل التلاميذ ويملأهم كما يملأ الريح المكان؛ لأن حجاب الخطية الذي كان يفصل الطبيعة البشرية عن عمل الروح رفعه المسيح إلى الأبد.

(ب) معنى النار في المفهوم اللاهوتي:

لو رجعنا للآيات والأمثلة التي تكلمنا فيها عن حضور الله في الرياح العاصفة، نجد أن الريح فيها مقترنة بالنار دائماً. لذلك، فمعنى اقتران الريح بألسنة النار في يوم الخمسين أمر ذو بال من حيث المعنى اللاهوتي.

ولكننا نجد في النار تعبيراً أقوى عن شيء ما في **طبيعة الله**، حتى قيل مرة: إن «إلهنا نار آكلة» (عب ١٢: ٢٩)، بل ورأينا النار المشتعلة في العلّيقة تعبيراً مباشراً عن حضور الله؛ والتقليد يحدثنا عن نار العلّيقة أنها تعبير واقعي عن طبيعة اللاهوت.

وإذا أضفنا إلى ذلك حضور الله في عمود النار ليلاً في محلة

الإسرائيليين واستجابة الرب من السماء بنار على ذبائحه المقبولة، وحضور الله في هيكل سليمان يوم تدشينه على هيئة نار، كل هذا يوجِّه فكرنا إلى معنى ألسنة النار المنقسمة التي ظهرت يوم الخمسين؛ فهو تعبير عن عمل **طبيعة الله** يوم الخمسين وإشارة ضمنية إلى طبيعة الروح القدس الناري.

كان التلاميذ المجتمعون في حالة خشوع وصلاة، يقدمون ذبائح شكر من شفاه معترفة بفضل الرب يسوع؛ فكانت استجابة الرب من السماء كما هي العادة بنار استقرت على كل واحد منهم.

كانت النار الإلهية قديماً تأكل الذبيحة كلها، لأن الذبيحة كانت تحمل خطايا مقدمها، ولكن نار يوم الخمسين لم تحرق التلاميذ لأن خطايا التلاميذ حملها الرب في جسده على الخشبة.

نار يوم الخمسين كانت للإنارة والتطهير، وجدت تلاميذ مجتمعين باسم الرب بأذهان مستعدة لقبول الحق، لذلك استقرت عليهم النار على هيئة لسان. **واللسان الناري** يشير إلى معرفة الحق والنطق به: «متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق.» (يو ١٦: ١٣)

نحن وجدنا الريح يملأ المكان كله وجميع الحاضرين، وكان هذا توضيحاً لعمل الله المتساوي في طبيعة الإنسان الواحدة.

أما النار الإلهية فنجدها تنقسم وتتوزع على كل واحد منهم بمفرده، توضيحاً لتقسيم المواهب حسب قياس قامة كل واحد في الإدراك والإيمان.

إذن، فالطبيعة البشرية تتحدد بالتساوي، أما المواهب فتُمنح بتقسيم

وامتياز وتفاوت.

ولكن لا نستطيع أن نقف عند حد الاستنارة في معنى المظهر الناري للروح القدس، فنحن لا زلنا نرى في ألسنة الروح القدس النارية التي استقرت على التلاميذ تعبيراً إلهياً عن معنى انسكاب **محبة الله الملتهبة** (رو ٥: ٥) في قلوب التلاميذ، وتقبُّل روح **الغيرة المتأجِّجة** نحو الله: «غيرة بيتك أكلتني» (مز ٦٩: ٩)، وتعبيراً عن سريان النار الإلهية في طبيعة الإنسان العقلية واشتعالها لتكون ذبيحة حية ناطقة دائمة الاحتراق: «من أجلك نُمات كل النهار، قد حُسبنا مثل غنمٍ للذبح.» (رو ٨: ٣٦)

نار يوم الخمسين كانت نار الله، أنارت فكر الكنيسة بالحق وألهبت قلب الإنسان الجديد بالحب الإلهي والغيرة والبذل.

لقد تشاركت طبيعة الكنيسة البشرية في طبيعة الله النارية يوم الخمسين، ومن هذه الطبيعة وُلد الإنسان الجديد.

الكنيسة استوعبت في يوم الخمسين نار الله فأخصبتها هذه النار وقدَّستها وهي تعطي أثرها الآن لكل المولودين منها.

لسنا في حاجة من جديد إلى ألسنة نارية كيوم الخمسين، لأننا لسنا أُمًّا بل نحن أولاد؛ لسنا طبيعة والدة بل طبيعة مولودة؛ الكنيسة هي الأم ذات الطبيعة الوالدة.

الكنيسة أُمٌّ روحانية خلقها المسيح وأظهرها في العالم حديثاً بتجسده وأخصبها بالروح القدس يوم الخمسين، وهي الآن تلد بنين مقدسين من طبيعتها "المقدسة" المخصبة بنار الله: «**كما أن قدرته الإلهية** قد وهبت لنا كل ما هو للحياة والتقوى، بمعرفة الذي دعانا بالمجد والفضيلة، اللذين

بهما قد وَهَبَ لنا المواعيد العظمى والثمينة لكي تصيروا بها **شركاء الطبيعة الإلهية**» (٢بط ١: ٣-٤). نار يوم الخمسين هي **من قدرة الله**، هي قوة فائقة من عند الله جاءت فقدست الإنسان.

التقديس هو اشتراك في طبيعة الله "صرنا شركاء الطبيعة الإلهية"، «كونوا قديسين لأني أنا قدوس» (١بط ١: ١٦). التقديس من وجهة طبيعة الله نراه فعلاً نارياً، وبالنسبة لأقانيم الله وجدناه من اختصاص الروح القدس!!!

الروح القدس يقدِّس.

الروح القدس سبق فقدَّس بطن العذراء ليتصوَّر المسيح فيها ويولد.

وفي يوم الخمسين قدَّس الطبيعة البشرية ككنيسة ليتصوَّر فيها إنساننا الجديد حسب يسوع المسيح ويولد.

نحن نولد من بطن كنيسة تقدَّست "بنار الله" بالروح القدس.

أليس هذا ما وعد به سابقاً: «هو سيعمِّدكم بالروح القدس ونار» (مت ٣: ١١)؟

حينما نعتمد الآن في الكنيسة نولد مقدسين لأن كنيستنا «مقدسة.» (أف ٥: ٢٧)

أليس هذا هو لقبها الأول: "كنيسة **مقدسة** جامعة رسولية أرثوذكسية"؟

الكنيسة اعتمدت «بالروح القدس ونار»، وأما نحن فنولد من معموديتها «من الماء والروح.» (يو ٣: ٥)

النار تحرق كل حياة أرضية وتبيدها، لذلك إذا هي اقترنت بـالروح القدس: «الروح القدس ونار»، فهي تعني حتماً حياة إلهية محضة خاليـة من كل ما هو أرضي. هذه هي طبيعة الكنيسة، إلهية في كل شيء وبكل معنى، خالدة.

أمـا الماء فهو يحيي كل ما على الأرض، ولا شيء يمكن أن يحيا على الأرض بدون ماء!! لذلك حينما يقترن الماء بالروح القدس فهو يعـني حياة بشرية على الأرض، ولكن حسب الله!! وهذه هي طبيعة كل من يولد من الكنيسة: يحيا على الأرض، ولكن يسلك «ليس حسب الجسد بل حسب الروح.» (رو ٨: ٤)



ثالثاً: في أقنوم العنصرة

(أ) أقنوم الروح القدس:

+ «متى جاء المعزي الذي سأرسله أنا إليكم من الآب، روح الحق الذي من عند الآب ينبثق، فهو يشهد لي.» (يو ١٥: ٢٦)

في كتاب العهد القديم نقرأ عن أنواع من الحلول، مفاجئة فردية لروح الرب (إش ١١: ٢، ٦١: ١)، حينما كان يحل على الأنبياء متكلماً فيهم؛ ولكنه لم يكن حلولاً أقنومياً؛ بل بقوته الكاشفة للحاضر والمستقبل وفعله التنبُّوئي فقط. لم يكن له في العهد القديم أثر واضح دائم في طبيعة الإنسان.

أما ابتداءً من يوم الخمسين فهو يحل بكل هباته وعطاياه، يحل بشخصه كمحيي ومعزٍّ ومُبكِّت.

كان يُعرف في العهد القديم بـ«روح الرب»، أما في يوم الخمسين فاستُعلن أقنومه المتميِّز «الروح القدس»، واستُعلنت صفته الخصوصية "الباراكليت" (= المعزي). والقديس باسيليوس في رسالته عن الروح القدس يصفه هكذا:

[إن اسمه الخاص الذي يكشف عن طبيعته هو «الروح القدس»، وهو ينم عن خلوِّه من معنى المادة خلوًّا مطلقاً، وعدم تجسده بهيئة ما، كما يكشف ضمناً عن عدم قابليته للانقسام، والاسم ينص

على أنه مصدر التقديس.][٣]

أما عن كلمة "باراكليت" التي ترجمتها «المعزِّي»، فيقول القديس باسيليوس:

[يدعى الروح القدس بـ«الباراكليت» كما يُدعى الابن بـ«الوحيد»، والمسيح نفسه قال: «وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد» (يو ١٤: ١٦) **ـ حيث هنا كلمة «معزِّي» ترجمة لكلمة «باراكليت».][٤]**

وفي الحقيقة، نجد أن عمل الروح القدس وتعرُّفنا عليه كأقنوم قد بدأ قبل يوم الخمسين، إذ نقرأ عنه أنه حلَّ على العذراء بصفته الأقنومية لتحمل في بطنها الابن متجسِّداً.

ثم نقرأ عنه في عماد الرب لما حلَّ عليه في الأردن ليمسحه للخدمة. ثم مرة أخرى أنه أقام الرب يسوع المسيح حياً من بين الأموات.

من هذا نتبيَّن العلاقة الوثيقة التي بين الروح القدس والمسيح؛ فسواء قديماً في النبوات، أم حديثاً في الميلاد والعماد والقيامة، نجد الروح مُعلِناً المسيح!!

ونحن في العنصرة لم نستقبل الروح القدس لنتعزَّى به **عِوَض المسيح**؛ فالروح القدس جاء ليشهد للمسيح ويهيِّئنا للاتحاد به، وهو لا يزال يعمل لهذا ولن يكفَّ عن ذلك إلى الأبد: «يمكث معكم إلى الأبد» (يو ١٤: ١٦)، «لا يتكلم من نفسه ... ذاك يمجِّدني لأنه يأخذ مما لي

(3) St Basil, *On the Spirit,* Hom IX, NPNF, 2nd Ser VIII, p 15.

(4) Ibid., Hom XIX, NPNF, 2nd Ser VIII, p 30.

ويخبركم.» (يو ١٦: ١٣-١٤)

فغاية الروح القدس هي أن يُعرِّفنا المسيح؛ كما أن غاية المسيح أن يُعرِّفنا الآب؛ فكما أن «ليس أحد يأتي إلى الآب إلا بي (بالمسيح)» (يو ١٤: ٦)، كذلك أيضاً: «ليس أحد يقدر أن يقول يسوع رب إلا بالروح القدس.» (١كو ١٢: ٣)

إذن، فليس للروح القدس عمل منفصل عن عمل الابن؛ بل إنه يعمل فينا ليكون إنساننا الجديد له «سمات الرب يسوع» (غل ٦: ١٧)، وليكون «المسيح حياتنا» (كو ٣: ٤)، وليصير لنا «فكر المسيح» (١كو ٢: ١٦)، و«يحل المسيح بالإيمان في قلوبنا» (أف ٣: ١٧)، وأن نكون «أعضاء المسيح»، «من لحمه ومن عظامه» (أف ٥: ٣٠). غاية الروح القدس فينا هي المسيح: أن يشهد فينا له، وأن يشهد لنا أمام الآب، أن يقدسنا في المسيح ويُقدِّمنا بالمسيح إلى الآب، لهذا ــ ولهذا فقط ــ أرسله المسيح من عند الآب!

إن الروح القدس هو الأقنوم الثالث؛ هو الرب المحيي؛ نحبه ونعبده في شخصه مع الابن والآب بلاهوت واحد.

قلنا إنه أقنوم العنصرة، أي الأقنوم الذي استُعلِن لنا يوم الخمسين بكمال بهائه وضيائه وعظمته. روح الحق الذي يُعلِّمنا أن نسجد بالروح والحق؛ لهذا رتبت الكنيسة الرشيدة المؤيَّدة بالروح القدس أن تكون صلوات عيد العنصرة والجميع سجوداً: «ولكن تأتي ساعة وهي الآن حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق، لأن الآب طالبٌ مثل هؤلاء الساجدين له. الله روح، والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا.» (يو ٤: ٢٣-٢٤)

جميع الناس يسجدون لله، ولكن قليلين مَنْ يسجدون لله بالروح والحق!

الكنيسة تعيِّد للعنصرة وهي ساجدة إكراماً للأقنوم الثالث الذي علَّمنا الحق!

العنصرة عيد السجود لله بالروح والحق.

(ب) علاقة الروح القدس بالآب والابن:

+ «ومتى جاء المعزِّي الذي سأُرسله أنا إليكم من الآب، روح الحق الذي من عند الآب ينبثق، فهو يشهد لي.» (يو ١٥: ٢٦)

لسنا في صدد بحث لاهوتي؛ ولكن قول المسيح: «**أُرسله أنا إليكم من الآب**»، أجبرنا أن نتتبَّع المعنى اللاهوتي في كلمتي "الانبثاق" و"الإرسال".

لو تعمقنا معنى الانبثاق نفهمه أنه دوام الانبعاث كانبعاث النور من مصدره أو كانبعاث الروح من مصدر الحياة، حتى إن كلمة "انبعاث" في الأصل العبري تحمل تماماً معنى "**الانبثاق**".

وقد رجعنا إلى القديس باسيليوس في إحدى رسائله عن الروح القدس، فوجدناه يتكلم عن الانبثاق هكذا:

[الروح القدس الذي من نبعه تستمد كل الخليقة صلاحها هو متصل بالابن ولا يُدرَك إلا متصلاً به، أما كيانه فيأخذه من الآب الذي ينبثق منه ... الابن هو الذي يعلن الروح القدس؛ **الروح القدس ينبثق من الآب في الابن** ... الروح القدس يُستعلَن في الابن وبه.][5]

(5) St Basil, *Letter XXXVIII*, 4; NPNF, 2nd Ser VIII, p 138.

وقول القديس باسيليوس ينير عقلنا جداً، وخصوصاً في جعل الانبثاق شديد الوضوح أنه من الآب فقط ولا يمكن أن يكون من الآب والابن، إذ جعل الانبثاق فعلاً غائياً، أي له غاية، وغايته تنصبُّ في الابن: منبثق من الآب في الابن.

إذن، لا يمكن أن يكون منبثقاً من الآب والابن، وإلا لزم أن يكون منبثقاً منهما في آخر أو إلى آخر، ومَنْ يكون هذا الآخر؟

لا يمكن أن يكون العالم أو الإنسان، لأن هذا معناه: إما أن يكون العالم أو الإنسان قائماً أزلياً كأزلية الانبثاق! وإما أن الانبثاق نفسه — المتعلق بالعالم أو الإنسان (غير الأزلي) — هو أيضاً غير أزلي، وكِلا الوضعين خطأ.

أما إذا قيل إن الروح القدس منبثق من الآب والابن إلى لا شيء، فهنا تُصاب كلمة "الانبثاق" بعجز كلّي يُفقدها معناها ومبناها، كأن تقول مثلاً: إن النور منبثق من المصباح إلى لا شيء. فالنور إن لم يكن له ما يستقبله كيف يُدعَى نوراً وكيف يُقال إنه منبثق؟

كذلك الروح القدس هو روح ونور وحق وحياة وحب منبثق من الآب ومستقر في الابن، مُعلَن أيضاً بالابن؛ وعلى هذا الأساس استطاع المسيح أن يرسله من عند الآب!

(ج) إرسال الروح القدس إلى الكنيسة:

لقد استُعلنت الكنيسة أول ما استُعلنت في تجسُّد الابن؛ لأن اتحاد اللاهوت بالناسوت هو في الواقع أصل ومعنى وحقيقة الكنيسة (اجتماع الله بالناس).

لذلك فظهور الله في جسد إنسان هو أول استعلان لطبيعة الكنيسة، وتحقيق وجودها عملياً على الأرض.

الروح القدس كان واسطة هذا الاتحاد السرِّي الذي تم بين اللاهوت والناسوت؛ فقد تسلَّمنا من التقليد الشريف أن بطن العذراء حملت نار اللاهوت كما حملت العُلَّيقة نار الله وهي مشتعلة فيها دون أن تحترق: «لأن الذي حُبل به فيها هو من الروح القدس.» (مت ١: ٢٠)

فإذا نحن نظرنا إلى المسيح المولود من العذراء من وجهة اللاهوت الكنسي لتيقَّنا أنه هو هو الكنيسة في معناها الإلهي المطلق، وما بَقِيَ علينا بعد ذلك إلا أن نبحث كيف نتحد بهذه الكنيسة، أو كيف نصير نحن **كنيسة!**

معروف أن جسد المسيح الإلهي هو الكنيسة: «إيَّاه جعل رأساً فوق كل شيء للكنيسة، التي هي جسده ملء الذي يملأ الكلَّ في الكلِّ.» (أف ١: ٢٢-٢٣)

إذن، الاتحاد بالكنيسة يعني بلا شك الاتحاد بالجسد الإلهي. لا يمكن الاتحاد بالجسد الإلهي إلا بتوسط الروح القدس. ويشترط أن يتم هذا الاتحاد بفعل الإيمان؛ لذلك فهو لا يتم بالعيان المنظور أو المحسوس وإنما سرًّا. إذن، فمجيء الروح القدس أمر لازم لاتحادنا بالكنيسة، واختفاء جسد المسيح المنظور أمر لازم لتكميل هذا الاتحاد بالإيمان. بهذا نفهم قول المسيح: «إنه خير لكم أن أنطلق؛ لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي؛ ولكن إن ذهبت أُرسله إليكم.» (يو ١٦: ٧)

هذا حق ومنطقي أيضاً، أن لا يأتي الروح القدس ليعمل الكنيسة الجديدة الجامعة طالما كانت الكنيسة الوحيدة جسد ربنا يسوع قائمة

منظورة على الأرض.

كان يلزم بالفعل أن ينطلق المسيح بجسده المنظور وبشخصه المعزي فيرسل معزِّياً آخر مساوياً له، أي الروح القدس: «وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد» (يو ١٤: ١٦)، لكي بتوسطه يصنع من جسده الإلهي السرِّي الكنيسة الجامعة.



رابعاً: في سر العنصرة

(أو ماذا تم بين المسيح والكنيسة بحلول الروح القدس)

لـمَّا انسكب الروح القدس على التلاميذ حصل تجديد واضح في طبيعتهم؛ بل نستطيع أن نقول إن طبيعتهم تغيَّرت معالمها تغييراً كليًّا؛ لقد صاروا شيئاً جديداً أو بلغة الكتاب صاروا أناساً آخرين (١صم ١٠: ٦). وأصبح التلاميذ المجتمعون في العلِّية قوة جديدة من نوع لم تألفه البشرية قبل ذلك.

ويهمنا أن نلاحظ أن التغيير أو التجديد لم يكن فردياً بل جماعياً.

لم يكن هذا نتيجة قوة مبهمة حلَّت عفواً على التلاميذ فألهبتهم للخدمة أو منحتهم ألسنة جديدة وشجاعة للعمل، كما يظن بعض المحدثين؛ ولكن كان هذا نتيجة تغيير جوهري أصاب طبيعة التلاميذ في صميم كيانها؛ أما هذه المواهب وهذه التغييرات التي ظهرت على التلاميذ في حياتهم وسلوكهم فكانت مظاهر ونتائج ثانوية تنبئ بما حدث في الطبيعة البشرية، ممثلة في التلاميذ والرسل الذين تعتبرهم الكنيسة الأولى "كنيسة الرسل".

أما ماذا حدث لطبيعة الكنيسة الأولى وقت حلول الروح القدس، فنستطيع أن ندركه من الملابسات التي رافقت حلول الروح القدس ومن النتائج التي ترتبت على هذا الحلول:

(أ) الهيئة التي حل بها الروح القدس يوم الخمسين:

لم يحل الروح القدس بهيئة حمامة كما حلَّ في وسط مياه الأردن ليعطي قوة العماد بالماء والروح، بل حلَّ بألسنة كأنها من نار واستقرت على كل واحد منهم. إذن، فنحن أمام «عُلّيقة مشتعلة بالنار» حسب الرمز، أو طبيعة إلهية متحدة بطبيعة بشرية حسب شرح الرمز أو صورة النبوة بميلاد المسيح من العذراء كما تسلمنا من التقليد الشريف!!

إذن حلول الروح القدس يوم الخمسين لا يشير إلى منح قوة روحية مجردة أو منح عطايا ومواهب جزافاً، بل الأمر جد خطير. فهنا إشارة سرِّية إلى أنه حدث اتحاد غير منظور بين طبيعة إلهية وطبيعة بشرية، وماذا تكون الطبيعة الإلهية إلا جسد المسيح السرِّي بالذات الذي سبق المسيح وأشار إلى أخذه وأكله والاتحاد به والثبوت فيه!! كان لا يمكن ولا يستطيع التلاميذ أن يتقبَّلوا الطبيعة الإلهية بدون المسيح؛ بل ولم يكن ممكناً أن يتقبَّلوا الروح القدس كأقنوم إلا على أساس الاتحاد بجسد المسيح، فالجسد الإلهي هو الطريق الوحيد الذي يوصِّلنا بالله، ويوصِّل الله بنا: «فإذ لنا أيها الإخوة ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع، طريقاً كرَّسه لنا حديثاً حيًّا بالحجاب أي جسده...» (عب ١٠: ١٩-٢٠)

إذن، غاية التجسد الإلهي قد بلغت ذروتها يوم الخمسين حينما صار الكل في المسيح: «ملء الذي يملأ الكل» (أف ١: ٢٣). فالجسد الإلهي المعبَّر عنه بـ«ملء اللاهوت جسدياً» (كو ٢: ٩) صرنا منذ يوم الخمسين "مملوئين فيه." (كو ٢: ١٠)

لقد اتحد المسيح بالكنيسة فاكتسبت الكنيسة كل ما للمسيح. لقد صار وكمل في العلية ما بُدىء به في بيت لحم. لقد وُلد المسيح في بيت

لحم لتولد الكنيسة في العلية.

(ب) النتائج التي ترتبت على حلول الروح القدس يوم الخمسين:

بعد حلول الروح القدس يوم الخمسين، قامت الكنيسة فوراً وانطلقت تخدم المعمودية وتجدِّد الآخرين؛ بأي سلطان فعلت الكنيسة هذا؟ هل خدمة المعمودية كانت بسلطان الروح القدس؟ إن كان الأمر كذلك فكيف يستقيم معنى الآية: «الذي ترى الروح نازلاً ومستقراً عليه، فهذا هو الذي يعمِّد بالروح القدس.» (يو ١: ٣٣)

إذن، لا يمكن أن يكون الروح القدس هو الذي يعمِّد بالروح القدس!! بل المسيح نفسه هو صاحب السلطان في التعميد، هو يعمِّد بالروح القدس.

وما هو العماد إلا الشركة مع الرب، شركة اتحاد فعلي في موته ودفنه وقيامته؛ فمن الذي يستطيع أن يعطي سلطان الموت والدفن والقيامة إلا صاحب السلطان فيها!!

إذن، فالكنيسة انطلقت تعمِّد لا بقوة مجردة هبطت على التلاميذ، ولا كهبة خاصة من الروح القدس، ولا حتى بسلطان الروح القدس؛ **ولكن المسيح نفسه بشخصه هو الذي كان يعمِّد بالروح القدس بسلطانه الشخصي غير المنظور.** وهو لا يزال يعمِّد حتى الآن. فيجب أن تفرِّق الكنيسة بين الكاهن الذي يخدم السرَّ وبين المسيح مُجري السر بسلطانه الشخصي بتوسط الروح القدس.

ومن هذا يتضح لنا أن النتائج التي أسفر عنها حلول الروح القدس يوم الخمسين وأهمها وأخصها قدرة الكنيسة على العماد الذي يتضمن إعطاءِ طبيعة جديدة مخلوقة في المسيح؛ يشير إشارة واضحة صريحة أن

الكنيسة قبلت يوم الخمسين شخص المسيح، مسيح الأردن، المسيح المعمِّد. وبذلك كملت شهادة الوحي التي أشار إليها يوحنا المعمدان يوم أن رأى المسيح: «وأنا لم أكن أعرفه، لكن الذي أرسلني لأُعمِّد بالماء، ذاك قال لي: الذي ترى الروح نازلاً ومستقراً عليه، فهذا هو الذي يعمِّد بالروح القدس.» (يو ١: ٣٣)

القديس أغسطينوس يوضح هذا المعنى ويؤكِّده:

[ربما يدهشكم أن تقرأوا عن يسوع أنه «هو الذي يعمِّد بالروح القدس»، ثم يعود الكتاب يقول: «مع أن يسوع لم يكن يعمِّد بل تلاميذه»، فما هو هذا الأمر؟ هل هناك نص خطأ وقع ثم عاد الوحي فصححه؟ حاشا، أم أن كلا النصَّين صحيح، وأن يسوع فعلاً كان يعمِّد ولا يعمِّد؟ **الحقيقة هي أن المسيح كان يعمِّد بقوة سلطانه**، بينما كان تلاميذه يعمِّدون الجسد بأيديهم، وهو لَمْ يكُفْ عن التعميد، لأن تعميده كان تطهيراً ــ والتطهير لا يُرى ــ **ويسوع لا يزال يعمِّد حتى الآن**، لأنه طالما نحن نعتمد فيسوع هو المعمِّد.

إن سلطان المعمودية الذي أخذه الرب «هو سيُعمِّد بالروح القدس»، لم يعطه لأي خادم بل احتفظ بسلطانه، حتى أن كل الذين اعتمدوا مِن أيدي خدام (كهنة) لا يجوز أن ينسبوا معموديتهم للخدام بل للرب نفسه.

إن سلطان التعميد لم ينتقل من الرب إلى أي إنسان، غير أن خدمة التعميد قد صارت للآخرين، السلطان ذاته لم ينتقل إلى

أحد، أما الخدمة فأعطاها للصالح وغير الصالح.][٦]

لذلك نجد الكنائس القبطية القديمة تحتفظ في بيت المعمودية فوق جرن المعمودية مباشرة وإلى جهة الشرق بصورة للسيد الرب خارجاً من ماء الأردن وعليه الروح القدس بشبه حمامة لتعبِّر عن شهادة إيمانها أن المسيح هو الذي يعمِّد، طبقاً لشهادة الوحي التي نطق بها يوحنا: «الذي ترى الروح نازلاً ومستقراً عليه، فهذا هو الذي يعمِّد بالروح القدس.» (يو ١: ٣٣)

هذا هو سر العنصرة، هذا هو الذي تم يوم الخمسين بين المسيح والكنيسة: المسيح اتحد بالكنيسة، بجسده الإلهي، فصار للكنيسة طبيعة جديدة مخلوقة في المسيح يسوع؛ وقبلت الكنيسة تبعاً لذلك شخص يسوع الممسوح بالروح القدس، مسيح الأردن، خادم الجليل، واعظ الناصرة.

الكنيسة بعد أن حلَّ المسيح فيها صارت تعمِّد مباشرة، لم تكن هي التي صارت تعمِّد بالماء والروح القدس بل مسيحها شخصياً، رأسها غير المنظور.

حينما مُسح المسيح بالروح القدس في الأردن ليباشر خدمة التعميد، صار هو المعمِّد منذ ذلك اليوم إلى وقتنا هذا وإلى نهاية كل الدهور: «دُفع إليَّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض، فاذهبوا ... وعمِّدوهم ... وها أنا معكم» (مت ٢٨: ١٨-٢٠). أما الكنيسة فصارت تلد له بنين من بطنها التي هي المعمودية المقدسة بعد أن «تتمخَّض بهم» (غل ٤: ١٩) (أي تعظهم بكلمة الخلاص) إلى أن «يتصوَّر المسيح فيهم» (أي يكمل إيمانهم بالمسيح).

---

(6) St Augustine, *Hom. on the Gospel of John*, Tractate XV, 3; V, 9, 11; NPNF 1st Ser, VII, pp. 100, 34, 35.

خامساً: في إنسان العنصرة

هذا هو محور العنصرة، قوة يوم الخمسين، عمل الروح القدس، غاية المسيح من بيت لحم حتى الجلجثة، موعد الآب الذي تكلم عنه جميع الأنبياء!!

الإنسان الجديد الذي نلبسه في المعمودية هو عمل الأقانيم الثلاثة الإلهية في طبيعتنا البشرية، لتجديد خلقتها من الصورة الآدمية الترابية إلى الصورة المسيحية الإلهية.

نحن نخلع في المعمودية آدميتنا العتيقة بناموسها، لنلبس مسيحيتنا الجديدة ببرِّها: «إذاً إن كان أحدٌ في المسيح فهو خليقة جديدة. الأشياء العتيقة قد مضت، هوذا الكل قد صار جديداً.» (٢كو ٥: ١٧)

(أ) عمل الآب في الإنسان الجديد:

إن كل حوادث يوم الخمسين لم تكن جديدة على فكر المتتبعين للنبوات؛ فقد سبق الله وأوحى إلى أنبيائه بطرق منوَّعة عن إتيان يوم جديد فيه يتغيَّر قلب الإنسان وفكره وروحه؛ ولكن لم يخصّ الله الأنبياء مثلما خصَّ يوئيل النبي بالحديث والتنبؤ عن يوم العنصرة، حتى دُعِيَ من دون جميع الأنبياء بنبي العنصرة.

تكلم يوئيل النبي عن مجيء اليوم الذي سيسكب فيه الله روحه على كل بشر؛ وظلت هذه النبوة بصفة خاصة تُدعى: «**موعد الآب**»، لأنها تختص بوعد الله بإرسال روحه في إرسالية عمومية للإنسان: «هذا ما

قيل بيوئيل النبي: يقول الله ويكون في الأيام الأخيرة أني **أسكب من روحي على كل بشر.**» (أع ٢: ١٦ و١٧)

ويعود المسيح يذكّر تلاميذه قبل صعوده مباشرة بهذه النبوة التي على ما يُظن كان قد شرحها لهم وفسَّرها بتدقيق، ودعاها «موعد الآب»: «وفيما هو مجتمع معهم أوصاهم أن لا يبرحوا من أورشليم بل ينتظروا **موعد الآب** الذي سمعتموه مني.» (أع ١: ٤، لو ٢٤: ٤٩)

وحدث لمَّا حلَّ الروح القدس واندهش الحاضرون لمَا رأَوْا وسمعوا من حوادث ذلك اليوم العظيم، أن تذكّر بطرس الرسول كلام المسيح عن هذه النبوة بالذات، فقام وأخذ يشرح وعد الآب بيوئيل النبي: «فوقف بطرس مع الأحد عشر ورفع صوته وقال لهم: أيها الرجال اليهود والساكنون في أورشليم أجمعون ... هذا ما قيل بيوئيل النبي» (أع ٢: ١٤ - ١٦)، وأخذ يشرح لهم موعد الآب كما سمعه من المسيح. واستطرد إلى أن أكّد أن الروح القدس الذي يرونه ويسمعونه هو من الآب وأرسله المسيح حسب وعده: «وإذ ارتفع بيمين الله وأخذ **موعد الروح القدس** من الآب، سَكَبَ هذا الذي أنتم الآن تبصرونه وتسمعونه.» (أع ٢: ٣٣)

لذلك، فنحن نعتبر أن الخليقة الجديدة التي أكملها يسوع فينا على صورته في المعمودية بالروح القدس هي أصلاً وعد الآب.

وحتى هذه الصورة الجديدة التي أخذناها في المعمودية التي هي صورة ربنا يسوع المسيح «في البر وقداسة الحق» (أف ٤: ٢٤)، لو تعمقنا أصولها لوجدناها هي أيضاً من عمل الآب؛ بل هي امتداد لبهاء صورة الله الآب غير المنظور. فنحن نقرأ لبولس الرسول في الرسالة الثانية

لكورنثوس: «المسيح الذي هو صورة الله» (٢كو ٤: ٤)، ثم نعود فنقرأ له في نفس الرسالة كيف نتحوَّل نحن بواسطة الروح القدس إلى هذه الصورة المجيدة عينها!! «ونحن جميعاً ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف، كما في مرآة، نتغير إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد، كما من الرب الروح.» (٢كو ٣: ١٨)

وربما نستكثر على أنفسنا ولا نعقل بالمرة كيف أن صورتنا تكون ممجَّدة أو أنها تزداد في المجد على شبه صورة الابن، أو بالحري على شِبه صورة بهاء مجد الله الآب. ولكن أليست خلقتنا الأولى تمت وكملت لتكون على صورة الله: «نعمل الإنسان على صورتنا» (تك ١: ٢٦)، متكلماً بصيغة الجمع، مشيراً إلى الأقانيم الثلاثة؟!! أية صورة مجيدة هذه! إنها أُخفيت عن أعيننا بسبب الخطية.

ولكن نحن في المعمودية نغتسل ونتطهر من وسخ الخطية؛ الروح القدس يُقدِّسنا ويجدِّدنا لنحمل مرة أخرى صورة خالقنا في المجد والكرامة: «إذ خلعتم الإنسان العتيق مع أعماله، ولبستم **الجديد الذي يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه!!**» (كو ٣: ٩-١٠)

ولكن الإنسان الجديد لا يُستعلن تماماً الآن بالرغم من أننا نلبسه لبساً، فهو يظل كامناً فينا، نحسه ويحسه الآخرون فينا، ولكن لا نراه. نَحن نعيش فيه ولكن في سرٍّ، إلى أن يُستعلن تماماً بمجيء الرب: «أيها الأحباء الآن نحن أولاد الله، ولم يُظهَر بعد ماذا سنكون، ولكن نعلم أنه إذا أُظهِرَ نكون **مثله** لأننا سنراه كما هو.» (١يو ٣: ٢)

ولو عدنا إلى حادثة تجلِّي الرب نقرأ هكذا: «وإذا رجلان يتكلمان **معه وهما موسى وإيليا اللذان ظهرا بمجد**» (لو ٩: ٣٠-٣١). حينما

نخلع هذا الجسد الترابي، يظهر أيضاً مجد الداخل. هو مخفي عن أعيننا الآن إلى أن نخلع العتيق تماماً. سنخلعه يوم مجيء الرب فنوجد معه في المجد!! «لأنكم قد مُتُّم وحياتكم مستترة مع المسيح في الله. متى أُظهِرَ المسيح حياتنا، فحينئذ تُظهَرون أنتم أيضاً معه في المجد.» (كو ٣: ٣-٤)

يلذ لنا أن نعود بهذا المجد إلى مصدره ومنبعه. فالإنسان الجديد المجيد الذي يخلقه فينا الرب يسوع، هو في الواقع استجابة لمشيئة الله الآب: «أن تلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله.» (أف ٤: ٢٤)

والمجد الذي سيقوم به هذا الإنسان الجديد عند استعلان ومجيء الرب يسوع هو بعينه المجد الذي قام به يسوع من بين الأموات؛ أما المجد الذي قام به المسيح فهو بعينه مجد الآب!! «كما أُقيم المسيح من الأموات **بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضاً** في جدَّة الحياة.» (رو ٦: ٤)

الآن، كم هو جليل حقاً أن نكتشف عمل الآب في خلقة إنساننا الجديد!! أما هذا العمل الجليل فينحصر نوعاً ما، كما رأينا، في إعادة صورة مجده في جبلتنا حسب سابق حكمته في خلقتنا، لإعدادنا للحياة معه «في المجد».

(ب) عمل الابن في الإنسان الجديد:

١ ــ أثر موت المسيح في حياتنا:

إنْ لم تقع حبة الحنطة في الأرض أولاً وتُمت؛ فلا يُنتظَر أن نحصد قمحاً جديداً.

فإن كان لنا أن نفتخر بإنساننا الجديد الذي نناله بالروح القدس في المعمودية، فما ذلك إلا على أساس القوة التي حصلنا عليها بموت الرب والتي بمقتضاها استطعنا أن نخلع العتيق! هذه القوة اللازمة لخلع العتيق

تساوي في عمقها اللاهوتي القوة اللازمة لانبعاث الإنسان الجديد!! هذه الحقيقة تتضح لنا أكثر حينما نعلم أنه لكي نحيا ولكي نصير خليقة جديدة، مات الرب على الصليب!!

ونحن نعلم أن «الموت الذي ماته (الرب) قد ماته للخطية» (رو ٦: ١٠). إذن، فموت الرب رفع عنا الخطية التي هي سبب موتنا. وهكذا نرى أن موت الرب أحيانا: «ونحن أموات بالخطايا **أحيانا** مع المسيح.» (أف ٢: ٥)

في المعمودية نحن نشترك في موت الرب، والاشتراك في موت الرب هو نفسه اشتراك في حياته بلا شك.

٢ ــ المسيح يجاهد معنا بعد المعمودية:

قوة موت الرب لا تزال تهبنا سلطاناً أيضاً على الخطية حتى بعد المعمودية. المعمودية لا تلغي الخطية، ولكن الروح القدس يهبنا قوة ضد الخطيئة تستمر معنا كل أيام حياتنا.

نحن نجحد الشيطان والخطية في المعمودية، وبعد المعمودية نجاهد ضدهما: «احسبوا أنفسكم أمواتاً عن الخطية ... لا تَمْلِكَنَّ الخطية في جسدكم المائت لكي تطيعوها في شهواته ... فإن الخطية لن تسودكم.» (رو ٦: ١١، ١٢، ١٤)

في المعمودية نحن نتحرر من سلطان الشيطان بقبولنا المسيح إلهاً. نحن نجحد الشيطان علناً تحقيقاً لقبولنا المسيح إلهاً.

المسيح في المعمودية يطرد عنا الشيطان كما كان يطرده من الذين عليهم الأرواح النجسة في الجليل أو في الناصرة. سلطانه لا يزال بيده.

المسيح في المعمودية يمارس خدمته الأولى، يشفي كل مرض وكل سقم في الكنيسة، ويطرد الأرواح النجسة.

المسيح لما اعتمد في الأردن وحلَّ عليه الروح القدس، أصعده الروح إلى البرية ليُجرَّب من إبليس. نحن نأخذ المسيح في المعمودية، وفي الحال يشهد لنا الروح أننا صرنا أولاد الله، ولكن بعد ذلك يُصعدنا الروح إلى برية العالم لنجرَّب من إبليس!

نحن لا نزال بعد المعمودية نكمِّل قوة المعمودية. التوبة هي قوة المعمودية!

في المعمودية نأخذ صورة المسيح في إنساننا الجديد، وبعد المعمودية ننمِّي حواس هذه الطبيعة الجديدة، وندرِّبها في البر والقداسة والحق، كما يحق «للإنسان الجديد المخلوق بحسب الله» (أف ٤: ٢٤). مركز المسيح بالنسبة للإنسان الجديد هو الأصل الذي تنحدر منه الصورة؛ وهو مجد هذه الصورة؛ والطبيعة التي تستمد منها صفاتها، والقوة التي تتخذ منها كيانها الدائم ووجودها في الحاضر والمستقبل.

الإنسان الجديد المخلوق في المسيح يسوع حسب الله في البر وقداسة الحق، سيظل في صراع دائم ضد العالم والجسد والشيطان بعد المعمودية.

إبليس ترك المسيح بعد تجربة الجبل إلى حين. إبليس عاد إلى المسيح ليُجرِّبه فينا. المسيح فينا لا يزال يواجه العدو؛ هو يحارب عنا، ولكنه لا يستطيع أن يحارب عنا بدوننا.

صراعنا مع العدو مضمون النصرة إن كنا نلتفت إلى المحارب عنا: «ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمِّله يسوع.» (عب ١٢: ٢)

هذا الصراع الدائم «من أجلك نُمات كل النهار» (رو ٨: ٣٦) هو صراع لذيذ، سمَّاه بولس: «الجهاد الحسن» (٢تي ٤: ٧). بولس أكمله بالإيمان وعَبَرَ. سوف نرى في بعض الكلمات القليلة القادمة حينما نتكلم عن المسحة المقدسة، أن صورة الإنسان الجديد مختومة بختم المسيح، والختم يحمل صورة صاحبه.

نحن معتبرون ملكاً ليسوع المسيح، كغنمة مُشتراة لتقدَّم ذبيحة طاهرة، أو كعبد مُشترى لخدمة سيده، أو كجندي صالح يحارب حروب الرب.

ولكن الختم لا يحمل صورة رمزية مكتوبة بأحرف ميتة؛ بل صورة حية ناطقة متحركة: «به نحيا ونتحرك ونوجد» (أع ١٧: ٢٨). ختم المسيح هو صلة حية نستمد منها كل ما للمسيح حسب قياس قامتنا الروحية. نحن ننمو في المسيح، وليس لنمونا نهاية إلى أن نبلغ «إلى قياس قامة ملء المسيح» (أف ٤: ١٣)، إلى أن نصل إلى حدود صورة المسيح فينا عينها: «من مجد إلى مجد، كما من الرب الروح.» (٢كو ٣: ١٨)

وهنا نقف وقفة قصيرة نكشف فيها سر ارتباطنا بالمسيح بتأملنا في "حروف الجر" التي استخدمها بولس الرسول بوفرة ليعبِّر بها عن صلتنا السرية واتحادنا الخفي بيسوع المسيح الذي نستمد منه كياننا المسيحي ووجودنا:

دُفنَّا **معه**، **متحدين معه** بشبه موته، إنساننا العتيق قد **صُلب معه**، **مُتنا مع المسيح**، سنحيا أيضاً **معه**، أنتم أحياء لله **بالمسيح**، لا دينونة الآن على الذين هم **في** المسيح، الله اختارنا **فيه** قبل تأسيس العالم، الله عيَّننا للتبني **بيسوع** المسيح، سبق رجاؤنا **في** المسيح، أحيانا **مع**

المسيح، أقامنا **معه**، أجلسنا **معه** في السماويات **في** المسيح (رو ٦: ٤ - ١١، ٨: ١؛ أف ١: ٤-١٢، ٢: ٥-٦).

من هذه التعبيرات اللاهوتية التصوفية يتبين لنا أن صلتنا «بالمسيح» أو «مع المسيح» أو «في المسيح» هي صلة عجيبة ليست من نوع مألوف لدى الفكر، لا يستطيع العقل أن يحيط بمعناها تماماً. نحن نستطيع أن نحسها فقط في أعماقنا، نحسها بالروح في الصلاة فنتحقق من صدق هذه التعبيرات ودقتها، بولس الرسول كان يصف حالة داخلية تملأ كيانه. اسمع وتأمل ما يقول بولس الرسول كأنه يصف رؤيا:

+ «أحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ.» (غل ٢: ٢٠)
+ «أما نحن فلنا فكر المسيح.» (١كو ٢: ١٦)
+ «ليحلَّ المسيح بالإيمان في قلوبكم.» (أف ٣: ١٧)
+ «لكي تمتلئوا إلى كل ملء الله.» (أف ٣: ١٩)
+ «لأننا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه.» (أف ٥: ٣٠)
+ «لأنكم كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح.» (غل ٣: ٢٧)

بماذا نستطيع أن نعلِّق على هذه المشاعر والأحاسيس الإلهية إلا بأن نقول: آمين؟

وليس بولس فقط، بل وآباء الكنيسة عاشوا في هذه الحقائق، لبسوا المسيح لبساً وتغيَّروا إلى تلك الصورة عينها!

اسمع **القديس غريغوريوس النزينزي** يقول:

[إن أجزاءنا التي لا تتغير إلى هذا الشكل تبقى عديمة الشفاء.][٧]

ويشترك معه أيضاً **القديس غريغوريوس النيسي:**

[نحن نعلم أن كلمة الله صار هو المسيح الرب؛ وكل من يدركه يصير مثله.][٨]

ويشترك مع الاثنين **القديس يوحنا ذهبي الفم:**

[الذي يعتمد للمسيح لا يولد من الله فقط؛ بل إنه يلبس المسيح أيضاً. ولا نأخذ هذا على المعنى الأدبي، كأنه عمل من أعمال المحبة، بل الأمر حقيقة. فالتجسد جعل اتحادنا بالمسيح واشتراكنا في الألوهة أمراً واقعاً.][٩]

وبولس كان حقاً يعيش في المسيح لأن المسيح كان حياته!! فهو لم يَقُلْ إن المسيح أحياه فقط بل قال: «لِيَ الحياة هي المسيح» (في ١: ٢١)، بل قال أيضاً بصراحة ووضوح: «متى أُظهر المسيح حياتنا» (كو ٣: ٤). فإن كان بولس الرسول يحيا في المسيح، أليس هو شريكاً، إذن، في الحياة الأبدية مع الله؟ «هبة الله هي حياة أبدية بالمسيح» (رو ٦: ٢٣). «إننا ورثة أيضاً، ورثة الله، ووارثون مع المسيح.» (رو ٨: ١٧)

ويوحنا الرسول يدعِّم المعنى ويوضح كليَّة صلتنا السرية بالمسيح، باعتبار المسيح هو نفسه الحياة، الحياة الأبدية، بقوله: «الحياة أُظهِرَت وقد رأينا ونشهد ونخبركم بالحياة الأبدية التي كانت عند الآب وأُظهِرَت

---

(7) *Letter CI to Cledonius,* PG 37, 181.

(8) *Antirrheticus Adv. Apollin.,* 53, PG 45, 1251.

(9) Cited in: *Orthodox Spirituality,* by a monk of the Eastern Church, London 1957, p 58.

لنا... شركتنا نحن فهي مع الآب ومع ابنه.» (١يو ١: ٢-٣)

أما حواس الإنسان الجديد وسلوكه فلا يرى بولس الرسول أنها تستمد تجديدها فقط من المسيح، بل إنها تعمل بالمسيح، أو على الأصح أن المسيح يعمل بها، فهي حواس المسيح أكثر من أن تكون حواسنا: «المسيح يسوع الذي صار لنا حكمة من الله وبراً وقداسة وفداء.» (١كو ١: ٣٠)

إذن، تأمل معي أيها القارىء في قيمة التجسد الإلهي، وفي قيمة معمودية الرب، وفي قيمة موته، وفي قيمة قيامته، وما آلت إليه كل هذه من نحونا؛ حتى وكأنما لم تحدث حركة ما في السماء أو على الأرض منذ أول الدهور حتى هذا اليوم الخمسين إلا وكانت تعمل لبناء الإنسان الجديد في المسيح بالروح القدس.

كم هي عميقة ومتسعة وعجيبة حدود خلاصنا! وكم هي سهلة أيضاً!

«كيف ننجو نحن إن أهملنا خلاصاً هذا مقداره؟» (عب ٢: ٣)

(ج) عمل الروح القدس في الإنسان الجديد:

أولاً: الروح القدس والماء أو الميلاد الثاني:

نحن أمام قضية نيقوديموس: كيف يولد الإنسان ثانية؟

نترك هنا الكلام للقديس **يوحنا ذهبي الفم** ليرد على هذا السؤال:

[وكما أن قوة النار حينما تتسلط على عروق الذهب الغشيمة المختلطة بتراب الأرض، فإنها تتحول حالاً إلى ذهب نقي؛ هكذا أيضاً بل وأكثر من هذا يعمل الروح القدس في المعمودية في الذين يغسلهم؛ إذ يحوِّلهم إلى ما هو أنقى من الذهب عِوَض الطين،

فحينما يحل الروح القدس «كالنار» (أع ٢:٣) في نفوسنا يحرق أولاً «صورة الترابي» ليعطي «صورة السماوي» (١كو ١٥:٤٩) فتصير كعملة جديدة بهيَّة متلألئة خارجة من أفران الصهر...][١٠]

[أما كيف يُخلق الإنسان جديداً من الماء بواسطة الروح، فبنفس القوة والسر اللذين بهما خُلق الإنسان أولاً من تراب!! وكما تقوَّى التراب وتشدَّد بإرادة الله وصار أعضاء وأجهزة جسدية كاملة، هكذا وأكثر أيضاً يعمل الروح القدس بالماء صانعاً أموراً عجيبة وفائقة للعقل.

إذن، فلا تشُك في عمل الماء والروح في الإنسان الجديد بسبب أنك لا ترى؛ فأنت أيضاً لا ترى نفسك التي فيك.][١١]

ويعود نفس القديس يتكلم عن الميلاد الثاني أيضاً:

[ليس بأم وأب، ليس باضطجاع بشر ولا بآلام المخاض نولد ثانية، ولكن من الروح القدس تُصنع أنسجة طبيعتنا الجديدة، وفي الماء نولد سرًّا كما من الرحم ... الرحم يحتاج إلى زمان كثير ليتشكَّل فيه الجسد. أما الماء والروح فمنهما تتشكَّل حياة الروح في لحظة، في طرفة عين!! «المولود من الجسد جسدٌ هو، والمولود من الروح هو روح» (يو ٣: ٦).][١٢]

---

(10) St Chrysostom, *On the Gospel of John,* Hom X, 2; NPNF, 1st Ser, XIV, 36.

(11) St Chrysostom, *On the Gospel of John,* Hom XXV, 1, 2; NPNF 1st Ser, XIV, 88.

(12) *Ibid.,* Hom XXVI, 1; NPNF 1st Ser, XIV, 90.

(١) الروح القدس صانع هياكلنا الجديدة وموحِّدها:

نحن نعلم أن كل مولود يأخذ شكل والده؛ ففي المعمودية مِمَّن نولد؟ وعلى أي شكل يكون إنساننا الجديد؟

الروح القدس هو الذي يصنع هيكل إنساننا الجديد، يصنعه من جسد المسيح السري الذي يملأ السماء والأرض. المسيح دخل العلّية **والأبواب مغلقة** (يو ٢٠: ١٩، ٢٦)، دخلها بجسده: بلحمه وعظامه (لو ٢٤: ٣٩). ولما ظن التلاميذ أنه روح أراهم جسده ولمسوه؛ لحم المسيح وعظامه يمكن أن يُرى ويُلمس ويمكن أن لا يُرى ولا يُلمس.

نحن نولد من هذا اللحم ومن هذه العظام عينها: «لأننا أعضاء جسمه، مِنْ لحمه ومِنْ عظامه!!» (أف ٥: ٣٠)

الروح القدس يخلق هذا الهيكل الجديد من الجسد غير المنظور، وبعد أن يخلقه يملأه: «أنتم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم» (١كو ٣: ١٦). الروح القدس لا يخلق هيكلنا الجديد جزافاً، ولكن حسب صورة ابن الله؛ ليس من جهة منظر الجسد، ولكن من جهة سمات الروح في كل شيء، وبالأخص في الوداعة والطهارة والحق: «تلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق» (أف ٤: ٢٤). الروح القدس يقدِّس طبيعتنا الجديدة باستمرار لتحمل صورة المسيح: «لأن الذين سبق فعرفهم سبق فعيَّنهم ليكونوا مشابهين صورة ابنه.» (رو ٨: ٢٩)

أما **القديس أغسطينوس** فلا يكتفي بمجرد التشابه، بل يرى أن خلقتنا الجديدة هي امتداد حقيقي في شخص المسيح:

[لنفرح ونُسرَّ ونقدِّم الشكر لإلهنا لأننا لم نَصر فقط مسيحيين، بل صرنا مسيحاً، أتفهمون هذا أيها الإخوة وتدركون مقدار النعمة التي حلَّت علينا (بالمعمودية)؟ اعجبوا وسُرُّوا جداً، لقد صرنا مسيحاً!](١٣)

إذن، فعل الروح القدس الأساسي في إنساننا الجديد هو إعطاؤنا كل ما للمسيح لنصير مناسبين للاتحاد الدائم فيه.

لذلك بعد أن يلدنا الروح القدس في المعمودية، ويُشكِّلنا بطبيعة ابن الله، لا يسَعْه إلا أن «يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله ... ورثة الله ووارثون مع المسيح» (رو ٨: ١٦ و١٧). إذ أنه لا يرانا ذواتاً مستقلة عن المسيح، بل يرانا قائمين في وحدة مع المسيح؛ يرى المسيح فينا ويرانا في المسيح.

والعلاَّمة كليمندس الإسكندري يرى أن العامل الرئيسي في الإبقاء على هذه الوحدة المتكاملة في المسيح هو الروح القدس:

[ليس بعد بربري أو يهودي أو يوناني، ولا بعد رجل وامرأة؛ بل الإنسان الجديد المخلوق ثانية بالروح القدس.](١٤)

والقديس إيرينيئوس يعبِّر عن هذه الوحدة بمبدأ لاهوتي معروف في كل كتاباته مضمونه أن المسيح استطاع بالروح القدس أن يمركز البشرية في جسده وفي شخصه، فصار المسيح "رأساً وجسماً وشخصاً للإنسان

(13) *Hom. on the Gospel of John,* Tract. XXI, 8l; NPNF 1st Ser VII, p 140.

(14) *Protrept.*, XI, 112, 113; Sources Chrétiennes 2, 180.

الجديد المخلوق منه."(١٥)

والقديس يوحنا ذهبي الفم يرى أنها مقدرة إلهية فائقة أن يجمع المسيح المتضادات والمتخالفات ويوحدها بالروح القدس في جسده:

[ما معنى هذا؟ معناه أن المسيح جعل الكل وجمع أشتات المتخالفات في جسد واحد.](١٦)

ونحن نرى مقارنة ذات اتجاه خلْقي وذات غاية متقابلة بين آدم الأول وآدم الثاني (المسيح): فآدم الأول كان الشخص الذي انقسمت منه وانقسمت بواسطته البشرية، وتعددت وتلونت وتخالفت إلى أشكال وأجناس وألسنة وأمم. وكان ذلك بسبب الخطية بتوسط الشيطان.

وجاء آدم الثاني المسيح الرب، وجمع البشرية مرة أخرى في شخصه، وصالحها في طبيعته ووحَّدها في وحدته؛ وذلك بسبب برِّه وقداسته بتوسط الروح القدس.

والقديس كيرلس الإسكندري عمود الدين يضيف إلى هذا المعنى قولاً جديداً يجيء في موضعه، حتى لا يتسرَّب إلى الذهن أن تمركز البشرية في شخص المسيح الذي ينادي به إيرينيئوس يحمل مثلاً نوعاً من ضياع شخصياتنا وملاشاتها في انجماعها وتوحدها بشخص المسيح فقال:

[إن الكنيسة التي هي جسم البشرية الجديد، ولو أنها ذات طبيعة واحدة في المسيح إلا أنها تشمل في تكوينها أشخاصاً بشريين متميزين منفردين متعددي الفضائل، غير أنهم متأصلون جميعاً في

(15) *Adv. Haer.*, IV, 33, 14-15; PG VIII, 1082.

(16) *Hom LXV*, NPNF 1st Ser XIV, 241.

جسد المسيح الواحد، يتغذّون من ذات الطعام الواحد.][17]

(٢) الروح القدس عامل مباشر في تكوين الشخصية الجديدة:

الروح القدس حينما يملأ هيكلنا الجديد يملأه بمواهب وقدرات جديدة؛ هذه المواهب هي التي توجِّه الشخصيات وتطبعها بطابع خاص.

ليست موهبة كالأخرى، فمع أن الروح واحد لكن المواهب كثيرة جداً ومتعددة. «فإنه لواحد يعطى بالروح كلام حكمة، ولآخر كلام علم بحسب الروح الواحد، ولآخر إيمان بالروح الواحد، ولآخر مواهب شفاء بالروح الواحد، ولآخر عمل قوات، ولآخر نبوة، ولآخر تمييز الأرواح، ولآخر أنواع ألسنة، ولآخر ترجمة ألسنة؛ ولكن هذه كلها يعملها الروح الواحد بعينه، قاسماً لكل واحد بمفرده كما يشاء.» (١كو ١٢: ٨-١١)

ولكن بالرغم من هذا التمايز المتعدد النواحي في الشخصيات الموهوبة بالروح القدس، إلا أنها تعمل بقيادة الروح الواحد لحساب المسيح!! فنحن، من ناحية، نجد الروح القدس يوحِّد البشرية كلها في جسم واحد، فيزيل جميع الفوارق الجنسية ويرفع الحواجز العنصرية، فتذوب كلها وتصير البشرية كأنها عُجنت من جديد عجينة واحدة متجانسة؛ وذلك بفعل الاتحاد في جسد المسيح السري.

ومن ناحية أخرى، نجد نفس الروح القدس يعمل على خلق شخصيات متمايزة، بأن يهب لشخص معين ما لا يهبه لآخر، ويقسم الأعمال تبعاً للمواهب؛ وإنما بحكمة ومقدار، حتى يصير من هذه

---

(17) *De Trinitate*, 1; PG 75, 697.

المتمايزات وحدة أيضاً، وحدة عمل وبنيان تهدف كلها لغرض واحد وهو اكتمال هذا الجسد الواحد السري أي الكنيسة.

ثانياً ــ الروح القدس والميرون:

(أ) مسحة الروح القدس:

طبعاً، يعرف القارىء أن الميلاد الجديد للإنسان الذي يُقال له عند العامة "التنصير" يتم بواسطة إجراء سر المعمودية، يتلوه سر مسحة الميرون. غير أن سر مسحة الميرون يلزم حسب الطقس الكنسي أن يُجرى للمعتمد مباشرة بعد صعوده من الماء.

والروح القدس عامل أساسي في كلا السرَّين: **في الأول** يلد الإنسان، **وفي الثاني** يحل على المعتمد ليملأه. **في الأول** يشترك المعتمد في جسد المسيح السري، **وفي الثاني** يشترك الممسوح في مسحة المسيح على الأردن!! والروح القدس واسطة الاتحاد **في السر الأول بالتطهير، وفي السر الثاني بالتقديس** ومنح المواهب الروحية للنمو.

سر المسحة بالميرون المقدس هو مثيل مباشر لمسحة المسيح بالروح القدس بعد خروجه من مياه الأردن، هذا من جهة الطقس. أما من جهة الأثر الفعلي، فالروح القدس بواسطة رشم الزيت المقدس يجعلنا شركاء في مسحة المسيح، أو بالحري يجعل المسيح الممسوح بالروح القدس حياً وعاملاً فينا!!

في هذا المعنى يتكلم **القديس كيرلس الأورشليمي** بكلمات إلهية قائلاً:

[قد صرتم مُسَحاء إذ قبلتم الروح القدس، وكل شيء قد صار عليكم بحسب الرسم، إذ أنكم رسوم المسيح؛ فإنه لما استحم في نهر الأردن وصعد منه، انحدر الروح القدس عليه

جوهرياً؛ واستراح المثيل على مثيله؛ ونحن أيضاً بعد أن صعدنا من جرن الينابيع المقدسة، مُنحت لنا المسحة رسمياً كما مُسح بها المسيح، أعني الروح القدس... ولكن انظر واحترس من أن تظن ذاك الميرون بسيطاً لأنه كما أن خبز الشكر بعد استدعاء الروح القدس ليس خبزاً بسيطاً ولا عمومياً بعد الدعاء، بل هو جسد المسيح، هكذا هذا الميرون المقدس، لا يعود ميروناً بسيطاً ولا عمومياً بعد الدعاء، بل هو موهبة المسيح وحضور الروح القدس فاعلاً فعل ألوهيته، فتمسح به كل جبهتك وسائر حواسك، والمسيح يكون هو الذي رسم. فإن الجسم يُدهن بالميرون الظاهر ولكن النفس تُقدَّس معاً بالروح القدس المحيي.][18]

الروح القدس ظهر في عماد المسيح بهيئة حمامة؛ وهي في الرمز الإنجيلي تشير إلى رسالة الحياة الجديدة، كما حملتها حمامة الفُلك أيام الطوفان حينما جاءت بغصن الزيتون في فمها بعد انتهاء الفيضان علامة على ظهور الحياة الجديدة على الأرض.

الحمامة التي استقرت على المسيح كانت إشارة إلى انتهاء عهد الموت، موت طوفان الروح وبدء حياة جديدة بالروح القدس. في هذا المعنى يقول **القديس أفرآم السرياني:**

[إن سفينة نوح كانت تبشِّر بمجيء المزمع أن يسوس الكنيسة في المياه، وأن يرتد أعضاؤها إلى الحرية باسم الثالوث الأقدس. وأما

(18) St Cyril of Jerusalem, *On the Mysteries,* XXI, 1, 3; NPNF 2nd Ser VII, 149-150.

الحمامة، فكانت ترمز إلى الروح القدس المزمع أن يصنع مسحة هي سر الخلاص.][١٩]

الميرون الذي تستخدمه الكنيسة هو زيت شجرة الزيتون؛ لم تخرج الكنيسة قط عن ربط الرمز بالمرموز إليه، وتحقيق إشارات ونبوات الروح عملياً. فأوراق الزيتون التي حملتها حمامة الفلك علامة على بدء الحياة الجديدة على الأرض، استخرجت الكنيسة من ثمرها زيت المسحة، وهيَّأته للحمامة غير المنظورة، أي الروح القدس، لكي يعطي به حياة جديدة بالروح.

كلمة "**المسحة**" تشير إشارة لفظية وعملية لكلمة المسيح. الآب مسح ابنه بالروح القدس بعد العماد؛ كذلك يعمل الروح القدس في سر المسحة؛ إنه يُشركنا في مسحة المسيح كقول **القديس كبريانوس:**

[مَنْ اعتمد ينبغي أن يُمسح أيضاً لكي يصير بواسطة المسحة ممسوحاً لله ويأخذ نعمة المسيح.][٢٠]

الابن أرسل الروح القدس من عند الآب كوعد الآب!

الآب مسحنا بالروح القدس لنكون أعضاء في جسد ابنه!

سر المسحة يثبِّتنا في الثالوث الأقدس... إنه سر التثبيت:

+ «ولكن الذي يُثبِّتنا معكم **في المسيح وقد مسحنا هو الله**، الذي ختمنا أيضاً وأعطى عربون الروح في قلوبنا.» (٢كو ١: ٢١-٢٢)

---

(19) *Hymnen de Fide* 49, 4; CSCO 154, p 155.

(20) *Letter 70,* 11, 2.

(ب) **ختم الروح القدس:**

أو الختانة الروحية، جلجال العهد الجديد:

أول من تكلم عن فعل الروح القدس في الإنسان كختم هو بولس الرسول؛ وأول فكرة عن **الختم** كانت مرادفة **للختان** الذي أجراه إبراهيم في لحم غرلته كأمر الرب له، كعلامة أو شهادة دائمة على إيمان إبراهيم بالله: «وأخذ علامة الختان ختماً لبر الإيمان.» (رو ٤: ١١)

إبراهيم أخذ ختم إيمانه في الجسد بختانة عضو التناسل الذي هو عضو حياة الجسد. وكان هذا رمزاً لختم الإيمان الذي سيكون بختانة القلب في الداخل الذي منه مخارج الحياة الروحية!!

+ «لأن اليهودي في الظاهر ليس هو يهودياً ولا الختان الذي في الظاهر في اللحم ختاناً، بل اليهودي في الخفاء هو اليهودي، وختان القلب بالروح لا بالكتاب هو الختان.» (رو ٢: ٢٨-٢٩)

إبراهيم آمن بالله الذي يُحيي الموتى فحُسب إيمانه براً: «ولكن لم يُكتب من أجله (أي إبراهيم) وحده أنه حُسب له، بل من أجلنا نحن أيضاً الذين سيُحسَب لنا، الذين نؤمن بمن أقام يسوع ربنا من الأموات. الذي أُسلم من أجل خطايانا، وأُقيم لأجل تبريرنا.» (رو ٤: ٢٣-٢٥)

نحن نؤمن أن يسوع المسيح مات وأنه قام أيضاً؛ نحن نعتمد لنبرهن على إيماننا عملياً فنشترك معه في الموت والقيامة.

إن معموديتنا، إذن، هي شهادة إيماننا. لذلك صارت المسحة بالميرون المقدس بعدها عبارة عن ختم سرِّي بالروح القدس، ختانة روحية في القلب، علامة أبدية غير منظورة أننا «قد تبررنا بالإيمان»!! (رو ٥: ١)

هذا الختم نأخذه الآن في هذا الدهر عربون ميراثنا في الحياة الأبدية: «الذي ختمنا أيضاً وأعطى عربون الروح في قلوبنا» (٢كو ١: ٢٢). هذا الختم عينه محفوظ لنا إلى اليوم الأخير: «لا تُحزنوا روح الله القدوس الذي به خُتمتم ليوم الفداء.» (أف ٤: ٣٠)

وسيظل هذا الختم هو العلامة التي تميِّز أولاد الله الوارثين مع المسيح ليُحفظوا من الضربات الأخيرة على الأرض: «وقيل له أن لا يضر عشب الأرض ولا شيئاً أخضر ولا شجرة ما إلا الناس فقط الذين ليس لهم ختم الله على جباههم.» (رؤ ٩: ٤)

صورة الختم:

يقول **القديس كيرلس الأورشليمي:**

[لا تنسوا الروح القدس في أوقات استنارتكم، لأنه يكون حينئذ مستعداً أن يختم نفوسكم بختمه.](٢١)

ما هذا الختم يا تُرى؟

لو تتبعنا كلمة ختم وهي ترجمة سفراجيس Sphragis Σφραγίς في اللغة اليونانية ـــ وهي اللغة التي كتب بها بولس الرسول رسائله؛ نجدها ـــ خصوصاً من الناحية الطقسية الفنية ـــ تعني علامة خاصة تُصنع على الجبهة، إما للحيوانات الطاهرة المعدَّة للذبيحة الإلهية، أو للعبيد الخصوصيين أو الجنود التابعين.

وهكذا نستطيع أن نتتبع المعنى الذي كان يقصده من قوله: «بولس **عبد** ليسوع المسيح» (رو ١: ١)، و«قد حُسِبنا مثل غنم للذبح» (رو

(21) *Cat* XVII, 35; NPNF 2nd Ser VII, 132.

٨: ٣٦)، و«اشترك أنت في احتمال المشقات كجندي صالح ليسوع المسيح.» (٢تي ٢: ٣)

إذن، فالختم الذي يطبعه علينا الروح القدس في المسحة لابد أنه يحمل اسم وصورة المسيح كصاحب ومالك لنفوسنا؛ فلا نعود بعد ذلك أحراراً لأنفسنا بل عبيداً للذي اشترانا بدمه: «أم لستم تعلمون ... أنكم لستم لأنفسكم، ... لأنكم قد اشتُريتم بثمن.» (١كو ٦: ١٩ و٢٠)

وماذا تكون صورة المسيح المطبوعة علينا؟ إلهاً مصلوباً أو متألماً، أو على الأقل مقيَّداً ومُهاناً، يحاكم أمام هيرودس أو بيلاطس!!

حينما يختمنا الروح القدس بصورة المسيح في طقس المسحة نصير أحد ثلاثة: إما عبداً خاضعاً ليسوع المسيح يقوده في موكب نصرته؛ أو جندياً صالحاً يجاهد الجهاد الحسن؛ أو غنمة مستضعفة محفوظة ليوم الصليب!

قوة الختم:

ليس الختم هو مجرد صورة، بل هو فعل روحي يتغلغل كل كيان الإنسان الجديد حتى أعماقه: «إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ.» (عب ٤: ١٢)

هو عملية تقديس الأعضاء بطبيعة الروح القدس النارية؛ فيها تحترق كل شوائب الفكر البشري غير الصالحة وكل الأعمال الميتة: «يُطهِّر ضمائركم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحي.» (عب ٩: ١٤)

والكاهن حينما يقوم بإجراء طقس المسحة ويرشم الأعضاء الظاهرة بالميرون المقدس، وعددها ٣٦ رشماً، فهو في الواقع يختم الأعضاء الداخلية

أيضاً التي للإنسان الجديد؛ هو يقدِّس الحواس جميعاً؛ هو يقدِّس كل عضو[٢٢] حتى يصير الإنسان كله «خليقة جديدة في المسيح.» (٢كو ٥: ١٧)

وفي هذا المعنى نجد **للقديس كيرلس الأورشليمي** كلمات معزِّية:

[هذه المسحة احفظوها طاهرة لأنها تعلِّم كل شيء إذا لبثت فيكم، لأن الروح القدس حِرْزٌ للجسد وخلاص للنفس.][٢٣]

ختانة الأعضاء:

حينما يبدأ الكاهن برشم الميرون، يبدأ من منتصف الرأس، وإني لمتعجب ومندهش من حكمة الكنيسة في ذلك، فرأس الإنسان يحوي المخ حيث تتجمَّع مراكز التفكير والتمييز والحواس جميعاً!!

رأس الإنسان هو حصن العقل، أول جزء اقتحمه الشيطان، وأول عضو دخلته الخطية، عندما أكل آدم من شجرة معرفة الخير والشر.

عقل الإنسان كان حصناً إلهياً منيراً، مركز المعرفة الذي يستمد به معرفة الحق الإلهي كاملاً دون انقسام أو بلبلة. ولكن بعد أن اشتهى الإنسان المعرفة المستقلة، وأن يكون كالله عارفاً، عارفاً بشخصه وبمقدرته، وهامَ وراء الاستقلال الذاتي، وحوَّل مركز تقبُّله للحقائق من الله إلى ذاته، تعرَّض في الحال لنقص في المعرفة لأنه أصبح يستمدها من خبرته الشخصية، وما الخطأ

---

(٢٢) إن الخطية التي تقع على الكاهن الذي لا يدقق في رشم الأعضاء بالميرون، أو يختصرها، أو يهملها جملة، مكتفياً بإلقاء جزء من الميرون في ماء المعمودية؛ هي خطية عظيمة تحمل في معناها الازدراء بقيمة عمل الروح القدس في الرشومات واحتقاراً لسر المسحة وأثره، وهذا قد انعكس على المعمَّدين، وخصوصاً أولاد هذا الجيل، فنشأوا غير ثابتين والتهبت أعضاؤهم بالشهوة.

(23) St Cyril of Jerusalem, *On the Mysteries,* III, 7; *Cat* XXI, 7; NPNF 2nd Ser VII, 150.

أو ما الخطية في أصولها إلا معرفة ناقصة!!

ومنذ آدم حتى اليوم والعقل هو العضو الأول الذي يقتحمه الشيطان ويصنع فيه كل خطية وكل إثم وكل نجاسة!!

انظر أنت نفسك كيف تدخلك الخطية، وبأي مكان فيك تبدأ عملها! إنه عقلك. فإذا احتلت الخطية هذا الحصن الجبار، استولت على جسمك كله، واستعبدت جميع أعضائك، وسخَّرت كل إرادتك وقوتك وإمكانياتك.

لذلك، فالروح القدس - بالمثل - أول ما يقدِّس يقدّس العقل؛ يختنه ختانة روحية، يضع عليه ختم الله حتى لا يعود يفتح أبوابه بسهولة أو بخضوع ذليل للشيطان وحيله، بل يجاهد بكلمة المسيح ويغلب بسيف الروح.

وكما ملكت الخطية على الجسد واستعبدت أعضاءه «كآلات إثم للخطية» وكان الإنسان كله «عبداً للنجاسة»، كذلك حينما يملك الروح القدس عقل الإنسان ويقدِّسه يصيِّره «عبداً للبر»، ويجعل أعضاءه تخدم «آلات بر للقداسة.» (رو ٦: ١٣، ١٨، ١٩)

وكما التهب العقل بالشهوة فاشتعلت الأعضاء كلها تبعاً له، كذلك يلتهب العقل بحب الله والقداسة فتشتعل الأعضاء كما بنار الله، فيشتهي الإنسان في هذه اللحظات لو يصير ذبيحة.

إن العقل هو حصن الإنسان الإلهي الذي خرَّبه الشيطان بالشهوات والنجاسات؛ ولكن عاد الروح القدس وأصلحه وجدَّده وختمه، جاعلاً فيه حارساً ليس ضعيفاً كالناموس ووصايا موسى؛ بل قوياً جباراً هو الحق!!

الحق هو حارس العقل، الحق هو هبة الروح القدس للعقل البشري. الخطية استعبدت الإنسان لما ملكت عقله؛ أما الحق فحرر العقل من كل سلطان الخطية: «تعرفون الحق والحق يحرركم!!» (يو ٨: ٣٢)

يستمر الكاهن في رشم الأعضاء، فيمر على وجه المعتمد ويرشم حواسه بمثال الصليب: الأنف والفم والأذن اليمنى مع العين اليمنى ثم العين اليسرى مع الأذن اليسرى ولا يرفع أصبعه حتى يتسنى له أن يصنع من هذه الرشومات صليباً واحداً على كل الوجه!!

ثم يكمل بقية أعضاء الجسم كله ٣٦ رشماً، لا يترك عضواً أو مِفْصلاً أو جزءاً في الجسم إلا ويختمه بخاتم الروح.

وهكذا يكمل الكاهن ختانة الأعضاء وكأنه يخلع عنها غُلْفتها، «وبه أيضاً خُتنتم ختاناً غير مصنوع بيد، بخلع جسم خطايا البشرية» (كو ٢: ١١)، ويعطيها ختم الروح للشهادة وصورة المسيح.

بعد ذلك تصير الأعضاء كلها للمسيح، بل كما يقول بولس الرسول **تصير «أعضاء المسيح»**. لذلك فهو يقشعر حينما يتصور أن إنساناً ما يعود ويستخدم هذه الأعضاء للنجاسة فيقول: «ألستم تعلمون أن أجسادكم هي أعضاء المسيح؟ أفآخذ أعضاء المسيح وأجعلها أعضاء زانية، حاشا!» (١كو ٦: ١٥)

حراسة الختم:

ولكن هل ختم الروح القدس الذي نناله بالميرون لا يتلوث قط! نفهم من قول **للقديس أثناسيوس** أن تلوث الفكر والأعضاء بعد المعمودية أمر لا مفر منه:

[إن العقل هو مرآة الله الكلمة، ما أسهل أن تتلوث هذه

المرآة.][٢٤]

ولكن أمر تجديدها وغسلها هو أمر يتكفل به الروح القدس أيضاً في سر الاعتراف والتوبة.

فالقديس أثناسيوس يعود ويقول إنه كما أن المعمَّد يستنير بنعمة الروح القدس، هكذا بواسطة الكاهن ينال التائب الغفران بنعمة المسيح.

وكذلك **القديس أغسطينوس** يقول في ذات المعنى:

[إن الخطية التي يفعلها موعوظ تُغسل بالمعمودية، وإذا فعلها معتمد تُترك بالتوبة.][٢٥]

فالتوبة هي ضابطة المعمودية، وحارسة أختام المسحة، وهي الحافظة على حقوق المعتمد، والضامنة لبقاء وعد الميراث!!

المختومون: الجلجال الجديد:

حينما عبر يشوع الأردن مع بني إسرائيل، تلقَّوا أمراً إلهياً بعدم التحرك والتزام حدود الجلجال بجوار ضفة الأردن الغربية إلى أن يختتنوا جميعاً في لحم غرلتهم: «وصعد الشعب من الأردن في اليوم العاشر من الشهر الأول وحلوا في الجلجال في تخم أريحا الشرقي... في ذلك الوقت قال الرب ليشوع: اصنع لنفسك سكاكين من صوان وعُدْ فاختن بني إسرائيل.» (يش ٤: ١٩، ٥: ٢)

هكذا بعدما اعتمد بنو إسرائيل في الأردن التزموا بالختان مباشرة إعداداً للدخول بهم إلى كنعان أرض فلسطين أرض الموعد!! وكل من وُجد غير

---

(24) Cited in: *Orthodox Spirituality*, p. 51.

(٢٥) كتاب: "أسرار الكنيسة السبعة"، الأستاذ حبيب جرجس، ص ١٢٩.

مختون لا يصير من عداد الشعب ولا يكون له نصيب في كنعان.

ما أبدع الرمز وما أقوى التشبيه! فلم تكن كنعان أرض الراحة الجسدية إلا رمزاً لكنعان السمائية الراحة العليا. ولم يكن الأردن إلا تعبيراً عن المعمودية دائماً، وعبوره يرمز إلى اجتياز الموت الذي جازه الرب قديماً بالتابوت وحديثاً بجسده في القبر. وما شعب إسرائيل إلا رمزاً لباكورة المفديين الذين عبروا مع الرب في الأردن قديماً وفي جرن المعمودية حديثاً.

ولم تكن الختانة في الجلجال بعد عبور الأردن مباشرة في لحم الغلفة إلا رمزاً للختانة الروحية في القلب التي تجيز لحامليها الدخول إلى الراحة الأبدية وحق الامتلاك والميراث مع المسيح في المجد.

+ «وسمعت عدد المختومين مائة وأربعة وأربعين ألفاً مختومين من كل سبط ... بعد هذا نظرت وإذا جمع كثير لم يستطع أحد أن يعدَّه من كل الأمم والقبائل والشعوب والألسنة.» (رؤ ٧: ٤، ٩)

+ «وهم سينظرون وجهه واسمه على جباههم.» (رؤ ٢٢: ٤)

يا إخوة، كلما عيَّدتم للعنصرة تذكَّروا بهذه الأمور.



الروح القدس وكمال استعلان الثالوث عند القديس أثناسيوس

- ماهيَّة الروح القدس كأقنوم إلهي
في الثالوث المتساوي (وحدة الثالوث المتساوي).
- أثناسيوس وإرساء القواعد الثابتة
للاهوت الروح القدس ووحدة الثالوث.

سنة ١٩٨١

المحتويات

ماهية الروح القدس، كأقنوم إلهي في الثالوث المتساوي ٢١٠
تعاليم العهد القديم من نحو الروح القدس التي ورثها الرسل الأوائل: ٢١٦
أولاً: من خلال أسفار العهد القديم العبرية وتعاليم الربيين ٢١٦
ثانياً: من خلال الأسفار القانونية الثانية المدعوة بالأبوكريفا..... ٢١٩
ثالثاً: بداية العصر المسيحي ٢٢٢
رابعاً: عصر الرسل ٢٢٤
١ – إعلان الروح القدس عن نفسه عملياً للرسل (سفر أعمال الرسل)... ٢٢٤
٢ – استعلان الرسل للروح القدس لاهوتياً (في الرسائل) ٢٣٥
(أ) الروح محيي ٢٣٥
(ب) الروح القدس يلد (يخلق ثانية) الإنسان ويتبنَّاه لله ٢٣٨
(ج) الروح القدس يحرِّرنا ويتدرَّج بنا في الكمال المسيحي بالاستنارة ٢٣٩
(د) الروح القدس يوحِّد المؤمنين في جسد المسيح، فيصيروا جميعاً أعضاءً فيه، كنيسة واحدة بالروح الواحد..... ٢٤٠
(هـ) الروح القدس يوزِّع المواهب على المؤمنين باعتبارهم أعضاءً في جسد واحد لتصير المواهب جميعاً لخدمة الجسد الواحد (الكنيسة)، بمشيئة الروح القدس الواحدة، أي لمجد المسيح «ذاك يمجِّدني» ٢٤٣
(و) الروح القدس يضطلع بحفظ الوديعة الصالحة، أي التقليد المسلَّم في الكنيسة بالإيمان، وذلك من خلال سكناه في الأفراد الأمناء له..... ٢٤٤
(ز) الروح القدس بعد أن يستودع مواهبه في قلوب المؤمنين الساكن

فيهم، ينتظر منهم أن يضرموها بالصلاة والأعمال الصالحة، لتظل متأججة ٢٤٤
(ح) الروح القدس يظل يشهد للمسيح في الكنيسة داخل المؤمنين بواسطة المواهب التي يمنحها للأفراد، وبواسطة الآيات والمعجزات التي يجريها بواسطتهم إنما حسب إرادته هو ٢٤٥
(ط) التنكُّر لشركة الروح القدس والازدراء بها، تنكُّرٌ للاهوت المسيح شخصيًّا، وبمثابة صلبه ثانية والتشهير به ٢٤٦
خامساً: عصر ما بعد الرسل ٢٤٧
الآباء الرسوليون ٢٤٧
القرن الثاني ٢٥٠
أواخر القرن الثاني حتى منتصف القرن الثالث ٢٥٧
كنيسة الإسكندرية ٢٦٧
القرن الرابع ... قرن المتاعب والتصفيات ٢٧٤
أريوس والأريوسية ٢٧٤
يوسابيوس القيصري ٢٨٢
كيرلس الأورشليمي ٢٨٣
القديس أثناسيوس الرسولي وإرساء القواعد الثابتة للاهوت الروح القدس ووحدة الثالوث ٢٨٧
أولاً: علاقة الروح القدس الجوهرية بالكلمة ٢٨٩
ثانياً: علاقة الروح القدس الجوهرية بالآب والابن في الثالوث ٢٩٨
مسحة المسيح بالروح القدس وقت العماد، والنعمة التي نلناها من هذه المسحة ٣٠٥
مفهوم التجديف على الروح القدس كما يراه القديس أثناسيوس ٣١٨

الفصل الأول

ماهية الروح القدس

كأقنوم إلهي في الثالوث المتساوي

كان القديس أثناسيوس أول مَنْ دافع عن لاهوت الروح القدس، عندما واجه كلاً من جماعة المتقلبين(١) والأريوسيين الذين قالوا بأنه مخلوق.

ودفاع القديس أثناسيوس يقوم أساساً على إثبات الوحدة القائمة بين الثلاثة أقانيم الآب والابن والروح القدس أنهم إله واحد. على أن هذه الوحدة الجوهرية القائمة في الثالوث تتضح من وحدة العمل، فكما أن الابن لا يعمل شيئاً من ذاته، كذلك الروح القدس لا يعمل شيئاً من ذاته، وإنما كل عمل هو من الثالوث "من الآب بالابن في الروح القدس".

والقديس أثناسيوس هو أوَّل مَنْ أوضح هذا التعبير، وقد أخذه عنه القديس كيرلس الكبير وجعله أساساً لفهم الثالوث. وقد جاء دفاع القديس أثناسيوس متفرِّقاً في مقالاته ضد الأريوسية، ثم مركَّزاً في أربع رسائل عن "الروح القدس" موجَّهة إلى الأسقف سيرابيون الذي كان

---

(١) المتقلِّبين τροπικοί ومعناها تصوريون Figurists.

قد بعث إليه أثناء نفيه وهروبه في أعماق الصحاري يشكو فيها من قيام هذه الهرطقة القائلة بمخلوقية الروح القدس ويستفسر عن الرد.

وقد كتب القديس أثناسيوس الرسولي هذه الرسائل - كما سبق وقلنا - بين سنة ٣٥٨-٣٦١م، وقد خصَّ أثناسيوس كل رسالة بناحية هامة من لاهوت الروح القدس:

ففي الرسالة الأُولى يهتم بلاهوت الروح القدس عامة، مستشهداً بآيات الكتاب المقدَّس ثم بالوحدة الكائنة بين الآب والابن والروح القدس، وهي الرسالة الهامة التي سنركِّز عليها.

الرسالتان الثانية والثالثة وفيهما يشدِّد على لاهوت الروح القدس على نمط الطريقة التي يبرهن بها على لاهوت الابن.

الرسالة الرابعة وتتركَّز في تفسير قول الرب عن التجديف على الروح القدس.

ولكن ماذا كانت الرؤية العامة في الكنيسة وعند آباء ما قبل نيقية عن الروح القدس؟

ثم كيف سار منهج التعريف بالروح القدس منذ البدء حتى أثناسيوس؟

قبل أن نخوض في هذا الشوط الطويل من الإدراكات والتعبيرات التي صاغت المنهج القانوني للتعريف بالروح القدس منذ القديم، يلزم بادئ كل ذي بدء، أن نفرِّق بين أفراد طبقة المفكِّرين في الكنيسة الذين حاولوا باجتهاد شخصي وبدون قيادة واضحة من الروح القدس بل وبدون الاعتماد على التسليم، أن يعرِّفوا بالروح القدس ويصفوه حسب تصوُّرهم، سواء بالنسبة للآب أو للابن أو في الثالوث، فخرجوا عن

التعريف السليم وجنحوا جنوحاً خطيراً عن الحق الواضح في الكتب المقدَّسة، بل ومتحدِّين معطيات الشرح البسيط الواضح الذي ورثته الكنيسة عن الرسل والآباء وجماعات الملهَمين الأوَّلين حسب التقليد الذي كان يحسُّه ويعيشه عامة الشعب بدون أي فحص أو برهان.

فتعاليم إنجيل يوحنا الواضحة جدًّا عن شخصية الروح القدس كانت قويَّة ومُدركة بالنسبة للإنسان الجديد «مولودين من الماء والروح»، ثم ما جاء في أعمال الرسل عن أعمال ومواهب الروح القدس التي تنطق بشخصية الروح القدس وقيادته بصورة حيَّة واقعية وعملية، فهو يقود ويفهم، ويتكلَّم ويدعو وينتخب ويرسل ويحكم ويمنع ويصرِّح ويملأ ويقوِّي كإله وكشخص حي يتعامل مع الإنسان.

لذلك نجد خطَّين متوازيين في البحث التاريخي عن منهج التفكير والتقنين في حقيقة الروح القدس:

أولاً: خط الرسل الذي يعطي الإيمان الواضح المحدَّد عن شخصية الروح القدس الإله الكامل في الثالوث المساوي للآب والابن في المجد والكرامة والعمل، حيث ظلَّ هذا الخط هو الذي تعيشه الكنيسة وتمارسه بدون فحص.

وحينما طُلبَ من الكنيسة رسميًّا أن تقول رأيها في الروح القدس في كل المواقف الحرجة قالته بدون تردد أو تفكير ولا إلى لحظة واحدة أنها تعبد إلهاً واحداً في ثلاثة أقانيم: آب وابن وروح قدس في لاهوت واحد.

ثانياً: بعض الآباء المتأخِّرين عن الرسل الذين عثروا في تحديد ماهية الروح القدس، فالسبب الذي صار منفذاً لهؤلاء المفكِّرين لكي يدخلوا فيه بأفكارهم وتصوراتهم المنحرفة **هو أن الرسل والكنيسة الأولى لم تحدِّد**

العلاقة أو الطبيعة التي تربط الأقانيم الثلاثة معاً، ولم تترك قانوناً محدَّداً للتعبير عن الإيمان بكل أقنوم على حدة فيما يخص شخصه، لأن مثل هذا التحديد كان غريباً جدًّا عن تصوُّر الكنيسة، فالله واحد والثلاثة أقانيم فيه متساوية والعمل بينهما واحد، كل واحد يعمل بشخصه، والكل يعمل معاً كذات واحدة بآن واحد: «عمِّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس» (مت ٢٨: ١٩)، فالعماد عمل واحد يتم باسم الله بواسطة الأقانيم الثلاثة كإله واحد، ولكن كل أقنوم بعمله المتميِّز، كل واحد باسمه.

لذلك حينما نعود إلى المراحل التاريخية التي عبرها منهج التعريف والتحديد لشخص الروح القدس، لا تكون هذه المراحل للتعبير عن تاريخ مراحل فكر الكنيسة الصحيح البسيط الثابت، بل هي في الواقع دراسة لأفكار أفراد انفردوا في حوارهم عن تقليد الكنيسة البسيط، فخرجوا أحياناً كثيرة عن تسليم وعيها الإيماني وبدأوا يقرِّرون حسب تصوّرهم ماهية الروح القدس، سواء كانوا من أصحاب البدع اليهودية والغنوسية والوثنية أو من الذين كانوا يدافعون ضدَّهم الذين جاءت أقوالهم بمثابة دراسة للردود على هذه الانحرافات، وهم الآباء اللاهوتيون مستقيمو الرأي مثل كليمندس وبابياس وإغناطيوس وإيرينيئوس وكبريانوس وهيبوليتس.

ولذلك نعتبر فكر العلاَّمة هارناك، وهو من مشاهير اللاهوتيين الألمان الذين تعرَّضوا لتاريخ الفكر الكنسي فيما يختص بشخص الروح القدس، فكراً خاطئاً إذ تصوَّر أن الكنيسة برمتها مع شعبها وقدِّيسيها عبروا هذه

المراحل الخاطئة والناقصة في فهم وتقدير ومعايشة الروح القدس(٢).

وهذا رأي غير مقبول ولا هو منطقي، فكيف أن الكنيسة الأولى كنيسة الروح القدس والقوَّة، كنيسة النعمة والكرازة والفم الشاهد بالآلام والقيامة، هذه الكنيسة نفسها كيف نقول إنها كانت تعيش في جهل من الروح القدس لا تعيه ولا تُقيِّمه التقييم الصحيح؟

والحقيقة أن خط الكنيسة التي كانت تحيا وتسير بالروح القدس لم يتأثَّر قط بخط العلماء والحكماء(٣) والمفكِّرين المحاجين، الذين كانوا يعيشون ويتخاطبون في أجواء البدع والوثنية بإحساس المدافعين عن فكرة معيَّنة ضد فكرة معيَّنة، منفصلين عن واقع الروح القدس الحي القائم والعامل في الكنيسة، الذي يصعب بل ويستحيل حصره في كلمات وجمل يقبلها الهراطقة، دون أن يعيشوا ويحسوا بقوَّة الروح القدس نفسه، ودون أن يكونوا قد قبلوا المسيح أولاً وولدوا من الماء والروح، لأن كل بحث أو دراسة عن الروح القدس بدون معايشة فعلية تَقَويَّة للروح القدس لابد وأن تأتي بانحرافات.

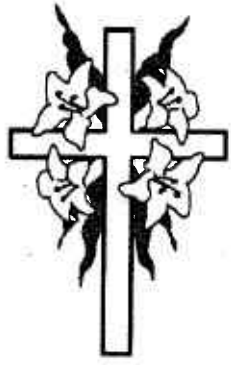
لذلك حينما نأتي إلى ما قدَّمه القديس أثناسيوس من منهج دراسي لاهوتي مشروح بدقَّة للروح القدس في منتصف القرن الرابع، لا يمكن أن نعتبر ذلك مرحلة نضوج لفكر الكنيسة، أو أنه كان نهاية لمراحل سابقة من الانحرافات، ولكن الحقيقة وعين الأمر أن أثناسيوس قد استطاع أن

---

(2) Adolf Harnack, *Hist. of Dogma: History of the Holy Spirit & Trinity,* p. 266.

(٣) [لأن ما سُلِّم بالإيمان لا ينبغي أن يُقاس بالحكمة البشرية]. أثناسيوس الرسولي عن الروح القدس الرسالة الأولى فصل ١٧.

يقدِّم بتقواه واستنارته الروحية فكراً لاهوتيًّا مُبرهَناً ودقيقاً لماهية الـــروح القدس، في منهج مدرسي جاء مساوياً تماماً وبلا أية زيادة أو نقـــصان لفكر الرسل والإنجيل البسيط المُعاش والحي عن الروح القدس في جسم الكنيسة ووجدانها، منذ أن عرفته الكنيسة حتى إلى ذلك الوقت، وكل ما عمله أثناسيوس هو أنه استقطب كل الهرطقات والانحرافـــات وفنَّـــدها وشجبها وأنهى عليها إلى الأبد.



تعاليم العهد القديم من نحو الروح القدس التي ورثها الرسل الأوائل

أولاً: من خلال أسفار العهد القديم العبرية وتعاليم الربيين

١ - كان الروح القدس له صفة دامغة فائقة وهي القداسة "الروح القدس".

٢ - والصفة الأخرى التي تساويها وتلتزم بها هي "روح الله".

٣ - وبالتالي فإن الروح القدس بناء على الصفتين الأوليين أُعطي صفة "الصلاح" المطلق، وصفة "الوجود في كل مكان" Omnipresence.

(أ) «روحك القدوس لا تنزعه مني» (مز ٥١: ١١). صفة القداسة تُمنح للإنسان بسُكنَى الروح القدس.

(ب) «وأعطيتهم روحك الصالح لتعليمهم» (نح ٩: ٢٠). صفة الصلاح.

(ج) «أين أذهب من روحك؟ ومن وجهك أين أهرب؟» (مز ١٣٩: ٧). صفة الوجود في كل مكان.

(د) «وكانت الأرض خربة وخالية، "وروح الله" يرف على وجه المياه» (تك ١: ٢). نسبة الروح الخاص لله.

(هـ) «روحك الصالح يهديني في أرض مستوية» (مز ١٤٣: ١٠). صفة الصلاح تباشر عملها لهداية الإنسان.

(و) «وتُكلِّم جميع حكماء القلوب الذين ملأتهم روح حكمة» (خر ٢٨: ٣). الحكمة صفة الروح توهب للإنسان بسكنى الروح.

(ز) «وحي داود بن يسَّى، ووحي الرجل القائم في العُلا، مسيح إله يعقوب ومرنِّم إسرائيل الحلو روح الرب تكلَّم بي وكلمته على لساني» (٢صم ٢٣: ١-٢). الروح القدس الناطق في الأنبياء بالإلهام والنبوَّة.

والروح القدس في العهد القديم كانت أعماله الواضحة باختصار كالآتي:

أولاً: القوَّة الفعَّالة في الأبطال الذين انتخبهم الله للدفاع عن إسرائيل.

ثانياً: كان هو الإلهام الذي يدبِّر حكماء إسرائيل.

ثالثاً: كان ينتقل بمفاعيله وقوَّته وحكمته من شخص إلى شخص بوضع اليد وبوسائل أخرى.

رابعاً: كان هو إلهام الأنبياء للنطق بكلمة الله.

خامساً: كان هو قوَّة التقديس وقوَّة الدينونة في القضاء.

سادساً: كان هو البصيرة الكاشفة لأمور أواخر الدهور عند بعض الأنبياء.

سابعاً: كانت علامات حضوره تنبئ عن حضور الله شخصيًّا.

ثامناً: كان عاملاً فعَّالاً في الخلق.

تاسعاً: كان تعبيراً عن كيان الله، أي جوهر الوجود الإلهي، على مدى الأسفار.

ومن كل تعاليم الكتاب المقدَّس في العهد القديم من جهة الطبيعة الأساسية للروح القدس نجدها بلا شك واضحة ومحدَّدة ومتفق عليها بالإجماع، **أن للروح القدس جوهراً إلهيًّا**.

ولكن من حيث فرادة شخصيته أو أقنومه، فمن الوجهة العمومية نفهم ذلك أيضاً على وجه القطع والتحديد، ولكن ليس بالوضوح الكافي سواء كان في الأسفار الأُولى أو الأخيرة، فالعهد القديم ينسب للروح القدس شخصية مفردة قائمة بذاتها **مع الله نفسه** حاضرة وفعَّالة في العالم أو في الإنسان، أما تعاليم المسيح والرسل فبالرغم من نسبة الصفات الشخصية للروح القدس، فإنها تمتد **فتميِّز** الروح القدس عن الآب والابن(٤).

كما يُفهم من أسفار العهد القديم عن الروح القدس أنه هو "**الله الفعَّال بالقوَّة**"، وفي هذا المجال فالروح له شخصية ذات صفات خاصة، كما تنسب إليه أعمال شخصية، فالروح في العهد القديم شخص في نطاق أنه هو الله، وبالإضافة إلى ذلك فإن الروح القدس يظهر بصفات شبه مستقلة أحياناً، التي تقترب من حدود الشخصية المتميِّزة خصوصاً عندما يُذكر في الأسفار "الكلمة" و"الروح" معاً في مقارنة. ولكن هذا التمايز ينطبق فقط على النشاطات الخارجية "للكلمة والروح" كقوَّتين، ولكن يبقى الكشف عن التمايز بينهما في ذات الوجود في الله إلى عصر متأخِّر من العهد القديم.

+ «أرسل **نورك وحقك**، هما يهدياني ويأتيان بي إلى جبل قدسك وإلى مساكنك.» (مز ٤٣: ٣)
+ «يُرسل الله **رحمته وحقّه**.» (مز ٥٧: ٣)
+ «أين أذهب من **روحك**؟ ومن **وجهك** أين أهرب؟» (مز ١٣٩: ٧)

---

(4) Rev. Henry Barclay Swete, *Dict. of Chr. Biogr.*, p. 114, & in Hasting's *D.B.*, p. 198.

+ «تحجب **وجهك** فترتاع. تنزع أرواحها فتموت. وإلى ترابها تعود. ترسل **روحك** فتُخلَق. وتجدِّد وجه الأرض.» (مز ١٠٤: ٢٩-٣٠)
+ «أرسل **كلمته** فشفاهم ...» (مز ١٠٧: ٢٠)
+ «لم أتكلَّم من البدء في الخفاء. منذ وجوده أنا هناك (الكلمة)، والآن السيد الرب أرسلني **وروحه**.» (إش ٤٨: ١٦)
+ «وفي كل ضيقهم تضايق وملاك حضرته (الكلمة) خلَّصهم ... ولكنهم تمرَّدوا وأحزنوا **روح قدسه**.» (إش ٦٣: ٩-١٠)

ثانياً: من خلال الأسفار القانونية الثانية

المدعوة بالأبوكريفا DEUTERO - CANONICAL

قدَّمت الأسفار فكرة قويَّة وواضحة عن شخصية الروح القدس معبَّراً عنه دائماً "بحكمة الله"، مما جعل بعض كُتَّاب الكنيسة الأوائل يخلطون بين المسيح "حكمة الله" والروح القدس "حكمة الله"، وحدا ببعضهم إلى القول بأن المسيح هو نفسه الروح القدس قبل تجسُّده.

وهذا نشأ أيضاً بسبب عدم وضوح الفارق بين "الروح" و"الكلمة" من جهة الوحي والرؤيا في مواضع كثيرة من العهد القديم ... فنقرأ أن كلمة الله كانت على نبي فتنبَّأ ... ثم نقرأ بنفس المعنى أن روح الله كان على آخر فتنبَّأ.

وقد ظلَّ الاعتقاد بأن حلول الكلمة، أي كلمة الله، مساوٍ لحلول الروح القدس على الأشخاص للتنبُّؤ والوحي، ظل مستمراً في الكنيسة الأُولى، حتى أننا نرى في قدَّاس سيرابيون، والقديس أثناسيوس نفسه في

شرحه للإفخارستيا يقول، عند التحوُّل، إن الذي يحل على الخبز فوق المائدة المقدَّسة ليحوِّله إلى جسد الكلمة هو "الكلمة" ذاته؛ و لم يتحدَّد القول بحلول الروح القدس إلا في أواخر القرن الرابع في سوريا(٥).

بل ونجد صدى هذا التوازي أو التساوي بين حلول الكلمة وحلول الروح القدس وعملهما في بعض الرسائل، فنسمع من بطرس الرسول:

+ «**مولودين ثانية، لا من زرعٍ يفنى، بل مما لا يفنى، بكلمة الله** الحيَّة الباقية.» (١بط ١: ٢٣)

كذلك في رسالة يعقوب الرسول:

+ «شاء **فولدنا بكلمة الحق** لكي نكون باكورة من خلائقه» (يع ١: ١٨)

(ومعروف أن الميلاد الثاني من السماء هو من الماء والروح القدس فالكلمة هنا حلَّ محل الروح القدس).

+ «وكانت كلمة الرب عزيزة في تلك الأيام، لم تكن رؤيا كثيراً.» (١صم ٣: ١)
+ «**فيحل عليك روح الرب فتتنبَّأ** معهم وتتحوَّل إلى رجل آخر.» (١صم ١٠: ٦)
+ «وكان كلام الرب إلى صموئيل قائلاً ...» (١صم ١٥: ١٠)
+ «فأخذ صموئيل قرن الدهن ومسحه في وسط إخوته، **وحلَّ روح الرب على داود من ذلك اليوم فصاعداً**.» (١صم ١٦: ١٣)
+ «**كان كلام الرب إلى ناثان قائلاً** ...» (٢صم ٧: ٤)
+ «**روح الرب** تكلَّم بي **وكلمته** على لساني ... إليَّ تكلَّم صخرة

(٥) انظر كتاب: "الإفخارستيا عشاء الرب"، للأب متى المسكين، تحت فصل الاستدعاء "المطوَّل" للروح القدس.

إسرائيل.» (٢صم ٢٣: ٢، ٣)
+ «ثم صارت **كلمة الرب** إليَّ قائلاً ...» (إر ١: ١١)
+ «**الكلمة** التي صارت إلى إرميا من قِبَلِ الرب قائلاً ...» (إر ٧: ١)

تتلخَّص أعمال الروح القدس في الكتب القانونية الثانية بأنه **يملأ الكون، ويحب البشرية، ويعلِّم ويطهِّر أفكار الإنسان وقلبه.**

انظر: سفر ابن سيراخ ١: ٤-٧؛ ٩: ١٧، ١٢: ١.

العصور المتأخِّرة من الفكر اليهودي:

وقد مال الفكر اليهودي في أواخر الأيام - طبعاً من جراء بُعده عن الله وتمسُّكه بالعالم والمال والأرض - إلى التقليل من شأن الروح القدس، حتى إذا ما وصلنا إلى الصدُّوقيين في أيام المسيح نجدهم يحذفون أصلاً ومن الأساس كل اعتقاد بوجود الروح «لأن الصدوقيين يقولون إنه ليس قيامة ولا ملاك **ولا روح**، وأما الفريسيُّون فيُقرُّون بكل ذلك.» (أع ٢٣: ٨)

وبدخول المسيحية انهار الفكر اليهودي جملة وتفصيلاً من جهة الروح القدس، حتى أننا نجد فيلو الفيلسوف اليهودي الذي أراد أن يحيي التراث الروحي اليهودي يقصر مفهوم الروح على مجرَّد حكمة الله الموهوبة للحكماء أو مجرَّد قوَّة يؤثِّر بها الله على الموحى إليهم(٦)، وأصبح هذا المفهوم هو الاعتقاد السائد والثابت في القانون اليهودي.

وقد تسرَّب هذا الفكر اليهودي الخاطئ إلى الفكر المسيحي عند بعض المنحرفين حتى أيام القديس غريغوريوس النزينزي فنسمعه يتكلَّم عن

(6) Philo. *De Gyant*, 5; *De Monarch* 1:9, cited by *DCB*, p. 114.

جماعة في أيامه يعتبرون الروح القدس مجرَّد (قوَّة) ἐνέργεια.(٧)

ثالثاً: بداية العصر المسيحي

يبدأ العصر المسيحي بتقدُّم هائل في التعرُّف على الروح القدس وأعماله؛ حتى أننا نجد الإنجيل يضع الروح القدس في صدر العهد الجديد، فهو أداة التجسُّد.

«**الروح القدس** يحل عليكِ وقوَّة العلي تُظلِّلكِ، فلذلك أيضاً القدوس المولود منكِ يُدعى ابن الله» (لو ١: ٣٥)، وهنا تجدر الإشارة بأن الوحي الإلهي يفرِّق بين **شخص** (أقنوم) الروح القدس و(**قوَّة**) العلي، إمعاناً في الكشف عن الخطأ السائد في الفكر اليهودي آنذاك أن الروح مجرَّد قوَّة.

وفي إنجيل القديس متى، يقول الملاك صراحة ليوسف: «يا يوسف ابن داود، لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك لأن الذي حُبل به فيها هو من الروح القدس» (مت ١: ٢٠)، فالروح القدس أداة التجسُّد، فالجسد المولود هو بالتالي جسد إلهي، وقول الملاك **تعقيباً** على أنه **مولود من الروح القدس** أنه يُدعى **ابن الله** يوضِّح ماهيَّة الروح القدس بالنسبة لله.

وبعد ذلك نجد الروح القدس في حياة المسيح فعَّالاً سواء في المسحة الأُولى على نهر الأردن لبدء الخدمة: «كيف مسحه الله بالروح القدس والقوَّة» (أع ١٠: ٣٨)، أو متمِّماً لكل الأعمال: «إن كنت أنا بروح

(7) *DCB*, p. 114; & August., *de Haer.* 1, ii.

الله أُخرج الشياطين، فقد أقبل عليكم ملكوت الله.» (مت ١٢: ٢٨)

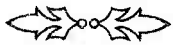
وتجدر الإشارة هنا أن المسيح باعتباره التجديف على الروح القدس خطيَّة عُظمى لا تُغفر، يشير بوضوح وتحديد أن الروح القدس "شخص" له هيبته وكرامته الإلهية.

ثم نجد كيف يبني المسيح كنيسته على أساس أنها خلقة جديدة بالروح القدس بالولادة من فوق من الروح القدس والماء، وأنها تعيش وتعمل في العالم بقوَّة الروح القدس:

ففي تعاليم المسيح يركِّز على الروح القدس (يو ٣: ١-٨) باعتباره واسطة دخول ملكوت الله، وباعتباره القياس الوحيد للعبادة بالسجود «**بالروح**» والحق، وأنه المصدر الوحيد لارتواء الإنسان لكي لا يعطش إلى تراب الأرض بل يصير في الإنسان ينبوع حياة أبدية! وأن قبول الروح القدس بهذا الوصف يتوقَّف على الإيمان بالمسيح أولاً «مَنْ آمن بي، كما قال الكتاب، تجري من بطنه أنهار ماء حي. قال هذا عن الروح الذي كان **المؤمنون به** مزمعين أن يقبلوه لأن الروح القدس لم يكن قد أُعطي بعد لأن يسوع لم يكن قد مُجِّد بعد (الصليب)» (يو ٧: ٣٨-٣٩)، وأنه هو الباراكليت أي المعزِّي والشفيع للإنسان (يو ١٤: ١٦).

وأن الروح القدس في التلاميذ وفي أولاد الله سيبكِّت العالم، أي يقف فينا ضد قوَى الشر مؤازراً لنا ومحامياً عنَّا (يو ١٦: ٧-١١).

وأنه مصدر قوَّة البشارة، فمتى حلَّ على المختارين ينالون في الحال قوَّة من الأعالي للشهادة (أع ١: ٨).



رابعاً: عصر الرسل

١ – إعلان الروح القدس عن نفسه عمليًّا للرسل.
٢ – استعلان الرسل للروح القدس لاهوتيًّا.

تمتلئ صفحات سفر أعمال الرسل والرسائل بالإشارات القويَّة جـدًّا والواضحة غاية الوضوح عن شخصية الروح القدس وفاعليته، سواء من الوجهة العقائدية الوصفية لشخصه أو الوجهة العملية لعمله، وأصبح هذا كله تراث الكنيسة الذي يبني عقيدتها في الروح القدس:

١ – إعلان الروح القدس عن نفسه عمليًّا للرسل (أعمال الرسل)

يبتدئ سفر الأعمال بوضع الروح القدس موضعه الجديـد وتحديـد عمله الشخصي في الكنيسة عوض المسيح تماماً «وأنا أطلب مـن الآب فيعطيكم معزيًّا آخر ليمكث معكم إلى الأبد» (يو١٤: ١٦)، هذا المعزي لا يقول ولا يعمل ولا يرشد إلا بما هو من المسيح ولأجل المسيح فهـو «لا يتكلّم من ذاته بل يأخذ مما لي ويخبركم». فسفر الأعمـال يقـدِّم الروح القدس لاستمرار عمل المسيح في الكنيسة وبدونه يستحيل علـى الكنيسة أن تتكلّم أو تتحرَّك أو تعلن المسيح: «لا يبرحوا من أورشـليم بل ينتظروا موعد الآب الذي سمعتموه مني، ... لكنكم ستنالون قوَّة متى حلَّ الروح القدس عليكم وتكونون لي شهوداً في أورشـليم وفي كـل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض.» (أع ١: ٤–٨)

المسيح سيبقى في السماء ولكن الروح القدس سيدوم في الكنيسة على الأرض إلى حين انتهاء هذا الدهر والمجيء الثاني المسيح: «ويُرسل يسوع المسيح المُبشَّر به لكم قبل، الذي ينبغي أن السماء تقبله إلى أزمنة رد كل شيء (تكميل) التي تكلَّم عنها الله بفم جميع أنبيائه القديسين منذ الدهر» (أع ٣: ٢٠-٢١). فالروح القدس هو في الحقيقة شخص الاتصال الدائم والحي والفعَّال بين المؤمنين وبين المسيح، فإذا كان المسيح واضحاً في القلب وكانت علاقة المؤمن بالمسيح صادقة وقويَّة وحيَّة وفعَّالة كانت هذه علامة على وجود وعمل الروح القدس فيه.

فالروح القدس يعمل الآن عمل المسيح ويكمِّله فينا، أي يمنحنا الخلاص والفداء الذي أكمله المسيح من أجلنا، يهبه لنا ويثبِّتنا فيه.

والروح القدس نفسه يصفه بولس الرسول من جهة هذا بأنه «روح المسيح» إمعاناً في التأكيد أنه يملك كل ما للمسيح ويدرك كل ما للمسيح، وقادر أن يعطينا كل ما للمسيح وما عمله المسيح، لذلك فبدون الروح القدس يستحيل الإيمان بالمسيح ولا معرفة أسرار المسيح ولا نوال قوَّة الخلاص والفداء اللذين أكملهما المسيح لنا.

بل إن بولس الرسول يقول في ذلك باختصار: «أما أنتم فلستم في الجسد بل في الروح إن كان روح الله ساكناً فيكم، ولكن **إن كان أحد ليس له روح المسيح فذلك (أي المسيح) ليس له.**» (رو ٨: ٩)

■ (أع ٢: ١-١١، ١٦-١٨): هبوب الريح العاصف وألسنة النار الحالَّة على رؤوس التلاميذ والتي رافقت أول حلول للروح القدس على الكنيسة، هي نفس علامات ظهور الحضرة الإلهية على جبل

سيناء[٨]؛ ثم موهبة النطق بلغات جديدة التي أعطاها الروح القدس للتلاميذ هي نفس عطية الله قديماً للأنبياء أن ينطقوا بكلمات الله والتنبُّؤ، وإن كان بلغة العبرانيين، ولكن كانت لغة رصينة وبعضها كان بالشعر الموزون مع أن الأنبياء كان منهم الأميُّون.

وهكذا كان الوعد الذي قيل بيوئيل النبي أن يكون حلول الروح القدس على الجميع «على كل بشر» وإعطاء موهبة التنبُّؤ والآيات والرؤى والأحلام للبنين والبنات والشباب والشيوخ والعبيد والعبدات، كل مَنْ يدعوه الرب ويتوب ويعتمد باسم يسوع المسيح لغفران الخطايا، فإنه يقبل العطية ذاتها لأن الموعد القدوس للجميع للقريبين والبعيدين، أي لكل الأجيال الآتية بدون تفريق زمني.

■ (أع ٤: ٣١): «**ولما صلوا تزعزع المكان الذي كانوا مجتمعين فيه، وامتلأ الجميع من الروح القدس وكانوا يتكلَّمون بكلام الله بمجاهرة**».

هنا تزعزع المكان يذكِّرنا بزعزعة جبل سيناء علامة أكيدة على الحضرة الإلهية، ثم المجاهرة العلنية بالبشارة والشهادة للمسيح هي القوَّة الموعود بها من الأعالي، تتم للمرَّة الثانية.

■ (أع ٤: ٣٣): «**بقوَّة عظيمة كان الرسل يؤدُّون الشهادة** بقيامة الرب يسوع ونعمة عظيمة كانت على جميعهم».

هذه القوَّة تنتظر الكنيسة في كل أزمنة الضيق، ولقد عاشها أثناسيوس وأثبت صدق الوعد، بل أثبت قوَّة الروح القدس التي فيه وفي الكنيسة.

---

(٨) انظر: «العنصرة» للأب متى المسكين صفحة ٩ و١٠.

■(أع ٥: ٤ و٩): «أنت لم تكذب على الناس بل على الله»، «ما بالكما اتفقتما على تجربة روح الرب».

يُلاحَظ هنا في كلام بطرس الرسول لحنانيا أنه اعتبره قد كذب **على الله**، وفي مواجهة سفيرة امرأته كرَّر اللوم، أنهما يجرِّبان أو يكذبان على «**روح الرب**»، وهنا يكشف الوحي على فم بطرس عقيدة الكنيسة من جهة الروح القدس أنه هو الله من جهة الكيان أي الجوهر الواحد.

وكان عقاب الكذب على الروح القدس هو أنهما وقعا وماتا في الحال، وهذا يكشف عن عقيدة الكنيسة بالنسبة لخطورة عمل الروح القدس التأديبي، فما تم لحنانيا وسفيرة بالجسد جهاراً يتم بالروح سرًّا للذين يستهينون بسلطان إشراف الروح القدس على تدبير الكنيسة حتى في الأمور المالية.

ثم موت أريوس فجأة قبل دخول الكنيسة للصلاة هو مطابقة عملية لقصة حنانيا وسفيرة.

■(أع ٥: ٣٢): «ونحن شهود له بهذه الأمور والروح القدس أيضاً الذي **أعطاه الله للذين يطيعونه**».

هنا يوضِّح الرسل شخصية الروح القدس، التي يحسُّون بوجودها معهم، قائمة بذاتها حتى أنهم يستطيعون أن يميِّزوا بين شهادتهم وشهادة الروح القدس داخلهم بالرغم من أنها تخرج من أفواههم شهادة واحدة، غير أن شهادة الروح القدس تميِّزها بالإضافة قوَّة خاصة داخلهم وإجراء معجزات علنية بواسطتهم.

■(أع ٦: ١٠): «ولم يقدروا أن يقاوموا **الحكمة والروح الذي كان**

يتكلَّم به».

ارتباط الحكمة مع الروح القدس الذي اختبرته الكنيسة في الشهيد إستفانوس صار تطبيقاً عمليًّا للتقليد القديم أن الروح القدس «روح حكمة» لتدبير الكنيسة، ولا يمكن فصل الروح القدس عن الحكمة.

■ (أع ٧: ٥١): «يا قساة الرقاب وغير المختونين بالقلوب والآذان، **أنتم دائماً تقاومون الروح القدس، كما كان آباؤكم كذلك أنتم**».

قساة الرقاب يعني بها عدم الطاعة لله، عدم ختانة القلب يعني بها الشر والنجاسة المبيَّت عليها داخل الضمير، وعدم ختانة الآذان يعني بها عدم القدرة على سماع صوت الله ومقاومة الكلمة، مقاومة الروح القدس يعني بها مقاومة الشهادة للمسيح والحق.

■ (أع ٨: ١٥-١٧): «اللذين لما نزلا **صلَّيا لأجلهم لكي يقبلوا الروح القدس** لأنه لم يكن قد حلَّ على أحد منهم، غير أنهم كانوا معتمدين باسم الرب يسوع، حينئذ **وضعا الأيادي عليهم فقبلوا الروح القدس**».

صار هذا في عمق خبرة الكنيسة وتراثها أن الروح القدس يحل مع المعمودية بواسطة وضع الأيادي، الذي تسمِّيه الكنيسة الآن بمسحة الميرون، ووضع يد الأسقف أو الكاهن، حيث يتحتَّم الصلاة من أجل قبول الروح القدس.

وفي تسجيلات أعمال الرسل ربما يحل الروح القدس بعلاماته وقوَّته قبل المعمودية فتتم المعمودية بناء على حلوله، وذلك تشجيعاً لدخول الأمم أو تشجيعاً للتلاميذ لقبول بولس شاول مضطهد الكنيسة المرعب،

كما حدث لبولس الرسول (أع ٩: ١٧-١٨)، وكما حدث لكرنيليوس الأُممي وأهل بيته الذين تكلّموا بألسنة قبل المعمودية (أع ١٠: ٤٤-٤٨).

ولكن معمودية الروح القدس ومواهبه لا تُغني عن معمودية الماء، بل في هذه الأمثلة الاستثنائية كانت معمودية الروح القدس مؤهِّلاً قويًّا لإجراء معمودية الماء بدون خوف.

وقد فسَّر بطرس الرسول حلول الروح القدس على كرنيليوس وأهل بيته وموهبة التكلُّم بالألسنة التي نطقوا بها **قبل معمودية الماء بأنها معمودية الروح القدس المباشرة بدون واسطة:**

+ «**فلما ابتدأتُ أتكلَّم حلَّ الروح القدس عليهم كما علينا أيضاً في البداءة، فتذكَّرتُ كلام الرب كيف قال إن يوحنا عمَّد بماء وأما أنتم فستعمَّدون بالروح القدس.**» (أع ١١: ١٥-١٦)

ويُلاحَظ كلمة الرب التي يذكرها هنا بطرس الرسول: «ستُعمَّدون بالروح القدس» حيث "ستُعمَّدون" مبني للمجهول أي المعمودية تتم بواسطة آخر غير الرسل وغير الإنسان عموماً، وهنا يذكر الرب ويتذكَّر بطرس قول الرب إن الشخص الذي سيعمِّد هو الروح القدس نفسه أو الله، أي أن المعمودية ستتم بواسطة الله بالامتلاء من الروح القدس، ولكن يتحتَّم تكميل المعمودية بالماء. كما يُلاحَظ أن بحلول الروح القدس كانوا ينطقون بألسنة جديدة تأكيداً أنه هو الروح القدس الناطق في الأنبياء وهذا كشف واضح لشخصيته الإلهية.

■ (أع ١١: ٢٧-٢٨): «وفي تلك الأيام انحدر أنبياء من أورشليم إلى أنطاكية، وقام واحد منهم اسمه أغابوس **وأشار بالروح** أن جوعاً

عظيماً كان عتيداً أن يصير على جميع المسكونة».

هنا استمرار لعمل الروح القدس الأول منذ القديم أنه ناطق بالنبوَّة في الأنبياء، حيث لا الأنبياء ولا النبوَّة انقطعت بمجيء المسيح وحلول الروح القدس، بل امتدَّت لتشمل الأمور السمائية المزمعة وحياة الدهر الآتي، أي البشارة بملكوت السموات والحياة الأبدية، لتصير هي اللون الطاغي لعمل الروح القدس بالنبوَّة في العهد الجديد.

■ (أع ١٣: ٢ و٤): «**وبينما هُم يخدمون الرب ويصومون، قال الروح القدس: أفرزوا لي برنابا وشاول للعمل الذي** دعوتهما إليه ... فهذان إذ أُرسلا من **الروح القدس** انحدرا إلى سلوكية ...».

الروح القدس يقتحم الخدمة ويتجلَّى هنا كمدبِّر للخدمة، والداعي للخدَّام، والمُرسِل للخدَّام بصورة شخصية واضحة منقطعة النظير، إنما في إطار من الصوم والصلاة والاجتهاد في الخدمة.

وهكذا يتَّضح أن الروح القدس صار هو **قائد الخدمة، أي البشارة بالمسيح، ومدبِّرها والمتولِّي شئونها في الكنيسة.**

■ (أع ١٣: ٩-١١): «وأما شاول الذي هو بولس أيضاً **فامتلأ من الروح القدس وشَخَصَ إليه** (إلى عليم الساحر) وقال: أيها الممتلئ كل غش وكل خبث، يا ابن إبليس، يا عدو كل برّ، ألا تزال تُفسد سُبُل الله المستقيمة؟ فالآن هوذا يد الرب عليك فتكون أعمى لا تُبصر الشمس إلى حين. ففي الحال سقط عليه ضباب وظلمة فجعل يدور ملتمساً مَنْ يقوده بيده».

هنا الروح القدس يقتحم الموقف، ويتجلَّى في الخدَّام والخدمة كحارس

للإيمان وصحَّة العقيدة، مؤدِّب بقسوة كل محاولات لإفساد طريق المسيح، إنما ببرهان ومعجزة وليس بمجرَّد سطوة الإنسان.

■ (أع ٨: ١٨-٢٣): «ولمَّا رأى سيمون أنه **بوضع أيدي الرسل يُعطَى الروح القدس، قدَّم لهم دراهم** قائلاً: أعطياني أنا أيضاً هذا السلطان حتى أيّ مَنْ وضعت عليه يديَّ يَقبَل الروح القدس. فقال له بطرس: لتكن فضَّتك معك للهلاك لأنك ظننت أن تقتني موهبة الله **بدراهم**. ليس لكَ نصيبٌ ولا قرعةٌ في هذا الأمر. لأن قلبك ليس مستقيماً أمام الله. فتُبْ من شرِّكَ هذا واطلب إلى الله عسى أن يُغفَر لكَ فكر قلبك لأني أراك **في مرارة المر ورباط الظُلم**».

وهذه الحادثة قد رسخَت في عمق أعماق اللاشعور بل والشعور أيضاً في الكنيسة كلها وعلى مدى العصور، وأسمت هذه المصيبة العظيمة أي شراء المواهب بدراهم "بالسيمونية". وهكذا وضع الروح القدس في قانون الكنيسة لوضع اليد بالمال أو بالطرق الأخرى الملتوية لنوال الأسرار الكنسية المختلفة، تحذيراً لا يمحى وسابقة خطيرة أسماها بطرس الرسول «مرارة المر ورباط الظلم».

■ (أع ١٣: ٥٢): «وأما التلاميذ فكانوا **يمتلئون من الفرح والروح القدس**».

علامة مميِّزة لم تفارق خُدَّام المسيح الأتقياء المملوئين من الروح القدس حتى وفي أشد الأحزان والأهوال والضيقات، وهذه العلامة هي **الملء من الفرح مع الملء من الروح القدس، فيستحيل أن يحل الروح القدس في الخُدَّام الأمناء إلا ومعه الفرح.**

■ (أع ١٥: ٢٨): «لأنه **قد رأى الروح القدس ونحن** أن لا نضع

عليكم ثقلاً أكثر غير هذه الأشياء الواجبة: أن تمتنعوا عمَّا ذُبح للأصنام وعن الدم والمخنوق والزنا ...».

هنا يقف الروح القدس بشخصه محسوساً على رأس مجمع التلاميذ، كمقرِّر أعلى لقانون السلوك المسيحي للأمم الداخلين في الإيمان، ويبرز الرسل شخصية الروح القدس كما أحسُّوه كمَنْ يرى ويسمع ويتكلَّم ويقرِّر بمسئولية القاضي والمشرِّع للكنيسة الجديدة.

■ (أع ١٦: ٦-٧): «وبعدما اجتازوا في فريجية وكورة غلاطية **منعهم الروح القدس** أن يتكلَّموا بالكلمة في آسيا، فلمَّا أتوا إلى ميسيا **حاولوا أن يذهبوا إلى بثينية فلم يدعهم الروح**».

هنا المنع بلغ حد الحصار إمعاناً في ظهور تدخُّل الروح القدس السافر كمقتحم خطة الخدمة بأكملها.

هنا يبرز الروح القدس بصورة قائد ومُشرف أعلى يُعطي السماح للخدَّام بالكلام أو يمنعه، ويعطي التصريح للخدَّام بالمسير أو يمنعه، شيء مدهش للعقل، فالروح القدس يضطلع بمهمة لا ترقى إلى العقل البشري، **لأنه إذ يرى الحوادث المستقبلة ويكشف المخبَّأ في الطريق، يتصدَّر مسيرة الخدَّام كقائد لا مثيل له في البشر، مكمِّلاً عجز الإنسان وفقدانه رؤيته البعيدة، ليحفظ الخدَّام والخدمة من المهالك، ويمنع الخدَّام عن الكلام في غير زمانه أو مكانه حتى لا تُلام الخدمة أو تُحتقَر.**

وكل المطلوب من الخُدَّام إنما هو شدَّة الحساسية لطاعة صوته أولاً بأول، وهذه إحدى خصائص الممتلئين من الروح القدس المعيَّنين من الروح وبالروح للخدمة، إذ يكونون محمولين بالروح دائماً يسيرون ويقفون، يتكلَّمون ويصمتون، بتدبير النعمة.

■ (أع ١٦: ٩-١٠): «وظهرت لبولس رؤيا في الليل رجل مكدوني قائم يطلب إليه ويقول اعبر إلى مكدونية وأعنا. فلما رأى الرؤيا للوقت طلبنا أن نخرج إلى مكدونية **متحقّقين أن الرب قد دعانا لنبشّرهم**».

كلمة «**متحقّقين**» تكشف عن تدخُّل سافر للروح القدس.

الروح القدس يتحوَّل سريعاً من قائد يحرِّك قافلة الخدمة علناً في الصحو بروح النبوَّة الناطق في التلاميذ، إلى قائد يحرِّكها بالرؤيا في الليل أثناء النوم؛ فطرق قيادة الروح القدس لا يمكن حصرها وهو الذي يختار الأنسب بالنسبة للزمان والمكان وحالة الإنسان نفسه، وهكذا انتقلت الرؤيا من العهد القديم إلى العهد الجديد كإحدى وسائط التوجيه والإرشاد للروح القدس.

■ (أع ٢٠: ٢٢،٢٣): «والآن ها أنا أذهب إلى أورشليم **مقيَّداً بالروح** لا أعلم ماذا يصادفني هناك، **غير أن الروح القدس يشهد في كل مدينة قائلاً إن وُثُقاً وشدائد تنتظرني**».

الروح القدس يقيِّد الخادم كما تُقيَّد الذبيحة ويسوقه إلى إكليل آلامه بحسب الخطَّة التي يرسمها لمجد المسيح والكنيسة؛ هكذا اقتيد المسيح بالروح بعد الملء والمسحة على الأردن ليجرَّب وحيداً على الجبال من إبليس، وهكذا يُجرَّب خُدَّام المسيح لغاية وحيدة: «رئيس هذا العالم يأتي ولكن ليس له فيَّ شيء» (يو١٤: ٣٠)، أي لتتجلَّى حياة الخادم أنها بلا لوم ولا شكوى أمام الله - هنا يبرز الروح القدس كشخص يقتاد بولس بقوَّة.

■ (أع ٢٠: ٢٨): «احترزوا إذاً **لأنفسكم ولجميع الرعيَّة التي أقامكم الروح القدس** فيها أساقفة لترعوا كنيسة الله التي **اقتناها بدمه**».

بهذا القول صار راسخاً في إيمان الكنيسة أن الروح القدس هو الذي يقيم الأسقف وإلا فقيامه يكون باطلاً، والروح القدس يقيم الأسقف ليرعى «كنيسة الله» وليس كنيسة الأسقف، والله الذي اقتنى لنفسه الكنيسة واشترى رعيتها بدمه المسفوك على الصليب يَغار عليها جدًّا، على أسقفها وعلى رعيتها معاً كما يَغَار على دمه لأنه يثمِّنها بدمه أي بحياته.

الروح القدس تسجَّل في القانون الكنسي بحسب منطوق طقس الرسامة أنه **هو المدبِّر للنظام الكنسي يختار أعضاءه ويقودهم باعتبار أن الكنيسة أسقفاً ورعيةً هي كنيسة الله المقتناة بالدم الإلهي.**

وبولس الرسول يحذِّر الأساقفة أن يحترزوا، أي يخافوا ويرتعبوا، لأنفسهم لئلا يزدروا بالدم الإلهي ويُحسبوا مقاومين للروح القدس إذا ازدروا أو أهملوا واجبات قداسة أنفسهم أو أهملوا واجبات الرعية من جهة التعليم ومعاضدة الضعفاء؛ أو ذهبوا وراء شهوة الذهب والفضة ويذكِّرهم بقانون المسيح: «لأنه قال مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ» (أع٢٠:٣٥)، ونجد كل هذا في الوصايا التي تُتلى على الأسقف عند الرسامة.

■ (أع ٢١: ١٠-١١): «... نبي اسمه أغابوس، فجاء إلينا وأخذ منطقة بولس وربط يدي نفسه ورجليه وقال: **هذا يقوله الروح القدس الرجل الذي له هذه المنطقة هكذا سيربطه اليهود** في أورشليم ويسلِّمونه إلى أيدي الأُمم».

بنفس طريقة العهد القديم في التنبُّؤ بالحوادث الآتية التي تخص الكنيسة، كان **الروح القدس يعمل باهتمام شديد وبلا هوادة لكي يعلن**

أن كل شيء في الكنيسة مكشوف وعريان أمام عيي الله، وأن كل الكنيسة وخدَّامها الأمناء إنما يسيرون طبق خطَّة إلهية سبق فعيَّنها لنكون مشابهين صورة ابنه. فبولس الرسول يجوز نفس ما جازه المسيح نفسه سواء من جهة التنبُّؤ بما سيحدث في أورشليم وربما بنفس الكلمات أو فيما تمَّ بالفعل. وصار هذا جزءاً هاماً من تراث الكنيسة ووعيها، فالشهيد أعلى رتبة من القديس.

■(أع ٢٨: ٢٥): «حسناً **كلَّم الروح القدس** آباءنا بإشعياء النبي».

هنا اعتقاد الكنيسة الراسخ منذ عهد الرسل حتى اليوم أن كل الأنبياء في القديم إنما كتبوا ونطقوا مسوقين من الروح القدس، فالروح القدس كان يمهِّد للخلاص والفداء الذي بدأ يبني عليه كنيسة المسيح في العهد الجديد.

٢ – استعلان الرسل للروح القدس لاهوتيًّا (في الرسائل)

(أ) الروح محيي:

■(رو ١: ٣-٤): «عن ابنه، الذي صار من نسل داود من جهة الجسد، وتعيَّن ابن الله بقوَّة من جهة **روح القداسة** بالقيامة من الأموات».

هنا يضع بولس الرسول «الروح القدس» الذي في المسيح والعامل فينا بالقوَّة التي استُعلنت في ذروتها بإقامة يسوع المسيح من بين الأموات، مقابل الجسد الذي صار للمسيح والذي أخذه من نسل داود. «فالروح

القدس» **الذي استُعلن بقوَّة في المسيح بالقيامة من بين الأموات، هو استعلان للاهوت المسيح**، تماماً كاستعلان تجسُّده من العذراء من نسل داود.

فإن كان قد تعيَّن ابن داود بتجسُّده من نسل داود فهو تعيَّن ابناً لله بقيامته من الأموات بقوَّة الروح القدس الذي فيه. وسيَّان أن نقرأ أن الله أقامه «الله الآب الذي أقامه من الأموات» (غل ١: ١)، أو أن قيامته كانت بقوَّة من جهة روح القداسة، أو أنه قام بذاته: «لي سلطان أن أضعها ولي سلطان أن آخذها أيضاً» (يو ١٠: ١٨)؛ فالقيامة هنا هي استعلان مباشر عن لاهوته، ولاهوت المسيح هو واحد فيه وفي الآب وفي الروح القدس.

وفي موضع آخر يقول بولس الرسول مشيراً إلى الاتحاد والتساوي القائم بين المسيح وبين الروح القدس عند تقديم ذبيحته إلى الله أبيه هكذا: «فكم بالحري يكون دم المسيح الذي **بروح أزلي، قدَّم نفسه لله** بلا عيب يُطهِّر ضمائركم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحي» (عب٩: ١٤).

هنا المسيح كرئيس كهنة **يتقدَّم حاملاً دمه بالروح القدس الأزلي** إلى الله أبيه لتطهير وتقديس شعبه.

وهنا «**دم المسيح بالروح القدس**» عامل تطهير وتقديس واحد لا ينفصل، ويعمل لتوصيل الحياة الأزلية التي فيه (بروح أزلي) إلى الذين يؤمنون به.

■ (رو ٨: ٩): «وأما أنتم فلستم في الجسد بل "في الروح"، إن كان روح الله ساكناً فيكم، ولكن إن كان أحد ليس له روح المسيح (روح أزلي) فذلك ليس له».

■(رو ٨: ١١): «وإن كان روح الذي أقام يسوع من الأموات ساكناً فيكم، فالذي أقام المسيح من الأموات سيُحيي أجسادكم المائتة أيضاً بروحه الساكن فيكم».

هنا ينتقل بولس إلى الإيمان بأن الروح القدس الذي أقام المسيح من بين الأموات إذا سكن فينا فنحن نصير أحياء «في المسيح» بالروح، ونكون من خاصته، وأننا حتماً سنقوم من بين الأموات، بل والآن نحسب أننا أموات بالجسد وأحياءٌ بالروح بسبب بر المسيح الذي يُحسب لنا من الآن.

وهكذا يؤمن بولس الرسول، وكل الكنيسة معه، أن المسيح الذي قام من الأموات يكون حاضراً فينا إذا سكن الروح القدس فينا الذي هو أيضاً روح المسيح، فنحن نعيش الآن قيامة المسيح بالروح القدس أفراداً وكنيسة، وهذا هو أيضاً اتحادنا، وهذا عين ما يقوله بطرس الرسول أيضاً:

+ «مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي حسب رحمته الكثيرة ولدنا ثانية لرجاءٍ حي بقيامة يسوع المسيح من الأموات.» (١بط ١: ٣)

فقيامتنا من الأموات مع المسيح التي نالها بسكنى الروح القدس تجعلنا شركاء الآن في حياته، أي شركاء في مجده وفي بنوَّته للآب بالتبني كهبة، لأننا نصير بواسطة الروح القدس متحدين به كأعضاء في جسده وهو كالرأس لنا، فلا نعود نحيا نحن بل المسيح يحيا فينا بالروح القدس.

(ب) الروح القدس يلد (يخلق ثانية) الإنسان ويتبنَّاه لله:

■ «لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هُـم أبنـاء الله، إذ لم تأخذوا روح العبودية (الناموس) أيضاً للخوف **بل أخذتم روح التبني الذي به نصرخ يا أبا الآب**. الروح نفسه يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله، فإن كُنَّا أولاداً فإننا ورثة أيضاً، **ورثة الله** ووارثون مع المسيح.» (رو ٨: ١٤-١٧)

هنا الاتحاد بالمسيح نشأ من سكنى الروح القدس ونوال حالة القيامة من بين الأموات، والاتحاد مع المسيح في قيامته يصوِّره بولس الرسول أنه أنشأ حالة تبني لله أيضاً، لأن هبة القيامة من بين الأموات تعني حالة مصالحة مع الله الآب أي انتقالاً من عبودية إلى بنوَّة. ليلاحظ القارئ الربط الذي يهدف إليه بولس الرسول وكأنما يقول بولس: "لأن الروح القدس هو الذي أقام يسوع المسيح من بين الأموات وبالقيامة من بين الأموات تعيَّن في الحال أن المسيح هو ابن الله أي تبرهن لاهوته".

كذلك فإنه بسكنى الروح القدس فينا ننال حتماً القيامة من بين الأموات مع المسيح، أي الحياة الأبدية، ونُحسب في الحال أننا أبناء مع المسيح ولكن بالتبني، أي أننا نصير بالنعمة شركاء الطبيعة الإلهية، وهذا ما يسمِّيه الآباء "بالتأليه"، وفي هذا قال المسيح إن الروح القدس يلدنا لله: «إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله» (يو ٣: ٥). وبولس الرسول ينتقل من الميلاد إلى المسير فيؤكِّد أن: «**كل الذين ينقادون** بروح الله فأولئك هُم أبناء الله.» (رو ٨:١٤)

(ج) الروح القدس يحرِّرنا ويتدرَّج بنا في الكمال المسيحي بالاستنارة:

■ (٢كو ٣: ١٧-١٨): «وأما الرب فهو الروح وحيث روح الرب هناك حريَّة، ونحن جميعاً ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف (بدون برقع الناموس) كما في مرآة نتغيَّر إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد كما من الرب الروح».

هنا يقارن الرسول بولس بين عمل الناموس وعمل الروح القدس في الإنسان، فالناموس أسماه خدمة الموت، وخدمة الدينونة، خدمة الحرف، والحرف يقتل، خدمة الزائل.

والروح القدس أسماه خدمة المجد بالأولى، وخدمة البر في مجد، خدمة الروح، والروح يحيي، وخدمة الدائم.

فإن كان وجه موسى لمع من جرَّاء خدمة الناموس لدرجة أن الشعب طالبه بوضع برقع حتى لا ينظروا إلى وجهه، فإن قلوبنا يشرق فيها الروح القدس لإنارة معرفة مجد الله في وجه يسوع (٢كو ٤: ٦).

وإن كان شعب إسرائيل لم يستطع النظر إلى وجه موسى الزائل بسبب لمعانه من جرَّاء خدمة الناموس فنحن ننظر مجد الرب بوجه مكشوف (بدون برقع) كما في مرآة ونتغيَّر إلى تلك الصورة عينها (أي وجه المسيح) من مجد إلى مجد كما من الرب الروح (أي بالروح القدس الساكن فينا). وأننا غير ناظرين إلى الأشياء التي تُرى (وجه موسى) بل إلى التي لا تُرى (وجه المسيح)، لأن التي تُرى وقتية (زائلة) وأما التي لا تُرى فأبدية (٢كو ٤: ١٨).

وكما أن موسى كان عليه أن ينزع البرقع حينما يدخل لمقابلة

الرب للتكلُّم معه (خر ٣٤: ٣٤)، كذلك الآن يسقط البرقع من قلوبنا أي الناموس والحرف عندما يشرق الروح القدس فينا باستنارة معرفة مجد الله الذي في وجه يسوع فنتخاطب معه كبنين «يا أبا الآب» (رو ٨: ١٥).

نلاحظ هنا أن بولس يسمِّي الرب الذي كان موسى يدخل ويتكلَّم معه **بالروح القدس**: «**وأما الرب فهو الروح**» (٢كو٣: ١٧)، وأنه الآن يعمل ويشرق في قلوبنا لحساب المسيح، وبالتالي لحساب الله الآب [لإنارة معرفة «مجد الله» في «**وجه يسوع المسيح**»].

(د) الروح القدس يوحِّد المؤمنين في جسد المسيح، فيصيروا جميعاً أعضاءً فيه كنيسة واحدة بالروح الواحد:

- (١كو ١٢: ١٣): «**لأننا جميعاً بروح واحد أيضاً اعتمدنا إلى جسد واحد، وجميعنا سُقينا روحاً واحداً**».
- (١كو ١٢: ٢٦): «فإن كان عضو واحد يتألَّم فجميع الأعضاء تتألَّم معه، وإن كان عضو واحد يُكرَّم فجميع الأعضاء تفرح معه».
- (١كو ١٢: ٢٧) «**وأما أنتم فجسد المسيح وأعضاؤه أفراداً**».

كيفية جمع الأعضاء وجوهر هذا الجسد الواحد: «الذي صعد أيضاً فوق جميع السماوات لكي يملأ الكل (بروحه القدوس وبشخصه) وهو أعطى البعض أن يكونوا رُسلاً والبعض أنبياء والبعض مُبشِّرين والبعض رُعاة ومعلِّمين، لأجل **تكميل القديسين** لعمل الخدمة "**لبنيان جسد المسيح**"، إلى أن ننتهي جميعنا إلى وحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله، إلى

إنسان كامل، إلى قياس قامة ملء المسيح.» (أف ٤: ١٠-١٣)

تأمين وحدة الجسد: «كي لا نكون في ما بعد أطفالاً مضطربين ومحمولين بكل ريح تعليم بحيلة الناس بمكر إلى مكيدة الضلال. بل صادقين في المحبة ننمو في كل شيء إلى ذاك الذي هو الرأس المسيح، الذي منه كل الجسد مُركَّباً معاً ومُقترناً بمؤازرة كل مفصلٍ **يعمل على قياس كل جزء يحصل نمو الجسد لبنيانه في المحبة.**» (راجع أف ٤: ١٤-١٦)

هنا الروح القدس يوظِّف المواهب في الأفراد لحساب ربط الأعضاء وعملها وبنيانها لتكون وحدة روحية عضوية للكنيسة كاملة في الإيمان والحب تنمو وتتحرَّك وفق مشيئة الرأس المسيح!!

تأمين عمل الروح القدس: «وتتجدَّدوا بروح ذهنكم وتلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق ... لأننا **بعضنا أعضاء البعض. اغضبوا ولا تخطئوا ... ولا تُحزنوا الروح القدس الذي به ختمتم ليوم الفداء.**» (أف ٤: ٢٣-٢٦، ٣٠)

تزييف عمل الروح القدس بالوحدة والفرح على أساس الخمر: «ولا تسكروا بالخمر الذي فيه الخلاعة بل **امتلئوا بالروح، مكلمين بعضكم بعضاً** بمزامير وتسابيح وأغاني روحية، مترنِّمين ومرتِّلين في قلوبكم للرب، شاكرين كل حين على كل شيء في اسم ربنا يسوع المسيح لله والآب، **خاضعين بعضكم لبعض في خوف الله**» (أف ٥: ١٨-٢١)

حيث مخافة الله هنا هي خاصية الوحدة كدليل على وجود الروح القدس.

■ (أف ٢: ١٦ و١٨-٢٢): «ويصالح الاثنين في جسدٍ واحد مع الله

بالصليب قاتلاً العداوة به ... لأن به **لنا كلينا قدوماً في روح واحد إلى الآب**. فلستم إذاً بعد غرباء ونُزلاً بل رعيَّة مع القديسين وأهل بيت الله. مبنيِّين على أساس الرسل والأنبياء، ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية، الذي فيه كل البناء مركَّباً معاً ينمو هيكلاً مقدَّساً في الرب. الذي فيه أنتم أيضاً **مبنيُّون معاً مسكناً لله في الروح**».

- (أف ٤: ٣-٤): «مجتهدين أن **تحفظوا وحدانية الروح** برباط السلام، جسد واحد وروح واحد كما دُعيتم أيضاً في رجاء دعوتكم الواحد».
- (١بط ٢: ٥): «كونوا أنتم أيضاً مبنيِّين **كحجارة حيَّة بيتاً روحيّاً كهنوتاً مقدَّساً لتقديم ذبائح روحية** مقبولة عند الله بيسوع المسيح».
- (١كو ٣: ١٦-١٧): «أما تعلمون **أنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم**. إن كان أحد يُفسد هيكل الله فسيفسده الله لأن **هيكل الله مقدَّس الذي أنتم هو**».

هذه العقيدة صارت هي الأساس في مفهوم قداسة الكنيسة وهيبتها، وهي السر في أن أبواب الجحيم لن تقوى عليها، لأنها «جسد المسيح السرِّي»، والروح القدس هو الذي يملأها ويجمع ويوحِّد الأعضاء فيها ويضمها إلى شركة القديسين المعتبرين «**أهل بيت الله**».

فالروح القدس بعد أن يوحِّد المؤمن في جسد المسيح يوحِّد المؤمنين معاً في هذا الجسد مع جميع القديسين، فالروح القدس **يهب المؤمن شخصيته المسيحية** ثم يعود **الروح القدس ويهب الكنيسة شخصيتها الإلهية وأخلاقياتها**.

(هـ) **الروح القدس يوزِّع المواهب على المؤمنين** باعتبارهم أعضاءً في جسد واحد، لتصير المواهب جميعاً لخدمة الجسد الواحد (الكنيسة) بمشيئة الروح القدس الواحد أي لمجد المسيح! «ذاك يمجِّدني».

■ (١كو ١٢: ٤): «فأنواع مواهب موجودة **ولكن الروح واحد**».

■ (١كو ١٢: ٧-١٣): «**ولكنه لكل واحد يُعطَى إظهار الروح للمنفعة**، فإنه لواحد يُعطى بالروح كلام حكمة، ولآخر كلام علم بحسب الروح الواحد، ولآخر إيمان (ينقل الجبال) بالروح الواحد، ولآخر مواهب شفاء بالروح الواحد، ولآخر عمل قوَّات، ولآخر نبوَّات، ولآخر تمييز الأرواح، ولآخر أنواع ألسنة، ولآخر ترجمة ألسنة، **ولكن هذه كلها يعملها الروح الواحد بعينه قاسماً لكل واحد بمفرده كما يشاء**، لأنه كما أن الجسد هو واحد وله أعضاء كثيرة، وكل أعضاء الجسد الواحد إذا كانت كثيرة، **هي جسد واحد؛ كذلك المسيح أيضاً. لأننا جميعنا بروح واحد أيضاً اعتمدنا إلى جسد واحد**، وجميعنا سُقينا روحاً واحداً».

■ (١كو ١٢: ٢٧-٢٨): «وأما أنتم فجسد المسيح وأعضاؤه أفراداً. فوضع الله أُناساً في الكنيسة (جسده) أولاً رُسُلاً، ثانياً أنبياء، ثالثاً معلِّمين، ثم قوَّات وبعد ذلك مواهب شفاء، قدرة على التدبير، أنواع ألسنة».

وهكذا من مجموع المؤمنين غير المنسجم وغير المؤتلف، يصنع الروح القدس شخصية الكنيسة المنسجمة المؤتلفة العاملة بالروح الواحد والشاهدة بفم واحد. هنا شخصية الروح القدس الفريدة تظهر للوجود.

(و) الروح القدس يضطلع بحفظ الوديعة الصالحة، أي التقليد المسلَّم في الكنيسة بالإيمان، وذلك من خلال سكناه في الأفراد الأمناء له:

■ (٢تي ١: ١٤): «احفظ الوديعة الصالحة (التقليد παράδοσις) بالروح القدس الساكن فينا».

وهكذا بعد أن يبني الكنيسة بالمواهب المتآزرة من داخل الأفراد وكأنها هيكل روحاني ذو أعضاء مترابطة، يضطلع بحفظ التقليد الإيماني الموحى به للرسل، بواسطة موهبة خاصة يهبها لبعض الأفراد الأمناء الساكن فيهم!! لضمان عمل الكنيسة في وحدة الإيمان لبنيان الخدمة حتى تنتهي الكنيسة إلى ملء قامة المسيح.

(ز) الروح القدس بعد أن يستودع مواهبه في قلوب المؤمنين الساكن فيهم، ينتظر منهم أن يضرموها بالصلاة والأعمال الصالحة لكي تعمل عملها في الكنيسة، لأن المواهب الروحية تحتاج إلى الصلاة والأعمال الصالحة لتظل متأجِّجة:

هنا شخصية الروح القدس لا تبتلع شخصية المؤمن ولكن تجلِّيها بالموهبة.

■ (١تي ٤: ١٤ و١٥): «**لا تهمل الموهبة التي فيك المعطاة لك بالنبوَّة مع وضع أيدي القسوسية، اهتم بهذا، كن فيه** ليكون تقدُّمك ظاهراً في كل شيء».

■ (٢تي ١: ٦): «**فلهذا السبب أُذكِّرك أن تضرم أيضاً الموهبة التي فيك بوضع يديَّ**».

■ (تي ٣: ٥-٨): «لا بأعمال في برٍّ عملناها نحن، بل بمقتضى رحمته خلَّصنا بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس، الذي سكبه بغنى

علينا بيسوع المسيح مخلِّصنا، حتى إذا تبرَّرنا بنعمته نصير ورثة حسب رجاء الحياة الأبدية. **صادقةٌ هي الكلمة، وأُريد أن تقرِّر هذه الأمور، لكي يهتمَّ الذين آمنوا بالله أن يُمارسوا أعمالاً حسنة، فإن هذه الأمور هي الحسنة والنافعة للناس**».

- (رو ١٢: ١١): «**غير متكاسلين في الاجتهاد، حارِّين (ملتهبين) في الروح**، عابدين الرب».

(ح) الروح القدس يظل يشهد للمسيح في الكنيسة داخل المؤمنين، بواسطة المواهب التي يمنحها للأفراد، وبواسطة الآيات والمعجزات التي يجريها بواسطتهم، إنما حسب إرادته هو:

- (عب ٢: ٤): «**شاهداً الله معهم بآيات وعجائب وقوَّات متنوعة ومواهب الروح القدس حسب إرادته**».
- (رو ١٥: ١٨ و١٩): «لأني لا أجسر أن أتكلَّم عن شيء مما لم يفعله المسيح بواسطتي لأجل إطاعة الأُمم بالقول والفعل، بقوَّة آيات وعجائب، بقوَّة روح الله».
- (١كو ٢: ٤): «وكلامي وكرازتي لم يكونا بكلام الحكمة الإنسانية المقنع بل ببرهان الروح والقوَّة».
- (١تس ١: ٥): «إن إنجيلنا لم يصر لكم بالكلام فقط بل بالقوَّة أيضاً وبالروح القدس وبيقين شديد».

(ط) التنكُّر لشركة الروح القدس والازدراء بها، تنكُّر للاهوت المسيح شخصيًّا وبمثابة صلبه ثانية والتشهير به:

فالشهادة للاهوت المسيح شهادة للروح القدس والازدراء بالدم الإلهي ازدراء بالروح القدس والعكس صحيح، ولا يمكن فصل تكريم أو إنكار المسيح عن الروح القدس. فارتباط الشخصين في ذاتهما وفينا لا يمكن الفصل بينهما، وهذا ما فهمه القديس أثناسيوس تماماً في موضوع التجديف على الروح القدس.

- (عب ١٠: ٢٩): «فكم عقاباً أشر تظنون أنه يُحسب مستحقًّا **مَنْ داس ابن الله وحَسِبَ دم العهد الذي قُدِّس به دنساً، وازدرى بروح النعمة**».
- (عب ٦: ٤ - ٦): «لأن الذين استُنيروا مرَّة (المعمودية) وذاقوا الموهبة السماوية (التجديد والخلقة والميلاد من فوق) **وصاروا شركاء الروح القدس** (قبلوا حلول الروح القدس بالمعمودية) وذاقوا كلمة الله الصالحة (الإنجيل) وقوَّات الدهر الآتي (معونة الملائكة) وسقطوا، لا يمكن تجديدهم أيضاً للتوبة **إذ هم يصلبون لأنفسهم ابن الله ثانية ويشهرونه**».

خامساً: عصر ما بعد الرسل

الآباء الرسوليون

بقيت صحَّة تعاليم الرسل واضحة فيما يختص بشخص الروح القدس ضمن الكيان أو الجوهر اللاهوتي للثالوث في تسليم قانون التعميد، «عمِّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس» (مت ٢٨: ١٩). وقد اكتُشفَتَ قوانين التعميد المبكِّرة جدًّا في تقليد القرون الأُولى وهي تحمل طابعَ الإيمان والتعليم بوحدة الثالوث(٩).

كليمندس الروماني:

وبجوار قوانين التعميد المحلية في الكنائس تصلنا من الرسالة الأُولى إلى كورنثوس للقديس كليمندس الروماني - وهو تلميذ الرسل - صورة أصيلة مطابقة لتعليم الرسل من جهة «**انسكاب**» الروح القدس، ومن جهة «**شخص**» الروح القدس، ومن جهة «**الجوهر الإلهي**» للروح القدس:

[لقد وُهبتم جميعاً سلاماً عميقاً وفيراً وشوقاً غير محدود نحو عمل الصلاح بينما **انسكب الروح القدس عليكم بفيض.**] (١كو: فقرة ٢)

[بهذا نختمي برحمته من الدينونة القادمة. لأنه أين يهرب كل منا من يده القادرة؟ أي عالم يمكنه أن يختفي هارباً من وجه الله؟! إذ يقول الكتاب: «أين أذهب من روحك، ومن وجهك أين أهرب؟! إن

(9) Hahn, *Bibliothek der Symbole,* pp. 42, 66; Geb. Hardt, *Patrol. ap. Opp.,* fasc. 1, 2, p. 15 sq.

صعدت إلى السموات فأنت هناك، وإن فرشت في الهاوية فها أنت» (مز ١٣٩: ٧ و٨). أين يمكن لإنسان أن يهرب ممن يحتضن كل شيء؟!] (١كو: فقرة ٢٨)

[حيٌّ هو الله، وحيٌّ هو يسوع المسيح وحي هو الروح القدس وحي هو إيمان ورجاء المختارين.] (١كو: فقرة ٥٨)

كذلك فإن تعاليم كليمندس تأتي في كمال انطباقها على علاقة الروح القدس بقانون الأسفار المقدَّسة (انظر: ١كو: فقرات ٤٥، ٨، ١٣، ١٦، ٢٢، ٤٢).

برناباس:

ونقابل في رسالة برناباس بصورة مميِّزة استمرار التعليق على الاهتمام الموجود في الأسفار (فقرة ٩ و١٠)، كذلك موضوع انسكاب الروح القدس على الكنيسة كلها (فقرة ١).

إغناطيوس الأنطاكي:

في رسائله المختصرة نجده يسمِّي الروح القدس واحداً مع الآب والابن مع تمييز خاص لشخصه (ماغنيزيا ١٣)، كذلك موضوع انبثاقه من الآب (فيلادلفيا: ٧)، وإرساله بواسطة الابن (أفسس: ١٧)، وعمله في الحمل الإلهي الإعجازي للعذراء (أفسس: ١٨)، وفي تقديس (مسحة) أعضاء المسيح (أفسس: ٩)، (سميرنا: ١٣)، كما نجد في حالة استشهاده ذكره للروح القدس في تمجيده لله، كذلك نجد عين الأمر في استشهاد القديس بوليكاربوس (استشهاد القديس بوليكاربوس ١٤ - ٢٢) و(استشهاد إغناطيوس ٧١).

"الراعي" لمؤلفه الأسقف هرماس:

ولكن من بين كل ما وصلنا من كتابات عصر ما بعد الرسل للآباء الرسوليين، فإنه يندرج ما خلفه لنا كتاب "الراعي" لمؤلفه هرماس تحت أكثر الكتابات خصوبة في الإشارات للروح القدس. ولو أن طريقة عرضه لموضوع الروح القدس تجعلنا في حيرة من تحديد صلاحيتها العقائدية، إلا أنه أحياناً يشير إلى أرواح كثيرة مُرسلة بواسطة الروح القدس منوط بها تعليم وإنارة بصيرة الناس، ونحن نجد إشارة إلى مثل هذا المعنى في رسالة يوحنا الأُولى: «أيها الأحباء لا تصدِّقوا كل روح بل **امتحنوا الأرواح** هل هي من الله لأن أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا إلى العالم، بهذا تعرفون روح الله. **كل روح** يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء في الجسد فهو من الله ... من هذا نعرف روح الحق وروح الضلال.» (١يو ٤: ١-٦)

كذلك نجد إشارة إلى هذا المعنى أيضاً في سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي: «يوحنا إلى السبع الكنائس التي في آسيا. نعمة لكم وسلام من الكائن والذي كان والذي يأتي ومن **السبعة الأرواح التي أمام عرشه**.» (رؤ ١: ٤)

وراعي هرماس يؤمن بشدَّة أن روح النبوَّة لا يزال مستمرًّا في عمله في الكنيسة، ويشير إلى أنه حائز لهذه العطية الخاصة بالإلهام.

ويعتقد بعض العلماء مثل "جبهارت" و"هارناك" أن راعي هرماس لم يكن يفرِّق بين الروح القدس وبين المسيح قبل تجسُّده(١٠).

---

(10) *Patrol. Ap. Opp.* Fasc. 3, p. 152 cited by D.C.B. p. 115.

القرن الثاني:

ابتدأ الزمن يتباعد عن منبع التقليد الرسولي نوعاً ما، وبظهور جماعة المدافعين عن الإيمان المسيحي بلاهوت الكلمة وبتحقيق أن كلمة الله هو هو المسيَّا يسوع المسيح المتجسِّد في ملء الزمان، بدأ ثقل الحوار والتركيز ينصبُّ على لاهوت الأقنوم الثاني، وبدأت الأنظار والمحاورات تبتعد عن مركز الروح القدس إلى الدرجة التي بدأوا فيها ينسبون "للكلمة" الصفات والأعمال الشخصية للروح القدس.

الرسالة إلى ديوجنيتس:

وفيها نقرأ أن "**الكلمة هو الذي يختار الأشخاص كيفما يشاء ويتكلَّم فيهم**"، "**وأنه بالكلمة تخصب الكنيسة وتنمو باستمرار**".

أمَّا ثاؤفيلس الأنطاكي، فيمتد ليرى **إن إلهام الأنبياء في العهد القديم هو من عمل الأقنوم الثاني، الكلمة: "الكلمة لأنه هو روح الله الذي كان يحل على الأنبياء ويتكلَّم بواسطتهم"**(١١).

أما يوستين، فإنه يحسب أن الحمل الإعجازي للعذراء هو من عمل "الكلمة" نفسه(١٢).

ولقد ظلَّ هذا المفهوم عالقاً في فكر الكنيسة عند كثيرين من مستقيمي الرأي حتى منتصف القرن الرابع ويُقرأ بوضوح في المواضع التالية(١٣):

---

(11) *Autol.*, ii, 32; cited by D.C.B., p. 115.

(12) *Apolog.*, I, 33.

(13) *D.C.B.*, p. 115 & Dorner, 1, 1, p. 392 sq.; Newman tracts, p. 320; pref. of Benedict. Edition of St. Hilar., Migne, Patr. Lat. IX, p. 35 sq.

١ - إيرينيئوس ٥: ١.
٢ - ترتليان: بركسيا: ٢٦.
٣ - كبريانوس: *de Idol van.*
٤ - إيلاريون: على الثالوث: ٢: ٢٤ و٢٦.

كذلك نجده عالقاً في تقليد الليتورجية في أنافورا سيرابيون، حيث نجد حلول الكلمة على الخبز والخمر وليس حلول الروح القدس.

ويعزِّز هذا التقليد ما ورد عن القديس أثناسيوس وغيره (انظر الإفخارستيا والقداس صفحة ٦٨٠ و٦٨١).

ثيوفيلس الأنطاكي:

ولكن من جهة أخرى تُعتبر الكنيسة مدينة لهذا المدافع الشهيد بأول تسجيل للاصطلاح اللاهوتي الشهير "الثالوث = τριάς"، فيما يختص باللاهوت في ذاته! وهذا نصه باليوناني:

> [αἱ τρεῖς ἡμέραι πρὸ τῶν φωστήρων γεγονυῖαι τύποι εἰσὶν τῆς τριάδος τοῦ Θεοῦ καὶ τοῦ λόγου αὐτοῦ καὶ τῆς σοφίας αὐτοῦ].

وهنا يذكر الثالوث بوضوح مشيراً إلى الشخصين الواضحين "الكلمة" و"الحكمة"، باعتبار الحكمة هي الروح القدس حسب التقليد القديم الموروث. ويستمر هذا الكاتب الرسولي المُلهَم في توضيح تحديد الأشخاص في الثالوث إنما في وحدة مطلقة.

يوستين:

ولكن يخرج يوستين بفكرة جديدة تُعتبر بداية انحراف خطيرة، فهو

يقول: "نحن نضع روح النبوَّة في المرتبة الثالثة ἐν τρίτῃ τάξει لأننا نكرمه مع الكلمة"، ويقصد بروح النبوَّة نفس الروح القدس(١٤).

وهو صاحب نزعة غير سليمة على الإطلاق في جعل الروح القدس خاضعاً وأدنى مرتبة من الكلمة، وهو الوحيد الذي يزعم أن الروح القدس "ملاك الله وقوَّة الله التي أُرسلت لنا بواسطة يسوع المسيح"(١٥).

وقد وردت على لسانه في كتاباته جملة مُبهمة خطيرة بلا أي معنى ولا أصل معطياً فيها "**الملائكة**" **المخلوقين** درجة من الكرامة ليست أقل من التي يغطيها للروح القدس(١٦)

تلميذ يوستين المدعو تاتيان:

لقد فاق معلّمه في الخروج عن التقليد اللاهوتي الصحيح المسلّم من الرسل فإنه يضع الروح القدس "كخادم" للمسيح(١٧).

أثيناغوراس:

هنا نبتدئ نقترب مرَّة أخرى من العقيدة الكنسية السليمة التي بدأت تأخذ قوَّتها وصحَّتها مرَّة أخرى من جهة الثالوث الأقدس المتساوي.

ولكن أثيناغوراس رأى في الروح القدس عملاً غريباً على المفهوم التقليدي وهو اضطلاعه بوظيفة رباط الوحدة في اللاهوت(١٨). (وهذا

---

(14) *Apolog.*, I, 13; infra 60.

(15) *Trypho*, 116, cf. Neander, *Hist. of Christ. Dogma.*, I, 173.

(16) *Apology*, i. 6; cf. Bull, ii, iv, chap. 8 & Kaye J. M., p. 52.

(17) *Adv. Greec.* B. Cited by D.C.B. p. 115.

(18) Athenagoras, *Legat.* 10; cited by D.C.B., p. 115.

الاتجاه رفضته الكنيسة بالرغم من أخذ القديس أغسطينوس به).

والذي رفضه بشدَّة ووضوح هو القديس أثناسيوس الرسولي في حديثه الثالث ضد الأريوسية:

[وإن الروح القدس لا يوحِّد الكلمة بالآب]، [لأن الكلمة لا يشترك في الروح القدس حتى يصير في الآب، ولا الابن يستقبل أو يستلم الروح القدس بل بالحري يعطيه بنفسه للجميع، فالروح لا يوحِّد الكلمة بالآب ...، فالابن هو في الآب لأنه كلمته وشعاعه.](١٩)

كذلك فإن أثيناغوراس صاحب الفضل في توضيح جديد لعقيدة الانبثاق الجوهري للروح القدس من الله فهو يقول:

[إنه منه ينبثق وإليه يعود كشعاع الشمس أو كالنور المنبعث من النار.](٢٠)

أما خارج الكنيسة، أي لدى مجموعات الهراطقة، فكانت هناك قوَّتان تتصارعان معاً بشدَّة ضد الكنيسة: جماعة المونتانيين وجماعة الغنوسيين.

أما جماعة الغنوسيين، فأخذوا شيئاً بما تقوله الكنيسة من جهة الروح القدس، وإنما بصورة مشوَّهة وعلى اتساع تحليلي، وكان زعيمها الأول "سيمون" وهو ساحر سفر الأعمال، وكان قبل عماده يُدعى من جميع الشعب «قوَّة الله العظيمة» (أع ٨: ١٠)، لما كان يأتيه من معجزات. وكان قد تلقَّى بعض تعاليم الرسل فيما يختص بأن القوَّة الإلهية إنما تتصل

(19) Athanas., *Discourse III Against Arian,* ch. XXV, p. 407.

(20) Athenagoras, *Wisd.* vii. 25; Legat. 10, 24; cited by D.C.B., p. 115.

مباشرة باسم الروح القدس كما هو مدوَّن بوضوح في سفر الأعمال (أع ٨: ٩-١٩) ولكنه عاد من بعد عماده (من أيدي الرسل) وعزله عن الكنيسة، فادَّعى أن شريكته هيلانة هي "الباراكليت" وأن القوَّة التي تنبعث من الله هي قوَّة مؤنَّثة.

وجاءت جماعة "أوفيت Ophite" وقالت صراحة إن هذه القوَّة المؤنَّثة هي الروح القدس، وهي تتميَّز عن فكر الله، يقصدون بذلك "كلمته"(٢١)، وأن الكلمة مولود منها، وهي التي كلَّمته على الأردن.

أما في نظام باسليدس، فقد اعتبروا الروح القدس روحاً خادماً، وليس متحداً جوهريًّا بالابن أو مساوياً له، وهكذا صارت بلبلة في الفكر خارج المحيط الكنسي.

أما في نظام فالانتين، فقال بانبثاق الروح القدس ولكن ليس بصورة مباشرة من الله(٢٢)، وإنه مساوي للمسيح؛ ولكنهم تبنُّوا كل الهرطقات التي ظلَّت متداولة حتى القرن الرابع والتي فنَّدها القديس أثناسيوس(٢٣).

أما جماعة المونتانيين، فيُشك أنهم أخذوا بشيء من عقيدة الروح القدس في الكنيسة، لأن العالم الألماني نياندر(٢٤) قد أشار إلى أن موقف "مونتانس" و"ماكسيملا" فيما يختص بالروح القدس عندهم كان من وجهة نظر العهد القديم أكثر منه في العهد الجديد. وأنه لم يكن للفكر المونتاني تأثير كبير على الكنيسة، وسرعان ما انحلَّ تحت ضغط

(21) Iren., i, 23, 30.
(22) Iren., i, 2, 4, 5.
(23) Athanasius *Ad Serap.*, 1:10.
(24) Neand., *Ch. H.*, ii, 207; Epiph., *Hear.* 48, 11 sq.

الاضطهاد.

أما جماعة اليهود المتنصِّرين، الذين ظلوا متمسِّكين بتقاليدهم العتيقة ورفضوا التقليد الرسولي من جهة الإيمان بالثالوث المقدَّس، وهم - أي جماعة الناصريين Nazarenes، أخذوا في هذا الموضوع برأي الغنوسيين فقالوا إن الروح القدس هو أيضاً قوَّة مؤنَّثة وإنها هي التي ولدت المسيح على الأردن وإن الباراكليت هو أُم المسيح(٢٥).

والعجيب أن هذا الفكر أخذت به أيضاً جماعة هراطقة الإيبونيم اليهودية المتنصِّرة بزعامة كيرنثوس المبتدع، وقال إن الروح القدس قوَّة مؤنَّثة، وهكذا ظلَّت هذه السفاهة العقلية التحليلية الشيطانية عالقة بالكنيسة حتى القرن السابع - (وكان بعض أئمة هؤلاء الهراطقة قاطنين شبه الجزيرة العربية واليمن. لذلك فقد سمع بها القرآن وسُئل فيها فجحدها وقال فيها إن الله لم يلد و لم يولد **ولم يكن له صاحبة**، والقرآن على ضوء هذه الهرطقات محقٌّ فيما قال).

وجماعة الهراطقة **المونوأرخيين** (أي وحدة الرأس أو الصدر)، وهي قريبة من جماعة الإيبونيم يهودية متنصِّرة، وكان على رأسها ثيئودوتس المبتدع فكانت أصلاً مشغولة بجحد لاهوت المسيح وإنكار الثالوث، وزعماؤهم براكسياس ونوئيتوس وبيرللوس (بلاد العرب) وسابيليوس، فهؤلاء جميعاً جحدوا الثالوث القائم على أقانيم متميِّزة، وقد تزعَّم براكسياس - حسب شرح ترتوليان (براكسياس: ٩) - **فكرة أن الروح القدس هو أصل وجود الآب والابن.**

---

(25) Origen, *In Joann.*, ii, 6.

بل وفي روما ذاتها قام **كاليستوس بابا روما** وألغى شخصية الروح القدس المتميِّزة في الثالوث، وأعطى اسم **الروح القدس** ليعبِّر عن **جوهر الله** الذي قد يسمَّى الآب أو يُسمَّى الابن أو يُسمَّى الكلمة(٢٦).

ومن هنا نشأت أيضاً بدعة السابيلية التي امتدَّت وأعطت الروح القدس شخصية. ولكن كان عندهم الروح القدس قادراً أن يُظهر نفسه في أي من الأقانيم الأخرى، فهو إما يظهر كآب أو كابن أو كالروح القدس(٢٧).

بولس السموساطي المبتدع: وهذا المبتدع يعتبر الروح القدس ليس **استعلاناً** لشخص أو أقنوم وإنما "**خاصية**".

وبولس السموساطي لم ينكر انبثاق وإرسال الروح القدس، وإنما حلَّله إلى **مجرَّد تأثير، وإنما تأثير غير مشخَّص أو شخصي. فالروح القدس عند بولس السموساطي ليس أقنوماً بل مجرَّد نعمة** نزلت على الرسل(٢٨). وكان حذراً في الدخول إلى التفاصيل الخاصة بعقيدة الكنيسة في هذا الموضوع، ففلت من جهة هذا الأمر من ملاحظة المجمع المقدَّس الذي حكم عليه في تعاليمه الأخرى وحَرَّم إيمانه وقطعه.

---

(26) Hippolytus, IX. 12.

(27) Athanas., *Oration contra Arianos*, iv. 25.

(28) Leotius, *de sect* 3; cited by *DCB*, p. 117.

تعاليم الكنيسة الأرثوذكسية في تلك الحقبة

أي أواخر القرن الثاني حتى منتصف القرن الثالث

القديس إيرينيئوس:

وهو يمثّل معاً تعاليم مدرسة آسيا الصغرى المنحدرة من القديس يوحنا الرسول، بجوار تعاليم جنوب شرق بلاد الغال (فرنسا الآن).

وهو يُعتبر من أوائل معلّمي هذه الفترة الزمنية، وهو يجحد بشدَّة في كل أقواله أخطاء فالنتينوس المبتدع الذي خلط بين إرسالية الروح القدس المحدَّدة زمنيًّا بيوم الخمسين وبين انبثاق الروح القدس من الله أزليًّا، أي خلط بين عمل الروح القدس في البشرية وعلاقة الروح القدس جوهريًّا بالله(٢٩).

ولكن إيرينيئوس يرفض أحد التعبيرات عن الاصطلاح بالانبثاق προβολή = *emissio*(٣٠)، إذ تراءى له أن هذا التعبير يحمل ضمناً نوعاً ما من الانفصال في جوهر الله الواحد، ولذلك فإنه فضَّل أن يترك كيفية "الانبثاق" الإلهي بدون شرح(٣١)، مكتفياً بتوضيح ذلك بالتصوير، فيقول عن الابن وعن الروح القدس إنهما يدا الله، الأول ابن *progenies* أما الروح القدس فهو الصورة *figurativus* للآب، الابن هو «كلمة»

---

(29) Iren., *Ad Haer* ii, 19 9.

(30) Ibid., ii 13. 5, 6

(31) Ibid., ii. 28. 6.

الله والروح القدس هو «حكمة» الآب[٣٢]، ليس من خارج الله ولكن من داخله[٣٣]. (يُلاحَظ هنا أن إيرينيئوس لا يتبع الخط الفكري الآبائي القديم الذي يشدِّد أن الكلمة هو حكمة الله).

ويبتدئ إيرينيئوس يخترع أوصافاً ومسمَّيات أُخرى للتعريف بما لا يقبل التعريف، دون أن يحترس ليمسك بخط التقليد، فينحرف ويضع بدايات خطيرة **لأفكار يمكن أن تكون كفرية، فيقول إن الابن والروح القدس يخدمان الآب**. ثم يطبِّق تطبيقاً غير منسجم، فيقول كما تخدم اليدان الفكر في الإنسان، ثم يعود إذ يحس بخطورة الوصف فيصحِّح هكذا: ليس كالفكر المخلوق كأنه خارج عن حياة الله، **لأن روح الله ليس زمنيًّا، ولكنه روح أزلي كالله نفسه**[٣٤].

ويستشهد إيرينيئوس بما جاء في إشعياء أصحاح ٥٧: ١٦ (الترجمة السبعينية) هكذا: «لأنه هكذا قال العلي الساكن في الأعالي إلى الأبد، القدوس في الأقداس اسمه، العلي المستريح في القديسين المعطي صبراً للمنسحقين وحياة لمنكسري القلوب، لأني لن أنتقم إلى الأبد ولا أغضب عليكم دائماً **لأن روحي التي تنبثق مني تحيي كل نفس**.» (إش ٥٧: ١٦ سبعينية)

وإيرينيئوس يعطي تصويراً للعلاقة بين الروح القدس والابن هكذا: [إننا بالروح القدس نرتفع إلى الابن، وبالابن نصعد إلى

(32) Ibid., IV. 7. 4.
(33) Ibid., IV. 7. 8.
(34) Ibid., V. 12.

الآب.][٣٥]

وبذلك فإن عطية الروح القدس لنا هي إحدى نتائج التجسُّد.

والذي ليس له الروح القدس فليست له شركة في حياة يسوع المسيح[٣٦].

كذلك فإن إيرينيئوس يرى أن نفخ المسيح في تلاميذه وإعطاءهم الروح القدس (يو ٢٠: ٢٢) هو برهان على لاهوت المسيح[٣٧].

وبخصوص وظيفة الروح القدس التعليمية كالأقنوم الثالث، فعقيدة إيرينيئوس سليمة وكاملة فهي واضحة في إلهام الأنبياء والرسل[٣٨].

غير أن إيرينيئوس يعود في مواضع أخرى ليثبت أن إلهام الأنبياء كان من عمل الكلمة سواء في العهد القديم أو الجديد[٣٩].

كذلك فإن الروح القدس هو الذي يضطلع بعمل استنارة لذهن الكنيسة بصورة مستمرَّة[٤٠]، ويؤكِّد أنه في حضن الكنيسة فقط يمكن أن يستمتع المسيحي بنور الروح القدس، وأن الروح القدس ينطلق عمله في سرَّيْ المعمودية والإفخارستيا[٤١].

---

(35) Ibid., V. 36.

(36) Fragment, 36.

(37) Syr. Fragment., *DCB*, p. 117.

(38) Ibid., III, 24. 1.

(39) Ibid., IV, 7, 2; IV. 9, 1: IV, 20. 4; cited by *DCB*, p. 117.

(40) Ibid., III. 24, 1.

(41) Ibid., III, 17, 82 & fragment 38, cited by Neander, *Hist. of Dogma*, 1. 231.

ترتليان (١٦٠-٢٤٠م):

صوت مدوِّي يظهر مبكِّراً من شمال أفريقيا في نهاية القرن الثاني، يمثِّل تعبيراً حرًّا ومستقلاً، هو صوت ترتليان، وذلك في معرض كتاباته ضد الموحِّدين Monarchians وكان يمثِّلهم آنئذ براكسياس.

وترتليان يُحسب كواضع لأساس التعليم الجامعي بخصوص الانبثاق.

ولكن نجد في كتاباته ما يفيد تعبير الكنيسة الرومانية الآن: أن انبثاق الروح القدس هو من الآب والابن(٤٢):

[Spiritum non aliunde pute quam a Patre per Filium](٤٣).

كما يقول إن الروح القدس يأخذ دائماً من الابن، كما أن الابن يأخذ دائماً من الآب، وهكذا فإن الثلاثة متحدون معاً في حياة إلهية واحدة.

[Ita connexus patris in filio et Filii in paracleto tres efficit cohaerentes alterum ex altero](٤٤).

[الآب في الابن والابن في الباراكليت ثلاثة متَّحدون ...].

ولكن يشط ترتليان في فهم العلاقة الأقنومية التي تربط بين الآب والابن والروح القدس. فبالرغم من عقيدته أن جوهر - أو طبيعة - الأقانيم واحد، إلا أنه يقول بخضوع الروح القدس للآب والابن(٤٥). وكأنما يُفهم مما سبق أن قال به إيرينيئوس من أن الروح القدس والابن

(42) Tert., *Against Prax*, 8.
(43) Ibid., 4.
(44) Ibid., 25.
(45) Quasten, *Patrology* II, p. 36.

يخدمان الآب، أن الخدمة هي تدني من الدرجة الوظيفية بين الأقانيم، والتسلسل في الانحراف واضح، فإيرينيئوس يقول بخدمة الابن والروح القدس للآب، ويقول ترتليان إن الروح القدس هو الذي يخضع للآب والابن.

(There is a "tertium nomen dibinitatis" (٤٦)، [الروح هو "اسم ثالث للاهوت"
& a "tertium gradus in Paracleto"). [الدرجة الثالثة هي في الباراكليت(٤٧)]

ويعود ترتليان فيضع ضوابط لهذا التدرج حتى لا ينقسم الجوهر هكذا:

[Yet the Persons are "tres non statu sed gradu nec substantia sed forma nec potestat sed specie"].

[الأقانيم هُم "ثلاثة ليس في الكيان بل في الدرجة
ليس في الجوهر بل في الهيئة
ليس في القدرة بل في النوع".](٤٨)

أما فيما يختص بعمل الروح القدس، فيتكلّم ترتليان عن يقين كجزء لا يتجزّأ من الإيمان، إن الروح القدس أُرسل ليملأ مكان صعود المسيح، **وذلك لكي يقدّس الكنيسة**. ففي المعمودية ينزل الروح القدس من السماء ويقدّس الماء معطياً للماء قوّة التقديس(٤٩).

ثم إن حضور الروح القدس يُستدعَى بالإضافة إلى تقديسه الماء ليحل

---

(46) Ibid., 30.
(47) Ibid., 9.
(48) Ibid., 2.
(49) Tert., *De Baptismo*, 4.

بوضع الأيادي الذي يتبع طقس العماد(٥٠).

كبريانوس (+ ٢٥٨م):

يُعتبر كبريانوس أكبر تلاميذ ترتليان. وهو يذكر موضوع أقنوم الروح القدس عبوراً(٥١)، ولكنه يؤكّد وحدة الأقانيم الثلاثة الآب والابن والروح القدس، أي توحيد الله هكذا:

De unitate Patris et Filii et spiritus sancti plebs adunata.

[إن أفضل ذبيحة لدى الله هي سلامنا وتوافقنا الأخوي، (وظهور) وحدة الآب والابن والروح القدس في تآلف الشعب (المسيحي).](٥٢)

ولكن يركّز كبريانوس كثيراً على علاقة الروح القدس بالكنيسة كجسد وكأفراد في الجسد.

أما ما يتبع هذا من نمو أو فقدان في النعمة فهذا يرجع، في عقيدة كبريانوس، إلى سلوك الفرد.

وعن الروح القدس يقول: Totus infunditur se qualiter sumitur
[كله يُفاض بقدر ما يُقبَل.](٥٣)

ولكن لكي تكون المعمودية ذات مفعول يتحتَّم أن تُجرى بواسطة

---

(50) Ibid., 8.
(51) Cyprian, *De Domin.* Orat. 23.
(52) Ibid., 34.
(53) Cyprian, *Epist.* 69:14.

إنسان يكون هو نفسه يملك الروح القدس(٥٤).

والكنيسة الجامعة باعتبارها عروس المسيح الوحيدة هي وحدها التي لها القوَّة على ميلاد (تجديد) أولاد الله(٥٥)**، لأنها هي وحدها التي تملك ينابيع المياه الحيَّة (يقصد التعاليم المحيية السليمة)**(٥٦).

ويتبع كبريانوس خط ترتليان في تأكيده أن وضع الأيادي بعد المعمودية يُكمِّل بالضرورة طقس المعمودية لإعطاء الروح القدس(٥٧).

كذلك فإن كبريانوس يتبع خط ترتليان في كون الروح القدس هو مصدر الإلهام للأنبياء والرسل وكتابة الأسفار جميعاً(٥٨).

هيبوليتس (١٦٠-٢٥٨)(٥٩):

وإذ كان هيبوليتس أسقفاً على بورتس رومانو (ربما بعد رعاية إيرينيئوس لها فترة من الزمن)(٦٠)، قيل إنه كان أول أساقفة روما ثم

---

(54) Ibid., 79:9.

(55) Ibid., 75:14.

(56) Ibid., 73:11.

(57) Ibid., 73:9.

(58) Westcott, *Study of the Gospels*, pp. 429.

(٥٩) وهو تلميذ إيرينيئوس، والمسمَّى في المخطوطات القبطية "أبوليدس"، شرقي المولد، إسكندري الجنس وقد نُسب خطأً إلى روما وأُعطي خطأً لقب بابا روما في المخطوطات القبطية. وذلك الالتباس أصله كلمة "بورتس رومانو" وترجمتها الحرفية المرفأ الروماني، وهو مرفأ عدن الآن، وكانت المرفأ الروماني الهام في مدخل البحر الأحمر. وقد قرأها النُّسَّاخ الأقباط: بورتس = الأول (خطأ)، رومانو = الروماني، فقرأوها "الأول" في أساقفة روما، ثم بابا روما مع أن كلمة بورتس هي مرفأ وليس بروتو = الأول.

(٦٠) انظر كتاب مخطوط "مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة" لابن كبر في ذكر كتاب اعتراف الآباء.

ضخَّموا الأسقفية - إن كانت هي أسقفية روما - فقالوا بابا روما!! وقد فرح مؤرِّخو اللاتين بهذا الالتباس في النساخة وقالوا إنه فعلاً بابا روما لأنهم اكتشفوا أخيراً جدًّا أن كتاباته في تقليد الرسل عن الليتورجية تطابق ليتورجية روما، ثم إذ لم يجدوا ما يبرهنون به على صحة تزييف نسبته لروما قالوا إن بورتس رومانو كانت قرية بجوار روما؛ وللأسف أثبتت السجلاَّت أنه لم توجد قط أسقفية بجوار روما بهذا الاسم ولا وُجدَ بابا لروما بهذا الاسم، ولما اكتشفوا في آثار روما كرسيًّا حجريًّا وتمثالاً لا يحمل اسم هيبوليتس وبدون ذكر أي لقب بابوي عليه ولكن وُجد على ظهر الكرسي مؤلّفات هيبوليتس اعتبروا هذا دليلاً على صدق امتلاكهم لشخصية هيبوليتس، وقالوا بلاتينيته ونسبته لروما. والحقيقة إن هذا العالِم إسكندري الجنس وكان أسقفاً على عدن كل أيام حياته. وبسبب صراعه ضد بابا روما، وتصحيحه لهرطقة اثنين من هؤلاء الباباوات وبما أنه كان أيضاً أسقفاً على مدينة تحت الولاية الرومانية، اعتبروه رومانيًّا. وكان صراعه هذا ضد هرطقة البابا زفرينوس (١٩٩-٢١٧م) والبابا كاللستوس (٢١٧-٢٢٢م)، كما قاوم انحراف البابا فابيانوس. وإن تسمية مؤلفات هيبوليتس الليتورجية باسم "نظام الإسكندرية في الرسامات القبطية" منذ أقدم العصور لهو دليل كاف لتدعيم علاقة هيبوليتس بالإسكندرية وليس بروما.

أما كل ما يعرفه تاريخ العقيدة والإيمان عن علاقة هيبوليتس بروما فهو مهاجمة هيبوليتس لهرطقة زفرينوس وكاللستوس وفابيانوس باباوات روما، حيث كانت روما في ذلك الوقت هي مرتع ومهد هرطقة

المونوأرخيزم(٦١)، أي "منكري الثالوث"، كما كتب أيضاً هيبوليتس ضد نوئيوتس Noetus.

ولكن كتابات هيبوليتس عن الروح القدس جاءت قليلة، ولكنه أكّد على لاهوت الروح القدس بوضوح حيث يقول:

[إنه يستحيل أن نمجِّد الله دون أن نتّجه مباشرة إلى الاعتراف بكل أقنوم في الثالوث المقدَّس].

[بواسطة هذا الثالوث يتمجَّد الآب]:

διὰ γὰρ τῆς τριάδος ταύτης πατὴρ δοξάζεται.

[ونحن عن طريق تجسُّد الكلمة صرنا نعبد ونكرِّم (προσκυνοῦμεν) الروح القدس، كذلك فإنه يستحيل علينا أن نكوِّن فكرة عن الوحدة أو الوحدانية في الله إلا بالإيمان بالآب والابن والروح القدس (كونهم في اتحاد مطلق).](٦٢)

وهيبوليتس يدحض فكرة خضوع الروح القدس للمسيح بقوله:

[إن الآب أخضع كل شيء للابن المتجسِّد ما خلا الآب والروح القدس.](٦٣)

ولكن للأسف لم يستطع هيبوليتس أن يرقى للتساوي المطلق بين الروح القدس والآب أو الابن، فهو يقصر تسمية الأقنوم أو الشخص أو الوجه πρόσωπον في الثالوث كصفة شخصية على الآب والابن فقط، أما الروح القدس فيقصر عليه صفة النعمة، أما الثالوث فهو متساوي في

(61) Rev. Henry Barcley Swete, *DCB*, p. 118.
(62) *Contra Noetus* 12-14, cited by *DCB*, p. 118.
(63) Ibid., B.

التدبير:

[أقنومان، وبالتدبير نعمة الروح القدس هي الثالثة.][٦٤]

[πρόσωπα δὲ δύο, οἰκονομίᾳ δὲ τρίτην τήν χάριν τοῦ ἁγίου πνεύματος].

ويهتم هيبوليتس بتحديد الصفة أو الوظيفة الخاصة للروح القدس في التدبير الإلهي بالإنارة أو الاستنارة هكذا:

[لأن الآب هو الذي يأمر، والابن هو الذي يطيع، والروح القدس يوحِّد. لأن الآب أراد، والابن صنع، والروح أنار.][٦٥]

[ὁ γὰρ κελεύων πατήρ, ὁ δὲ ὑπακούων υἱός, τὸ δὲ συνετίζον ἅγιον πνεῦμα ... πατὴρ γὰρ ἠθέλησεν, υἱὸς ἐποίησεν, πνεῦμα ἐφανέρωσεν].

كما يقول هيبوليتس أيضاً إن الأنبياء يظهرون دائماً مؤيَّدين بـــروح النبوَّة ومكرَّمين من جهة **الابن الكلمة** ذاته[٦٦]، وإن إلهامهم ينبع **من قوَّة الآب**.

[τῆς πατρώας δυναμεῶς ἀπονόιαν λαβόντες].[٦٧]

ديونيسيوس الروماني (٢٦٩م):

في احتجاجه ضد الذين انحرفوا نحو فصل الثلاثة أقانيم وضد مبـــادئ سابيليوس، أوضح ديونيسيوس الروماني عقيدته عن الروح القدس بالنسبة

---

(64) Ibid., 14.

(65) Ibid.

(66) Hippolytus, *De Antichr.* 2, cited by *DCB,* p. 118.

(67) Ibid., *Contra Noetus,* ii, 12.

لعلاقته بأقنومي الآب والابن في الثالوث قائلاً إنه ينبغي أن لا نقسِّم الوحدة الإلهية القائمة في الثالوث إلى ثلاثة أقانيم منفصلة.

ولكن سقط ديونيسيوس هو الآخر في فهمه الخاطئ لوضع الروح القدس في الثالوث بقوله إن أقنوم الابن وأقنوم الروح القدس هما، من جهة الأصل والمنبع، خاضعان لله الآب. على أن ديونيسيوس يقول إن الابن متحد بالآب والروح القدس قائم (ساكن) فيه، فالثالوث الأقدس ينجمع في **ذات واحدة** حيث الآب مصدر ورأس فائق، وفي نفس الوقت يشدِّد أن ننتبه حتى لا نفرِّق الوحدة إلى ثلاثة آلهة، حيث يلزم جدًّا أن نحتفظ بوحدة الأصل μοναρχία وهكذا نحتفظ ونقيم حقيقة الإيمان بالثالوث في المعمودية الآب والابن والروح القدس؛ أما الذي نقل لنا ذلك عن ديونيسيوس الروماني فهو القديس أثناسيوس(٦٨).

كنيسة الإسكندرية

والآن نأتي إلى تعليم مدرسة الإسكندرية فيما يتعلَّق بالروح القدس:

كليمندس الإسكندري:

بالرغم من أن الكثير من مؤلَّفات كليمندس الإسكندري قد فُقِدَت، من بينها كتابان عن كل ما يتعلَّق بالتعاليم الخاصة بالروح القدس عن شخصه ومواهبه: الأوَّل "عن النبوَّات"، والثاني "عن النفس"؛ غير أنه قد تبقَّى لنا أجزاء هامة قام بفحصها ونشرها العالِم كوتيلييه Cotelier،

(68) Athanas., *De Decr.*, cited by *D.C.B.*, p. 119.

والتي يُظن أنها تتبع أحد هذين الكتابين المفقودين(٦٩)، وتدور حول معنى الانبثاق ἐκπόρευσις بالنسبة للروح القدس:

[مبارك الإنسان الذي عرف عطية الآب من خلال انبثاق الروح كلّي القدس.](٧٠)

[διὰ ἐκπορεύσεως τοῦ παναγίου πνεύματος].

[مبارك الإنسان الذي عرف وتقبَّل الروح القدس الذي هو عطية الآب الذي منحه على هيأة حمامة، الروح الذي بلا شائبة عديم الغضب والمرارة، الكامل المنطلق من - قلب - (أعماق) الآب

(ἀπὸ σπλάγχνων ἴδιων προιέμενος)

ليدبِّر الدهور ويعلن غير المنظور، فهو الروح القدس الحق الآتي من الآب (τὸ ἀπ' αὐτοῦ προελθόν) الذي هو قدرته وإرادته، المستعلَن ملء مجده. أما الذين ينالونه فإنهم ينطبعون بطابع الحق بكمال النعمة.](٧١)

وفي بقية أعمال كليمندس الإسكندري يُعلن بوضوح لاهوت الروح القدس(٧٢)، حيث ينتهي كتاب المعلِّم بدعاء النعمة لتمجيد الآب والابن مع الروح القدس، وهو يفرِّق بين وحدانية الروح القدس وبين تعدُّد مواهبه.

كذلك فإن كليمندس يعتبر أن حضور الروح القدس في المؤمنين يشكِّل نوعاً جديداً من الطبيعة البشرية.

---

(69) Lightfoot, *on Clement,* p. 219-220.

(70) *D.C.B.*, p. 119.

(71) Ibid.

(72) Clement of Alex., *Paedagog.*, iii. 12

كذلك فإنه يصف مواهب الروح القدس الإلهية أنها هي العطر الذكي المكوَّن من الروائح السمائية التي يمنحها المسيح لأحبائه(٧٣).

وكليمندس يقرن أحياناً بين الكلمة والروح حينما يتكلَّم عن إلهام الأنبياء(٧٤).

كذلك فإن كليمندس يؤكِّد على دور الروح القدس في إنارة الكنيسة بصورة مستمرة وكذلك الأفراد فيها(٧٥).

كما يضيف أن كل مَنْ يؤمن "بالكلمة" فإن نفسه تتحد بالروح القدس.(٧٦)

والإنسان العارف بالله بالحقيقة true Gnostic هو المؤمن حقًّا والتلميذ بالفعل للروح القدس(٧٧)، وهو بهذا يتمكَّن أن يسبر أعماق الكتاب المقدَّس ويطَّلع على أعماق المعنى المخفي فيها **بالإضافة طبعاً إلى اتِّباعه التقليد فيما يخص قانون الإيمان.**(٧٨)

وكليمندس يشير إلى عمل الروح القدس في سلوك الكنيسة من نحو الماديات، ويربط بين أعمال الروح القدس وبين سر المعمودية فيقول:

[نحن المعمَّدين إذ قد تخلَّصنا من خطايانا التي كانت بمثابة ضباب يحجب نور الروح الإلهي، أصبحنا نملك عيناً روحية محرَّرة غير

---

(73) *Paedagog.*, 11. 8.

(74) Westcott, *Study of the Gospels*, p. 435.

(75) Clement, *Strom.*, v. 13.

(76) Ibid., II. 1-13.

(77) *Strom.*, v. 24; *paed.*, 1. 6.

(78) *Strom.*, VI. 15.

منطمسة ممتلئة نوراً، بها نحدِّق في الإلهيات، وصرنا منفتحين على خفايا الأسرار، والروح القدس ينسكب علينا من السماء.][٧٩]

ويشرح كليمندس التدرُّج من درجة الموعوظين التي فيها تقود التعاليم المبدئية إلى الإيمان، والإيمان حينما تلحق به المعمودية يتهيَّأ لقبول تعاليم الروح القدس:

[πίστις δὲ ἅμα βαπτίσματι ἁγίῳ παιδεύεται πνεύματι].

أما فيما يختص بالإفخارستيا وعلاقتها بالروح القدس فهو يشير إلى هذه العلاقة ولكن يذكر أيضاً الكلمة ولا يتضح تماماً منا إذا كان التقديس يتم بالروح القدس أو بالكلمة:

[ἐν τῷ πνεύματι τῷ αὐτοῦ κοσμήσειν λέγει τὸ σῶμα τοῦ λόγου ὥσπερ ἀμελεῖ τῷ αὐτοῦ πνεύματι ἐκθρέψει τούς πεινῶντας τὸν λόγον][٨٠].

أوريجانوس:

كان أوريجانوس من بعد ترتليان أول من قام بمحاولة دراسة موضوع الروح القدس دراسة علمية.

وقد علَّم أوريجانوس بأن الروح القدس مساوٍ في الكرامة والمجد للآب والابن[٨١].

وأوَّل مَنْ أكَّد بيقين أن الروح القدس منبثق من الآب انبثاقاً أزليًّا، حاله كحال الابن[٨٢].

---

(79) *Paedag.*, 1. 6.

(80) *Paedag.*, ch. 2; ch. 47; cited by H.B. Swete, *DCB*, p. 119.

(81) Origen, *Princ.*, 1; *praef.*

(82) Ibid., II. 2; ch. 1.

وأن الروح القدس صالح صلاحاً كليًّا ومطلقاً(٨٣).

وأن عمل الروح القدس المميَّز غير عمل الآب والابن، فهو يختص بنفوس المؤمنين(٨٤).

وأنه بالرغم من أن عطاياه متعدِّدة فجوهره واحد غير منقسم(٨٥).

وأن الروح القدس العامل في الأنبياء في العهد القديم هو هو نفسه العامل في العهد الجديد في القديسين، غير أنه بعد الصعود صارت إرساليته ممتدَّة وشاملة ومتَّسعة(٨٦).

والمؤمنون باشتراكهم في الروح القدس يصيرون روحيين وقديسين، والذي يشترك في الروح القدس يشترك في الثالوث، لأن الثالوث غير مفترق لأنه ليس هيوليًّا أي ماديًّا(٨٧).

والقدرة على استخلاص المعاني الروحية العميقة بالإلهام يرجع إلى كون الكتب المقدَّسة مكتوبة بإلهام الروح القدس(٨٨).

بل وإن كل حرف هو بمقتضى الحال يكشف عن أثر الحكمة الإلهية(٨٩).

وللأسف فإنه بعد كل هذه التعبيرات عن لاهوت الروح القدس فإن كلاً من جيروم وإبيفانيوس يتَّهمان أوريجانوس بأنه قال إن الروح القدس مخلوق(٩٠)، بل والقديس باسيليوس كاد أن يصادق هو أيضاً على هذه

---

(83) Ibid., I. 2; ch. 3.
(84) Ibid., I. 3; ch. 5.
(85) Ibid., I. 1; ch. 3.
(86) Ibid., II. 7; ch. 1, 2.
(87) Ibid., IV. 1, ch. 32; cf. 1. 3 ch. 5.
(88) Origen, *Hom. on Num.*, XXVII. 1.
(89) Origen, *Philocalia* 2.
(90) Basil, *De Sp. Sanct*, 29.

التهمة بالنسبة لأوريجانوس(٩١).

وكل هذا جاء بسبب خطأ في فهم الفرق بين:

γενητὸς ἢ ἀγένητος & γεννητὸς ἢ ἀγέννητος

ولكن خروج أوريجانوس عن تقليد الكنيسة ولغتها الملهمة واضح جدًّا في شرحه لإنجيل يوحنا، **فهو يضع الروح القدس في درجة أقل من الابن، لا بالنسبة للكرامة بل للأصل origin، فهو يقرِّر أن الابن وحده هو من الآب فقط، ولكن الروح القدس هو من الآب بواسطة الابن (هنا بداية خطأ الكاثوليك الآن في قولهم إن الروح القدس منبثق من الآب والابن – Filioque – الذي يشير مباشرة أن الروح القدس أقل من الابن** والتي أخذوها عن أوغسطين الذي أخذها بدوره عن أوريجانوس).

كذلك عندما بدأ أوريجانوس يشرح قول إنجيل يوحنا (١: ٣): «كل شيء به كان» [πάντα δι' αὐτοῦ ἐγένετο] أي أن الكلمة خلق كل شيء، تساءل أوريجانوس في غفلة قائلاً: أليس يلزم أن يكون الروح القدس أيضاً بين هذه الموجودات أي الخليقة γενητά؟

وهكذا يعتبر أوريجانوس أن الروح القدس، بمفهوم ما، يستمد خلقته أو وجوده Genesis بواسطة الابن، ويعود بلا جدوى يمنح الروح القدس الكرامة فوق كل الخليقة γενητά، ولكن هيهات! فقد أسقط أوريجانوس الروح القدس عن المساواة الكاملة في الثالوث وهو يمعن في هذا الفكر الخاطئ بقوله:

[وحتى وإن كان الروح القدس فوق كل الخليقة في الكرامة فهو بحسب الفكر **يتحتَّم أن يُحسب بين الخليقة، لذلك فهو يُعتبر أقل**

(91) Origen, *De Princip.*, I. *praef.* Ch. 4.

من الابن الذي بواسطته يستمد وجوده!!].

وهكذا لم تسعف العبقرية الفكرية هذا المفكِّر العملاق، لأنه لم يلتزم بالتقليد واستخدم المنطق الذي أوقعه في الخطأ، ومهَّد دون أن يدري لبدعة أريوس الذي تمادى في إنكاره الكامل للاهوت الروح القدس.

تلاميذ أوريجانوس وامتداد الخطأ:

من بين تلاميذ أوريجانوس الذين تمسَّكوا بهذا المفهوم الخاطئ من جهة درجة الروح القدس بييريوس (Pierius)، الذي يتَّهمه فوتيوس بأنه وضع الروح القدس أقل في المجد والكرامة من الآب والابن.

وقد وقع ثيئوغنسطس Theognostus في نفس الخطأ(٩٢) باعتماده على تعاليم أوريجانوس.

وقد قام القديس باسيليوس(٩٣) باتهام ديونيسيوس بابا الإسكندرية (سنة ٢٤٧م) بنفس الخطأ من جهة درجة الروح القدس، ولكن العجيب أن باسيليوس نفسه يستشهد بكتابات ديونيسيوس الإسكندري نفسه في إثبات تساوي الثالوث، كما يذكره ديونيسيوس في الذكصا أي تمجيد الثالوث في ختام أقواله دائماً: "والمجد لله الآب والابن مع (σύν) الروح القدس" حيث (σύν) تفيد المعيَّة في المساواة.

وفي كتابات ديونيسيوس بابا الإسكندرية إلى سميِّه بابا روما توجد أقوال واضحة تتنافى مع هذا الاتهام، ومع أي مماحكة لأريوس الذي قال إنه يقتبس من ديونيسيوس الإسكندري، وقد أوردها القديس أثناسيوس في دفاعه عن البابا ديونيسيوس لإثبات صحة إيمانه:

---

(92) Biblioth. Codd., 119, 106.

(93) Basil, *Ep.* 41.

[إن كل اسم من الأسماء الآب والابن والروح القدس غير منفصل قط عن ما يليه ... لذلك حينما يُذكر الروح القدس فإني في الحال أتذكّر انبثاقه من الآب بواسطة الابن πόθεν καὶ διὰ τίνος ἦκεν فإن طبيعة الآب ليست غريبة عن الابن ولا يمكن أن يفترق الابن عن الآب والروح القدس فيهما (في أيديهما)].(٩٤)

ولا تخلو هذه الحقبة - نهاية القرن الثالث - من شاهد قوي لتقليد الكنيسة اللاهوتي بالنسبة لدرجة الروح القدس ولاهوته معاً، وهو ميثوديوس Methodius أسقف صور، الذي قال صراحة إن الروح القدس مساوي للآب في الجوهر ὁμοούσιον πνεῦμα.(٩٥)

القرن الرابع ... قرن المتاعب والتصفيات

أريوس والأريوسية:

لقد تخصَّصت الأريوسية في بادئ الأمر في مهاجمة الابن، ولكنها لم تستثنِ من حين لحين الروح القدس من التنكّر والمهاجمة، ففي صلب «الثاليا»، وهي أنشودة الكفر التي ألفها أريوس وتعني «الوليمة» يقول:

["إن جوهر الأقانيم الثلاثة الآب والابن والروح القدس هي من جهة طبيعتها منفصلة عن بعضها وغريبة عن بعضها ومتميِّزة" ... وكل أقنوم في الثالوث أكرم وأمجد من الآخر بالتسلسل وهذا

(94) Athanas., *De Sentenia Dionysii,* 17.

(95) Migne, PG XVIII, 210, 351; cited by *DCB,* p. 120.

التدرُّج في المجد والكرامة هو إلى مالانهاية.][٩٦]

ولكن لم يركِّز مجمع نيقية إلا على لاهوت الابن ومساواته للآب بسبب الخطورة المحدقة بالخلاص والفداء آنئذ، من جرَّاء إنكار لاهوت الابن، واكتفى المجمع بقوله: "ونؤمن بالروح القدس" ولما طُرح هذا التساؤل فيما بعد بخصوص عدم توضيح المجمع لماهيَّة الروح القدس جاء الرد مفحماً بالعدل والحق حينما قال كل من غريغوريوس اللاهوتي وإبيفانيوس أسقف قبرص أن ذكر المجمع **"ونؤمن بالروح القدس" لم تأتِ منفصلة عن الثالوث، أي عن الله، بل جاءت في معرض تقرير قانون الإيمان بالله الواحد**[٩٧].

أما إحجام المجتمعين في مجمع نيقية - أي أساقفة العالم كله - من جهة التعرُّض لشرح لاهوت الروح القدس، فكان بسبب انصباب الهجوم كله وبكل كثافة على لاهوت الابن، حيث لم يكن في جميع الكنائس وبين جميع الشعوب حديث آخر في تلك الحقبة الزمنية العصيبة سنة ٣٢٥ م إلا على لاهوت الابن، أما الروح القدس فلم يتعرَّض له الأريوسيون إلا لماماً وبدون تخصيص[٩٨]. وكما يقول القديس باسيليوس إن الأريوسيين في بدء المعركة بذروا فقط بذور إنكار لاهوت الروح القدس ضمن تعبيراتهم المبهمة عمداً، ولم تنضج هذه البذار ولم تأتِ بحصادها المسموم وبصورة متخصِّصة تجاه الروح القدس إلا بعد خمسين

(96) Athanas., *Contr. Ar.*, 1. 6; *de syn.* 15.

(97) Greg. Naz., *Or.* XXXVII; Epiph., *Haer.* LXXIV.

(98) Basil, *Epp.*, 78, 387.

عاماً تقريباً(٩٩).

وهكذا بين سنة ٣٢٥ م أي زمن انعقاد المجمع الأول، وسنة ٣٦٠ م، واتت فرص كثيرة لدى الأريوسيين وخاصة جماعة اليوسابيين (يوسابيوس النيقوميدي) لكي يشرحوا وجهة نظرهم تجاه إنكارهم للاهوت الروح القدس بصورة مستترة ضمن تعبيراتهم وقوانينهم الكثيرة التي خرجوا بها للعالم بعد المجامع التي عقدوها. وهي توضِّح دهاء السياسة التي انتهجوها آنئذ في مقاومتهم لمقررات مجمع نيقية بألفاظ منتخبة ومتقنة ومن الكتاب المقدَّس، إنما مفرَّغة عمداً من أيَّة إشارة لأزلية الروح القدس أو لاهوته بدون تصريح علني، مكتفين بوضع أقنوم الروح القدس في درجة أقل من الآب والابن، موضِّحين فقط ما يختص بإرساليته الزمنية أي إرسالية يوم الخمسين، حاذفين ما يخص وجوده السابق (أزليته) ودون ذكر لأي تعبير يمت إلى كيانه أي لاهوته(١٠٠).

وإليك مختصر لتعبيرات الأريوسيين عن الروح القدس:

[ونحن نؤمن بالروح القدس، الباراكليت، روح الحق، الموعود به من الأنبياء ومن الرب وأُرسِل إلى الرسل ليعلِّمهم كل شيء وليعزِّي ويقدِّس ويكمِّل المؤمنين. والابن هو الذي منح الروح القدس للكنيسة **بحسب إرادة الله** (πατρικῷ βουλήματι) **لذلك نحن نحرم كل مَنْ يقول إن الروح القدس هو إله غير مخلوق** (واضح هنا الكفر)، ونحرم كل مَنْ يخلط بين شخص الروح القدس وشخص الابن أو يقول **إنه من الآب، أو يقول إنه من الابن** الذي - الروح القدس -

(99) Ibid., 78.

(100) Hahn, *Bibliotheck der Symbole,* p. 148-174; cited by *DCB,* p. 121.

هو به (وليس منه)، أي أُرسِل به إلى العالم (δι' - per filium est υἱοῦ ἀποστολεῖν) **ونحن نرفض الإصطلاح غير الكتابي "جوهر واحد" للآب والابن والروح القدس.**](١٠١)

وبينما كان يستخدم الأريوسيون كل هذا الحذق وكل هذا الدهاء في الاكتفاء بالأوصاف الناقصة أو السلبية للروح القدس ليخفوا حقيقة إنكارهم للاهوت الروح القدس، نجد أن أشخاصاً مسئولين وكثيرين من أفراد الشعب بدأوا بسرعة وبدون دهاء يعلنون ويؤكّدون كفرهم بلاهوت الروح القدس صراحةً وعلناً.

فنجد مثلاً لوسيفر سنة ٣٥٨ م وهو أسقف كاجلياري يوجّه اتهاماً علنيًّا للإمبراطور قسطنطيوس يقول فيه إن الإمبراطور لا يؤمن أن الباراكليت هو بعينه "**روح الله**"(١٠٢).

وفي هذا الصدد أعلن القديس أثناسيوس مرّات عديدة منذ البداية ردًّا على محاولات الأريوسيين في تشويه الإيمان بالروح القدس قائلاً:

[إنه يستحيل الإيمان بالروح القدس إيماناً صحيحاً طالما يخفق الإيمان بأن الابن مساو للآب في الجوهر.](١٠٣)

ولقد ظلّ الأرثوذكس في كافة أنحاء العالم متمسّكين بمقرّرات مجمع نيقية تجاه الإيمان الصحيح بالابن وبالروح القدس إزاء محاولات الأريوسيين، سواء كان ذلك في الغرب الذي وضح في مجمع ساردیكا سنة ٣٤٧ م، أو في مجمع أريمينيم مع الشرقيين سنة ٣٥٩ م.

---

(101) Ibid.

(102) *Pro Athanas.* II; Migne Patr. Lat. XIII, 898.

(103) Athanas., *Or. contra Ar.*, 1. 8.

أما القديس أثناسيوس فقد بدأ في تفنيد آراء الأريوسيين من جهة الروح القدس بصورة واضحة ومحدَّدة سنة ٣٦٠ م، حينما أصدر أول شرح مستفيض عن شخص الروح القدس موضِّحاً أنه "**منبثق من الآب**".

ومنذ ذلك التاريخ أصبح أمام الكنيسة ضرورة مُلحَّة في توضيح كل ما يتعلَّق بالروح القدس لتفنيد كفر الأريوسيين! وبينما كان القديس أثناسيوس في منفاه هارباً من وجه مضطهديه في صحراء طيبة وصلت إلى يديه أول رسالة من القديس سيرابيون أسقف تُمّي، يخبره أنه في إيبارشيته (في الدلتا) وجد ضمن الراجعين إلى الكنيسة بعد أن جحدوا الأريوسية لا تزال جماعة من المنحرفين عن العقيدة الصحيحة من جهة الإيمان بالروح القدس تسمَّى جماعة المتقلِّبين tropici، وهم ينادون بأن الروح مخلوق وأنه روح خادم لا يختلف عن الملائكة إلا في الدرجة وحسب(١٠٤).

وبعودة أثناسيوس إلى الإسكندرية بعد منفاه، بدأ فوراً بالتحضير لمجمع الإسكندرية الذي أصدر منشوراً مجمعيًّا سُمِّي بطومس الأنطاكيين، لأنه أُرسل إلى أنطاكية بنوع خاص، يحمل أول حكم بالإدانة تصدره الكنيسة ضد عدم الإيمان بلاهوت الروح القدس، محذِّراً أن كل مَنْ يريد أن يعود إلى الكنيسة من جماعة الأريوسيين عليه أن يجحد أولاً كل مَنْ يقول بأن الروح القدس مخلوق أو إنه منفصل عن جوهر الآب والابن.

وبمجرد وصول هذه الوثيقة التاريخية الهامة إلى أنطاكية، قَبلها الأسقف بولينوس المرسوم جديداً بكل فرح، ووقَّع عليها بإمضائه

(104) *Ad Serap.*, I. init.

وأضاف إليها اعترافه الخاص الذي فيه يحرم كل مَنْ لا يقول بما جاء فيها.

ويقرِّر كل من المؤرِّخ سوزومين وسقراط وروفينوس أن مجمع الإسكندرية هذا أعلن بوضوح أن الروح القدس مساو في الجوهر مع الآب والابن(١٠٥).

[ἀδιαίρετον τῆς οὐσίας τοῦ υἱοῦ καὶ πατρός]

وتحاشى الخطاب ذكر كلمة الأوموؤوسيوس حتى لا يثير مشاكل عند النصف أريوسيين، الذين كانوا قد قبلوا الأوموؤوسيون بصعوبة فيما يتعلّق بالابن وتعذّر عليهم فهم الأوموؤوسيون بالنسبة للروح القدس.

وقد انبرى في هذه الحقبة مقدونيوس وماراثونيوس Marathonius، اللذان رفضا بشدَّة القول بلاهوت الروح القدس، وظلاَّ يُعلِّمان أن الروح القدس مخلوق وخادم لله، ولذلك دُعيا هما وجماعتهما بمحاربي الروح القدس - πνευματομάχος، الذين حرمتهم الكنيسة آنئذ(١٠٦). ولكنهم لم يقووا على مقاومة الكنيسة كثيراً ففي مدى عشرين سنة استسلموا وخضعوا للإيمان الصحيح(١٠٧).

وفي سنة ٣٦٣ م. عقد القديس أثناسيوس مجمعاً آخر في الإسكندرية، أعاد فيه التأكيد على عقيدة ألوهية الروح القدس، حيث أصدر المنشور المجمعي باسم الإمبراطور جوفيان يدين فيه الذين يحاولون إحياء هرطقة أريوس من جديد، منكرين إيمان مجمع نيقية الذي يتظاهرون بالاعتراف

(105) Sozom., V. 12; Socrate III. 7; Ruf. *H.E.* 1. 28.

(106) Socr. II. 45; Sozom. IV. 27; Theodor., II. 6.

(107) *DCB,* p. 121; by Rev. H.B. Swete.

به ولكنهم يحرِّفون معنى الأوموؤوسيون ويجدِّفون على الروح القدس قائلين: إن الابن خلقه، في حين أن واضعي قانون الإيمان في مجمع نيقية يمجِّدونه مع الآب والابن ضمن الإيمان بالثالوث المقدَّس(١٠٨).

في روما:

ولكن للأسف وقعت روما في حبائل مقدونيوس وأتباعه، إذ أرسل إلى البابا ليبريوس بعثة من مجمعه الخارج عن الإيمان، المسمَّى بمجمع لمباسكوس سنة ٣٦٥ م. ونجح مقدونيوس في إقناع البابا ليبريوس وكل أساقفة إيطاليا، واكتسبهم أنصاراً له فيما يخص تعاليمه المغشوشة عن الروح القدس(١٠٩)، مدَّعياً أنه يتمسَّك بقوانين مجمع نيقية المقدَّس.

وبهذه المناسبة نذكر بالأسى أنه بعد موت هذا البابا حدثت مذبحة قُتِلَ فيها ١٣٧ شخصاً من الشخصيات المتزاحمة بسبب انقسام معركة الانتخابات بين داماسوس ويورسينوس Ursinus المزاحم له، حتى بلغت حد الحصار في الكنائس واقتسام النفوذ عليها. وقد تمَّ بالفعل رسامة كل منهما بابا، داماسوس بابا روما في كنيسة القديس لورنزو ويورسينوس بابا في كنيسة بازليكا يوليوس(١١٠).

ولكن في سنة ٣٦٦ م، بعد اعتلاء البابا داماسوس وهو أسباني الأصل (٣٠٤ - ٣٨٤ م) كرسي روما(١١١)، افتُضِح الأمر واكتشف الغرب

(108) *Ad Jovian* 4; Migne XXVI, 820.

(109) *DCB,* by Rev. H.B. Swete, p. 122.

(110) Acc. to the Gestie inter Liberium et Felicem 160; cited by Cross. *DCB,* p. 370.

(111) Ibid.

أخيراً الفخ الذي سقطوا فيه وذلك بفضل ومضات النور المنبعثة من فنار الإسكندرية - أثناسيوس اللاهوتي - الذي لم يهدأ ولم ينثنِ أن يفضح الظلام شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً سواء بالرسائل الخاصة أو بإعلان مقرَّرات المجامع التي عقدها في الإسكندرية لهذا الغرض (٣٦٠-٣٦٣ م).

واستيقظت روما متأخِّرة جدًّا على رائحة الهرطقة التي دخلت كنيستها وتغلغلت فيها بسبب غفلة البابا ليبريوس المذكور، وبدأ الأساقفة في الاجتماع وعقد المجامع المتتالية برئاسة داماسوس أسقف روما، وذلك بمساعدة الإمبراطور فالانتينيان الأول، لدحض هذه الهرطقة بلا توقُّف. ويذكر لنا المؤرِّخ المشهور هِفلي أنه لم تهدأ روما من سنة ٣٦٨-٣٨١م، وهي تُقيم المجامع الواحد تلو الآخر، الأول سنة ٣٦٩م، والثاني سنة ٣٧٤م، والثالث سنة ٣٨٠م(١١٢). وفي هذه المجامع استعادت روما أرثوذكسيتها وقرَّرت بكل وضوح وتأكيد أن:

١ - الروح القدس غير مخلوق.

٢ - أنه في كرامة واحدة وجوهر واحد (أوسيًّا) وقدرة واحدة مع الآب والابن.

٣ - أزلي عالِم بكل شيء (كلِّي العلم)، موجود في كل الوجود، متميِّز بشخصه، معبود من الكلِّ (كلِّي العبادة)، منبثق من الآب فقط، واحد مع الآب والابن باتحاد كامل مطلق.

وحَرَمَت بالتالي أريوس ومقدونيوس وإينوميوس وكل مَنْ أنكر أزلية الروح القدس وانبثاقه من الآب - De Patre esse vere ac proprie **فقط** (لاحظ هنا أيها القارئ أن إيمان روما كان أرثوذكسيًّا صحيحاً سليماً

(112) Hefele, *op. cit.*, vol. II. 287-393.

فيما يخص انبثاق الروح القدس من الآب **فقط** في القرن الرابع).

كذلك حَرَمَت كل مَنْ يقول إنه مخلوق أو إن الابن خَلَقَهُ، حتى ولو كان أرثوذكسيًّا في كل نواحي الإيمان الأخرى.

وأعلنت روما إيمانها (بعد وفاة أثناسيوس بخمس سنوات وعلى هُدى مقرَّرات مجامع الإسكندرية) بالثالوث المقدَّس، لاهوت واحد قدرة واحدة وكرامة ومجد واحد، وسُمِّي هذا "طومس داماسوس" ولاقى قبولاً في أنطاكية ووقَّع عليه ١٤٦ أسقفاً اجتمعوا في مدينة أنطاكية سنة ٣٧٨م بحسب تحقيقات العالِم والمؤرِّخ هِفلي(١١٣).

ماذا في قيصرية
وتعاليم أسقفها يوسابيوس المؤرِّخ الشهير (٢٦٤-٣٤٠م):

يُعتبر من القلائل الذين عاصروا عصر ما قبل نيقية (وكان عضواً في جماعة النصف أريوسيين)، وعصر ما بعد نيقية، وواحد من أكثر المتحمِّسين لأوريجانوس(١١٤).

لقد كان غير دقيق في تعبيراته اللاهوتية، حتى أنه يمكن بسهولة وضعه ضمن المتقدِّمين في الهرطقة الأريوسية(١١٥).

فكان يوسابيوس يؤمن ويعلِّم بأن الروح القدس هو ثالث في الكرامة والمجد وفي الدرجة أيضاً أي في الجوهر(١١٦).

---

(113) Ibid., p. 291, 360-363.
(114) Socr., II. 21.
(115) Rev. H.B. Swete, *DCB*, p. 123.
(116) *Paraep. Evang.*, VII. 16.

فكان يصف "الروح القدس بأنه يستقبل نوره من "الكلمة" كالقمر في فلك اللاهوت وأنه يستمد كل كيانه وصفاته من الابن".

وبذلك كان يحسبه أنه ليس إلهاً ولا حتى بمستوى الابن، أي ليس غير مخلوق، وكونه لا يستمد أصله من الآب كالابن فيتحتَّم أن يكون واحداً من الأشياء التي خُلقَت بواسطة الابن وبالنص الحرفي هكذا:

[οὔτε θεός, οὔτε υἱός, ἐπὶ μὴ ἐκ τοῦ πατρὸς ὁμοίως τῷ υἱῷ καὶ αὐτὸ τήν γένεσιν εἴληφεν ἕν δέ τι τῶν διὰ τοῦ υἱοῦ γενομένων](١١٧).

ثم يعود يوسابيوس ويستدرك هذا الشطط، لعلَّه يعيد للروح القدس شيئاً من هيبته الإنجيلية فيقول: وبالرغم من أنه مخلوق إلا أنه أعلى وأفضل جميع المخلوقات ... وهيهات فأية كرامة لمخلوق؟

كما يتبيَّن من أقوال يوسابيوس هذا، أن انبثاق الروح القدس مرتبط فقط بإرساليته، أي كحدث زمني.

وماذا في أورشليم عند القديس كيرلس الأورشليمي صاحب التعاليم المشهورة للموعوظين (٣١٥-٣٨٦م):

لقد عاش هذا الأسقف حتى شاهد ختام المعركة اللاهوتية ضد الأريوسيين التي بدأت في صبوته المبكِّرة. والمعروف عن منهجه اللاهوتي أنه جاز عدَّة تطورات وتصحيحات على طول المدى(١١٨)، ولقد كتب مقالة عن الروح القدس في بكور حياته (٣٤٧-٣٤٨م).

---

(117) Euseb., *De Eccl. Theol.*, III. 6.

(118) Sozom., IV. 25; VII, 8; Socr. V. 8.

وكان من الآباء النادرين الذين تمسَّكوا بتعليم الكتاب المقدَّس والتقليد والتزم الصحة في التعبيرات اللاهوتية فيما يخص الروح القدس، بسبب ما كان يجري أمامه من المعارك اللاهوتية وتعاليم أثناسيوس التي أنارت الشرق والغرب، وبسبب شدَّة تعلُّقه بالأسرار الكنسية وخاصة المعمودية التي اعتبرها الأساس في التعليم والبناء الروحي، لذلك صار هذا الأسقف نموذجاً رائعاً للتمسُّك بالتقليد وبالأسرار كمصدر استنارة لإدراك اللاهوت وتجنُّب الأخطاء اللاهوتية، وإن كانت تعاليمه جاءت غامضة فيما نحن بصدده ولكن يمكن استشفاف الأفكار الآتية من تعاليمه عن الروح القدس كالآتي:

١ - يرفض فكرة أوريجانوس فيما يخص خلقة الروح القدس بواسطة الابن.

٢ - يعتبر الروح القدس مساوٍ في الكرامة للآب والابن.

٣ - يحدِّد شخصية الروح القدس ويؤكِّد على وحدانيته المتميِّزة عن ظهوراته المتعدِّدة (بالمواهب المتعدِّدة).

٤ - لا يحدِّد انبثاقه وكيفيته ولكن يكتفي بالقول إن الابن يمنح الروح القدس ما يستلمه هو من الآب، وهنا يظهر بنوع ما الانحراف في فهم درجة طبيعة الروح القدس(١١٩).

[πατὴρ μὲν δίδωσιν υἱῷ καὶ υἱὸς μεταδίδωσιν ἁγίῳ πνεύματι].

ثم يقف هنا حائراً ويقول إنه لا يليق بنا بعد ذلك أن نفحص أموره

(119) Catech. XVI. 24.

أكثر من ذلك.

٥ - وأهم ما يجيء في تعاليم القديس كيرلس الأورشليمي عن الروح القدس هو مفاعيله ومواهبه وأعماله كالآتي:

(أ) يقدِّس ويؤلِّه - θεοποιόν - بنعمته الخاصة كل ذي طبيعة عاقلة أو مفكِّرة كضرورة حتمية للاقتراب من الله، ولا يستثنى من ذلك الملائكة ورؤساء الملائكة(١٢٠) (يقرِّر هذا القديس أثناسيوس بوضوح).

(ب) ألهم الأنبياء، وحلَّ على الرب، وأُعطى للرسل، **يُمنح للمعمَّدين في المعمودية في لحظة العماد**(١٢١).

[τό καὶ νῦν κατὰ τὸν καιρὸν τοῦ βαπτίσματος σφραγίζον σου τὴν ψυχήν].

كذلك فإنه يُعطَى لنا أيضاً لحظة التثبيت(١٢٢) **(وضع اليد = الميرون)**.

(ج) الروح القدس يُقدِّس ويحوِّل الإفخارستيا(١٢٣).

(د) يوحي إلينا بكل الأفكار المقدَّسة(١٢٤).

(هـ) الروح القدس هو النار الإلهية التي تُفني الخطية وتُنير النفس التي تتقبَّل نعمته(١٢٥).

وهكذا يغطِّي كيرلس الأورشليمي مفهوم الروح القدس للمعمَّد العادي، ولكنه على المستوى اللاهوتي يقف عاجزاً عن فهم **الجوهر**

---

(120) Ibid., IV. 6; XVI. 23.
(121) Ibid., IV. 16.
(122) Ibid., XXI, 2,3.
(123) Ibid., XXIII, v. 9, 17.
(124) Ibid., XVI. 19.
(125) Ibid., XVII. 5.

الواحد الذي للآب والابن والروح القـــدس، أي التـــساوي المطلَـــق في الثالوث الذي بدونه يستحيل الإيمان بوحدانية الله.

كما يقف عاجزاً عن فهم الانبثاق من الآب فقط (كانبثاق الشعاع من الشمس) كصفة جوهرية لأقنوم الروح القدس، الذي بدون ذلك يستحيل فهم مساواته للابن أو الآب في الجوهر والكرامة.



القديس أثناسيوس الرسولي

وإرساء القواعد الثابتة للاهوت الروح القدس ووحدة الثالوث

إلى القديس أثناسيوس يُعزَى منهج التعريف اللاهوتي للروح القدس على أصول البحث المنهجي العلمي بما لا يقل دقة وأصالة عن منهجه في التعريف بالابن. وبدراسة الرسائل المتبادلة بينه وبين القديس سيرابيون أسقف تمي في ما يخص الروح القدس، كذلك بدراسة كل ما جاء في دفاعه ضد الأريوسيين، يتضح هذا المنهج بخطواته وعمقه واستشهاداته والتزامه بالفكر التقليدي الكنسي الإسكندري على المستوى الكتابي والروحي وبإلهام واضح. فهو يقول لسيرابيون أسقف تمي هكذا:

[إن هذا هو التعليم الذي استلمته الكنيسة من الرسل.]
(إلى سيرابيون ٢٨: ٣٢)

[لنتأمَّل في تقليد الكنيسة الجامعة وتعاليمها وإيمانها منذ البدء التي أعطاها الرب، وكرز بها الرسل، وحفظها الآباء. على هذه تأسَّست الكنيسة، ومن يسقط منها لا يُعتَبَر مسيحياً ... هكذا يُنادَى بإله واحد في الكنيسة، الذي **على** الكل، وبالكل **وفي** الكل (أف٤: ٦). "الترجمة الأصح: الذي هو كلّي الأصل (على) وكلّي السبب (بـ) وكلّي التنفيذ (في)، وهي الصفات الخاصة المتكاملة بالآب والابن والروح القدس، حيث كلمة (**كل**) لا تفيد الأشياء أو المخلوقات بل تفيد معنى الكلية، أي المطلق، أي الله في ذاته

الكلية المطلقة" **على الكل** كآب، كبداية، كينبوع؛ **بالكل** أي بالكلمة، **في الكل** أي في الروح القدس ... فإن كنتم تفصلون وتعزلون الروح القدس عن اللاهوت، لا يكون لكم ذلك الذي هو **في الكل**، وإن فكّرتم في ذلك فإن طقس الانضمام إلى الكنيسة (المعمودية والتثبيت) الذي تدَّعون أنكم تمارسونه لا يكون في اللاهوت قطعاً.] (إلى سيرابيون ١:٢٨ و٢٩)

والقديس أثناسيوس يواجه أخطاء جماعة المتقلبين "tropici" في عجزهم عن فهم ماهية الثالوث في وحدانية الله، بتوضيحه أن اختلاط الطبائع يستحيل أن يستقيم مع وحدانية الثالوث غير المنفصل؛ فالروح القدس كونه في الثالوث يستحيل أن يكون بطبيعة غير طبيعة الآب والابن عينها. ومن هنا يستحيل أن يُقال إن في الثالوث خالق ومخلوق، بل إله واحد.

[εἰ κτίσμα ἦν, οὐ συνετάσσετο τῇ τριάδι ὅλη γὰρ εἷς θεός ἐστιν].

وفي معرض دفاعه يوضِّح علاقة الروح القدس بالآب والابن. وهكذا يقدِّم القديس أثناسيوس، ولأول مرَّة في تاريخ الكنيسة اللاهوتي، منهجاً تعليمياً مفصَّلاً عن عقيدة الانبثاق، فهو في الأساس يقرِّر بوضوح:

[إن الروح القدس منبثق من الآب ἐκπόρευμα τοῦ πατρός](١٢٦)

ثم يضع هذا الاصطلاح اللاهوتي الجوهري مراراً كثيرة هكذا: "الذي من الآب ينبثق"، وهو تجميع للآيتين: يو ١٥:٢٦، ١كو ٢:١٢ =

(126) Athanas., *Exposito Fidei (ek Thesis)*, parag. 4.

[τὸ ἐκ τοῦ πατρός ἐκπορευόμενον].

ويضيف أثناسيوس عن عقيدة إرسال الروح القدس هكذا:

[الروح القدس الذي ينبثق من الآب فهو دائماً عند (في يدي) الآب الذي يرسله والابن الذي يوصِّله والذي به يملأ كل شيء.][١٢٧]

[لأنه إذا استقام تفكيرهم (المجدِّفين على الروح القدس) عن "**الكلمة**"، استقام تفكيرهم أيضاً عن **الروح المنبثق من الآب**، الذي بفضل علاقته (أي علاقة الروح القدس) بالابن - أعطاه للتلاميذ وكلِ مَنْ يؤمن به. وهم بأخطائهم هذه لا يستقيم إيمانهم بالآب أيضاً لأن الذين "يقاومون الروح" كما قال الشهيد العظيم استفانوس (أع ٧: ٥١و٥٢) ينكرون الابن أيضاً، والذين ينكرون الابن ليس لهم الآب أيضاً (١يو ٢: ٢٣).][١٢٨]

أولاً: علاقة الروح القدس الجوهرية بالكلمة:

وإزاء محاولة جماعة المتقلِّبين جحد لاهوت الروح القدس في الوقت الذي يعترفون فيه بلاهوت الابن، يبدأ القديس أثناسيوس ينتحي ناحية فرعية - أثناء دفاعه عن لاهوت الروح القدس - **في وصف علاقة الروح القدس الجوهرية بالابن خاصة**، فيقول: إن الروح القدس حتى قبل التجسُّد كان "الكلمة" يعطيه باعتباره أنه - أي الروح القدس - له خاصة وأنه هو الباراكليت:

---

(127) *Ibid.*

(128) *Ad Serap.* 1, 2.

[عندما حلّ الكلمة على الأنبياء تنبّأوا بالروح.] (إلى سيرابيون ٣:٤)

[وبكل تأكيد فإن الكلمة قبل أن يتأنّس كان يعطي الروح القدس للقديسين باعتباره له أو كخاصته (ἴδιον = as his own). كذلك لمّا صار إنساناً فإنه يقدّس الجميع بالروح القدس ويقول لتلاميذه « اقبلوا الروح القدس» (يو ٢٠:٢٢).](١٢٩)

[هل الروح القدس "**واحد**" والباراكليت "آخر"، حيث يكون الباراكليت هو بعد الروح القدس، وهل الباراكليت لم يُذكر في العهد القديم؟ ـ حاشا! ... فكما أن "**الكلمة والابن**" هما واحد كذلك "**الروح والباراكليت**" والرب نفسه قال هكذا: "والباراكليت الذي هو الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي" (يو ١٤:٢٦). وهكذا يتكلّم الرب عن الواحد نفسه.](١٣٠)

ملاحظة هامة:

وبسبب هذه الهرطقة التي نشأت منذ القرن الثاني القائلة بأن الباراكليت لم يكن موجوداً في العهد القديم، وأن الروح شيء والباراكليت شيء آخر، وقد تبنّاها جماعة المتقلّبين والأريوسيين؛ لذلك اهتم مجمع أفسس أن يقرِّر عن الروح القدس أنه: "**الناطق في الأنبياء**"، وقد انبرى قبل أثناسيوس يوستين، الذي كان أول مَنْ أعطى صفة "**روح النبوّة**" προφητικόν **للروح القدس** التي نردِّدها الآن في الأجبية، عندما

(129) Athanas., *C. Ar.*, I, 48.

(130) Athanas., *C. Ar.*, IV, 29.

كان يتكلّم عن المعمودية(١٣١)، كذلك تعرَّض لها أوريجانوس أيضاً(١٣٢).

يقول القديس أثناسيوس:

[إن الكلمة صار جسداً **لكي يقدِّم جسده عن الجميع ولكي إذا نحن اشتركنا في الروح القدس نصير شركاء الطبيعة الإلهية (نتألّه). هذه العطية التي كان يستحيل علينا نَيْلها إذا لم يكن لبس جسداً من جسدنا المخلوق، ولكننا بنيلنا الروح القدس لا نفقد طبيعتنا الخاصة.**](١٣٣)

كذلك فإن أثناسيوس قبل أن يصل بالقارئ إلى المساواة الكاملة للروح القدس في الثالوث مع الآب والابن، يبدأ أولاً يوضِّح العلاقة الجوهرية المتساوية في كل شيء بين الروح القدس والكلمة، حتى ينفي قطعياً قول الهراطقة إن الابن خلقه فيقول:

[كما أن الابن هو في الآب والآب فيه وأنه من جوهر الآب ἴδιος τῆς τοῦ πατρός οὐσίας، كذلك فإن الروح القدس هو في الآب والابن فيه، ولذلك لا يمكن أن يُقال إن الروح القدس مخلوق أو يوجد منفصلاً عن الكلمة.](١٣٤)

---

(131) Justin, *Apol.* I, 61; I, 6, 13; Trypho 49, 54, 61.

(132) Origen, *In Tir,* t. 4, p. 695; cited by Newman, op. cit.,

(133) Athanas., *De Decr.* 14.

(134) Athanas., *C. Ar.,* I, 20, 21.

[وكما أن الابن هو في (من) الآب، لذلك هو من جـوهر الآب. كذلك بالتالي فإن الروح القدس لأنه في (من) الله فإنه يتحـتَّم أن يوجد جوهرياً مع الابن ἴδιος κατ' οὐσίαν.][١٣٥]

[عندما افتقد "**الكلمة**" العذراء القديسة مريم، دخل الكلمة ومعه الروح القدس إليها = συν-εἰς-ήρχετο وصاغ الكلمة جسده بالروح القدس ἐν τῷ πνεύματι ἔπλαιτε τῷ σῶμα وشكَّله لذاته، إذ أراد أن يوحِّد - فيه - كل البشرية (اتحاد) بالله ويحضرها إليه بواسطة نفسه.] (إلى سيرابيون ١:٣١)

[لا يمكن أن يتجزَّأ الثالوث، هذا نراه في ما قيل للقديسة مريم نفسها، فإن رئيس الملائكة جبرائيل لمَّا أُرسل **لكي يعلن حلول الكلمة عليها** قال: «الروح القدس يحل عليك»، عالماً أن **الروح القدس** قائم في "الكلمة". وبعد ذلك مباشرةً يقول: «**وقوة العلي تظلِّلك** (**تسكن فيك**)» (لو١:٣٥) **لأن المسيح هو قوة الله** وحكمة الله.] (إلى سيرابيون ٣:٦)

[لذلك كم يكون مستحيلاً أن يُقال إن الروح القدس خارج عن أو غريب من الكلمة, ἐκτός ἐστι τοῦ Λόγου τὸ Πνεῦμα لأنه كونه في الكلمة فهو في الله - ἐν τῷ Λόγῳ ὂν ἐν τῷ θεῷ δι' αὐτοῦ ἐστιν.][١٣٦]

---

(135) Ibid. I, 25.

(136) Ibid. III, 5.

[إن الروح القدس هو التعبير الكياني μορφή والصورة εἰκών الموضّحة للابن كما أن الابن هو التعبير الكياني وصورة الآب.](١٣٧)

وأثناسيوس يستخلص من هذه العلاقة الجوهرية والمتساوية في كل شيء بين الكلمة والروح القدس ردًّا مفحماً لجماعة المتقلّبين، الذين يقولون بلاهوت الكلمة وينكرون لاهوت الروح القدس قائلين إن الكلمة خلقه.

ولكن لا يغيب عن بالنا أن همّ أثناسيوس الأساسي في إثبات لاهوت الروح القدس ليس من صفاته أو علاقته بالكلمة فحسب، بل ومن عمله في الخليقة القديمة والخليقة الجديدة هكذا:

[**بينما أن الخليقة كلها هي مجال عمل الروح القدس المتعدِّد الجوانب، فإنه يعمل بصورة خاصة جدًّا وفائقة في المعمَّدين الذين يوحِّدهم في الله:**

τῇ δὲ τοῦ Πνεύματος μετοχῇ συναπτόμεθα τῇ θεότητι وبسبب هذه الوحدة يصيرون بحالة ما مؤلَّهين " = θεοποιοῦνται deified".](١٣٨)

(١) التقديس:

[إذن فالروح القدس، الذي لا يتقدَّس هو بشيءٍ خارجاً عن نفسه، ولا يستمد قداسته بالشركة بل هو نفسه ينبوع القداسة

(137) Ibid. III, 2; IV, 3.
(138) Ibid. III, 24, 25.

وفيه تتقدَّس كل الطبائع المخلوقة، كيف يمكن أن تكون طبيعته مثل طبيعة المخلوقات التي تتقدَّس به؟] (إلى سيرابيون ١:٢٣)

(٢) **طقس الانضمام للكنيسة (العضوية في جسد المسيح)**:

[لقد أوصى تلاميذه قائلاً: «اذهبوا وتلمذوا جميع الأُمم وعمِّدوهم باسم الآب والابن **والروح القدس**» (مت ٢٨:١٩)، **لكي بالروح القدس وفيه تكمل معرفتنا بالله** = θεολογία، **ويتم طقس الانضمام للكنيسة (المعمودية والتثبيت معاً)، ويكمل اتحادنا بشخصه وبالآب.**] (إلى سيرابيون١:٦)

(أ) **الروح القدس لحظة العماد**:

[فماذا قبلوا (لمَّا آمنوا) **إلاَّ الروح القدس الذي يُعطى للذين يؤمنون ويُولَدون ثانيةً** «بغسل الميلاد الثاني» (تي ٣:٥).] (إلى سيرابيون ١:٤)

(ب) **الروح القدس لحظة وضع اليد (الميرون = التثبيت)**:

[كذلك أيضاً **بوضع أيدي الرسل كان الروح القدس يُعطى لَمَنْ وُلِدُوا ثانية.**] (إلى سيرابيون ١:٦)

[ومتى تمَّ هذا إلاَّ عندما جاء الرب **وجدَّد كل الأشياء بالنعمة؟** فروحنا تجدَّدت ... **يقول الله إن روحه هو الذي به تتجدَّد أرواحنا** ἀνακαινίζω.] (إلى سيرابيون ١:٩)

(٣) ثم يشير أثناسيوس إلى عمل الروح القدس الأساسي في رسامة الأساقفة في الكنيسة:

[كما قال بولس الرسول: «**التي أقامكم الروح القدس فيها أساقفة، لترعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمه**» (أع ٢٠:٢٨).]

(٤) يمتد أثناسيوس بمفهوم قوة التقديس في الثالوث إلى عملها الخاص بالروح القدس، ويستنتج مباشرة أن الروح القدس من جوهر الثالوث أي اللاهوت لأنه يقدِّس الإنسان:

[إن الروح القدس يُدعى روح القداسة (المسيح هو القدوس ابن الله)، وأمَّا المخلوقات فهي تحتاج - بطبيعتها - إلى التقديس، أمَّا هو فلا ينال القداسة من آخر بالمشاركة بل يمنحها باشتراكه هو مع الخليقة (الجديدة)، لذلك كيف يمكن أن يُقال إنه يعتبر واحداً من الخليقة؟] (إلى سيرابيون ١:٢٣)

(٥) كذلك يستخدم أثناسيوس سر قدرة الروح القدس على إعطاء الحياة (المسيح هو الحياة) في إثبات لاهوته:

[إنه يُدعى **الروح المحيي** و«روح الحياة في المسيح يسوع»، لأن منه تنال المخلوقات الحياة؛ علماً بأن الابن هو نفسه **الحياة** ويُدعى في الإنجيل **رئيس الحياة**، فكيف يُحسب الروح القدس ضمن المخلوقات وهو الذي فيه تنال المخلوقات الحياة بواسطة الكلمة؟] (إلى سيرابيون ١:٢٣)

(٦) وهكذا يرى أثناسيوس أن علاقة الابن بالروح القدس علاقة ("الابن" وروح البنوَّة)؛ ("قدوس"، وروح القداسة)؛ ("حياة" وروح محيي). كذلك يراها ("مسيح"، ومسحة)؛ ("وكلمة" وختم)؛ ("طِيب"، ورائحة زكية):

[لهذا فكما أن الرب يُدعى **ابناً** هكذا يُدعى الروح القدس **روح البنوَّة** (روح التبني)، كذلك أيضاً كما أن الابن يُدعى "**الحكمة**" و"**الحق**"، فالروح القدس يُدعى "**روح الحكمة**" و"**روح الحق**"، وكما أن الابن **هو قوة الله ومجد الآب** (رب المجد) فالروح القدس يُدعى **روح القوة والمجد**:

+ «لو عرفوا لما صلبوا **رب المجد**.» (١كو ٢:٨)
+ «إذ لم تأخذوا روح العبودية (الناموس) أيضاً للخوف، بل أخذتم **روح التبنِّي**.» (رو ٨:١٥)
+ «أرسل الله **روح ابنه** إلى قلوبكم صارخاً: يا أَبَا الآبُ.» (غل ٤:٦)
+ «إن عُيِّرتُم باسم المسيح، فطوبى لكم، لأن **روح المجدِ والله** يحلُّ عليكم.» (١بط ٤:١٤)
+ «**المعزي** ... **روح الحق**» (يو ١٤: ٢٦ و١٧).] (إلى سيرابيون ١: ٢٥)

[الروح يُدعى **المسحة** Χρίσμα، ويُدعى أيضاً الختم σφράγις، وبه تُختم وتُمسح الخليقة (الجديدة)، **فإن كان الروح هو المسحة وهو الختم الذي به يَمسَح "الكلمة"** الجميع ويختمهم، فأية مشابهة تكون بين المسحة والمخلوق الذي يُمسح، أو بين الختم والمختوم. يستحيل أن يكون الختم من عداد المختومين به أو تكون المسحة من عداد الممسوحين (الختم شيء والمختوم شيء آخر، المسحة شيء والممسوح شيء آخر، هذه قوة الطبيعة الإلهية الواهبة وهذه ضعف الطبيعة القابلة) إنه الروح الخاص بالكلمة وبه يُمسح ويُختم (المعمَّدون).] (إلى سيرابيون ١:٢٣)

(٧) ويؤكّد أثناسيوس أن الروح القدس هو روح المسيح الخاص، ويستدل على ذلك من أن الذين يَمسحون (أي المسيح) به تصير لهم رائحة المسيح الذكية لله والذين يُختمون به تنطبع عليهم صورة المسيح الكلمة: [المسحة Χρίσμα لها نفس رائحة الذي يُمسح بها، ولذلك فالذين يقبلون المسحة يقولون: «نحن رائحة المسيح الذكية لله» (٢كو ٢:١٥).] (إلى سيرابيون ١:٢٣)

(٨) [والختم σφράγις يحمل نفس صورة المسيح الذي يختم، ولذلك فالذين يُختمون تصير لهم شركة هذه الصورة، ويتحوَّلون إليها بحسب كلمات الرسول: «يا أولادي الذين أتمخَّض بكم (الميلاد الجديد) أيضاً إلى أن يتصوَّر المسيح فيكم (بالروح القدس)» (غل ٤:١٩).] (إلى سيرابيون ١:٢٣)

(٩) [وحينما نُختم بالروح القدس نصير شركاء الطبيعة الإلهية (طبيعة الختم والخاتم) بحسب كلمات بطرس الرسول، وهكذا تصبح الخليقة (الجديدة) شريكة الكلمة في الروح القدس.] (المرجع السابق)

(١٠) وينتقل أثناسيوس سريعاً ليصل بالاتحاد الذي يتم بالكلمة في الروح القدس إلى الاتحاد الذي يتم في الثالوث أي الله الواحد:

[وحيث أننا نصير بالروح القدس شركاء المسيح وبالتالي شركاء الله، يتبرهن من ذلك أن المسحة والختم الذي فينا لا يُحسب أنه من طبيعة الكائنات المخلوقة، بل من **طبيعة الابن** الذي بواسطة الروح الذي فيه يوحِّدنا مع الآب.] (إلى سيرابيون ١:٢٤)

(١١) [فإن كان الآب هو الذي يخلق ويجدِّد الجميع بواسطة الكلمة في الروح ... فإن الروح الذي فيه يخلق الجميع، كيف يكون هو مخلوقاً؟

إن قبول مثل هذا الافتراء يضطرنا أن نقول مثل هذا بالتالي عن الابن بل وعن الآب نفسه أيضاً.] (إلى سيرابيون ١:٢٤)

ثانياً: علاقة الروح القدس الجوهرية بالآب والابن في الثالوث:

[الثالوث كله إله واحد ...، ولا موضع فيه لشيء غريب عن الله.] (سيرابيون ١:١٧)

[هذا هو إيمان الكنيسة الجامعة، لأن الرب أسَّسها في الثالوث وأصَّلها فيه عندما قال لتلاميذه: «اذهبوا وتلمذوا جميع الأُمم وعمِّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس» (مت ٢٨:١٩).] (إلى سيرابيون ٣:٦)

يبتدئ أثناسيوس ليثبت وحدة الروح القدس مع الآب والابن، معتمداً كلية على الكتاب المقدَّس، مقدِّماً الآيات تلو الآيات، معتبراً أن إعلان الله في الكتاب المقدَّس هو المصدر الوحيد لفهم ماهية الروح القدس، مؤكِّداً أن وحدة الأقانيم الثلاثة هي وحدة جوهر ثم وحدة في صفات وفي أعمال، فكل ما يعمله الروح القدس إنما يعمله من خلال وحدته بالآب والابن.

فهو يعتمد على بولس الرسول مثلاً في قوله: إننا في الروح القدس تستنير عيوننا (انظر: أف ١:١٧ و١٨)، وإننا جميعاً سُقينا روحاً واحداً (انظر: ١كو ١٢:١٣). ثم يطبِّق ذلك على ما جاء عن الآب فيقول إن الكتاب المقدَّس يقول إن الآب نور وينبوع، وكذلك الابن أيضاً الذي يتصل بالآب كما يتصل النهر بالينبوع أو الشعاع بالنور (انظر: عب ١).

[وحيث أن الآب نور والابن بهاء هذا النور، فنحن في الابن ننال الروح الذي به نستنير، وحينما نستنير بالروح القدس يكون المسيح نفسه هو الذي ينير علينا لأنه هو النور الذي يضيء لكل إنسان آتٍ إلى العالم.

وبالمثل من حيث أن الآب هو الينبوع، والابن كنهر، يُقال إننا نشرب الروح ...، وحينما نشرب الروح فنحن في الواقع نشرب من المسيح، لأنه هكذا قيل عن شعب إسرائيل في البرية إذ كانوا يشربون من صخرة روحية كانت تتبعهم والصخرة كانت المسيح (انظر ١كو ١٠: ٤).] (إلى سيرابيون ١: ١٩)

ومن نفس هذه الوحدة بين الأقانيم الثلاثة نحن نقبل روح التبني:

[حيث أن المسيح هو الابن الحقيقي (بالجوهر)، فنحن **حينما نقبل الروح القدس نصير أبناءً "بالروح"**. ولكن حينما نصير أبناء، فمن الواضح أن ذلك **يتم في "المسيح"، لذلك نُدعى أبناء "لله"** (بالتبني).] (سيرابيون ١: ١٩؛ ضد الأريوسية ٣: ١٩)

ثم من نفس هذه الوحدة في الثالوث نتقبَّل روح الحكمة:

[حيث أن الابن هو حكمة الله، فنحن حينما نقبل روح الحكمة، فنحن نقبل في الحقيقة الابن الذي به نصير حكماء.] (نفس المرجع السابق)

ثم بنفس هذه الوحدة في الثالوث يصير حلول الأقنوم الواحد، أي الروح القدس، لا بمعنى أنه يكون بديلاً عن الابن أو الآب بل أننا به نحقق حلول الآب والابن:

[«إن أحبَّ بعضنا بعضاً، فالله (١يو١٢:١٣) يثبت فينا... بهذا نعرف **أننا نثبت فيه** وهو فينا أنه قد **أعطانا من روحه**». وحيث أن الله يثبت فينا، فالابن أيضاً يكون فينا، لأنه هو نفسه يقول ذلك: «إليه نأتي – أنا وأبي – وعنده نصنع منزلاً» (يو ١٤:٢٣).] (نفس المرجع السابق)

هكذا نرى أن جميع الأعمال المنسوبة للروح القدس تكون في الواقع هي أعمال المسيح نفسه:

[كل ما كان الابن يعمله، كان يقول إن الآب الحالَّ فيه هو الذي يعمله.(انظر يو ١٤:١٠) وهكذا على هذا النمط كل ما كان بولس الرسول يعمله بالروح كان يدعوه عمل المسيح فيه.] (نفس المرجع السابق)

ومن ذلك يخرج أثناسيوس بالنتيجة الآتية:

[فحيث أن الثالوث المقدَّس يمتاز بمثل هذه الوحدة وهذا الاتحاد، فمن ذا يستطيع أن يفصل الابن عن الآب، أو الروح القدس عن كل من الآب والابن؟ ومَنْ ذا يجسر أن يتكلَّم عن اختلاف أو مفارقة في طبيعة الثالوث كأن يقول إن الابن من جوهر مخالف لجوهر الآب أو إن الروح القدس غريب عن الابن؟] (سيرابيون ١:٢٠)

هكذا يصل أثناسيوس إلى الحقيقة أن وحدة الروح القدس بكل من الآب والابن هي من نفس نوع الوحدة الكائنة بين الآب والابن، أي وحدة الجوهر والطبيعة. وهكذا يفحم أثناسيوس المعترضين على لاهوت الروح القدس بنفس برهان التحدِّي الذي قدَّمه مراراً للأريوسيين، أن

الأحرى بهم أن يفصلوا الشعاع من النور أو الحكمة من الحكيم إن أرادوا أن يفصلوا الروح القدس عن الآب والابن(١٣٩).

[يقولون - مستنكرين - كيف بمجرَّد أن يكون الروح القدس فينا يُقال إن الابن أيضاً فينا؟ أو حينما يكون الابن فينا يكون الآب أيضاً فينا؟ - ثم يستطردون: إن كان الثالوث حقًّا من ثلاثة أقانيم، فكيف يكون وجود الواحد منهم كافياً لوجود الثالوث كله؟ إن مَنْ يتساءل مثل هذه الأسئلة فالأحرى به أن يفصل الشعاع من النور أو الحكمة من الحكيم!!] (إلى سيرابيون ١: ٢٠)

[كما أن الابن حالٌّ في الروح القدس كما في صورته الخاصة، هكذا الآب حالٌّ في الابن.] (نفس المرجع السابق)

ويوضِّح أثناسيوس هذه التعبيرات الخاصة بالعلاقة بين الأقانيم قائلاً:

[إن الكتاب المقدَّس يستخدم مفاهيم الصورة والشعاع والنور والينبوع والنهر ... إلخ لكي يسهِّل علينا التعبير عن هذه الحقائق الفائقة، ولكي نؤمن أنه لا يوجد إلاَّ تقديس واحد للنفس **وهو الذي يأتي من الآب بالابن في الروح القدس** = ἕνα εἶναι τὸν ἁγιασμόν, τόν ἐκ Πατρὸς δι' Υἱοῦ ἐν πνεύματι ἁγίῳ γινόμενον] (إلى سيرابيون).

وهذا الاصطلاح يُعتبر تلخيصاً سهلاً لكل ما أجاب به أثناسيوس على استنكارات المنكرين لوحدة الأقانيم معاً مع احتفاظ كل أقنوم بمميزاته الشخصية، لأن وحدة القوة المقدَّسة في الثالوث هي التي تفسِّر

(139) Athanas., *C. Ar.* 1. 29; II. 31; III. 4, 6, 15; *De Syn.* 52.

لنا أنه بمجرَّد حلول أحد الأقانيم الثلاثة، يُقال في الحال إن الثالوث كله يكون موجوداً:

[لكي نعتقد أن هناك قداسة واحدة مستمدة من الآب بالابن في الروح القدس، وكما أن الابن مولود وحيد الجنس، هكذا فإن الروح القدس واحد غير متعدِّد، ليس واحداً من كثير (المواهب المتعدِّدة التي له)، بل روح وحيد. وكما أن الابن الكلمة الحي وحيد، هكذا ينبغي أن يكون (روح الابن) القوة الحية والعطية، الذي به يقدِّس وينير، ينبغي أن يكون وحيداً كاملاً تاماً، وهو الذي قيل إنه ينبثق من الآب، لأنه من الكلمة المعترف أنه من الآب، وهو الذي قيل إنه يشرق ويرسل ويعطي - وكما أن الابن أُرسل من الآب، كذلك الابن يُرسِل الروح القدس: «إن ذهبت أُرسل الباراكليت» (انظر يو ١٦:٧).] (إلى سيرابيون ١:٢٠)

[**ووحدة الثالوث** كاملة، **لأن الآب يصنع كل شيء بواسطة الابن في الروح القدس.**] (إلى سيرابيون ١:٢٨)

وهنا نستطيع أن نفهم سر إصرار بولس الرسول حينما يتكلَّم عن مواهب الروح القدس، كيف يُرجع كل شيء إلى الله الآب (انظر١كو ١٢:٦) وهذا يأخذه أثناسيوس ويشرحه:

[فما يقسمه الروح القدس لكل واحد، يكون الآب هو الذي يمنحه بواسطة الكلمة، لأن كل ما للآب هو للابن، وبالتالي فالمواهب التي يمنحها الابن في الروح القدس هي أصلاً مواهب الآب.] (إلى سيرابيون ١:٣٠)

ثم إن هذه الوحدة الكائنة بسبب التساوي المطلق في الثالوث - وحدانية الله - هي التي تفسِّر لنا العمل الواحد والتواجد المشترك للأقانيم فينا:

[حينما يكون الروح فينا يكون الكلمة - الذي يمنح الروح - هو أيضاً فينا وفي الكلمة يكون الآب نفسه].

هكذا يؤكِّد القديس أثناسيوس أن الأقانيم الثلاثة متلازمون، ولا يمكن الفصل بينهم كما لا يمكن الفصل بين النور والشعاع أو بين الشعاع وقوته ...

وهنا يكمن سر البركة المتلازمة العمل والفاعلية للثالوث التي يصر عليها بولس الرسول: «نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله وشركة الروح القدس مع جميعكم.» (٢كو ١٣:١٤)

[إن النعمة التي يمنحها الثالوث هي بالضرورة من الآب بواسطة الابن في الروح القدس. فكما أن النعمة تأتي من الآب بواسطة الابن، هكذا أيضاً لا يمكننا أن ننال شركة فيها إلاَّ في الروح القدس، فحينما ننال شركة الروح تكون لنا بالتالي محبة الآب ونعمة الابن.] (إلى سيرابيون ١:٣٠)

[ومن هذا يظهر أن عمل الثالوث واحد، فالمواهب التي يتكلَّم عنها الرسول لا يقول عنها إنها تُعطى من كل واحد من الأقانيم الثلاثة على حدة، بل يقول إنها **معطاة في الثالوث، وإن جميعها من الله الواحد ... فالروح القدس إذن، وهو متحد بالابن، لا يوجد شيء يعمله الابن إلاَّ ويكون معمولاً في الروح. كما أن الابن وهو متحد بالآب يصنع كل ما يصنعه الآب، فالروح إذن غير منفصل عن الابن،**

حتى أنه حينما تتم كلمة الرب «وإليه نأتي ـ أنا وأبي وعنده نصنع منزلاً» (يو ١٤:٢٣)، يكون الروح معهما بالضرورة، يأتي ويسكن فينا كما يسكن الابن تماماً] (إلى سيرابيون ١:٣١).

وهكذا فإن القديس أثناسيوس، في معرض دفاعه عن لاهوت الروح القدس، يكون قد استوفى أصعب وأدق موضوع وهو علاقة الأقانيم معاً ـ وخاصة الروح القدس في الثالوث ـ وفي نفس الوقت يكون قد استوفى أيضاً عمل الروح القدس فينا من داخل الثالوث.

وهو في ذلك، بينما يقدِّم تعاليمه كرجل لاهوت، لا يفوِّت علينا قط أن نلمح أنه إنما يشرح خبرته الروحية العميقة وعقيدته الإيمانية التي يعيش بها خلاصه وحياته الأبدية.



مسحة المسيح بالروح القدس وقت العماد والنعمة التي نلناها من هذه المسحة

لقد تطرَّق أثناسيوس إلى هذا الموضوع لينفي عن "الابن" احتمال قبوله للروح القدس، موضِّحاً أن الابن لم يقبل الروح القدس لأن الروح القدس قائم في الابن والابن قائم في الروح القدس، لأن جوهر الابن والروح القدس واحد. فالروح القدس والابن هما واحد ـ مع الآب ـ لاهوتياً؛ أي بحسب الكيان الإلهي الذاتي الواحد. **ولكن الروح القدس حلَّ على الجسد بملء اللاهوت، لكي نأخذ من هذا الملء إذا اتحدنا بالجسد**، وأثناسيوس يقول بوضوح إن هذه المسحة إنما هي لنا، وليست للابن، **والابن لم يتقدَّس من آخر بل هو الذي قدَّس ذاته (الجسد)**:

[وإن ما قالته المزامير (الأشعار) المقدَّسة، توضِّح المعنى "**الأرثوذكسي**" الذي يحرِّفه الأريوسيون، مع أنه واضح بكل تقوى لدى صاحب المزامير فهو يقول:

+ «**عرشك يا الله إلى دهر الدهور، قضيب البر هو قضيب مُلكك**، لقد أحببت البر وأبغضت الإثم، **لذلك فالله وهو إلهك قد مسحك** بزيت البهجة أكثر من رفقائك (شركائك).» (مز ٤٤: ٧ و٨ سبعينية)

انظروا أيها الأريوسيون واعرفوا الحق، **فالمرنِّم يتكلَّم عنَّا نحن كرفقاء أو شركاء للرب**، ولكن لو كان المسيح (الابن) هو واحد

من المخلوقات التي جاءت من العدم (كما يقول الأريوسيون)، لكان يُحسب واحداً من هؤلاء الرفقاء أو الشركاء، ولكن المزمور يُسبِّح له أنه هو الله الأبدي: «عرشك يا الله إلى دهر الدهور» (مز ٤٥: ٦)، وأن كل المخلوقات تأخذ منه وتشترك فيه، فماذا نستخلص من هذا في النهاية، غير أنه متميِّز بوضوح عن المخلوقات جميعاً، لأنه هو كلمة الآب الحق وبهاؤه وحكمته، الذي منه تأخذ وتشترك **كافة الخليقة التي تتقدَّس به في الروح القدس**. لذلك يقول هنا إنه "مُسح"، لا ليصير إلهاً لأنه هو إله حقاً من قبل، ولا لكي يصير ملكاً، لأن له الملكوت منذ الأزل باعتباره صورة الله - كما تقول الأسفار المقدَّسة - ولكن هذا إنما كُتب من أجلنا نحن، لأن ملوك إسرائيل عندما كانوا يُمسحون يصيرون ملوكاً، كونهم لم يكونوا ملوكاً سابقاً كداود وحزقيا ويوشيا والباقين، أمَّا في ما يخص **المخلِّص** فهو على النقيض من ذلك فإنه **وهو إله وملك قائم على ملكوت الآب** وهو أيضاً الذي **يَمنح الروح القدس**، يقول المزمور - بالرغم من ذلك - إنه "مُسح" على أساس أنه صار إنساناً. **فهو على هذا الاعتبار مُسح بالروح القدس لكي يمدَّنا نحن البشر ليس فقط بالقيامة والرفعة إلى الأعالي (معه)، بل وبسكنى الروح القدس والأُلفة والمودَّة معه.**

علماً بأن الرب قال من فمه في الإنجيل: «أرسلتهم أنا إلى العالم، ولأجلهم أُقدِّس أنا ذاتي، ليكونوا هم أيضاً مقدَّسين في الحقِّ» (يو ١٧: ١٨و١٩)، وبقوله هذا يكون قد أوضح أنه **لم يتقدَّس من آخر، بل هو الذي يقدِّس نفسه (الجسد) حتى نتقدَّس نحن في "الحق"**.

والذي قدَّس نفسه هو هو إله التقديس والقداسة، ولكن كيف حدث هذا وما معناه؟:

(أنا كوني كلمة الآب - وقد صرت إنساناً **أُعطي** لنفسي الروح القدس، **فأنا إذ صرت إنساناً فكإنسان أتقدَّس فيه** (**أي في الكلمة**)، **حتى فيَّ - وأنا أيضاً الحق - يتقدَّس الجميع!!** "كلمتك هو الحق").

فإن كان قد قدَّس نفسه من أجلنا، وهذا صنعه لمَّا صار إنساناً، فيكون الواضح **أن حلول الروح القدس عليه في الأُردن كان حلولاً علينا، لأنه كان حاملاً جسدنا، وهذا كله حدث - في الأُردن - ليس لحساب الكلمة، ولكن من أجل تقديسنا، حتى يتسنَّى لنا أن نشترك في مسحته.** وحينئذ يصح فينا القول: «أما تعلمون أنكم هيكل الله، وروح الله يسكن فيكم.» (١كو ٣:١٦)

لأن الرب عندما اغتسل في الأُردن - كإنسان - فالذي اغتسل هو نحن الذين اغتسلنا فيه وبه، وحينما تقبَّل الروح القدس فنحن الذين تقبَّلنا به الروح.

ولكن، وأكثر من ذلك، فإنه لم يُمسح بالزيت كهارون أو داود أو الباقين، وإنما بطريقة أخرى **أعلى** من رفقائه (رفقائه في الكهنوت والملوكية)، «بزيت البهجة» الذي يشرحه المسيح نفسه بأنه الروح القدس قائلاً بفم النبي: «**روح السيد الرب عليَّ لأن الرب مسحني**» (إش ٦١:١)، وكما قال الرسول أيضاً: «**كيف مسحه الله بالروح القدس**» (أع ١٠:٣٨). ثم متى قيل هذا عنه إلاَّ عندما جاء في الجسد واعتمد في الأُردن وحلَّ عليه الروح؟

والحقيقة أن الرب نفسه قال: "إن الروح سيأخذ مما لي"، "وأنا سأرسله"، كما قال لتلاميذه: «اقبلوا الروح القدس»، والمُعطي الروح للآخرين يُقال إنه يتقدَّس: «**لأجلهم أُقدِّس أنا ذاتي**»، وما ذلك إلاَّ لأنه صار بشراً، **وأن الجسد الذي يقدِّسه هو جسده حتى أننا نحن منه ابتدأنا نأخذ المسحة والختم، كما يقول يوحنا: «وأنتم لكم مسحة من القدوس»** (انظر ١يو٢:٢٧) والرسول يقول: «**وقد خُتمتم بروح الموعد القدوس**» (أف ١:١٣).

لذلك فمن أجلنا وبسببنا قيلت هذه الأقوال، أو ما هو الترقِّي والتقدُّم أو الفضيلة التي صارت، أو حتى السلوك الذي ظهر، كنتيجة لحصول الرب على هذه (المسحة)؟ لأنه إن لم يكن أصلاً إلهاً وصار إلهاً أو إن لم يكن ملكاً وتزكَّى ليكون ملكاً، لكانت تصبح مجادلاتكم مقبولة شكلاً، ولكن إن كان هو إلهاً وإن كان قضيب ملكه أزلياً، فبأي حال من الأحوال يمكن أن يُقال إن الله ترقَّى أو تقدَّم (بنوال المسحة)؟ أو ما هو الذي كان يعوزه ذلك الذي هو جالس بالفعل على عرش مملكة أبيه؟

فإن كان الرب نفسه هو الذي قال إن الروح القدس هو له خاصة، وإن هذا الروح يأخذ منه، وإنه الذي يرسله، إذن فلا يمكن أن يكون الكلمة ككلمة وحكمة هو الذي مُسح بالروح، لأنه هو الذي يعطيه، بل **الجسد الذي اتخذه الرب لنفسه هو الذي مُسح فيه وبه لكي التقديس الذي صار للرب كإنسان ينتقل منه لكل الناس، والمسيح يقول إنه ليس من نفسه يتكلَّم الروح إنما "الكلمة" هو الذي يُعطي الروح للمستحق!**

وهذا يطابق ما قاله الرسول: «الذي إذ كان في صورة الله (وهو كائن في هيئة الله) لم يحسب خلسة (لم يعتبره امتيازاً) أن يكون معادلاً لله (أن يكون متساوياً مع الله)، لكنه أخلى نفسه، آخذاً صورة (هيئة) عبد» (في٢:٦، ٧). هكذا أيضاً يخدم داود الرب (بالتسبيح) معتبراً إيَّاه الإله والملك الأزلي.

لكنه أُرسل إلينا وأخذ جسدنا المائت، وهذا هو المعنى في المزمور: «رائحة ثيابك لها عطر المر والصبر والكاسيا (السليخة)» (مز٢٢:٨س) (إشارة إلى الجسد المائت). وهذا ما اتضح بواسطة نيقوديموس ومريم ومَنْ معها من النسوة حينما جاء الأول حاملاً مزيجاً من المر والصبر نحو مئة رطل والأخريات الحنوط التي حضَّرها لدفن جسد الرب.

والآن ما هو الامتياز الذي صار لغير المائت (بطبيعته) حينما أخذ لنفسه (الجسد) المائت؟ أو ما هو التقدُّم والترقّي الذي صار للأبدي حينما لبس (الجسد) الزمني؟ نعم، ما هو العوض أو المكافأة التي نالها الإله والملك الأزلي الكائن في حضن أبيه من هذه المسحة؟ **ألا ترون إذن أن هذه (المسحة على الأُردن من الروح القدس) إنما صارت وكُتب عنها: "لنا ومن أجلنا نحن"، حتى يحضرنا الرب نحن الزمنيين والمائتين إلى ملكوته السمائي الأبدي؟**

لأنه حينما أتى الرب يسوع المسيح إلينا وصار في وسطنا، حصل لنا نحن الامتياز والترقّي، إذ قد أُنقذنا من الخطيئة، أمَّا هو فبقي كما هو ولم يتغيَّر قط عندما صار بشراً، بل كما كُتبَ: «إن كلمة الله = Λόγος تثبت (تسكن) إلى الأبد.» (إش ٤٠:٨)

وبكل تأكيد، فإن "الكلمة" وقبل أن يصير إنساناً (أي في العهد القديم) منح القديسين روحه باعتباره له خاص، كما منحه بعد أن صار إنساناً ليقدِّس الجميع بالروح، فيقول لتلاميذه: «اقبلوا الروح القدس» (يو ٢٠:٢٢). كما أعطى موسى والسبعين الآخرين. وداود أيضاً - من خلال الابن (الكلمة) - يصلِّي إلى الآب قائلاً: «روحك القدوس لا تنزعه مني» (مز ٥١:١١)! فبالمقابل نجده بعد أن تأنَّس قال: «سأرسل لكم المعزي روح الحق» (انظر يو ١٥:٢٦)، وقد أرسله بالفعل - وهو الكلمة - لأنه صادق.

لذلك فيسوع المسيح: «هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد» (عب ١٣:٨)، باقٍ غير متغيِّر، وفي نفس الوقت وبآن واحد يعطي (المسحة) ويأخذ (المسحة)، يُعطي باعتباره "**كلمة الله**"، ويأخذ كإنسان. فليس الكلمة إذن الذي يُرى كأنه نال امتيازاً (بالمسحة)، لأنه ككلمة له كل شيء وكل شيء له دائماً، ولكن البشر هم الذين يأخذون أصلهم - "ἀρχή" - منه وفيه.

إذن فحينما يُقال الآن إنه نال المسحة - كإنسان - فنحن الذين فيه نكون قد مُسحنا، حيث أيضاً حينما اعتمد فنحن أيضاً الذين اعتمدنا فيه. والرب والمخلِّص يعطي ضوءاً كثيراً على كل هذا حينما يقول للآب: «وأنا أعطيتهم المجد الذي **أعطيتني** ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد.» (يو ١٧:٢٢)

ولذلك حينما طلب هو المجد لنفسه يكون قد طلبه لنا، وكذلك كل ما قيل عن كونه "أخذ" و"أعطى" و"ارتفع إلى الأعالي"؛ حتى

فيه "نأخذ" نحن و"نُعطَى" و"نرتفع"، لأنه أيضاً لأجلنا قال إنه يقدِّس ذاته حتى نتقدَّس فيه(١٤٠).

---

(١٤٠) هنا في الحقيقة ينقل لنا أثناسيوس - بحسب التقليد الرسولي - مبدءاً آبائيًّا ضخماً ومدروساً، يقوم على أساس أن الرب قد تفضَّل وتنازل ليكون وساطة سببية مباشرة لإعطاء حياة لكل فرد مسيحي.

ومبدأ أثناسيوس هنا يمكن مهاجمته لأول وهلة، إذ يكون السؤال هو أيَّة علاقة يمكن أن تقوم بين تقديس المسيح لبشريته وبين تقديسنا نحن؟ إذ كيف يمكن أن يُفهم أن الطبيعة البشرية تتقدَّس عندما يتقدَّس نموذج لها أو عيِّنة ممتازة منها في المسيح؟

يرد على هذا السؤال يوحنا ذهبي الفم:

[إنه لم يكن إرضاءً لنفسه أن يصير إنساناً ولا أن يتألَّم بضرب السياط ولا أن يقدِّم ذاته ذبيحة، وإنما قصده أن يحتوينا في نفسه ἀναφύρει ἐν αὐτῷ ἡμῖν ليس بمجرَّد الإيمان وحسب، وإنما "بالحق وبالفعل" إذ صيَّرنا جسده.] (John Chrysostom, *Hom. in Matt.* LXXXII. 5)

وأيضاً يقول ذهبي الفم في موضع آخر:

[إننا قد امتزجنا ἀνακερασθῶμεν في هذا الجسد ليس بواسطة مجرَّد المحبة، وإنما "بالحق وبالفعل" إذ صيَّرنا جسده.] (Ibid. *Hom. in John*. 46. 3)

وكذلك يكتب القديس كيرلس الكبير ضد نسطور:

[وإذ قد برهنَّا أن المسيح هو الكرمة، وأننا نحن الأغصان المتحدون به بالاشتراك فيه، ليس على مجرَّد المستوى الروحي - وحسب - وإنما جسدياً، فلماذا هذا - نسطور - يشوِّش علينا عبثاً قائلاً: بما أننا نلتصق به ليس جسدياً بل بالإيمان فقط وبعاطفة المحبة بحسب الناموس، لذلك فإنه ليس جسده الذي يدعوه الكرمة وإنما لاهوته.] (St. Cyril, *in Johann.*, Lib. 10, cap. 2, cited by NPNF, vol. IV, p. 333)

وهنا يُلاحَظ أن الآباء جميعاً لا يقصدون بالاتحاد بالكرمة الامتزاج المادي بين مادة جسده وبين مادة أجسادنا، ولكن الامتزاج والشركة هما مع قوة وتأثير وفعل الحياة الإلهية التي في جسده والموت والضعف والخطية التي في أجسادنا، بحيث أن الحياة التي في جسده (ودمه) تسري في أجسادنا (الميتة)، فتحييها بالسر المقدَّس وتلحمها وتثبتها في جسده.

كما يقول بولس الرسول:

+ «كذلك المسيح أيضاً، لأننا جميعنا بروح واحد أيضاً اعتمدنا إلى جسد واحد ... وجميعنا سُقينا روحاً واحداً (عصير الكرمة).» (١كو ١٢:١٢، ١٣)

+ «كأس البركة التي نباركها أليست هي شركة دم المسيح، الخبز الذي نكسره أليس هو شركة جسد المسيح. فإننا نحن الكثيرين خبز واحد جسد واحد، لأننا جميعنا نشترك في الخبز الواحد.» (١كو ١٠:١٦و١٧)

+ «وأمَّا أنتم فجسد المسيح وأعضاؤه أفراداً.» (١كو ١٢:٢٧)

ولكن الأريوسيين حينما يحاولون الانتفاع - في غشِّهم - من كلمة "لهذا" «لهذا مسحك الله إلهك» (وكأنها مكافأة)، لخدمة أغراضهم، فينبغي على هؤلاء المبتدئين في فهم الأسفار المقدَّسة والأساتذة المتعتقين في الكفر - أن يعرفوا أن كلمة "لهذا" لا تتضمَّن معنى المكافأة من أجل الفضيلة أو السلوك في حياة الكلمة،

وبهذين السرين المقدَّسين (المعمودية والتناول) لا يصير مانع من الامتزاج والشركة الحقيقية والفعلية بالروح القدس في جسده، وإنما على مستوى السر غير المنظور، حتى أننا نُحسب بالحق الآن أعضاءً من جسده - «من لحمه ومن عظامه» (أف ٥: ٣٠)، على مستوى القيامة وعلى مستوى لبس الفاسد عدمَ الفساد والمائت عدمَ الموت، بل ونصير بالنهاية حسب قول بولس الرسول: «صعد أيضاً فوق جميع السموات لكيْ يملأ الكل، .. لأجل تكميل القديسين لعمل الخدمة لبنيان جسد المسيح، إلى أن ننتهي جميعنا إلى وحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله، إلى إنسان كامل إلى قياس قامة ملء المسيح ... صادقين في المحبة ننمو في كل شيء إلى ذاك الذي هو الرأس المسيح الذي منه "كل الجسد مركَّباً معاً" ومقترناً بمؤازرة كل مفصل الذي يعمل بحسب قياس كل جزءٍ، يحصِّل نمو الجسد لبنيانه في المحبة.» (راجع: أف ٤: ١٠-١٦)

ويقول في ذلك القديس أثناسيوس:

[حيث أيضاً حينما وُلد الجسد من مريم والدة الإله (ثيئوتوكس)، قيل وهو "الكلمة" إنه "وُلد" مع أنه هو الذي يمنح الآخرين أصل وجودهم؛ وهذا تمَّ لكي يحوِّل أصلنا إلى نفسه ونصير نحن بعد ذلك لا من مجرَّد تراب، بل ملتحمين بالكلمة السمائي (كالأغصان بالكرمة) لكي نُحمل إلى السماء بواسطته] .

[لذلك فنحن لا نموت بعد بحسب أصلنا السابق في آدم، بل من الآن وصاعداً فإن أصلنا وضعفنا الجسديين إذ قد تحوَّل إلى "الكلمة" نقوم من الأرض، ولعنة الخطية تُرفع عنا بسبب وجوده هو فينا، ذاك الذي صار لعنة من أجلنا. وهذا له علَّة، لأنه كما أننا جميعاً من الأرض ونموت في آدم، هكذا وُلدنا ثانية من فوق من الماء والروح، في المسيح وهكذا نحيا، لأن الجسد ليس هو بعد أرضياً بل صار "كلمة" (لوغس) λογωθείσης τῆς σαρκός بسبب "كلمة" الله الذي من أجلنا صار جسداً.] (Athanas., *Contra Arian*, III. 33)

وهذا الكلام بالرغم من صعوبته وخطورته اللاهوتية، إلاَّ أنه يصبح مفهوماً وسهلاً إذا عدنا إلى مثل المسيح الذي قاله عن علاقتنا به وما صرنا بواسطته في مَثَل الكرمة والأغصان، حينما قال إنه هو الكرمة ونحن الأغصان، ثم ماذا تُحسب الأغصان إلاَّ كرمة؟

بل تحمل ضمناً السبب الذي من أجله نزل إلينا، **ومسحة الـــروح التي تمّت فيه من أجلنا**.

هذا هو سر كلمة "**لهذا**" التي جاءت في المزمور، لأنه لم يقـــل المزمور: "لهذا مسحك الله لكي تصير إلهاً أو ملكـــاً أو ابنـــاً أو كلمةً"، لأنه هو كذلك قبل ذلك وهو كائن كذلك إلى الأبـــد. وإنما معنى المزمور: "**لأنك إله وملك لهذا مُسحتَ، لأنه ليس أحـــد آخر سواك يمكن أن يوحِّد** – unite – **الإنسان بالروح القـــدس، ولأنك أنت صورة الآب والذي فيك خُلقنا منذ البدء وأنت الذي له الروح القدس**" لأن طبيعة المخلوقات يستحيل عليها أن تتكفَّل بعمل مثل هذا:

فالملائكة تعدُّوا = ἀγγέλων μὲν παραβάντων

والبشـــر عصـــوا = ἀνθρώπων δὲ παρακουσάντων

لذلك أصبحت الحاجة الوحيدة إلى الله، و"الكلمة" هو هو الله.

فالذين وقعوا تحت اللعنة يأتي هو بنفسه ليطلق ســـراحهم، ... فكما أننا أتينا إلى الوجود جميعاً بواسطته، كذلك أيضاً الآن، فيه، يمكن للجميع أن يُفتدوا من خطاياهم وبه يتدبَّر الكل.

وهذا هو السبب في المسحة التي تمت فيه، والتي سبق صاحب المزامير فرآها وحيَّاها، حينما رأى أولاً لاهوته وملكوته اللذين له مع الآب: «عرشك **يا الله** إلى دهر الدهور قضيب البر هو قضيب **ملكوتك**» (مز٤٥:٦). ثم بعد ذلك يعلن نزولـــه إلينـــا، «**لهـــذا مسحك** الله إلهك بزيت الابتهاج أكثر من شركائك» (مز٤٥:٧).

فما الذي يستحق الاستغراب من هذا، أو ما هو الداعي هنـــا لعدم الإيمان إن كان الرب الذي يعطي الروح القدس يُقال هنا عنه

إنه "مُسِحَ" بالروح القدس، في حين أنه لم يرفض – من جهة بشريته – أن يدعو نفسه أنه أقل من الروح القدس؟

لأنه حينما كان يخرج الشياطين وقال اليهود عنه إنه ببعلزبول يُخرج الشياطين، ردَّ عليهم لكي يكشف تجديفهم قائلاً: «إني بروح الرب أُخرج الشياطين». فانظروا هنا كيف أن الذي يعطي الروح القدس يقول إنه بالروح يُخرج الشياطين، وهذا لم يقُلْه إلاَّ بسبب جسده! ... لأنه بسبب أن الطبيعة البشرية ليست قادرة من ذاتها – أو بمفردها – على إخراج الشياطين بل بقوة الروح فقط، لذلك قال كإنسان: «ولكن إن كنت أنا بروح الله أُخرج الشياطين.» (مت ١٢:٢٨)

وهنا في الحقيقة يعني المسيح أيضاً أن التجديف من نحو الروح القدس هو أكبر من التجديف تجاه بشريته، عندما قال: «من قال كلمة على **ابن الإنسان** يُغفر له، وأمَّا مَنْ قال على الروح القدس فلن يُغفر له لا في هذا العالم ولا في الآتي» (مت ١٢:٣٢)، [لأن الواقفين كانوا يدركون بشريته فقط، مثل الذين قالوا: «أليس هذا ابن النجار؟» (مت ١٣:٥٥)].

ولكن الذين يجدِّفون على الروح القدس وينسبون أعمال "الكلمة" (وليس ابن الإنسان) إلى الشيطان، فهؤلاء حتماً سينالون عقوبة. (أثناسيوس يشرح ذلك بدقة وبتوسُّع في الرسالة الرابعة لسيرابيون). هذا ما قاله الرب لليهود بصفته إنساناً، ولكنه أعلن لاهوته جهاراً لتلاميذه مُظهراً مجده – ككلمة – مشدِّداً أنه، على هذا المستوى، ليس أقل من الروح القدس، بل مساوياً له حينما أعطاهم الروح القدس قائلاً: «اقبلوا الروح القدس» (يو

٢٢:٢٠)، كما قال: "إني أُرسله"، و"إنه سيمجِّدني"، و"إن كل ما يسمعه يتكلَّم به".

وهنا أيضاً فالرب الذي يعطي الروح القدس لا يمتنع عن أن يقول إنه بالروح القدس يخرج الشياطين كإنسان، كذلك وهو الذي يعطي الروح القدس أيضاً لم يمتنع أن يقول: «روح السيِّد الرب عليَّ لأن الرب مسحني» (إش ٦١:١)، باعتبار أنه قد صار جسداً؛ كما قال يوحنا، حتى يتضح من هذين الموقفين الخاصين **أننا نحن الذين نحتاج نعمة الروح في تقديسنا وأننا أيضاً غير قادرين على إخراج الشياطين بدون قوة الروح.**

فبواسطة مَنْ؟ ومِمَّن يليق أن يُعطَى الروح إلاَّ بواسطة الابن الذي الروح هو له خاص؟

ومتى استطعنا أن نتقبَّله ونأخذه إلاَّ بعد أن صار الكلمة إنساناً؟

وكما يقول الرسول إننا لم نكن لنُفتدى أو نرتفع إلى الأعالي إن لم يكن هذا الذي هو صورة الله قد اتخذ صورة عبد!

هذا أيضاً ما أوضحه داود، أنه لم تكن وسيلة أخرى بها يمكن أن نشترك في الروح ونتقدَّس، إن لم يكن هذا الذي له أن يعطي الروح القدس، أي "الكلمة" ذاته يتكلَّم عن نفسه كممسوح بالروح من أجلنا، وبهذا نلنا الروح في يقين وأمان؛ لأنه إذ قيل إنه مُسح بالجسد، وبهذا تقدَّس الجسد أولاً فيه، فبسبب ما قيل عنه – بصفته إنساناً – **إنه قَبِلَ الروح من أجل الجسد (الإنسان)، فبالتبعية نلنا نحن أيضاً بالتالي نعمة الروح «من ملئه»**: «ومن **ملئه** نحن جميعاً

أخذنا، ونعمة فوق نعمة» (يو ١:١٦).][١٤١]

وفي موضع آخر يشدِّد أثناسيوس على أهمية نوال الرب للمسحة كنعمة موهوبة للبشرية في جسده الخاص هكذا:

[وبالرغم من أنه لم يكن في حاجة إلى شيء، لكن قيل عنه إنه تقبَّل ما تقبَّله (المسحة) بشرياً، حتى من الجهة الأخرى **يصبح ما يكون قد تقبَّله الرب من عطية تسكن فيه في أمان، وتصير النعمة محفوظة ومؤكَّدة لحسابنا**. لأن الإنسان العادي إذا تقبَّل شيئاً، فإنه يفقده ثانية (كما وضح في آدم لأنه تقبَّل وفقد)، **ولكن لكي تكون النعمة غير قابلة بعد للفقدان وتُحفظ في أمان لدى البشر، من أجل هذا تقبَّلها المسيح في ذاته ...**][١٤٢]

[فالبشرية إذن قد تكمَّلت فيه واستعادت وجودها كما كانت منذ البدء وإنما بنعمة أعظم.][١٤٣]

وأثناسيوس في موضع آخر يوضِّح أن "**المسحة**" التي نالها جسد المسيح لحسابنا هي بعينها اللاهوت، فهو أي "الكلمة" ـ لاهوتياً ـ هو الذي أعطى جسده المسحة:

[**"أنا الكلمة"**: "**المسحة**" والذي أخذ المسحة مني هو (**أنا**) "**الإنسان**".][١٤٤]

---

(141) Athanas., *Contra Arian*, I, 46-50.

(142) Athanas., *Contra Arian*, III, 38.

(143) Athanas., *Contra Arian*, II. 67.

(144) *C. Ar.*, IV. 36.

وفي هذا يوضِّح أثناسيوس طبيعة الروح القدس التي هي واحد مع الطبيعة الإلهية للكلمة. وبسبب هذا يكون "**الكلمة**" و"**الروح القدس**" **هما واحد جوهرياً أو طبيعياً**.

ولهذا لا يُقال إن **الكلمة** نال المسحة من الروح القدس، بل الجسد (الإنسان) كما سبق الشرح:

[لكن أعمال الجسد لم تكن تتم بدون اللاهوت، ولا أعمال اللاهوت تتم بدون الجسد؛ بل على العكس فإن كل أعماله صنعها الرب الواحد (إشارة واضحة إلى اتحاد الطبيعتين) الذي أكمل كل شيء في سر نعمته ... فعندما نرى أعمال الجسد نتعجَّب ونرى فيها القوة الإلهية التي تعمل؛ هذا هو إيمان الكنيسة.](١٤٥)



(145) Athanas., Ep. V, *Ad Serap.*

مفهوم التجديف على الروح القدس
كما يراه القديس أثناسيوس

+ «هذا (المسيح) لا يُخرج الشياطين إلاَّ ببعلزبول رئيس الشياطين.» (مت ١٢: ٢٤)
+ «إن كنت أنا بروح الله أُخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله.» (مت ١٢: ٢٨)
+ «كل خطية وتجديف يُغفر للناس. وأمَّا التجديف على الروح القدس ... فلن يُغفر له لا في هذا العالم ولا في الآتي.» (مت ١٢: ٣١، ٣٢)

الرسالة الخامسة لسيرابيون(١٤٦):

يقول القديس أثناسيوس مفسِّراً هذا الكلام هكذا:

[لماذا يُغفر التجديف على الابن ولماذا لا يُغفر التجديف على الروح القدس لا في هذا الدهر ولا في الدهر الآتي أيضاً؟

لقد قرأتُ ما كتبه الآباء وبالذات الحكيم المجاهد أوريجانوس والعجيب المجاهد ثيئوغنسطس(١٤٧) (تُوفِّي سنة ٢٨٢م) واطَّلعتُ على كتبهم لأرى ماذا قالوا بخصوص هذا الموضوع.

---

(١٤٦) ترجمها إلى العربية الدكتور جورج حبيب بباوي، وقد نُقل عنه النص بتصريح منه.

(١٤٧) ثيئوغنسطس كاتب كنسي ولاهوتي مشهور، كان مديراً لمدرسة الإسكندرية خلفاً لديونيسيوس وقبل بيريوس (وليس بعده). وكتب منهجاً لاهوتياً متكاملاً قائماً على أساس أفكار

وكلاهما قال إن التجديف على الروح القدس يحدث عندما يعود الذين حصلوا على **نعمة الروح القدس في المعمودية** إلى الخطية. ولذلك يتفق كلاهما مع الآخر على عدم وجود مغفرة، مستندين إلى ما ذكره بولس في رسالته إلى العبرانيين (٦:٤-٦). عند هذه النقطة كل منهما يتحدَّث مثل الآخر تماماً. ولكن بعد ذلك كل منهما له رأيه الخاص.

يشرح أوريجانوس سبب دينونة هؤلاء بهذه الكلمات: "الله الآب يحل في كل شيء ويضبط كل الكائنات الحية وغير الحية، أي التي لها نعمة العقل والتي ليس لها نعمة العقل. أمَّا الابن فهو يشمل بقوته الذين لهم نعمة العقل فقط، مثل الموعوظين والوثنيين الذين لم يأتوا بعد إلى الإيمان. أمَّا الروح القدس فهو يسكن فقط في الذين قبلوه في المعمودية. ولذلك عندما يخطئ الموعوظون أو الوثنيون فإن خطيتهم هي ضد الابن فقط، لأنه هو فيهم كما ذكر - أوريجانوس - ولذلك يمكنهم الحصول على المغفرة عندما يكرمون بنعمة الميلاد الثاني. ولكن عندما يخطئ المعمد فإن الخطية بعد المعمودية موجَّهة ضد الروح القدس الذي يسكن في الذين عُمِّدوا، ولذلك لا مناص من العقاب".

أمَّا ثيئوغنسطس فهو كما ذكرت يتبع شرح أوريجانوس

أوريجانوس وذلك في سبعة كتب، وأسماه هيبوتيبوزيس ὑποτυπώσεις = Hypotyposeis. وقد تبقَّى وصف وتحقيق عنه بقلم فوتيوس (Cod. 106)، كما لا يزال يوجد مقتطفات كثيرة منه في كتابات القديس أثناسيوس إلى سيرابيون، وعلى الدفاع عن قانون نيقية (٢٥). كما استعان به القديس غريغوريوس النيسي في مؤلَّفه *Contra Euno.* III; وبالرغم من سقوطه في مفهوم تدنِّي الابن عن الآب بحسب فكر أوريجانوس، فقد استخدم القديس أثناسيوس كثيراً من أفكاره ضد الأريوسيين.

ويقول: إن الذي يتخطّى الحاجزين الأول والثاني يستحق عقوبة أقل. ولكن الذي يتخطّى الحاجز الثالث لا يمكن أن يحصل على مغفرة. وهو يدعو التعليم الخاص بالآب والابن بالحاجزين الأول والثاني. أمَّا الحاجز الثالث فهو التعليم الذي يُقال في المعمودية الخاص بالروح القدس، ولكي يؤكّد ثيئوغنسطس هذا الشرح اقتبس كلمات الرب للتلاميذ: «إن لي أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن. وأمَّا متى جاء ذاك، روح الحق، فهو يُرشدكم إلى جميع الحق، لأنه لا يتكلّم من نفسه، بل كلُّ ما يسمع يتكلّم به ويُخبركم بأمور آتية» (يو ١٦: ١٢-١٣). وقد قال ثيئوغنسطس عن هذه الكلمات إن المخلّص تحدث مع أُناس لا يمكنهم أن يقبلوا التعاليم الكاملة، ولذلك نزل إلى مستواهم غير الكامل. أمَّا الذين تكمَّلوا فهم الذين قبلوا الروح القدس في المعمودية، والتعليم الكامل هو من نصيب الذين حلّ فيهم الروح القدس.

لكننا نحذّر كل مَنْ يقرأ هذه الكلمات من عدم فهمها بصورة سليمة، إذ لا يجب أن يظن أحد أن التعليم عن الروح القدس هو "ختم الكمال". كما علينا أيضاً أن نحذّر من الظن بأن الروح القدس أسمى من الابن طالما أن التجديف على الروح بلا مغفرة. ولكن المغفرة لغير الكاملين (غير المعمَّدين)، أمَّا الذين ذاقوا الموهبة السماوية وصاروا كاملين فلا مغفرة لهم ولا صلاة يمكنها أن تسهِّل لهم المغفرة. هذا ما ذكره هذان الكاتبان المجاهدان.

أمَّا عن نفسي فحسب ما تعلَّمت، أعتقد أن رأي كلٍّ منهما يتطلّب فحصاً ومراجعة دقيقة لأن كلمات الإنجيل الخاصة

بالتجديف عميقة.

في الحقيقة واضح أن الابن في الآب، وبالتالي فهو في الذين فيهم الآب أيضاً. والروح القدس ليس غائباً عن الآب والابن، لأن الثالوث القدوس المبارك غير منقسم. وزيادة على ذلك إذا كان كل شيء قد خُلق بالابن (يو ١:٣) وفيه كل الأشياء توجد (كو ١:١٧)، فهو ليس كائناً خارج الأشياء التي جاءت إلى الوجود بواسطته. فكل المخلوقات ليست غريبة عنه. هو بالطبيعة في كل شيء، وبالتالي كل مَنْ يخطئ ويجدِّف على الابن يخطئ ويجدِّف على الآب والروح القدس. ولو كان حميم الميلاد الثاني قد أُعطي باسم الروح القدس فقط، لكان من المعقول أن نقول إن الذي عُمِّد إذا أخطأ بعد المعمودية يخطئ ضد الروح القدس وحده. ولكن لأن المعمودية تُعطى باسم الآب والابن والروح القدس، فكل معمَّد يقبل المعمودية باسم الثالوث، وبذلك يصبح واضحاً أن كل مَنْ يجدِّف بعد المعمودية يكون قد جدَّف على الثالوث الأقدس، وهذا هو التعليم الحقيقي الذي يجب أن نقبله.

ولو كان هؤلاء الذين تحدَّث معهم الرب، أعني الفريسيين، قد قبلوا حميم الميلاد الثاني وحصلوا على نعمة الروح القدس، لكان التفسير السابق لكل من أوريجانوس وثيئوغنسطس مقبولاً، لأن الرب لم يكن يتكلَّم مع أُناس ارتدوا وجدَّفوا على الروح القدس، لأننا إذا تذكَّرنا، لم يكن هؤلاء الناس - أي الفريسيُّون - معمَّدين، بل حتى معمودية يوحنا احتقروها ورفضوها (مت ٢١:٢٥-٢٧). فكيف يمكن اتهامهم بالتجديف على الروح القدس وهم لم يحصلوا عليه بعد؟! ولذلك لم ينطق الرب بهذه

الكلمات لكي يعلِّم عن الخطية بعد المعمودية، كما أنه لم يكن كذلك يهدِّد بعقوبة أُولئك الذين سيخطئون في المستقبل بعد المعمودية، بل قال هذه الكلمات بطريقة مباشرة وصريحة ضد الفريسيِّين لأنهم أذنبوا فعلاً وسقطوا في هذا التجديف الفظيع. لقد اتهمهم الرب بطريقة واضحة بالتجديف وهم لم يقبلوا المعمودية. فإن هذه الكلمات ليست موجَّهة ضد الذين يخطئون بعد المعمودية، خصوصاً وأن الرب لم يكن يشتكيهم بخطايا عامة ولكن بالتجديف بالذات، وهناك فرق بين الذي يخطئ ويتعدَّى الناموس والذي بسبب عدم تقواه يجدِّف على الله نفسه.

وقبل ذلك اتهم الرب الفريسيِّين بخطايا أُخرى مثل محبة المال التي من أجلها أبطلوا الوصية الخاصة بالوالدين، ورفضوا كلمات الأنبياء وجعلوا بيت الله بيت تجارة، وفي كل هذا انتهرهم المخلِّص لكي يتوبوا. أمَّا عندما قالوا إنه ببعلزبول يُخرج الشياطين، لم يقل لهم ببساطة إنهم يخطئون بل إنهم يجدِّفون بصورة شنيعة تستوجب العقاب وتجعل المغفرة مستحيلة، لأنهم تمادوا إلى حيث لا حدود لخطئهم.

وزيادة على ذلك، لو كانت هذه الكلمات موجَّهة ضد الذين يخطئون بعد المعمودية وهؤلاء لا مغفرة لهم، فكيف أظهر الرسول محبة نحو التائب في كنيسة كورنثوس (٢كو ٢:٨)؟ وماذا عن الغلاطيين الذين ارتدُّوا (غل ٤:٩)، والذين تألَّم الرسول لكي يولدوا ويتكوَّن فيهم المسيح مرَّة ثانية (غل ٤:١٩)؟ وكيف نلوم نوفاتس (٢٤٩-٢٥٠م Novatian) الذي يمنع التوبة ونعترض على قوله بأن الذين يخطئون بعد المعمودية لا مغفرة لهم طالما أن هذه الكلمات الإنجيلية تؤيِّد تعليم نوفاتس وهي موجَّهة إلى الذين

يخطئون بعد المعمودية؟

وحتى كلمات الرسالة إلى العبرانيين (٦:٤-٦) لا تمنع توبة الخطاة بل تشير إلى أن معمودية الكنيسة الجامعة تُعطَى مرَّة واحدة، ولا يمكن أن تتكرَّر. ويجب أن نلاحظ أنه للعبرانيين بالذات كتب الرسول هذه الكلمات لأنه خاف عليهم من التظاهر بالتوبة وأنهم بسبب تمسكهم الشديد بالناموس الموسوي وشريعة التطهير سيظنون أنه توجد فرصة لمعموديات يومية متكرِّرة (كما في مرقس ٧:٣-٤)، ولذلك يشجِّعهم على التوبة ويعلن أن التجديد في المعمودية هو تجديد فريد لا يعاد. وفي رسالة أخرى يقول: «إيمانٌ واحدٌ، معموديةٌ واحدةٌ» (أف ٤:٥). وهو لا يقول إنه من المستحيل أن يتوب الساقطَ بل من المستحيل أن نصنع نحن تجديداً لأنفسنا بالتوبة، والفرق كبير، لأن مَنْ يتوب يكف عن الخطية ولكن آثار جروحه تظل ظاهرة بعكس مَنْ يعتمد يخلع العتيق ويتجدَّد (كو ٣:٩-١٠)، بل ويولد مرَّة ثانية بنعمة الروح القدس (يو ٣:٣).

وعندما أفكِّر في هذه الأشياء أجد في الكلمات السابقة عمقاً عظيماً. ولذلك بعد أن صلَّيت بلجاجة للرب الذي جلس عند البئر (يو ٤:٦) ومشي على المياه (مت ١٤:٢٥)، أعود إلى تدبير الخلاص الذي تمَّ راجياً أن أكون قادراً على أن أملأ دلوي من معاني الكلمات الإنجيلية التي نبحثها.

كل الكتب الإنجيلية، وبالذات إنجيل يوحنا، تخبرنا عن التدبير الإلهي: «الكلمة صار جسداً وسكن فينا» (يو ١:١٤). وبولس عندما يكتب: «الذي إذ كان في صورة الله، لم يحسب (مساواته)

خُلسة أن يكون معادلاً لله. لكنه أخلى نفسه، آخذاً صورة عبد، صائراً في شبه الناس» (في ٢:٦-٨). ولأنه الإله الذي أخلى ذاته وصار إنساناً، أقام الموتى وشفى المرضى، وبكلمته حوَّل الماء خمراً ... وهذه كلها أعمال ليست من قدرة البشر، ولكنه جاع وعطش وتألَّم لأنه أخذ جسداً وكل أعمال الجسد ليست من صفات اللاهوت. كإله قال: «أنا في الآب والآب فيَّ» (يو ١٤:١٠)، ولأنه أخذ جسداً حقًّا وبكل يقين، انتهر اليهود قائلاً: «الآن تطلبون أن تقتلوني وأنا إنسان قد كلَّمكم بالحق الذي سمعه من الله» (يو ٨:٤٠). ورغم كونه إلهاً إلاَّ أنه لم يقم بهذه المعجزات مرَّة واحدة لأنه تجسَّد وكان عليه أن يواجه الاحتياجات والظروف المرتبطة بحياته كإنسان.

لكن لم تكن أعمال الجسد تتم بدون اللاهوت ولا أعمال اللاهوت كانت تتم بدون الجسد، بل على العكس، فإن كل أعماله صنعها الرب الواحد، الذي أكمل كل شيء في سر نعمته. وعلى سبيل المثال، بصق على الأرض كما يبصق كل الناس، لكن لعابه وحده كان فيه قوة إلهية لأنه وهب به البصر لعيني المولود أعمى (يو ٩:٦). ورغم أنه الإله إلاَّ أنه تكلَّم بلغة بشرية وقال: «أنا والآب واحد» (يو ١٠:٣٠)، وبإرادته منح الشفاء (مت ٨:٣). ولكن عندما مدَّ يده الإنسانية، أقام حماة سمعان بطرس من الحُمَّى (مر ١:٣١) وبنفس اليد أقام من الموت ابنة رئيس المجمع (مر٥:٤١،٤٢).

وقد أخطأ الهراطقة كلٌّ حسب مقدار جهله، البعض منهم نسب كل ما حدث من الرب لجسده (أي كإنسان) وتعاموا عن

القول الإلهي: «في البدء كان الكلمة» (يو ١:١)، والبعض نسب ما حدث إلى لاهوته فقط، ولم يفهموا القول: «والكلمة صار جسداً» (يو ١٤:١). لكن المؤمن الذي يتبع تعليم الرسل يعرف غنى الرب ومحبته للبشر. وعندما يرى أعماله العجيبة الإلهية يمجِّد الرب الذي ظهر في الجسد. وعندما **يرى أعمال الجسد يتعجَّب ويرى فيها القوة الإلهية التي تعمل**. هذا هو إيمان الكنيسة، ولذلك إذا ثبَّت البعض عيونهم على الجانب الإنساني في حياة الرب، وشاهدوه يختبر الجوع والتعب والألم، يتحدَّثون عنه بدون تقوى كمن يتحدَّث عن إنسان فقط، فيخطئون بذلك خطية عظيمة. وبلا شك إن لم يتأخَّروا في التوبة يمكنهم الحصول على المغفرة، لأن ضعفهم الإنساني هو عذر لهم. وحتى الرسول يمنحهم المغفرة، وبطريقة ما يمد يده إليهم، لأنه بالحق يقول: «وبالإجماع، عظيم هو سر التقوى، الله ظهر في الجسد.» (١تي ١٦:٣)

عندما يرى البعض أعمال اللاهوت يتردَّدون في الاعتراف بإنسانيته ـ وهذا خطأ بالغ ـ ويتوهَّمون عندما يقرأون أن الرب يأكل ويتألَّم أنه خيال، هؤلاء إذا لم يتأخَّروا في التوبة سيغفر لهم يسوع لأنهم لا يفهمون أعماله الفائقة التي أتمها في الجسد. وإذا فحصنا جهل هؤلاء وأولئك، أي الذين يخطئون ولهم معرفة بالناموس مثل الفريسيِّين أو الذين يستسلمون للجنون وينكرون وجود الكلمة في الجسد، أو يذهبون إلى أبعد من هذا عندما ينسبون أعمال اللاهوت إلى الشيطان وجنوده؛ فإنه من العدل أن تكون عقوبة عدم تقواهم هي عدم المغفرة، **لأنهم اعتبروا الشيطان مثل الله**، وحسبوا أن مَنْ هو بالحقيقة الله لا شيء في أعماله يدل

على ألوهيته، بل إنه (الشيطان) يستخدم أعوانه. وإلى هذه الدرجة السفلي من عدم التقوى انحدر اليهود في ذلك الزمان، وبالذات الفريسيُّون منهم. ورغم أن **الرب كان يقوم بأعمال الآب علانية**، فهو أقام الموتى ومنح النظر للعميان وجعل العرج يمشون وفتح آذان الصم وجعل الخرس يتكلَّمون، معلناً أن الخليقة العاقلة وغير العاقلة خاضعة له، لأنه هو الذي أمر الريح ومشي على البحر، والجموع عاينت هذا وامتلأت بالدهشة ومجَّدت الله؛ إلاَّ أن الفريسيِّين قالوا إن هذه أعمال بعلزبول - **ومن فرط جنونهم لم يخجلوا من أن يعطوا الشيطان قوة الله. وأمام هذا أعلن الرب بالحق أن تجديفهم بلا مغفرة**، لأنهم عثروا في كل ما يختص بإنسانيته وكان لهم، في المسيح كإنسان، رأي شرير، إذ قالوا: «أليس هذا ابن النجَّار؟» (مت ١٣:٥٥)، وكيف هذا يعرف الكتب وهو لم يتعلَّم (يو ٧:١٥)، وما هي المعجزات التي «تصنع لنرى ونؤمن بك» (يو ٦:٣٠)، «فلينزل الآن عن الصليب فنؤمن به» (مت ٢٧:٤٢). وقد احتمل الرب كل هذا، وسمَّى الإنجيل مثل هذه الأقوال بالتجديف على ابن الإنسان، وتألَّم الرب من قساوة قلوبهم (مر ٣:٥)، وقال: «لو علمتِ ... ما هو لسلامكم؟» (لو ١٩:٤٢).

وغفر الرب لبطرس عندما تكلَّمت معه الجارية عن يسوع كإنسان، فأجاب بطريقة لا تختلف عن رأي الجارية وكلامها، ولكن الرب غفر له عندما بكى بدموع.

أمَّا عندما سقط الفريسيُّون إلى أدنى من كل هذا وتفوَّهوا بما هو أشر من كل ما سبق، حتى أنهم قالوا إن أعمال الله هي أعمال

بعلزبول، لم يتحملهم لأنهم جدَّفوا على روحه بقولهم إن مَنْ يعمل هذه الأعمال ليس الله ولكنه بعلزبول. ولهذا السبب استحقوا عقوبة أبدية. وفي الحقيقة إن جرأتهم زادت عن الحد، وعندما رأوا ترتيب العالم والعناية به نسبوا الخلق إلى بعلزبول، حتى أن الشمس صارت بحسب قولهم تحت سلطان الشيطان وأصبح الشيطان هو الذي يحرِّك النجوم في السماء، لأن كل أعمال الآب كخالق، عملها يسوع؛ فإذا قالوا إن أعمال يسوع هي أعمال بعلزبول، فكيف إذاً يفهمون القول الإلهي: «في البدء خلق الله السموات والأرض» (تك ١:١). ولكن مثل هذا الجنون ليس غريباً عنهم لأن آباءهم أظهروا نفس الطباع، فبعد خروجهم من مصر صنعوا العجل الذهبي في البرية ونسبوا إليه المعجزات والبركات التي أخذوها من الله وقالوا: «هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدَتْكَ من أرض مصر» (خر ٣٢:٤). وبسبب هذا التجديف الذي ارتكبه أُولئك المجانين تمَّ فناء الكل في البرية، وأعلن الله أنه في يوم افتقاده «سوف يفتقد فيهم خطيتهم» (خر ٣٢:٣٤). وعندما اشتكوا من انعدام الخبز والماء اهتم بهم تماماً مثل المرضعة برضيعها، ولكنهم زادوا الشكوى إلى الحد الذي وصفه الروح القدس في المزامير: «أبدلوا مجدهم بمثال ثور آكل عشب» (مز ١٠٦:٢٠). وعندما اجترأوا على ارتكاب مثل هذا العمل الذي لا مغفرة له ضربهم الرب، كما يقول الكتاب، بسبب العجل الذي سبكه هارون (خر ٣٢:٣٥). وتصرَّف الفريسيُّون بنفس الوقاحة، ولذلك أخذوا من الرب عقوبة مماثلة بل هي عقوبة مثل عقوبة بعلزبول نفسه الذي تحدَّثوا عنه، كي يحترقوا معه بنار أبدية.

ولم يكن الرب يقصد بما قاله في الإنجيل أن يقارن بين التجديف الموجَّه ضدَّه، والتجديف الموجَّه للروح القدس؛ ولا أشار ولو من بعيد أو بطريقة غير مباشرة إلى أن الروح القدس أسمى منه ولا لأن التجديف على الروح أخطر، حاشا؛ نطق الرب بهذه الكلمات لأنه علم من قبل أن **كل ما هو للآب فهو للابن، وأن الروح يأخذ من الابن وبذلك يمجِّد الابن** (يو ١٦: ١٤، ١٥). **والروح لا يعطي الابن بل الابن هو الذي يعطي الروح وقد أعطاه لتلاميذه**، وبهم لمن يؤمنون به بواسطتهم. ولم يكن الرب يقارن نفسه بالروح عندما قال هذه الكلمات، كما أنها لا تعني أن الروح أسمى من الرب، فهذا سوء فهم لكلمات المخلِّص. والتجديف بنوعيه موجَّه بالضرورة للروح القدس. والنوع الأول محتمل، أمَّا النوع الثاني فهو خطير. وقد ارتكب الفريسيُّون نوعي التجديف لأنهم رأوه إنساناً فأهانوه بقولهم: «من أين لهذا الحكمة؟» (مت ١٣: ٥٤)؛ وقولهم: «ليس لك ثلاثون سنة بعد، أفرأيت إبراهيم؟» (يو ٨: ٥٧س). ورغم أنهم رأوا أعمال الآب فيه إلاَّ أنهم لم يرتضوا بألوهيته. وبدلاً من هذا قالوا إن بعلزبول فيه، وأن هذه الأعمال هي أعمال بعلزبول، وبذلك أصبح تجديفهم بنوعيه موجَّه ضدَّه. والنوع الأول أقل خطورة بسبب العذر الواضح وهو إنسانيته، أمَّا النوع الثاني فهو أكثر خطورة لأنه إهانة موجَّهة إلى ألوهيته. ومثل هذا التجديف الخطير هو الذي استدعى عقوبة عدم المغفرة. ومن الواضح أن الرب كان يشجِّع التلاميذ عندما قال لهم: «إن كانوا قد لقَّبوا رب البيت بعلزبول» (مت ١٠: ٢٥) وأكَّد هنا أنه رب البيت الذي جدَّف عليه اليهود.

أمَّا اليهود فعندما قالوا عنه: "بعلزبول" لم يهينوا أحداً سوى الرب يسوع، وهذا واضح من التعبير نفسه لأن كلمة "الروح" في نص الإنجيل تشير إلى الرب يسوع وإلى الروح القدس، لأن "رب البيت" يُراد به المسيح أي رب الكون كله. وأنا أرجوك أن لا تتضايق من هذا التكرار فهو لازم إذا كنا نحرص على الوصول إلى المعنى الدقيق للنص، ولذلك سأعود إلى ما ذكرته سابقاً أن الجوع والتعب والنوم والإهانات كلها خاصة بناسوته، أمَّا الأعمال الباهرة التي كان يقوم بها الرب، فلم تكن أعمال إنسان بل أعمال الله.

لذلك إذا ما شاهد بعض الناس الأشياء الخاصة بالإنسان مثل الجوع ... إلخ وأهانوا الرب لأنه حسب ظنهم مجرَّد إنسان، فقد حُسبوا مستحقين لعقوبة أقل من عقوبة أُولئك الذين ينسبون أعمال الله للشيطان. لأن هؤلاء لا يكتفون بإلقاء الأشياء المقدَّسة للكلاب (مت ٧:٦)، بل يجعلون الله مساوياً للشيطان ويدعون النور ظلمة (إش ٥:٢٠). لذلك سجَّل مرقس أن تجديف اليهود بلا مغفرة، «ولكن مَنْ جدَّف على الروح القدس، فليس له مغفرة إلى الأبد، بل هو مستحق دينونة أبدية، لأنهم قالوا: إن معه روحاً نجساً (وذلك على أعمال لاهوته).» (مر ٣: ٢٩-٣٠)

والرجل الأعمى منذ ولادته عندما أبصر، شهد بأنه لم يُسمع من قبل أن أحداً فتح عيني مولود أعمى، ولذلك قال: «لو لم يكن هذا (**الإنسان**) **من الله** لم يقدر أن يفعل شيئاً» (يو ٩:٣٣). حتى الجموع نفسها عندما امتلأت من الإعجاب بما فعله الرب قالت: «ليس هذا كلام مَنْ به شيطان، ألعل شيطاناً يقدر أن يفتح أعين

العميان» (يو ١٠:٢١). أمَّا هؤلاء الذين امتلأوا من معرفة الناموس، أي الفريسيُّون وهم الذين يلبسون العصائب العريضة (مت ٢٣:٥)، ومزهوُّون بمعرفتهم بالناموس أكثر من باقي الناس (يو ٩:٢٤-٢٩)، كان من المفروض عليهم بسبب هذه المعرفة أن يخجلوا، ولكن كما هو مكتوب عنهم أنهم تعساء «لأنهم ذبحوا لأوثان ليست الله» (تث ٣٢:١٧). وعندما قالوا إن بالرب شيطاناً، وإن أعمال الله هي أعمال الشيطان؛ لم يكن لديهم أي أسباب مقنعة تدفعهم إلى هذا الاعتقاد، والدافع الحقيقي لمثل هذا التجديف هو رغبتهم في أن ينكروا أن الذي يعمل هذه الأعمال هو الإله ابن الله. وبالحقيقة لقد أكل أمامهم وشاهدوا جسده وتأكَّدوا أنه إنسان فكان لديهم فرصة لأن يقتنعوا من أعماله أن الآب فيه وأنه في الآب. **أمَّا لماذا لم يقتنعوا؟ فلأنهم لم يشاءوا.**

وفي الحقيقة لقد سكن بعلزبول في الفريسيِّين. وكان بعلزبول هو الذي يتكلَّم فيهم. ولذلك قالوا عن المسيح: إنه مجرَّد إنسان، بسبب ناسوته، دون الاعتراف به إلهاً بسبب أعماله التي هي أعمال الله. ولكن بهذه السقطة ألَّهوا بعلزبول الذي سكن فيهم، والذي في النهاية سوف يعاقبون معه في النار إلى الأبد.

ودراستنا للنص توضِّح لنا أنه يعني نوعي التجديف الذي أشرنا إليه سابقاً. ذلك أن المخلِّص **أشار إلى نفسه عندما قال: «ابن الإنسان»، ولكنه كان يعني أيضاً نفسه عندما تحدَّث عن "الروح".** والاسم الأول: «**ابن الإنسان**» **يوضِّح تجسُّده**، والاسم الثاني: "**الروح**" **يوضِّح طبيعته الروحية غير المادية ولاهوته**. وفي الواقع، إن الخطية التي يمكن غفرانها هي العثرة الناتجة عن رؤية ناسوته، أي ما

يتعلَّق به كابن الإنسان، ولكنه أوضح أن التجديف الذي لا يمكن مغفرته هو التجديف على "الروح"، أي على الطبيعة الإلهية.

وقد لاحظت أن التعبير "الروح" جاء بالمعنى الذي نتحدَّث عنه في إنجيل القديس يوحنا عندما كان الرب يتحدَّث عن تقديم جسده. ولمَّا رأى أن كثيرين عثروا بسبب ما ذكره عن جسده، قال لهم: «أهذا يعثركم؟ **فإن رأيتم ابن الإنسان صاعداً إلى حيث كان أولاً! الروح هو الذي يحيي، أمَّا الجسد فلا يفيد شيئاً. الكلام الذي أُكلِّمكم به هو روح وحياة**» (يو ٦: ٦٢-٦٣). وقد تحدَّث الرب هنا عن "**الجسد والروح**"، وكما هو واضح كان يتحدَّث عن نفسه. **وميَّز بين الجسد والروح لكي يتمكَّن الذين سمعوه من الإيمان بما يرون أي بجسده، وكذلك الإيمان بغير المنظور، أي الروح أو لاهوته، لكي يؤمنوا أن ما يتكلَّم عنه ليس الجسديات بل الروحيات.**

ولنسأل كم عدد البشر الذين يمكن أن يقدِّم لهم جسده المادي؟ وماذا عنه كغذاء للعالم كله؟ لهذا السبب تحدَّث عن صعود ابن الإنسان إلى السماء لكي يبعد عن أفكارهم كل التصورات المادية عن جسده، ولكي يفهموا جيداً بدون أي تصورات مادية أن جسده الذي يتكلَّم عنه هو طعام سمائي يأتي من فوق كغذاء روحي يعطيه هو بنفسه. وحقًّا قال: «الكلام الذي أُكلِّمكم به هو روح وحياة» (يو ٦:٦٣)، أي أن ما أعلنه، وما سيعطيه لخلاص العالم هو جسده، **ولكن هذا الجسد عينه بما فيه من دم سوف يُعطى لكم بواسطتي روحياً، وكطعام، وبطريقة روحية سوف يوزَّع على كل واحد منكم لكي يصبح عربون القيامة والحياة الأبدية.**

واستعمال كلمة "روح" جاء بنفس المعنى في حديث الرب مع السامرية عندما وجَّه فكرها إلى المعنى الروحي ورفع نظرها إلى الأمور غير المادية بقوله لها: «الله روح» (يو ٤:٢٤)، لكي يستقر في قلبها الفهم الصحيح عن الله، أنه ليس من طبيعة مادية محصورة في مكان بل إنه روح. وهذا ما يعنيه كلام التعليم الذي يقول عندما يتأمَّل الكلمة وقد تجسَّد: "روح الإيمان هو المسيح الرب"، وحتى لا يعثر أحد ما بالشكل الخارجي الملموس ويظن أن الرب هو مجرَّد إنسان، جاءت كلمة: "الروح" لتؤكِّد أن الذي في الجسد هو الله.

وهكذا يبدو لنا شيئان ظاهران تماماً: الأول هو حالة مَنْ يرى الرب في الجسد ويعتبره مجرَّد إنسان ويقول بعدم إيمان: "من أين لهذا هذه الحكمة والقوات؟" (مت ١٣:٥٤)، وكل مَنْ يتكلَّم بهذا يخطئ بدون شك ويجدِّف على ابن الإنسان؛ والثاني يرى أعماله التي تتم بالروح القدس ويقول إن صانع هذه الأعمال ليس الله ولا ابن الله وينسب هذه الأعمال لبعلزبول، مثل هذا ينكر لاهوته، وهذا ما يظهر واضحاً عدة مرَّات في الإنجيل لا سيما في النص الذي نشرحه.

ومرَّة أخرى، نكرِّر، عندما يوصف الرب بأنه «ابن الإنسان» فهو نفسه يستخدم هذا اللقب لتأكيد بشريته، ولكن عندما يتحدَّث عن الروح أي الروح القدس الذي به يصنع كل هذه الأعمال والذي هو (الروح) أيضاً فيه، يقول بعد إتمامه أعماله الباهرة: «إن كنت لست أعمل أعمال أبي فلا تؤمنوا بي، ولكن

إن كنت أعمل، فإن لم تؤمنوا بي فآمنوا بالأعمال لكي تعرفوا وتؤمنوا أن الآب فيَّ وأنا فيه» (يو ١٠:٣٨) ...][١٤٨] (انتهى)

وملخَّص عقيدة القديس أثناسيوس في هذا الموضوع كالآتي:

١ ـ إن الموضوع لا يختص إطلاقاً بامتياز أقنوم عن آخر في الثالوث، فالتجديف على الروح القدس هو تجديف على الآب والابن أيضاً.

٢ ـ والتجديف لا يختص بالمعمودية ونوال الروح القدس فيها، لأنها تتم باسم الآب والابن والروح القدس إله واحد. فكل مَنْ يُخطئ ويجدِّف بعد المعمودية فهو يخطئ ويجدِّف على الله الثالوث الآب والابن والروح القدس. لذلك فالرب لم يكن يقصد بالتجديف الخطية بعد المعمودية.

٣ ـ إن الخطية بل كل الخطايا بعد المعمودية تُغفر جميعها بالتوبة، ولا توجد خطية قط يمكن أن يُقال إنه من المستحيل غفرانها.

٤ ـ المعمودية هي التي لا يمكن بل ويستحيل أيضاً أن تتكرَّر، وهي التي تسمَّى بالتجديد أو الميلاد الثاني فهي معمودية واحدة.

٥ ـ كذلك هناك فرق بين الخطايا كتعدِّي على الوصايا وبين التجديف على الله نفسه.

٦ ـ إن الالتباس الظاهر في فهم عب ٦:٤-٦ راجع إلى أن بولس الرسول يخاطب اليهود (العبرانيين) الذين اعتادوا أن يتخلَّصوا من خطاياهم بالتطهير بالماء كل يوم، وكلما أرادوا (حتى الزنا

---

(١٤٨) من كتاب: "الروح القدس في بعض كتابات الآباء" تعريب: الدكتور جورج حبيب بباوي صفحة ٢٨-٤٢.

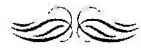
كان في عرفهم يمكن التخلُّص منه بالاستحمام بالماء)، فنبَّههم أن المعمودية في المسيحية ليست تطهيراً بالماء، ولكنها موت عن الإنسان العتيق وخطاياه وولادة روحية من فوق بإنسان جديد، ولا تتم إلاَّ **مرَّة واحدة فقط بنعمة الروح القدس.**

٧ ـ العنصر الجوهري في عدم غفران خطية التجديف على الروح القدس هو المتعلِّق بالذين ينسبون أعمال اللاهوت التي كان يعملها المسيح إلى أنها أعمال الشيطان.

٨ ـ وعلى نفس المستوى، فالذين يعتبرون المسيح أنه مجرَّد إنسان كان يعمل المعجزات بقوة الشيطان فهذا هو التجديف على روح الله أي الروح القدس، لأن المسيح كان يعمل كل الأعمال بروح الله.

٩ ـ وعلى نفس المستوى كل مَنْ يجدِّف على لاهوت المسيح معتبراً أن المسيح مجرَّد إنسان، وأن أعماله كانت مجرَّد أعمال شيطانية (سحرية كما يقول اليهود الآن) وليست أعمالاً إلهية، فهذه تعتبر خطية تجديف غير قابلة للمغفرة.

١٠ ـ وهنا يقرِّر أثناسيوس أنه لا فرق بين التجديف على الروح القدس والتجديف الموجَّه ضد لاهوت المسيح.



كيف يتم تقديس النفس بالروح القدس

للقديس كيرلس الكبير

الباب الرابع والعشرين (تنيح ٤٤٤م)

أعد هذه المقالة وترجم نصوصها من الفرنسية واليونانية أحد الآباء بالدير وراجعها الأب متى المسكين ١٩٧٨م.

مقـــدِّمـــة[1]

في وسط الضيقات التي كانت تحيط بالمسيحيين الأوائل كان القديس بولس يدعوهم إلى أن يرفعوا أفكارهم فوق هذا العالم الحاضر (كو ٣: ١) ويتأمَّلوا الحياة الإلهية الكائنة فيهم بالروح القدس:

+ «أنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم.» (١كو ٣: ١٦)
+ «أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القـــدس الـــذي فيكم الذي لكم من الله.» (١كو ٦: ١٩)
+ «أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم.» (غل ٤: ٦)
+ «أخذنا الروح الذي من الله لنعرف (به) الأشياء الموهوبة لنا مـــن الله.» (١كو ٢: ١٢)
+ «وأعطى عربون الروح في قلوبنا.» (٢كو ١: ٢٢)
+ «نحن الذين لنا باكورة الروح.» (رو ٨: ٢٣)

وفي العصر الرسولي (أي الجيل المسيحي الأول بعد الرسل) صار هذا الامتياز هو الموضوع الرئيسي الأول لأحاديـــث المـــسيحيين الأوائـــل وتأملاتهم. انظر:

- رسالة كليمندس الأُولى ٣٠ و٣٥.

---

(١) عن مقالة:

J. MAHÉ - *La Sanctification d'après S. Cyrille d'Alexandrie*, Revue d'Histoire ecclésiastique X, (1909), p. 30-40; 469-492.

- رسالة برنابا ٦: ١١ - ١٩.
- رسالة إغناطيوس إلى أهل أفسس ١٥: ٣ و١٩: ٣.
- رسالة إغناطيوس إلى أهل رومية ٧: ٢.
- الراعي لهرماس ٩ و١٦.

وبعد انتهاء العصر الرسولي لم يكف آباء الكنيسة ومعلّموها وعلى الأخص في الشرق من الحديث بعبارات مضيئة عن كرامة الإنسان الجديد الذي قدَّسه المسيح بالروح القدس. انظر:

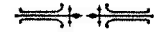
- القديس إيرينيئوس: ضد الهرطقات ٥: ٦ و٨.
- العلاَّمة أوريجينوس: المبادئ ١: ٣.
- القديس أثناسيوس الرسولي: ضد الأريوسيين ١: ١٦ و٣: ٣ ورسالته الأُولى إلى سيرابيون ١٩ و٢٢.
- القديس كيرلس الأورشليمي: عظة ١٧.
- القديس باسيليوس: عن الروح القدس ٩ و١٩ و٢٦.
- القديس غريغوريوس النيسي: العظة التعليمية، فصل٢١.
- القديس غريغوريوس النزينزي: عظة ٣٤: ١٢.
- القديس إبيفانيوس: ضد الهرطقات ٧٤: ١٣.
- القديس يوحنا ذهبي الفم: عظة ١٨ على رسالة كورنثوس الأُولى.
- العلامة ديديموس الإسكندري: في الروح القدس: ٣ وما يليه.

وقد فاق جميعهم القديس كيرلس الإسكندري.

التزام القديس كيرلس بالتقليد:

لقد كان فكر القديس كيرلس في كافة الموضوعات متوافقاً تماماً مع تقليد الكنيسة السابق له. وبخصوص الموضوع الذي ندرسه الآن (تقديس النفس بالروح القدس) نراه يكرِّر ما قاله الذين سبقوه، غير أنه يكرِّره

بأسلوبه الخاص بعد أن صاغه صياغة روحية جديدة. فقد جمع عناصر روحية كانت من قبله متناثرة. ثم ربط الموضوع كله بعقيدة الثالوث وبعقيدة الاتحاد الأقنومي (أي اتحاد اللاهوت والناسوت في المسيح). وفوق هذا كله فإن تقواه وحرارته الروحية كانت تلهمه تعبيرات روحية قويَّة لم يكن لها مثيل عند الذين سبقوه من جهة الصحة والأصالة والجرأة التعبيرية.



ما هو تقديس النفس؟

إن القديس كيرلس يصف تقديس النفس بالروح القدس أنه:

- تطهير للنفس(٢).
- وتغيير داخلي(٣).
- وعبور من حالة الموت والفساد إلى الحياة وعدم الفساد(٤).
- وانتقال من الرذيلة إلى الفضيلة ومن العبودية إلى الحرية(٥).
- هو مصالحة الإنسان مع الله(٦).
- وارتقاء الإنسان في حالة تفوق طبيعته(٧).
- وبالإجمال هو ولادة جديدة وخلقة جديدة، أي إصلاح وتقويم لطبيعتنا الساقطة بحيث تستعيد حالتها الأُولى التي خُلق بها الإنسان

---

(2) PG 75, 1016 B.
(3) PG 70, 965 B; PG 69, 508 C.
(4) PG 68, 1073; PG 76, 1164 A.
(5) PG 72, 676 A.
(6) PG 74, 544.
(7) PG 69, 48 B; PG 77, 897 B.

الأوَّل(٨).

- بل ويؤكِّد القديس كيرلس أن النفس التي تتقدَّس بالروح القدس ترتفع إلى حالة أسمى وأقدس من تلك التي خُلِقَت بها(٩).

كيف فقدَت البشرية الروح القدس؟

لما خلق الله الإنسان في البدء، خلقه على صورته ومثاله خالداً وغير فاسد، سائداً على أهوائه وقادراً على ممارسة الفضيلة(١٠). غير أن هذه الامتيازات لم يكن آدم يستمدها من طبيعته الخاصة التي كانت - بصفتها طبيعة مخلوقة - قابلة للفساد والفناء، بل كان يستمدها من روح الله الذي حلَّ فيه يوم خلقته.(١١) فالقديس كيرلس يفسِّر «نسمة الحياة» πνοὴ ζωῆς التي يتكلَّم عنها سفر التكوين (٢:٧) أنها الروح القدس نفسه وليست مجرَّد حياة طبيعية(١٢).

ولما وقع آدم في المعصية بحسد إبليس،(١٣) للوقت فارقه روح الله وفقد آدم كل الامتيازات التي كان يستمدها من الروح. وبالخطية صار الموت والفساد يسودان على العالم، غير أن صلاح الله لم يرض بهذا الوضع بل كان لابد بسبب رحمته الكثيرة وقدرته الفائقة أن يتدخَّل الله ويرفع الإنسان ويردَّه إلى رتبته الأُولى، ويُرجع إليه كل الامتيازات التي

(8) PG 72, 908 D; PG 73, 205 B, 725 C; PG 74, 541 B sq; PG 75, 880 B sq.
(9) PG 68, 1076 D; PG 77, 765 C.
(10) PG 73, 204 D Sq; 752 C sq; PG 75, 908 C.
(11) PG 76, 1085 D.
(12) PG 73, 204 D; PG 75, 584 D.
(13) PG 74, 784 A sq.

فقدها(١٤).

وكما أن كل هذه الخيرات قد أدركت الإنسان أولاً بواسطة الروح القدس ومع الروح القدس، لذلك كان لابد أن يستعيدها أيضاً بواسطة الروح القدس ومع الروح القدس.

ولذلك فالوسيلة الوحيدة لكي يستعيد الإنسان كرامته الأُولى هي أن يستمدها من جديد من الروح القدس(١٥). ولكن كيف يستعيد الإنسان الروح القدس؟

كيف استعادت البشرية الروح القدس؟

+ ملخَّص:

لمَّا اتحد اللوغس (الكلمة) بالناسوت الذي اتخذه لنفسه من القديسة العذراء فقد منحه روحه القدوس، وبذلك بدأت طبيعتنا البشرية تتقدَّس من جديد في شخص المسيح. وبالمثال يحدث لكل واحد منا لمَّا يتحد بالمسيح. فهو ينال منه الروح القدس ويتقدَّس به.

ففي تفسيره لإنجيل القديس يوحنا،(١٦) يعبِّر القديس كيرلس باختصار بديع عن كيفية استعادة طبيعتنا للروح القدس: لقد منح المسيح الروح القدس لناسوته وبذلك جَعَلَ الروح يتآلف من جديد مع طبيعتنا.

وعلى هذا الأساس تمكَّن المسيح من أن يمنحه لكل واحد منَّا!

والآن لنسمع القديس كيرلس يشرح لنا هذه الفكرة في العديد من

---

(14) PG 76, 925 D.
(15) PG 73, 752 C sq.
(16) PG 73, 208 A.

أقواله وهي تتركّز أساساً حول نقطتين:

الأُولى: حلول الروح القدس في المسيح من أجلنا،

الثانية: حلول الروح القدس فينا.

١ – المسيح قَبِلَ الروح القدس في ناسوته من أجلنا(١٧):

لقد كان الكلمة المتجسِّد قدوساً بطبعه بحق جوهره الإلهي. ولكنه بصفته إنساناً، قدَّس ذاته من أجلنا كمَنْ يكتسب القداسة(١٨).

وهكذا نال الروح القدس ليس من أجل ذاته هو، إذ أنه هو مُعطي الروح، بل من أجلنا نحن، لكي يمنحه لطبيعتنا البشرية الكائنة فيه، ويجعل النعمة التي فارقتها تتأصَّل من جديد فيها(١٩).

فكما أنه قام من أجلنا وليس من أجل نفسه، هكذا أيضاً قَبِلَ الروح القدس من أجلنا وليس من أجل نفسه.

لقد كان المسيح هو القيامة والحياة بطبعه، فلم يكن محتاجاً للقيامة لنفسه، ولكنه مات من أجلنا بالجسد لكي يمنح القيامة لطبيعتنا البشرية الكائنة فيه، ويتمكَّن بذلك أن يمنحنا الحياة والخلود.

وهكذا بالمثال قَبِلَ الروح القدس من أجلنا حتى يتمكَّن من أن يمنحه لكل الطبيعة البشرية(٢٠).

ويقول أيضاً: لنتفهَّم ذلك جيداً، وحاشا لنا أن نعتقد أن الذي هو

---

(17) PG 73, 205 D sq, 753 A; PG 74, 548 D sq.

(18) PG 68, 708 B.

(19) PG 73, 205 D.

(20) PG 73, 208 B; PG 74, 549 AB.

الابن بالطبيعة لا يقتني الروح القدس إلا بالمشاركة، بل هو فيه جوهريًّا، كما أنه في الآب جوهريًّا لأنه روح الابن كما أنه روح الآب. ولكن هذا الروح الذي يقتنيه المسيح جوهريًّا بصفته الله فهو يناله بالمشاركة بصفته إنساناً لأنه لما تأنَّس قَبِل لنفسه كل ما يخص الطبيعة البشرية. لنؤكِّد ذلك جيِّداً: هو قدوس بطبعه لكونه الله. وإن كان لكونه إنساناً يتقدَّس بالروح القدس، فهو نفسه الذي يقدِّس هيكل جسده بروحه الخاص. فهو ينال روحه الخاص، هو يناله كإنسان ويعطيه لذاته كإله(٢١).

غير أن هناك نقطة لا تزال تحتاج إلى توضيح: **كيف يمكن أن ذلك القدوس بطبعه يتقدَّس أيضاً بالمشاركة؟** يجيب القديس كيرلس قائلاً: إن هذا الأمر الذي يصعب على مداركنا متصل بسر الاتحاد الأقنومي الوثيق جدًّا والسرِّي للغاية الذي تمَّ بين الكلمة والجسد. فنحن نؤمن أنه الله وأنه هو بعينه إنسان، أنه أزلي وأنه مولود في الزمن، أنه لا يموت وأنه قَبِلَ الموت. فلهذا السبب عينه نقول إنه قدوس بطبعه وإنه قدَّس جسده بالمشاركة(٢٢).

فكل ما هو مخلوق لا يكون مقدَّساً بطبعه، بل ينبغي أن ينال القداسة من الله. وهكذا أيضاً جسد المسيح، لم تكن له القداسة بطبعه بل كان

---

(21) PG 74, 548 B.

(22) PG 74, 548 D.

يُلاحَظ من مقارنة هذا القول بسابقه أن القديس كيرلس يستعمل لفظ القداسة كمرادف لقبول الروح القدس وعبارة: ''قدوس بطبعه'' كمرادفة لعبارة: ''يقتني الروح القدس جوهريًّا'' وعبارة: ''مقدَّس بالمشاركة'' كمرادف لعبارة: ''ينال الروح القدس بالمشاركة'' وذلك لأنه يعتبر القداسة هي الصفة الأقنومية للروح القدس كالأبوَّة للآب والبنوَّة للابن كما سنرى فيما بعد.

ينبغي أن ينالها من ذاك الذي هو قدوس بطبعه (أي من اللوغس = الكلمة)، فالكلمة الحال في الجسد قد منح جسده الخاص قوَّته التقديسية الطبيعية، وهكذا صار جسده مقدَّساً بل ومقدِّساً (بكسر الدال) أيضاً(٢٣).

وقد شهد الروح القدس عن ذلك لما حلَّ بهيئة حمامة على المسيح في يوم عماده. غير أن هذه لم تكن سوى إشارة خارجية لما كان قد تم قبل ذلك بكثير. فقد تقدَّس جسد المسيح (أي قَبِلَ الروحَ القدس) بفعل اتحاده بالكلمة منذ أول لحظة حُبِلَ به في بطن العذراء(٢٤).

٢ – حلول الروح القدس فينا بواسطة المسيح:

لم يقبل المسيح الروح القدس من أجل ذاته بل من أجلنا. فهو يقبله لكي يمنحه لكل واحد منا. والقديس كيرلس يعود مراراً كثيرة إلى تأكيد هذه الحقيقة(٢٥).

وهي في الواقع تطبيق خاص لنظرية آدم الجديد على موضوع قبول الروح القدس. فالنظرية العامة التي تعتبر المسيح هو آدم الثاني أصل الجنس البشري الجديد تعود إلى عصر بولس الرسول (انظر: رو ٥، ١كو ١٥) وهي تعتبر أن الجنس البشري كله قد قَبِلَ الحياة وأُخرج من العدم إلى الوجود في شخص آدم الأول. ثم بكسر الوصية الإلهية قد أُخضع كله للموت والفساد. ولكن في شخص آدم الثاني قد نال الجنس

---

(23) PG 74, 549 C.
(24) PG 74, 549 D.
(25) PG 73, 753 C; PG 74, 561 B, 564 B.

البشري بداية جديدة: فقد نال حياة جديدة واستعاد عدم الفساد. وقد شرح القديس كيرلس هذه الفكرة كالذين سبقوه في مواضع عديدة(٢٦).

غير أنه امتد بها وطبَّقها على موضوع قبول الروح القدس: فالجنس البشري كله قد تقدَّس (أي قَبِلَ الروح القدس) في شخص المسيح آدم الثاني بصفته أصل جنسنا الجديد وبدايته (أو مبدئه ἀρχή)، غير أن هذه القداسة الأصلية (المقابلة للخطية الأصلية) لا تكفي بل لابد من أن يُعطى الروح القدس بالفعل لكل واحد منَّا لكي يحيا كل كياننا الداخلي بحضرته الإلهية(٢٧).

والمسيح قَبْل قيامته لم يوصل إلى الآخرين الروح القدس الذي كان فيه «لأن الروح لم يكن قد أُعطي بعد لأن يسوع لم يكن قد مُجِّدَ بعد» (يو ٧: ٣٩). ولكنه حالما نقض أوجاع الموت واستعاد الحياة صار بالحقيقة هو رأس جنسنا الجديد وأصل الخليقة الجديدة. فالنبات لا يمكن أن ينبت قبل أن يتكوَّن أصله (أي جذره)(٢٨).

ولذلك لم يكن الآباء والأنبياء في العهد القديم قد قبلوا الروح القدس كما قبلناه نحن. لقد كانوا يتنبَّأون بفعل الروح ولكنه لم يكن يسكن فيهم بمثل ما يسكن فينا(٢٩).

لقد بدأ المسيح فور قيامته بمنح روحه القدوس(٣٠):

---

(26) PG 73, 756 B; PG 69, 29; PG 72, 408 D; PG 73, 205 D, PG 75, 853 A.
(27) PG 73, 1045 B, 1048 A sq.
(28) PG 73, 756 C.
(29) PG 73, 757 A; PG 69, 233 B sq.
(30) PG 73, 756 C; PG 71, 376 D; PG 74, 55 B 541 D.

فكما كان في الخلقة الأُولى حينما نفخ الله روح الحياة في وجه الإنسان الأوَّل، هكذا صار أيضاً في الخلقة الجديدة، فقد نفخ مخلِّصنا في وجه تلاميذه قائلاً لهم: «اقبلوا الروح القدس»(٣١).

إن الكنيسة كانت ستُبنَى على أساس الرسل ولذلك فمن الذي يليق بهم أن ينالوا الروح قبل غيرهم(٣٢).

ثم صارت رسالتهم الأساسية أن يكرزوا بالإنجيل ليهيِّئوا القلوب لقبول هذا الروح عينه. فلما قَبِلَ اليهود والأُمم الإيمان نالوا بواسطته التبرير وتقديس الروح(٣٣).

وهكذا ستظل القلوب تتغيَّر بفعل الروح القدس حتى نهاية العالم وذلك بواسطة المعمودية، لأن الموعوظ الذي يعتمد يتَّحد بالمسيح. وهذا لا يتم إلاَّ بالروح القدس لأن الابن لا يتَّحد بالبشر إلاَّ بواسطة روحه القدوس(٣٤).

فالمعمودية تجعلنا نقتني في داخلنا روح القداسة. فالروح القدس يسكن فينا بالحقيقة كما كان يسكن في آدم قبل المعصية، وسيظل ساكناً فينا ما دمنا لا نُخرجه عنَّا بواسطة خطايانا(٣٥).

---

(31) PG 73, 756 C; PG 69, 1100.

لقد قَبِلَ الرسل الروح القدس بالحقيقة لما نفخ الرب في وجوههم مساء أحد القيامة. وأما الألسنة النارية التي نزلت عليهم في يوم الخمسين فكانت استعلاناً علنياً للتقديس الذي كانوا قد نالوه من ذي قبل (PG 74, 717).

(32) PG 70, 640 B.

(٣٣) تفسير إشعياء ٣: ٢ PG 70, 640 B

(34) PG 74, 33 A.

(35) PG 74, 224 B sq.

إننا لم نصر فقط هياكل للنعمة(٣٦)، بل هياكل للروح القدس نفسه هياكل لله(٣٧)، فالروح القدس قد اتَّحد بنا بالحقيقة كما كان متَّحداً بآدم قبل المعصية. ليس هذا طبعاً اتحاداً أقنوميًّا كالذي تمَّ في المسيح (فخطأ نسطور أنه اعتبر المسيح إنساناً تقدَّس بالروح مثله مثل بقيَّة الأبرار). بل إن اتحادنا نحن بالروح هو حقًّا اتحاد وثيق جدًّا ومثمر جدًّا ولكنه اتحاد نسبي، وبالمشاركة(٣٨).

مفاعيل الروح القدس فينا:

- حينما يحل الروح القدس داخل نفوسنا فهو يطهِّرها أولاً، إنه النار التي تحرق كل زغل فيها(٣٩).
- وهو يقوِّيها ضد هجمات الشيطان وضد شهواتها الذاتية فهو المسحة χρῖσμα التي تقوِّينا(٤٠)
- وهو يساعدنا أن نتحرَّر من أباطيل هذا العالم ويوضِّح فينا رؤية الوطن السماوي(٤١).
- وهو يجعل ممارسة الفضيلة سهلة ومحبوبة لنفوسنا. وبذلك يجعل نفوسنا تثمر ثمراً كثيراً للخلاص. فهو ينبوع الماء الحي الذي يروي

(36) PG 75, 1089.

(37) PG 73, 757 B; PG 75, 605 A, 801 D.

(38) PG 75, 1293 CD; PG 76, 108 D, 304 408 C; PG 77, 112; PG 69, 1056.

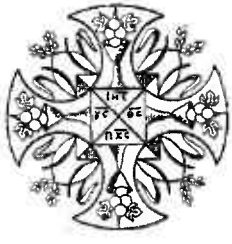
(39) PG 68, 821 B, 1009 A; PG 69, 1100 A; PG 70, 41B, 96 C; PG 72, 333 D sq, 389 A; PG 76, 880 B.

(40) PG 74, 572 B sq; PG 69, 1100 D sq.

(41) PG 74, 433 D.

نفوسنا لتثمر للحياة الأبدية(٤٢).

- إنه يجعل النفس التي يحل فيها تستعيد جمالها الأوَّل وقوَّتها الأُولى(٤٣).
- فهو الختم الإلهي الذي تُختم به النفس لتستعيد صورتها الإلهية الأولى(٤٤).
- وبذلك تتشكَّل النفس على صورة الآب والابن والروح القدس جميعاً لأن الروح القدس هو صورة الابن والابن هو صورة الآب(٤٥).



(42) PG 69, 640 D; PG 73, 297 AB; PG 74, 337 B, 433 A sq. 572 B.

(43) PG 70, 892 AB, 936 B, 1124 A; PG 71, 812; PG 72, 445 C; PG 73, 153 B, 205.

(44) PG 75, 609, 612, 1013; PG 76, 1089.

(45) PG 70, 936; PG 72, 673; PG 73, 205, 757.

عمل الروح القدس فينا
وعلاقته بالآب والابن

الروح القدس لا يحل فينا وحده ولكن الآب والابن معه دائماً(٤٦).

[إن تجديدنا الشامل هو عمل الثالوث المقدَّس كله ... وإن كان يبدو أحياناً أننا ننسب لأحد الأقانيم الثلاثة شيئاً ما مما يحدث لنا أو للخليقة، لكننا نؤمن بدون شك **أن كل شيء هو من الآب بالابن في الروح القدس.**](٤٧)

πάντα ἐστὶ παρὰ τοῦ Πατρὸς δι' Υἱοῦ ἐν Πνεύματι

فالروح القدس لا يعمل فينا شيئاً بمعزلٍ عن الآب والابن.

(أ) الروح القدس يربطنا بالآب والابن:

إنه الواسطة، "**الرباط الإلهي**" الذي به تتَّحد نفوسنا بالآب والابن:

- الروح القدس يسكن فينا وبواسطته نحن نقتني أيضاً الآب والابن(٤٨).
- [لقد كان المسيح يحل في الرسل بواسطة الروح القدس.](٤٩)
- [لا يمكن أن تكون لنا **شركة** مع الله إلا بالروح القدس.](٥٠)

---

(46) PG 73, 157 C; PG 74, 289 D, 872 AB; PG 75, 801 D - 804.
(47) PG 74, 333 D - 336 A.
(48) PG 73, 157 C.
(49) PG 74, 925 C.

فالروح القدس هو أساساً **روح الشركة**، فهو الذي يضطلع بإقامة الصلة بين الخليقة والخالق. هو الذي يتَّصل مباشرة بالخليقة ويوحِّدها **مع** الابن ثم من خلال الابن مع الآب.

- [المسيح يحل فينا بواسطة الروح القدس، ثم من خلال نفسه **هو** يوحِّدنا بأبيه في وحدة روحية.](٥١)

وهكذا يتحقَّق القصد النهائي من الخليقة كلها:

- [إن كل الأشياء تستعاد إلى الآب من الابن بواسطة **الروح** القدس.](٥٢)

(ب) الروح القدس يغيِّرنا إلى صورة الآب والابن:

١ - الروح القدس هو صورة الابن وبالتالي فهو يغيِّر الذين يحلُّ فيهم بالضرورة إلى صورة الابن:

+ [الروح القدس هو الصورة الكاملة لجوهر الابن.](٥٣)
+ [الروح هو صورة الابن الكاملة والطبيعية. فحينما تتجدَّد صورتنا بالقداسة بفعل هذا الروح فنحن في الواقع نتغيَّر إلى صورة الله، وهذا هو ما يقوله الرسول: «يا أولادي الذين أتمخَّض بكم أيضاً إلى أن يتصوَّر المسيح فيكم». فالمسيح يتصوَّر فينا بالروح القدس الذي يجدِّد شكلنا بحسب الله.](٥٤)

---

(50) PG 75, 1092.

(51) PG 74, 577 A.

(٥٢) قارن مع: ١كو ١٥: ٢٨ PG 74, 541 D

(53) PG 74, 541 C.

(54) PG 75, 1088 B sq.

+ [الابن يجعل الذين يقبلونه مشابهين له بواسطة الروح القدس.](٥٥)
+ [المسيح يجددنا على صورته الخاصة، بواسطة الروح القدس.](٥٦)

٢ - لكن الابن نفسه هو صورة الآب، ولذلك فالروح القدس يغيِّرنا أيضاً حتماً إلى صورة الآب:

+ [الروح القدس يجعل الذين يحل فيهم مشابهين لصورة الآب التي هي الابن.](٥٧)
+ [المسيح يتصوَّر فينا بفعل الروح القدس الذي يرسم في نفوسنا صورة إلهية في البر والقداسة. وبذلك ينطبع فينا رسم جوهر الله الآب (لأن المسيح هو رسم جوهر الآب كما ورد في عب ١: ٣)، بفعل الروح القدس الذي يوحِّدنا به بالقداسة.](٥٨)
+ [الذي يقبل الروح القدس الذي هو صورة الابن فهو يقبل به الابن، وبذلك أيضاً يقبل الآب الذي في الابن.](٥٩)

(ج) الروح القدس يمثِّل صفة القداسة في الثالوث:

إن الثالوث كلَّه قدوس بكل تأكيد(٦٠).

غير أن الروح القدس "هو بنوع ما صفة القداسة في الله"(٦١). فهو

---

(55) PG 73, 885 A.
(56) PG 75, 808 B.
(57) PG 74, 541 C.
(58) PG 70, 936 - 937.
(59) PG 75, 572 A.
(60) PG 75, 1120 A.
(61) PG 74, 292 D.

"القوَّة التقديسية التي تنبثق من عند الآب وتكمِّل الناقصين"(٦٢).

إن الثالوث كله حقًّا هو الذي يقدِّسنا، غير أنه يقدِّسنا بواسطة الروح القدس الذي هو بطبعه الجوهر التقديسي في الثالوث(٦٣).

فهو، إن جاز القول، صفة الله الآب، كما أن الحلاوة صفة العسل والرائحة الذكية صفة الزهرة(٦٤).

وجميع هذه التعبيرات تعود بنا في الواقع إلى المعيار الأساسي "من الآب بالابن في الروح القدس"؛ غير أنها تُبرز أيضاً بنوع خاص دور الروح القدس في تقديس الخليقة.

[إن لقب "القدس" الذي نلقِّب به "الروح القدس" لا يدل فقط على كرامة أو امتياز عرضي منسوب له كمثل ألقاب "الرؤساء والكراسي والسلاطين" التي نعطيها للأرواح المخلوقة، بل هو بالحري اسمه الخاص الدال على صفته الجوهرية كمثل اسم "الآب" للآب واسم "الابن" للابن.](٦٥)

فالقداسة (وبالتالي القوَّة التقديسية) هي الصفة الجوهرية للروح القدس كالأبوَّة للآب والبنوَّة للابن، غير أنه كما رأينا لا يباشرها بمعزل عن الآب والابن بل دائماً في شركة معهما.

---

(62) PG 75, 597 A.
(63) PG 74, 292 D, 452 D sq; PG 75, 596 CD - 597 A.
(64) PG 75, 596 A.
(65) PG 75, 1121 B.

شركاء الطبيعة الإلهية:

إن الصورة الإلهية التي يطبعها الروح القدس في أعماقنا تبلغ من العمق حتى تجعلنا بالحق «شركاء الطبيعة الإلهية» بحسب عبارة القديس بطرس[٦٦] (٢بط ١: ٤). فنحن نصير بالحق شركاء في الألوهية.

إننا طبعاً لا نكون آلهة بالطبيعة[٦٧]، ولا نتحوَّل إلى الطبيعة الإلهية[٦٨].

ولكننا على الرغم من ضعفاتنا ومن بشريتنا التي لا نفقدها[٦٩].

ننال بالحق شيئاً إلهيًّا يرفعنا فوق طبيعتنا الخاصة[٧٠].

وهذه الشركة في الألوهة Théosis كانت معتبرة في عصر الآباء حقيقة شائعة متَّفق عليها من الجميع، حتى أن القديس كيرلس الكبير (كالآباء الذين سبقوه أيضاً) يرتكز عليها ليثبت ألوهية الروح القدس: إذا كان الروح القدس يؤلِّهنا فهو الله بكل تأكيد[٧١].

لا يمكن أن يُعطَى النور بدون نور[٧٢].

ولا يمكن أن تشتعل نار بدون نار[٧٣].

---

(66) PG 74, 452-453; PG 68, 785; PG 69, 1056; PG 70, 1144; PG 71, 932; PG 75, 1089 sq; PG 76, 108, 248.

(67) PG 75, 200, 201; PG 73, 464; PG 69, 1205.

(68) PG 75, 200, 205.

(69) PG 76, 285.

(70) PG 75, 905.

(71) PG 73, 244; PG 74, 260; PG 75, 569, 585, 592, 609, 1097.

(72) PG 75, 592 D.

ولذلك أيضاً لا يمكن أن يعطينا الروح القدس شركة في الألوهة بدون أن يكون هو نفسه الله.

وبفعل هذه الشركة في الطبيعة الإلهية التي ننالها بالروح القدس نحن نصير أبناء الآب السماوي بالتبني وإخوة ليسوع المسيح(٧٤).

فإن كان المسيح قد دعانا إخوة له فليس ذلك فقط لأنه هو أخذ الذي لنا أي طبيعتنا البشرية، بل بالأكثر جدًّا، لأنه أعطانا الذي له، أي جعلنا شركاء في طبيعته الإلهية(٧٥).

ثم إن كنَّا إخوة ليسوع المسيح فنحن بالتالي أبناء الآب السماوي(٧٦).

وهكذا تصير شركة الطبيعة الإلهية التي نلناها بالروح القدس هي أساس أُخوَّتنا ليسوع المسيح وبنوَّتنا للآب السماوي.

هذه هي الكرامة العليا التي أدركت الإنسان المسيحي: أن يكون هيكلاً للروح القدس وأخاً ليسوع المسيح وابناً للآب السماوي!

وبهذا يمتاز على أبرار العهد القديم الذين لم ينالوا مثلنا روح التبني بل فقط «روح العبودية للخوف»(٧٧).

وكذلك يمتاز على الأنبياء الذين وإن كانوا يتنبَّأون بفعل الروح

---

(73) PG 75, 1085 B.

(74) PG 75, 525; PG 74, 753; PG 73, 153, 884; PG 69, 721; PG 76, 125A sq.

(75) PG 76, 125 A sqq.

(76) PG 73, 153 B sqq.

(77) PG 73, 156; PG 68, 488; PG 69, 233AB; PG 70, 17 C; PG 72, 617D sq.

القدس لكنهم لم يُدْعَوا قط مثلنا هياكل لروح الله(٧٨).

بل ويمتاز حتى على يوحنا المعمدان «أعظم مواليد النساء»، فإن الأصغر في ملكوت السموات أي الطفل الذي اعتمد حديثاً أعظم منه:

[كيف ينبغي أن نفهم قول المخلِّص: إن الأصغر في ملكوت السموات أعظم منه؟ ما هو ملكوت السموات؟

إنه عطية الروح القدس بحسب المكتوب «إن ملكوت السموات فيكم» وبالفعل الروح القدس يحل فينا بالإيمان.

أترون كيف يرفع المخلِّص فوق جميع مواليد النساء الأصغر في ملكوت السموات؟

ولكن لا يظن أحد أننا نريد أن نقلِّل من فضيلة يوحنا المعمدان، فإن حُسن سيرته لا يُجارى فقد بلغ منتهى حدود البر الممكنة للبشر. غير أنه كان يتوسَّل لدى المسيح قائلاً: أنا محتاج أن أعتمد منك وأنت تأتي إليَّ. أترون كيف أنه يطلب أن يتجدَّد بالروح القدس؟ أترون كيف أنه يعترف بامتياز أولئك الذين تجدَّدوا بالروح القدس؟ ولذلك قال المسيح إن الأصغر في ملكوت السموات أي الذي تعمَّد حديثاً و لم يمارس بعد أيَّة فضيلة هو أعظم منه لأن المعمدان كان مولوداً من المرأة **وأما المعتمد فهو مولود من الله وشريك في الطبيعة الإلهية. وهو يقتني الروح القدس ويُدعَى هيكلاً لله.**](٧٩)

(78) PG 73, 757 A.

(79) PG 73, 757.

هل يحل الروح القدس فينا بقوَّته فقط أم بجوهره؟

سنجد في أقوال القديس كيرلس الكبير الإجابة الواضحة لهذا السؤال. غير أننا نريد قبل أن نستعرض أقواله في هذا الصدد أن ننبِّه ذهن القارئ إلى ضرورة التمييز بين معنيين دقيقين مختلفين تماماً، هما **الحلول الجوهري والاتحاد الجوهري**.

فالحلول الجوهري معناه أن الروح القدس يحل فينا بجوهره الإلهي الخاص، وهذا المعنى سنرى القديس كيرلس يؤيِّده بحسب الآية القائلة: «أنتم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم».

أما عبارة "**الاتحاد الجوهري**" فهي جد خطيرة لأنها تفتح المجال للزعم بأننا نتحوَّل إلى جوهر الله أو نصير من جوهره. ولقد كان القديس كيرلس حريصاً جدًّا في عدم استخدام عبارة "**الاتحاد** الجوهري" (وما يماثلها) فيما يخص علاقتنا نحن بالله وحَصَرَ استخدامها فيما يخص:

١ - **اتحاد الابن بالآب**: فهو يدعوه "اتحاداً جوهريًّا وطبيعيًّا"(٨٠).

οὐσιώδη τε καὶ φυσικὴν τὴν ἕνωσιν

٢ - **اتحاد اللاهوت بالناسوت في شخص المسيح**: فقد كان شُغله الشاغل ضد نسطور أن يفرِّق تماماً بين **الاتحاد الأقنومي** الذي تمَّ

(80) PG 74, 561 D; PG 75, 1012 A.

في المسيح، وبين **الاتحاد بالمشاركة** الذي يتم فينا.

فهو يدعو الأول "اتحاداً بحسب الجوهر"(٨١) ἕνωσις κατ' οὐσίαν

- و"اتحاداً بحسب الطبيعة"(٨٢) ἕνωσις κατὰ φύσιν
- و"اتحاداً بحسب الأقنوم"(٨٣) ἕνωσις καθ' ὑπόστασιν
- و"اتحاداً طبيعيًّا."(٨٤) ἕνωσις φυσική

بينما يدعو الاتحاد العرضي بين النفس والروح القدس:

- "علاقة"(٨٥) σχέσις
- و"شركة"(٨٦) συνάφεια
- و"اتحاداً نسبيًّا"(٨٧) ἕνωσις σχετική
- و"مشاركة نسبيَّة"(٨٨) μέθεξις σχετική
- و"ارتباطاً نسبياً"(٨٩) κόλλησις σχετική.

وهكذا لم يستعمل قط عبارة "الاتحاد الجوهري" فيما يخص علاقتنا نحن بالله.

لذلك كان من اللازم قبل أن نقدِّم أقواله الخاصة بحلول الروح القدس فينا، أن ننبِّه ذهن القارئ إلى ضرورة التفرقة الواضحة بين "**الحلول**

---

(81) PG 76, 1453 B.
(82) PG 76 1220 B.
(83) PG 77, 120 C.
(84) PG 77, 120 C.
(85) PG 75, 1089 C, 1096 CD.
(86) PG 75, 1089 C, 597 C.
(87) PG 76, 408 C.
(88) PG 73, 1032 C; PG 77, 112 C.
(89) PG 74, 333 A; PG 69, 497 C.

الجوهري" و"**الاتحاد** الجوهري". فبينما رأينا القديس يمتنع تماماً عن استخدام العبارة الثانية فيما يخص علاقتنا بالله، سنراه في الأقوال القادمة **يؤكّد بإلحاح أن الروح القدس لا يعمل فينا فقط بقوّته بل يحل فينا أيضاً بجوهره الخاص.**

وجدير بالذكر أن القديس كيرلس لا يبتكر بذلك شيئاً جديداً، بل يتمسَّك بما قاله الآباء السابقون له. فمثلاً نجد لدى القديس غريغوريوس النزينزي قولاً صريحاً جدًّا بهذا المعنى:

[لم يعد الروح الآن يحل **بقوّته** فقط كما كان في القديم بل **جوهريًّا** – كما قد يُقال – هو يعايشنا ويسكن فينا.][٩٠]

وقد قام العالم بتافيوس Petavius في القرن السابع عشر بتجميع ودراسة جميع أقوال الآباء الخاصة بحلول الروح القدس فينا.

وقد أفرد لهذا الموضوع عدَّة فصول من كتابه عن الثالوث[٩١]. وقد خرج من هذه الدراسة لأقوال الآباء عن حلول الروح القدس فينا بالنتيجة التالية:

[إن الروح القدس لكي يقدِّسنا لا يعمل في نفوسنا بقوّته فقط بل يكون حاضراً بجوهره أيضاً حضوراً حقيقيًّا].

ويعلّق الأب Mahé اليسوعي[٩٢] على هذه الصيغة التي لخَّص بها

---

(٩٠) عظة ٤١ عن عيد الخمسين فقرة ١١: (PG 36, 444 C):

οὐκ ἔτι ἐνεργείᾳ πορὸν, ὡς πρότερον, οὐσιωδῶς δὲ,
ὡς ἂν εἴποι τις, συγγινόμενόν τε καὶ συμπολιτευόμενον.

(91) PETAVIUS, *De Trinitate* viii, 4-7; *Dogm. Theolog.* Éd. VIVÈS. t. III p. 453-495.

(92) MAHÉ, *op. cit.*, p. 473, n. 1.

العالم بتافيوس رأي الآباء فيما يخص حلول الروح القدس فينا قائلاً: "إن العقيدة التي تعبِّر عنها هذه الصيغة تعتبر عقيدة ثابتة يوافق عليها جميع اللاهوتيين الكاثوليك". ذلك لأنها شائعة في أقوال الآباء لدرجة يمتنع معها على أي لاهوتي يؤمن بالتقليد الكنسي أن يطعن فيها.

ويستطرد الأب Mahé قائلاً: "هذه هي النقطة الأساسية في لاهوت القديس كيرلس فيما يخص علاقتنا بالروح القدس. إنها هي الفكرة الرئيسية التي بدونها لا يمكن فهم شيء مما يقوله القديس كيرلس في هذا الموضوع".

ثم يعرض أقوال القديس بهذا الخصوص:

١ - [لكي يغتني أحد بحلول وسُكنى ذاك الذي بالحقيقة هو الله بطبيعته (يقصد المسيح)، لا يكفي أن يقبل روحاً مختلفاً عن الله أو ليس من جوهره (أي مجرَّد نعمة أو قوَّة)، **بل الروح نفسه الذي من الله والذي في الله أي روح الله الخاص** ἴδιον αὐτοῦ.][٩٣]

٢ - [فهذه القوَّة التقديسية بعينها، الصادرة بطبيعتها من عند الآب، والمانحة الكمال للناقصين، هي التي ندعوها الروح القدس. فمن النفاية، كما يظهر، أن نتصوَّر قوَّة أخرى متوسطة (يستخدمها الروح القدس) ليقدِّس بها الخليقة، إذ أنه ليس كثيراً على محبة الله أن تُظهر ذاتها للمتواضعين وتقدِّسهم بالروح القدس ... فالروح إذن يعمل فينا **بذاته** Αὐτουργὸν ἄρα τὸ Πνεῦμα ἐν ἡμῖν (بذاته أي ليس بمجرَّد نعمة أو قوَّة منه) ليقدِّسنا ويوحِّدنا بنفسه بالشركة معه

(93) PG 75, 1093 A.

ويجعلنا شركاء الطبيعة الإلهية.][٩٤]

٣ - ويقول في تفسيره لإنجيل القديس يوحنا بخصوص الآية ١: ١٣: «الذين وُلِدُوا ليس من دم ... بل من الله»:

[لقد صرنا شركاء الطبيعة الإلهية، ودُعينا مولودين من الله، ولذلك أيضاً نسمَّى آلهة. **إننا لم نرتقِ إلى هذا المجد الفائق لنا بمجرَّد نعمة (من الله)، بل لأننا منذ الآنَ نقتني الله أيضاً حالاً وساكناً فينا،** فنحن هياكل الله، كما يقول القديس بولس، لأن لنا روح الله ساكناً فينا.][٩٥]

οὐ χάριτι μόνον εἰς τὴν ὑπὲρ ἡμᾶς ἀνιπτάμενοι δόξαν

٤ - أما بخصوص الآية ٧: ٣٩: «لأن الروح لم يكن قد أُعطيَ بعد لأن يسوع لم يكن قد مُجِّد بعد»، فيقول:

[لقد كان في الأنبياء القديسين استنارة شديدة وغنية من الروح تعلِّمهم كشف المستقبل ومعرفة الخفيات. أما الذين يؤمنون بالمسيح **فلا تسكن فيهم فقط استنارة سخية من الروح، بل نؤكِّد بثقة أن الروح نفسه هو الذي يحل ويسكن فيهم** ἀλλ' αὐτὸ κατοικεῖν τὸ Πνεῦμα.][٩٦]

٥ - [**الروح القدس لا يرسم فينا الصورة الإلهية كأنها مختلفة عن جوهره الخاص،** كما يفعل الرسَّام الذي يرسم صورة تختلف عن ذاته، ليس بهذه الطريقة يجعلنا الروح على صورة الله. بل بالحري لأنه هو نفسه

(94) PG 75, 597 AC.
(95) PG 73, 157 B.
(96) PG 73, 757 AB.

الله ومنبثق من الله، فهو **يطبع ذاته** بطريقة غير منظورة في قلوب الذين يقبلونه كمثل ما يُطبع الختم على الشمع.][٩٧]

٦ - ويقول في الحوار السابع من كتابه في الثالوث:

[(أ) إذن فأنت تدَّعي أن الروح القدس لا ينطبع فينا بل فقط النعمة التي يمنحها؟

(ب) يبدو كذلك.

(أ) فكان ينبغي إذن أن يُدعَى الإنسان صورة للنعمة بدلاً من أن يُدعَى صورة لله. ولكن الحقيقة أن نفوسنا لا تتجدَّد إلاَّ بقبول صورة الله.

(ب) بدون شك.

(أ) **ثم إذا كانت النعمة التي يمنحها الروح القدس هي شيء منفصل عن جوهره**، فلماذا لم يقل موسى بوضوح إن الخالق عندما خلق الإنسان الأول قد نفخ فيه "النعمة"؟ **ولماذا لم يقل المسيح: "اقبلوا النعمة بفعل الروح القدس؟"**.

لكن موسى يقول: «نسمة حياة»، لأن الطبيعة الإلهية هي الحياة الحقيقية التي بها نحيا ونتحرَّك ونوجَد، والمخلِّص قال: «اقبلوا الروح القدس» ... والروح القدس هو الذي يشكِّلنا من جديد على صورة الله **ليس كما من نعمة يستخدمها** οὐχ ὡς διὰ χάριτος ὑπουργικῆς **بل بإعطاء ذاته هو نفسه** للذين يستحقونه كشركة في الطبيعة الإلهية.

(ب) ليس لي شيء أُعارض به.

---

(97) PG 75, 609 D.

(أ) بل إننا مدعوون هياكل الله وآلهة، ونحن بالفعل كذلك. كيف يكون ذلك، ليُجبْ الذين يقاومونا، كيف يكون ذلك **إذا كنَّا لم نشترك بالحقيقة سوى في نعمة مجرَّدة وغير أقنومية؟** εἴπερ ἐσμὲν ἀληθῶς ψιλῆς καὶ ἀνυποστάτου χάριτος μέτοχοι ولكن ليس الأمر كذلك. بل نحن هياكل للروح **الكائن بجوهره** حقًّا، ونحن نُدعَى آلهة بسببه لأننا باتحادنا به نشترك في الطبيعة الإلهية.][٩٨]

وهناك أقوال أخرى عديدة بهذا المعنى وكلها تدلنا بوضوح أن القديس كيرلس يرى أن الروح القدس يحل فينا بجوهره الخاص وليس فقط بمجرَّد نعمة أو قوَّة منه[٩٩].

لقد اقتصرنا في هذا المقال على دراسة أقوال القديس كيرلس دون غيره من الآباء. ولكن لا ينبغي أن يُظن من ذلك أن رأيه منفرد في وسط الآباء، فهذا يتنافى مع إحدى الصفات الأساسية لطبيعة القديس كيرلس وهي محبته الشديدة للتقليد. فقد أشرنا في بداية المقال أن أفكاره تعكس لنا تعاليم القديسين أثناسيوس وباسيليوس وغريغوريوس النزينزي، غير أنه صاغها صياغة جديدة وصبغها بعبقريته الروحية.

---

(98) PG 75, 1088 B sq.

(99) PG 69, 233 B sq; PG 74, 260 ABC, 261 D sq; PG 75, 801 B, etc ...

الروح القدس روح الوحدة
في التقليد الكنسي
حتى عصر القديس كيرلس الكبير

أعد هذه المقالة وترجم نصوصها من الفرنسية واليونانية أحد الآباء بالدير وراجعها الأب متى المسكين مايو ١٩٨٠م.

العناصر

تقديم ٣٦٦

أولاً: في الكتاب المقدَّس: في العهد القديم ٣٦٨

في العهد الجديد ٣٧٢

في أعمال الرسل..... ٣٧٢

عند بولس الرسول ٣٧٣

عند يوحنا اللاهوتي ٣٧٦

ثانياً: عند الآباء السابقين للقديس كيرلس ٣٨١

١ – القديس إغناطيوس

٢ – القديس إيرينيئوس

٣ – القديس كبريانوس

٤ – القديس أمبروسيوس

٥ – القديس باسيليوس الكبير

٦ – القديس غريغوريوس النزينزي

٧ – القديس غريغوريوس النيسي

٨ – القديس يوحنا ذهبي الفم

٩ – القديس كيرلس الأورشليمي

١٠ – القديس أثناسيوس الرسولي

ثالثاً: في لاهوت القديس كيرلس ٣٩٩

١ – دور الروح القدس في اتحادنا بالله ٤٠١

٢ – دور الروح القدس في اتحادنا بعضنا ببعض ٤١٢

خاتمة: الروح القدس ومبدأ التنوُّع في الوحدة ٤٢٥

تقديم

[الروح القدس يجمع ويوحِّد.

إذا لم تخضع النفس للروح القدس، يستحيل أن تنجمع وتتحد بنفس أخرى ... الإنسان في الروح القدس يتنازل عن فرديته، وينجمع بالآخرين بفعل المحبة - والمحبة دائماً تنسكب من الروح القدس في القلب المفتوح للآخرين.

يستحيل أن يتقابل إنسانان في الروح القدس على سبيل الاتحاد، إلا إن كان فيهما واحد على الأقل قد أخلى نفسه! والإخلاء بالنهاية هو حالة ملء بالروح القدس.][1]

لقد وُلِدَت الكنيسة من الروح القدس في يوم الخمسين لما كان الجميع معاً ὁμοθυμαδόν ἐπὶ τὸ αὐτό بنفس واحدة؛ ومنذ ذلك الحين، لم يكفّ الروح القدس في الكنيسة عن السعي المستمر للمحافظة على وحدة جميع الأعضاء داخل الجسد الواحد.

فالروح القدس هو الذي يكوِّن جسد المسيح السرِّي ويوحِّده[2].

---

(١) من كتاب "الباراكليت" للأب متى المسكين ص ٧٩-٨٠ و٨٤، حيث يقول أيضاً: [الروح القدس هو الذي يوحِّد الأفكار فلا سبيل إلى تقابل الناس جميعاً في المسيح الواحد الحقيقي إلاّ إذا تقابل الناس بالروح أولاً على صعيد المحبة ... الروح القدس أملنا الوحيد لتجميع القلوب في شخص يسوع.]

(٢) وفي ذلك أيضاً يقول الأب متى المسكين في كتاب "العنصرة": [الروح القدس يوحِّد البشرية كلها في جسم واحد فيزيل جميع الفوارق الجنسية ويرفع الحواجز العنصرية فتذوب كلها وتصير البشرية كأنها عُجنَت من جديد عجينة واحدة متجانسة، وذلك بفعل الاتحاد في جسد المسيح السرِّي.] (صفحة ٣٨)

ولقد وعت الكنيسة منذ عصر الرسل دور الروح القدس الأساسي في نشأتها، ثم في المحافظة على وحدتها كجسد سرِّي واحد للمسيح. ولقد توالى آباء الكنيسة من بعد الرسل في استيعاب هذه الحقيقة وشرحها للمؤمنين والسلوك بمقتضاها.

وفي هذه المقالة سنستعرض دور الروح القدس في توحيد الجسد الإلهي، كما جاء أولاً في الكتاب المقدَّس، ثم عند آباء الكنيسة السابقين للقديس كيرلس الكبير، وأخيراً نستعرض نفس هذا الموضوع في كتابات القديس كيرلس الكبير.

وأيضاً: [الاتحاد بالكنيسة يعني بلا شك الإتحاد بالجسد الإلهي... لا يمكن الاتحاد بالجسد الإلهي إلا بتوسط الروح القدس... إذن فمجيء الروح القدس أمر لازم لاتحادنا بالكنيسة] (ص ١٩)

أولاً: في الكتاب المقدَّس

في العهد القديم

+ «**هوذا ما أحسن وما أحلى أن يسكن الإخوة معاً مثل الدُّهن الطَّيِّب على الرأس النازل على اللحية ...**» (مز ١٣٣: ١-٢)

هذه أول إشارة جاءت في العهد القديم عن العلاقة بين الروح القدس ووحدة الجماعة وتوافقها. فالروح القدس ينسكب بلا مانع على الجماعة المتآلفة بنفس واحدة - كما سنرى في يوم الخمسين (أع ٢: ١)، ولكنه يحزن وينحبس حينما تنشب الخصومات - كما سنرى في (أف ٤: ٣٠-٣١). وأفضل تعليق يمكننا أن نقدِّمه على هذا المزمور هو تفسيره بواسطة القديس أثناسيوس الرسولي:

[«هوذا ما أحسن وما أحلى ... كالطيب الكائن على الرأس النازل على اللحية». إنه يقصد بذلك أنه **حينما تلتئم الكنيسة وتصير واحدة بنوعٍ من التوافق، فحينئذ، وبالتحديد، تنسكب مسحة الروح القدس** والكهنوت، أولاً على رأس الكنيسة الذي هو المسيح، ثم على اللحية التي هي وقار وجه الكنيسة إشارة إلى الرسل، وأخيراً تصل إلى كل الجسد أي إلى كل الذين يندمجون بالمسيح داخل الكنيسة.

«لأن هناك أَمَرَ الرب بالبركة والحياة إلى الأبد». بقوله: «هناك» واضح أنه يعني عند «الإخوة الذين يسكنون معاً»،

«والحياة» التي يعنيها ليست الفانية بل الخالدة، لأن ندى الروح القدس المحيي قد انحدر على (علية) صهيون على الرسل القديسين وبه قد ربح جميع المؤمنين البركة الأبدية إذ كان لهم «**قلب واحد ونفس واحدة**» (أع ٤: ٣٢).][٣]

وجدير بنا أن نورد هنا أيضاً تعليق الكنيسة على هذا المزمور في تسبحة باكر لأنه من أبهج ما يمكن:

[ها ما هو أحسن وما هو أحلى من مسرَّة الإخوة الساكنين معاً **المتوافقين في سيمفونية** Ετερςτιφωνιν بمحبة حقيقية إنجيلية مثل الرسل، مثل الطيب على رأس المسيح النازل على اللحية إلى أسفل القدمين، يمسح كل يوم الشيوخ والصبيان والفتيان والخُدَّام، هؤلاء الذين **آلفهم الروح القدس معاً مثل قيثارة**، مسبِّحين الله بمزامير وتسابيح وأغاني روحية في النهار والليل بقلب لا يسكت].

فهذا التوافق الذي يشبه التوافق الموسيقي (لاحظ عبارة متوافقين في سيمفونية ... وآلفهم الروح القدس مثل القيثارة) هو من صميم عمل الروح القدس في الجماعة المتحدة المتحابة.

في نبوَّة إشعياء:

+ «ويخرج قضيب من جزع يسَّى ... ويحل عليه **روح الرب**، روح الحكمة والفهم، روح المشورة والقوَّة، روح المعرفة ومخافة الرب ...

فيسكن الذئب مع الخروف، ويربض النمر مع الجدي ... ويجمع منفيِّي **إسرائيل**، ويضم مشتَّتي **يهوذا** ... فيزول حسد أفرايم

---

(٣) مكتبة الآباء اليونان (المطبوعة في اليونان) جزء ٣٢ صفحة ٢٨٦.

(إسرائيل)، وينقرض المضايقون من **يهوذا. أفرايم لا يحسد يهوذا، ويهوذا لا يضايق أفرايم.**» (إش ١١: ١-١٣)

في نبوَّة حزقيال:

+ «فقال لي تنبَّأ ... هكذا قال السيد الرب لهذه العظام: هاأنذا **أُدخل فيكم روحاً** فتحيون ... فتنبَّأتُ كما أُمرتُ. وبينما أنا أتنبَّأ كان صوت، **وإذا رعشٌ، فتقارَبَت العظام كَل عظم إلى عظمه.**» (حز ٣٧: ٤-٧)

يظهر هنا أن أول مفعول للروح في العظام اليابسة هو أن يصير فيها رعش، فتتقارب كل عظمة إلى عظمها. ثم إن هذا التقارب بعينه يشجِّع الروح لأن يعمل فيها أكثر:

+ «فقال لي تنبَّأ للروح يا ابن آدم وقُل للروح: هكذا قال السيد الرب هلم يا روح من الرياح الأربع وهبّ على هؤلاء القتلى ليحيوا. فتنبَّأتُ كما أمرني فدخل فيهم الروح، فحيوا وقاموا على أقدامهم، جيش عظيم جدًّا جدًّا.» (حز ٣٧: ٩-١٠)

هذه النبوَّة الصريحة عن دور الروح القدس في القيامة لا تقلُّ في وضوحها عن أقوى ما سيقوله بولس الرسول فيما بعد في هذا الموضوع:

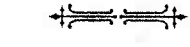
+ «وإن كان روح الذي أقام يسوع من الأموات ساكناً فيكم، فالذي أقام المسيح من الأموات سيحيي أجسادكم المائتة أيضاً بروحه الساكن فيكم.» (رو ٨: ١١)

غير أن الإلهام النبوي لا يقف عند هذا الحد بل يكشف أيضاً أن أهم نتيجة للقيامة الروحية التي تتم بحلول الروح القدس، إنما هي أن يصير الجميع واحداً، إذ أن الرب أَمَر النبي في نفس الأصحاح بأخذ عصوين:

+ «واقرنهما الواحدة بالأخرى كعصاً واحدة، فتصيرا واحدةً في يدك ... فقُل لهم هكذا قال السيد الرب: هأنذا آخذ عصا يوسف ... وأضمُّ إليها عصا يهوذا، وأجعلهم عصاً واحدةً فيصيرون واحدةً في يدي ... وأُصيِّرهم أُمةً واحدةً ... ومَلِكٌ واحدٌ يكون ملكاً عليهم كلهم، ولا يكونون بعد أُمتين ولا ينقسمون بعد إلى مملكتين ... ويكون لجميعهم راعٍ واحدٌ.» (حز ٣٧: ١٧-٢٤)

وبهذا يبلغ الإلهام النبوي ذروته بإعلان الوحدة العتيدة أن تصير في الشعب إذا ما انسكب الروح عليهم بمثل ما انسكب على العظام اليابسة. على أن ما يجذب الانتباه في هذه النبوَّة هو تقارب تعبيراتها مع ما سيأتي في العهد الجديد.

فاقتران العصوين الواحدة بالأخرى حتى تصير كعصاً واحدة، هو تعبير تصويري يساوي تماماً قول بولس الرسول: «جعل الاثنين واحداً». ثم لا نستطيع أن نسمع قول حزقيال: «ويكون لجميعهم راعٍ واحدٌ» دون أن نتمثل الرب يسوع قائلاً: «أنا هو الراعي الصالح ... وتكون رعية واحدة وراعٍ واحد.» (يو ١٠: ١١ و١٦)



في العهد الجديد

في أعمال الرسل:

بينما كان الرسل في علية صهيون ينتظرون حلول الروح القدس كوعد الرب كانوا جميعاً يصلّون بنفس واحدة:

+ «هؤلاء كلهم كانوا يواظبون على الصلاة **بنفس واحدة** ὁμοθυμαδόν.» (أع ١: ١٤)

+ «ولما حضر يوم الخمسين **كان الجميع معاً بنفس واحدة**.» (أع ٢: ١)
ἦσαν ἅπαντες ὁμοθυμαδὸν ἐπὶ τὸ αὐτό

من هذا يظهر أن وحدة التلاميذ **معاً بنفس واحدة** في جو من الصلاة، كانت أنسب وضع استقبلت به الكنيسة ميلادها الجديد بفعل الروح القدس.

ثم نقرأ في بقية أعمال الرسل كيف أن الروح القدس بعد الخمسين قد زكّى هذه الوحدة الروحية وضمَّ إليها جميع الذين آمنوا:

+ «وجميع الذين آمنوا **كانوا معاً** ἐπὶ τὸ αὐτό وكان عندهم كل شيء مشتركاً ... وكانوا كل يوم يواظبون في الهيكل **بنفسٍ واحدة** ὁμοθυμαδόν.» (أع ٢: ٤٤، ٤٦)

+ «فلما سمعوا، رفعوا **بنفسٍ واحدة** ὁμοθυμαδόν صوتاً إلى الله» (أع ٤: ٢٤)

+ «وكان لجمهور الذين آمنوا **قلب واحد ونفس واحدة** καρδία καὶ ψυχὴ μία و لم يكن أحد يقول إن شيئاً من أمواله له، بل كان

عندهم كل شيء مشتركاً.» (أع ٤: ٣٢)

+ «وكان الجميع **بنفسٍ واحدة** ὁμοθυμαδόν في رواق سليمان.» (أع ٥: ١٢)

وهكذا نرى أن عبارة «بنفسٍ واحدة ὁμοθυμαδόν» تكاد تكون أكثر عبارة مميِّزة لسفر أعمال الرسل، حتى أن قرار الرسل في أول مجمع كنسي في أورشليم كان «بنفسٍ واحدة» بفعل الروح القدس:

+ «رأينا وقد صرنا **بنفسٍ واحدة** ὁμοθυμαδόν ... لأنه قد رأى **الروح القدس** ونحن.» (أع ١٥: ٢٥ و٢٨)

في رسائل بولس الرسول:

+ «**جميعنا بروح واحد أيضاً اعتمدنا إلى جسد واحد، يهوداً كنا أم يونانيين، عبيداً أم أحراراً، وجميعنا سُقينا روحاً واحداً.**» (١كو ١٢: ١٣)

هنا يصف بولس الرسول بكل دقة ما قد حدث في يوم الخمسين وما يحدث كل يوم بالمعمودية. ففي يوم الخمسين قد ضم الروح القدس اليهود مع الدخلاء من أكثر من أربع عشرة أمة مذكورة بأسمائها في سفر الأعمال (أع ٢: ٩-١١)، وحوَّلهم جميعاً «إلى جسد واحد» في المسيح. ثم يبيِّن أيضاً أن نفس هذا الشيء يحدث كل يوم بالمعمودية «وجميعنا بروح واحد **اعتمدنا** إلى جسد واحد».

فالروح القدس يعمل كل يوم في المعمودية لضم أعضاء جدد لجسد المسيح. فسواء كان في يوم الخمسين أو كل يوم في المعمودية، يظهر من الآية أن الروح القدس هو المسئول الأساسي عن تكوين جسد المسيح

السرِّي وتوحيد جميع الأعضاء الداخلين فيه.

روح الشركة:

+ «**وشركة الروح القدس** مع جميعكم.» (٢كو ١٣: ١٤)
+ «**إن كانت شركة ما في الروح.**» (في ٢: ١)
+ «**وصاروا شركاء الروح القدس.**» (عب ٦: ٤)

يظهر من هذه الآيات أن الروح القدس هو المسئول الأول والأساسي عن إقامة الشركة سواء كانت بين الإنسان والله، أو بين الناس وبعضهم البعض. ولذلك سنجد الآباء مثل أمبروسيوس وأثناسيوس وكيرلس يكرِّرون بلا ملل أن الروح القدس هو الذي يحقِّق فينا «شركة الطبيعة الإلهية» (٢بط ١: ٤) وشركتنا بعضنا مع البعض.

+ «فأنواع مواهب موجودة، ولكن **الروح واحد** ... فإنه لواحد يُعطَى بالروح كلام حكمة، ولآخر كلام عِلْم بحسب **الروح الواحد**، ولآخر إيمان **بالروح الواحد** ...، ولآخر مواهب شفاء **بالروح الواحد** ...، ولكن هذه كلها يعملها **الروح الواحد** بعينه، قاسماً لكل واحد بمفرده كما يشاء.» (١كو ١٢: ٤-١١)

هنا يكشف بولس الرسول صفة أساسية للروح القدس، وهي قدرته على أن يوزِّع نفسه على الكثيرين بدون أن ينقسم هو، وقدرته على التنوُّع في الكثيرين بمواهب متعدِّدة بدون أن يفقد وحدته الجوهرية الأساسية. وبسبب هذه القدرة على أن يوزِّع نفسه على الكثيرين بدون أن ينقسم، يستطيع الروح أن يجعل الكثيرين الذين يقبلونه واحداً فيه. وسنجد في بقية هذا البحث بعض الآباء مثل أمبروسيوس وباسيليوس وكيرلس الكبير يشرحون بتفصيل هذه الصفة الأساسية للروح القدس،

أي قدرته أن يتوزَّع على الكثيرين بدون أن ينقسم، بل إنهم يؤكِّدون على العكس أنه هو الذي بسبب عدم قابليته للانقسام يجعل الكثيرين واحداً فيه.

+ «الذي فيه أنتم أيضاً **مبنيون معاً، مسكناً لله في الروح.**»
(أف ٢: ٢٢) συνοικοδομεῖσθε ... ἐν Πνεύματι
إننا مبنيون معاً «في الروح»، وليس فقط «بالروح».

فليس الروح هو فقط الذي يبني هيكلنا الجديد - الكنيسة - بل هو أيضاً الوسط الإلهي الذي يكون بناؤنا الجديد مغموراً فيه بنوع ما، بصفة مستمرة «مبنيون معاً **في الروح**».

وبذلك يصير الروح هو الذي يوصِّل البناء كله بعضه ببعضه حتى تصير الكنيسة بصفتها أورشليم الجديدة «مبنية كمدينة متصلة بعضها ببعض» (مز ١٢١: ٣ بحسب السبعينية)، أي تصير كلها متجانسة ومتصلة «ذهب نقي شبه زجاج نقي» (رؤ ٢١: ١٨)، وذلك لأن طبيعة خلقتنا الجديدة هي أن تكون باستمرار مغمورة «في الروح». «وأما أنتم فلستم في الجسد بل **في الروح.**» (رو ٨: ٩)

+ «**لا تُحزِنوا روح الله القدوس ... ليُرفع من بينكم كل مرارة وسخط وغضب وصياح ...**» (أف ٤: ٣٠ و٣١)

يُظهِر هنا بولس الرسول أن أهم ما يُحزن الروح القدس هو العداوة والغضب والسخط، وواضحٌ بالتالي أن عكس ذلك هو الذي يفرِّح الروح، لذلك يستطرد قائلاً: «كونوا لطفاء بعضكم نحو بعض (مفهوم ضمناً لكي يفرح الروح) شفوقين، متسامحين ...».

والسبب في أن العداوة هي أهم ما يُحزن الروح، هو أنها بالأساس مخالفة لطبيعة الروح الروحانية. فالعداوة في عُرف الإنجيل «جسدانية» وأعمال العداوة تُعتبَر من «أعمال الجسد»، «وأعمال الجسد ظاهرة، التي هي ... عداوة، خصام، غيرة، سخط، تحزُّب، شقاق، بدعة، حَسَد ...» (غل ٥: ٢٠، ٢١). ولذلك فالذين يُمارسون مثل هذه لا يكونون «روحيين» بل «جسديين» (انظر: ١كو ٣: ١-٤)

+ «إن كنا نعيش بالروح، فلنسلك أيضاً بحسب الروح. لا نكن معجبين نُغاضب بعضنا بعضاً، ونحسد بعضنا بعضاً.» (غل ٥: ٢٥، ٢٦)
+ «مجتهدين أن تحفظوا **وحدانية الروح** برباط السلام. جسد واحد **وروح واحد**.» (أف ٤: ٣-٤)
+ «حتى... أسمع أموركم أنكم تثبتون **في روح واحد**، مجاهدين معاً **بنفسٍ واحدة**.» (في ١: ٢٧)

في كتابات يوحنا الرسول:

إن كان بولس الرسول قد أثبت أن الروح القدس هو **روح الشركة** فالقديس يوحنا الرسول يُظهِر حدود هذه الشركة. إنها شركة بيننا وبين الله ثم أيضاً شركتنا بعضنا مع بعض:

+ «فلنا شركة بعضنا مع بعض.» (١يو ١: ٧)
+ «نخبركم به، لكي يكون لكم أيضاً شركة معنا. وأما شركتنا نحن فهي مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح.» (١يو ١: ٣)

والروح القدس هو المسئول الأساسي عن إقامة هذه الشركة بنوعيها:

+ «بهذا نعرف أننا نثبت فيه وهو فينا أنه قد أعطانا من روحه.» (١يو ٤: ١٣)

ملحق: عن تلازم مفهومي الكنيسة والروح القدس في كتابات يوحنا الرسول:

نستطيع أن نتتبَّع في كتابات يوحنا الرسول تلازم مفهومي الكنيسة والروح القدس في عدَّة مناسبات، ليس على مستوى التصريح الواضح بل على مستوى التلميح السرِّي، كما هي العادة في جميع كتابات القديس يوحنا، ولهذا السبب نعته التقليد بـ"اللاهوتي" بسبب عمق الأسرار التي يشير إليها في سر والتي لا تظهر لأول وهلة عند القراءة السطحية.

ونستطيع أن نتلمَّس تلازم هذين المفهومين (الكنيسة والروح القدس) على الأقل في أربعة مواضع:

١ - في موت المسيح على الصليب.

٢ - في خروج الماء والدم من جنبه.

٣ - في نفخة الروح القدس بعد القيامة.

٤ - في سفر الرؤيا «الروح والعروس يقولان تعالَ».

وسنجد في هذه المواضع إشارات تزيد وضوحاً أو تقل عن تلازم مفهومي الروح القدس والكنيسة في فكر يوحنا اللاهوتي، ولكن من كثرة تكرار هذه الإشارات سنخرج بيقين أننا نجد عنده بلا شك البذور الأولى للمبدأ الذي بلوَرَهُ القديس إيرينيئوس فيما بعد قائلاً: « حيثما وُجدت الكنيسة وُجد الروح القدس، وحيثما وُجد الروح القدس وُجدت الكنيسة.»(٤)

---

(٤) ضد الهرطقات ٣: ٢٤.

وجدير بالذكر أن إيرينيئوس قد استقى كل معرفته الروحية من بوليكاربوس الشهيد الذي كان تلميذاً مباشراً للقديس يوحنا(٥).

١ – في موت المسيح على الصليب: يُظهر الرسول يوحنا أن موت المسيح على الصليب هو الذي كان يتوقّف عليه انسكاب عطية الروح القدس «لأن الروح القدس لم يكن قد أُعطي بعد، لأن يسوع لم يكن قد مُجِّد (أي صُلب) بعد» (يو ٧: ٣٩). وصَلْب الرب هو في نفس الوقت الذي تتم فيه وحدة الجميع في المسيح، فقد مات الرب «ليجمع أبناء الله المتفرِّقين إلى واحد» (يو ١١: ٥٢)، وقد قال هو نفسه: «أجذب إليَّ الجميع ... مشيراً إلى أيَّة ميتة كان مزمعاً أن يموت.» (يو ١٢: ٣٢ و٣٣)

فالصليب إذن هو الذي بسببه يُعطَى الروح القدس، وهو الذي بسببه يتحد الجميع. أليس في هذا إشارة ضمنية إلى أن وحدة الجميع مرتبطة بمجيء الروح القدس؟

٢ – في خروج الماء والدم من جنب المسيح: يعطي يوحنا أهمية كبرى لهذا الحادث الذي لم يهتم بقية الإنجيليين ولا حتى بذكره. «وللوقت خرج دم وماء. والذي عاين شهد، وشهادته حق، وهو يعلم أنه يقول الحق لتؤمنوا أنتم» (يو ١٩: ٣٤–٣٥). ثم يعود في رسالته الأُولى إلى تأكيد أهمية هذا الحادث: «هذا هو الذي أتى بماء ودم، يسوع المسيح. لا بالماء فقط بل بالماء والدم. والروح هو الذي يشهد... الذين يشهدون

---

(٥) لقد كان إيرينيئوس يفخر بأنه يستطيع أن يصف الموضع الذي كان يجلس فيه بوليكاربوس الشهيد وكيف كان يحدِّثهم عن علاقته بيوحنا وبقية الرسل (انظر: **التاريخ الكنسي** ليوسابيوس القيصري ٥: ٢٠: ٦ و٧).

في الأرض هم ثلاثة: الروح والماء والدم.» (١يو ٥: ٦-٨)

ويتضح من هذا التركيز على هذا الحادث أن له أهمية لاهوتية أساسية في فكر القديس يوحنا. ويظهر من تلازم الروح مع الماء والدم أنه يرى خروج الروح القدس مع الماء والدم من جنب المسيح المطعون. وقد اعتبر كثير من الآباء أن القديس يوحنا يريد أن يشير بذلك إلى خروج أسرار الكنيسة أي المعمودية (الماء) والإفخارستيا (الدم)، وبالتالي إلى خروج الكنيسة نفسها بصفتها حواء الجديدة، من جنب المسيح المائت كما خرجت حواء الأُولى من جنب آدم النائم (أغسطينوس وكيرلس الأورشليمي وذهبي الفم وغيرهم حسب تحقيق العالِم Lagrange).

والشيء الذي يهمنا أن نلاحظه في ذلك هو أن يوحنا يقرن الروح بالماء والدم، وبالتالي يقرن مفهوم الروح القدس بمفهوم الكنيسة الممثّلة في أسرارها (الماء والدم)، كحقيقة واحدة متصلة.

٣ - في نفخة الروح القدس بعد القيامة: يظهر يوحنا بوضوح أن المسيح لما نفخ الروح على التلاميذ قد بدأ بذلك تأسيس الكنيسة، فقد أعطاهم مع الروح القدس سلطان الحل والربط: «مَنْ غفرتم خطاياه تُغفر له ومَنْ أمسكتم خطاياه أُمسكَت»، وسلطان الكرازة: «كما أرسلني الآب أُرسلكم أنا». ومن هذا يظهر بوضوح أن بداية تأسيس الكنيسة كانت ملازمة لبداية قبولها الروح القدس.

٤ - في سفر الرؤيا: الروح القدس والكنيسة متلازمان:

+ «والروح والعروس يقولان تعال.» (رؤ ٢٢: ١٧)

- ثم إن كلاً من الروح القدس والكنيسة يمكن أن يوصف بالكثرة وبالوحدة في نفس الوقت: «يوحنا، إلى **السبع الكنائس** التي في آسيا:

نعمة لكم وسلام من الكائن الذي كان والذي يأتي، ومن **السبعة الأرواح** التي أمام عرشه، ومن يسوع المسيح» (رؤ ١: ٤-٥). ثم يعود ويذكر كلاً منهما في حالة المفرد: «والروح والعروس يقولان تعالَ.» (رؤ ٢٢: ١٧)

وبهذا يشير إلى أن الكنيسة تشترك مع الروح القدس في قدرته على أن يتوزَّع بدون أن ينقسم، فكما أن الروح يستطيع أن يتوزَّع على الكثيرين (سبعة أرواح الله المرسلة إلى كل الأرض - رؤ ٥: ٦) بدون أن يفقد وحدته الأساسية، هكذا الكنيسة أيضاً يمكنها أن تتوزَّع في أماكن كثيرة مع بقائها واحدة.

- وكل من الروح ومن الكنيسة يوصف بأنه «سبعة منابر» أو «سبعة مصابيح».

+ «والمنابر السبع... هي السبع الكنائس.» (رؤ ١: ٢٠)

+ «وأمام العرش **سبعة مصابيح** نار متقدة، هي **سبعة أرواح الله**.» (رؤ ٤: ٥)

فمن كثرة هذا الترابط بين مفهومي الروح القدس والكنيسة يظهر بوضوح أنهما متلازمان في فكر يوحنا اللاهوتي، وأنه هو الأصل في المبدأ الذي بلوَرَه إيرينيئوس فيما بعد قائلاً:

[حيثما يكون الروح القدس هناك تكون الكنيسة، وحيثما تكون الكنيسة هناك يكون الروح القدس].

ثانياً: عند آباء الكنيسة

السابقين للقديس كيرلس الكبير

من الآباء الرسوليين

١ – القديس إغناطيوس (استشهد حوالي سنة ١١٠م.):

وهو من الآباء الرسوليين، أي الذين عاصروا الرسل وتتلمذوا على أيديهم، وقد صار أسقفاً وشهيداً، ومن أهم ما تميَّز به محبته الشديدة للاستشهاد، وللإفخارستيا، وللوحدة الكنسية. وبسبب هذه النقطة الأخيرة، نجده باستمرار يحث الكنائس التي يكتب إليها على حفظ وحدانية الروح، وفي رسالته إلى كنيسة فيلادلفيا يؤكِّد أنه لا يقول ذلك من نفسه – أي "بشريًّا" – بل إن الروح هو الذي يتكلَّم بواسطته ويدعو الجميع إلى الوحدة:

[الذي من أجله أنا مقيَّد يشهد لي أني لا أقول ذلك بشريًّا بحسب الجسد، بل إن الروح القدس هو الذي يكرز قائلاً: لا تصنعوا شيئاً بدون الأسقف ... أحبوا الوحدة. اهربوا من الانقسامات.](٦)

فالروح القدس هو أكثر مَنْ تهمُّه وحدة الرأي ووحدة القلب بين المؤمنين. وهذا يذكِّرنا بما أظهره بولس الرسول من أن الروح يحزن على

---

(٦) إلى فيلادلفيا ٧: ٢.

الخصوص بسبب الانقسامات: «لا تُحزِنوا روح الله القدوس... ليُرفع من بينكم كل مرارة وسخط وغضب وصياح.» (أف ٤: ٣٠-٣١)

من آباء الجيل الثالث

٢ – القديس إيرينيئوس (استُشهِد سنة ٢٠٠ م): أبو التقليد الكنسي

وهو أسقف ليون (بفرنسا) الشهيد، ولكن أصله من آسيا الصغرى، وقد تتلمذ في شبابه على بوليكاربوس الذي كان تلميذاً مباشراً ليوحنا الرسول. ويُدعَى أباً للتقليد الكنسي، بسبب اهتمامه بأن يثبت أن الإيمان الذي تلقّنه من الآباء الرسوليين هو بعينه الذي تلقّنوه هم من الرسل مباشرة.

وقد كان إيرينيئوس (مثل إغناطيوس ومعظم آباء هذا العصر المبكِّر) مهتماً بنوع خاص بسر الوحدة الكنسية. وكان محور تعليمه هو أن غاية كل التدبير (تدبير ملء الأزمنة) هو أن ينجمع كل شيء تحت رأس واحد(٧) في المسيح بحسب ما جاء في (أف ١: ١٠). وهو يرى أن الرب

---

(٧) أف ١: ١٠ «تدبير ملء الأزمنة، أن يجمع كل شيء في المسيح» والفعل اليوناني الوارد في هذه الآية بمعنى يجمع هو ἀνακεφαλαιόω وهو مشتق من كلمة κεφάλαιον أي رأس ولذلك تصير الترجمة الدقيقة للآية هي: «أن يجمع تحت رأس واحد كل شيء في المسيح» (ارجع لعدد مجلة مرقس فبراير، مارس، أبريل سنة ١٩٧٨ صفحة ٧٧).

وجدير بالذكر أن ترجمة هذا الفعل باللاتينية recapitulare مشتق من كلمة caput أي رأس وقد انتقلت هكذا إلى جميع اللغات الحديثة المشتقة من اللاتينية للتعبير عن "تجميع كل شيء تحت رأس واحد" في المسيح (بالإنجليزية recapitulation).

يحقّق هذا الانجماع الكلّي في نفسه بواسطة الروح أي بأن يجعل الروح يسكن في الإنسان:

[لقد أدخل الرب في هذا الفردوس الحي (أي الكنيسة) الذين يطيعون دعوته، **وقد جمع تحت رأس واحد في نفسه كل شيء** ما في السموات وما على الأرض (أف ١: ١٠) ... فجميع هذه الأشياء قد جمعها وألّفها الرب في نفسه **وذلك بأن وحَّد بين الإنسان والروح وصار سبباً لسُكنَى الروح في الإنسان.**](٨)

وهو بذلك يمتد بتعليم بولس الرسول ويوحنا اللاهوتي في أن الروح هو بالأساس **روح الشركة** الذي يقيم الشركة بيننا وبين الله وأيضاً شركتنا بعضنا مع البعض:

- شركتنا مع الله: [لقد فدانا الرب بدمه وبذل نفسه من أجل نفوسنا وجسده من أجل جسدنا **وأرسل لنا روح الآب ليقيم الوحدة والشركة بين الله والإنسان.**](٩)

- وشركتنا بعضنا مع بعض: [بعد الصعود، بحسب ما يقول لوقا، نزل الروح القدس بقوَّة على الرسل ليعطي بواسطتهم الحياة لجميع الأُمم ويفتح أمامهم العهد الجديد. ولذلك فقد **صار الرسل متحدين بعضهم ببعض** وبدأوا ينشدون نشيداً لله في جميع اللغات، **وصار الروح**

---

(٨) ضد الهرطقات ٥: ٢٠: ٢.

(٩) ضد الهرطقات ٥: ١: ١.

يجمع في الوحدة القبائل المتفرِّقة (أع ٢: ٩ - ١١) ويقدِّم للآب باكورة الأُمم. فإن **الرب قد وعد أن يُرسل لنا الباراقليط ليوحِّدنا مع الله. فكما أنه يستحيل أن تُعجن عجينة متماسكة من دقيق جاف بدون ماء ولا يمكن أبداً أن تصير خبزة واحدة، هكذا أيضاً نحن الكثيرين لم يكن ممكناً أن نصير واحداً في المسيح يسوع بدون الماء الذي من السماء** (أي الروح القدس) ... فإن أجسادنا قد نالت هذا الاتحاد لعدم الموت بواسطة المعمودية وأما نفوسنا فتناله بواسطة الروح ... فهو العطية التي أخذها الرب من الآب أعطاها للمُلتصقين به إذ سكب روحه القدوس على الأرض كلها.][١٠]

فالروح القدس إذن هو المسئول الحقيقي عن إقامة الوحدة والشركة بيننا وبين الله وبيننا وبعضنا البعض. فهو يقوم بدور الماء الذي يوحِّد ذرَّات الدقيق لتصير عجينة واحدة وخبزة واحدة. على أن استخدام مثال الخبزة الواحدة للتعبير عن الوحدة الكنسيَّة يرجع في الواقع إلى عصر بولس الرسول: «فإننا نحن الكثيرين خبز واحد جسدٌ واحد لأننا جميعنا نشترك في الخبز الواحد» (١كو ١٠: ١٧) ثم نجده أيضاً في الديداخي (تعليم الرسل، من تسجيلات نهاية القرن الأول):

---

(١٠) ضد الهرطقات ٣: ١٧: ١ و٢.

[كما كان هذا الخبز مبعثراً فوق التلال ثم جُمع معاً وصار واحداً، هكذا اجعل كنيستك تجتمع معاً من أقاصي الأرض إلى ملكوتك.](١١)

على أن الفضل يرجع إلى القديس إيرينيئوس في أنه أضاف الجديد إلى هذا المثال التقليدي، إذ أنه أوضح فيه دور الروح القدس في توحيد قلوب المؤمنين، وشبَّهه بالماء الذي ينشئ قوَّة التجاذب والتماسك المتبادل بين ذرات الدقيق لتصير عجينة واحدة وخبزة واحدة(١٢).

فالروح القدس إذن هو الذي يعطي الكنيسة كيانها الحقيقي، حتى استطاع القديس إيرينيئوس أن يعبِّر عن ذلك باختصار في مبدئه المشهور:

[حيثما وُجدَت الكنيسة وُجدَ الروح القدس،
وحيثما وُجِدَ الروح القدس وُجِدَت الكنيسة.](١٣)

وكأنما الكنيسة في نظر إيرينيئوس تكون مرادفة لحلول الروح القدس، وسبب ذلك أن الروح في جوهر كيانه هو روح شركة، ولذلك يستحيل أن يحل على الناس إلا ويجعلهم جميعاً واحداً فيما بينهم، كما يوحِّدهم أيضاً مع الله، وهذا بعينه هو جوهر كيان الكنيسة.

---

(١١) الديداخي فصل ٩.

(١٢) وقد توالى كثير من الآباء بعد ذلك في استخدام مثال الخبزة للتعبير عن الوحدة الكنسية. انظر مثلاً ما يقوله القديس يوحنا ذهبي الفم: [كما أن الخبزة تتآلف متحدة من حبات كثيرة حتى أن الحَب لا يتبيَّن قط إلا أنه موجود، وبالاتحاد صار فرقه غير واضح، هكذا يكون اتحادنا مع المسيح وأحدنا مع الآخر لأنك لا تتغذى أنت من جسد وذاك من جسد آخر، بل نتغذى كلنا من الجسد الواحد نفسه.] (عظة: ٢٤ على ١كو ١٠: ١٧)

(١٣) ضد الهرطقات ٣: ٢٤.

من آباء الغرب

وسنقدِّم منهم فقط أقوال القديسين كبريانوس وأمبروسيوس:

٣ – القديس كبريانوس (استُشهد سنة ٢٥٨م):

وهو أسقف قرطاجنة، وقد صار شهيداً مثل إغناطيوس وإيرينيئوس، ومثلهما أيضاً كان مهتماً بالوحدة الكنسية بصفة خاصة، حتى أنه كتب كتاباً خاصاً بهذا الموضوع، يتساءل فيه: لماذا يُظهر الروح القدس نفسه في هيئة حمامة؟ أليس لأنها رمز للسلام والوداعة التي هي من صفات الروح؟ أما ينبغي أن تتشبَّه الكنيسة أيضاً بها؟

[لقد كان الروح القدس ينظر إلى الكنيسة الواحدة لما قال في النشيد: «واحدة هي حمامتي كاملتي، الوحيدة لأمها هي» (نش ٦: ٩) ... فإن المؤمنين ليس لهم سوى بيت واحد كنيسة واحدة. ولقد كان الروح القدس ينظر إلى هذا البيت الواحد وإلى التوافق الكائن فيه لما قال في المزمور: «الله يُسكن ذوي الرأي الواحد في بيت» (مز ٦٧: ٧ سبعينية)، أي في بيت الله في كنيسة المسيح، حيث تسكن النفوس البسيطة المتحدة والمتوافقة معاً. **ولهذا السبب يُظهر الروح القدس نفسه في هيئة حمامة**، لأن الحمامة طائر بسيط مبهج وليس فيه عنف أو عداء، فإنه لا يتعدَّى على أحد بأظافره ولا بمنقاره، بل يألف مساكن الناس ويُسر بالبيت الواحد. إن الحمام يربِّي فراخه معاً ويطير بعضه متقارباً ببعض كأسرة واحدة ويُظهر محبته بالتوافق، وبالاختصار يظهر أن له وجداناً واحداً.

هكذا نحن أيضاً في الكنيسة لتكن لنا هذه البساطة وهذه المحبة التي تجعلنا مثل الحمام.][١٤]

فالروح القدس إذن يُظهِر نفسه في هيئة حمامة لأن الحمامة هي رمز السلام، وسنرى فيما بعد القديس كيرلس الكبير يعود إلى الربط بين الروح القدس والسلام، ويقول إن الروح هو نفسه السلام، وأنه هو الذي كان يقصده الرب لما قال: «سلامي أنا أعطيكم، سلامي أترك لكم»، لأنه إن كان المسيح قد دُعي سلامنا (أف ٢: ١٤) فالروح القدس الذي هو روح المسيح هو أيضاً بلا شك سلامنا، (تفسير يوحنا ١٤: ٢٧ وسنعرض هذا القول حينما نقدِّم أقوال القديس كيرلس). وجدير بالذكر أن الربط بين الروح القدس والسلام يرجع أصلاً إلى القديس بولس الرسول الذي اعتبر السلام ثمرة أساسية من ثمار الروح القدس: «وأما ثمر الروح فهو: محبة، فرح، سلام ...» (غل ٥: ٢٢)

٤ – القديس أمبروسيوس (٣٤٠ – ٣٩٧م):

وهو أسقف ميلان. وكمثل بقية آباء نهاية القرن الرابع اهتم بالدفاع عن ألوهية الروح القدس، وقد وضع كتاباً في ذلك.

وهو يرى أن الروح القدس هو الذي يوصِّل لنا الحياة المنسكبة من عند الله أي «الحياة الأبدية»:

[إذن الروح القدس هو ينبوع الحياة الأبدية.][١٥]

[حيث يوجد الروح القدس توجد الحياة الأبدية،

---

(١٤) في وحدة الكنيسة ٣ و٥.

(١٥) في الروح القدس ١٨٠.

وحيث تكون الحياة الأبدية فهناك يكون الروح القدس.][١٦]

والحياة الأبدية هي بالأساس الدخول في شركة مع الله. لذلك يقول أيضاً إن الروح القدس هو الذي يدخلنا في شركة مع الله:

[إننا بالروح - كما يقول معلّمنا بطرس - نصير شركاء الطبيعة الإلهية.][١٧]

[هكذا أيضاً يأتي الروح القدس الذي عندما يأتي يصير فيه ملء حلول الآب والابن.][١٨]

فالروح إذن هو الذي يحقّق اتحادنا بالله.

ومن جهة أخرى هو أيضاً الذي يحقّق وحدتنا بعضنا ببعض، ذلك لأنه بطبعه واحد وغير قابل للتجزئة أو الانقسام. وبسبب ذلك أرسله الرب على رسله ليُدخلهم في هذه الوحدة التي لا تنقسم. ففي مواضع كثيرة يكرِّر القديس أمبروسيوس أن الروح لا يمكن أن يتجزّأ ولا أن ينقسم:

[لقد عيَّن الرب رسله في جهات مختلفة لأنهم لا يستطيعون أن يكونوا جميعهم في كل مكان في وقت واحد. **ولكنه أعطى الروح القدس للجميع لكي يسكب على الرسل النعمة التي لا تنقسم ولا تتجزّأ وإن كانوا بأفرادهم متفرِّقين.** فمع اختلاف أفرادهم وتباينهم إلا أن العمل الذي تم بالجميع كان عملاً واحداً **لأن الروح القدس واحد.**][١٩]

---

(١٦) في الروح القدس ١٧٢.
(١٧) في الروح القدس ٨٠.
(١٨) في الروح القدس ١٢٣.
(١٩) في الروح القدس ٨١.

[ونحن لا يمكننا أن نصدِّق أن الروح يمكن أن يجوز عليه **التقسيم أو التجزئة** بسبب حلوله في الأفراد.][٢٠]

[لقد تقبَّل الرسل والأنبياء هذا **الروح الواحد** كأوان مختارة. وفي ذلك يقول معلِّم الأمم ورسولهم: **لأننا جميعنا سُقينا روحاً واحداً. هذا الذي لا يمكن أن يتجزَّأ أو ينقسم.**][٢١]

من آباء كبادوكية وأنطاكية

وسنقدِّم أولاً مختارات من أقوال الآباء الثلاثة الكبادوكيين: باسيليوس الكبير وغريغوريوس النزينزي وغريغوريوس النيسي ثم أقوال القديس يوحنا ذهبي الفم الذي كان كاهناً في أنطاكية قبل أن يُرسم بطريركاً على القسطنطينية.

٥ – القديس باسيليوس الكبير (٣٢٩ – ٣٧٩م):

أسقف قيصرية كبادوكية. وقد كان من أعظم المدافعين عن ألوهية الروح القدس. وقد وصفه هكذا:

[في جوهره بسيط، في طاقته متعدد ومتنوع،
موجود كله في كل واحد، وكله موجود في كل مكان،
يتوزَّع بدون أن يلحقه ضرر،
نتقاسمه بدون أن يفقد كليته ...][٢٢]

---

(٢٠) في الروح القدس ٩٨.
(٢١) في الروح القدس ٦١.
(٢٢) في الروح القدس ٩: ٢٢.

هنا يكشف القديس باسيليوس صفة أساسية للروح القدس هي السر في قدرته على توحيد الذين يقبلونه، وهي أنه غير قابل للانقسام بسبب جوهره الإلهي البسيط. فهو يمكن أن يتوزَّع على الكثيرين ولكنه لا ينغلب لكثرتهم "يتوزع بدون أن يلحقه ضرر"، بل على العكس هو الذي يتغلَّب على الكثرة ويحوِّلها إلى وحدة في نفسه بسبب بساطة جوهره الإلهي.

ولهذا السبب يرى القديس باسيليوس أن الروح القدس هو روح جسد المسيح السرِّي، الذي يحافظ على وحدة جميع الأعضاء فيه:

[إن جميع الأعضاء معاً يكوِّنون جسد المسيح الكامل **في وحدانية الروح** ἐν τῇ ἑνότητι τοῦ Πνεύματος فإنهم يخدمون بعضهم بعضاً بالمواهب التي نالوها، لأن الله قد وضع الأعضاء أفراداً في الجسد كلٌ واحد منهم كما أراد، غير أن الأعضاء تهتم بعضها ببعض اهتماماً واحداً بحسب **الشركة الروحية** ووحدة المشاعر συμπαθείας الكائنة فيهم.

لأجل ذلك «إن كان عضو واحد يتألَّم، فجميع الأعضاء تتألَّم معه، وإن كان عضو واحد يُكرَّم، فجميع الأعضاء تفرح معه.» (١كو ١٢: ٢٦)

لأنه كما توجد الأجزاء معاً داخل الكل، **هكذا نكون نحن بأفرادنا في الروح، لأننا جميعنا في جسد واحد وقد اعتمدنا لروح واحد.**](٢٣)

ويعلِّق العالِم D. Amand على هذا النص قائلاً إننا يجب أن نرى فيه

(٢٣) في الروح القدس ٢٦: ٦١.

"الأساس الروحي لكل ما سيقوله باسيليوس في نسكياته عن نظام الشركة والطاعة والعمل اليدوي كعمل محبة وإنكار ذات"(٢٤). فالقديس باسيليوس كان في نفس الوقت من أكبر المدافعين عن ألوهية الروح القدس ومن أكثر الذين كتبوا عن نظام الشركة الرهبانية. لذلك فاهتمامه بالروح القدس بصفته روح الوحدة وروح الشركة قد انعكس على نسكياته، بالتركيز على الوحدة والوفاق التي ينبغي أن تسود في نظام الشركة.

٦ – القديس غريغوريوس النزينزي (٣٢٨ – ٣٨٩م):

يقيم المقارنة بين يوم الخمسين وبلبلة الألسن في بابل. ويشترك معه في ذلك كثير من الآباء مثل كيرلس الأورشليمي(٢٥) وكيرلس الإسكندري(٢٦) ويوحنا ذهبي الفم(٢٧). فيوم الخمسين يُعتبر عند الآباء النقيض المباشر لما حدث عند بناء برج بابل:

[لقد كانت بلبلة الألسن في القديم عملاً عظيماً لله لأنه لما اتفق الناس **ذوو اللسان الواحد** على بناء البرج للشر والجحود، **قد أبطل الله وحدة رأيهم الشرير بواسطة بلبلة ألسنتهم**؛ فكم بالحري كثيراً جدًّا تكون المعجزة الحاضرة جديرة بأن نسبِّح الله عليها، **لأن الروح الواحد لما انسكب على الرجال الكثيرين قد أعادهم من جديد إلى التوافق والاتحاد.**](٢٨)

---

(24) D. Amand, *L'ascèse monastique de saint Basile*, p. 118-144, cité par J. Gribomont in D.S. art. Saint Esprit, Col. 1269.

(٢٥) عظة ١٧: ٧.

(٢٦) جلافير على التكوين PG 69, 80. وسنورد هذا التفسير في موضعه عند عرض أقوال القديس كيرلس الكبير.

(٢٧) عظة على يوم الخمسين PG 50, 467.

(٢٨) عظة ١٦:٤١ على عيد الخمسين.

يظهر من هذا القول أن ما حدث في بابل هو الخروج من الوحدة إلى الكثرة بسبب شر الإنسان، وأما ما حدث في يوم الخمسين فهو عودة الكثرة إلى الوحدة بسبب انسكاب روح الله.

٧ – القديس غريغوريوس النيسي (٣٣٠ – ٤٠٠م):

يقول في تفسير نشيد الأنشاد ما ملخَّصه:

[**إن الروح القدس هو رباط وحدة الكنيسة.**](٢٩)

٨ – القديس يوحنا ذهبي الفم (٣٤٧ – ٤٠٧م):

[«وجميعنا بروح واحد اعتمدنا إلى جسد واحد يهوداً كنَّا أم يونانيين، عبيداً أم أحراراً، وجميعنا سُقينا روحاً واحداً». إن المعنى الذي يقصده هو هذا: **إن الذي وَلَدَنا من جديد وجعلنا نصير جسداً واحداً إنما هو الروح الواحد** ... فإن كان الروح الواحد هو الذي أعاد تشكيلنا وهو الذي جمعنا جميعاً معاً لنصير جسداً واحداً – لأن هذا هو المقصود من قوله إننا جميعنا اعتمدنا إلى جسد واحد – وهو الذي هيَّأ لنا مائدة واحدة وشراباً واحداً – لأن هذا هو معنى قوله وجميعنا سُقينا روحاً واحداً – وهو الذي وحَّد الأفراد المختلفين بمثل هذا المقدار، أقول إن كان الكثيرون قد صاروا جسداً واحداً لما جعلهم الروح واحداً، فما بالك باستمرار تبحث عن الفرق بينهم؟!](٣٠)

---

(٢٩) عظة ١٥ في تفسير نشيد الأنشاد P.G. 44, 1116-1117

Cited by V. Lossky, *Théologie mystique de l'Eglise d'Orient*, 1944, p. 164.

(٣٠) عظة ٣٠ على ١كو ١٢: ١٣.

ومن أورشليم

٩ – القديس كيرلس الأورشليمي (٣١٥ – ٣٨٦م):

إن عمل الروح القدس الأساسي في الكنيسة بصفته روح الشركة هو أن يجمع جميع المؤمنين ويحثهم على الوحدة والتوافق إلى درجة المشاركة في كل شيء. لذلك فأكثر ما يحزنه ويغضبه ويجعله يجازي إنما هو الانعزالية والانفرادية كما ظهر في قصة حنانيا وسفيرة:

[لقد كانت نعمة **الروح القدس** العاملة في الذين آمنوا بواسطة الاثني عشر رسولاً عظيمة بهذا المقدار حتى أنه «كان لجمهور الذين آمنوا **قلب واحد ونفس واحدة**، ولم يكن أحد يقول إن شيئاً من أمواله له بل كان عندهم كل شيء مشتركاً» (أع ٤: ٣٢)، حتى أن الذين كانوا أصحاب أملاك كانوا يقدِّمون ثمنها ولم يكن أحد محتاجاً لشيء. أما الذين حاولوا مثل حنانيا وسفيرة أن **يكذبوا على الروح القدس** فقد نالوا جزاءهم المحق.][٣١]

(٣١) عظة ١٧. والعظتان ١٦ و١٧ بهما معانٍ قويَّة كثيرة عن الروح القدس ونأمل أن يقوم أحد بترجمتها إلى العربية.

من آباء الإسكندرية

سنقدِّم منهم أقوال القديسَيْن أثناسيوس الرسولي وكيرلس الكبير.

١٠ – القديس أثناسيوس الرسولي (٢٩٨–٣٧٣م):

القديس أثناسيوس هو صاحب المبدأ المشهور في أن غاية الله من التجسُّد هي أن يحقِّق للإنسان الاتحاد بالله θέωσις:

[لقد صار الكلمة جسداً لكي نصير نحن متحدين بالله.](٣٢)

أما بخصوص الروح القدس وعلاقته بالإنسان فيتلخَّص تعليمه في النقطتين التاليتين:

١ – إن الروح القدس هو الذي يحقِّق لنا هذا الاتحاد بالله(٣٣).

٢ – إن النتيجة الحتمية لاتحادنا بالله بواسطة الروح القدس هي أن نصير جميعاً واحداً في الله بفعل الروح.

ويلخِّص هاتين النقطتين معاً في عبارة قويَّة مختصرة يمكن اعتبارها

---

(٣٢) حرفيًّا: لكي نتألَّه θεοποιηθῶμεν (تجسُّد الكلمة ٥٤: ٣).

وإن كنَّا نجد عند إيرينيئوس البوادر الأُولى للتعبير عن هذا المبدأ مثل قوله: [كلمة الله من أجل حبه الفائق صار على حالنا لكي يجعلنا على حاله] (ضد الهرطقات ٥ المقدمة)؛ ولكن أثناسيوس هو بلا شك أول مَنْ عبَّر عنه بوضوح وشرحه من الوجهة اللاهوتية ولم يكف عن تكراره في كل مناسبة (انظر: المقالة الأولى ضد الأريوسيين ٣٨ و٣٩ والمقالة الثانية ٧٠ والمقالة الثالثة ٣٤ و٣٩ والرسالة ٦٠: ٤ والدفاع عن قانون نيقية ١٤).

(٣٣) ولذلك يعتبر في اختصار بديع أن غاية التجسُّد هي أن ننال الروح القدس الذي يحقِّق لنا الاتحاد بالله: [لقد صار الكلمة جسداً ... لكي ننال شركة روحه القدوس ونصير بذلك متحدين بالله (حرفيًّا: نتألَّه).] (الدفاع عن قانون نيقية ١٤)

عنواناً لتعليمه بخصوص الروح القدس وعلاقته بالإنسان:

[إننا بالروح نصير في الله،

وبالتالي نصير متحدين بعضنا مع بعض في الله.][٣٤]

أولاً: إننا بالروح نصير في الله:

[هذا ما يكتبه يوحنا: «بهذا نعرف أننا نثبت فيه وهو فينا: أنه قد أعطانا من روحه.» (١يو ٤: ١٣)

إذن فنحن نصير فيه وهو فينا بواسطة نعمة الروح المعطاة لنا، فلأن الروح هو روح الله فبمجرَّد أن يحل فينا نحن نعتقد بحق **أننا باقتنائنا الروح نكون في الله والله أيضاً يكون فينا ... فبدون الروح نحن نكون غرباء عن الله وبعيدين عنه. فنحن بشركة الروح القدس فقط نصير ذوي قربى باللاهوت** حتى أن وجودنا في الآب أمر لا يخصنا نحن بل يخص الروح الكائن فينا والماكث داخلنا.][٣٥]

[**إننا بالاشتراك في الروح القدس نصبح شركاء الطبيعة الإلهية** ... لأن الذين فيهم الروح القدس تصبح لهم (شركة) الطبيعة الإلهية على هذا الأساس.][٣٦]

[**فعندما يكون الروح القدس فينا، يكون فينا أيضاً الكلمة الذي يمنح الروح القدس، والآب الذي هو في الكلمة،** وهذا يتفق مع ما قيل: «إليه نأتي أنا وأبي وعنده نصنع منزلاً».][٣٧]

---

(٣٤) انظر القول ٤٠.

(٣٥) المقالة الثالثة ضد الأريوسيين ٢٤.

(٣٦) إلى سيرابيون ١: ٢٤.

(٣٧) إلى سيرابيون ١: ٣٠.

[عندما يُعطَى لنا الروح القدس يصبح الله فينا لأن يوحنا الرسول كتب: «إن أحب بعضنا، بعضاً فالله يثبت فينا... بهذا نعرف أننا نثبت فيه وهو فينا أنه قد أعطانا من روحه» (١يو ٤: ١٢، ١٣).][٣٨]

[فقد رفع الخليقة كلها في الروح إذ منحها الاتحاد بالله والتبني وبذلك صار يقودها نحو الآب.][٣٩]

ثانياً: إننا بالروح نصير متحدين بعضنا مع بعض في الله:

[المخلِّص يقول: «كما أنك أنت أيها الآب فيَّ وأنا فيك، ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا» (يو ١٧: ٢١). وهو بذلك لا يقصد أننا يمكن أن نصير مساوين له، **ولكنه يطلب من الآب أن يعطي الروح بواسطته للمؤمنين كما كتب يوحنا** (يو ٧: ٣٧-٣٩). **فإننا بالروح نصير في الله وبالتالي نصير متحدين بعضنا مع بعض في الله.**][٤٠]

[اعمل فيهم أيها الآب،
وكما أعطيتني أن ألبس هذا الجسد،
أنعم عليهم بروحك،
حتى أنهم هم أيضاً في هذا الروح يصيرون واحداً

---

(٣٨) إلى سيرابيون ١: ١٩.

(٣٩) حرفيًّا: إذ جعلها إلهاً وجعلها ابناً θεοποιῶν δὲ καὶ υἱοποιῶν إلى سيرابيون ١: ٢٥.

(٤٠) المقالة الثالثة ضد الأريوسيين ٢٥. ومع أن صلاة المسيح في (يو ١٧) لم يُذكر فيها الروح القدس إلا أننا نجد كثيراً من الآباء يعتبر أن الرب كان يطلب فيها حلول الروح القدس علينا لأن الروح وحده قادر أن يوحِّدنا مع الله وبعضنا مع بعض في الله. وسنرى مثلاً القديس كيرلس في تفسير (يو ١٧: ٢٠ و٢١) يسلك بنفس هذا المنهج التقليدي ويرى أن الرب بهذه الصلاة كان يطلب لنا الروح.

ويكونون مكمَّلين فيَّ.][٤١]

[الكلمة في الآب. والروح يُعطَى من الكلمة.
ولذلك فهو يريدنا أن نقبل الروح،
حتى إذا ما قبلناه، نقتني في نفوسنا روح الكلمة الذي في الآب،
وبالتالي بسبب هذا الروح نصير واحداً
في الكلمة وبه في الآب.][٤٢]

[فالروح إذن هو الذي يكون في الله، وليس نحن، من حيث ذاتيتنا
فكما أننا نكون أبناءً وآلهة بسبب الكلمة الذي فينا،
هكذا أيضاً بسبب الروح الذي فينا
نصير في الابن وفي الآب،
ونصير واحداً في الابن وفي الآب،
لأن الروح الذي فينا هو الذي في الكلمة الذي في الآب.][٤٣]

لم تكن هذه مجرَّد تأملات للقديس أثناسيوس، بل كانت حقيقة يعيشها وتملأ كيانه، حقيقة الروح الذي يملأ الكنيسة ويجعلها واحدة في الابن وفي الآب عبر القارات والمحيطات.

[لقد كنت مشتاقاً أن أمضي معكم العيد بدون اعتبار المسافة التي بيننا. فعلى الرغم من أن المكان يفصلنا **لكن الرب ... الذي هو واهب الروح، هو يجمعنا معاً في الفكر الواحد والتوافق ورُبُط السلام.** لأننا حينما نفتكر فكراً واحداً ونرفع صلواتنا بعضنا من

---

(٤١) المقالة الثالثة ضد الأريوسيين ٢٣.
(٤٢) المقالة الثالثة ضد الأريوسيين ٢٥.
(٤٣) المقالة الثالثة ضد الأريوسيين ٢٥.

أجل بعض لا يمكن لمكان ما أن يفصلنا **ولكن الرب يجمعنا ويوحِّدنا بعضنا ببعض.**](٤٤)

هذه هي الحقيقة التي كان يعيشها القديس أثناسيوس وهو في منفاه بعيداً عن كنيسته وعن كل أحبائه: "**الرب الذي هو واهب الروح، هو يجمعنا معاً ... يجمعنا ويوحِّدنا بعضنا ببعض**".



(٤٤) رسالة فصحية ١٠: ٢.

ثالثاً: في لاهوت القديس كيرلس الكبير

يُعتَبَر القديس كيرلس الكبير لدى علماء اللاهوت أفضل مَنْ عبَّر عن عقيدة الكنيسة كجسد سرِّي للمسيح، حتى يشهد له كل من العالمَين مِرْش ودي مانوار: "إنه ارتقى بهذه العقيدة إلى أعلى درجة من الكَمال وصلت إليه في الكنيسة الشرقية."(٤٥)

ومن جهة أخرى يُعتَبَر أيضاً أنه برع أكثر من جميع الذين سبقوه في التعبير عن عمل الروح القدس في تقديس النفوس(٤٦).

فبسبب تفوقه في شرح واستيضاح هاتين الحقيقتين (أي الكنيسة جسد المسيح وعمل الروح القدس فينا)(٤٧)، نتوقَّع أن نجد لديه أيضاً أكثر مما وجدنا عند الآباء السابقين له تعليماً وافياً بخصوص دور الروح القدس في توحيد الجسد الإلهي أي في تكوين الكنيسة.

ولأن الكنيسة في جوهر كيانها تقوم على أساس اتحاد المؤمنين بالله واتحادهم بعضهم ببعض في الله، لذلك سنتتبَّع في لاهوت القديس

---

(٤٥) على أن مَنْ يجاريه في ذلك في الكنيسة الغربية هو القديس أغسطينوس. انظر:
E. MERSCH, *The Whole Christ*, p. 337.
H. DU MANOIR, *Dogme et Spiritualité chez S. Cyrille*, p. 313.

(46) J. MAHÉ, *La Sanctification d'après S. Cyrille*, RHE. X (1909), p. 31.

(٤٧) وقد سبق أن قدَّمت مجلة مرقس تعليم القديس كيرلس في كل من هذين الموضوعين على حدة:
- "الكنيسة جسد المسيح" (ديسمبر ١٩٧٦ - يناير ومارس ١٩٧٧).
- "كيف يتم تقديس النفس بالروح القدس" (يوليو ١٩٧٧).
ولكن الذي يهمنا الآن هو علاقة الموضوعين ببعض أي دور الروح القدس في الجسد الإلهي.

كيرلس عمل الروح القدس في هاتين الناحيتين اللتين عليهما تقوم الكنيسة:

- **دور الروح القدس في اتحادنا بالله.**
- **دور الروح القدس في اتحادنا بعضنا ببعض.**

[بسبب شركتنا في الروح القدس، صرنا متحدين بالمسيح نفسه مخلّص الجميع، كما صرنا أيضاً متحدين بعضنا ببعض.](٤٨)

[المسيح هو سلامنا لأنه يجمعنا معاً إلى الاتحاد بعضنا ببعض بنفس واحدة، كما أيضاً إلى الاتحاد مع الله بواسطة نفسه في الروح.](٤٩)

---

(٤٨) ضد نسطور ٤ PG 76, 193

(٤٩) العبادة بالروح والحق ١٥ PG 68, 972

١ – دور الروح القدس في اتحادنا بالله

(أ) الروح القدس يجعل المسيح يحل في قلوبنا:

يقول القديس كيرلس في اختصار:

[المسيح يكون فينا بواسطة الروح.] (انظر قول ٥١)

[المسيح نفسه يسكن فينا بواسطة الروح القدس الذي هو روحه الخاص كما هو روح الآب أيضاً.](٥٠)

فالرب قد أوضح في خطابه الأخير عن الباراكليت شدَّة الارتباط بين مجيء الروح القدس وبين حلول الرب سرًّا في قلوب المؤمنين. فبعد أن قال: «أنا أطلب من الآب فيعطيكم معزيًّا آخر» أضاف قائلاً: «لا أترككم يتامى، إني آتي إليكم»، «الذي يحبني ... أُظهر له ذاتي ... وإليه نأتي وعنده نصنع منزلاً» (يو ١٤: ١٦-٢٣)، مشيراً بذلك إلى حلوله السرِّي في القلب، الذي يتحقَّق بمجيء الروح القدس.

[بواسطة الروح القدس، نقتني ربنا يسوع المسيح ساكناً ومتداخلاً فينا.](٥١)

وهذه هي الحقيقة التي استشعرها القديس بولس الرسول، فعبَّر عنها قائلاً إنه يصلِّي «لكي تتأيَّدوا بالقوَّة **بروحه في الإنسان الباطن، ليحل المسيح بالإيمان في قلوبكم.**» (أف ٣: ١٦:١٧)

---

(٥٠) ضد نسطور ٤: ٢ PG 76, 177 C

(٥١) تفسير ٢كو ٢: ١٥ PG 74, 925 C

ويُعبِّر القديس كيرلس عن نفس هذه الحقيقة قائلاً:

[**حينما يحل الروح القدس في إنساننا الداخلي، يُقال إن المسيح نفسه يسكن فينا**، وهذا يكون بالفعل.](٥٢)

[المسيح يقول: «أنتم فيَّ وأنا فيكم، لأني أنا أظهرت نفسي إنساناً، وإيَّاكم جعلتُ شركاءَ لطبيعتي الإلهية بجعل روحي ساكناً فيكم» **فإن المسيح يكون فينا بواسطة الروح.**](٥٣)

فالروح القدس هو الذي يحقِّق لنا وعد الرب بأن يكون معنا كل الأيام وإلى انقضاء الدهر:

[لقد وعد الرب تلاميذه أن يكون معهم كل الأيام وإلى انقضاء الدهر. فمع أنه قد مضى عنا بالجسد، إذ قد أظهر نفسه للآب من أجلنا وجلس عن يمينه؛ غير أنه مع ذلك **بواسطة الروح القدس يحل ويسكن في قلوب الذين يستحقونه.**](٥٤)

إذن فوسيلتنا الوحيدة لقبول المسيح داخلنا هي أن ننفتح أكثر لحلول الروح القدس فينا. وهذه الحقيقة يعبِّر عنها الأب متى المسكين: "بقدر الملء من الروح القدس بقدر الملء من المسيح، لأنه كلما أفسحنا للروح القدس مكاناً في القلب والحياة، كلما أفسح الروح القدس فينا مكاناً للمسيح!"(٥٥)

---

(٥٢) تفسير يو ١: ٣٣ PG 73, 212

(٥٣) تفسير يو ١٤: ٢٠ PG 74, 280

(٥٤) تفسير يو ١٦: ١٦ PG 74, 453

(٥٥) فصل: "الروح القدس وعمله داخل النفس". انظر صفحة ٧٣.

(ب) الروح القدس ينقل إلينا علاقة المسيح بالآب(٥٦):

حينما يعطينا الروح القدس حلولاً سريًّا للمسيح داخل القلب، فهو بذلك يورِّثنا كل مشاعر المسيح تجاه أبيه السماوي، بكل عمقها الروحي. وهذه الحقيقة هي التي عبَّر عنها بولس الرسول قائلاً:

+ «**ثم بما أنكم أبناء، أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخاً يا أبا الآب.**» (غل ٤: ٦)

ويعبِّر الأب متى المسكين عن هذا المبدأ قائلاً:

- "إن الروح القدس يورِّثنا علاقة الآب بالابن بصورة حيَّة وفعَّالة في الضمير وفي العقل، بأثر قوي أعظم مما تتركه النار في اللحم. حتى أننا نصرخ بملء اليقين والدالة وندعو الله الآب بفم المسيح «يا أبا الآب»."(٥٧)

وفي ذلك يقول القديس كيرلس:

[حينما يحل ويسكن فينا كلمة الله **بواسطة الروح**، فنحن نرتقي إلى كرامة التبني، لأننا **نقتني حينئذ في نفوسنا الابن نفسه**، الذي إلى شكله أيضاً تغيَّرنا، **بواسطة شركة روحه الخاص. وحينما نرتقي إلى مستوى الدالة المكافئة لدالة الابن نجسر أن نقول يا أبا الآب.**](٥٨)

[كان ينبغي أن يصعد إلى أبيه، **حتى يحل بالروح القدس في وسط**

---

(٥٦) ليس المقصود بذلك العلاقة الطبيعية الجوهرية الأزلية التي تربط الابن الوحيد جوهريًّا بالآب، ولكن علاقة المسيح في وضعه المتجسِّد على الأرض بحسب التدبير، أي كل ما قدَّمه المسيح في حياته على الأرض من محبة كاملة وخضوع مطلق للآب السماوي.

(٥٧) انظر فصل: "الروح القدس وعمله داخل النفس".

(٥٨) الكنز في الثالوث ٣٣ PG 75, 569 D

الذين يعبدونه، ويأتي بالإيمان إلى قلوبنا، حتى أننا إذ نقتنيه داخلنا **نصرخ بدالة «ياأبَّا الآب»**.][٥٩]

على أن هذه الصلاة «يا أبا الآب» التي ينقلها روح المسيح إلى قلوبنا، هي بعينها التي نطق بها الرب في جثسيماني:

+ «**يا أبا الآب ... ليكن لا ما أريد أنا، بل ما تريد أنت.**» (مر ١٤: ٣٦)

إذن فحينما ينقل إلينا الروح القدس صلاة المسيح قائلاً: «يا أبا الآب»، فهو في الواقع ينقل إلينا أكثر ما اعتزَّ به المسيح أثناء حياته على الأرض، أي خضوعه الكامل لمشيئة الآب:

+ «قد نزلت من السماء، ليس لأعمل مشيئتي، بل مشيئة الذي أرسلني.» (يو ٦: ٣٨)
+ «طعامي أن أعمل مشيئة الذي أرسلني وأُتمِّم عمله.» (يو ٤: ٣٤)
+ «لهذا يحبني الآب، لأني أضع نفسي لآخذها أيضاً... هذه الوصية قبلتها من أبي.» (يو ١٠: ١٧ و١٨)
+ «إني في كل حين أفعل ما يرضيه.» (يو ٨: ٢٩)
+ «هاأنذا أجيء لأفعل مشيئتك يا الله.» (عب ١٠: ٩)

كل هذا هو المضمون الروحي المذخر في صلاة المسيح قائلاً: «يا أبا الآب»، لذلك يكمِّل القديس كيرلس المعنى قائلاً إن الروح القدس يجعلنا نخضع لمشيئة الآب ونريد ما يريده هو:

[**بواسطة روح المسيح يصالح الابن الكل مع الله أبيه، إذ يجعلهم**

---

(٥٩) تفسير يو ١٦: ٧ PG 74, 433C

يريدون الأشياء التي له، ويرغبون أن يفكّروا ويعملوا الذي له.][٦٠]

والجدير بالملاحظة هنا أن هذه كلها لم تكن مجرَّد تأملات نظرية للقديس كيرلس، بل قد كان هو نفسه على المستوى العملي مستعداً أن يخضع لمشيئة الآب إلى درجة تقبُّل الآلام والإهانات حتى إلى درجة الموت أيضاً. اسمعه يقول بألفاظ تذكرنا بكلمات القديس إغناطيوس الشهيد:

[**وأما أنا فشهوتي العُظمَى هي أن أجاهد وأعيش وأموت** من أجل الإيمان بالمسيح.

فإني لست أحتسب لأية إهانة ولا لأي تعيير ولا لأية إساءة. فقد عزمت أن أتحمَّل كل تعب من أجل الإيمان بالمسيح، **وأتقبَّل كل ألم حتى أشنع العذابات وأقساها إلى أن يلحقني الموت أيضاً، الذي لهذا السبب سوف يصير لي موتاً مفرحاً!**

فإن كنَّا نخشى أن نجاهر بالحق لمجد الله خوفاً من المتاعب التي تصيبنا من ذلك، فكيف نستطيع أن نشيد في اجتماعاتنا بجهادات الشهداء القديسين وانتصاراتهم، خاصة وأننا نمدحهم بالذات لأنهم حفظوا الكلمة القائلة: «جاهد عن الحق حتى الموت» (سيراخ ٤: ٣٣).][٦١]

(ج) الروح القدس يصالحنا مع الله الآب:

لقد سمعنا القديس كيرلس يقول:

[**بواسطة روح المسيح، يصالح الابن الكل مع أبيه.**] (قول ٦٠)

---

(٦٠) تفسير يو ١٤: ٢٧ PG 74, 305

(٦١) الرسالة التاسعة والعاشرة PG 77, 62-78

وفي موضع آخر يكرِّر نفس المعنى قائلاً:

[إن مصالحتنا مع الله لم يكن ممكناً أن تتم بواسطة المسيح مخلِّصنا إلا بواسطة الروح القدس وتقديس النفس به.](٦٢)

فالروح القدس هو روح المصالحة مع الله، ذلك لأنه بحسب تعبير العهد القديم «**روح الإحراق**» (إش ٤:٤) الذي به تُغسَل أقذارنا ويتنقّى دمنا، وبحسب تعبير العهد الجديد روح الاغتسال والتقديس والتبرير:

+ «**لكن اغتسلتم، بل تقدَّستم، بل تبرَّرتم** باسم الرب يسوع **وبروح إلهنا.**» (١كو ٦: ١١)

(د) الروح القدس يعطينا نوعاً من القرابة الروحية مع الله الآب:

من صفات الروح القدس الأساسية أنه قادر أن يجمع المتناقضات ويجعلها تنسجم وتتوافق وتتآلف معاً. فبهذه القدرة استطاع أن يحل على العذراء، ويجمع في أحشائها الطبيعة البشرية مع الطبيعة الإلهية في اتحاد كامل، على الرغم من المسافة اللانهائية التي كانت تفصل بينهما. وبطريقة مشابهة حينما يعطينا المسيح الروح القدس فهو يقصد أن يُدخِلنا إلى نوع من القرابة والتآلف والانسجام معه ومع أبيه الصالح:

[كل مَنْ يعرف المسيح ويتمسَّك بكلمة الحق الإلهي عديمة الغش وكأنه يتخفّى بها، فالمسيح يحل ويسكن فيه **ويجتذبه بفعل الروح القدس إلى نوعٍ من القرابة الروحية مع الله أبيه بواسطة نفسه.**](٦٣)

[فكما أن أصل الكرمة يمد الأغصان بامتيازاته وصفاته الطبيعية،

---

(٦٢) تفسير يو ١٧: ١٨ و١٩ PG 74, 544-545

(٦٣) تفسير يو ١٧: ٢٦ PG 74, 577

هكذا أيضاً الابن الوحيد كلمة الله يمنح القديسين نوعاً من **القرابة والانسجام مع طبيعته الخاصة، التي هي أيضاً طبيعة الآب، وذلك بإعطائهم الروح القدس.**](٦٤)

وجدير بالملاحظة أن القديس كيرلس بذلك لا يبتدع شيئاً جديداً بل يكرِّر ويمتد بما وجدناه من قبل عند سلفه القديس أثناسيوس:

[نحن بشركة الروح القدس فقط نصير ذوي قربى باللاهوت.] (انظر قول رقم ٣٥ صفحة ٣٩٨)

(هـ) الروح القدس يجعل الآب أيضاً يحل فينا:

الثالوث غير منفصل. فبمجرَّد أن يحل فينا الروح يكون فينا معه الابن والآب أيضاً. وهذا المبدأ قد سبق أن شرحه الآباء السابقون للقديس كيرلس. فقد رأينا مثلاً القديس أمبروسيوس يقول:

[هكذا يأتي الروح القدس الذي عندما يأتي يصير فيه ملء حلول الآب والابن.] (في الروح القدس ١٢٣)

وكذلك القديس أثناسيوس:

[عندما يكون الروح القدس فينا يكون فينا أيضاً الكلمة الذي يمنح الروح القدس، والآب الذي هو في الكلمة.] (انظر قول رقم ٣٥ صفحة ٣٩٨)

والقديس كيرلس يكرِّر نفس هذا المبدأ الآبائي ويشرحه ويمتد به قائلاً:

[الذي يقبل الروح القدس الذي هو صورة الابن،

---

(٦٤) تفسير ١٥: ١ P.G. 74, 332-333

فهو يقبل به الابن وبذلك يقبل الآب أيضاً الذي في الابن.][٦٥]

[إنه يقول: «إليه نأتي أنا وأبي وعنده نصنع منزلاً»، لأنه حينما يحل فينا المسيح مخلّصنا بواسطة الروح القدس، فمن المؤكّد أن الآب الذي ولده يكون أيضاً معه فينا، لأن روح المسيح هو أيضاً روح الآب نفسه.][٦٦]

[إن قبلنا الروح القدس نصير شركاء الطبيعة الإلهية، فإننا نقبل الآب نفسه في قلوبنا من خلال الابن وفي الابن، ولذلك كتب الحكيم يوحنا: «بهذا نعلم أننا نثبت فيه وهو فينا، أنه قد أعطانا من روحه» (١يو ٤: ١٣).][٦٧]

(و) الروح القدس يُدخِلنا إلى شركة الطبيعة الإلهية:

الروح القدس هو أقنوم الشركة في الثالوث.

هو «روح الشركة» بحسب تعبير القديس بولس الرسول:

+ «وشركة الروح القدس مع جميعكم.» (٢كو ١٣: ١٤)

+ «إن كانت شركة ما في الروح.» (في ٢: ١)

لذلك فهو الواسطة الوحيدة للدخول إلى شركة حقيقية مع الله.

---

(٦٥) الكنز في الثالوث ٣٣ PG 75, 572

(٦٦) تفسير يو ١٤: ٢٣ PG 74, 292

(٦٧) تفسير يو ١٧: ١٨ و١٩ PG 544-545

وجدير بنا أن نلاحظ شدّة المشابهة بين هذه الأقوال وبين أقوال القديس أثناسيوس في نفس الموضوع، وذلك حتى في انتقاء نفس الآيات التي يستشهد بها للتدليل على هذه الحقيقة (يو ١٤: ٢٣ و١يو ٤: ١٣ - انظر استشهاد أثناسيوس بها في أقوال ٣٥ و٣٧ و٣٨ صفحة ٣٩٨ و٣٩٩). فيظهر من ذلك شدّة اتصال التقليد بين الآباء عبر الأجيال.

وقد ربط الآباء بين ما كشفه بولس الرسول من أن الروح القدس هو أساساً روح شركة، وبين ما أوضحه بطرس الرسول من أننا مدعوون أن نصير «شركاء الطبيعة الإلهية» (٢بط ١: ٤)، واستنتجوا من هذا الربط أن الروح القدس هو الذي يُدخلنا إلى شركة الطبيعة الإلهية. وقد وجدنا القديس أمبروسيوس يقول بهذا المعنى:

[إننا بالروح - كما يقول معلِّمنا بطرس - شركاء الطبيعة الإلهية.] (في الروح القدس ٨٠ — ارجع لصفحة ٣٩١)

وكذلك القديس أثناسيوس:

[إننا بالاشتراك في الروح القدس نصبح شركاء الطبيعة الإلهية ... لأن الذين فيهم الروح القدس تصبح فيهم الطبيعة الإلهية على هذا الأساس.] (إلى سيرابيون ١: ٢٤ — ارجع لصفحة ٣٩٨)

والقديس كيرلس يكرِّر هذا المبدأ ويزيده توكيداً:

[لا يستطيع أحد أن يصير شريكاً لطبيعة الإله الحق، إلا بواسطة الروح القدس.](٦٨)

[فإننا نرتقي إلى شركة الطبيعة الإلهية، بواسطة المشاركة في الروح القدس.](٦٩)

[كان يلزم أن نصير شركاءَ لطبيعة اللوغس الإلهية ... ولكن كان من المستحيل أن نصل إلى هذا الأمر بوسيلة أخرى غير المشاركة في

---

(٦٨) تفسير يو ١٤: ٢٣. P.G. 74, 292

(٦٩) تفسير يو ١٤: ٤ P.G. 74, 185

الروح القدس.][٧٠]

[إن الكتب المقدَّسة، أنفاس الله، تعلِّم بوضوح أنه **لن تكون لنا شركة مع الله إلا بواسطة الروح القدس.** فإن ربنا يسوع المسيح قال بخصوص كلِ إنسان مؤمن وصالح: «وإليه نأتي (أنا وأبي)، وعنده نصنع منزلاً» (يو ١٤: ٢٣) ثم قيل أيضاً: «بهذا نعرف أنه يثبت فينا: من الروح الذي أعطانا» (١يو ٣: ٢٤).][٧١]

[إن مصالحتنا مع الله لم يكن ممكناً أن تتم بواسطة المسيح مخلِّصنا، إلا بواسطة شركة الروح القدس وتقديس النفس به، لأن الذي يربطنا ويوحِّدنا، بنوع ما، مع الله إنما هو الروح القدس، الذي **إن قبلناه نصير شركاء الطبيعة الإلهية**، ونقبل الآب نفسه في قلوبنا من خلال الابن وفي الابن. ولذلك كتب الحكيم يوحنا بهذا الخصوص: «بهذا نعرف أننا نثبت فيه وهو فينا: أنه أعطانا من روحه» (١يو ٤: ١٣) ...

فلو لم تكن لنا شركة الروح القدس، لما استطعنا أبداً أن نعرف أن الله فينا ...][٧٢]

(ز) الروح القدس يوصِّلنا إلى الاتحاد بالله:

[**لم يكن ممكناً أن يصل أحد إلى الاتحاد بالله إلا بواسطة المشاركة في الروح القدس**، الذي يغرس فينا قداسته الخاصة ويعيد تشكيل طبيعتنا الساقطة تحت الفساد إلى شكل

---

(٧٠) تفسير يو ١٦: ٧ PG 74, 433

(٧١) في الثالوث ٧ PG 75, 1092

(٧٢) تفسير يو ١٧: ١٨ و١٩ PG 74, 544-545

حياته الخاصة.][٧٣]

[فالذي يربطنا ويوحِّدنا، بنوعٍ ما، مع الله إنما هو الروح القدس.] (ارجع لقول رقم ٧٢ صفحة ٤١٣)

[الذي يوحِّدنا بالمسيح مخلِّصنا هو الروح القدس.][٧٤]

فهذا الاتحاد بالله ἕνωσις ἡ πρὸς θεόν الذي يوصِّلنا إليه الروح القدس هو أكرم جميع الخيرات التي أنعم بها الله للبشرية في المسيح وفي الروح القدس. لذلك يدعوه القديس كيرلس: «كمال جميع الخيرات»:

[إن كمال جميع الخيرات هو أن يسكن الله فينا بواسطة الروح القدس.][٧٥]

وهذا التعبير لا يقل في قوَّته وفي إحكامه وفي وضوحه عن تعبير القديس الروسي ساروفيم ساروفسكي الذي سيلخِّص به فيما بعد في القرن التاسع عشر جميع التقليد الروحي الآبائي السابق له قائلاً:

[إن غاية الحياة الروحية كلها هي اقتناء الروح القدس].



(٧٣) تفسير يو ١٧: ٢٠ و٢١ PG 74, 553

(٧٤) تفسير يو ١٥: ١ PG 74, 332

(٧٥) تفسير يو ١٤: ٢٧ PG 74, 308

٢ – دور الروح القدس في اتحادنا بعضنا ببعض

(أ) الروح القدس يوحِّدنا بعضنا ببعض لأنه "واحد وغير قابل للانقسام":

[أما بخصوص الوحدة في الروح، فنقول إننا جميعاً قد قبلنا الروح الواحد بعينه، أقصد الروح القدس، ومن ثم فقد امتزجنا – بنوع ما – بعضنا ببعض بل ومع الله أيضاً. فإن المسيح – على الرغم من أننا كثيرون – يجعل روحه الخاص الذي هو روح الآب أيضاً يسكن في كل واحد منا على انفراد، غير أن الروح واحد وغير قابل للانقسام ἓν ἐστι καὶ ἀμέριστον. **لذلك فهو يجمع الأرواح المنفصلة بعضها عن بعض بسبب كيانها الذاتي، يجمعها إلى الاتحاد بواسطة نفسه، ويُظهرها جميعاً وكأنها قد صارت فيه كياناً واحداً.]**(٧٦)

هنا يُظهِر القديس كيرلس أن قدرة الروح القدس على توحيدنا بعضنا ببعض حينما يحل فينا، ترجع في الواقع إلى وحدته الجوهرية كجوهر إلهي بسيط غير قابل للانقسام مهما توزَّع على الكثيرين.

وقد قابلنا هذا المعنى عند كل من القديسين باسيليوس وأمبروسيوس فالأول يقول إن الروح [في جوهره بسيط ... نتقاسمه بدون أن يفقد كليته] (قول ٢٢ صفحة ٣٩٢)، بينما يكرِّر الثاني في ثلاثة مواضع أن الروح لا يمكن أن يتجزَّأ أو ينقسم: [جميعنا سُقينا روحاً واحداً هذا الذي لا يمكن أن

---

(٧٦) تفسير يو ١٧: ٢٠ PG 74, 561

يتجزّأ أو ينقسم] (انظر أقوال ١٩-٢١ صفحة ٣٩١-٣٩٢). فالصفة الأساسية للجوهر الإلهي هي أنه واحد بطبعه وغير قابل للانقسام، لذلك فحينما يحل فينا فهو يجعلنا بالضرورة واحداً فيه.

والقديس كيرلس يرى أن الجوهر الإلهي يحل فينا بوسيلتين أساسيتين هما: الروح القدس والإفخارستيا. لذلك فهو يعتبرهما أيضاً الوسيلتين الأساسيتين لتوحيدنا بعضنا ببعض.

(ب) مقارنة بين دور كل من الروح القدس والإفخارستيا في توحيد بعضنا ببعض:

[فكما أن قوَّة الجسد المقدَّس تجعل الذين يحل فيهم جسداً واحداً συσσώμους كذلك أعتقد بنفس الطريقة أن روح الله الواحد حينما يحل في الجميع وهو غير قابل للانقسام ἀμέριστον فهو يجمع الجميع إلى الوحدة الروحية πρὸς ἑνότητα τὴν πνευματικήν ولذلك أيضاً يناشدنا بولس الملهم من الله قائلاً: «محتملين بعضكم بعضاً في المحبة مسرعين إلى حفظ وحدانية الروح برباط السلام. **جسد واحد وروح واحد.**](٧٧)

[مع كوننا متميِّزين بوضوح بعضنا عن بعض بحيث أن لكل واحد منا شخصيته الخاصة التي ينفرد بها، حتى أن الواحد يكون بطرس والآخر يوحنا أو توما أو متى، لكننا **صرنا جسداً واحداً في المسيح لأننا نغتذي من الجسد الواحد، وكذلك خُتمنا للوحدة بواسطة الروح القدس الواحد ... فانظر إذن كيفَ صرنا واحداً بالجسد**

(٧٧) تفسير يو ١٧: ٢٠ PG 74, 561

وبالروح في المسيح وفي الروح القدس.](٧٨)

ولعلنا نبلغ الصواب إذا لخَّصنا فكر القديس كيرلس بهذا الخصوص بقولنا: إن الإفخارستيا تجعلنا جسداً واحداً في المسيح، بينما الامتلاء بالروح القدس يجعلنا روحاً واحداً فيه.

(ج) الروح القدس يجعل الثالوث يحل فينا وبذلك يجعلنا واحداً فيه:

[حينما يسكن فينا الروح الواحد، فإن الله الواحد أبو الجميع يكون فينا بواسطة ابنه، جامعاً الذين صاروا شركاء الروح القدس إلى الوحدة فيما بينهم، كما إلى الوحدة معه أيضاً.](٧٩)

(د) الروح القدس في صلاة الرب الأخيرة من أجل الوحدة (يو ١٧):

لقد طلب الرب في صلاته الأخيرة (يو ١٧) أن يكون المؤمنون به واحداً. ومع أن هذا الأصحاح لا يذكر فيه الروح القدس صراحة، إلا أن كثيراً من الآباء استشف فيه الروح القدس من بين السطور.

فلأن الروح هو بطبعه أقنوم الشركة وأقنوم الوحدة في الثالوث، لذلك فمن الطبيعي أن يعتبر الآباء أن الرب حينما يطلب لنا الوحدة فهو بالتأكيد يطلب لنا الروح القدس بطريقة ضمنية. وهذا الأسلوب في تفسير صلاة الرب الأخيرة في يوحنا ١٧ قد وجدناه من قبل عند القديس أثناسيوس (انظر الأقوال ٤٠-٤٣ صفحة ٣٩٩-٤٠٠)، ويبدو أنه كان تفسيراً تقليدياً عند آباء الإسكندرية.

---

(٧٨) في الثالوث ١ PG 75, 697

(٧٩) تفسير يو ١٧: ٢٠ PG 74, 561

يقول القديس كيرلس الكبير في تفسيره لصلاة الرب الأخيرة (يو ١٧):

[إنه يطلب أن تحل على الرسل قوَّة الروح القدس التقديسية، هذا الذي يُرسَل من عند الآب بواسطته ... ولكي لا يظن أحد أن الرب يطلب حلول روح الله على التلاميذ فقط ولا يطلبه لنا أيضاً ... لذلك يستطرد الرب قائلاً: «ولست أسأل من أجل هؤلاء فقط بل أيضاً من أجل الذين يؤمنون بي بكلامهم» ... ثم لكي لا يدعنا نجهل الغاية من صلاته، بل لكي يعرِّفنا أيَّ أُناس ينبغي أن نكون ... لذلك أضاف قائلاً:

«ليكونوا واحداً كما أنكَ أنتَ أيها الآب فيَّ وأنا فيك ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا»، فهو يطلب لنا إذن رباط المحبة والوفاق والسلام ليُدخل المؤمنين به إلى الوحدة الروحية ἑνότητα πνευματικήν حتى أن اتحادهم في الأُلفة الكاملة واتفاق النفس الذي لا ينفصم يكون مشابهاً لمعالم تلك الوحدة الجوهرية والطبيعية الكائنة بين الآب والابن.][٨٠]

إذن فالروح القدس، روح الوحدة، هو الحقيقة الروحية الفائقة التي كان يطلبها الرب لنا في صلاته الأخيرة من أجل وحدتنا. وليُلاحظ القارئ أن أقوى ما قاله القديس كيرلس بخصوص الروح القدس وعمله فينا قد جاء بالذات في تفسيره للأصحاح السابع عشر من إنجيل يوحنا (انظر الأقوال ٦٢ و٦٣ و٦٧ و٧٢ و٧٣ و٧٦ و٧٧ و٧٩-٨١ في الصفحات من ٤٠٩ - ٤١٩).

---

(٨٠) تفسير يو ١٧: ٢٠ و٢١ PG 74, 556

(هـ) الروح القدس يوحِّدنا على صورة الوحدة الطبيعية الكائنة بين الآب والابن:

لقد قرأنا في نهاية القول السابق (٨٠) أن الرب يطلب الروح القدس للمؤمنين به:

[حتى أن اتحادهم في الألفة الكاملة واتفاق النفس الذي لا ينفصم، يكون مشابهاً لمعالم تلك الوحدة الجوهرية والطبيعية الكائنة بين الآب والابن].

ويكرِّر القديس كيرلس هذا المعنى بوضوح أكثر في تفسيره للآية (يو ١٧: ١١): «أيها الآب القدوس، احفظهم في اسمك الذين أعطيتني ليكونوا واحداً كما نحن»:

[إنه يريد أن يكون التلاميذ محفوظين في الوحدة بالفكر الواحد والرأي الواحد، وكأنهم قد امتزجوا تماماً بعضهم ببعض بالنفس والروح، وممارسة السلام والمودَّة المتبادلة، حتى يرتبطوا برباط المحبة الذي لا ينحل؛ **فترتقي الوحدة الكائنة بينهم إلى أن يصير توافقهم الإرادي صورة لتلك الوحدة الطبيعية الكائنة بين الآب والابن.** وهذا هو ما قد تحقَّق بالفعل. فإننا نقرأ في أعمال الرسل أنه «كان لجمهور الذين آمنوا قلب واحد ونفس واحدة» (أع ٤: ٣٢)، **بفعل وحدانية الروح.** وهذا بعينه هو ما قصده بولس لما قال: «**جسد واحد، وروح واحد**... فإننا نحن الكثيرين جسد واحد في المسيح لأننا نأكل من الخبز الواحد» (أف ٤: ٤ و١كو ١٠: ١٧)، **وجميعنا قد مُسحنا بالروح الواحد الذي هو روح المسيح.** فلأن التلاميذ كانوا عتيدين أن يصيروا معاً جسداً واحداً وأن

يصيروا **شركاء في الروح الواحد بعينه**، لذلك يطلب المسيح لهم أن يدوموا محفوظين **في هذه الوحدة التي للروح**، التي لا يفصمها شيء، وفي وحدة لا تنقسم.][٨١]

(و) دور الروح القدس في توحيد الخليقة كلها منذ تأسيس العالم:

[«**روح الرب قد ملأ المسكونة وهو يوحِّد الكل** ويعرف كل ما يُقال» (حك ١: ٧) كيف لا يكون الروح هو الله؟ ... إن كان هو الذي يوحِّد الكل فكيف يكون هو نفسه مخلوقاً أو خاضعاً للتغيير؟ فإن عبارة «الكل» تعني كل الطبيعة من كل شكل ومن كل نوع - أعني الطبيعة المخلوقة - وتشير إذن بوضوح إلى أن الذي يوحِّد «الكل» هو مختلف عن «الكل» وفائق له ... وما هو فائق للكل فهو الله.][٨٢]

في هذا القول يبني القديس كيرلس برهانه لألوهية الروح القدس على قدرة الروح على توحيد الخليقة كلها، حيث يعتبر هذه القدرة التوحيدية من اختصاصات الروح القدس الأساسية بحسب ما جاء في سفر الحكمة (١: ٧).

(ز) دور الروح القدس في توحيد الجميع يوم الخمسين كفعل مضاد للتفرقة الحاصلة عند بناء برج بابل:

يعتبر الآباء عموماً أن ما حدث في يوم الخمسين كان النقيض المباشر لبلبلة الألسن الحادثة عند بناء برج بابل. فحادثة برج بابل كانت سبباً لتفرقة الناس وتشتتهم في جميع المسكونة، بينما صار يوم الخمسين سبباً

---

(٨١) تفسير يو ١٧: ١١ PG 74, 516-517

(٨٢) في الثالوث ٧ PG 75, 1105

لاجتماع الجميع من جديد وتوحيدهم بواسطة الروح. وقد سبق أن ذكرنا ما قاله القديس غريغوريوس النزينزي في ذلك (قول ٢٨) وأشرنا إلى وجود نفس الرأي عند القديس كيرلس الأورشليمي (هامش ٢٥) والقديس يوحنا ذهبي الفم (قول ٢٧) (ارجع لصفحة ٣٩٤).

أما القديس كيرلس الكبير فهو يرى أن الشروع في بناء برج بابل كان مثالاً لكل محاولة لبناء مجد الذات بالتباهي بالبر الذاتي، وهذا كان خطأ اليهود الأساسي على مدى تاريخهم الطويل:

[فإن رغبتهم في الارتفاع بمجرَّد التباهي بآبائهم في جهالة، تشبه تماماً الشروع في بناء البرج ... فإنهم بأسباب الفخر الترابية يبنون مجدهم الذاتي وبذلك يتورَّطون في كل حين].

والنتيجة الحتمية لارتفاع الذات تكون دائماً التشتُّت والتفرقة والانقسام، وهذا هو أيضاً ما قد وقع على اليهود:

[فقد شتَّتهم الله إلى ألسنة كثيرة أي إلى جميع الأمم ... **وأما في المسيح فقد صار تعدُّد الألسنة آية صالحة**، فبينما كان التلاميذ مجتمعين معاً في يوم الخمسين في بيت واحد «صار بغتة من السماء صوت كما من هبوب ريح عاصفة وملأ كل البيت حيث كانوا جالسين، وظهرت لهم ألسنة منقسمة كأنها من نار، واستقرَّت على كل واحد منهم، وامتلأ الجميع من الروح القدس، وابتدأوا يتكلَّمون بألسنة أخرى كما أعطاهم الروح أن ينطقوا» (أع ٢: ٢-٤)؛ فبماذا كانوا يتكلَّمون؟ كانوا بقيادة الروح يتكلَّمون عن الانطلاق إلى فوق وعن القدوم إلى السماء في المسيح بواسطة الإيمان **وعن اجتماع كل ما في المسكونة من ألسنة وأُمم وشعوب إلى**

الوحدة في الروح. فكان الروح يشهد للمسيح في جميع ألسنة الناس وكان ينطق بأسرار المسيح. إذن فقد صار تعدُّد الألسنة في حادثة برج بابل علامة للفُرقة وللتشتُّت في جميع الأمم؛ وأما في المسيح فقد صار علامة للمجيء إلى الوحدة بواسطة الروح وللانطلاق إلى فوق.][٨٣]

(ح) دور الروح القدس في مصالحة الشعوب «جعل الاثنين واحداً»:

[إن هؤلاء بعينهم - أي كلا الشعبين - لم يعودا بعد منقسمين ولا متعارضين في الرأي بعضهم مع بعض، ولا مختلفين في اعتقادهم في الله كما كانا في القديم، بل صارا بالأكثر مترابطين بشدَّة **في الوحدانية بواسطة الروح** في توافق النفس واتفاق الإيمان، فإنه مكتوب أنه «كان لجمهور الذين آمنوا قلب واحد ونفسٍ واحدة». فإن المسيح قد خلق الشعبين إنساناً واحداً جديداً صانعاً سلاماً **ومُصالحاً الاثنين في روح واحد** كما هو مكتوب.][٨٤]

(ط) الروح القدس هو السلام الحقيقي الذي وعدنا به الرب:

[إنه لا يقول فقط «إني أعطيكم السلام»، بل «سلامي أنا». ومن الواضح أن ما يعنيه من ذلك هو «إني سأُحضر لكم الروح القدس وسأكون أنا بذاتي مع الذين يقبلونه». **فسلام المسيح هو روحه**][٨٥].

---

(٨٣) جلافير على التكوين PG 69, 80

(٨٤) تفسير صفنيا ٣: ١٩ PG 71, 1020

(٨٥) "سلام المسيح هو روحه":

ليلاحظ القارئ أهمية هذا التفسير الآبائي الذي نجده عند كل من القديسين كيرلس الكبير وكبريانوس، ولنذكر ذلك كلما حضرنا الصلاة من أجل سلام الكنيسة "أوشية السلامة"، فهي في الواقع بحسب هذا المبدأ التقليدي صلاة من أجل امتلاء الكنيسة بالروح القدس الذي يجدِّدها ويجمعها في الألفة والوحدة والسلام.

وإثبات ذلك لا يحتاج إلى برهان طويل ... فإن بولس المُلهَم يقول: «وسلام الله الذي يفوق كل عقل يحفظ قلوبكم وأفكاركم ...» **فالسلام الذي يفوق كل الرئاسات والقوّات والكراسي والسلاطين وكل الكائنات العقلية إنما هو روح المسيح ...**

فحيث أن السلام الإلهي الحق هو المسيح نفسه وليس آخر (بحسب رسالة أفسس ٢: ١٤ «لأنه هو سلامنا»)، لذلك فروحه ينبغي بحق أن يُدعَى ويُعتَبَر مثله «السلام». لهذا السبب ينسب المسيح سلامه الخاص - أي روحه - إلى طبيعته الخاصة إذ يقول بخصوصه «سلامي أنا، أتركه لكم».](٨٦)

إذن، فالروح القدس هو العطية الحقيقية التي وعدنا بها الرب لما قال: «سلامي أعطيكم، سلامي أنا أتركه لكم». فالروح القدس أصلاً هو روح السلام الحقيقي؛ وهذا يذكّرنا بما وجدناه من قبل عند القديس كبريانوس بخصوص ظهور الروح القدس بهيأة حمامة التي هي رمز للسلام (انظر قول ١٤).

(ي) الروح القدس مصدر التوافق والانسجام في بناء الكنيسة:

[إن المسيح هو أساس الجميع ... فإننا جميعنا مبنيون عليه، بيتاً روحيًّا **متوافقين معاً** συναρμολογούμενοι **بفعل الروح القدس**، هيكلاً مقدَّساً لسكناه ...](٨٧)

وليلاحظ القارئ أن كلمة متوافقين معاً συναρμολογούμενοι تفيد

---

(٨٦) تفسير يو ١٤: ٢٧ PG 74, 305

(٨٧) تفسير إش ٤٤: ٢٣ PG 70, 940

نوعاً من التوافق والتآلف والانسجام الروحي الرفيع بشبه توافق النغم الموسيقي، ذلك لأنها مشتقة من نفس أصل كلمة harmony = ἁρμονία التي تعني التوافق الموسيقي. فالروح القدس إذن - بحسب رأي القديس كيرلس - هو الذي ينشئ في الكنيسة هذا النوع الرفيع من الانسجام الروحي الذي يشبه توافق اللحن الموسيقي(٨٨).

(ك) دور الروح القدس في توحيد الكنيسة كوحدة عضوية حيَّة:

[إنه هو الرأس ونحن جسده وأعضاؤه أفراداً. كذلك هو الكرمة ونحن غُرسنا فيه كأغصان، **مرتبطين معاً في الوحدة بحسب الروح بتقديس نفوسنا.**](٨٩)

[«أنا الكرمة الحقيقية وأبي الكرَّام»:

إنه بقوله إنه الكرمة بهذا الأسلوب التصويري، يريد أن يُظهر لنا أنه يجب علينا أن نحبه وأن نتمسَّك بحبنا له، ويعرِّفنا ما أعظم الربح الذي نناله من التصاقنا به. فالأغصان هم الذين يتحدون به ويثبتون فيه ويتأصَّلون فيه، ويصيرون شركاء لطبيعته بواسطة شركة الروح القدس. فإن الروح القدس هو الذي يوحِّدنا بالمسيح مخلِّصنا.](٩٠)

فكما تسير العصارة الحيَّة من أصل الكرمة إلى الأغصان فتصنع منها

---

(٨٨) وجدير بالذكر أن هذه الكلمة συναρμολογούμενον كان بولس الرسول أول مَنْ استخدمها (في رسالة أفسس ٤: ١٦) للإشارة إلى التوافق والانسجام الكامل الذي يلزم أن يكون في الجسد الإلهي. وقد تُرجِمَت إلى العربية بعبارة «مركَّباً معاً» التي يعوزها معنى الانسجام والتوافق الموسيقي.

(٨٩) جلافير على التكوين ٦: ٣ PG 69, 296

(٩٠) تفسير يو ١٥: ١ PG 74, 332-333

جميعاً **وحدة عضوية واحدة**، هكذا يكون الروح القدس فينا. ولذلك يدعوه القديس كيرلس "**العصارة المحيية**":

[إن الأغصان المقطوعة تُنزع تماماً وتُسلَّم للنار، بعد أن تُسحب منها تلك **العصارة المحيية التي هي الروح القدس الذي أخذته قبلاً من الكرمة.**](٩١)

[فالابن يقوتنا ويغذينا بطريقة كاملة بواسطة الروح القدس ... فالمسيح يقوم بدور الكرمة، ونحن ننتمي إليه كالأغصان، ونغتني بنعمته، ونستقي منه بالروح القدس قوَّة روحية لإنتاج الثمر.](٩٢)

(ل) دور الروح القدس في اتحاد الكنيسة بالمسيح كعذراء عفيفة له:

[لقد كتب الحكيم بولس للذين تبرَّروا **واغتنوا بالاتحاد بالمسيح بواسطة اقتناء الروح القدس** بمسرَّة الآب: «لقد خطبتكم لرجل واحد لأُقدِّم عذراء عفيفة للمسيح»، فقد صار الرسل المطوَّبون يكرزون ويدعون الناس إلى العُرس الروحي ... **ويجعلونهم يلتصقون بالمسيح ويرتبطون معاً بفعل وحدانية الروح.**](٩٣)

فبفعل الروح القدس إذن تصير الكنيسة ملتصقة بالمسيح «كعذراء عفيفة له». «مَنْ التصق بالرب فهو روح واحد».

---

(٩١) تفسير يو ١٥: ٢ P.G. 74, 349

(٩٢) تفسير يو ١٥: ١ P.G. 74, 333

(٩٣) جلافير على التكوين ٣: P.G. 69, 148

(م) دور الروح القدس في اتحاد المسيح بالكنيسة بشبه اتحاد آدم بحواء:

[إن الإنسان الأول قد اقترن بالمرأة في جسد واحد، فهلك بسببها (إذ سمع لمشورتها).

وأما المسيح فهو يتحد بالكنيسة بواسطة الروح، فيحرِّرها ويخلِّصها.](٩٤)

(ن) دور الروح القدس في توحيدنا بعضنا ببعض كشراب واحد محيي يشربه الجميع:

+ «**وجميعنا سُقينا روحاً واحداً.**» (١كو ١٢: ١٣)

يقول القديس كيرلس في تفسيره لهذه الآية:

[لقد اتحدنا بعضنا ببعض وصرنا جسداً واحداً في المسيح، **لأنه جمعنا معاً وربطنا معاً بنوع ما بالروح القدس الواحد الذي يحل في الجميع، الذي سُقينا منه باعتباره شراباً محيياً.**

فقد قال المسيح، لما كان يتكلَّم مع المرأة عند بئر يعقوب: «مَنْ يشرب من هذا الماء يعطش أيضاً، ولكن مَنْ يشرب من الماء الذي أعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد، بل الماء الذي أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية» (يو ٤: ١٣-١٤). كما قال لليهود: «من آمن بي، كما قال الكتاب، تجري من بطنه أنهار ماء حي. قال هذا عن الروح القدس الذي كان المؤمنون به مزمعين أن يقبلوه» (يو ٧: ٣٨-٣٩). ولا تعجب من ذلك لأنه إن كان

---

(٩٤) جلافير على التكوين PG 69, 29

المسيح هو نهر الله المملوء ماءً بحسب قول المزمور (مز ٦٤: ١٠ حسب السبعينية: نهر الله امتلأ ماء)، وهو السيل المتدفّق الفائض حلاوة الذي قيل إن الله الآب يسقي منه الذين يحبونه (مز ٣٥: ٩ حسب السبعينية: ومن سيلٍ حلاوتك تسقيهم)؛ فكيف لا يُعتبر روحه شراباً محيياً وماءً محييا؟ **إذن فقد دُعينا إلى الوحدة بواسطة الروح** وقد صرنا شركاء في جسد واحد في المسيح. **فلنتمسَّك إذن برباط المحبة بغير انقسام.**] (١كو ٩:١٢)[٩٥]

(٩٥) تفسير ١كو ١٢: ١٢ PG 74, 888-889

خـاتمـة

الروح القدس ومبدأ التنوُّع في الوحدة

بدون التنوُّع والتمايز بين أعضاء الجسد الواحد لا تكون وحـــدتهم وحدة عضوية حيَّة، بل تكون مجرَّد سبيكة جامدة بلا حياة.

فالقديس بولس يؤكِّد هذه الحقيقة قائلاً:

+ «**لو كان كل الجسد عيناً، فأين السمع؟ لو كان الكل سمعاً، فـــأين الشم؟ ... لو كان الجميع عضواً واحداً، فأين الجسد؟**» (١كو ١٢: ١٧ و١٩)

وفي ذلك يقول الأب متى المسكين في كتابه «الكنيسة الخالدة»:

"لكي ندرك معنى الوحدة إدراكاً صحيحاً، يجب أن نستثني فكرة رفع الفوارق بين الأعضاء، والكف عن أيَّة محاولة لملاشاة التنـــوُّع والتمايز والاختصاص التي هي السمة الضرورية لتكوين الوحدات الكاملة. **لأن كمال الوحدة وجمالها هو في التـــآلف بـــينُ أجزائهـــا المتميِّزة** والانسجام بين المتنوعات فيها والتعاون في الاختصاصات المختلفة! ... والوحدة البشرية التي تفقد حرية التآلف بين عناصر مكوناتها والاحتفاظ بخواص الأجزاء، بل والعمل علـــى إنمائهـــا أيضاً، لا تصير وحدة حيَّة بل سبيكة بشرية فاقدة تمامـــاً لكـــل خواص مكوناتها!!

فتنوع المواهب لازم لبناء هيكل الكنيسة كتنوع أشكال العظام في هيكل الجسد، إذ يتكامل المؤمنون الواحد بالآخر كارتفاق العظام بعضها ببعض بإحكام «بمفاصل، ورُبُط، متوازراً» (كو ٢: ١٩)."[٩٦]

فمن صفات الروح القدس أنه متنوع ومتعدِّد في مواهبه وعطاياه مع بقائه واحداً في جوهره. وقد قابلنا هذا المبدأ في بداية هذه المقالة في رسائل القديس بولس الرسول:

+ «**فأنواع مواهب موجودة**، ولكن الروح واحد.» (١كو ١٢: ٤)
+ «وهذه كلها يعملها الروح الواحد بعينه، **قاسماً لكل واحد بمفرده، كما يشاء.**» (١كو ١٢: ١١)

فالوحدة التي يدخلنا إليها الروح القدس، يتقابل فيها مبدأ التنوُّع مع مبدأ الوحدة. وقد سبق أن وجدنا تقابل المبدأين أيضاً في كتابات القديس يوحنا الرسول، إذ أن كلاً من الروح القدس والكنيسة يوصف في سفر الرؤيا أحياناً بالعدد سبعة: «سبعة أرواح الله المُرسَلة إلى كل الأرض»، «يوحنا إلى السبعة كنائس»، وأحياناً بأنه مفرد: «الروح والعروس يقولان تعالَ»، وذلك إشارة إلى تقابل القدرة على التنوُّع والانتشار مع الاحتفاظ بالوحدة الكيانية الجوهرية.

ثم وجدنا نفس هذا المبدأ أيضاً عند القديس باسيليوس الكبير إذ أنه يصف الروح القدس بأنه:

[**في جوهره بسيط، في طاقته متعدِّد ومتنوع،**

---

(٩٦) "الكنيسة الخالدة" صفحة ١٠٢ و٩٤.

موجود كله في كل واحد، وكله موجود في كل مكان
يتوزَّع بدون أن يلحقه ضرر
نتقاسمه بدون أن يفقد كليته.] (قول ٢٢)

وأما القديس كيرلس فهو يؤكِّد بوضوح أكثر أننا لا نفقد شخصياتنا الخاصة المتميِّزة بدخولنا في الوحدة الروحية بفعل الروح القدس. فدخولنا كأعضاء في الجسد الإلهي لا يلغي الصفات التي يتميَّز بها كل واحد منا والتي تكوِّن شخصيته الخاصة:

[**مع كوننا متميِّزين بوضوح بعضنا عن بعض بحيث أن لكل واحد منا شخصيته الخاصة** ὑπόστασιν ἰδικήν **التي ينفرد بها، حتى أن الواحد يكون بطرس والآخر يوحنا أو توما أو متى،** لكننا صرنا جسداً واحداً في المسيح لأننا نغتذي من الجسد الواحد، **وكذلك خُتِمنا للوحدة بواسطة الروح القدس الواحد.**](٩٧)

وفي تفسيره للرسالة الأُولى إلى أهل كورنثوس يتأمَّل في ميزة هذا التنوُّع والتمايز بين الشخصيات في الجسد الإلهي الواحد، إذ أنه يضفي جمالاً باهراً على ثوب الكنيسة، فتكون كأنها مشتملة بثوب موشَّى بالذهب مزيَّنة بأشكال كثيرة(٩٨).

---

(٩٧) في الثالوث ١ PG 75, 697

(٩٨) وللقديس أغسطينوس رأي جريء في هذا الموضوع مشابه لرأي القديس كيرلس الكبير، إذ يرى أن اختلاف الطقوس والعادات والتقاليد من كنيسة محلية إلى أخرى إنما [يضيف إلى الحُلَّة التي تتزيَّن بها ابنة الملك – الكنيسة – ثوباً موشَّى بالذهب الإبريز تنعكس منه أشعة ذات ألوان شتَّى] (الرسالة ٣٦: ٩ "٢٢"). فهو بذلك يبرز القيمة الإيجابية للتنوُّع ليس فقط بين الأفراد بل وبين الكنائس المحلية أيضاً في حدود وحدانية الروح ووحدانية الإيمان. وليذكر القارئ ما قلناه في هامش (٤٥) من أن القديس أغسطينوس في الغرب يجاري القديس كيرلس الكبير في الشرق، وإن كنا لم نعطه في هذا البحث حقَّه من الاهتمام والدراسة فذلك بسبب غزارة أقواله وخصب فكره اللاهوتي في هذا الموضوع، الأمر الذي يجعله يستحق أن يخصَّص له بحث كامل خاص به.

يقول القديس كيرلس:

[إن الروح يدبِّر توزيع المواهب لكل واحد بطريقة مختلفة حتى - بحسب ما قيل في (١كو ١٢: ١٢) - كما أن هذا الجسد الكثيف الأرضي يتخذ قوامه من وجود أجزائه المختلفة، هكذا المسيح أيضاً، أي جسده الذي هو الكنيسة، يأخذ كيانه من كثرة تنوُّع القديسين الكائنين معاً في وحدته الروحية الفائقة. ولذلك يصف داود المُلهَم من الله الكنيسة بأنها «مشتملة بثوبٍ موشَّى بالذهب، مزيَّنة بأشكال كثيرة» (مز ٤٤: ١٠ بحسب السبعينية). وأنا أرى أنه يشير بذلك إلى كثرة تنوُّع المواهب وإلى كرامتها ... ولذلك أيضاً كُتب إنه: «ظهرت لهم ألسنة منقسمة كأنها من نار واستقرَّت على كل واحد منهم» (أع ٢: ٣).](٩٩)

هذا هو جمال الكنيسة الباهر، الذي يتكوَّن من تناسق المواهب ونوعة وتآلف الشخصيات المتعدِّدة في وحدانية الروح القدس. هذا هو بريق الكنيسة المتعدِّد الألوان الذي ظهر للقديس يوحنا اللاهوتي في هيئة حجارة كريمة من كل لون وكل نوع، تُشكِّل أساسات أورشليم السماوية. فلولا هذا التنوُّع المتناسق بالروح لكانت الكنيسة كلها كتلة واحدة صماء بلا شكل ولا لون، أو "سبيكة" جامدة - بحسب تعبير الأب متى المسكين (هامش ٩٦).

بل نقول، إن هذه هي قدرة الله الفائقة التي بها استطاع أن يحوِّل نفس الأضرار التي أصابت البشرية بخطية آدم إلى قيم إيجابية في المسيح يسوع. فإن آدم الأول كان واحداً وبالخطية دخل في صميم طبيعته عنصر التفتُّت

(٩٩) تفسير ١كو ١٢: ٩ P.G. 74, 88, Pusey, iii, 289, 290

والتمزُّق الذي أدَّى إلى تشتُّت البشرية وانقسامها إلى شعوب وقوميات وألسنة كثيرة. ولكن حكمة الله وقدرته الفائقة ظهرت في «جمع كل شيء تحت رأس واحد في المسيح»، ليس بإلغاء تنوع الشخصيات والقوميات والألسنة، بل بتآلفها وتناسقها بفعل الروح القدس، وتحويل التمزق والتفرقة التي حصلت بخطية آدم إلى تنوع مواهب إيجابي في المسيح يسوع، يدفع البشرية للارتقاء «إلى إنسان كامل. إلى قياس قامة ملء المسيح» (أف ٤: ١٣)، حتى صارت البشرية الجديدة في المسيح يسوع بسبب تنوع مواهب شخصياتها وتعدُّد أصناف مواهبها ثم تناسقها بفعل الروح القدس، أخصب وأكثر جمالاً وتكاملاً بما لا يُقاس مما كانت في آدم الأول بفرديته ذات النمط الواحد قبل أن يخطئ. وهذا هو فضل آدم الثاني على آدم الأول.



دير القديس أنبا مقار
برية شيهيت

الرؤية الإلهية للأعياد الكنسية

- ٥ -

الروح القدس
الرب المحيي

(في كتابين)

الكتاب الثاني

الأب متى المسكين

كتاب: الروح القدس الرب المحيي
المؤلف: الأب متى المسكين
الطبعة الأولى: ١٩٨١
الطبعات اللاحقة: ٢٠٠١- ٢٠١٥
الطبعة السادسة: ٢٠٢٠
مطبعة دير القديس أنبا مقار ـــــ وادي النطرون
ص. ب ٢٧٨٠ ـــــ القاهرة
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ١١٧٣٦/ ٢٠١١
رقم الإيداع الدولي: ISNB 977-240-276-9
الناشر: دار مجلة مرقس.ص ب ٣١ شبرا
جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للناشر.

المسكين متى
الروح القدس: الرب المحيي/ متى المسكين ط٤
برية شيهيت: دير القديس أنبا مقار، ٢٠١١
٩٩٢ص ؛ ١٥سم
تدمك ٩ ٢٧٦ ٢٤٠ ٩٧٧
١- الروح القدس أ – العنوان
٢٣١٫٣

الفهرس العام

الكتاب الأول

المحتويات

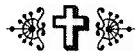
الموضوع	سنة النشر	صفحة
تقديم	١٩٨١	٧
يوم الخمسين في التقليد الآبائي	١٩٨٠	١١
الروح القدس وعمله داخل النفس (عرض لأقوال الآباء النُسَّاك)	١٩٧٤	٤٣
العنصرة	١٩٦٠	١٥٥
الروح القدس وكمال استعلان الثالوث عند القديس أثناسيوس	١٩٨١	٢٠٧
كيف يتم تقديس النفس بالروح القدس في لاهوت القديس كيرلس	١٩٧٨	٣٣٥
الروح القدس روح الوحدة في التقليد الكنسي حتى عصر القديس كيرلس الكبير	١٩٨٠	٣٦٣

الكتاب الثاني

المحتويات

الموضوع	سنة النشر	صفحة
الباراكليت		
(الروح القدس في حياة الناس)	١٩٦١	٤٣٩
الروح القدس والإفخارستيا		
(وسيلتان إلهيتان لتوثيق علاقتنا الكيانية بالمسيح)	١٩٧٧	٥٣٥
عمل الروح القدس في العذراء وفينا	١٩٧٣	٥٦٩
الروح القدس والرهبنة		
(حياة الأنبا أنطونيوس امتداد لشعلة يوم الخمسين)	١٩٦٨	٥٨٧
الروح القدس والاستشهاد.....	١٩٧٣	٦٠١
أعمال الروح القدس في العهد القديم	١٩٧٦	٦١٣
مقالات قصيرة عن الروح القدس	١٩٦٧	٦٥١
مع الروح القدس في جهادنا اليومي	١٩٧٥	٧٠١
الروح القدس في مواجهة العدو لحساب ملكوت الله	١٩٧٨	٧٤٧
الروح القدس يمنحنا القيامة.....	١٩٧٩	٧٦٥
حلول الروح القدس يوم الخمسين (موعد الآب)	١٩٧٣	٧٨٥
الصوم والروح القدس والخدمة.....	١٩٧٩	٨٠٣
المواهب الكنسية		
(الروح القدس في حياة الكنيسة)	١٩٦٩	٨٣١

الروح القدس وحركات التبشير المعاصرة ١٩٧٦ ٨٨١
ماذا حدث يوم الخمسين ١٩٨١ ٩٠١
يوم الخمسين وميلاد الكنيسة ٢٠٠٢ ٩١٥
الفهرس الموضوعي للكتاب ٩٣٠



البراكليت

الروح القدس في حياة الناس

سنة ١٩٦١

المحتويات

صفحة

مَن هو الروح القدس؟

للقديس باسيليوس ٤٤١

للقديس غريغوريوس الناطق بالإلهيات..... ٤٤٣

الفصل الأول: الاسم ومدلوله العملي..... ٤٤٤

الباراكليت ٤٤٥

الفصل الثاني: رسالة الباراكليت..... ٤٥٣

الباراكليت في حياة الناس..... ٤٥٤

أولاً: الانسكاب ٤٥٤

ثانياً: الحلول والامتلاء..... ٤٦١

١ ــ الحلول بالكلمة ٤٦٤

٢ ــ الحلول بالأسرار ٤٧١

٣ ــ الحلول بالصلاة..... ٤٨٩

الفصل الثالث: عوائق الحلول والامتلاء من الروح القدس..... ٥٠٦

أولاً: المادية في المسيحية ٥٠٧

ثانياً: الشكلية في المسيحية ٥١٢

ثالثاً: الآلية في المسيحية..... ٥١٤

رابعاً: الدعاية في المسيحية ٥١٦

خامساً: الاحتكارية في المسيحية..... ٥٢٠

سادساً: الاستيلائية في المسيحية ٥٢٢

سابعاً: الانفصالية في المسيحية..... ٥٢٦

ثامناً: الانغلاقية التصوفية ٥٢٨

تاسعاً: اللاهوتية العقلية في المسيحية ٥٣٢

من هو الروح القدس؟

جوهر إلهي عاقل لا حدود لقدرته، لا نهاية لعظمته،
فوق الإحساس الزمني وغير خاضع للدهور،
واهب لخيراته الخصوصية.
كل الخليقة تتجه نحوه في عوز وفقر شديد لتقديسه،
كل الخلائق التي تتنفس الحق هي تابعة له بالضرورة وملتحفة به،
يُنعشها بالإلهام ويقودها برفق حتى يُبلِّغها غايتها الكاملة.
هو المُتقِن لكل الأشياء والساكب الحياة على العالم.
حضرته كليَّة في الزمان والمكان، فلا وجود لشيء إلاَّ به.
مصدر التقديس والنور الذي لا يُدرَك إلاَّ بحاسة العقل الروحي.
يُشرق ذاته على الخليقة العاقلة الباحثة عن الحق، فتتمثَّله كطاقة استعلان واستنارة للرؤيا.
حسب طبيعتنا الحسية لا يمكن أن ندنو منه،
ولكنه مُدرَك بانتباهة العقل المنعطف ناحية الخير.
الأشياء مملوءة طبيعياً بقوته،
ولكنه لا يتصل شخصياً إلاَّ بالخليقة المنفتحة له.
ليس لعطائيته مقياسٌ واحد،
ولكنه يُقسِّم مواهبه حسب نسبة الإيمان.

في جوهره بسيط،
في طاقته متعدِّد ومتنوِّع!
موجود بكلِّه وتمامه في كلِّ واحد، وكلُّه موجود في كلِّ مكان.
يتوزَّع بلا انقسام في صفاء وبغير اضطراب.
يتقاسمه آخذوه دون أن يفقد كليته، كشعاع النور الذي يوصِّل لك الشمس في رفق وتلطف وكأنما هي مشرقة لك وحدك مع أنها مشرقة على الدنيا كلها.
فالروح هكذا لكل مَن يتقبَّله،
يكون كأنه له وحده مع أنه باعث لنعمته بكفاية وكمال لكل بني الإنسان.
الكل يتعزَّى به كقدر طاقته، لا كقدر طاقة الروح في ذاته.
هو القوة التي تُقيم الحياة،
وهو الذي بواسطته اقتبل الإنسان حالة التبنِّي،
وتحوَّل فيه الموت إلى عدم موت.

مقتطفات من رسالة القديس باسيليوس
(عن الروح القدس)

القديس غريغوريوس الناطق بالإلهيات

نطق بهذه الكلمات بعد قبوله رعاية كنيسة نزيانز



أنا فتحتُ فمي واجتذبتُ لي الروح القدس، ثم أعطيتـه نفسي وكـل مـا فيَّ!!

نشاطي كله وسكوني، كلامي وصمتي،

الكل سلَّمته للروح القدس ولا أطلب إلاَّ أن يسندني ويقودني،

يوجِّه عقلي ولساني ويدي إلى الحق كما يشاء،

ويضبطني في حدود الصواب والمنفعة.

أنا آلة الله، آلة عاقلة، آلة مشدودة متناغمة باليـد الحاذقـة، يـد الـروح القدس.

بالأمس كان عمل الروح فيَّ منحبساً في السكوت...

وكنتُ أنا منحصراً بدهشي وتأملاتي عازفاً عن الحديث.

واليوم وقَّع الروح في أعماقي أول أنغامه لأنطق به وأُعلِّم،

فانقلبت تأملاتي كلاماً، ودهشي حديثاً للناس!!

أنا لستُ مُكثراً للكلام كمَن يحب الأحاديث عندما ألمح الـروح منعطفـاً فيَّ نحو السكوت.

ولا أنا مُكثر في الصمت كجاهل يضبط شفتيه في وقت يلزم فيه الكلام،

أنا أفتح بابي وأُغلقه وِفق "عقل" الله و"كلمته" و"روحه"،

الله الواحد بلاهوته.

الفصل الأول

الاسم ومدلوله العملي

معنى الباراكليت:

١ ــ الاتجاه الأول لمعنى الباراكليت: محامي البشرية وشفيع الكنيسة.

٢ ــ الاتجاه الثاني لمعنى الباراكليت: المعزِّي.

٣ ــ تقابُل المعنى الأول مع المعنى الثاني.

الباراكليت

παράκλητος



هو الاسم الخصوصي الذي أطلقه الرب على الروح القدس، الأقنوم الثالث لله الواحد.

وكلمة باراكليت، كلمة يونانية قديمة، مكوَّنة من مقطعين، **الأول**: "**بارا** παρά" ويفيد "الملازمة"؛ **والثاني**: "**كليتوس** κλητος" ويفيد "الدعوة للمعونة"(١).

أما المعنى النهائي للكلمة فهو ينحصر في اتجاهين:

١ – الاتجاه الأول:

لغوي ويتخذ قوته في ميدان التطبيق العملي، أي في عمل الروح القدس بالنسبة لحياتنا الحاضرة، وهنا يكون معنى الباراكليت: **الشفيع أو المحامي**.

٢ – الاتجاه الثاني:

وجداني ويتخذ قوته في ميدان التفسير الروحي القائم على عمل الروح القدس داخلنا، وهنا يتجه معنى الباراكليت إلى **التعزية الروحية**.

---

(1) *Biblical Encyclopaedia.*

ونحن سنعرض أمام القارئ كلاَ الاتجاهين في حدود ما تحتمله كلمة "باراكليت"، لا بصورة بحث علمي، لأن هذا ليس اختصاصنا؛ وإنما على مستوى عملي ليستوعب القارئ هذين الاتجاهين في حياته العملية والباطنية معاً، أي ليتخذ الروح القدس شفيعاً له ومحامياً في جهاده مع الدنيا، ثم معزِّياً له ومريحاً لنفسه ولروحه.

الاتجاه الأول لمعنى الباراكليت:

حسب مفهوم اللغة اليونانية القديمة واستعمالاتها، كما وردت في النصوص التفسيرية، نجد المعنى ينحصر في الصفة القضائية للشخص الذي يُمكِّنه القانون من **الدفاع والمحاماة والشفاعة عن آخر**(٢).

وقد وردت في اصطلاحات الربِّيين اليهود بهذا المعنى، وبالذات في كتابات العلاَّمة فيلو اليهودي(٣) (وإنما كانت تُنطق باللغة العبرية هكذا: "البيراقليطا"، وهذا النطق عينه هو الذي اشتُقَّ منه نُطق الكلمة باللغة العربية "البراقليط"، لأن اللغة العربية تميل إلى الأخذ من اللغة العبرية القديمة أكثر من اللغة اليونانية)، كما رأينا سابقاً في كتاب: "العنصرة"(٤).

ووردت أيضاً بهذا المعنى في كتابات الآباء الرسوليين، وبالذات في رسالة برناباس(٥).

---

(2) Ibid.

(3) Loesner, *Observ. Ex. Phil.*, p. 496.

(٤) راجع كتاب: "العنصرة".

(5) *Epistle of Barnabas*, ANF, Vol. I, Ch. 20.

وتوجد وثيقة في كنيسة فيينا ليوسابيوس القيصري، وردت فيها كلمة "الباراكليت" كصفة أُطلقت على شخصٍ تبنَّى مسئولية الدفاع عن المسيحيين المتهمين بمسيحيتهم. وهي مقالة ممتعة فيها ينعت المسيحيون هذا الشخص واسمه: "فتّيوس إيب أجاثوس" بـ "الباراكليتي" لأنه **حامَى عنهم وتشفَّع لهم جهاراً** مُعرِّضاً حياته للهلاك، فبرهن بشجاعته النادرة أنه كان يلبس حقًا "الباراكليت" **الروح المتشفِّع**(٦).

وهذه الوثيقة تصوِّر كلمة "الباراكليت" تصويراً واقعياً حياً، إنما على مستوى بشري. ونحن لو رجعنا إلى الكتاب المقدس، لوجدنا هذا التصوير حقيقة واقعة، إنما على مستواه الإلهي الأصيل، إذ نقرأ عن الباراكليت نفسه هكذا:

+ «ولكن احذروا من الناس، لأنهم سيُسْلِمونكم إلى مجالس، وفي مجامعهم يجلدونكم. وتُساقون أمام ولاة وملوك من أجلي شهادةً لهم وللأمم. فمتى أسلموكم فلا تهتموا كيف أو بما تتكلَّمون، لأنكم تُعْطَوْن في تلك الساعة ما تتكلَّمون به، لأن **لستم أنتم المتكلِّمين بل روح أبيكم الذي يتكلَّم فيكم**.» (مت ١٠: ١٧-٢٠)

وهكذا يتجسَّم عمل الروح القدس "الباراكليت" كمدافع ومحامٍ يترافع في اللحظة المناسبة عن قضية مسيحيتنا!!

وهنا يتجه المعنى بوضوح إلى الناحية العملية من حيث جهادنا المسيحي مع العالم. كذلك لو فحصنا كلمة "الباراكليت" في جميع

---

(6) *Clark's Theol. Lib.*, 4th Ser., Vol. VII, p. 215.

المواضع التي ذُكِرَت فيها في الكتاب المقدس، نجدها تتجه غالباً ناحية وظيفة المحاماة والتشفُّع النيابي عنا على مستوى إلهي غالب تجاه مواقف العالم الحرجة وفي محاكم الفكر البشري.

أما محور تشفُّع الروح القدس ومرافعاته فيتركَّز في الشهادة لحقيقة شخص المسيح ولصِدق مسيحيتنا!!

فكما أن المسيح هو باراكليت (شفيع) البشرية لدى الله الآب: «إن أخطأ أحد فلنا شفيع (باراكليت) عند الآب، يسوع المسيح البار.» (١يو ٢: ١)[٧]

هكذا الروح القدس هو باراكليت (شفيع) مسيحيتنا ضد العالم: «ومتى جاء المعزِّي (الباراكليت) الذي سأُرسله أنا إليكم من الآب، روح الحق، الذي من عند الآب ينبثق، فهو يشهد لي. وتشهدون أنتم أيضاً.» (يو ١٥: ٢٦-٢٧)[٨]

وأول تطبيق لهذا الوعد نجده واضحاً جميلاً في الأصحاح الرابع من سفر الأعمال:

+ «وبينما هما يُخاطبان الشعب، أقبل عليهما (أي على الرسولَيْن بطرس ويوحنا) الكهنة وقائد جند الهيكل والصدُّوقيون، مُتضجِّرين من تعليمهما الشعب، وندائهما في يسوع بالقيامة من الأموات. فألقوا عليهما الأيادي ووضعوهما في حبسٍ إلى الغد...

---

(٧) كلمة "باراكليت" تُرجمت إلى "شفيع".

(٨) وهنا كلمة "باراكليت" تُرجمت إلى "معزِّي".

وحدث في الغد أن رؤساءهم وشيوخهم وكتبتهم اجتمعوا إلى أورشليم مع حنَّان رئيس الكهنة وقيافا... وجميع الذين كانوا من عشيرة رؤساء الكهنة. ولما أقاموهما في الوسط، جعلوا يسألونهما: بأية قوة وبأي اسم صنعتما أنتما هذا؟ فحينئذ امتلأ بطرس من الروح القدس وقال:...» (أع ٤: ١-٨)

إذن، فقد تمَّم المسيح وعده، وباشر الباراكليت عمله كمحامٍ وشفيعٍ من الدرجة الأولى، أو على الأصح بصفة فائقة، لأن الكتاب يقول معقباً على خطاب بطرس الرسول و"محاماته"، إن الجميع تعجَّبوا لما سمعوا كلام بطرس ويوحنا وعجزوا عن أن يُفسِّروا سرَّ قوة الكلام، لأنه كان معروفاً لدى الجميع أن بطرس ويوحنا: «إنسانان عديما العلم وعاميان.» (أع ٤: ١٣)

و"الباراكليت" الروح القدس سيظل كاسمه محامي البشرية الفائق وشفيع الكنيسة المجاهدة في محنة الدنيا، ما بقيت الدنيا، وما بقيت محاكم الدنيا، وما بقيت قسوة الإنسان على أخيه الإنسان: «يمكث معكم إلى الأبد.» (يو ١٤: ١٦)

ولينتبه القارئ، فلابد من المحنة، ولكن لابد من النصرة، ونصرتنا منصبَّة في الشهادة للمسيح من عمق الألم والاضطهاد والاتهام، وشهادتنا ناطقة بقوة الروح القدس "باراكليت" الإنسان، المحامي الأول، نائب البشرية العام. ولا يندهش القارئ من تعبيراتنا، فترجمة "باراكليت" باللاتينية هي: "أدفوكاتوس"، وبالفرنسية: "أفوكات" أي "محامي".

الاتجاه الثاني لمعنى الباراكليت:

يميل جمهرة آباء الكنيسة الأولى المتضلعين بشئون التأويل والتفسير لكلمات الوحي، وأخصهم القديس أثناسيوس والقديس غريغوريوس النزينزي والقديس كيرلس الأورشليمي والقديس يوحنا ذهبي الفم والعلاَّمة أوريجانوس، أن يعتمدوا كلمة "الباراكليت" على أنها تفيد معنى التعزية.

وقد اعتمدوا ذلك على أساس كتابي، كما ورد في سفر الأعمال بوضوح: «وأما الكنائس في جميع اليهودية والجليل والسامرة فكان لها سلامٌ، وكانت تُبنى وتسير في خوف الرب، **وبتعزية** الروح القدس كانت تتكاثر.» (أع ٩: ٣١)

وهنا نجد أن كلمة "تعزية" παρακλήσει تفيد عمل الباراكليت الذي ينصبُّ على معنى العزاء والتشجيع دون أي ميل إلى معنى الدفاع والمحاماة، لأن الكنائس «كان لها سلامٌ».

كذلك فإن الفعل "يُعزِّي" παρακαλέω لم يَرِد في أسفار العهد الجديد قط بمعنى المحاماة أو الدفاع، إذ ورد حوالي مائة مرة بمعنى: "يُعزِّي" أو "يُشجِّع" أو "يشير على".

كذلك أيضاً ورد فعل "يُعزِّي" بصيغة الأمر في العهد القديم في افتتاحية الجزء الثاني من سفر إشعياء هكذا:

Παρακλεῖτε παρακλεῖτε τὸν λαόν μου.

وترجمتها: «عزُّوا عزُّوا شعبي» (إش ٤٠: ١)، التي هي في الواقع نبوَّة

العهد الجديد، وتشير في غموض لذيذ إلى انسكاب الروح القدس المعزِّي.

وهذه النبوَّة بالذات كان لها رنين روحي عجيب في قلوب الأنبياء، وقد امتد صدى رنينها حتى سمعان الشيخ: «وكان رجل في أورشليم اسمه سمعان، وهذا الرجل كان باراً تقياً ينتظر **تعزية** إسرائيل.» (لو ٢: ٢٥)

وهكذا نرى أن كل المعاني المشتقة من كلمة "باراكليت" تتجه روحياً نحو التعبير عن التعزية الباطنية عِوَض الألم أو في الألم!

تقابُل المعنى الأول مع المعنى الثاني:

لا يظن القارئ أنه يوجد اختلاف في تفسير معنى "الباراكليت". فالمحاماة والتشفُّع الذي اضطلع به الروح القدس عن الإنسان في ضيقات ومحن الدنيا، هو نفسه أساس عزاء الإنسان.

ومن وجهة نظر عملية، نحن لا يمكن أن نتقبَّل روح العزاء إلاَّ بعد المحنة أو في صميمها. وسيَّان إن كانت هذه المحنة هابطة علينا من العالم الباغض للحق، أو هي نابعة من أعماق أنفسنا عندما نرتد عن رزانة المحبة وحق المسيح؛ نعم، سيَّان، فالروح القدس يُعزِّي بأنْ يشفع لنا ضد العالم أو ضد أنفسنا!

"الباراكليت" يترافع عن الحق، وفي ترافعه يُبكِّت بشدة، يبكِّت كل ما هو خارج عن الحق، سواء كان العالم أو كانت أنفسنا.

إن وظيفة "الباراكليت" كمتشفِّع، لا تنطوي على معنى التستر على الإثم في أية صورة كانت، فهو شديد الوطأة في تشفُّعه، شديد الإقناع في تعزيته؛ ولكن

يستحيل أن نبلغ إلى أعماق تعزياته إلاَّ إذا بلغ هو أولاً إلى أعماق تبكيتنا في معرض مرافعاته عن الحق والبر والدينونة والتعفف.

ونجد هنا ضرورة مُلحَّة أن نوجِّه الفكر إلى أن الباراكليت كمحامٍ أو "أفوكاتو" لا يسلبه حقه في الاتهام!! فهو ليس على مستوى المحامين في هذه الدنيا الذين يجاهدون في تبرئة موكِّليهم حتى ولو كانوا على عيب!

فالباراكليت لا يشفع في موكِّله كمحامٍ عنه إلاَّ بعد أن يقوم أولاً بالتبكيت كقاضي عدالة الله!!

هو يصفِّي عيوب الإنسان بتعنيف شديد قبل أن يطلب له البراءة. لذلك إن هو تشفَّع فهو ضمين العزاء، وإن هو عزَّى فعلى أساس تبرئة ذمة الإنسان أمام الله.

وهكذا يرى القارئ أن لا خلاف على وجه الإطلاق بين معنى "الباراكليت" معزِّياً، ومعناه "شفيعاً". وكل معنى يلتزم بالآخر أشد الالتزام.

والقديس أغسطينوس يقف مُصالحاً بين المعنيين في ثقة واختصار فيقول: "إن المعزِّي والمحامي كلاهما تفسيرٌ لمعنى الباراكليت."(٩)

(9) *On the Gospel of John,* Tract. XCIV, NPNF, 1st Ser., Vol. VII, p. 367.

الفصل الثاني

رسالة الباراكليت

رسالة الباراكليت يوضّحها العهد الجديد في ثلاثة اتجاهات:

الأول: الباراكليت في حياة المسيح.

الثاني: الباراكليت في حياة الكنيسة.

الثالث: الباراكليت في حياة الناس.

وسنقتصر في هذه الرسالة على الاتجاه الثالث.

الباراكليت في حياة الناس

أولاً: الانسكاب

+ «ينزل مثل المطر (الندى) على الجُزاز، ومثل الغيوث الذَّارفة على الأرض.» (مز ٧٢: ٦)

[هكذا صار لنا الوعد من قِبَل الأسفار السماوية.
ينسكب ندى الروح القدس كما ينسكب المطر على الأرض فيرويها.
الرب جاء ومعه المطر، وها نحن نستقي سرًّا من الروح القدس.
هذا ندى السماء الحق،
هذا مطر النعمة النازل علينا.
لا تحكمه قوة غريبة ولا يحدّه قانون.
هو الصاحب لسلطانه، يُقسِّم العطايا ويُعطي مَن يريد.](١٠)

القديس أمبروسيوس

كان ضمن طقوس اليوم الأخير من عيد المظال، كما يقول التلمود(١١)، أن يذهب رئيس الكهنة مع رهط من بقية الكهنة واللاويين

(10) St Ambrose, *On the Holy Spirit,* NPNF, 2nd Ser., Vol. X.
(11) *Dachs.* pp. 371,372.

في احتفال رسمي إلى بركة سلوام، ويملأون جَرَّة فضية من ماء البركة ويعودون ليصبُّوها فوق المذبح أمام الشعب تذكاراً لإرواء شعب إسرائيل من الصخرة أربعين سنة.

وكان ضمن الطقس أن يهتف المرنِّمون بآية إشعياء النبي:

+ «فتستقون مياهاً بفرح من ينابيع الخلاص،
صوِّتي واهتفي يا ساكنة صهيون، لأن قدوس إسرائيل عظيمٌ في وسطك.» (إش ١٢: ٣ و٦)

كان هذا يجري بينما كان المسيح واقفاً في وسطهم يراقب سكب الماء من بطن الجرَّة ويستمع لنشيد الماء. وفي ختام الطقس وقف ليُعلن اكتمال النبوَّة وتفسير النشيد، فنادَى بصوت عظيم وقال:

+ «إن عطش أحدٌ فليُقبل إليَّ ويشرب.
مَن آمن بي... تجري من بطنه أنهار ماء حي.
قال هذا عن الروح الذي كان المؤمنون به مزمعين أن يقبلوه،
لأن الروح القدس لم يكن قد أُعطِيَ بعد، لأن يسوع لم يكن قد مُجِّد بعد.» (يو ٧: ٣٧-٣٩)

لقد تمَّ قول الرب، وانسكب الروح القدس يوم الخمسين.

يقول **القديس غريغوريوس الناطق بالإلهيات** في كيفية انسكاب الروح هكذا:

[تسليم الألسنة النارية يوم الخمسين كان استعلاناً كاملاً للروح القدس، إذ هنا نجده حاضراً ليس بقوته فقط، وإنما نقول إنه أتى وحضر جوهرياً، متحداً معنا، ساكناً فينا.

إذ يلزم أنه كما كان الابن يحيا معنا في حالة جسدية، هكذا يتعيَّن أن الروح القدس يُستعلَن ظاهراً في أجسادنا أيضاً.

وكما ذهب المسيح عائداً إلى مكانه الخاص، يلزم أن يأتي الروح القدس إلينا حتى لا نُحرَم من "المعزِّي" = "الباراكليت".

و"الباراكليت" هنا اسم لربوبية واحدة متساوية مع المسيح في الجوهر الواحد.][12]

انسكاب الروح القدس كان على الكنيسة أولاً، ثم على الجميع.

الكنيسة شربت أولاً، فخرج من بطنها أنهار ماء أروت ولا تزال تروي كل العطاش إلى البر.

الروح القدس بشبه الماء يروي: «وجميعنا سُقينا روحاً واحداً» (١كو ١٢: ١٣)؛ ولكن لا يرتوي من الروح إلاَّ العطاش: «إن عطش أحد فليُقبل إليَّ.» (يو ٧: ٣٧)

وفي ذلك يقول **القديس أغسطينوس**:

[نحن لا نذهب بأرجلنا وإنما باشتياقات قلوبنا، نحن لا ننتقل من مكاننا بل ننجذب بحبنا. إن الحركة هنا باطنية لا تتعلَّق بالجسد وإنما بالإنسان الداخلي، هي حركة قلبية تنزع إلى الهجرة بالنفس إلى وطن أفضل، هي نقلة تدفعها المحبة.

(12) St Greg. Naz., *On Pentecost,* NPNF, 2nd Ser., Vol. VII, p. 383.

«إن عطش أحد فليُقبل إليَّ»:

نحن مدعوون بهذا النداء، ليس لنا أن نتعوَّق ونتساءل عن المعاني، فكلام الرب واضحٌ. فالعطش عطش داخلي، كذلك الفيض هو من القلب الخفي، والحركة هي من جهة إنساننا في الداخل.

البطن هي الوعي القلبي، فإذا شرب الإنسانُ الروحَ تطهَّرت أعماقه ولمستها الحياة الأبدية وتفجَّرت من أعماقه المياه الحية بشبه أنهار.](١٣)

والقديس يوحنا ذهبي الفم يكمل المعنى بقولٍ حسن:

[**«إن عطش أحد فليُقبل إليَّ»:**

المسيح يقول: أنا لا أضطر الناس أن يأتوا إليَّ، ولا أنا أجذبهم بغير إرادتهم، ولكن إن كان أحد يضطرم فيه الشوق إليَّ وتلهبه غيرة المحبة نحوي، هذا أنا أدعوه.

«تخرج من بطنه أنهار ماء حي»:

يشير بذلك إلى عِظَم النعمة ووفرتها "كينبوع حي"، أي أن الذي يؤمن بالمسيح تسكنه النعمة بغزارة. والرب يُسمِّي النعمة "ماءً حياً"، لأن النعمة إذا دخلت العقل وتأسَّست في القلب فإنها تظل تعمل وتتفجَّر كتفجُّر المياه الشديدة من الينبوع بدون توقُّف، أو كجريان أنهار كثيرة بلا عدد.

ونحن إذا انتبهنا إلى الحكمة المتدفقة من القديس اسطفانوس

(13) St August., *On the Gospel of John*, NPNF, 1st Ser., Vol. VII.

ورجاحة منطق بطرس الرسول وغيرة بولس المتأجِّجة، ندرك تماماً صدق تعبير الرب كيف أن النعمة تسير في طريقها لا يعيقها عائق، فلا غضب الجماهير ولا تهديدات المضطهدين ولا مؤامرة الشياطين تعطِّلها ولا حتى ميتات كثيرة على طول المدى... لأن النعمة تتدفق من القلب غير عابئة بالعوائق كنهر جارف محمول على تيار شديد يجرف أمامه كل ما يعترض تياره...](١٤)

ولكي ندرك قيمة الروح القدس بالنسبة لحياتنا في العالم يلزمنا أن نعود إلى حالة شعب الله في البرية وبأي رمز عُرِف عمل الروح القدس في حياتهم:

+ «ولم يكن ماءٌ ليشرب الشعب. فخاصم الشعب موسى وقالوا: أعطونا ماءً لنشرب. فقال لهم موسى: لماذا تخاصمونني؟ لماذا تُجرِّبون الرب؟

وعطش هناك الشعب إلى الماء، وتذمَّر الشعب على موسى وقالوا: لماذا أصعدتنا من مصر لتُميتنا؟» (خر ١٧: ١-٣)

هذا هو رمز حياتنا: برية قاحلة نسير فيها، عالم مجدب وليس فيه قطرة واحدة من النعمة أو عزاء الروح، موت أكيد إنْ لم يسقينا الله بنفسه. الروح القدس هو لحياة النفس كالماء لحياة الجسد، إذا لم نشرب الروح القدس كالماء تذبل حياتنا بالنسبة لله ونموت روحياً.

أيها القارئ، ليس المهم أن نخرج من عبودية فرعون (الخطية) فقط!

---

(14) St John Chrysos., *On the Gospel of John,* NPNF, 1st Ser., Vol. XIV.

أو نكتفي بأن نعبر البحر الأحمر (المعمودية) الفاصل بين مذلة العبودية وحياتنا الجديدة؛ بل المهم، كل المهم، أن نحصل على الماء (الروح) لنشرب ونرتوي لئلا نموت.

أُذكر حالة الشعب التائه في برية سيناء وكيف استبدَّ به العطش حتى صرخ، واذكر أن هذه الأمور حدثت كلها لتكون مثالاً لنا.

أين الماء؟

+ «الروح **والعروس** يقولان: تعالَ.
ومَن يسمع فليَقُل: تعالَ.
ومَن يعطش فليأت.
ومَن يُرِدْ فليأخذ مَاءَ حياةٍ مجاناً.» (رؤ ٢٢: ١٧)

العروس هي الكنيسة، والكنيسة تنادي بالروح القدس، "وبغير الكنيسة يستحيل أن تسمع صوت الروح القدس."(١٥)

الكنيسة مبنية على الصخرة، الصخرة التي أسقت شعب الله في البرية، لأن الصخرة قديماً وحديثاً هي المسيح كما استُعلِنت لبولس الرسول.

وهكذا من تحت عتبة الكنيسة، عند مدخل بيت الله يوجد سر **المياه الحية:**

+ «ثم أرجعني إلى مدخل البيت (الهيكل)، وإذا بمياه تخرج من تحت عتبة البيت... والمياه نازلة من تحت جانب البيت الأيمن عن جنوب المذبح.» (حز ٤٧: ١)

---

(15) St August., *Tract.* XXXII.

الروح والعروس يقولان لك: تعالَ!
تعالَ، كما أنت؛ إن كنتَ عطشاناً اشرب، وإن كنتَ متَّسخاً اغتسل.

الكنيسة تُعرِّفك سرَّ الشرب، تسقيك الروح مجاناً، تغسلك فتبيضّ أكثر من الثلج.

الماء ليس للشرب فقط، هو للاغتسال أيضاً وللتطهير.

الصخرة كانت تُخرج ماءً للعطشان ليشرب، والمتَّسخ ليغتسل، والصخرة كانت المسيح! والماء كان الروح.

+ «وأرشُّ عليكم ماءً طاهراً فتُطهَّرون. من كل نجاستكم ومن كل أصنامكم أُطهِّركم. وأُعطيكم قلباً جديداً، وأجعل روحاً جديدة في داخلكم، وأنزع قلبَ الحجر من لحمكم، وأُعطيكم قلبَ لحم. وأجعل روحي في داخلكم، وأجعلكم تسلكون في فرائضي، وتحفظون أحكامي وتعملون بها.» (حز ٣٦: ٢٥-٢٧)

في سرِّ الروح أنت تغتسل وتتطهَّر، في لحظة، في لمحة بصر.
تعالَ بنجاساتك وخطاياك عليك.
تعالَ بقلبك واشتياقات روحك، كما علَّمنا القديس أغسطينوس.
تعالَ، وفي الخفاء اخلع أعمال الظلمة، اخلع جسم خطايا البشرية!
اخلعه بالمشيئة، وحينئذ يرفعه عنك الروح بالحقيقة.

ثانياً: الحلول والامتلاء

موضوع حلول الروح القدس على المؤمنين والامتلاء منه موضوع خطير للغاية، أهملته الكنيسة في وعظها وخدمتها مع أنه حقيقة قائمة في صميم كيانها، فالكنيسة قائمة بالروح وتحيا من ملئه.

فإن كانت الكنيسة هي جسد المسيح السرِّي، فالروح القدس هو ملء هذا الجسد وحياته، والكنيسة نفوس المؤمنين.

وللقديس إيرينيئوس قولٌ مشهور في هذا الاعتبار:

[أينما وُجِدَت الكنيسة، وُجِدَ الروح القدس. وأينما وُجِد الروح القدس، وُجدت الكنيسة.](١٦)

وفي نفس المعنى يتكلَّم **القديس باسيليوس**:

[أينما يأتي المسيح يسبقه الروح القدس أمامه.](١٧)

وأيضاً يتكلَّم **القديس غريغوريوس النيسي** مدعِّماً هذا القول:

[الإنسان يستحيل عليه أن يفهم المسيح كابن الله بدون الروح القدس.](١٨)

---

(16) St Iren., *Contra Haeres.*, III,24, PG VII, p. 966.

(17) St Basil., *On the Holy Spirit,* NPNF, 1st Ser., Vol. VII.

(18) St Greg. Nyss., *Contra Maced.*, 12, PG XLIV, 1316.

ولكن لشدة الأسف أصبح المؤمنون بسبب إهمال المعرفة بأصول الحلول والامتلاء من الروح القدس يطلبونه كأنه ليس فيهم، وآخرون لا يطلبونه ظانّين أنهم ليسوا أهلاً لحلوله وملئه؛ وكِلاَ الوضعين خطأ، وعلى هذا الخطأ تحيا الغالبية العظمى.

وموضوع هذه الرسالة هو في الواقع محاولة عملية نَجهد فيها لجعل القارئ يتلامس مع حقيقة الحلول والامتلاء، لعلنا نبلغ ما فاتنا ونعوِّض عن سنين كثيرة أكلها الجراد.

ونحن نبدأ بيوم الخمسين، فالصلة الكائنة بين يوم الخمسين وحلول الروح ـــ في أي زمان ومكان وعلى أي إنسان ـــ صلة دائمة ومستمرة لا علاقة للزمان بها. فيوم الخمسين هو يوم البشرية كلها، هو كيوم الصليب أو كيوم القيامة تماماً، لا يحتاج إلى تكرار. نحن لا نطلب أن يُصلَب الرب غير اليوم الذي صُلب فيه، ولا نطلب أن يقوم المسيح من بين الأموات مرة أخرى، لأنه صُلَب مرة ومات مرة وقام مرة، وهو حيٌّ إلى أبد الآبدين.

كذلك نحن لا نطلب أن يتكرر يوم الخمسين، بل نطلب ونسعى أن تحلَّ علينا قوته، وقوته ليست غريبة عنا كما أن قوة القيامة ليست غريبة عنا.

فكما أخذنا بالمعمودية وبالمسحة وبقية الأسرار قوةَ موت الرب وقيامته، كذلك تماماً أخذنا قوة يوم الخمسين وهي فينا باتحادنا بالروح القدس كالصليب وكالقيامة. ولا نحتاج إلاّ أن تصبح هذه القوة عاملة فينا، لأنها متعطِّلة بسبب الجهل بها.

واستيعابنا لقوة يوم الخمسين هو المُعبَّر عنه بالملء من الروح القدس، وهو غاية الحياة المسيحية ورسالة الكنيسة وقصد الإنجيل. وهو يتم على ثلاث درجات أو ثلاث مراحل من الحلول:

الأول: حلول الروح القدس بكلمة الإنجيل.

الثاني: حلول الروح القدس بالأسرار.

الثالث: حلول الروح القدس بالصلاة.

❖ ❖ ❖

١ ـ الحلول بالكلمة

+ «فلما ابتدأتُ أتكلّم، حلّ الروح القدس.» (أع ١١: ١٥)

علاقة الحلول بالكلمة عند الرسل:

كلمة الإنجيل عند الرسل لم تكن مقروءة من كتاب ولا منقولة، وإنما كانت منطوقة من الروح القدس مباشرة، فكانت هي بنفسها حالة حلول بالروح القدس في الإنسان (الرسل). أي أن الكلمة الإنجيلية هي في جوهرها حالة حلول مجسَّمة في نُطقٍ تسجَّل ككلمة.

الإنجيل كله كُتب على نور مصباح الله، وخَطَّته أيدي كانت تسوقها النعمة، فكانت الأيدي تكتب بلا حذر أو احتياط، وكانت الكلمات شهادة لمصدرها.

كلمة الرسل هي عينها شاهدة لحقيقة حلول الروح القدس فيهم، والذي يهمنا جداً في هذا هو أن الكلمة أصبحت مرتبطة بهذا الحلول ارتباطاً صميمياً، بحيث إن كل مَن يتعمَّق الكلمة يكتشف فيها الروح القدس، أو بالحري يدخل ضمناً في حالة حلول!

فكل مَن يتذوَّق الكلمة يتذوَّق الروح. وكلما تعمَّق القارئ في الإنجيل، تعمَّق في الروح الكاتب للإنجيل!

وبذلك صار الإنجيل واسطة حلول للروح القدس، لأنه بالحلول مكتوبٌ!

ويستحيل أن يتم حلول الروح القدس في أي عمل أو خدمة أو سرٍّ من أسرار الكنيسة إلاَّ إذا قُرئت كلمة الإنجيل!

والكنيسة تستمد من الإنجيل كيانها، وكيان الكنيسة حياة، وحياة الكنيسة نفوس تحيا لله لأنها تعيش على الكلمة، والكلمة استمرار لحالة حلول بالروح القدس دائم ومستمر.

الكنيسة تُدعَى رسولية، لا من أجل أسماء الرسل، ولا من أجل فضائلهم؛ بل لأنها لا تزال قائمة على الكلمة التي نطقوها كما هي، وكلمتهم حيَّة لأنها مكتوبة بالروح القدس.

فالإنجيل المكتوب من الرسل هو حالة إلهام تسجَّلت تسجيلاً أكثر من أن يكون حرفياً أو كلامياً. فالإلهام إحساسٌ بالحق، والإحساس بالحق لا ترسمه مجرد الحروف والكلمات. لذلك فقراءة الإنجيل إنْ لم توصِّل إلى حالة إحساس بالحق وإحساس بالروح، لا تكون هي كلمة الإنجيل، ولا تكون قد بلغت الغاية من كتابة الإنجيل! لأن الكنيسة لا تقول إنها كانت رسولية، بل هي الآن رسولية، وهي لا تكون رسولية إن لم تكن تعيش الآن وتحس بالحق الرسولي.

إذن، فكلمة الإنجيل هي الصلة الحية بين حاضر الكنيسة وأصولها الأولى حتى إلى المسيح شخصياً.

فإذا استطعنا أن نستوعب كلمة الإنجيل بقبول وانفتاح ذهني نصير في الروح أو ندخل في حالة حلول تجعلنا نتواجه أمام الفكر الرسولي؛ بل نقول في جرأة إننا نبلغ إلى فكر المسيح نفسه: «أما نحن فلنا فكر المسيح.» (١كو ٢: ١٦)

علاقة الحلول بالكلمة عند الآباء:

عندما نقول: "الآباء"، فنحن نقصد الفكر الآبائي المؤيَّد بالروح القدس وبالسيرة المقدسة.

فالكنيسة ليست استمراراً لتاريخ وأسماء، ولا لتقليد حرفي ميت، ولا لطقوس وأعياد ومواسم، ولا هي أيضاً استمرار صوري للتعاليم الرسولية وحسب.

ولكن الكنيسة بصورة ممتازة هي استمرار لحلول الله معنا، هي حضرة إلهية مشهود لها بالكلمة، هي برهان الروح والقوة يسري في كيان أشخاص ملهمين من جيل إلى جيل يقودون الكنيسة بالروح، وبرهان الروح فيهم هو الكلمة حينما يفسروها إلهياً.

فإن كان برهان الروح القدس عند الرسل هو في نطق كلمة الإنجيل، فبرهان الروح القدس عند الآباء هو تفسيرها على مستوى إلهي.

وتفسير الكلمة حالة حلول لا تقل عن النطق بها!!

واستخلاص العقيدة من نصوص الإنجيل عمل إلهامي لا يقل عن وضع الإنجيل نفسه، لأن في كليهما يبلغ العقل إلى مواجهة الحق.

وإن كانت الكنيسة ظلت إلى الآن رسولية، فذلك بسبب الآباء. فالآباء في الكنيسة يُعبِّرون عن عقل الرسل، كما عبَّر الرسل عن عقل المسيح!!

وهكذا احتفظ لنا الآباء بتفسيرهم الكلمة واستخلاصهم العقيدة المستقيمة، لا بفكر الرسل فحسب، بل بفكر المسيح وحق الله.

ولولا آباء الكنيسة الملهَمون ما استقرت أُسس الإيمان والعقيدة بالصورة التي نحياها اليوم.

فإن كنا نتذوَّق قوة الكلمة وعمق الإيمان ورصانة العقيدة وأسرار التدبير، فلنذكر أثناسيوس وكيرلس الإسكندري وغريغوريوس وباسيليوس إلى الأبد.

ونحن، أيها القارئ، لا نريد أن نخوض في الدفاع عن العقيدة ولا عن الآباء، ولكن نريد فقط أن ننبِّه الذهن إلى قيمة الفكر الآبائي في تفهُّم الكلمة الرسولية وكشف أسرار اللاهوت. فالعقيدة الآبائية السليمة هي مفتاح كلمة الإنجيل وهي في ذاتها حالة حلول للروح القدس.

فإن كنا نعرض الآن لحالة الحلول الذي يتوقه كل إنسان بواسطة كلمة الإنجيل، يلزم أن نشهد بضرورة التعرُّف على الفكر الآبائي والعقيدة الحقة، لأنه كما قلنا إن هذه بنفسها تُعتبر حالة حلول للروح القدس يُلازِم الكلمة، ونحن لا نستطيع أن نفصل كلمة الإنجيل عن العقيدة وفكر الآباء، لأن كلمة الإنجيل قد وصلتنا حية ومحفوظة في إطار من الفكر والعقيدة الآبائية.

بل نريد أن نقول أيضاً إن الكلمة قد وصلتنا حية فعَّالة تدعمها نماذج حية من الآباء الذين قدَّموا حياتهم ثمناً للمحافظة على مفهومها السليم.

علاقة الحلول بالكلمة عند المؤمنين:

الآن، قد فتحنا أمام القارئ درب الإنجيل الذي يوصِّله إلى يوم الخمسين، وإلى يوم القيامة والصليب، ليأخذ من الكلمة وبالكلمة حالة وجود في الرب وفي الروح.

الكلمة هي في واقعها الإنجيلي نُطق الروح القدس الكاشف لأسرار المسيح والحق والله: «ذاك يمجِّدني، لأنه يأخذ مما لي ويُخبركم.» (يو ١٦:١٤)

ولكن الكلمة لا تزال أكثر من نُطق، هي صوت الروح القدس، هي صوت المسيح، هي صوت الله الآب.

وإلى هنا، أيها القارئ، نتوسل إلى الله أن يكمل عجز تعبيرنا لنُدرك العلاقة الكائنة بين أُذنك والكلمة، بين قلبك وسماع ذلك النطق، بين نفسك والروح القدس في الإنجيل.

ولكن نقول لك الحق ولا نكذب، إن كل قراءة تكمِّلها تكميلاً روحياً بانفتاح قلب ووعي هي حالة حلول بالروح القدس أمام المسيح.

القديس إيرينيئوس يشهد لكلمة الإنجيل هكذا:

[اللغة لغة إنسان مُلهم، ولكن الذي يُصيغها ويُصوِّرها هو الله الكلمة.][١٩]

والفيلسوف أثيناغوراس يشهد أيضاً هكذا:

[الروح القدس ينفخ في الإنجيليين كما ينفخ الموسيقي في مزماره. هو يرفع عن الكاتب قدراته الطبيعية الخاصة، ويُدخلهم في حالة جذب إلهي فينطلقون ويكتبون ما يطبعه روح الله فيهم.][٢٠]

لذلك نعود مرة أخرى مستخدمين إلهام أثيناغوراس لنقول إن الكلمة ليست نُطق أو صوت الله فحسب، بل نفخة فمه!

---

(19) St Iren., *Apol.* I,36 & 11,10.

(20) *Legatio 9.*

فالذي يقرأ الكلمة أو الذي يسمعها يكون كمَن يتقبَّل نفخة الله، وما هي نفخة الله إلاَّ تقبُّل روح الله!!

لذلك يُحرِّضنا القديس يوحنا الرسول في افتتاحية سفر الرؤيا هكذا: «طوبى للذي يقرأ وللذين يسمعون.» (رؤ ١: ٣)

أما علامة تقبُّلنا لنفخة الكلمة ودخولنا في حالة حلول الروح فهو انفتاح الذهن لتقبُّل معرفة الحق واستعلان أسرار الله.

وانفتاح ذهن الإنسان لكلمة الإنجيل هو أول حلول للروح القدس لتكميل ملء قامة الإنسان في المسيح يسوع.

وكانت الكنيسة في عصورها الأولى تمتنع عن تعميد أي موعوظ جديد إلاَّ إذا قَبِلَ أولاً استنارة المعرفة بكلمة الإنجيل!

اسمع هذا القول **للقديس غريغوريوس الناطق بالإلهيات:**

[الروح القدس يُكمل ويُلقن النفس أولاً حتى يُهيِّئها للمعمودية.][٢١]

وعندما تتبَّعنا فكر القديس غريغوريوس فيما يختص بالموعوظين، عرفنا من عظاته عن الروح القدس أن الدروس التي ألقاها على الموعوظين قبل معموديتهم شملت أسرار التثليث والتوحيد بالتدقيق، وسر التدبير الإلهي أي التجسُّد بكل أصوله، ثم عظة كاملة وبليغة عن المعمودية ذاتها ومعانيها الروحية العميقة، وفي ختام دروسه للموعوظين قال لهم الآتي:

[وهذا كل ما يليق أن يُعلَن لكم فيما يختص بتقبُّل سر العماد وقد

---

(21) St Greg. Naz., *Fourth Oration,* NPNF, 2nd Ser., Vol. VII, p. 817.

أخبرتكم بما هو ليس ممنوعاً من أن يسمعه العامة. أما باقي التعليم فستتولى الكنيسة تلقينه لكم في حينه بنعمة الثالوث الأقدس، وهو التعليم الذي يلزم أن تحتفظوا به سرًّا وتُودِعونه قلوبكم.][٢٢]

كم نحن خجلون الآن لأننا ونحن معتمدون، بل وربما معلّمون وواعظون، لم نبلغ إلى انفتاح الذهن أو تقبُّل الاستنارة الروحية بالكلمة و لم نتذوَّق الروح الذي في الإنجيل.

أنْ ينفتح العقل للكلمة، تنفتح العين للرؤيا. والرؤيا الروحية هي **معرفة** غير المنظور في صورة يقينية. فَهْم الإنجيل هو استيعابٌ للروح القدس. حلول الروح القدس بالكلمة هو مصالحة لقوَى التفكير بقوَى التعبير في ذهن الإنسان لينطق الحق ويشهد للمسيح.

أيها القارئ، إن كنتَ تريد أن تبدأ الطريق، ابدأ بالإنجيل. تأدَّب بكلمة الحياة، اجلس إليها ساهراً كل يوم، اخضع لِوَحْيِها واتجاهاتها، استمع لصوتها، تنسَّم نفختها، تنفَّس بها كما تتنفَّس الهواء أو الريح الزكي؛ لأن الكلمة روح، والروح القدس هو ريح الله يستنشقه القديسون ويتنفسون به.

❖ ❖ ❖

(22) St Greg. Naz., *Oration on Holy Baptism,* ibid., p. 377.

٢ – الحلول بالأسرار

+ «ولما وضع بولس يديه عليهم حلَّ الروح القدس عليهم.» (أع ١٩: ٦)

إن كان حلول الروح القدس بالكلمة يُنشئ استنارة ذهنية ووعياً للحق ثم نطقاً وشهادة للمسيح، فحلول الروح القدس بالأسرار يُنشئ اتحاداً في طبيعة الله. والاتحاد في طبيعة الله لا يكمل إلاَّ في الدهر الآتي بسرِّ القيامة العتيد أن يُستعلَن فينا.

أما في الحاضر فنحن نشترك جزئياً في طبيعة الله، وقليلاً قليلاً على قدر ما يتغيَّر الفاسد فينا إلى قداسة.

بالأسرار يتم الاشتراك في طبيعة الله سرًّا بنعمة الروح القدس كحالات حلول. ولكن يلزم أن تكون الإرادة واعية لمفهوم السر، وتكون المشيئة حاضرة باشتياق للخلاص، وإلاَّ لا يحدث حلول من النعمة إطلاقاً.

وللقديس غريغوريوس النيسي قول قاطع في هذا الأمر:

[إن نعمة الله لا يمكن أن تنسكب على النفوس التي تتهرب من خلاصها.](٢٣)

ولكن لا تنسكب النعمة أيضاً في الأسرار عن استحقاق ولا عن إرادة

---

(23) *De Instituto Christiano,* PG XLVI, 289.

للإنسان فقط، وإنما يلزم أن تتلاقى معاً إرادة الإنسان مع إرادة الله، واشتياق الإنسان للخلاص مع إرادة الروح للملء.

وهنا تبرز أهمية الاستنارة بالكلمة، لأن تفتُّح الوعي الروحي بقراءة كلمة الإنجيل يؤهِّل الإنسان لتقبُّل السر، إذ يُهيىء مشيئته للخلاص عن اشتياق من جهة، ومن جهة أخرى يُهيئ هيكله الروحي لحلول الروح القدس في الأسرار للشركة وعطاء الطبيعة الإلهية بالتقديس.

إذن، فحلول الروح القدس في ذهن الإنسان بكلمة الإنجيل هو أساس لحلول الروح القدس في هيكل الإنسان بالأسرار للتقديس!!

الأسرار كلها حالات نتقابل فيها مع طبيعة الله تقابُلاً غير منظور بالإيمان، يكون نتيجته أن نصبح في حالة اتحاد أكثر ـــ بعمل النعمة ـــ وكل سر يؤهِّلنا إلى حالة شركة خاصة، والروح القدس هو الفاعل في كل الأسرار.

فالأسرار هي ممارسة الحياة الإلهية الجديدة لحساب الدهر الآتي. وحلول الروح القدس فيها على قياس العمل للتغيير والتجديد، وإنما بطريقة لا نستطيع أن نعيها عقلياً، وإن كان الأثر يكاد يكون ملموساً.

والقديس باسيليوس يلمس هذه الحقيقة هكذا:

[الروح القدس أعطانا قوة التجديد، أما كيف ذلك فهذا أمر يفوق حاسة المنطق العقلي، مع أنه فينا بالسر؛ أما ثمر التجديد فواضح إذ يهبنا خلاصاً لأنفسنا عظيم القدر، فإذا حاولنا أن نقلِّل هذه الحقيقة نخسر الحياة الأبدية خسراناً شديداً.](٢٤)

---

(24) St Basil, *On the Holy Spirit,* NPNF, 2nd Ser., Vol. VIII, p. 18.

الله حاضر في جميع الأسرار، وحضوره يتم فينا كعمل إلهي في بشريتنا لينقلها بالتجديد المستمر لتصير خليقة جديدة في المسيح من جسد المسيح. **والقديس باسيليوس** يشرح هذا المعنى أيضاً:

[إن التجديد الذي نجوزه في هذه الحياة وانتقالنا وتغيُّرنا من حياة أرضية حسب الجسد إلى حياة سمائية روحية إنما يحدث فينا بفعل الروح القدس.](٢٥)

وهكذا تصير هياكلنا روحية مهيَّأة ومقدسة لحلول أكثر وامتلاء من الروح، حتى أن الرب يقول إنه يأتي «وأتعشَّى معه» (رؤ ٣:٢٠)، وفي موضع آخر يقول: «إليه نأتي، وعنده نصنع منزلاً» (يو ١٤:٢٣)، لأن الهيكل البشري إذا تقدَّس بفعل الأسرار بعمل نعمة الروح القدس فإنه يصير موضعاً لله يستريح فيه. ويقول **القديس غريغوريوس** بهذا الصدد:

[الله يستريح بين قواته المقدسة، وهو مُحبَّب إليه أن يسكن بينهم. وهكذا يُقال عن الله إنه جالسٌ أو مستريح في عرشه. وهذا نفسه أيضاً حادث فينا، فالله يجلس مستريحاً في قديسيه.](٢٦)

فنحن بالأسرار نصير منزلاً مهيَّأً لسُكنى الله. والروح القدس لا يكف عن أن يعطينا في كل سر تقديساً ونمواً غير منظور.

الرب أراد أن لا يتركنا يتامى، فأرسل لنا الباراكليت ليعزينا بسكناه وبقوته، فإذا لم نحقِّق العيشة المشتركة مع الروح القدس نكون قد خسرنا

---

(25) Ibid., p. 31.

(26) St Greg. Naz., *On Pentecost,* Fourth Oration, NPNF, 2nd Ser., Vol. VII, p. 325.

قوة الأسرار، وبالأخص فعلَى المعمودية والمسحة اللذين هما أساس تعلُّمنا ونمونا في الرب: «المسحة التي أخذتموها منه ثابتة فيكم، ولا حاجة بكم إلى أن يُعلِّمكم أحد، بل كما تُعلِّمكم هذه المسحة عينها عن كل شيء، وهي حقٌّ وليست كذباً. كما علَّمتكم تثبتون فيه.» (١يو ٢:٢٧)

إذا لم نستثمر عمل الروح القدس فينا الذي نلناه بالأسرار لحساب الحياة الأبدية نفقد صلتنا بالله كلية. اسمع ما يقوله **القديس أثناسيوس** بصدد هذا:

[نحن بدون الروح القدس نصير غرباء ومنفصلين عن الله، أما شركتنا في الروح القدس فهي تؤهِّلنا أن نصبح ذوي قُربَى باللاهوت.](٢٧)

حلول الروح القدس في سرِّ المعمودية:

القديس باسيليوس يصف معموديته قائلاً:

[المعمودية كانت لي أول حياتي...
ويوم تجديدي كان أول أيامي...
ونِدائي بنعمة التبنِّي كان أقدس نداءاتي...
إن كلمات المضلين لن تخدعني، ولن تتقلقل نفسي عن تقليد آبائي.
الذي قادني إلى النور والذي وهبني **معرفة الله**.
هذا التقليد الذي تقبَّلته بالنعمة المحيية سوف يبقى إلى الأبد بغير انكسار...

(27) St Athanas., *Discourse* III, NPNF, 2nd Ser., Vol. IV, p. 407.

وأنا أضرع في نفسي لإلهي أن أَعبُر إليه وأنا باعتراف إيماني،
حافظاً وديعته فيَّ حتى إلى يوم المسيح،
مؤمناً بالروح القدس الذي فيَّ غير مفترق عن الآب وابنه...
حافظاً باعتراف إيماني مجد الثالوث، العقيدة التي تعلَّمتها يوم اعتمادي!!](٢٨)

كل الأسرار يتوقف فعلها على أساس ميلادنا الجديد واستعلان قوة معموديتنا في حياتنا العملية، لأن الهيكل الإلهي فينا إذا لم يكن مستعداً، كيف يحلُّ فيه روح الله؟

ولكن ما هو الاستعداد الذي ينبغي أن نقوم به الآن لنحقِّق حالة معموديتنا عملياً؟ هل هو مجرد امتناعنا عن الخطايا؟

يقول **القديس غريغوريوس الناطق بالإلهيات**، إن المعمودية حالة استنارة:

[إذا بلغنا معرفة هذا السر (المعمودية) بلغنا الاستنارة.](٢٩)

و"الاستنارة" في لغة القديس غريغوريوس هي صفة مُلازمة للمعمودية، بل إنه في أغلب كتاباته يستخدم كلمة "الاستنارة" ليُكني بها عن المعمودية مباشرة.

إذن، فمن قول القديس غريغوريوس ندرك أننا مُطالبون بتحقيق معموديتنا عن طريق تدريب حواسنا الروحية ذهنياً أيضاً لتفهُّم أسرار

(28) St Basil, *On the Holy Spirit,* NPNF, 2nd Ser., Vol. VIII. p. 17, 18.
(29) St Greg. Naz., *Oration XL,* NPNF, 2nd Ser., Vol. VII, p. 360.

الله: «الذين بسبب التمرُّن قد صارت لهم الحواس مدرَّبة على التمييز بين الخير والشر.» (عب ٥:١٤)

إذن، فالمعمودية حالة حلول للاستنارة بالنعمة لمعرفة أسرار الله.

فإن كان حلول الروح القدس بقراءة الكلمة يُنشئ وعياً واستنارة ذهنية لفهم ومعرفة الإيمان وشخص المسيح، فحلول الروح القدس بالمعمودية يلد الإنسان الجديد فينا باستنارة إلهية لكشف واستعلان أسرار الله والحياة الأبدية.

نحن كلنا مولودون جديداً بالمعمودية، ولكن إنساننا الروحي عاجز عن الكشف والاستعلان بسبب عدم تمرُّن الحواس الروحية فينا.

تقبُّل السر، أيًّا كان نوعه، هو بمثابة دعوة إلهية إلى عشاء الله، ونحن علمنا من حديث الرب أن المقابلة مع الله تحتاج إلى ارتداء ثوب خاص: «لما دخل الملك لينظر المُتَّكئين، رأى هناك إنساناً لم يكن لابساً **لباس العُرس**. فقال له: يا صاحب، كيف دخلتَ إلى هنا وليس عليك لِباس العُرس؟» (مت ٢٢: ١١-١٢)

الثوب، يا إخوة، هو التوشُّح بالروح القدس، الذي هو قوة المعمودية وبهاء صورة الله منعكسة من أعماقنا.

ولكن لا يغرب عن بالنا أننا لبسنا الروح في المعمودية، وعلينا إظهار هذا الثوب الإلهي الذي هو القداسة والاستنارة معاً.

الجلوس إلى الله في الأسرار هو حالة عشاء ويحتاج باستمرار إلى هذا الثوب عينه نقياً طاهراً لامعاً.

الله يُطعم النفوس المتسربلة بالروح القدس حينما تجلس معه في الأسرار. وطعام الله هو الجسد، هو دمه، هو الحق!

حالة الحلول في الأسرار هي في الواقع حالة إطعام لاهوتي، هي تغذية إلهية، فيها نقتات سرًّا على اللاهوت: «أَغْرِ فاك فأملأه.» (مز ٨١: ١٠)

ولكن ثوب الروح القدس الذي نلناه في المعمودية هو أساس الأسرار، وهو الذي يغسلنا كثيراً فنبيضّ ونستنير ونلمع بنور وجه الله:

[الروح يُضيء على الذين اغتسلوا من عيوبهم ويجعلهم روحيين برفقته لهم...

فكما يجعل النور الأجسام اللامعة تُضيء بالنور فينبعث منها الضياء وكأنه خارج من كيانها، كذلك الروح القدس إذا سكن النفوس الطاهرة المغتسلة يجعلها منيرة حتى أنها تصير هي نفسها روحانية وتنبعث منها النعمة إلى الآخرين.][٣٠]

القديس باسيليوس

حلول الروح القدس في سرِّ المسحة:

هو حالة حلول حقيقي للروح القدس لمسح الإنسان، فهذا السر بالذات يستمد قوته من سر مسحة الرب بالروح القدس عندما خرج من مياه الأردن. **والقديس كيرلس الأورشليمي** يوضِّح ذلك قائلاً:

[فكما لمع الروح القدس واستقر على الرب، هكذا بعد أن تخرجوا من جرن المياه المقدسة تُعطَى لكم المسحة كاشتراك في المسحة التي مُسِحَ بها

(30) St Basil, *On the Holy Spirit,* NPNF, 2nd Ser., Vol. VIII, p. 15.

الرب، وما هي المسحة إلاَّ الروح القدس.][٣١]

كذلك فإن القديس كيرلس الأورشليمي يعتبر هذه المسحة باستدعاء الروح القدس حالة قبول نعمة من المسيح، وبحلول الروح القدس يحصل الممسوح على الطبيعة الإلهية[٣٢].

وترتليانوس يربط بين المسح بزيت الميرون وبين وضع اليد الرسولية هكذا:

[وفي حال خروجنا من جرن المعمودية نُمسح جيداً بزيت المسحة المقدس، وتوضع علينا اليد باستدعاء حلول الروح القدس.][٣٣]

ولكن باستمرار الزمن صارت المسحة تُعتبر نفسها وضعَ اليد، وهي هي نفسها تُعتبر في ذاتها حالة حلول للروح القدس، وهذا واضح جداً في قول **للقديس كيرلس الأورشليمي**:

[المعمودية هي لموت الرب، الماء للدفن، الزيت لحلول الروح القدس.][٣٤]

كذلك فإن المسحة بزيت الميرون تُعتبر ختماً، لأن الممسوح يُختم بالزيت على جبهته، ويسميه القديس كيرلس الأورشليمي: "الختم الملكي"، ويسميه أيضاً: [ختم الشركة والتبعية للروح القدس.][٣٥]

* * *

(31) St Cyril of Jerusalem, *Introd.,* NPNF, 2nd Ser., Vol. VII, p. XXIV.

(32) Ibid., p. XXV.

(33) Tertul., *De Bapt.,* ANF, Vol. III, p. 672.

(34) St Cyril of Jerusalem, NPNF, 2nd Ser., Vol. VII, Introd., p. XXV.

(35) Ibid.

وهكذا نرى من هذه الأقوال الآبائية أن سرَّ المسحة المقدس هو حالة حلول للروح القدس، وهو بمثابة وضع يد الرسل لقبول وشركة الروح القدس مع كل مواهبه.

إذن، نحن رسوليون بمسحة الميرون، وعلينا أن نحقّق هذه المسحة في حياتنا.

فإن كان الروح القدس يشهد لنا بواسطة سر المسحة أننا أولاد الله وورثة للمسيح والرسل بوضع اليد؛ إلاّ أنه لا يشهد لنا الآن ولا يستطيع أن يشهد لنا طالما كنا غير رسوليين في تفكيرنا وإيماننا، غير رسوليين في غيرتنا للمسيح ومحبتنا للإخوة، غير رسوليين في خدمتنا وبذلنا.

نحن فينا المسحة وعلينا الختم، ولكن شركتنا مع الروح القدس متعطّلة بسبب سيرتنا.

حلول الروح القدس في سر التوبة:

هو الغسل الثاني والمتكرر لحواسنا الروحية التي تميل إلى الخطية بعد تطهير المعمودية الكلّي.

الروح القدس هو الذي يغسل في المعمودية وفي التوبة وعلى الدوام.

التوبة حالة استعداد داخلي لحلول الروح القدس لتجديد الحواس التي فسدت بالشهوة والإثم.

إن لم نخلع جسم الخطية عنا بالمشيئة، لا يرفعه عنا الروح بالحقيقة.
التوبة حالة قبول لفاعلية الروح القدس، والقبول يتم فينا بالمشيئة.

نحن لا نستطيع أن نطهِّر أو نغسل أنفسنا بالمشيئة فقط سواء كان

بالصلاة أو الدموع أو الصوم. يلزم قبولنا حلول الروح القدس ليصنع هو فينا بنفسه حالة التطهير والتقديس والتجديد. نحن نُعدُّ أنفسنا بالصلاة والدموع والصوم، وهذا فعل المشيئة، ثم نقبل حالة الحلول بوضع يد الكاهن، فيحلُّ الروح القدس ويكمل لنا ما نريده بالمشيئة.

إذا لم نشأ التوبة، إذا لم نُظهِر فعل الندامة ونُقدِّم نيَّة قلوبنا لله بالصلاة، لا يحلُّ الروح القدس ولا يُقدِّس ولا يُجدِّد.

يلزم أن تتقابل مشيئتنا مع مشيئة الروح القدس. ومشيئة الروح القدس حاضرة كل حين لأن الله «يريد أن جميع الناس يخلصون!» (١تي ٢: ٤)

حالة الخطية هي حالة خروج من حضرة الله، هي إحزان للروح القدس ـــ كما يقول الكتاب ـــ وإطفاء لإشراقه فينا.

التوبة تحتاج إلى دخول في حضرة الله، تحتاج إلى مصالحة مع الروح القدس. لابد من وسيط، لابد من دعاء آخر، وهذا الآخر يلزم أن يكون قد أُعطِيَ سلطان استدعاء الروح القدس!!!

إذن، التوبة لا تكمل إلاَّ بصلاة الكاهن، إذ يستدعي الروح القدس ليحلَّ في هيكله الذي كان قد تغرَّب عنه إلى حين.

ليس هذا معناه أن الكاهن يستطيع أن يتحكَّم في الغفران، فلا يُعطيه لمن يستحقَّه، يستحيل، فالروح القدس ليس تحت وصاية الكاهن.

لقد قرأنا للقديس باسيليوس سابقاً أن الروح القدس مالك سلطانه، وها نحن نقرأ **للقديس غريغوريوس الناطق بالإلهيات** في هذا المعنى:

[إن نعمة الاغتسال مجانية كاستنشاق الهواء وانسكاب النور

وتتابُع الفصول وجمال الخليقة، هذه كلها نشترك فيها جميعنا؛ وهكذا تتوزَّع نعمة الإيمان.][٣٦]

لما أرادت الكنيسة في بداية العصر الرسولي أن تمنع الأمم من قبول الروح القدس لم تستطع، وبطرس الرسول يشهد بهذه الحقيقة علناً فيقول:

+ «فإن كان الله قد أعطاهم الموهبة كما لنا أيضاً بالسويَّة مؤمنين بالرب يسوع المسيح، **فمَن أنا؟ أقادرٌ أن أمنع الله؟** فلما سمعوا ذلك سكتوا، وكان يُمجِّدون الله قائلين: **إذاً أعطى الله الأممَ أيضاً التوبة للحياة!**» (أع ١١: ١٧-١٨)

إذن، فالكاهن لا يمنع الغفران عمَّن يستحقه، وإنما له أن يمنعه عمَّن لا يستحقه. كذلك فالكاهن لا يُعطي الغفران لمن لا يستحقه.

الإنسان الذي توشَّح بالروح القدس فيه القيامة، لأن روح مَن أقام يسوع يسكن فيه.

الخطية حالة موت، والتائب إنسان قائم من بين الأموات بالروح القدس.
مَن له الروح لا يغلبه الموت، لأنه يغلب الخطية بالتوبة.
التوبة حالة قيامة متكررة تستمد قوتها من الروح القدس وقيامة المسيح.

حلول الروح القدس في سرِّ التناول:

لا يستطيع الكاهن أن يقول إن الخبز تحوَّل إلى جسد أو إن الخمر تحوَّل إلى دم إلاَّ بعد أن يستدعي الروح القدس ليُحوِّل القرابين و"يُظهرها قدسات للقديسين"!!

---

(36) St Greg. Naz., *Oration XL,* NPNF, 2nd Ser., Vol. VII.

كذلك لا يستطيع إنسان أن يقرب الذبيحة الإلهية إن لم يكن قد قَبِلَ من فم الكاهن حلول الروح القدس عليه: "ليحلّ روحك القدوس علينا وعلى هذه القرابين."(٣٧)

حلول الروح القدس في سرّ الإفخارستيا هو لكي يحوِّل القرابين، ويُقدِّس المتقدمين للاشتراك في الجسد والدم، حتى يجعلهم أهلاً للقُدْس: "القدسات للقديسين".

الروح القدس يُقدِّس هيكلنا قبل التناول ليُعدَّ الله منزلاً فينا فيحل اللاهوت ولا يحترق الإنسان.

حلول الروح القدس في سر مسحة المرضى:

نقطة تقابل هامة بين الجسد والروح القدس، هي حالة حلول في الهيكل الجسدي، هو منتهى تواضع الروح، حيث يُشفى الجسد بمادة الزيت.

ولكن يستحيل للروح القدس أن يستريح في هيكل الجسد المريض إلاَّ إذا كان مستريحاً أولاً في هيكل الروح الداخلي.

لذلك كان حلول الروح القدس في سرّ مسحة المرضى يلزم أن يسبقه أو يرافقه حلول الروح في النفس بسرّ التوبة والاعتراف بالخطية لقبول شفاء الروح أولاً.

شفاء النفس هو أساس لشفاء الجسد، فالنفس المستريحة في الله تنبعث منها الصحة للجسد. والنفس تستريح فقط بحلول الروح القدس "المعزّي"، حيث

---

(٣٧) "سر حلول الروح القدس" في القداس الإلهي.

تنبعث النعمة من النفس إلى الجسد، كما يقول القديس باسيليوس، فتشفي سقمه!

النفس التي لا يحلُّ فيها الروح القدس بالتوبة للتجديد، هي نفس سقيمة ومريضة بالخطية، وسر مسحة المرضى يتعطل عمله فيها. فالجسد لا يقبل الروح القدس إلاَّ من عمق هيكل النفس! والشفاء لا يتم إلاَّ عن طريق الغفران!

صحة النفس تعوِّض كثيراً عن سقم الجسد.

ومسحة المرضى ربما لا تشفي الجسد طالما كانت النفس قوية متعزية بالروح!

والروح القدس قدير أن يعمل حتى بالجسد الضعيف إن كانت النفس صحيحة! «قوتي في الضعف تُكمَل.» (٢كو ١٢: ٩)

فالمرض الجسدي لا يعيق حلول الروح القدس والملء، ولكن مرض النفس بالخطية يعيق الروح ويستحيل معه الملء!

حلول الروح القدس في سر الزيجة:

حلول الروح القدس على جسدَيْن معاً بقوة إلهية موحِّدة! ليجعل من الاثنين واحداً بواسطة المسيح.

في سرِّ الزيجة يحل الروح القدس على مستوى ممتاز، فهو ليس للسكنى فقط؛ بل لتوحيد مسكن الله في الناس!!

ونتيجة هذا الحلول هو تكوين أول نواة لتجميع البشرية في واحد! لأنه كما يجمع الروح القدس الاثنين في واحد بسرِّ الزيجة، كذلك

وبنفس القياس وعلى نفس المستوى السرِّي يجمع الناس جميعاً في الكنيسة! الاثنان يصيران واحداً، دون أن يفقد كل واحد ما له.

فبحلول الروح القدس في سرِّ الزيجة يحدث انفتاح النفس البشرية لتستوعب ما للنفس الأخرى بحيث لا تفقد هي ما لنفسها. وبذلك يصير ما للواحد هو ما للآخر تماماً، فلا يعودان اثنين بل واحداً!

الزوج يستوعب كل ما في زوجته، ليس الصالح الذي فيها فحسب أو عاداتها الطيبة وميولها الخيِّرة فقط؛ بل بمؤازرة روح الأُلفة يتقبَّل، في استسلام لفاعلية السر، كل ما في زوجته حتى الأخطاء والعيوب وكل نقص أيَّاً كان نوعه، يتقبل كل ما يحسُّه فيها ويجعله لنفسه فيصير جزءاً من كيانه. فالزوج لا يتبرَّم من عيوب زوجته، بالضبط كما أنه لا يتبرَّم من عيوبه.

وإن أراد أن يُصلِح فيها عيباً، يسلك في ذلك كمَن يُصلِح عيب نفسه. فكل عيب في أحدهما هو محسوبٌ لكليهما!

هكذا، والزوجة أيضاً تستقبل بفاعلية سر الروح كل ما في زوجها من نقائص وفضائل، فلا يعود لزوجها شيء كأنه غريب عن بدنها ونفسها وعقلها. وحينما يقول الكتاب إن الرجل رأس المرأة، فهو يشير إلى أن الرجل يحتلّ تفكير المرأة: «وإلى رجلك يكون اشتياقك.» (تك ٣: ١٦)

هو رباط روحي يشمل الوجدان والمشاعر أيضاً.

الرجل بعد حلول الروح القدس في سر الزيجة لا يُدعى **فرداً بل "زوجاً"**، ولا المرأة بعد حلول الروح القدس عليها في سر الزيجة تُدعى

فرداً بل "**زوجاً**" أيضاً، فكل منهما صار "زوجاً" لأن كلاً منهما صار له ما للآخر بالإضافة إلى ما لنفسه!! وتلاشت الفردية بينهما.

لذلك فحلول الروح القدس في سر الزيجة متركّز صميمياً في كلمة "**الزوجية**".

والزوجية في المسيحية ليست ثنائية، هي وحدة بشرية على مستوى إلهي بشبه الكنيسة والمسيح! هي وحدة غير منفصمة قائمة على التساوي **المطلق** بين الرجل والمرأة في المسيح! «الرجل ليس من دون المرأة، ولا المرأة من دون الرجل **في الرب**.» (١كو ١١: ١١)

حلول الروح القدس في سر الكهنوت:

الكهنوت ثلاث درجات: أسقفية، وقسوسية، وشماسية.

وفي الدرجات الثلاث يتم حلول الروح القدس بوضع يد الأسقفية على **المختار**؛ ولكن لا يتم الحلول إلاّ باشتراك شعبه، والشعب يشترك بثلاثة أشياء:

الأول: بالمشيئة، وهذه تَكْمُل بـ "التزكية".

الثاني: بالنطق، وهذه تكمل قبل الصلاة علي الشخص المختار بصوت واحد من الجميع، إذ ينطق الشعب ويقول: "أكسيوس" أي "مستحق"، حينما يسأل الأسقف عن رأي الشعب.

الثالث: باشتراك الشعب في الصلاة على المختار.

حلول الروح القدس في سر الكهنوت لا يتم جزافاً. يلزم أن يكون المختار مملوءاً من الروح القدس؛ لأن الكهنوت خدمة بالروح القدس، والخدمة بالروح لا تكون إلاَّ من فيض، والفيض لا يأتي إلاَّ بعد الملء.

الملء بالروح القدس هو شرط الكهنوت وإلاَّ لا يقدَّم الشخص.

والملء يشهده الناس، ولا يشهده صاحبه. لذلك كل مَن يُزكِّي نفسه لا يُقبَل، هو غير مستحق؛ أما مَن يُزكِّيه الشهود عن صدق يكون هو المستحق:

+ «**فانتخبوا** أيها الإخوة سبعة رجال منكم، **مشهوداً لهم ومملوِّين** من الروح القدس **وحكمة**، فنقيمهم على هذه **الحاجة**.» (أع ٦: ٣)

* * *

الروح القدس لا يفيض في إنسان ليجعله خادماً بالروح إلاَّ إذا كان ممتلئاً سابقاً. ومَن لم يمتلئ، كيف يفيض؟

الروح القدس مستعدٌّ دائماً أن يملأ كل إنسان "تعوزه الحكمة"، ولكنه غير مستعد أن يعطي فيض الكهنوت لمن لم يمتلئ أولاً.

حلول الروح القدس بالشماسية يفيض على الشخص حكمةً وتدبيراً وعدم محاباة ويجعله أهلاً أن يخدم أعواز الناس.

وحلول الروح القدس بالقسوسية يفيض على الشخص مواهب الرعاية. يُعزِّي بشبه الباراكليت، ويُحامي عن حقوق الخراف، ويخدم الأسرار.

وحلول الروح القدس بالأسقفية يفيض على الشخص قدرة على النظارة، لأن ترجمة اسمه: "إبيسكوبوس" وتعني الناظر من أعلى.

حلول الروح على الأسقف هو حلول نهائي فوق حلول الشماسية والقسوسية، ولا يمكن رسامة أسقف إن لم يكن قد رُسِم شماساً أولاً وقساً، أي يكون قد حل عليه روح الحكمة وروح الرعاية حتى يأخذ روح النظارة.

والنظارة رؤيا من فوق، فالأسقف ينظر الكنيسة كما ينظرها الله.

فالأسقف في الكنيسة كالمسيح، أو كما يقول **القديس إغناطيوس الأنطاكي**، هو كالآب السماوي بيننا!! وهذا لأنه يملك الروح القدس ويُعطيه.

الأسقف هو بالنسبة للكنيسة مصدر إلهي تستمد منه الكنيسة الروح القدس وعطاياه، والروح القدس يفيض من الأسقف بالمشيئة والصلاة.

والكنيسة لا يمكن أن تُدعى كنيسة بدون أسقف، لأنه ينبوع الروح القدس فيها، ومنه تفيض العطايا لها، وهو يُقيم خدَّامها ويسند رعاتها.

حلول الروح القدس في الأسرار الأخرى:

توجد في الكنيسة أسرار أخرى كثيرة غير محسوبة ضمن الأسرار السبعة. ولكن لا تخلو هذه الأسرار من حالات حلول أيضاً.

فمثلاً في حالة تكريس الرهبان يحلُّ الروح القدس بالصلاة، ويعمل بنعمته في الشخص المتكرِّس لحفظ البتولية والموت عن شهوات الدنيا.

وفي تكريس الكنائس يحلُّ الروح القدس بصلاة الأسقف لتقديس المكان وتخصيصه للصلاة.

وفي تكريس الماء يحلُّ الروح القدس ليجعل في المـــاء قـــوةً للـــتطهير والشفاء كما في طقس اللقّان، وبالأخص في عيد الغطـــاس "الظهـــور الإلهي".

وفي الصلاة على الموتى يحلُّ الروح القدس ليستلم هيكله(٣٨) الخصوصي.

* * *

وهكذا نرى أن الروح القدس معنا باستمرار، يُرافقنا في كل أعمالنا كما كان المسيح يُرافق تلاميذه.

ولكنَ كل مرة تجتمع فيها الكنيسة للصلاة تحصل على حالة حلول، فيها نحصل على مؤازرة الروح القدس، كما يقول **القديس إيرينيئوس**:

[أينما وُجـــدَت الكنيسة وُجـــدَ الروح القدس؛ وأينما وُجـــدَ الروح القدس وُجـــدَت الكنيسة].

(٣٨) حينما يصلّي الكاهن بطلب ويقول: "عن هذه النفس"، وذلك إشارة إلى وجود النفس أثناء الصلاة.

٣ ـ الحلول بالصلاة

+ «ولما صلّوا تزعزع المكان الذي كانوا مجتمعين فيه، وامتلأ الجميع من الروح القدس.» (أع ٤: ٣١)

ليست كل صلاة يمكن أن يُلازمها حالة حلول.

وبالرغم من ذلك لا يمكن أن نضع شروطاً يمكن لمن يتبعها أن يوجد في حضرة الله أو في حالة حلول.

ولكن توجد صلاة حقيقية فيها نتواجه مع الله، ويجري حديثنا معه بثقة وفرح وقبول، وفي هذه يكون الروح القدس شفيعاً لنا في الصلاة: «لسنا نعلم ما نصلّي لأجله كما ينبغي، ولكن الروح **نفسه** يشفع فينا بأنّات لا يُنطق بها» (رو ٨: ٢٦). هذه حالة حلول حقيقي.

* * *

الكنيسة تعلّمنا أن لا نكفّ عن طلب حلول الروح القدس علينا بالصلاة يومياً.

وهي لا تكتفي أن نطلبه مرة واحدة في الصلوات الرسمية بل أربع مرات:

المرة الأولى في الساعة الثالثة من بدء النهار (التاسعة صباحاً)، وهي الساعة التي حلّ فيها الروح القدس على التلاميذ يوم الخمسين، وبهذه الصلاة تنبِّهنا الكنيسة أن يوم الخمسين حاضرٌ معنا بالصلاة كل يوم.

ثم نطلبه ثلاث مرات في صلوات نصف الليل، وذلك رمز لانتظار مجيء الرب

حتى الهزيع الثالث من الليل: «وإن أتى في الهزيع الثاني أو أتى في الهزيع الثالث ووجدهم (يصنعون) هكذا، فطوبى لأولئك العبيد.» (لو ١٢: ٣٨)

ونحن نطلب حلول الروح القدس قبل مجيء الرب، لأنه كما يقول **القديس باسيليوس:**

[أينما يأتي المسيح يسبقه الروح القدس.](٣٩)

ولأن المسيح قد نبَّه ذهن الكنيسة أن العريس سيأتي في نصف الليل، لذلك استعدت الكنيسة بالدعاء وطلب حلول الروح القدس في صلاة نصف الليل.

والكنيسة تعلّمنا أن نطلب حلول الروح القدس هكذا:

[أيها الملك السمائي المعزّي (الباراكليت)، روح الحق الحاضر في كل مكان والمالئ الكل، كنز الصالحات ومُعطي الحياة، هَلُمَّ تفضل وحلّ فينا.](٤٠)

* * *

حينما تلتهب روحنا في الصلاة، حينما يتقد كياننا العقلي والجسدي كله كما بنار، فينتبه الذهن انتباهة روحية غير عادية، فينطق الكلمة وكأنها قوة خارجة من أعماقه؛ حينئذ يكون الإنسان في حالة حلول الروح القدس وتكون هذه هي الصلاة بالروح.

في الصلاة الروحية يُشرق الحق على العقل كومضات من نور تملأ الذهن وتسري في الوجدان معاً وفي آن واحد. وتكون هذه الومضات مُحمَّلة بالإلهام والكشف والمعرفة.

---

(39) St Basil, *Contra Haeres.*, III, 24, PG VII, p. 966.

(٤٠) "الأجبية المقدسة" ــ صلاة الساعة الثالثة.

لذلك كانت الصلاة ذات الحلول أساس الارتقاء، وذلك بتغيير الذهن من مجد إلى مجد، وليس الذهن فقط بل وكل مستويات الإحساس والتعبير.

وفي الارتقاء بالنفس دخولٌ في مجال الله وتوثيقٌ في العشرة الإلهية، لأن ازدياد المعرفة الروحية بالخبرة في الصلاة هي عينها تُنشئ الدالة والأُلفة مع الروح القدس وباقي الأقانيم.

الصلاة بالروح هي نفسها حالة ارتقاء ومصعد يقود إلى الله.

والصعود إلى الله هو انتقال من معرفة إلى معرفة أعلى، ومن وعي جديد لوعي أجدّ، ومن رؤيا إلى رؤيا، بلا توقُّف وإلى ما لا نهاية، والذي نأخذه بالصلاة في هذا الدهر نأخذه في الدهر الآتي بالتسبيح كشبه الملائكة.

الصلاة إذا بلغت إلى حالة الحلول تنشئ حالة حرية: «حرية مجد أولاد الله» (رو ٨:٢١)، وذلك على أساس الحب والحق معاً، لأن معرفة الحق تحرِّر الذهن، والدخول في الحب الإلهي يُحرِّر القلب، فلا يعود الإنسان عبداً للقياسات العقلية ومنطق الناس ولا يرتبط بقلبه بشيء من هذا الدهر.

ولنذكر ذلك القول المأثور عن **القديس أنطونيوس الكبير** حينما قال مرة لأولاده: "يا أولادي، أنا لا أخاف الله". فقالوا له: "هذا القول صعب يا أبانا"، فاستطرد قائلاً: "لأني أحبه..."!!

* * *

وليت القارئ يُفرِّق بين حالات الحلول الثلاثة للروح القدس:

فالحلول بالكلمة قلنا إنه يتقن النفس ويفتح الذهن لتقبُّل كلمة الإيمان

والنطق بالحق الإلهي، والشهادة للمسيح.

والحلول بالأسرار قلنا إنه اشتراك في الطبيعة الإلهية.

أما **الحلول بالصلاة** فهو حلولٌ للامتلاء بالروح القدس للمرافقة والصُّحْبَى، لأن الصلاة الروحية هي حالة عشرة مع الله.

هذه العشرة يصفها **القديس غريغوريوس الناطق بالإلهيات** هكذا:

[وأخيراً أجد أنه من الخير لي أن أعتصم بالمعرفة الرزينة بكل كياني، مستنداً على الكلمات القليلة والاستنارة التي تقبَّلتها من الروح القدس، متوكِّلاً على قيادته لحياتي ومحتفظاً به لنفسي رفيقاً وصديقاً حتى النهاية.](٤١)

لذلك كانت حالات الحلول في الصلاة هي منتهى ما يبلغه الإنسان من قُرْبَى باللاهوت والامتلاء من الروح، وهي التي تؤهِّله للشهادة للحق بمنطق وحكمة لا تُعانَد: «لم يقدروا أن يُقاوموا الحكمة والروح الذي كان يتكلَّم به شهيد اسطفانوس)» (أع ٦: ١٠). وإذا خدم، فتكون خدمته ملتهبة ذات تأثير شديد في النفوس: «فلما سمعوا **نُخسوا** في قلوبهم... فقبلوا كلامه **بفرح**... وانضمَّ في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف نفس.» (أع ٢: ٣٧ و٤١)

والملء بالصلاة ملء متكرر يتجدَّد حسب الضرورة، كما رأينا في بطرس الرسول لما كان يمتلئ بالروح في كل مرة يُستدْعَى للشهادة.

* * *

ولكن الذي يهم القارئ هو كيف يصير هذا الملء؟ أو بالحري كيف نؤهَّل لمرافقة الروح القدس بالصلاة على هذا القياس الذي يُعتبر أساساً

(41) St Greg. Naz., NPNF 2nd Ser., Vol VII, p. 328.

وضرورة لحياتنا المسيحية؟ سواء كنا مؤمنين عاديين أو كنا مدعوين للشهادة بإيمان أو كرازة بالكلمة أو خدمة الكنيسة بأي نوع أو مرشدين للنفوس؟

ونحن نريد أن نؤكّد للقارئ أنه ليست الصلاة وحدها قادرة أن توصِّلنا إلى حالة الامتلاء من الروح القدس. فالامتلاء يأتي في الصلاة، ولكن لا يأتي بالصلاة وحدها.

لذلك حبذا لو يصحح الناس أفكارهم من جهة الامتلاء بالروح، فهو لا يُحصل عليه بكثرة الصلاة، ولا التوسُّل الشديد ولا الدموع أو الصوم يقدر أن يستدرّ الروح القدس ليملأ حياتنا.

ولكن يلزم أولاً أن نكون قد وفّينا حقوق الإنجيل. يلزم أن نكون قد حفظنا الوصية، ونكون قد حفظناها عن حبٍّ وليس عن غرض: «إن كنتم **تحبونني فاحفظوا وصاياي**، وأنا أطلب من الآب فيُعطيكم **باراكليتاً** (مُعزِّياً) آخر ليمكث معكم إلى الأبد.» (يو ١٤: ١٥ و١٦)

وصلاة تكون على أساس حق الإنجيل وحب المسيح وحفظ الوصية هي الصلاة التي يكمل فيها الحلول ويكمل بها الملء.

ولكن هنا يعترضنا سؤال: أليس حب المسيح وحِفظ الوصية يحتاج إلى الروح القدس أولاً؟

هنا يجيب **القديس أغسطينوس**:

[كيف يقول الرب: «إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي، وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزِّياً آخر»، مع أنه بدون الروح القدس لا يمكن أن نحب الله أو نحفظ وصاياه؟

كيف نحب الرب أو نحفظ الوصية لنأخذ الروح القدس، مع أنه بدون الروح القدس لا نستطيع أن نحبه أو نحفظ وصاياه؟

ولكن علينا أن نفهم أن محبة الرب هي علامة على أن الروح القدس فينا، والذي عنده الروح يكون أهلاً لامتلاك وامتلاء أكثر من الروح، والإنسان كلما امتلأ من الروح أكثر كلما تأهَّل لحب الله أكثر.

هكذا كان التلاميذ في البدء عندهم الروح القدس، ولكنه لم يكن عندهم بالصورة الكاملة التي وعدهم الرب بها... كان عندهم بصفة محدودة وبصورة خفية غير مُعلنة، ولكنهم لما أكملوا وصية الرب: «احفظوا وصاياي»، تمَّ لهم الوعد وقبلوه وحلَّ عليهم بصفة متسعة جداً وبصورة علنية.

لذلك، فإن وعد الرب لنا بهذه الآية لا يكون عبثاً، سواء للذين لم يأخذوا بعد الروح القدس أو الذين أخذوه بصورة محدودة خفية. فالذي لم يأخذه بعد تصير له الآية دعوة للأخذ... والذي أخذ تصير له الآية دعوة لأخذ أوفر...](٤٢)

القديس أغسطينوس

ونحن حينما ننبِّه ذهن القارئ بضرورة إيفاء حقوق الإنجيل والوصية، لا نقصد أن هذا يكون ثمن الامتلاء بالروح القدس، ولكن القصد منه تهيئة الهيكل الداخلي للإنسان للحلول حتى الملء، وإعداد القلب ليمتلكه الروح القدس ويسير به.

---

(42) St August., *On the Gospel of John*, NPNF, 1st Ser., Vol. VII. p. 334.

صحيح أن قراءة الكلمة تُهيِيء للإنسان الحلول كما سبق وقلنا في درجة الحلول الأولى، وهي إن قُبلَت باهتمام واشتياق وفرح، تطهِّر هيكل الإنسان الداخلي، وهذا تعلَّمناه من الرب: «أنتم الآن أنقياء لسبب الكلام الذي كلَّمتكم به.» (يو ١٥: ٣)

وهذا أيضاً يؤكِّده يوحنا الرسول مُعتبراً أن قراءة الكلمة أو الاستماع إليها حالة غبطة: «طوبى للذي يقرأ وللذين يسمعون.» (رؤ ١: ٣)

كذلك أيضاً صحيح أن الأسرار تُقدِّس هيكل الإنسان الداخلي بالنعمة والشركة في الطبيعة الإلهية مجاناً، ولكن المطلوب أن يكون للإنسان مشيئة واضحة عملية وجهد إرادي مبذول في سبيل جعل الهيكل الداخلي مُقدَّساً ولائقاً وكاملاً لقبول ملء الروح القدس لعشرة دائمة وصُحْبَى أبدية.

لذلك نسمع الآية آمرة أمراً: «احفظوا وصاياي»، وجزاءها: «وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزِّياً آخر».

وهنا نلاحظ أن الصلة بين عطية المعزِّي «ليمكث معكم إلى الأبد»، وبين «احفظوا وصاياي»؛ صلة شرطية يلتزم بها الساعي نحو الملء من الروح القدس أشد الالتزام.

ولكن ما هي الوصية؟

١ ــ هل الوصية **آيات نحفظها بعقلنا؟**

٢ ــ أم هي **مفهومات إلهية نتقن فهمها ومعرفتها؟**

٣ ــ أم هي **سلوك نحاول بالجهد أن نتمِّمه حسب الوصية؟**

ولكن لو تمَّمنا كل هذا نجد أنه يعوزنا شيء.

يوجد شيء في الوصية أكثر من احتمال العقل والمعرفة والسلوك! هو روح الوصية لأن الوصية روح!!

روح الوصية:

يستحيل أن نأخذ روح الوصية إلاَّ عن طريق الروح القدس، ونحن لا نتعجَّب الآن بعد أن استمعنا لقول القديس أغسطينوس من أن الروح الذي فينا هو الذي يؤهِّلنا للملء منه.

فالروح القدس أولاً وآخراً منه نبدأ وبه نمتلئ.

الروح القدس عرفناه من الكتاب المقدس ناراً إلهية ألقاها الرب على أرضنا وهو لا يريد إلاَّ اضطرامها فينا!

أ ــ فإن أردت أن تقبل الوصية بعقلك:

اقبل الروح الذي فيها **كنار عقلية**، كلسان النار الذي استقر واستراح على رؤوس التلاميذ، فهذا هو روح الوصية الذي يحرق من عقلك شوائب الفكر والمنطق البشري السقيم حسب قياسات الناس فيجعل منطقك إلهياً بسيطاً حسب الوصية، وفكرك مسيحياً حسب فكر المسيح!! وهكذا يصير حفظك للوصية حسب الروح، وهذا يؤهِّلك للملء منه.

وفي هذا يقول **القديس غريغوريوس الناطق بالإلهيات:**

[توجد نار مطهِّرة جاء المسيح ليُلقيها على الأرض، والمسيح نفسه نار عقلية يحرق فينا كل ما هو مادي وكل شوائب السلوك... هذه النار يلهبها ويشاء لو يضرمها على أقصاها، لأنه يتلهَّف لتطهيرنا وتقديسنا ويسعى إلى ذلك سعياً شديداً، ويُقدِّمها: «جمرة قد أخذها بملقط من على المذبح، ومسَّ بها فمي وقال: إن هذه قد مسَّت شفتيك، فانتُزِع إثمك وكُفِّر عن خطيتك» (إش ٦: ٦و٧)].

ب ــ وإن أردت أن تقبل الوصية كمفهوم إلهي تعرف به الحق:

فاقبل معها روح الحق، وروح الحق نار أيضاً تحرق من الإنسان الجبن والرعدة والأخذ بالوجوه ومجاملات الناس ومديحهم في الوقت الذي ينبغي أن يُقال فيه "لا يحلُّ لك" (مت ١٤: ٤)، و«أنت هو الرجل» (٢صم ١٢: ٧ - ناثان النبي يوبِّخ داود). الوصية كمفهوم إلهي لا تُحفظ إلاَّ على أساس "طاعة الله أكثر من الناس" (أع ٥: ٢٩)، و«فلو كنت بعد أُرضي الناس لم أكن عبداً للمسيح.» (غل ١: ١٠)

الوصية كمفهوم إلهي لا تُحفظ إلاَّ على أساس «ما كان لي ربحاً فهذا قد حسبته من أجل المسيح خسارة، بل إني أحسب كل شيء أيضاً خسارة من أجل فضل معرفة المسيح يسوع ربي، الذي من أجله خسرتُ كل الأشياء وأنا أحسبها نفاية لكي أربح المسيح.» (في ٣: ٧-٨)

ج ــ إن أردت أن تحفظ الوصية كسلوك:

فاقبل الروح المبكِّت الذي يُبكِّت كل حين «على خطية» (يو ١٦: ٨)، لأنه يكون فيك كنار تحرق في الضمير وتسري في أعضائك لتبدِّد الشهوات الجانحة نحو الكبرياء والعجرفة والاعتداد بالذات والجنوح نحو الشهوات المفسدة.

روح الوصية في السلوك نارٌ مبكِّتة، لا تنحصر في الإنسان حتى تؤدِّبه بأدب الله وتمرره من تحت العصا، والذي لا يحتمل نار تبكيت الروح المحرقة عبثاً يكون حفظه للوصية، وهيهات إن هو رأى الملء.

وفي هذا يُكلِّمنا **القديس غريغوريوس** بكلمات مُبكِّتة لعلَّها تقع من القارئ موقعاً حسناً:

[يا إخوة، طهِّروا أعضاءكم وحواسكم... ولا تبقوا فيكم عيباً بعد أن

اعتمدتم ووُلدتم جديداً... اجتهدوا أن تستنيروا ولا تتركوا فيكم شيئاً إلاَّ وهو ينير.

عيونكم أنيروها لتستقيم أمامكم الرؤيا، انزعوا منها الزنا...

آذانكم وألسنتكم أنيروها لكي إذا قرأتم أو سمعتم كلمة الله تفهموا المحبة... والمسرة والبهجة لا تستقر إلاَّ في الأُذن التقية.

لا تجعلوا لسانكم سيفاً يقطع في الناس وموسى يجرح، ولا تخفوا تحته الخصام والنزاع، فلم يُجعل اللسان لهذا بل ليلهج بحكمة الله وينطق بالأسرار... والحكمة هي كرامة الألسنة التي مسَّتها نار الله.

اشفوا حاسة الروائح... تضمَّخوا بالطين والتراب عِوَض العطور لتستطيعوا أن تتنسموا خفياً بالسر رائحة الطيب المقدس الذي أُهرق لنا على الصليب!... فتتحوَّلوا أنتم بشبهه وتصيروا رائحة المسيح الزكية.

طهِّروا ملامس أيديكم وأبدانكم ومذاقة أفواهكم، لتلمسوا سراً وتذوقوا الرب وكلمته فتدوم لكم حواسكم وتدوم لكم سعادتها...

واعلموا أن لذة التراب لا تدوم، هي قصيرة وليس لها مجازاة ...

وهي تَعْبُر سريعاً ولا يبقى لصاحبها منها شيء![(٤٣)]

السلوك كطريق:

روح الوصية هو تبكيت الروح القدس، هو نار، وهو طريق الملء، وهو طريق ضيق، لا يسير فيه إنسان طامع في الدنيا أو طامح لمركز ووظيفة أو مرتئي إلى أعلى من قامته.

---

(43) St Greg. Naz., *Oration* XL, NPNF, 2nd Ser., Vol. VII.

تبكيت الروح القدس لا يعمل ولا يحرق إلاّ في انحصار المذلة، في النفس التي وضعت في نفسها حُكْم الموت لعلّها تبلغ إلى قيامة أفضل.

الروح القدس يقود في السلوك:

الإنسان الساعي إلى الوصية بالروح القدس غير الإنسان الساعي إلى الفضيلة. فالأول سلّم نفسه نهائياً لقيادة الروح القدس، أما الثاني فهو يسعى بنفسه، والاثنان على نقيض.

فالأول تجده ساقطاً من ذاته بسرور، هابطاً بتلقائية لذيذة غير متحفظة، أعدَّ نفسه إلى أقصى ما يبلغه الهبوط بالنفس حيث اللاشيئية والموات وغير الموجودية، حيث الله والملء!!

أما الثاني فهو مرتفع بذاته، وإنما بطريق ملتوية. طامح في رفعة إرادية، أعدَّ نفسه لها، مهما تمادَى في هبوطه المصطنع ومهما تهاوى عن مستواه الذي يتمسك بما هو أرفع منه، حيث ملء الغرور وفراغ الذات الذي يرن طبلة جوفاء.

* * *

التبكيت بالروح القدس هو روح الوصية وهو استسلام لأقصى ما يمكن أن يُصاب به الإنسان في سبيل تكميل الوصية، ولا يمكن أن يُصاب الإنسان في الدنيا بأكثر من الصليب! حيث ملء المجد.

روح الاتضاع الحق:

إذا وقع الإنسان تحت تبكيت الروح القدس واستسلم بغير تململ لفاعليته المحرقة بتجاربه المُرَّة، فهو بالغ الاتضاع لا محالة، ولكنه اتضاع حق وليس كاتضاع السعي وراء الفضيلة، لأنه اتضاع لا يَنْزع إلى رفعة

ولا إلى تعويض، بل هو فرح بالنزول بالنفس ثم النزول بها والنزول بها إلى ما لا نهاية!!

روح الطاعة الحقَّة:

إذا انصاع الإنسان لتبكيت الروح القدس بانفتاح ووعي، أدرك تقدُّمه في طريق النور نحو مصدر النور مهما اكتوت رجلاه بنار التجربة. وهو بذلك الشعور بالغ الطاعة في حقيقتها، وعلى قياس المسيح «**تعلَّم الطاعة مما تألَّم به**» (عب ٥: ٨)، لأنه يستحيل أن يُدرك الإنسان معنى الطاعة ويُحقِّقها على قياسها الإلهي كوصية الله ــ لا الناس ــ إذا لم يحس إحساساً صادقاً غاية الصدق أن طريقه يقترب كل يوم إلى الله وإلى الملء.

فالطاعة ليست عُصابة تُلطِّخ بها العينين ليسير الإنسان من ورائها سير الأعمى خلف إنسان آخر مهما كان هذا الآخر، فيسقط راضياً فيما يسقط فيه هذا الآخر، ويقوم مترضِّضاً بما يترضض به هذا الآخر، حاشا، ليست هذه وصية الله!

فالطاعة استجابة لنداء الله، وسير حثيث صوب هذا النداء بتلقائية الروح القدس الساكن في الإنسان، مهما تكلَّف الإنسان في سيره ولو إلى جحد نفسه والدنيا وكل الناس.

والطاعة تزداد بالتجربة، وتنضج في الآلام، وتبلغ النهاية بالصليب: «**تعلَّم الطاعة مما تألَّم به**».

روح المحبة:

الوصية تقول: "أحبوا، أحبوا أعداءكم"، ولكن كيف نحب الأعداء إن لم تمت وتتلاشى منا العداوة؟

روح الوصية نارٌ، نار تحرق منا البغضة والعداوة والحقد. فإذا لم نأخذ روح الوصية ونستسلم لفاعليتها المحرقة لن نُشفى من مرض البغضة، ولن نبلغ المحبة، وبالتالي لن نرى الملء! مهما كانت صلاتنا بصراخ ودموع.

إذا استسلم الإنسان لتبكيت الروح القدس؛ انكشف له الموت الرابض بالعداوة في قلبه؛ واستُعلنت له الهاوية وجهنم التي استقرت في أحشائه متأسِّسة على الحقد المستتر والنقمة والبغضة والانتقام، تلك التي عشعشت في القلب على مدى العمر فمنعت النعمة وسدَّت الطريق على الروح القدس، والإنسان لاهٍ عن نفسه، ويطلب أن يمتلئ بالروح القدس وهو مملوء موتاً.

فإذا قبلنا روح الوصية أدركنا كيف نغلب الموت الذي فينا بالعداوة وحينئذ نبلغ المحبة. المحبة القائمة على أساس العرفان بفضل الناس جميعاً والأعداء بصورة أفضل وأهَمّ، لأنهم يطبِّبون كبرياءنا ويكشفون عوار قلوبنا.

روح الوصية هبة:

وروح الوصية هبة يُعطيها الروح القدس للساعين نحو حفظها من قلب مستقيم، وبها نحفظ الوصية بالحب ونبلغ وعد الرب حيث ملء الروح القدس.

كلمة في الختام:

وفي ختام هذا الفصل، نؤكِّد للقارئ شدة الحاجة إلى الملء من الروح القدس بالصلاة القائمة على أساس الوفاء للإنجيل وحِفْظ الوصية.

فالروح القدس أُرسِل لـ "يمكث فينا" إلى الأبد ليكون لنا، كما كان المسيح لتلاميذه وخواصه، في رفقة وأُلفة وصُحْبَى إلهية!!

الروح القدس شيء، وعطية الروح القدس شيء آخر.
ونحن نطلب الروح القدس شخصياً بالصلاة.

القديس غريغوريوس الناطق بالإلهيات يقول هكذا:

[إن الروح القدس الآن يسكن بشخصه في وسطنا ويستوضح نفسه لنا.][٤٤]

وهذا هو غنَى العهد الجديد وفضل انفتاح اللاهوت علينا بالمسيح.
فصار يغشانا الروح القدس ولا يُلاشينا.
يملأنا ويظل مستترا فينا.
يتشخَّص فينا بنفسه ولا يظهر إلاَّ شخصنا.
ينطق فينا جهاراً ولا يُسمع إلاَّ صوتنا.

كما يقول **القديس باسيليوس**:

[إن صوت الروح القدس يصبح هو نفس صوت الذين يتقبَّلونه.][٤٥]

يُرافقنا في كل لحظة ولا نُرَى إلاَّ وحدنا.
يهبنا معرفة كل الحق وكأننا نعرف من أنفسنا.
يُحرِّر نفوسنا من قيود الدنيا وكأننا تحرَّرنا بجهدنا.
يهبنا مشيئة الله ويُحرِّكنا بإرادة العلي وكأننا نشاء من أنفسنا.
يسكب نعمته في قلوبنا فنلتهب بالحب ونبذل حتى الدم وكأننا نحن الباذلون ونحن المحبون.

---

(44) Ibid., *Fifth Oration,* p. 326.

(45) St Basil, *On the Holy Spirit,* NPNF, 2nd Ser., Vol. VIII, p. 36.

ولكن لا يأتينا الروح القدس ولا المسيح بشخصيهما إلاَّ إذا عرفناهما أولاً بالكلمة، ثم قبلنا طبيعتيهما فينا بالأسرار!

لأنه يلزم أن نكون ودعاء ليرافقنا الوديع.
يلزم أن نكون أحباء ليُلازمنا الحبيب.
يلزم أن نكون مقدَّسين لنُلازم القدوس.
يلزم أن نكون حارِّين بالروح لنحتمل سُكنى الروح الناري.

وها نحن قبلنا في صميم طبيعتنا نار الروح القدس بالمعمودية والأسرار، وما بَقِيَ علينا إلاَّ أن نقبل اشتعال النار الإلهية فينا، لنصير لائقين لرفقة الروح القدس.

* * *

نحن بالكلمة نتعرَّف على ذات الله، وبالأسرار نشترك في طبيعة الله، وبالصلاة نحب الله ونسير مع أقانيمه.

في الكلمة يعمل الإيمان.
في الأسرار يعمل الرجاء.
في الصلاة يعمل الحب.
وبالثلاثة تتم وحدة الملء،
تَكمُل الشركة في اللاهوت،
ونبلغ الاتحاد بالله.

* * *

ليس من الهيِّن اقتناء الروح القدس. ليس بمجرد الصلاة يمكن أن نتصادق معه، ولا بالسؤال الشديد يمكن مرافقته.

يجب أن نلتزم التعقُّل في هذا الطلب المقدس، هو من حقنا، ولكن يلزم أن نتمِّم درجاته ونوفي حقوقه، كما قدَّمناها.

فإذا أغفلنا شيئاً منها فلا نظن أننا نصل إلى الملء، ولو صرفنا العمر كله في السؤال.

أما إذا أكملنا مطالب الكلمة والأسرار، وانسكبنا بالصلاة، وعكفنا على تقديس هياكلنا بالخضوع لفاعلية الروح القدس وتبكيته؛ فلا يعود أمامنا إلاَّ أن نمتلئ منه بالحب.

* * *

وهنا نحن نضع أمام القارئ دعوة للملء يُقدِّمها لنا كلٌّ من **القديس أنبا أنطونيوس والقديس أنبا مقاريوس الكبير:**

[هذا الروح الناري العظيم الذي قبلته أنا، اقبلوه أنتم أيضاً. أما إذا أردتم أن تقبلوه ويسكن فيكم، فقدِّموا أولاً أتعاب الجسد وتواضع القلب، وارفعوا أفكاركم إلى السماء في الليل والنهار، واطلبوا باستقامة قلب هذا الروح الناري، وحينئذ يُعطَى لكم بالصلاة...

ولا تُفكِّروا في قلوبكم وتكونون ذوي قلبين وتقولون مَن يقدر أن يقبل هذا... لا يا أولادي، لا تَدَعوا هذه الأفكار تخطر على قلوبكم، بل اطلبوه باستقامة قلب فتنالوه... وأنا أيضاً أبوكم أجتهد معكم وأطلب لأجلكم أن تنالوه، لأني عارف أنكم كاملون وقادرون على نواله، لأن كل مَن يُفلِّح ذاته بهذه الفلاحة فإن الروح يُعطَى له كل حين وإلى الأبد. وهو يكشف

لكم الأسرار العلوية.][٤٦]

القديس أنطونيوس ـــ الرسالة الثامنة

[إن قوة نعمة الله في الإنسان عندما تحسب النفس أمينة لقبول الحكمة، تُعدُّها لنوالها بعد جهاد عظيم وصبر كثير وتجارب متنوِّعة لاختبار إرادتها، فإذا احتملت النفس و لم تحْزن الروح القدس وكانت موافقة له، فإنها تُحسَب أهلاً لأن تُطلَق من شدائدها لتنال ملء الروح القدس وغِنَى الحكمة التي ليست من هذا العالم.][٤٧]

القديس مقاريوس الكبير



(٤٦) كتاب: "حياة الصلاة الأرثوذكسية"، الطبعة الخامسة ١٩٨٦، ص ٢١٢ و٢١٣.

(٤٧) كتاب: "حياة الصلاة الأرثوذكسية"، الطبعة الخامسة ١٩٨٦، ص ٢١٦.

الفصل الثالث

عوائق الحلول والامتلاء من الروح القدس

لما دخلت المسيحية إلى العالم هتفت الملائكة بنشيد المجد لله والفرح للناس والسلام للأرض.

ولكن قليلاً قليلاً دخل العالم في كيان المسيحية، فقلَّ تمجيد الله في قلوب الناس، وانحبس الفرح الحقيقي، وضَعُفَ السلام على الأرض.

كيف دخل العالم في كيان المسيحية؟

هذا ما نعرض له في هذا الفصل بكثير من الاختصار.

أولاً: المادية في المسيحية

المسيحية حياة روحية على مستوى عملي كما رأيناها في عصورها الأولى وفي كل عصورها الناهضة. فإنْ هي جنحت نحو المادية فقـــدت قوتهـــا، لأن قوتها الروح القدس.

الروح القدس أو المادة!! اختر لنفسك واحداً منهما.

* * *

المسيحية الآن جنحت وراء المادة، وهذا هو سر انحصار الروح القدس وانعزاله عن حياة الناس!!

ولكن ما هي المادية؟

المادية في المسيحية هي هكذا:

١ ــ الاعتماد على المال:

لتوفير مستقبل مضمون، وحل المشكلات المستعصية على مـــستوى الرشوة!!!

توفير مستقبل مضمون أو "تأمين" المـــستقبل، وحـــلّ المـــشكلات المستعصية هو من عمل الروح القدس! فإن أنت اعتمدتَ على المال، فلا تطلب، يا أخي، الامتلاء من الروح القدس، ولا تتأسف على ضـــعف الكنيسة، فقد وضعنا السر بين يديك.

٢ ــ الاعتماد على القوة:

لتأمين **المنفعة والكرامة** وحفظ **هيبة الإنسان!!**

فإن استخدمتَ قوتك في هذه الميادين، فلماذا تطلب الروح القدس؟ الروح القدس هو قوة **المظلومين** والذين **بلا كرامة والمزدرَى بهم.**

٣ ــ الاعتماد على السياسة والدهاء:

لتأمين الحقوق من الضياع واكتساب فرص جديدة في الحياة.

هذا ضد وصية الإنجيل، فإن كنتَ تسلك ضد الإنجيل فلا تظن أنك في المسيح، ولا ترتجِ نمواً ولا ملئاً بالروح.

٤ ــ الاعتماد على الملذات:

للتسلية و"العزاء" المصطنع وتأمين النفس ضد رؤية ذاتها.

الروح القدس يُدعَى بـ "المعزِّي"، وعمله هو حفظ توازُن سلام وسان وراحته الداخلية تجاه ضيقات وأتعاب النفس والجسد.

إذا طلبتَ التعزية من غير "المعزِّي"، فأنت تتجاهل اختصاص الروح القدس.

٥ ــ الجنوح إلى الزنا:

هرباً من واقع الجهاد وتأمين الذات ضد الخوف من العزلة.

المسيحية واقعها جهادٌ ضد النفس وجحدٌ لشهوات الذات، وهي بالروح القدس عطاء وانسكاب وبذل.

فإذا هربنا من الجهاد هرب منا الروح؛ وإذا حفنا العزلة، كيف نبلغ إلى العشرة مع الروح القدس.

٦ ــ تفشِّي روح الحسد والبغضة والغيرة والتحزُّب:

هذه هي الحيوانية في الإنسانية. هذه هي رؤوس التنانين التي تطفو على وجه النفس لتثبت للإنسان علناً أنه لا يزال يحيا حيوانياً، ولا يزال يعيش في الإنسان العتيق.

* * *

الإنسان الذي يكتشف في نفسه شيئاً من هذه المادية العالمية، فلْيَعْلَم أنه لا يزال يعيش في واقعية الدنيا الميِّتة، ينساب مع تياراتها الطبيعية كإحدى الخلائق غير الروحانية.

نحن مدعوون من قِبَل الروح القدس أن لا ننساب في مستويات العصر ونحيا فيها كما هي بحالتها الواقعية وبدون فحص.

الروح القدس هو القوة التوازنية التي تحفظ مستوى الإنسان روحياً وهو في صميم واقع الدنيا المادية!

الروح القدس سندٌ للإنسان في جهاده تجاه واقع الحياة والجسد وكل القوى والدوافع الغامضة المنسابة في العالم وفي الجسد.

هو يدفع الإنسان إلى الأمام، وفي نفس الوقت إلى فوق، حتى لا يتخلَّف عن رَكْب الحياة من جهة؛ ومن جهة أخرى لا ينحطّ فيغرق في لُجة العصر وتياراته المادية المُهلِكة.

فهو يَعْبُر بالإنسان باستمرار ــ وعلى درجات متقاربة جداً ــ من

واقعه المادي إلى مستقبله الروحي.

* * *

الروح القدس لا يحوِّل الإنسان إلى روح محض ولا يلغي المادة، وإنما يُجدِّد نظرتنا، ويُعدِّل غايتنا، ويحوِّل طريقنا من المستوى المادي المحض إلى المستوى الروحي في استخدام غرائزنا وعواطفنا ومواهبنا، من الإحساس المقفل بالحاضر المادي إلى إحساس منفتح وممتد في المستقبل.

وبدون الروح القدس يُحتمَل وقوع الإنسان في إحدى هاويتين: إما هاوية الاعتماد الكلّي الشديد على المادة والقوة والذكاء والغريزة لتأمين حياة الإنسان حسب واقع الحاضر؛ وإما هاوية اليأس الكلّي الشديد من قيمة المادة والقوة والذكاء والغريزة حيث يقف الإنسان وسط رَكْب الدنيا ويسقط في بالوعة اليأس.

* * *

ولكن الروح القدس يمسك بالإنسان ليعبُر به هاتين الهاويتين:

فبالنسبة للأولى يفتح بصيرة الإنسان **لواقع المستقبل وحقيقة الروح**، وحينئذ ينكشف له أن المادة ليست كل شيء، ولا بالقوة والقدرة يحيا الإنسان، ولا الذكاء يقدر أن يُجنِّب الإنسان مزالق الطريق.

وبالنسبة للثانية يفتح بصيرة الإنسان **للحاضر كأساس لبلوغ المستقبل**، ويكشف له **حقيقة المادة أنها وسيلة طيِّعة للارتقاء إلى الروح**، وأنها **حقيقة الحاضر** الذي نحياه وإن كانت ليست حقيقة المستقبل الذي نزحف إليه!

الإنسان بكيانه المادي يميل إلى أن ينحصر في الحاضر. لذلك فهو مُعرَّضٌ للسقوط من المستقبل.

كذلك فإن الإنسان بكيانه الروحاني، يميل إلى أن ينحصر في المستقبل. لذلك فهو مُعرَّضٌ للسقوط من الحاضر.

عمل الروح القدس أن يُحقِّق للإنسان مستقبله في حاضره، لأن الروح القدس هو نفسه حقيقة الحاضر والمستقبل معاً.

ففي الحاضر يُعلن للإنسان حقيقة المادة أنها نافعة ولائقة للحياة الحاضرة، إذ هو الأقنوم الإلهي الخالق لها مع الآب والابن.

كما أنه يعلن لنا المستقبل من صميم حاضرنا، فهو لا يزال يعمل فينا بكافة الوسائل ليرفعنا من مستوى المادة والحاضر إلى الإحساس بالمستقبل لنمتدَّ نحوه باستمرار حتى لا نموت في حاضرنا المادي.

يجب على عصر الكنيسة الآن أن يكون هو عصر الانتقال من المادية إلى الروحانية، هو عصر الروح القدس!

ولكن للأسف، فالكنيسة تميل الآن إلى الانتقال من الروحانية الموروثة إلى المادية الحديثة!! ويا للخطورة لأنها تتخلَّف قليلاً قليلاً عن مجال الروح القدس.

✞ ✞ ✞

ثانياً: الشكلية في المسيحية

هناك ميل واضح بين المؤمنين لاستبدال الاتصال المباشر بالروح القدس من خلال الإيمان والعقيدة والطقس والأسرار والصلوات، إلى الاكتفاء بشكليات هذه الوسائط.

مع أننا مدعوُّون إلى الاتصال بالروح القدس لنوال قوته وعطاياه وتعزياته من خلال الطقوس والصلوات والأسرار.

فإذا لم نبلغ هذه الغاية فَقَدَت الطقوس والصلوات والأسرار غايتها!

* * *

الشيطان لا يترصَّدنا في الشوارع فقط أو في الأماكن العامة أو في وسائل المواصلات؛ بل هو يتعقَّبنا في الكنيسة وفي الصلاة وفي الأسرار وفي القراءة والخدمة، حتى في أعماق إيماننا وعقيدتنا. ألم يقل الكتاب عنه إنه يستطيع أن يتراءى كملاك نور (٢كو ١١: ١٤)!؟ وأنه يضلّ ولو أمكن المختارين أيضاً (مر ١٣: ٢٢)؟

وأصعب ضربة يسددها إلى الكنيسة وإلى المؤمنين الأتقياء هي أن يجعلهم مكتفين بشكليات الديانة ومراسيم الطقس، ويقف بهم عند حدود راحة النفس بعد تكميل الصلاة أو الخدمة.

مع أن هذه كلها لابد أن تنتهي بانفعال ونمو ونعمة فوق نعمة. وكل تكرار في الصلاة أو ممارسة الأسرار بدون نمو وبدون أخذ في كل مرة، هو

تكرار باطل كما قال الرب: «لا تكرروا الكلام باطلاً.» (مت ٦: ٧)

المسيحية ليست فيها شكليات البتة. فالشكليات في المسيحية هي حقائق وحقيقتها هي الروح القدس، لذلك يلزم أن تنتهي بعطاء ونعمة. يلزم أن نواجه فيها لمسة الروح، ونخرج منها كل مرة بغنائم.

هي ليست طريقاً دائرياً يعود كل مرة على ذي بدء، بل هي طريق مستقيم صاعدٌ بالإنسان.

الشيطان يترصَّدنا حتى لا نمتد أو نصعد. هو يمنعنا أن نبدأ، فإذا بدأنا، يحاول أن يمنعنا. فإذا سرنا، فإنه يدور بنا حتى نعود دائماً إلى حيث ابتدأنا ويوهمنا أننا سائرون!

الروح القدس ليس فيه شبه «ظل دوران.» (يع ١: ١٧)

فالذي يسير بالروح القدس لابد أن يصعد، لابد أن يتغيَّر «من مجد إلى مجد كما من الرب الروح.» (٢كو ٣: ١٨)

ولنحذر دائماً أن الأشياء التي نهتم بها ونقدِّسها جداً ويتعلَّق بها قلبنا هي هي نفسها معرَّضة لغش الشيطان وإفساد غايتنا منها، حتى ولو كانت هي حبنا للكنيسة أو العقيدة أو الطقس أو الكتاب المقدس أو القديسين أو الألحان أو الصلاة نفسها. فإن الشيطان يحاول أن يجعلنا ننحصر فيها شكلياً دون أن نمتد فيها حتى نبلغ بها إلى الله وإلى العشرة معه فيها.

✞ ✞ ✞

ثالثاً: الآلية في المسيحية

لا نقصد بالآلية استخدام الآلات، وإنما نقصد استخدام الطرق غير الروحية على وجه العموم في الخدمة والكرازة والنشاط الروحي.

فالكنيسة ابتدأت تستخدم أساليب عالمية تعتمد على العقل وحيَل النفس و"التكتيك" و"التخطيط" وبقية الأسماء والمصطلحات الخلاَّبة الأخرى.

الكنيسة لا تعرف في طرق الخدمة والكرازة والنشاط إلاَّ الاعتماد الكلّي على إرشاد الروح القدس وتوجيهاته، وتدخُّله الشخصي، ومرافقته وحثه للقلوب، وإقناعه للناس، ومحاماته وتشجيعاته، وتكميله عجز المنطق البشري وعجز القوة وعجز المال.

فالروح القدس يقود الخدمة بشخصه، وهو كفيل بالثمر على قدر الاعتماد عليه.

وأية محاولة للاعتماد على الآلية العقلية أو النفسية أو التكتيك العلمي أو وضع الخطط، هو بمثابة الاستغناء الجزئي عن الروح القدس والاعتقاد بعدم كفايته!

ويكفي للقارئ أن يعرف أن أنجح الخدام والرسل والكارزين، سواء كانوا في العصور الأولى أو الحديثة، هم الذين ألقوا بكل وسائل العقل

والمادة والقدرة والاعتماد على الناس والسلطات، واكتفوا بقوة ومؤازرة الروح القدس في إيمان شديد، وكانت لهم به صحبة ودراية ومحبة.

كذلك ليعلم القارئ أن بدء ظهور الآلية العقلية والتكتيك والتخطيط هو نفسه بدء انسحاب الروح القدس من الخدمة.

فإن كانت الخدمة متوعكة، والخدام شبه عاطلين روحياً، والرعية متبدِّدة، والكنيسة في ركود مزعج ومميت؛ فبسبب الاستغناء عن الروح القدس بوسائل أخرى.

الروح القدس بداية ونهاية، وكل بداية لا تبتدئ به تنتهي حتماً خارجاً عنه.

✞ ✞ ✞

رابعاً: الدعاية في المسيحية

١ ــ دعاية الأشخاص:

لقد رذلها المسيح جداً: «لا تُصوِّت قدَّامك بالبوق!» (مت ٦: ٢)

الدعاية بأي شكل من أشكالها لا تدخل ضمن حق المسيح ورزانة الروح القدس، هي مُضافة جملة إلى أفعال الرياء: «كما يفعل المراؤون.» (مت ٦: ٢)

وإن كانت الدعاية لشخص ما، مهما كان هذا الشخص فهي سلب لمجد الله : «لكي يُمجَّدوا من الناس» (مت ٦: ٢). هي رياءة مكشوفة، وهي منتهى ما تبلغه الشخصية المسيحية من الانحدار في مستويات الفهم الروحي.

المسيحية لا تعرف الإعلان عن كرامات الناس: «كيف تقدرون أن تؤمنوا وأنتم تقبلون مجداً بعضكم من بعض.» (يو ٥: ٤٤)

المسيحية لا تعرف كرامة لإنسان ما خارج الصليب، وكرامة الإنسان صليبه إن كان يحمله حسناً.

كرامة المسيح ومجده كانت فضيحة الصليب، فقد قيل عن صلبه هكذا: «لأنه لم يكن قد مُجِّد بعد» (يو ٧: ٣٩)، وألاَ يكفي العبد أن يكون كسيده (مت ١٠: ٢٥)؟؟

الروح القدس يأخذ مما للمسيح ويعطي الذين هم للمسيح! فإن زاغت النفس عن مُرِّ الصليب وهامت وراء حلاوة الكرامة وارتاحت إلى صوت الأبواق: «لكي ينظروكم» (مت ٦:١)، ينحسر عنها الروح القدس إذ لا يجد فيها راحته لأن الروح القدس لا يرتاح إلاَّ في مديح المسيح: «ذاك يُمجِّدني!» (يو ١٦: ١٤)

الروح القدس يقود النفس بحذر حتى يوصِّلها إلى الصليب لتأخذ أجرها من عليه، من أعماق نكران الذات ومن صميم الألم، فتنال قيامتها سرًّا مع المسيح والظلام باقٍ!!

الروح القدس لا يعمل في النفوس علانية ولا على أصوات الأبواق ولا من تحت الألقاب ولا في ضجيج الدعاية للأشخاص.

الروح القدس وديع كالحمامة ومُحرق كلسان النار!
يستقر ويستريح على الرؤوس المنحنية ويحرق ويُبدِّد كبرياء الإنسان.

٢ ــ دعاية الخدمة:

الدعاية الوحيدة للخدمة هي فاعلية الكلمة في القلوب.

الروح القدس هو الذي يمجِّد الخدمة، ويُعلن عنها باستعلانه هو شخصياً في قلب المتكلِّم وفي قلوب السامعين.

فلا الإعلانات ولا البيانات ولا الأرقام تستطيع أن تجعل الخدمة ناجحة أو تؤثِّر في قلوب الناس أو تستدر الروح القدس أو تقنعه أن يعمل ويباشر سلطانه.

الإعداد للخدمة غير الإعلان عنها، فإعداد القلوب لسماع الكلمة هو عمل هام وخطير لنجاح الخدمة، ولا يتم إلاَّ بانسحاق المتكلِّمين وفي هدوء شديد واتضاع.

نجاح الخدمة ليس في شهرة المتكلِّمين وأسمائهم وألقابهم، ولا حتى في عدد الحاضرين أو النادمين.

وإنما نجاح الخدمة يتوقَّف على مدى استعلان الصليب في حياة المتكلِّم ومدى استعلان الصليب للسامع.

فإذا استُعلنت قوة الصليب وصار المسيح ظاهراً في سرِّ آلامه وقيامته، حينئذ ينجذب الجميع بلا إعلان.

ولنذكر ما قاله الرب، لأن فيه كل قوة إلهام الخدمة الناجحة: «وأنا إن ارتفعت عن الأرض (مشيراً إلى الصليب) أجذب إليَّ الجميع.» (يو ١٢: ٣٢)

إذن، فبقدر ما يُستعلن الرب هكذا مرفوعاً على الصليب فسوف ينجذب الجميع!! ولكن الرب لا يُستعلن بالكلام بقدر ما يُستعلن بالروح القدس العامل في حياة القادة والمتكلِّمين.

الإعلانات الحديثة المغموز فيها عن مقدرة المتكلِّمين وشهاداتهم وألقابهم نوع من الاصطياد المزيَّف، وهي شبكة واهية، خيوطها بشرية عقلية كاذبة، وعيونها واسعة لا تحبس إلاَّ الأسماك التافهة، فإذا طَرَحْتَها على الناس لا يلبث أن يُمزِّقها الناس وينفلتون ولا يعودون، ولا تعود شبكتك تصلح للصيد!

الرب صياد ماهر، علَّم صيادي السمك صُنع الشِّباك الروحية: «هَلُمَّ ورائي فأجعلكما صيادي النـــاس» (مـــت ٤: ١٩)، «أتحـــبني؟ اِرعَ غنمي!!» (يو ٢١: ١٥ - ١٧)

شبكة الروح القدس خيوطها مغزولة بالحب، عيونها دقيقة مخفيٌّ فيها سر الصليب، ولا تتسرَّب منها إلاَّ الأسماك الردية!

والصياد الماهر حينما يطرح شبكته الثمينة، يطرحها من فـــوق مـــن السماء بقوة سرِّية بإلهام الروح لا بمقدرة الذراعين والمنطق، هو "يرتفـــع عن الأرض" ليطرحها من فوق الصليب، وحينئذ «يجذب إليه الجميع» بسلطان!

أما «الذي من الأرض هو أرضيٌّ، ومن الأرض يتكلَّم» (يو ٣: ٣١)، والدعاية كلام من الأرض.

✞ ✞ ✞

خامساً: الاحتكارية في المسيحية

الروح القدس صاحب السلطة في الخدمة، وليس لأحد أن يدَّعي لنفسه السلطة المطلقة، لأنه وإن كان الروح يعطي سلطانه للخدَّام والكنيسة، لكنه لا يتنازل عنه ولا يفقده.

الروح القدس لا يُسلِّم منصبه لآخر: «هو يُعلِّمكم كل شيء.» (يو ١٤: ٢٦)

هو يُعطي السلطة لمن يستحقها، ولكنه لا يتخلَّى عنها كأنه غير موجود.

الأرثوذكسية لا تؤمن ولا تحيا بالأوتوقراطية الدينية.

الأرثوذكسية ديموقراطية إلهية = "عمانوئيل" "الله معنا".

كل الدرجات الكهنوتية في الكنيسة تتم بالاختيار الحر، والاختيار نفسه هو تعبيرٌ عن الحرية في الأرثوذكسية، والحرية تعبير عن عمل الروح القدس لأنه «حيث روح الرب هناك حرية.» (٢كو ٣: ١٧)

الأرثوذكسية لا تؤمن بالعصمة الشخصية للرؤساء ولا للقديسين، لأنها تُدرك أن هذا افتئات على الروح القدس الموجود والعامل في الكنيسة بصورة شخصية حيَّة.

إذا انحلّ الكاهن في حياته الشخصية الداخلية يفقد مؤازرة الروح القدس له في حياته الخاصة، ولكنه يبقى عاملاً بسلطانه.

أما إذا تصلَّف الكاهن وادَّعى لنفسه العصمة وتمسَّك برأيه وهو يعلم بأنه على خطأ، فإنه يفقد مؤازرة الروح القدس في حياته الخاصة والعامة. وقصة شاول الملك (١صم ١٣: ٨-١٥) تنطق بذلك.

وليس الكهنوت فقط هو المعرَّض لفقدان مؤازرة الروح القدس، بل كل خادم وكل مؤمن يدَّعي العصمة في تفكيره أو في سيرته أو في كتابته أو في خدمته، يقع دون أن يدري في خطية احتكار وظيفة الروح القدس وينسى أنه في «أشياء كثيرة نعثر جميعنا.» (يع ٣:٢)

والنتيجة هي تخلية الروح القدس عن ذلك الخادم، فتتدهور حياته وينطفئ نوره مهما حاول الظهور باحتفاظه بمركزه.

الروح القدس مسرَّته أن يعمل معنا لأنه يستريح في الخدمة، حيث يشهد للمسيح كما نشهد نحن: «**هو يشهد** لي. **وتشهدون أنتم** أيضاً.» (يو ١٥: ٢٦ و٢٧)

✞ ✞ ✞

سادساً: الاستيلائية في المسيحية

١ ــ عطاء الفرد:

المسيحية أخذ وعطاء، ولكن على المستوى الروحي.

الأخذ يكون من الله، والعطاء للناس: «مَن آمن بي... تجري من بطنه أنهار ماء حي.» (يو ٧: ٣٨)

ولكن لا الأخذ ولا العطاء هما على صعيد الذات. فالآخذ لا يأخذ لنفسه، وأخذه لا يزيده إلاَّ إنكاراً لذاته وتنازُلاً عمَّا له: «لكَن ما كان لي ربحاً فهذا قد حسبته من أجل المسيح خسارة» (في ٣: ٧). فإذا كمل أخذه من الله، كمل إخلاؤه لذاته وصار صالحاً لأن يُعطي الناس ما أخذه عند الله.

والمعطي لا يُعطي ممَّا له إذ ليس لنا ما نعطيه.

لا يمكن أن تكمل المسيحية إلاَّ على أساس الأخذ والعطاء.

الروح القدس هو عطية الله للناس، وكل مواهبنا وإمكانياتنا وكل ثمار المسيحية هي من الروح القدس.

ولكن الله لم يُعطِ الروح القدس لينحبس في بطون الناس: «مَن آمن بي... تجري من بطنه أنهار ماء حي».

الاستيلائية هي أن نأخذ الروح القدس ثم نحبسه في بطوننا، والروح القدس لا ينحبس قط، و«كلمة الله لا تُقيَّد» (٢تي ٢:٩). فهو إما

يتفجَّر في النفس ليخرج مثل أنهار ماء، وإما يجف ينبوعه في النفس فتصير النفس إلى حالة قحط شديد وموات.

اسمع ما يقوله **القديس أغسطينوس** في هذا الأمر:

[إذا ظن إنسان أن ما يشربه هو لنفسه ولراحته، فإنه لن تجري من بطنه أنهار ماء حي؛ أما إذا سعى للعطاء فإنه لن يجف ينبوعه، لأن الفيضان يضمن سلامة الينبوع.](٤٨)

لا يمكن أن يتم الأخذ إلاَّ بالعطش: «إن عطش أحد.» (يو ٧:٣٧)

كذلك لا يمكن العطاء إلاَّ بعد ارتواء: «مَن آمن بي... تجري من بطنه أنهار...».

الارتواء الروحي هو حالة إيمان بلغ إلى درجة الحب، أي حصل على انسكاب الروح القدس في القلب.

وحينما يرتوي الإنسان بحب المسيح وتستقر المحبة في بطنه لا يطيق نفسه. فالمحبة الإلهية يستحيل أن تبقى عاطلة، لابد أن تعمل عملها، وعمل المحبة الأول هو الفدية.

الإنسان إذا امتلأ محبة، لا يهدأ حتى يُكمل الفدية، وفداء المحبة عطاء بلا حدود، عطاء مجنون يكاد فيه الإنسان ويودُّ أن يُذبح من أجل خلاص الناس.

وحينما يدخل الإنسان في درجة عطاء صحيحة من هذا النوع،

---

(48) St August., *Tractate* XXXII.

يدخل في سرِّ الروح القدس ويدخل في نور الصليب.

الذي يخفق أن يفهم ضرورة العطاء في المسيحية ويتوه عن الصلة التي تربط الأخذ بالعطاء، هو في حالة تغرُّب عن حقيقة الروح القدس.

فالروح القدس يكوِّن معنى العطية في المسيحية!
الروح القدس نفسه هو عطية الآب لنا.
الذي يأخذ الروح القدس، يأخذ قوة العطاء.
والذي يحيا بالروح، يحيا في عطاء مستمر.
ولا يستطيع أحد أن يحيا في الروح القدس ولا يُعطي.

٢ ــ عطاء الكنيسة:

ليس الفرد وحده هو المطالَب بقانون الأخذ والعطاء في المسيحية. فكل الجماعة مُطالَبة.

الكرازة قائمة أساساً على قانون الأخذ والعطاء: «مجاناً أخذتم، مجاناً أعطوا.» (مت ١٠: ٨)

العطية لا يقف في سبيلها عائق. والذي يُعطي بشرط، لا يأخذ.

والكنيسة إذا أخذت ولم تُعط، تحكم على نفسها بالانغلاق وينحبس عنها الروح القدس: «ويلٌ لكم أيها الناموسيون، لأنكم أخذتم مفتاح المعرفة. ما دخلتم أنتم، والداخلون منعتموهم.» (لو ١١: ٥٢)

الكرازة ليست أخذاً بل عطاءً. الكنيسة تُعطي نفسها وتبذل كل ما عندها ولا تشترط في بذلها وعطائها إلاَّ أن يأخذ الجميع مجاناً.

الراعي يجري وراء الخروف الضال، ينسى نفسه، ينسى كرامته، ينسى راحته، ينسى رزانته، يجري وراء الخروف الواحد حتى ولو أصابه في ذلك صليب.

إن تقاعَدَ الراعي وطلب راحة نفسه واحتفظ بكرامته، فليس الخروف الضال هو الذي سيضيع، بل والخروف الرابض في الحظيرة تأتي الذئاب لتخطفه: «حتى يُضِلُّوا لو أمكن المختارين أيضاً.» (مت ٢٤:٢٤)

الراعي الذي لا يبذل نفسه، يحكم على نفسه أنه غريب عن الروح القدس. فالروح القدس ليس روح تقاعُد بل روح عطاء وبذل وفدية.

✞ ✞ ✞

سابعاً: الانفصالية في المسيحية

الروح القدس يُجمِّع ويُوحِّد.

إذا لم تخضع النفس للروح القدس، يستحيل أن تنجمع أو تتحد بنفسٍ أخرى.

ليس في المسيحية انفصالية أو فردية. الكنيسة جماعة، والجماعة وحدة جسد وروح. الكنيسة كلها عروس واحدة.

الإنسان في الروح القدس يتنازل عن فرديته وينجمع بالآخرين بفعل المحبة، والمحبة تنسكب دائماً من الروح القُدس في القلب المفتوح للآخرين!

إذا انغلق قلب إنسان في وجه إنسان ما، انقطع عنه تيار الحب الآتي من الروح القدس وتوقَّف عنه عطف الله.

وكلما باشرنا فعل المحبة، اتسع قلبنا بالأكثر واكتسبنا عطف الله. المحبة انفتاح، وهي قوة تجميع؛ والفردية الانفصالية عداوة وتنافُر.

التحزُّب روح فردية في صورة جماعية، وهو انفصالية على مستوى متسع!

ليس في المسيحية فردية شخصية ولا انفصالية جماعية. فالمسيحية عدوَّة التحزُّب لأنها حب، والحب انفتاح للجميع.

والكنيسة تسعى للملء، والملء لا يتم إلاَّ بالانفتاح الكلِّي.

انفتاح الفرد بالحب للآخرين شهادة على بلوغه كمـــال المـــسيحية، وانفتاحه بالحب للأعداء شهادة على بلوغه ملء قامة المسيح.

الله أخلى ذاته ليتحد بجسم بشريتنا، وإخلاء الله لذاته كان قـــوةً و لم يكن ضعفاً، وكان فعلاً إلهياً!

فالإخلاء برهان المقدرة في صورتها المتضعة، وتكميله هو فاعلية المحبة، وغايته هو الاتحاد بالأضعف، ووسيلته تنازُل الأعلى لقبول الأدنى!!

إن لم يُباشر الإنسان فعل الإخلاء، يستحيل عليه أن يتحد بآخر.
وإذا لم تباشر الكنيسة فعل الإخلاء، فلن تبلغ إلى الملء.

الإخلاء يبدأ كأنه ذلّة، كأنه استجداء، كأنه عبودية، كأنه ضـــياع؛ ولكنه ينتهي حتماً بالمجد ويبلغ إلى الملء.

ليس في الإخلاء فقدان ما على الإطلاق. فالمعطائية ليست فقداناً على أي وجه، فالذي يُعطي يزداد، ومغبوطٌ هو العطاء لأنه فِعْل الله.

يستحيل أن يتقابل إنسانان في الروح القدس على سبيل الاتحـــاد، إلاّ إذا كان فيهما واحد على الأقل قد أخلى نفسه!

يستحيل أن تتقابل كنيستان لتتحدا على قياس الجسد الواحد، إلاّ إذا كانت واحدة فيهما قد بلغت درجة الإخلاء.

والإخلاء بالنهاية هو حالة ملء بالروح القدس.

✞ ✞ ✞

ثامناً: الانغلاقية التصوفية

التصوفية غير المسيحية محورها فناء الإنسان في الله.
أما التصوفية المسيحية فهي تحقيق وجود الإنسان في الله!

الإنسان الصوفي غير المسيحي يسعى ليتحد بالله وذلك بطريقين:
الأول: بأن يجعل نفسه طريقاً يصعد بها، بالتقشف الشديد والإماتة، ليبلغ بها حدَّ الألوهة.

الثاني: بأن يخرج عن نفسه ليهيم في عشق مُبهم نحو الله الواحد البعيد غير المدرَك.

وكِلاَ الحالتين تيه. فالإنسان والله يستحيل أن يتحدا بغير وسيط.

وكِلاَ الحالتين إنكار شديد لمعنى الإنسانية، إذ تُعتَبَر الإنسانية في نظر هذين المنهجين غير المسيحيين كأنها لا تستحق الوجود كما هي، ويلزم أن تتلاشى في الله.

وبالتالي، فهذان المنهجان هما تصوفية تشاؤمية ليس فيها فرح تحقيق الوجود الإنساني.

فالإنسان موجودٌ إلهي. كلما حقَّق وجوده في الله، كلما اكتمل فرحه.

غير أن هذين المنهجين لا يخلوان من فرحة كاذبة هي فرحة التغلُّب على الذات، وهذا في الواقع نوعٌ من تأليه "الأنا".

فالتقشف والنسك الشديد إذا لم يصحبهما فرحة تحقيق وجود الإنسان في الله بالاتحاد الحقيقي، فإنهما يصيران منهجاً لتقديس "الأنا" والوصول إلى درجة الاعتداد والألوهة، وهذه الحالة تُنشئ حالة فرح كاذب وغبطة خادعة.

ولماذا نحن نُقدِّم هذه المقدمة الخاصة بالتصوف غير المسيحي؟
ذلك لأننا نودُّ أن نقول كلمة صريحة ومُرَّة، وهي أن الحياة التصوفية المسيحية في بعض العصور دخلتها عناصر غريبة تستمد جذورها من التصوفات الأخرى، التي تُعطِّل النمو والامتلاء من الروح القدس، وتمنع حالة الوصول.

أما التصوفية المسيحية، فهي ليست سعياً بالنفس ولا سعياً خارج النفس لبلوغ الاتحاد بالله.

وطريقها ليس قائماً أساساً على التقشف الذاتي ولا الإماتة، وإن كانت لا تخلو من هذه المناهج على الطريق.

الطريق التصوفي في المسيحية لا يقوم على الذات أصلاً. فالاتحاد بالله يتم بوسيط هو الرب يسوع.

الرب يسوع وحده هو موحِّد الإنسانية بالألوهية في شخصه، فهو الوسيط الوحيد بين الله والناس (١تي ٢:٥).
والاتحاد السرِّي في المسيح هو الذي يجعلنا في الله متحدين.

الاتحاد بالرب يسوع قائمٌ على أساس موت البشرية العتيقة فينا. وهنا فقط يدخل المنهج التصوفي كطريق مُكمِّل لعمل إماتة الإنسان العتيق فقط.

ولكن يخطئ أشد الخطأ مَن يفهم أن التصوفية المسيحية هي إماتة الإنسانية في معناها الكلّي. فهذه هي الانغلاقية المميتة التي تُقعد بالمتصوف عن أن يبلغ الاتحاد الواقعي بالله في شخص يسوع المسيح.

إذن، فالتصوفية المسيحية لا تلغي قيمة الإنسانية حتى في وضعها الجسدي، ولا تسعى لملاشاة الغرائز والانفعالات الإنسانية الطبيعية؛ بل تكتفي **بتجديدها**، وتقف عند حدود استخدامها استخداماً سوياً لمجد الله وخير الإنسان. هي تُلاشي صورتها العتيقة الفاسدة وتُكسبها وضعها الأصيل غير الفاسد استعداداً للقيامة العتيدة.

التصوفية المسيحية منهج خلاصي أصيل يبلغ بالإنسان إلى حالة تُهيِّئه للاتحاد بالله.

غاية الطريق التصوفي في المسيحية، هي بلوغ حالة التجديد البشري وتحقيقه للإنسان تحقيقاً واقعياً ملموساً، حيث يبلغ المتصوف غايته السعيدة بالاتحاد بالله على الطريق.

التصوفية المسيحية منهج اتحادي بالله على الطريق. والطريق التصوفي يبدأ مباشرة ومن أول خطوة بانفتاح القلب والوجدان والذهن لعمل الروح القدس، سعياً للاتحاد بالله في بساطة الإيمان بالرب يسوع.

والفرق بين طريق التصوف في المسيحية وفي غير المسيحية، هو أن في المسيحية يتحقق الوصول على الطريق، وفي غير المسيحية ينتهي الطريق ولا يتحقق شيء من الوصول.

والسبب واضحٌ، هو أن الطريق عندنا هو المسيح: «أنا هو الطريق...» (يو ١٤: ٦)

التصوفية المسيحية انفتاحٌ للروح القدس، ودخولٌ مباشر لحالة ما فوق المادة وما فوق العالم وما فوق الذات بواسطة ومؤازرة الروح القدس!

الروح القدس هو الأقنوم الإلهي المُرسَل لنا ليُهيئ للإنسان الانتقال من حالة اتصال شديد بالعالم إلى حالة اتصال حقيقي بالله. وهذا هو جوهر التصوف.

وبغير الروح القدس **يستحيل** أن يتم هذا الانتقال، لأنه انتقال من مادة إلى روح.

التصوفية المسيحية حياة نسكية من الدرجة الأولى، لأن النسك والتقشف فيها هو انفعالية روحية صادقة وليس افتعالاً.

النسك آية عمل الروح القدس فينا وليس آية همتنا وجسارتنا وبأسنا. هو فعالية حب وليس تعذيب جسد.
فالله لا يسرُّ بتعذيب الناس، ولكنه يطلب عمل المحبة.

لذلك كان الاعتماد على الذات أو المناهج النسكية وحدها في حياة التصوف ينتهي بانغلاق الطريق التصوفي الموصل إلى الاتحاد بالله، ويُقعِد الإنسان في كآبة لا يُشرق عليها فرحة اللُّقيا بوجه الله.

✝ ✝ ✝

تاسعاً: اللاهوتية العقلية في المسيحية

الله ليس نظرية جدلية يمكن أن نطرقها على مراحل أو نقترب إليها عقلياً من ناحية دون ناحية. هذه هي خطية الأبحاث العقلية في اللاهوت.

الله حقيقة شخصية بسيطة كلّية، إذا اقتربنا إليه اقتراباً صحيحاً فإننا نستوعبه وجدانياً وعقلياً مرة واحدة، ونحسه إحساساً حيًّا، وننفعل به انفعالاً كاملاً لا يقبل الشك ولا يحتاج إلى برهان.

يوحنا الرسول يُحقّق لنا هذا تحقيقاً واقعياً ملموساً بقوله: «الحياة أُظْهِرَت، وقد رأينا ونشهد ونُخبركم...» (١يو ١:٢)، وإنجيل يوحنا الرسول يشهد قائلاً: «رأينا مجده.» (يو ١:١٤)

والرب نفسه عيَّن وسيلة الرؤيا والمقابلة معه شخصياً: «إن آمنتِ ترين مجد الله.» (يو ١١:٤٠)

والرب يسوع لم يتراءى بعد قيامته إلاَّ للذين آمنوا به: «وأَعطى أن يصير ظاهراً، ليس لجميع الشعب، بل لشهود سبق الله فانتخبهم.» (أع ١٠:٤٠و٤١)

وهو بذلك يكشف عن استعلانه أنه ليس على أساس الاجتهاد العقلي، ولكن عن طريق الإيمان البسيط.

الروح القدس يحلُّ في قلب الإنسان إذا آمن، وذلك ليقوده إلى المقابلة والرؤيا، ثم الاتحاد.

إذا أعوزنا الروح القدس، فجهادنا العقلي يكون كالهباء الذي تذريه الريح، ولن تتم المقابلة، ولن نبلغ الرؤيا، ولن نصل إلى حالة اتحاد مهما درسنا وبحثنا.

+ «**لا تطرحني** من قدام وجهك، وروحك القدوس **لا تنزعه** مني.» (مز ٥١: ١١)

إذا انتُزع منا الروح القدس، طُرحنا من أمام وجه الله لا محالة. وإذا أخذنا الروح القدس وبلغنا الملء، دخلنا الحضرة الإلهية وتراءينا أمام وجه الله لا محالة.

اللاهوتية العقلية الخالية من منهج النسك والعبادة والتأمل هي بعينها الوثنية الحديثة.

لقد اختفى شيطان الأوثان وانخذل أمام فاعلية إيمان المسيحية الأولى التي كانت ببرهان الروح تحيا وتعمل؛ ولكن الشيطان لم ينته بعد، لقد عدَّل منهجه تجاه المسيحية، ونظَّم صفوفه وظهر مرة أخرى في هيئة أوثان عقلية، لها شكل المسيحية وصورتها، وتُرى عقلياً كملاك نور!!

اللاهوت العقلي يبحث باجتهاد شديد عن إله يتناسب مع العقل والمنطق. ولكن ليس بين عقل الإنسان والله نسبة على الإطلاق، ومنطق البشرية بعيدٌ عن منطق الله.

اللاهوت العقلي الذي يشغل أذهان غير الروحيين يحاول أن يُشكِّل مسيحاً جديداً. فهو يضيف على المسيح ما ليس له، ويحذف من المسيح ما له، حتى يصنع مسيحاً مناسباً مع فكر الإنسان.

وفكر الإنسان ليس واحداً في كل مكان. فعند اليونان فكر، وعند الرومان فكر، وعند القبط فكر، وعند الغرب فكر؛ وهيهات إنْ اتحدت الأفكار.

الروح القدس هو الذي يوحِّد الأفكار. فلا سبيل إلى تقابُل الناس جميعاً في المسيح الواحد الحقيقي إلاَّ إذا تقابل الناس بالروح أولاً على صعيد المحبة.

اللاهوت العقلي نَحَتَ للمسيح تماثيل كثيرة. وكل لاهوتي عقلي يسجد لتمثاله، ويجحد تمثال غيره.

اللاهوتيون العقليون قسموا المسيح الواحد ومزَّقوا الكنيسة.

الروح القدس أملنا الوحيد لتجميع القلوب في شخص يسوع.

الروح القدس والإفخارستيا

في فكر القديس كيرلس الكبير

وسيلتان إلهيَّتان لتوثيق علاقتنا الكيانية بالمسيح

أعد هذه المقالة وترجم نصوصها من الفرنسية واليونانية أحد الآباء بالدير وراجعها الأب متى المسكين.
عام ١٩٧٧م

المحتويات

صفحة

وسيلتان إلهيَّتان ٥٣٨
الإفخارستيا والروح القدس في الكتاب المقدَّس ٥٤٢
علاقة الإفخارستيا بقبول الروح القدس ٥٤٤
أولاً: الروح القدس: ٥٤٧
١ – روح الشركة ٥٤٧
٢ – الروح القدس يغيِّر شكلنا إلى شكل المسيح ٥٥٠
٣ – الروح القدس يعطينا حلولاً سريًّا للمسيح داخل نفوسنا ٥٥٣
٤ – علاقتنا بالمسيح بواسطة الروح القدس
تُدخلنا في علاقة مع الله الآب أيضاً ٥٥٥
ثانياً: الإفخارستيا: ٥٥٩
١ – الإفخارستيا وسيلة للاتحاد الكياني بالمسيح ٥٥٩
٢ – نتائج الاتحاد الكياني بالمسيح في الإفخارستيا ٥٦٢

الروح القدس والإفخارستيا

وسيلتان إلهيَّتان لتوثيق علاقتنا الكيانية بالمسيح

☙ ✝ ❧

وسيلتان إلهيَّتان:

كثيراً ما يقرن القديس كيرلس في كتاباته بين الروح القدس والإفخارستيا كوسيلتين إلهيَّتين لحلول المسيح فينا، ولتقديس نفوسنا، وتغيير شكلنا إلى شكله الإلهي:

فالروح القدس هو أساساً **روح المسيح**: «أرسل الله **روح ابنه** إلى قلوبكم» (غل ٤: ٦). لذلك فالمسيح يحل فينا **روحيًّا** بحلول روحه فينا: «تتأيَّدوا بالقوَّة بروحه ... ليحل المسيح بالإيمان في قلوبكم.» (أف ٣: ١٦،١٧)

وأما "الأولوجية المحيية"[١] فهي جسد المسيح ودمه الأقدسان. لذلك فبقبول هذا السر يحل المسيح فينا **جسديًّا** وليس فقط روحيًّا، كما يُعلِّم بذلك القديس كيرلس الكبير:

[يحل الابن فينا جسديًّا كإنسان، إذ يمتزج ويتحد بنا في سر الأولوجية. كما يحل فينا أيضاً روحيًّا كإله بإعطائنا روحه الخاص.][٢]

---

(١) أشرنا في مقال سابق إلى أن لفظ "الأولوجية" كان هو الاسم الشائع لسر الإفخارستيا في القرن الخامس في مدينة الإسكندرية (انظر: مجلة مرقس عدد يناير ١٩٧٧م صفحة ٤١ هامش ٨٣).

(٢) تفسير يوحنا ١٧: ٢٢، ٢٣ PG 74, 564 C

[لقد تغيَّرنا إلى شكل المسيح روحيًّا، وأيضاً جسديًّا، لأن المسيح يحل فينا أيضاً بروحه القدوس، وبسر الأولوجية.](٣)

[لقد نلنا نصيباً في القرابة معه بواسطة الإيمان. فقد صرنا **شركاء معه في الجسد** σύσσωμοι **بواسطة سر الأولوجية**. وأيضاً اتحدنا به من جهة أخرى إذ صرنا **شركاء طبيعته الإلهية بواسطة الروح.**](٤)

وهذه القرابة المزدوجة مع المسيح على مستوى الجسد والروح كليهما، القائمة على الإفخارستيا والروح القدس معاً(٥) تمتد منه إلى أن توصِّلنا إلى ملء الاتحاد مع الله الآب عينه:

[فقد صرنا إذن مكمَّلين في وحدتنا؛ مع الله الآب بالمسيح الوسيط. لأننا قبلنا في نفوسنا **جسديًّا وروحيًّا** (بسر الأولوجية والروح القدس) ذاك الذي هو ابن بالطبيعة وبالحق، الذي له الوحدة الجوهرية مع الآب، وصرنا شركاء في طبيعته الفائقة لكل شيء، وبذلك تمجَّدنا.](٦)

والسبب في وجود وسيلتين لاتحادنا بالله، يرجع إلى أن الإنسان مكوَّن من جسد ومن روح. فكان لابد من وجود هاتين الوسيلتين، حتى يتقدَّس في جسده وروحه كليهما، ويتحد بالله:

---

(٣) تفسير رومية ٨: ٣ PG 74, 820 B

(٤) حلافير على التكوين ١ PG 68, 29 BC

(٥) تفسير ميخا ٢: ٥ PG 71, 668 B، تفسير يوحنا ١٥: ١ PG 74, 344 C، تفسير يوحنا ١٧: ٢٢ و٢٣ PG 74, 564, 565

(٦) تفسير يوحنا ١٧: ٢٢ و٢٣ PG 74, 564, D-565 A

[... لكي نتقدَّس **جسديًّا وروحيًّا معاً** ...][٧]

[لقد تقدَّسنا **من وجهين** ... διττῶς.][٨]

[كان ينبغي، نعم كان ينبغي ليس فقط أن النفس تتجدَّد في جدَّة الحياة بالروح القدس، بل أن هذا الجسد أيضاً الكثيف الأرضي يتقدَّس بتناول جسدي مناسب لطبيعته حتى ينال هو أيضاً عدم الفساد.][٩]

فهدف تجسُّد المسيح هو أن يعيد لنا الخلود وعدم الفساد والحياة الأبدية، والمخلِّص يحقِّق ذلك فينا عمليًّا بهاتين الوسيلتين: الإفخارستيا والروح القدس:

[لقد خلق الله كل شيء للخلود.

ولكن الموت دخل إلى العالم بحسد إبليس.

فقد دفع المجرِّب الإنسان الأول للخطية والعصيان، وأوقعه تحت لعنة الله. فكيف يمكن للإنسان الذي صار تحت سلطان الموت أن يستعيد الخلود؟

كان لابد أن يدخل جسده الميت في شركة قوَّة الله المحيية.

أما قوَّة الله المحيية فهي اللوغُس.

لذلك فقد صار اللوغُس إنساناً، واتحد بجسد قابل للموت،

---

(٧) تفسير متى ٢٦: ٢٧ PG 72, 452 C

(٨) تفسير ١كو ٦: ١٥ PG 74, 869 C

(٩) تفسير يو ٦: ٥٣،٥٤ PG 73, 580 AB

وأعطاه مناعة ضد الفساد، وجعله جسداً محيياً.

لكن كان ينبغي أن يحل فينا، روحيًّا، بواسطة الروح القدس.

كما يمتزج أيضاً بطريقة ما بأجسادنا، بواسطة جسده المقدَّس ودمه الكريم.](١٠)

فبواسطة الروح القدس والجسد المقدَّس، يحل المسيح في أرواحنا وأجسادنا معاً، ويحييها من جديد بحياته الإلهية. فالروح القدس هو أساساً «**روح الحياة**» (رو ٨: ٢ و٩ و١٠ و١١)، كما أن الجسد المقدَّس هو «**خبز الحياة** ... النازل من السماء الواهب **حياة** للعالم» (يو ٦: ٣٥ و٣٣). لذلك فبواسطتهما يحيينا المسيح من جديد بحياته الإلهية:

[إنه يحيينا كإله، وذلك ليس فقط بإعطائنا شركة روحه القدوس، بل وأيضاً بأن يقدِّم لنا جسده الخاص، الذي أخذه منا، مأكلاً لنا.](١١)

ومعروف أن خطة الخلاص، التي تبدأ بغفران الخطايا واستعادة الخلود وعدم الفساد والحياة الأبدية، إنما تنتهي باتحاد الجميع في الله «بأن يجمع كل شيء تحت رأس واحد في المسيح» (أف ١: ١٠). وهنا أيضاً نجد أن الروح القدس والإفخارستيا لهما الدور الأساسي في تحقيق هذه

---

(١٠) تفسير لوقا ٢٢: ٩ PG 72, 905 C, 912 A، انظر: العبادة بالروح والحق: ٩ PG 68, 612 C، تفسير متى ٢٦: ٢٦ PG72, 452 B، تفسير يوحنا ٦: ٣٥ PG 73, 517 D، في تجسُّد الوحيد PG 75, 1242 D، ضد نسطور ٤ PG 76, 201 A، الدفاع عن الحرم الحادي عشر PG 76, 375A.

(١١) في تجسُّد الوحيد PG 75, 1241 D.

الوحدة الشاملة في المسيح:

[على الرغم من كوننا منقسمين بحسب طبعنا نحن إلى شخصيات متميِّزة بعضها عن بعض، بحيث أن أحدنا يكون بطرس والآخر يوحنا أو توما أو متى، لكننا جميعاً **صرنا جسداً واحداً في المسيح، لأننا نأكل جسداً واحداً، وقد خُتمنا للوحدة بالروح الواحد. ولذلك طلب من أبيه السماوي قائلاً: «ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد»** (يو ١٧:٢٢). **فانظر إذن كيف أننا جميعاً في المسيح وفي الروح القدس قد صرنا واحداً بالجسد والروح.**][١٢]

[**فكما أن نعمة الجسد المقدَّس تجعل الذين يتناولون منه شركاء في جسد واحد بعضهم مع البعض، فأنا أرى أنه بنفس الطريقة الروح الواحد، الذي يحل في الجميع، يقود الجميع إلى الوحدة الروحية.**][١٣]

[وهكذا نحن جميعاً واحد في الآب والابن والروح القدس. فنحن واحد بأسلوب حياتنا الواحد، بنمط تقوانا الموحَّد، **بشركة جسد المسيح المقدَّس وبشركة الروح القدس الوحيد.**][١٤]

الإفخارستيا والروح القدس في الكتاب المقدَّس:

كثيراً ما يؤكِّد القديس كيرلس أنه استقى تعليمه عن اقتران هاتين

---

(١٢) في الثالوث ١ PG 75, 697 B

(١٣) تفسير يوحنا ١٧: ٢٠ و٢١ PG 74, 561

(١٤) شرحه PG 74, 557, 561

الوسيلتين الإلهيتين من الكتاب المقدَّس نفسه. ففي كتاباته التفسيرية كثيراً ما يستخلص من رموز العهد القديم إشارات إلى اقتران هاتين الوسيلتين، اللتين بهما تنسكب النعمة الإلهية في قلوبنا، أعني الإفخارستيا والروح القدس:

(أ) فهو يرى مثلاً في تفسيره لآية يوئيل النبي (٢: ١٨،١٩): «فيغار الرب لأرضه ويرق لشعبه، ويجيب الرب ويقول لشعبه: هأنذا مُرسِل لكم **قمحاً ومسطاراً وزيتاً** ...». إن القمح والمسطار (الخمر) يشيران إلى الإفخارستيا بينما يشير الزيت إلى مسحة الروح القدس المعطاة في المعمودية المقدَّسة(١٥).

(ب) كذلك في تفسيره لآية إشعياء النبي (٢٥: ٦): «ويصنع رب الجنود لجميع الشعوب في هذا الجبل أنهم يشربون فرحاً، يشربون خمراً، يمسحون بالطيب (حرفيّاً بالميرون μύρῳ) على هذا الجبل» (حسب الترجمة السبعينية). يرى القديس كيرلس أن الشرب من الخمر يُشير إلى سر الإفخارستيا، أي إلى الذبيحة غير الدموية المرفوعة في الكنائس المقدَّسة، بينما مسحة الطيب (حرفيّاً: الميرون) تُشير بوضوح إلى مسحة الروح القدس بحسب المكتوب: «وأما أنتم فلكم مسحة من القدوس.» (١يو ٢: ٢٠ و٢٧)(١٦)

(ج) وأيضاً في تفسيره لإشعياء بخصوص الآية (٥٥: ١ و٢): «أيها

---

(١٥) تفسير يوئيل ٢ PG 71, 373 A

(١٦) تفسير إشعياء ٢٥: ٦ و٧ PG 70, 561 C

العطاش هلموا إلى المياه والذين ليس لهم فضَّة تعالوا واشتروا وكُلوا بلا فضة وبلا ثمن خمراً وشحماً.» (بحسب الترجمة السبعينية)

يرى القديس كيرلس أن في هذه النبوَّة إشارة إلى أن الذين يشربون من الماء الحي، أي يمتلئون من الروح القدس، يتأهَّلون بذلك للتناول من الخمر ومن الشحم، أي من الجسد المقدَّس ومن الدم اللذين للمسيح(١٧).

(د) وفي تفسيره لإنجيل يوحنا، بخصوص طعنة الحربة وخروج الدم والماء من جنب المسيح، يرى أن الدم يُشير إلى الإفخارستيا والماء يُشير إلى المعمودية المقدَّسة التي بها ننال الروح القدس(١٨).

علاقة الإفخارستيا بقبول الروح القدس:

ينبغي الآن أن نتساءل: هل هاتان الوسيلتان تسيران في خطين متوازيين، وكل منهما مستقلة تماماً عن الأخرى، أم أن هناك علاقة بينهما؟ نحن نعلم أن وظيفة الروح القدس الأساسية فينا هي أن يشهد للمسيح ويوصلنا للمسيح. لذلك فامتلاؤنا من الروح يدفعنا بالضرورة إلى التقرُّب من المسيح والاتحاد به بواسطة أسراره المقدَّسة، والقديس كيرلس يؤكِّد أن قبول الروح القدس يمهِّد للتناول من جسد الرب ودمه.

ففي تفسيره لقول الرب للمجدلية: «**لا تلمسيني**» (يو ٢٠: ١٧)(١٩) (أي لا تمسكيني) ... يقول القديس كيرلس إن السبب في هذا النهي هو

---

(١٧) تفسير إشعياء ٥٥: ١ و٢ PG 70, 1220 B

(١٨) تفسير يوحنا ١٩: ٣٢ - ٣٧ PG 74, 677 AB

(١٩) تفسير يوحنا ٢٠: ١٧ PG 74, 696 D

أنها لم تقبل بعد الروح القدس، فلم يكن المسيح قد نفخ بعد الروح القدس في وجوه تلاميذه. ولكن بعد أن أعطاهم الروح لم يمنعهم من لمس جسده، بل على العكس قال لهم: «جسوني وانظروا ...» (لو ٢٤: ٣٩)، ودعا توما إلى وضع إصبعه في مكان المسامير. ويستنتج القديس كيرلس من ذلك أن قبول الروح القدس هو المؤهِّل الأساسي لمسك جسد الرب في الإفخارستيا، ولذلك فلا يُسمح للموعوظين بأن يتناولوا، قبل أن ينالوا الروح القدس في المعمودية، لأن الروح القدس هو الذي يجعل المسيح يحل فينا.(٢٠)

وجدير بالملاحظة أن قبول الروح القدس مرتبط عند القديس كيرلس بسر المعمودية. فالمعمودية هي التي تجعل الروح يحل فينا:

[إننا قد اغتنينا بروحه بواسطة المعمودية المقدَّسة.](٢١)

[الذين لم يعتمدوا بعد لا يحل فيهم الروح القدس.](٢٢)

لذلك فالموعوظون الذين لم يعتمدوا بعد و لم يقبلوا بالتالي الروح القدس، لا يُسمح لهم بأن "يمسكوا" جسد الرب في سر الأولوجية.

[ولكن متى ظهروا بالفعل كشركاء في الروح القدس، حينئذ لا يمنعهم شيء عن أن يمسكوا بالمسيح مخلّصنا ... فشركة الأقداس للذين تقدَّسوا في الروح.](٢٣)

---

(٢٠) تفسير يوحنا ١٤: ١١ PG 74, 224 B

(٢١) تفسير رومية ١: ٣ PG 74, 773 B

(٢٢) تفسير يوحنا ٢٠: ١٧ PG 74, 696 D

(٢٣) شرحه

وهذه العبارة الأخيرة "شركة الأقداس للذين تقدَّسوا في الروح"، تكشف لنا ماذا كانت تعنيه الكنيسة الأُولى من قول الكاهن قبل التناول: "القدسات للقديسين": فتقديس نفوسنا بالروح هو المؤهِّل الأساسي للتناول من جسد الرب ودمه الأقدسين، غير أن عمل الروح القدس فينا منبعه الأول هو سر المعمودية. لذلك كثيراً ما يربط القديس كيرلس الإفخارستيا بسر المعمودية:

[بعد أن زَيَّننَا الرب بنعمة التبني (بإعطائنا روح التبني في المعمودية)، دفع نفسه لنا زاداً صالحاً (في الإفخارستيا).][٢٤]

[إننا نقدِّم المؤمنين إلى المعمودية المقدَّسة، ثم **نكمِّلهم** بدم العهد الأبدي.][٢٥]

ومن هذا القول الأخير، يظهر أن الإفخارستيا "**تكمِّل**" عمل الروح القدس في المعمودية، ذلك أن الروح القدس في المعمودية يُدخل الإنسان في شركة روحية مع المسيح، تصل إلى درجة لِبْس المسيح روحيًّا «لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح» (غل ٣: ٢٧). ثم تأتي الإفخارستيا و"تكمِّل" هذه الشركة، بالاتحاد الفعلي بجسد الرب ودمه.

والآن لنعرض بتفصيل أكثر كلاًّ من هاتين الوسيلتين الإلهيتين لاتحادنا بالرب:

---

(٢٤) العبادة بالروح والحق ٧ PG 68, 501 A

(٢٥) جلافير على اللاويين PG 69, 576 D

أولاً: الروح القدس

١ - روح الشركة:

إن الروح القدس هو أساساً روح الشركة. هذا واضح في الكتاب المقدَّس:

+ «وشركة الروح القدس مع جميعكم.» (٢كو ١٣: ١٤)
+ «إن كانت شركة ما في الروح.» (في ٢: ١)

لذلك يعتبره القديس كيرلس أقنوم الشركة، الذي بدونه لا يمكن أن تكون لنا أية شركة مع الله. وهذه الحقيقة يكرِّرها القديس كيرلس بعبارات متشابهة في معظم كتاباته. ففي حواره عن الثالوث يقول:

[لا يمكن أن تكون لنا شركة مع الله إلا بالروح القدس.](٢٦)

وفي تفسيره لإنجيل يوحنا:

[لا يمكن أن تكون لنا شركة مع الله إلاَّ بالروح القدس الذي يسكب فينا قداسة طبيعته الخاصة.](٢٧)

[لو بقينا بدون شركة الروح القدس لما استطعنا إطلاقاً أن نعرف أن الله فينا.](٢٨)

---

(٢٦) في الثالوث ٧ PG 75, 1092

(٢٧) تفسير يوحنا ١٧: ٢٠ و٢١ PG 74, 553, 554

(٢٨) تفسير يوحنا ١٧: ١٨ و١٩ PG 74, 545 A

[فالذي يوحِّدنا بالمسيح مخلِّصنا، إنما هو روحه القدوس.][٢٩]

[الذي يربطنا ويوحدنا اتحاداً وثيقاً بالله إنما هو الروح.][٣٠]

[لا تتحقَّق عودتنا إلى الله، وهي التي تتم عن طريق المسيح مخلِّصنا، إلا بشركة الروح.][٣١]

فالروح القدس هو الذي يقيم الشركة بيننا وبين المسيح:

[لقد صرنا شركاء المسيح بواسطة الروح القدس.][٣٢]

لقد صرنا له [أقرباء وإخوة بقبول الروح القدس.][٣٣]

ونلنا معه [قرابة بواسطة الروح القدس.][٣٤]

وحيث أن لاهوت المسيح لا يمكن أن ينفصل قط عن ناسوته، لذلك فشركتنا مع المسيح تعني بالضرورة مشاركتنا في طبيعته الإلهية:

[فكان ينبغي أن نصير في كل شيء **شركاء لطبيعة اللوغُس** ... ولكن لم يكن ممكناً أن يتحقَّق ذلك بوسيلة أخرى، إلا بالمشاركة في **الروح** القدس، ونوال نصيبنا منه.][٣٥]

[فالروح هو الذي يوحِّدنا ويؤالفنا مع الله. **فبقبول الروح القدس**

---

(٢٩) تفسير يوحنا ١٥: ١ PG 74, 333 A

(٣٠) تفسير يوحنا ١٧: ١٨، ١٩ PG 74, 544D, 545A

(٣١) شرحه.

(٣٢) تفسير يوحنا ١: ١٢ PG 73, 153 A، انظر أيضاً في الثالوث ٧ PG 75, 1097 C

(٣٣) العبادة بالروح والحق ٧ PG 68, 504 B، وأيضاً تفسير مز ٤٤: ٨ PG 69, 1040 C.

(٣٤) تفسير إشعياء ٨: ١٨ PG 70, 237 D

(٣٥) تفسير يوحنا ١٦: ٦ و٧ PG 74, 433 B

نحن نصير شركاء الطبيعة الإلهية.][٣٦]

[فالكلمة الذي من الله الآب يرفعنا إلى هذه الامتيازات، **إذ يجعلنا شركاء طبيعته الإلهية بواسطة الروح القدس.** وبذلك صار له الآن إخوة مشابهون له، ولابسون **صورة طبيعته الإلهية، من جهة تقديس نفوسهم.** لأن المسيح يتصوَّر فينا هكذا، **إذ يغيِّرنا الروح القدس تغييراً جذريًّا من صفاتنا البشرية إلى صفاته هو** ... فمع أن الابن لا يحوِّل أحداً قط من المخلوقين، إلى طبيعة لاهوته الخاص، لأن هذا مستحيل؛ إلا أنه يؤلِّف، بنوعٍ ما، **بين ما يخصه إلهيًّا من جهة طبيعته وبين الذين صاروا شركاءه بمشاركة الروح القدس، فإن صورته الروحية وبهاء لاهوته غير المفحوص يضيئان في نفوس القديسين.**][٣٧]

وبهذا القول الأخير، يوضِّح لنا القديس كيرلس المقصود من "شركة الطبيعة الإلهية". فليس معناها أن نتحوَّل نحن إلى طبيعة الله "لأن هذا مستحيل"، **بل أن تتغيَّر صفاتنا "تغييراً جذرياً" إلى صفات المسيح بفعل الروح القدس، وهكذا تنطبع فينا "صورته الروحية وبهاء لاهوته غير المفحوص".**

وهذا ينقلنا إلى بحث أقوال القديس كيرلس الخاصة بتغيير شكلنا إلى شكل المسيح بفعل الروح القدس.

---

(٣٦) تفسير يوحنا ١٧: ١٨ و١٩ PG 74, 545

(٣٧) ضد نسطور ٢:٣ PG 76, 129 A-B

٢ – الروح القدس يغيِّر شكلنا إلى شكل المسيح:

إن عمل الروح القدس الأساسي فينا هو أن ينقل إلينا كل ما في المسيح، وذلك بحسب قول الرب نفسه: «ذاك يمجِّدني لأنه **يأخذ** مما لي ويخبركم» (يو١٦: ١٤)، يأخذ كل صفات المسيح وينقلها إلينا، يأخذ صورة المسيح ويطبعها فينا. فالقديس بولس ينسب تغيير شكلنا إلى شكل المسيح، أساساً، إلى عمل الروح القدس فينا «نتغيَّر إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد **كما من الرب الروح**.» (٢كو ٣: ١٨)

والقديس كيرلس يمتد بهذه الفكرة، ويعمِّمها على جميع الآيات الأخرى الخاصة بتغيير شكلنا إلى شكل المسيح. فهو يعتبر دائماً أن الروح القدس هو العامل الأساسي في هذا التغيير.

– فمثلاً بخصوص الآية (رو ٨: ٢٩): «الذين سبق فعرفهم سبق فعيَّنهم ليكونوا مشابهين صورة ابنه» يقول:

[**حيث أن روح الابن الوحيد هو صورة كاملة لجوهر الابن الوحيد، وأن بولس يقول: «الذين سبق فعرفهم سبق فعيَّنهم ليكونوا مشابهين صورة ابنه»، فالذين يحل فيهم الروح يجعلهم مشابهين للابن الذي هو صورة الآب.**][٣٨]

– وبخصوص الآية (١كو ١٥: ٤٩) «**سنلبس أيضاً صورة السماوي**»، يقول:

[إن «صورة السماوي» هي صورة المسيح ... فما هي

(٣٨) تفسير يوحنا ١٧: ١٨ و١٩ PG 74, 541 CD

(صفات) صورة السماوي هذه؟ إنها عدم الخضوع للشهوات في شيء، عدم معرفة الانحرافات، عدم الخضوع للموت والفساد بل هي القداسة والبر وكل ما شابه ذلك وكل الأمور المتعلّقة بذلك... والكلمة الذي من الله الآب يرفعنا إلى مثل هذه الامتيازات إذ يجعلنا **شركاء طبيعته الإلهية بواسطة الروح القدس**][٣٩].

- وبخصوص الآية (غل ٤: ١٩): «يا أولادي الذين أتمخَّض بكم أيضاً إلى أن يتصوَّر المسيح فيكم» فيقول:

[إن صورة المخلِّص هي التي يطبعها الروح في نفوس الذين يقبلونه ... ولا شك في ذلك إذ أن بولس يقول: «**يا أولادي الذين أتمخَّض بكم أيضاً إلى أن يتصوَّر المسيح فيكم**». **فالمسيح لا يمكن أن يتصوَّر في أحد، إلا بواسطة شركة الروح القدس**، وحياة مطابقة للإنجيل، ولهذه الغاية جعل المسيح روحه القدوس يحل في تلاميذه، لما نفخ في وجوههم ليصيروا باكورة لميراثه المتجدِّد على صورة الله للمجد الأبدي.][٤٠]

- وبخصوص الآية (غل ٤: ١٩): يكرِّر نفس هذه المعاني في موضع آخر:

[الروح هو صورة الابن الكاملة والطبيعية، فحينما تتجدَّد صورتنا بالقداسة بفعل هذا الروح، فنحن في الواقع نتغيَّر إلى صورة الله،

---

(٣٩) ضد نسطور ٢:٣ PG 76, 128D - 129A

(٤٠) تفسير يوحنا ٢٠: ٢٢ و٢٣ PG 74, 716

وهذا هو ما يقوله الرسول: «**يا أولادي الذين أتمخَّض بكم أيضاً إلى أن يتصوَّر المسيح فيكم**». **فالمسيح يتصوَّر فينا بالروح القدس، الذي يجدِّد شكلنا بحسب الله.**][٤١]

وهكذا نرى القديس كيرلس، كلما يتناول موضوع تغيير شكلنا إلى شكل المسيح، ينسب ذلك دائماً إلى عمل الروح القدس فينا[٤٢].

[إن المسيح يتصوَّر فينا بواسطة صورة إلهية، يسكبها فينا الروح القدس بالقداسة والبر.][٤٣]

[الابن يجعل الذين يقبلونه مشابهين له، بواسطة الروح القدس.][٤٤]

[المسيح يجدِّدنا على صورته الخاصة، بواسطة الروح القدس.][٤٥]

[إننا نتغيَّر إلى شكل المسيح، والمسيح يطبع فينا صورته الخاصة، بواسطة الروح القدس الذي يشابهه بحسب الطبيعة. فالروح هو

---

(٤١) في الثالوث ٧ PG 75, 1088 B
(٤٢) العبادة بالروح والحق١٦ PG 68, 1009 A
جلافير على التكوين ٥ PG 69, 260 D
جلافير على العدد PG 69, 625 C
تفسير إشعياء ٦١: ١ - ٣ PG 70, 1353 A
تفسير يوحنا ١: ١٢ PG 73, 153 AB
في الثالوث ٥ PG 75, 976 C
عظة فصحية ١٩ PG 77, 836 BC
(٤٣) تفسير إشعياء PG 70, 936
(٤٤) تفسير يوحنا ٤٢:٨ PG 73, 885 A
(٤٥) في الثالوث ٣ PG 75, 808 B

الله، لأنه يغير المؤهَّلين لذلك إلى شكل الله ويمنحهم شركة الطبيعة الإلهية.][٤٦]

إذن، فالروح القدس يغيِّر شكلنا إلى شكل المسيح، ويطبع فينا صورته الخاصة، يأخذ كل ما في المسيح وينقله إلينا. يأخذ جميع صفاته الصالحة ويرسمها فينا. وهكذا قليلاً قليلاً «يتصوَّر المسيح في أعضائنا»، أي يحل داخلنا حلولاً سريًّا، بواسطة الروح القدس. وبذلك يصير تغيير شكلنا إلى شكل المسيح بواسطة الروح القدس هو المدخل إلى حلول المسيح في قلوبنا سرًّا بواسطة الروح القدس أيضاً، بحسب الآية القائلة: «تتأيَّدوا بالقوة بروحه ... ليحل المسيح بالإيمان في قلوبكم.» (أف ٣: ١٦،١٧)

٣- الروح القدس يعطينا حلولاً سريًّا للمسيح داخل نفوسنا:

لقد قال المسيح لتلاميذه قبل أن يغادرهم: «لا أترككم يتامى. إني آتي إليكم» (يو١٤:١٨). وجدير بالملاحظة أنه نطق بهذا الوعد في أثناء حديثه عن الباراكليت، مشيراً بذلك إلى حلوله السرِّي في قلوب تلاميذه بواسطة الروح القدس.

[بواسطة الروح القدس نحن نقتني المسيح ساكناً ومتداخلاً فينا.][٤٧]

[المسيح نفسه يسكن فينا بواسطة الروح القدس الذي هو روحه الخاص كما هو روح الآب أيضاً.][٤٨]

---

(٤٦) في الثالوث ٧ PG 75, 1089 B-C

(٤٧) تفسير ٢كو ٢: ١٥ PG 74, 925 C

(٤٨) ضد نسطور ٢:٤ PG 76, 177 C

[حينما يحل الروح القدس في المختارين يكون المسيح أيضاً ساكناً فيهم، إذن فلابد من أن نعترف بأن الروح القدس لـه الجـوهر الإلهي إذ أنه يجعل الذين يقبلونه شركاء الطبيعة الإلهية.][٤٩]

وبنفس هذا المعنى يفسِّر القديس كيرلس قول المخلِّص لتلاميذه: «إنه خير لكم أن أنطلق» (يو ١٦: ٧):

[لما كان المخلِّص يحيا بالجسد في وسط المؤمنين كان يبدو لهم حقًّا مصدر جميع الخيرات، غير أنه **كان ينبغي أن يصعد إلى أبيه، حتى يحل بالروح القدس في وسط الذين يعبدونه، ويأتي بالإيمان إلى قلوبنا، حتى أننا إذ نقتنيه داخلنا، نصرخ بدالة «يا أبا الآب»، ونجري بسهولة في ميدان كل فضيلة ...**][٥٠]

إذن، فالروح القدس يعطينا حلولاً وحضوراً سريًّا للمسيح، فينا وفي طنا، أفضل مما كان يتمتَّع به التلاميذ أثناء حياته الأرضـية. وذلـك سب قول الرب نفسه «إنه **خير لكم** أن أنطلق». فقد نلنـا بحلـول الروح القدس وسيلة لا نظير لها للاتحاد بالمسيح وللاتحـاد بـالله الآب أيضاً.

[فالذي **يوحِّدنا بالمسيح** مخلِّصنا، إنما هو روحه القدس.][٥١]

[لا تتحقَّق عودتنا إلى الله، وهي التي تتم عن طريق المسيح مخلِّصنا، إلا بشركة وتقديس الروح. **فالذي يرفعنا إلى الابن ويوحِّدنا بذلك**

---

(٤٩) الكنز في الثالوث PG 75, 608 CD

(٥٠) تفسير يوحنا ١٦: ٧ PG 74, 433

(٥١) تفسير يوحنا ١٥: ١ PG 74, 333 A

مع الله هو الروح.](٥٢)

فالروح القدس، إذن، يوحِّدنا بالابن، ومن خلال الابن يوحِّدنا بالله الآب عينه.

٤ – علاقتنا بالمسيح بواسطة الروح القدس تُدخلنا في علاقة مع الله الآب أيضـــاً:

(أ) أبناء الآب السماوي:

حينما يحل المسيح في قلوبنا بالروح القدس، فهو يُدخِلنا في علاقة مع أبيه السماوي، فهو بكل تأكيد يطبع فينا شيئاً من علاقته البنوية مع أبيه السماوي، بحيث نصرخ معه: يا أبَا الآب: «أرســـل الله **روح ابنـــه** إلى قلوبكم صارخاً **يا أبا الآب**» (غل ٤: ٦). (وجدير بالملاحظـــة أن أول مَنْ نطق بهذه الكلمات «يا أبَا الآب» إنما هو المسيح في صلاته الأخيرة في جثسيماني مر ١٤: ٣٦).

[حينما يحل ويسكن فينا كلمة الله، بواسطة الروح، فنحن نرتقـــي إلى كرامة التبني، لأننا نقتني حينئذ في نفوسنا الابن نفسه، الذي إلى شكله أيضاً تغيَّرنا، بواسطة شركة روحه الخاص. وحينما نرتقي إلى مـــستوى الدالة المكافئة لدالة الابن، نجسر أن نقول يا أبا الآب.](٥٣)

هنا يصل عمل الروح القدس فينا إلى ذروته. فنحن عرفنا أن عملـــه

---

(٥٢) تفسير يوحنا ١٧: ١٨ و١٩ PG 74, 545

(٥٣) الكنز في الثالوث ٣٣ PG 75, 569 D

قارن مع قول ٥٠: [المخلِّص يحل بالروح القدس في وسط الذين يعبدونه، ويأتي بالإيمان إلى قلوبنا، حتى أننا إذ نقتنيه داخلنا نصرخ بدالة «يأبَا الآب»].

الأساسي هو أن يأخذ كل ما للمسيح وينقله إلينا، يأخذ جميع صفاته ويطبعها فينا، ويجعلنا نتشكّل بشكله، ونتغيَّر إلى صورته. والآن ها هو ينقل إلينا أهم صفة في المسيح، وهي بنوَّته الإلهية للآب السماوي. إنها الصفة الخاصة بالمسيح، التي منها يستمد اسمه الأزلي، كابن للآب الأزلي. وهوذا روح الابن يحل في قلوبنا، حتى يعطينا شيئاً من بنوَّة الابن الأزلية، فنصرخ بثقة مكافئة لثقة الابن: يا أبَّا الآب ... إلى هذا الحد قد وصل عمل الروح القدس في نقل كل ما للمسيح إلينا!

على أنه يجب أن نلاحظ جيداً أن المسيح وحده هو ابن بحسب الطبيعة، وجميع الآخرين هم أبناء بالنعمة والمشاركة والمشابهة. فالقديس كيرلس يضع الكلمات التالية في فم المسيح:

[أنا وحدي مولود من الآب كابن حقيقي وطبيعي له، وأما جميع الآخرين فهم أبناء **بالوضع، على قدر ما يشبهونني** ويقتربون من مجدي. فإن الصور دائماً تشبه أصولها.](٥٤)

فالمسيح وحده هو ابن بحسب الطبيعة، وأما نحن فأبناء بحسب الوضع κατὰ θέσιν، وبالمشاركة μεθεκτῶς، وبالمشابهة κατὰ μίμησιν، والقديس كيرلس يوضِّح على الخصوص كيف يجعلنا الروح القدس أبناء لله، عن طريق **مشابهتنا** للابن الوحيد، وتغيير صفاتنا إلى صفاته، فيرى الآب فينا صفات ابنه الخاص واضحة فينا، **فيحبنا نحن كما يحبه هو**، وبهذا يتحقّق ما طلبه لنا المسيح في صلاته الختامية: «ليعلم العالم أنكَ أرسلتني وأحببتهم كما أحببتني» (يو ١٧: ٢٣):

---

(٥٤) تفسير يوحنا ٨: ٤٢ PG 73, 884 CD

[من اللائق أن نعتبر الروح هو الروح وليس هو الابن، بل هو روح الابن، وهو يُشكِّل ويغيِّر إلى صورة الابن، صفات الذين يحل فيهم بالمشاركة؛ **حتى إذا ما رأى الله الآب معالم ابنه الخاص المولود منه واضحة فينا، يحبنا نحن أيضاً، كأبناء**، ويمجِّدنا ويشرق علينا بالكرامات الفائقة لهذا العالم.][٥٥]

وفي مواضع أخرى، يعرِّف القديس كيرلس التبني بأنه "التغيُّر إلى شكل الابن الوحيد بواسطة الروح القدس"[٥٦]، وهكذا يجعل الابن كل الذين يحل فيهم بروحه القدوس، أبناءً للآب السماوي[٥٧].

(ب) حلول الثالوث فينا:

إن الثالوث كلٌّ لا ينقسم ولا يتجزَّأ. فلا يمكن أن يحل فينا الروح القدس، إلا ويكون فينا الابن أيضاً، لأن الروح هو «روح الابن» (غل ٤: ٦) وصورته. وكذلك لا يمكن أن يأتي إلينا الابن، إلا ويكون الآب أيضاً معه، لأن الابن في الآب والآب في الابن (يو ١٤: ١٠ و١١).

[الذي يقبل الروح القدس، الذي هو صورة الابن، فهو يقبل به الابن، وبذلك يقبل الآب أيضاً الذي في الابن.][٥٨]

---

(٥٥) عظة فصحية ١٠ PG 77, 620 A-B

(٥٦) في الثالوث ٧ PG 75, 1097 C

تفسير يوحنا ١٧: ١١ PG 74, 513 A

تفسير يوحنا ١٦: ٦ و٧ PG 74, 433 B

في الثالوث ٥ PG 75, 976 C

(٥٧) تفسير مزمور ٥٨: ١٩ PG 69, 1152 D

(٥٨) الكنز في الثالوث ٣٣ PG 75, 572 A

[كل مَنْ يعرف المسيح، ويتمسَّك بكلمة الحق الإلهي العديمة الغش، وكأنه يتمخَّض بها، فالمسيح يحل ويسكن فيه، ويجتذبه بفعل الـــروح القدس، إلى نوع من القرابة الروحية مع الله أبيه، بواسطة نفسه.][٥٩]

وبذلك يتم وعد الرب أنه يأتي إلينا، هو وأبوه، ويصنع فينا منزلاً (يو ١٤: ٢٣). وجدير بالملاحظة أن المسيح نطق بهذا الوعد، في أثناء حديثه عن الباراكليت ومجيئه إلينا. فهذا من صميم عمل الروح القدس فينا، أن يأتي الثالوث كله إلينا، ويحل فينا، ويصنع فينا منزلاً.[٦٠]

---

(٥٩) تفسير إنجيل يوحنا ١٧:٢٦ PG 74, 577 A

(٦٠) قارن مع ما يقوله القديس أثناسيوس الرسولي بنفس هذا المعنى:
[حينما يكون الروح فينا، فالكلمة معطي الروح يكون أيضاً فينا، بل إن الآب أيضاً حال في الكلمة، فبذلك يتحقق القول: «إليه نأتي أنا وأبي وعنده نصنع منزلاً» (يو١٤:٢٣)].
الرسالة الأولي إلي سيرابيون ٣٠ PG 26, 600

ثانياً: الإفخارستيا

١ – الإفخارستيا وسيلة للاتحاد الكياني بالمسيح:

• **الإفخارستيا وسيلة** أقامها المسيح المحب ليوحِّدنا بنفسه:

[لما أراد ابن الله أن يُدخلنا في الوحدة مع الله، ومع بعضنا البعض، على الرغم من كوننا مختلفين بالأجساد والأرواح، بسبب الكيان الذاتي لكل واحد منا، ابتكر لذلك وسيلة هي ثمرة حكمته ومشورة الآب. فقد بارك المؤمنين به، بواسطة التناول السرِّي من جسد واحد، هو جسده الخاص، وبذلك جعلهم جسداً واحداً معه بالكمال.][٦١]

• **العلاقة المعنوية والعلاقة الكيانية:**

من الأفكار الرئيسية عند القديس كيرلس، أن الإفخارستيا ترفع علاقتنا بالمسيح من الوضع المعنوي القائم على مشاعر الحب والإيمان، إلى الوضع الكياني القائم على الاتحاد الفعلي والمشاركة الطبيعية.

فهو يقول ردًّا على الذين يزعمون أن الإفخارستيا مجرَّد علاقة معنوية مجازية بالمسيح:

[إن قيل إنه ينبغي أن نكون متعلِّقين روحيًّا بالمسيح بمشاعر المحبة الكاملة والإيمان المستقيم غير المزعزع، وبمحبتنا للفضيلة، وبصدق

---

(٦١) تفسير إنجيل يوحنا ١٧: ٢٠ و٢١ PG 74, 560

معتقداتنا، فهذا لا يتعارض مع تعليمنا؛ بل إننا نحن أنفسنا ننادي بأن هذا جميعه حق وواجب. أما إن قيل بجسارة إنه ليس لنا معه أي ارتباط بحسب الجسد، فإننا سنبيِّن أن هذا مخالف تماماً للكتب المقدَّسة أنفاس الله، فمن الواضح، بدون أدنى شك، أنه بسبب هذا الاتحاد بحسب الجسد، قيل إن المسيح هو الكرمة ونحن الأغصان، وإننا منه وبه نستمد الحياة داخلنا ... فالكرمة تُنسب للمسيح والأغصان لنا، بسبب وحدة طبيعية (بيننا وبينه). فأغصان الكرمة لها بكل تأكيد نفس طبيعة الكرمة.][٦٢]

فسر الإفخارستيا، إذن، بما يقيمه من ارتباط كياني بيننا وبين المسيح، هو الحقيقة الكامنة وراء قول الرب: «أنا الكرمة وأنتم الأغصان» (يو١٥:٥)، لأن به تنتقل الحياة من المسيح إلينا، كما تنتقل العصارة من الكرمة إلى الأغصان. لذلك فشرح (يوحنا ١٥) هو من أكثر المواضع التي يتكلم فيها القديس كيرلس عن الإفخارستيا. ففي نفس هذا الموضع يستطرد قائلاً:

[فليقل لنا إذن (الذين ينكرون ارتباطنا الكياني بالمسيح)، لماذا يوجد سر الأولوجية وماذا تكون فاعليته، ولماذا يأتي إلينا؟ أليس لكي يُدخل إلينا المسيح جسديًّا بالشركة في جسده والتناول منه؟ **فإننا نصير شركاء في الجسد معه بواسطة تناولنا من "سر الأولوجية"، ونصير معه جسداً واحداً كما صار الرسل القديسون.**][٦٣]

---

(٦٢) تفسير يوحنا ١٥:١ PG 74, 341

(٦٣) شرحه.

[ألم يقل المسيح إن **أعضاءنا جميعاً هي أعضاؤه؟ فإنه مكتوب بالفعل**: «**ألستم تعلمون أن أجسادكم هي أعضاء المسيح**» (١كو٦: ١٥)، والمخلِّص نفسه يقول: «**مَنْ** يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيَّ وأنا فيه». **فمن هذا القول على الخصوص يتَّضح أن المسيح لا يتكلَّم عن حلوله فينا بمجرَّد رباط عاطفي وجداني، بل بمشاركة طبيعية** κατὰ μέθεξιν φυσικήν.][٦٤]

ولتأكيد حقيقة هذه العلاقة الطبيعية الكيانية، لا يتردَّد القديس كيرلس في استخدام كلمة "**الامتزاج**" (كمثل امتزاج قطعتين من الشمع نعجنهما معاً أو كامتزاج الخميرة بالعجين)، وكلمة "**الانصهار**" (كمثل انصهار الفضة مع الرصاص في بوتقة واحدة).

[فإنه كما لو **امتُزِجَت** قطعة شمع بقطعة شمع أخرى، يظهر أنها صارت تماماً الواحدة في الأخرى، هكذا بنفس هذا الحال أعتقد أن الذي يتناول جسد مخلِّصنا المسيح ويشرب دمه الكريم - كما يقول هو نفسه - يصير واحداً معه **وكأنه ممتزج ومختلط معه بالتناول. وكما يوجد هو في المسيح كذلك المسيح أيضاً يوجد فيه.**][٦٥]

[إذن فكما يقول بولس: «**إن خميرة** صغيرة تخمِّر العجين كله» (١كو٥: ٦)، هكذا أيضاً فإن أصغر قطعة من الأولوجية **تمزج** جميع أجسادنا معاً بنفسها، وتملأها بقوَّتها الخاصة. وهكذا يصير المسيح فينا ونحن أيضاً فيه، **لأنه يصدق مَنْ يقول إن الخميرة في**

---

(٦٤) شرحه.

(٦٥) شرحه.

العجين كله، وأن العجين أيضاً قد صار بالمثل في الخميرة كلها.][٦٦]

[إذا **صُهِرَت** الفضة غير النقية مع الرصاص، فإنها تتطهَّر به تماماً، لأن الرصاص يمتص كل شوائب المعدن المنصهر. وبنفس هذه الطريقة يعمل فينا المسيح: فبينما كنَّا غير طاهرين، **امتزج** هو بنا جسديًّا وروحيًّا، وأبطل بذلك النجاسات التي كانت فينا، فهو يرفع خطايانا، حتى أننا به وبواسطته نصير أنقياء مصقولين.][٦٧]

٢ – نتائج الاتحاد الكياني بالمسيح في الإفخارستيا:

(أ) انسكاب صفات المسيح فينا،
وأهمها الحياة والخلود:

▪ **فالحياة** صفة طبيعية للمسيح. ففي الأقوال القادمة سنجد القديس كيرلس يكرِّر القول عدَّة مرَّات بأن المسيح **[هو الحياة بطبعه]** (انظر الأقوال ٦٨ و٦٩ و٧٨) ولا غرابة في ذلك، فقد عرَّف المخلِّص نفسه بأنه هو الحياة: «أنا هو الطريق والحق **والحياة**» (يو١٤: ٦)، «أنا هو القيامة **والحياة**» (يو١١: ٢٥)، «أنا هو خبز **الحياة** ... النازل من السماء الواهب **حياة** للعالم» (يو٦: ٣٥، ٣٣).

▪ وأما الخلود فهو في أصله اللغوي "**عدم الموت** ἀθανασία"، وهو أيضاً صفة طبيعية موقوفة على الله وحده.

+ «الذي وحده له عدم الموت ἀθανασίαν.» (١تي ٦: ١٦)

---

(٦٦) تفسير يوحنا ٦: ٥٧ PG 73, 584 CD

(٦٧) العبادة بالروح والحق PG 68, 297 D

فالحياة والخلود ليست إذن من صفات الإنسان الطبيعية، بل من صفات اللوغُس وحده. ولم يكن ممكناً أن يكتسبها الإنسان إلا عن طريق تجسُّد اللوغُس، واتحاده بجسد بشري مساوٍ لأجسادنا، فتنتقل منه إلى هذا الجسد صفات الحياة والخلود، ويصير هذا الجسد نفسه محيياً، ثم يسلِّم لنا اللوغُس هذا الجسد المحيي، لنأكله فنستمد منه الحياة الإلهية والخلود.

فسر الأولوجية يستمد فاعليته وقوَّته من سر التجسُّد، أو بمعنى آخر نحن نستمد الحياة والخلود من الجسد المحيي، حينما نتحد به، لأنه هو نفسه متحد باللوغُس الحالّ فيه، اتحاداً من أوثق ما يمكن.

وبهذا نكتشف هنا أيضاً المبدأ الأساسي للقديس كيرلس، الذي يقود كل منهجه الروحي: إن الاتحاد الأقنومي الذي تمَّ بين اللوغُس وجسده الخاص في سر التجسُّد، هو ينبوع جميع الخيرات المتدفقة نحونا.

[فلأن جسد المخلِّص قد صار محيياً بسبب اتحاده بالذي **هو الحياة بطبعه** أعني كلمة الله، لذلك **فنحن حينما نأكل من هذا الجسد المحيي ننال منه الحياة داخلنا، لأننا نصير متحدين بهذا الجسد، بمثل ما هو متحد باللوغُس الحال فيه.**][٦٨]

أي أن الحياة تنتقل من اللوغُس إلى جسده الخاص، فتجعله جسداً محيياً، ثم تنتقل بسر الأولوجية من هذا الجسد المحيي إلينا نحن.

ومن هذا يظهر بوضوح أن سر التجسُّد هو مصدر فاعلية "الأُولوجية

---

(٦٨) تفسير إنجيل يوحنا ٦:٥٣-٥٤ PG 73, 577

المحيية"، أي الإفخارستيا.

[نؤمن أن كلمة الله الآب (اللوغُس)، الذي **هو الحياة بطبعه، اتحد بجسد ذي نفس عاقلة،** مولود من القديسة العذراء **وجعله محييـاً، بهذا الاتحاد السرِّي الفائق الوصف، حتى أنه إذ يجعلنا نشترك فيـه روحيًّا وجسديًّا، يرفعنا فوق الفساد، ويُبطل ناموس الخطية المالـك على أعضاء جسدنا.**][٦٩]

[فإن الجسد نفسه قد صار فعَّالاً بذاته، **بسبب الكلمـة الـساكن فيه...**][٧٠]

[فالجسد المقدَّس قد لبس قوَّة الله وفعله، لأنه الجسد الخاص للابن، دون أن يكون جسداً لآخر غيره ... هو الجسد الخـاص لـذاك الذي هو وحده وبذاته الابن.][٧١]

[لذلك فحينما نتناول من هذا الجسد، فهو يحوِّلنا إلى حالته الممتازة، التي هي الخلود.][٧٢]

[فالذين يتناولون خبز الحياة جزاؤهم **الخلود،** فإنهم يرتفعون بعيداً عن الفساد وكافة الأوجاع، إلى **الأجواء العليا الأبديـة للحيـاة، بحسب المسيح.**][٧٣]

---

(٦٩) ضد نسطور ٤: ٤ PG 76, 197

(٧٠) تفسير متى ٨: ٣ PG 72, 389 D

(٧١) تفسير يوحنا ١٤: ١ PG 74, 181 A

(٧٢) تفسير يوحنا ٦:٥٣-٥٤ PG 73, 577, 578

(٧٣) تفسير يوحنا ٦:٤٨-٥٠ PG 73, 561

[إن الماء بارد بطبعه، ولكنه إذا سُكِبَ في إناء وقُرِّب من النار، فكأنى به ينسى صفاته الخاصة ويكتسب صفات النار. وهكذا نحن الفاسدين، بحسب طبيعة جسدنا، **فإننا نترك ضعفاتنا حينما نمتزج بالحياة الحقيقية ونقبل صفات الحياة.**][٧٤]

وجدير بالذكر أن صفات الحياة والخلود تنتقل إلينا على الخصوص بفعل **قيامة المسيح**. فسر الإفخارستيا متصل اتصالاً، من أوثق ما يمكن، بقيامة الرب.

فذبيحة الإفخارستيا ليست فقط ذكرى لذبيحة المسيح على الصليب، بل وبالأحرى لقيامته المجيدة:

[حينما نشترك في سر الأولوجية، نحن لا نبشِّر فقط بموت المسيح، بل وبقيامته أيضاً.][٧٥]

[فباعترافنا بموته، بل وبقيامته أيضاً بكل تأكيد، نحن نكمل سر التقوى الأعظم.][٧٦]

لذلك فالإفخارستيا تنقل إلينا من قيامة الرب قوَّة حياة لا تزول. أليست هذه هي كلمات الرب نفسه: «مَنْ يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية **وأنا أُقيمه في اليوم الأخير** ... هذا هو الخبز النازل من السماء، **لكي يأكل منه الإنسان ولا يموت** ... إن أكل أحد من هذا الخبز **يحيا إلى الأبد.**» (يو ٦: ٥٤، ٥٠، ٥١)

---

(٧٤) تفسير يوحنا ٦:٥٣-٥٤ PG 73, 580 A

(٧٥) جلافير على اللاويين PG 69, 576

(٧٦) جلافير على التثنية PG 69, 649

فالأولوجية المحيية تنقل إلينا من الجسد المحيي قوَّة القيامة المذخرة فيه، بمثل ما كانت تنتقل منه إلى الأموات الذين أقامهم الرب أثناء حياته الأرضية، بمجرَّد لمس جسده المحيي. فهذا هو ما يقوله القديس كيرلس بخصوص إقامة ابنة يايرس، بمجرَّد لمس جسد المخلِّص:

[فإن كان قد أحيا ما قد فسد، بمجرَّد لمس جسده، فما أوفر المنافع الروحية التي نالها (بسر الأولوجية)، الذي به لا نلمس فقط هذا الجسد، بل ونأكله أيضاً!](٧٧)

فسر الأولوجية هو فينا **عربون القيامة، وهو بذرة الخلود والحياة الأبدية**، التي يغرسها فينا الرب بجسده المحيي، حتى تتغلَّب على الفساد الذي فينا وتقيمنا في اليوم الأخير:

[من المستحيل أن ذاك، الذي هو **الحياة بطبعه**، لا ينتصر على الفساد ولا يبطل الموت. فمع أن الموت يُخضع الجسد البشري للفساد، فلأن المسيح فينا بجسده فإننا نقوم بالضرورة. فإن شظية مشتعلة مخفية في كوم من القش تحتفظ بأصل النار، وهكذا يخفي سيدنا حياته فينا بجسده ويحفظها فينا **كبذرة خلود**.](٧٨)

فالأولوجية المحيية هي فينا "بذرة خلود" وهي تُبطِل فينا تماماً بذور الفساد والموت:

[المشرب الحق هو الدم الكريم، الذي للمسيح، الذي يُبطل فينا

---

(٧٧) تفسير يوحنا ٦:٥٣-٥٤ PG 73, 577 D

(٧٨) تفسير يوحنا ٦:٥٤-٥٥ PG 73, 581 BC

تماماً الفساد والموت.][٧٩]

(ب) قرابتنا مع المسيح التي تتم في سر الأولوجية، تُدخلنا في قرابة مع الله الآب أيضاً:

إن سر الأولوجية يجعلنا [أقرباء للوغُس الحي والمحيي.][٨٠]

[فقد نلنا نصيباً في القرابة معه، بواسطة الإيمان، لأننا صرنا شركاءه في الجسد، بواسطة الأولوجية.][٨١]

على أن هذه القرابة، القائمة على سر الأولوجية، هي أوثق بما لا يُقاس من قرابة اللحم والدم الكائنة بين البشر؛ لأن بالأولوجية السريَّة يتم تداخل وامتزاج حقيقي بين جسدنا وجسد الكلمة (الابن)، وبين دمنا ودمه المحيي؛ فندخل بذلك في شركة فائقة لا نظير لها، جسدية وروحية معاً، مع اللوغُس الابن المتجسِّد، بكيانه الإلهي البشري الواحد. فنحن في سر الأولوجية ندخل في علاقة قرابة فائقة مع جسد المسيح، وبالضرورة بالتالي مع لاهوته. ثم من خلال علاقتنا هذه بالابن، ندخل في علاقة قرابة مع الله الآب عينه!

- فنحن نصير بسر الأولوجية [أحباء ومعروفين لدى الله الآب.][٨٢]

[وبشركة جسده الخاص، الذي دخل فينا، نحن ننال الشركة مع

---

(٧٩) تفسير يوحنا ٦:٥٥-٥٦ PG 73, 584 A

(٨٠) تفسير يوحنا ١٧: ٣ PG 74, 488 A

(٨١) جلافير على التكوين ١ PG 69, 29 BC

(٨٢) العبادة بالروح والحق ١٧ PG 68, 1076 B

قارن مع عمل الروح القدس فينا الذي يجعلنا أيضاً محبوبين لدى الله الآب (قول ٥٥).

الله.][٨٣]

[وبالإجماع قد صرنا أقرباء لله الآب، بالجسد الذي في سر المسيح.][٨٤]

أي أننا نصير أقرباء للآب السماوي، عن طريق تناولنا من هذا الجسد ومن هذا الدم الإلهيين، هنا إبداع في المعنى. هنا قمَّة سر التجسُّد. هنا تنتقل قرابتنا الجسدية مع المسيح باللحم والدم بصفته "واحد منَّا"، إلى قرابة روحية فائقة من نوع فريد مع الله، وذلك جاء ثمرة مترتِّبة على اتحاد اللاهوت بالناسوت في سر المسيح، "بالجسد الذي في سر المسيح". فقد صارت القرابة الجسدية، التي تربطنا مع هذا الإله المتجسِّد باللحم والدم، قرابة إلهية فائقة مع الآب والابن والروح القدس، وذلك على قدر ما أن الجسد متحد باللاهوت "في سر المسيح"!

[وهكذا نحن جميعاً واحد في الآب والابن والروح القدس، فنحن واحد بأسلوب حياتنا الواحد، بنمط تقوانا الموحَّد، **بشركة جسد المسيح المقدَّس، وبشركة الروح القدس الوحيد.][٨٥]**

---

(٨٣) تفسير يوحنا ٦: ٣٥ PG 73, 517 D

(٨٤) تفسير يوحنا ٨: ٣٧ PG 73, 869 C

(٨٥) تفسير يوحنا ١٧: ٢٠ و٢١ PG 74, 557, 561

عمل الروح القدس في العذراء وفينا

أغسطس ١٩٧٣

عمل الروح القدس في العذراء وفينا[1]

منذ يوم الخمسين ــ أي منذ أن عيَّدنا للروح القدس ــ وقلوبنا مرفوعة بالروح، لنرى ونحس بكل أعمال الكنيسة وأعيادها، في نور الروح القدس.

نحن نصوم هذا الصوم، الذي ينتهي بعيد صعود جسد القديسة العذراء مريم، أو بالتحديد عيد ظهور جسدها. ولكن ما هذا الجسد الذي نُعيِّد لظهوره أو لصعوده؟

تعيب علينا الطوائف الأخرى أننا نُعيِّد للأجساد ونكرِّم الأجساد، ولكن انظروا وتأملوا معي يوم البشارة المقدسة التي أُرسِل فيها الملاك جبرائيل بالبشارة، وقال للعذراء: "سلامٌ لكِ أيتها **الممتلئة نعمة**". لقد رأى الملاك برؤيا واضحة ملء النعمة في العذراء، جسداً ونفساً وروحاً. أما هي فحينما استفسرت منه كيف يكون حملها بالكلمة، قال لها: «الروح القدس يحلُّ عليكِ، وقوة العليِّ تُظلِّلُكِ.» (لو ١: ٣٥)

"الروح القدس" نفسه يحلُّ عليكِ، أما مفاعيله فهي «قوة العليِّ تُظلِّلُكِ». كلمة "تُظلِّلكِ" في أصلها العبري واليوناني تعني: "يعمل خيمة

(١) نص كلمة أُلقيت في أغسطس سنة ١٩٧٣م.

أو مسكناً". فالخيمة هي المسكن الذي كان يحلُّ فيه الله في العهد القديم، وفيه تابوت العهد موضوعاً في قدس الأقداس. فالحلول في أصل الكلمة هو "السُّكنى"، والكلمة مشتقة من النطق العبري "اشكيناه". إذن، فـ "قوة العلي تُظلِّلكِ" تعني أن قوة العلي تسكن فيكِ، أي تحوط بالعذراء من داخل ومن خارج وتحفظها. والحلول هنا، ليس بالمفهوم المكاني، بل هو حلول كلِّي: «لذلك أيضاً القدوس المولود منكِ يُدعى ابن الله.» (لو ١: ٣٥)

هذه هي أول مرة تسمع فيها البشرية هذا الصوت، أن الروح القدس يحل على الإنسان ويكون ذلك بداية لسُكنى دائمة.

كنا نعرف الروح القدس في العهد القديم أنه يحل على الأنبياء ليتكلَّم فيهم، وبعد أن يتكلَّم لا يكون فيهم بعد. أما في العذراء القديسة فقد وجدنا أن حلول الروح القدس يدوم، لأنه متلازم مع الحَبَل الإلهي، متحداً بالكلمة الذي كان ينمو في الحشا البتولي، لأنه كما يقول الآباء: "حيث يوجد المسيح يوجد الروح القدس". لذلك فبمجرد أن حلَّ الكلمة ابن الله في أحشاء العذراء، حلَّ الروح القدس في الحال، بدون أي فارق زمني أو مكاني على الإطلاق.

العذراء مريم كانت وما زالت مثالاً للبشرية كلها، كل إنسان مدعوٌّ أن ينفتح قلبه وذهنه لحلول الكلمة في القلب: «ليحلَّ المسيح بالإيمان في قلوبكم» (أف ٣: ١٧)، فإذا ما حلَّ المسيح، يحلُّ وينسكب معه الروح القدس أيضاً.

العذراء كانت، ولا تزال، نموذجاً لكل إنسان يتقبَّل **الكلمة**،

والإنسان يتقبَّل الإيمان بالخبر، والخبر بالكلمة. فإذا ما استقرت الكلمة في القلب، أي كلمة الإيمان بالمسيح، وباسم المسيح، بفرح وقبول حسن، ففي الحال، عملُ وفعلُ الروح القدس يلازمان الإيمان، وقوةٌ تحيط بالإنسان وتحل فيه، حتى تنمو فيه "الكلمة" ويتصوَّر المسيح كاملاً.

ولكن ليس الأمر أن كل هذا يتم سريعاً وفي الحال. إنما الروح القدس، في تدرُّج عمله في الإنسان، يمرُّ على مرحلتين. فإذا قرأنا من إنجيل يوحنا الأصحاح السابع نجد هاتين المرحلتين:

+ «وفي اليوم الأخير العظيم من العيد وقف يسوع ونادى قائلاً: **إن عطش أحدٌ فليُقبل إليَّ ويشرب. مَن آمن بي** ـــ كما قال الكتاب ـــ **تجري من بطنه أنهار** ماء حي. قال هذا **عن الروح الذي كان المؤمنون به مُزمعين أن يقبلوه، لأن الروح القدس لم يكن قد أُعطِيَ بعد، لأن يسوع لم يكن قد مُجِّد بعد.**» (يو ٧: ٣٧-٣٩)

ما هو مجد المسيح؟ وما معنى: «لم يكن قد مُجِّد بعد»؟ إن معناها البسيط هو أنه لم يكن قد صُلِب بعد. فالصليب كان هو المدخل لمجد المسيح.

هذا الارتباط الكبير موجود في حياتنا، أي الارتباط بين أن يتمجَّد المسيح فينا وبين أن يُعطَى الروح القدس لنا. فكيف يتمجَّد المسيح في حياتك؟ هل صُلِب المسيح في حياتك؟ هل هو قائم الآن مصلوباً فيك وأنت فيه؟ حتى يعمل الروح القدس فيك بقوة؟

ولكن ما معنى أن يُصلب المسيح في حياتي؟ واضح أن كل مَن يشهد للمسيح، يشترك مع المسيح في صليبه، والكل مدعو للشهادة، وبالتالي للتألُّم مع المسيح! وبهذا يؤهَّل الجميع للروح القدس.

البعض يضعون الآلام على أنفسهم، كأن يجاهدوا جهادات جسدية بأصوام وأسهار وتقشُّفات كثيرة. هذا حسنٌ جداً. ولكن ما هو أحسن هو أن نقبل ما يُصادفنا من آلام اضطرارية دون أن نئن منها أو نرفضها.

وصليب المسيح ينبغي أن يكون هذا وذاك. فالمسيح قَبِلَ الصليب، ولكنه لم يَصلب نفسه، مع أنه كان دائماً مستعداً للصليب. هذا تماماً هو موقفنا من صليب المسيح وآلامه، أن نكون مستعدين للآلام، فإذا أتت لا نرفضها.

الصوم الذي نصومه في صوم العذراء أو بقية الأصوام، هو مدخل أو وسيلة ليُنبِّه القلب والذهن والجسد أيضاً، أن نكون على استعداد لاحتمال الآلام حينما تأتي على الإنسان رغماً عن إرادته. **فإذا كان الصوم هو الألم الإرادي، فالاضطهاد هو الألم غير الإرادي، والصليب هو الإثنان معاً.**

لا يمكن أن يتصالح الروح القدس مع إنسان يرفض الصليب، أي يرفض الآلام الاضطرارية، أو يستعلي على الجهادات الجسدية. فالمسيحي مدعو أن يجاهد كجندي صالح ليسوع المسيح، يتألم بإرادته، ولا يرفض الصليب عندما تأتي ساعته.

ولكن الصليب لا يصح أن نراه فقط في رفع الجسد على الخشبة وتسمير اليدين. فالصليب في حياة المسيح بدأ منذ ولادته، في أقسى شهور الشتاء (آخر كيهك وطوبة)، وفي العراء تقريباً، وفي بداية حياته اضطُهِد ونزل إلى أرض مصر. إذا تتبعنا حياة المسيح نجد أن فعل الصليب بدأ منذ أن بُشِّر به وهو في البطن. حتى العذراء تألمت بسببه:

«وأنت أيضاً يجوز في نفسك سيف» (لو ٢: ٣٥)، وألم العذراء كان ينعكس بالطبيعة عليه وهو في البطن!! واستمرت الآلام على المسيح حتى يوم الصليب، إلى أن كمل على يدي قيافا وبيلاطس، فصليب المسيح كان حياته!!

حياة المسيحي تبتدئ فعلاً يوم أن تحلّ الكلمة في قلبه وفي ذهنه، وحينئذ أيضاً يبتدئ الصليب في الحال. لا يمكن أن تنفصل "**الكلمة**" عن "**الصليب**". حقًّا إن المسيح بدأ معنا كلنا منذ معموديتنا، وكلنا نتألم بسبب مسيحيتنا، حتى ولو لم نكن قد بدأنا سيرة إيماننا الحقيقي مع المسيح، أي رحلة إيماننا عَبْرَ العالم بالشهادة والاعتراف. لكن المسيح لابد أن يتمجَّد في حياتنا، وهو على صليبه في قلوبنا، ونحن معه مصلوبون.

«مع المسيح صُلِبتُ» (غل ٢: ٢٠)، لم يَقُلها بولس الرسول عفواً، فهو قد صُلِب حقًّا، منذ أن ظهر المسيح في السماء لشاول وهو في الطريق، وحلَّ بالإيمان في قلبه. وصليب بولس بدأ بشدة وعنف، بقدر شدة إيمانه وعنف حبه!!

منذ أن عرفتُ المسيح، وفخري هو صليب المسيح. هذا هو مجد المسيح في حياتنا، أن يُرى صليب المسيح بوضوح في سلوكي، كإنسان لا يعتفي من الألم، ولا يعتفي مما وراء الشهادة من ألم، والاضطهاد يسبق دائماً طريق المبشر!!

إذن، فكل مسيحي قَبِلَ المسيح في أحشائه: «ليكن لي كقولك»، يرتسم الصليب في الحال أمام عينيه، في ذهنه، وفي قلبه، وفي طريقه:

«أنتم الذين أمام عيونكم قد رُسِم يسوع المسيح بينكم مصلوباً» (غل ٣: ١). **وهكذا لابد أن يتمجَّد المسيح في حياتنا حتى يُعطَى لنا الروح القدس: «لأن الروح القدس لم يكن قد أُعطِيَ بعد، لأن يسوع لم يكن قد مُجِّد بعد!!»** (يو ٧: ٣٩)

نحن نتكلَّم عن روح حي موجود فينا ومعنا، تقبَّلته العذراء كنائبة عن البشرية يوماً من الأيام. ومنذ ذلك اليوم، وعلى الأخص منذ يوم الخمسين، لم يَنْفَكّ يعمل في قلوبنا بشدة، منذ أن تمجَّد المسيح بالصليب، واستطاع أن يُقدِّم الجسد ذبيحة عن كل إنسان وعن كل خطيئة. ارتفع بهذا الجسد ــ أي جسد الإنسان الضعيف ــ وصعد إلى السماء وأجلسه في السماويات عن يمين العظمة في الأعالي. فلما استقر الإنسان في المسيح عن يمين الله، انسكب الروح القدس بغِنَى على البشرية يوم الخمسين. وأول مَن انسكب عليه، كانت العذراء، لأنها كانت معهم في العليَّة، تصوم وتصلي بانتظار موعد الآب!!

فالروح القدس الذي حلَّ على العذراء "**ملازماً للكلمة**" يوم البشارة، أكمل فعله فيها من أجل خلاصها يوم الخمسين!! وكما سكن العذراء، سكن الكنيسة كلها!!

نحن نعرف أنه منذ العهد القديم وحتى يوم الخمسين، كان ممكناً أن الروح القدس "يحل على" أو "يكون مع"، ولكن أن "يسكن في" فلم يكن ممكناً إلاَّ منذ يوم الخمسين.

يا لمجد البشرية حينما جلست في المسيح عن يمين العظمة في الأعالي، لذلك لم يكن كثيراً عليها أن يحل الروح القدس ويسكن فيها!

هنا ترابط عجيب بين عمل المسيح فينا وعمل الروح القدس! فلا يمكن لواحد أن يستغني عن الآخر: «خيرٌ لكم أن أنطلق (المسيح يتكلَّم هنا)، لأنه **إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزِّي.**» (يو ١٦: ٧)

المسيح كان مع التلاميذ يرونه رؤيا العين، ويسمعونه سمع الأُذن، ويلمسونه لمس اليد، يسيرون معه أينما سار، يعزيهم بكل عزاء، يدافع عنهم كمحامٍ، كباراكليت، ضد الكتبة والفرِّيسيين وكل المعاندين والأعداء. استطاع أن يمدَّهم بقوة وبسلطان ضد الشيطان، بل واستطاعوا أن يشفوا المرضى، ويُخرجوا كل روح ضعف وسقم في الشعب. ولكن بالرغم من كل ذلك قال لهم: «**خيرٌ لكم أن أنطلق** (أي أتركَكم)، لأني إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزِّي». هنا تبدو رسالة الروح القدس في غاية الأهمية!!

قد ينسى الإنسان ما رآه وما سمعه، كما نسي بطرس كل شيء، كل تعاليم المسيح وكل معجزاته وإقامته للموتى، حتى تجرَّأ وأنكره، ثم لعن بقَسَم «لستُ أعرفه»!! من هذه الحادثة بالذات تظهر أهمية عمل الروح القدس القصوى، فهو «يُذكِّركم بكل ما قلته لكم» (يو ١٤: ٢٦). بدون الروح القدس يمكن أن ينسى التلاميذ وأقرب المقرَّبين كل ما قاله المسيح، وكل الأعمال التي صنع، ولا تسعفه آية أو برهان ليؤمن أو يعترف بابن الله!!

ما أعظم الالتصاق بالروح القدس وما أخطر البعد عنه؟!

إن الالتصاق بالروح القدس هو سر جميع الأسرار، شبَّهه بولس الرسول لنا وهو يتكلَّم عن الالتصاق بالمرأة: «**مَن التصق بالرب فهو روح**

واحد» (١كو ٦: ١٧)، وحينما تكلَّم عن الزواج والمرأة والرجل انتقل في الحال ليتكلَّم عن الحقيقة الأولى، أي **المسيح والكنيسة**.

زواج المرأة والرجل هو صورة لحقيقة أولى. والحقيقة الأولى هي علاقة المسيح بالنفس البشرية، لأنه بالروح القدس تتحد النفس البشرية بالمسيح ليصيرا معاً روحاً واحداً.

الالتصاق بالروح القدس نفهمه جيداً من يوم البشارة، من العذراء مريم: «الروح القدس يحلُّ عليكِ». ليت يوم العذراء يكون هو يومنا، فنشعر نحن أيضاً بالذي تمَّ فينا يوم اعتمدنا، هذا الحلول الذي أنتج فينا عشرة حياة متحدة أثمرت فينا تصوُّر المسيح في القلب أو في الأحشاء: «أتمخَّض بكم أيضاً إلى أن يتصوَّر المسيح فيكم.» (غل ٤: ١٩)

الإنسان مدعوٌّ ليكون هيكلاً حياً للمسيح، والروح يسكن فيه سكنى أبدية، وعشرة تُثمر حياة على صورة المسيح، ويُعاد فيها تصوير الكيان الداخلي كله بكل الأعضاء حتى يصير على صورة خالقه في البر وقداسة الحق.

"مَن التصق بالرب يصير معه روحاً واحداً"، حينئذ «نتغيَّر... من مجد إلى مجد كما من الرب **الروح**» (٢كو ٣: ١٨)، «ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف، كما في مرآة، نتغيَّر إلى تلك الصورة عينها»، أي إلى صورة المسيح في الوداعة، في الاتضاع، في المحبة، في الغيرة، في الحق، في الشجاعة، في الإيمان، في النطق بالحق بلا تحفُّظ، في احتمال الآلام، في قبول الصليب، في الفرح في الضيق والاضطهادات والظلم، وفي كل ما للمسيح: «يأخذ مما لي ويُخبركم» (يو١٦: ١٤)، وهكذا يتصوَّر المسيح فينا.

عمل الروح القدس ينقل ما للمسيح ويطبعه في حياتنا لنكون على صورة المسيح، حتى يرانا الآب فيرى المسيح فينا، فتتحنَّن أحشاؤه علينا، كما تحنَّنت أحشاؤه على ابنه المذبوح على الصليب.

طوبى للإنسان الذي يئن أنَّات المسيح التي أنَّ بها على الصليب، لأن بها تنفتح مغاليق السماء، ويسكب الآب مراحمه، ويختم على آلام الإنسان بالمجد!

إن عمل الروح القدس في الإنسان كبير. ينقل كل ما قاله المسيح وكل ما عمل ليصير جزءاً من حياتنا، بل بالحري يصير حياتنا. إنه يلحُّ أولاً علينا حتى يقنعنا به. فعندما نقبل أن نكون على شِبه المسيح، يحل المسيح نفسه، ويحيا فينا بالروح القدس، وبذلك ينقلنا من حالة العبودية إلى حالة البنوَّة الروحية.

البنوَّة لله لا تأتي عفواً، لابد أن ينقل الروح القدس فينا أولاً صورة المسيح الابن، حتى حينما يرانا الآب يرى ابنه. نئن، فيتذكَّر الآب أحزان الابن المحبوب: «نفسي حزينة جداً حتى الموت» (مت ٢٦: ٣٨)، وإذ نصنع مشيئة الآب، تنفتح علينا أحشاء مراحم الله!

إذن، عمل الروح القدس هو أن ينقل لنا ما عمله المسيح لنحياه بالحق. وحينما تكتمل آلام المسيح وصورة طاعته بالحق فينا، حينئذ يكتمل فينا وعد الله: «إن كنا نتألَّم معه لكي نتمجَّد أيضاً معه.» (رو ٨: ١٧)

«إن عطش أحدٌ فليُقبل إليَّ ويشرب» (يو ٧: ٣٧):

هل أنت عطشان؟ هل الحياة مجدبة؟ ألا يوجد ما يُعزيك ويعينك؟ هل

الألم يضغط عليك بآلامه وأوجاعه ومرارته؟ إن كنتَ عطشاناً حقًّا، فالرب يدعوك للارتواء من ينبوع حبه. وأن ترتوي بالروح، فهذا هو العمل الأصغر!! أما العمل الأعظم فهو «مَن آمن بي... **تجري من بطنه أنهار ماء حي**» (يو ٧: ٣٨). مَن يعطش للروح يرتوي، ولكن مَن يرتوي، تخرج من بطنه أنهار ماء حي. كل مَن يرتوي يفيض، حتماً يفيض!

يا للروح القدس! ويا لعمله المتكامل مع المسيح! المسيح يسقي حتى الارتواء، والروح القدس يُفجِّر أنهار ماء حي من بطن الإنسان.

حالما يدخل الإنسان في سرِّ صليب المسيح، يدخل في الحال في عمق أسرار الروح القدس وعمله، فيفيض أنهار تعزيات!!

ولكن «لأن الروح القدس **لم يكن قد أُعطِيَ بعد**، لأن يسوع **لم يكن قد مُجِّد بعد**» (يو ٧: ٣٩)، فستظل هكذا حياتك في حاجة إلى مجد الصليب، لأن الروح لا يُعطَى عفواً. حينما تبدأ في المجاهرة بصليب المسيح، حينئذ تحلُّ عليك قوة العليّ، لأن صليب المسيح هو مصدر القوة والحياة.

الروح القدس يقف رهن إشارة شهوة القلب، لشركة الآلام والأنين مع المسيح، لخلاص الآخرين، لأننا بها نقف أمام الآب بدالة: «إن **عُيِّرتم** باسم المسيح، فطوبى لكم، لأن **روح المجد والله يحلُّ عليكم**.» (١بط ٤: ١٤)

الروح القدس يتحسس مقدار استعدادنا، ثم مقدار قبولنا، ثم مقدار فرحنا بالصليب وبالآلام، وحينئذ ينسكب بفيض وغِنَى.

ثم يستحيل أن يرتوي إنسان بحب المسيح، ولا تنفجر أحشاؤه بمواهب الروح القدس، لخدمة المسيح!! فالله لا يُعطي بالشح. أليس هو

الذي قال على لسان بولس الرسول: «مَن يزرع بالشُّح فبالشُّح أيضاً يحصد» (٢كو ٩: ٦). فكم بالحري وهو قد زرع بغِنَى في يوم الخمسين وبفيض مذهل، ألاَ يُكمل زراعته على مدى الأيام والسنين بفيض مواهبه وبركاته؟

ألاَ تعلمون أن الرب غني، وهذه إحدى صفات المسيح الهامة جداً التي يجب أن نتعرف عليها، فإذا أُعطى الروح القدس فهو يُعطي بلا كيل (يو ٣: ٣٤). يقول الرب: «فمَن منكم، وهو أبٌ، يسأله ابنه خبزاً، أفيُعطيه حجراً؟ أو سمكةً، أفيُعطيه حيَّة بدل السمكة؟ أو إذا سأله بيضة، أفيُعطيه عقرباً؟ فإن كنتم وأنتم أشرارٌ تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيدة، فكم بالحري **الآب الذي من السماء، يُعطي الروح القدس للذين يسألونه؟**» (لو ١١: ١١-١٣)

المقارنة هنا تهدف نحو دعوة صارخة للصلاة في طلب الروح القدس، ولكن ليس مطلوباً من الابن في هذا المثل أن يطلب بلجاجة أو بإلحاح، ذلك لأنه ابن. إنما اللجاجة تُطلب ــ في مَثَل الكنعانية ــ من العبيد: «ليس حسناً أن يؤخذ خبز البنين ويُطرح للكلاب» (مت ١٥: ٢٦). أما الابن فيطلب بدالة!!

المسيح يريد أن يُصوِّر لنا أن مجرد طلب الروح القدس بدالة الابن لدى الآب لابد أن يُستجاب، لأن أولاد الله لا يمكن أن يعيشوا بدون الروح القدس، كما لا يمكن للبنين أن يعيشوا بدون طعام!!

العذراء قالت (للملاك): «ليكن لي كقولك»، فتمَّ كل شيء! هذا تنبيه لإيماننا أن نكون على مستوى الدعوة للأخذ المباشر. فالله مستعد أن

يعطي، ولكنه يريد قلباً يقول: آمين ــ ليكن لي كوعدك ــ فالكتاب يقول: «أسكب من روحي على كل بشر» (أع ٢: ١٧، يؤ ٢: ٢٨). لذلك أصبح لزاماً علينا من جهة الإيمان أن نثق أنَّ لنا طلباتنا التي نطلبها من الله، فنحن نأخذ الروح القدس لأننا نطلبه من الله لنحيا ونشهد به للمسيح.

ولكن الله لا يستأمن إنساناً لم يعزم، عزم القلب، على أن لا يهين الروح القدس بكبرياء أو عداوة أو نجاسة، فقد نأخذ الروح في المعمودية ثم نفضحه في الشوارع! لا يليق، يا إخوتي، أن نأخذ الروح القدس ولا نعيش بوداعة المسيح وصبره. أليست العذراء مريم هنا مثالاً حياً لِمَن ينال الروح القدس في القداسة وطهارة السيرة!

ولكن عمل الروح لابد أن ينخس قلبي، أولاً، ويقنعني بخطيتي، حتى أرى الدم ضرورياً لخلاصي.

عمل الفداء أكمله المسيح بدمه، بصفة عامة ومجاناً، لكل البشرية. ولكن ليس لأحد حق في هذا الدم إلاَّ الذي قَبِلَ الختم أولاً، ثم انفتح قلبه للروح القدس، وقَبِلَ سكناه بعهدٍ أبدي، وخضع لكل مطالب الروح في القلب والفكر.

الروح القدس ينقل لنا عمل الفداء وعمل التبرير مجاناً، لأن بيننا وبين الفداء هوَّة، لا يستطيع أحد أن يَعْبُرها، وحتى إن أدركها عقلنا فلا يستطيع أحد أن يجعلها تسري في حياتنا. قد تسمعون وتدرسون كثيراً عن لاهوت الفداء ولاهوت التبرير، ولكن مع هذا لا تستطيعون أن تأخذوا عمل الفداء وعمل التبرير في حياتكم، إلاَّ بفعل الروح القدس!

فالروح القدس ينقل لنا الفداء كفعل حي، والتبرير كقوة مُحرِّكة، والصليب كمجد وتمليل، والموت في القبر كحياة، والقيامة كملكوت، ينقل كل هذا بإقناع ويُسلِّمه لنا بسلطان.

نحن مدعوون أن نأخذ سرَّ المسيح، حينما يحوِّل الروح القدس كل ما عمله المسيح في نفسه، بمسرة الآب، ليجعله عملاً في نفوسنا للبهجة.

يا ليت كل أسرار الصليب ينقلها إلينا الروح القدس، مع وداعة المسيح المصلوب، الذي وهو في عمق الألم ينادي الآب: «يا أبتاه اغفر لهم» (لو ٢٣: ٣٤)، حتى يصير صليبي بركة لكل نفس، وليس لعنة، حتى للصالبين!

هكذا تماماً ينبغي أن تصير آلامنا، حينما يُخيِّم عليها سر الصليب، مشفوعة بنفس الصلاة! نعم، اجعل يا رب آلامنا وذُلَّنا واضطهادنا، بركة وخلاصاً لكل مَن ظَلَمَنا، ولكل مَن اضطهدَنا، ولكل مَن أساء إلينا، أو كان سبباً في آلامنا، حتى تصير حياتنا بركة لجميع الناس، لا يشوبها لعنة لإنسانٍ قط!

هذه هي صورة المسيح، يطبعها الروح القدس على قلوبنا، بعمله الوديع الهادئ، وبسرٍّ لا يُنطق به، فتصير النفس مع عريسها السمائي روحاً واحداً!!

نعم، يستطيع الروح أن يقنعنا بذلك، حينما نكون كالجواد الجامح الذي لم يمسه السوط بعد، عندما يسوق علينا الضيقات والآلام المتنوعة، ليُخضعنا لصورة المسيح بقيادته المُبدعة، فيتمرَّس الإنسان بفنون الصليب، ويستنشق ريح الاضطهاد من بعيد، فيستعد لها بالصلاة والحب وإحناء

الظهر؛ ليس بكبرياء الهارب من مجد الصليب يقف أمام مضطهديه، ولا بالمنطق والتهديد والعنف يقارع صالبيه، فيدوس الجلجثة بكبريائه ويجحد الصليب بكرامته، فتفلت منه قوته. لأن قوة الصليب لا يمكن أن تبلغ مداها في القلب، إلاَّ عندما يهتف الإنسان عن صدق ويقين: «في يديك أستودع روحي» (لو ٢٣: ٤٦) حتى إلى الموت!!!

لابد لمَن أراد أن يشهد للمسيح بالروح، أن يضع في نفسه، كل لحظة، حَكم الموت!

لأنه مَن استطاع أن يغلب هذا العالم، إلاَّ الذي مات عن هذا العالم، واستعدَّ أن يموت كل يوم لأي سبب، وبأي يد، وفي أي وقت؟ مثل هذا تكون شهادته نارية، وحياته نارية، وصلاته نارية؛ بل وموته أيضاً يكون نارياً، كإيليا. مثل هذا تكون كلماته قادرة أن تُغيِّر، وتجدِّد النفوس الشاردة والماردة، لأنها بالروح القدس تكون منطوقة، ولمجد الله وحده.

وفي كلمة أخيرة، أُنبِّه ذهنكم لماَ يقوله المسيح: «يجري من **بطنه** أنهار ماء حي» (يو ٧: ٣٨). لم يَقُل: "من فمه"، لأن «من فضلة القلب يتكلَّم الفم» (مت ١٢: ٣٤). إن الرب بهذا القول يريد أن يتجاوز الظن بأنَّ عمل الروح القدس يقتصر على كلمة الكرازة فقط.

الرب بقوله إن من البطن تخرج أنهار ماء حي، إنما يشير إلى الكنيسة المخصبة بالروح، يشير إلى المواهب المتعدِّدة الأنواع، التي لا يمكن حصرها أو تقييدها. فثق، أيها السامع والقارئ، أنه بقدر ما استؤمنتَ على عطية الروح القدس، بقدر ما يتألم المسيح في حياتك، بل يتمجد، إن قبلتَ أنت أن تكون شريكاً في هذا وفي ذاك. وعندما تخرج من

بطنك أنهار ماء حي، لن تعود تستطيع أن تضبطها أنت أو توجِّهها، لأن الروح القدس يختار مسارها ويُحدِّد أهدافها؛ أما أنت فيكفيك أن تهتف دائماً: «ثابت (مستعد) قلبي يا الله، ثابت (مستعد) قلبي.» (مز ٥٧: ٧)

إن عمل الروح القدس يتم قليلاً قليلاً، وهذا يكون في التغيير وبدء التوبة؛ أما إذا تم التغيير وصَلُحَ الإناء، فعمل الروح يندفق كنهر، كوعد الآب، وأنهار الله تجري من عرش الله ملآنة بأسرار الحياة.

ولكن الشاربين قليلون، لأن الكثيرين اختاروا تعزيات هذا الدهر، واشتهوا بالأكثر أن يرتووا من كرامات الدنيا، وقد بنوا قصورهم وآمالهم على شواطئ نهر الذهب.



صلاة

يا روح الله، يا مَن حللت على العذراء يوماً مع قوة العلي، فكانت بُشرى الخلاص لكل بني الإنسان،

ويا مَن نزلت مستقراً على المسيح في الأردن، فكان سر ميلاد البشرية كلها مجدداً من السماء،

ويا مَن أقمت يسوع من بين الأموات، بأمر الآب، ليُعلن جهاراً سرَّ الحياة الأبدية التي فيه، لبدء دخول أزمنة ملكوت الله،

ويا مَن نزلت، باستقرار على التلاميذ يوم الخمسين كنار، فاضطرمت مواهب الروح للشهادة للمسيح في كل الأرض، ولن تنحصر حتى مجيئه؛

حِلَّ في كنيستك مع قوة من الأعالي، واستقر فيها وأقمها،

واضرم مواهبك فيها للشهادة، حتى تصير الأزمنة الأخيرة كأمجاد الأزمنة الأولى،

ليهتم كل إنسان بخلاصه، ويكون الجميع باستعداد لمجيء الآتي. آمين.



الروح القدس والرهبنة

حياة أنطونيوس امتداد لشعلة يوم الخمسين

يناير ١٩٦٨

الروح القدس والرهبنة

حياة القديس أنطونيوس امتداد لشعلة يوم الخمسين[1]

✞•✞•✞

[ذلك الروح الناري العظيم الذي قَبِلْتُه أنا، اقبلوه أنتم أيضاً. وإذا أردتم أن تقبلوه ويسكن فيكم، قدِّموا أولاً أتعاب الجسد، وتواضع القلب، وارفعوا أفكاركم إلى السماء، في الليل والنهار، واطلبوا باستقامة قلب هذا الروح الناري، وحينئذ يُعطَى لكم...

ولا تفكِّروا في قلوبكم وتكونوا ذوي قلبين، وتقولوا: مَن يقدر أن يقبل هذا؟ لا، يا أولادي، لا تَدَعوا هذه الأفكار تأتي على قلوبكم، بل اطلبوا باستقامة قلب، وأنتم تقبلونه، وأنا أبوكم أجتهد معكم، وأطلب لأجلكم، أن تقبلوه، لأني عارفٌ أنكم كاملون وقادرون على قبوله، لأن كل مَن يُفلِّح ذاته بهذه الفلاحة (النسك الإنجيلي)، فإن الروح يُعطَى له، في كل جيل وإلى الأبد...

أديموا الطلبة باجتهاد، من كل قلوبكم، فإنه يُعطَى لكم، لأن ذلك الروح يسكن في القلوب المستقيمة. وإذا قبلتموه، فإنه يكشف لكم الأسرار العلوية، وأموراً أخرى لا أستطيع أن أُعبِّر عنها، ويكون لكم فرح سماوي ليلاً ونهاراً، وتكونون في هذا الجسد كمَن هو في الملكوت، ولا تعودون تطلبون عن أنفسكم فقط، بل وعن الآخرين، لأن كل مَن قَبِلَ هذا الروح، يستطيع أن يطلب عن الغير... وأنا طلبتي الآن من أجلكم ليلاً ونهاراً، ليكون فيكم هذا الروح العظيم الذي قَبِلَه جميع الأطهار.] (الرسالة الثامنة)

+ «كانوا يواظبون بنفس واحدة على الصلاة والطلبة.» (أع ١: ١٤)

---

(١) نص كلمة كُتبت في يناير عام ١٩٦٨م.

حادثان عظيمان في حياة الكنيسة

الأول: حلول الروح القدس يوم الخمسين على جماعة التلاميذ المنتظرين له، حسب وعد المسيح والآب.

الثاني: بداية الحياة الرهبانية في الكنيسة.

ولأول وهلة يبدو أنه لا علاقة كبيرة بينهما. ولكن لو رجعنا إلى العناصر والأسباب والنتائج التي لازمت كلاً منهما، نستطيع أن نستشف علاقة وثيقة بينهما. أما إذا تحققنا هذه العلاقة تماماً، فإنه يمكننا أن نربط بين الحادثين، ربطاً مُحكماً، لنرى فيهما حادثاً واحداً مستمراً.

أولاً: فحلول الروح القدس يوم الخمسين كان البداية التي قامت على أساسها قوة الشهادة للمسيح، من اليهودية إلى أقصى الأرض:

أما التأثير المباشر على المؤمنين فظهر على صورة تحوُّل جارف نحو تكوين حياة جماعية مشتركة للمؤمنين، على حساب تذويب الأسرة في الكنيسة، فجرت عمليات تنازُل علنية عن الممتلكات لرؤساء الجماعة، أي الرسل، وبجانبها تمَّت عمليات بيع للمخصَّصات الفردية وتسليم أثمانها؛ وترتَّب على ذلك ــ أو ربما كان هذا هو الدافع ــ تكريس الحياة كلها لخدمة الكنيسة، في الداخل والخارج. وبهذا تشكَّلت صورة الكنيسة الأولى: جماعة مكرَّسين فقراء باختيارهم، يعيشون حياة شركة.

فلو تأملنا في هذا الذي تمَّ، لانذهلنا! كيف أمكن لهؤلاء اليهود المحبين جداً للمال والملكية، مع حبهم الشديد للتجارة والمكسب والرصيد، أن

يتنازلوا ويبيعوا، ويُسلِّموا كل ما لهم ويضعوه تحت أرجل الرسل، وفي لحظة يصيرون فقراءَ مُعدمين!؟

✞ كذلك لو تأملنا في تسليمهم لكيان الأسرة، لتذوب روابطها اليهودية، من جهة الأسباط وحفظ الأنساب وسلطان الأب وميراث البكر، لتدخل ضمن كيان الكنيسة تحت أُبوَّة جديدة ونسب جديد روحي يصير فيه الكل إخوة ويتحوَّل الميراث الأرضي والتخوم الأبوية إلى رجاء بغير المنظور؛ لو تأملنا في هذا كله، لتيقَّنا أنها قوة فائقة للطبيعة البشرية، تلك التي أرسلها المسيح بعد صعوده بعشرة أيام، في شخص الروح القدس: «... تنالون قوة متى حلَّ الروح القدس عليكم.» (أع ١: ٨)

ماذا فعلت هذه القوة في الطبيعة البشرية؟

✞ وينبغي الآن أن نتبيَّن أن هذه القوة الروحية الجديدة التي تقبَّلها المؤمنون، كان أول عمل لها **تحويلاً جذرياً في الطبيعة البشرية**، في علاقتها بالمال والأسرة والكيان الاجتماعي بالنسبة للعمل الدنيوي. وأيَّة طبيعة؟ الطبيعة اليهودية العنيدة التي أخفقت كل وسائل الله في تهذيبها روحياً، سواء بالمحبة والعطف والحماية، مع فيض الخيرات الأرضية، أو بالمعجزات العيانية، أو بالقسوة والعنف والسبي والبهدلة؛ كل هذا لم يستطع أن ينتقل بالطبع اليهودي درجة واحدة ناحية السلوك الخالص.

هذا الطبع أُخضِع للروح القدس في لحظة، وصار مَثَلاً مُذهلاً للتجرُّد والإماتة والزهد وتكريس الجسد والقلب والفكر لله.

الحياة الأولى في الكنيسة من فعل الروح القدس:

ولكن الذي نودُّ أن نتأمله جيداً هو شكل الكنيسة الأولى: إن هذا الذي حدث في يوم الخمسين وبعده كان استجابة حُرَّة مطلقة لفعل الروح القدس في القلب. الكنيسة بدأت شكلها بدون أي تنظيم أو تخطيط. الروح القدس كان يعمل أولاً في كل قلب، وكل مَن يتقبَّل عمل الروح، يذهب ويبيع كل شيء، حتى نفسه، ويأتي لينضم إلى الكنيسة. كان مفهوم العضوية في الكنيسة الأولى، أن يبيع الإنسان ممتلكاته وخصوصياته وأسرته أيضاً، لأنه إذا امتنع الأب أو الأُم أو الأخ أو الأخت أو الابن أو الابنة أن يقبل هذا الإيمان، فكان على الإنسان أن يتركهم ويترك **كل شيء**، ويأتي إلى الكنيسة بمفرده. الكنيسة هنا صارت بمثابة المسيح نفسه: «... ها نحن قد تركنا **كل شيء** وتبعناك» (مت ١٩: ٢٧)، لأن الروح القدس كان متركِّزاً بصورة سرِّية في وسط الجماعة.

كانت هذه الحركة الأولى التي باشرها الروح القدس بنفسه في قلب المؤمنين البسطاء، طبق الأصل من الحركة التي صنعها الرب يسوع في قلوب تلاميذه: هجرة كاملة للعالم، وترك كل شيء، والمسير وراء الله.

وهي صورة لِمَا سيكون في آخر الأيام:

غير أن الكنيسة لم تستطع أن تحتفظ بهذا الوضع الاجتماعي الاقتصادي الجديد. أما هذا الذي حدث أولاً، بتلقائية الروح والاستجابة له، فكان صورة فقط لمَا سيكون في آخر الأيام، كعيِّنة مُفرحة للملكوت العتيد أن يعيش فيه الإنسان، بالتجرُّد الكامل، تحت حُكم الله وتدبيره المطلق.

❖ ❖ ❖

ثانياً: الاستجابة لعمل الروح القدس ظهرت في حركة الاستشهاد:

ولكن، كان عزيـــزاً على الروح القدس أن تفقد الكنيسة صورتها الملكوتية هذه، وأن تضيع من قلب الإنسان هذه الاستجابة الحُرَّة لـــدعوة الملكـــوت بالتجرُّد الكامل وهجر العالم هُجراناً كليًّا، لأن هذه الصورة بحدِّ ذاتها تُعتبر من صميم عمل الروح القدس، وشهادةً للرب يسوع، وتحقيقاً متواصلاً للإنجيل. لذلك ظلَّ الروح يعمل في القلوب لتحقيق هذه الاستجابة نحو التجرُّد الكامل والإماتة الكلِّية وهُجران العالم، وإنما بصورة فردية وليست جماعية، على أنها لم تكن أقل قوة أو شهادة من الحركة الجماعيـــة الأولى. فظهـــرت حـــالات الاستشهاد الرائعة التي عبَّرت أقوى تعبير عن استمرار قوة الـــروح القـــدس المنسكب في قلوب المؤمنين، وأفصحت عن قدرة التجرُّد والإماتة الكاملة في قلب الكنيسة في أعلى حدودها، كاستجابة واضحة لدعوة ترك كل شـــيء وغلبة العالم بالإيمان بغير المنظور.

❖ ❖ ❖

ثالثاً: الاستجابة الجديدة لعمل الروح القدس ظهرت في قيام الرهبنة:

ولم تنتهِ حالات الاستشهاد، حتى بدأت استجابة جديـــدة لـــدعوة الروح القدس عينها بصورة أخرى، تكاد تكون طبـــق الأصـــل مـــن الاستشهاد، إنما كممارسة يومية، وعلى مدى الحياة!! هذه الدعوة هي **الرهبنة** التي لا تزيد عن كونها ترك كل شيء، وحمل الصليب **كل يـــوم**. هذا إذا حاولنا أن نمجِّد الدعوة الرهبانية. ولكن لو أنـــصفنا، لرأيناهـــا استجابة، مجرد استجابة، لحرارة الإيمان البسيط الهادئ التي يُزكِّيها الروح القدس بلهبه السري، فيترك الإنسان كل شيء وينطلق وحيداً، ليُحقِّـــق

إيمانه ورجاءه وحبه مع الله.

وقد رأينا أن الإيمان الأول في الكنيسة بدأ بهذه الصورة عينها: تَـرْك كل شيء، وبيع كل شيء، وهُجران كل شيء، حتى كل أفراد الأسرة؛ وذلك للانضمام إلى الكنيسة والتكريس لحسابها، أو على الأصح للسير وراء الله. ورأينا الاستشهاد أيضاً هكذا، إنما بصورة خاطفة.

الرهبنة امتدادٌ لحياة الرسل الأولى:

الرهبنة، إذن، امتداد للإيمان الأول بدون تعديل، فنحن نقرأ في سيرة القديس أنطونيوس هذا المعنى تماماً:

[وفي ذات يوم، ناجى أنطونيوس نفسه وهو ذاهبٌ إلى بيت الرب: كيف أن الرسل تركوا كل شيء وتبعوا المخلّص! وكيف يذكر سفر الأعمال عن الذين باعوا ممتلكاتهم وأتوا بأثمانها ووضعوها عند أرجل الرسل]!!

فاللهب الذي اشتعل في قلب أنبا أنطونيوس، كان امتداداً للّهب الكامن في قلب الكنيسة، الذي اشتعل فيها يوم الخمسين. فالرهبنة، أصلاً، فعلٌ غير منطفئ للروح القدس، بدأ يوم الخمسين بهُجران العالم؛ فكوَّن الكنيسة الأولى، وتأجَّج في أزمنة الاستشهاد فشرح قوة إيمانها، ثم استقر في الحياة الرهبانية يُعزِّي قلب الكنيسة بحرارة الإيمان الأصيل، القائم على التجرُّد والهجران الكلِّي للعالم، فصارت الرهبنة كنبضات من الروح القدس آتية إليها من خلف العالم، من البراري والقفار، لتُنعشها إلى مدى الأيام.

الآيات والمعجزات كانت محور الشهادة للمسيح (عصر الرسل):

لما حلَّ الروح القدس يوم الخمسين، دخلت الكنيسة في حالة نشاط روحي بلغ الدرجة القصوى من الملء، في كل موهبة إلهية، بقدر ما تحمَّلت الطبيعة البشرية، وبقدر ما استجابت لدفقات الروح وإلهاماته واستناراته؛ فكان كبداية لحمل رسالة البشارة والشهادة للرب يسوع إلى أقصى الأرض.

وكان محور الشهادة علامات ومعجزات وآيات تتبع المؤمنين، فائقة على الطبع البشري، كقوة مُضافة على الإنسان تشهد لنفسها وتشهد لمنبعها وأصلها:

+ «أيها الرجال الإسرائيليون، ما بالكم تتعجَّبون من هذا، ولماذا تشخصون إلينا، كأننا بقوتنا أو تقوانا قد جعلنا هذا يمشي؟ إن إله إبراهيم وإسحق ويعقوب، إله آبائنا، مجَّد فتاه يسوع... وبالإيمان باسمه، شدَّد اسمه هذا الذي تنظرونه وتعرفونه، والإيمان الذي بواسطته أعطاه هذه الصحة أمام جميعكم.» (أع ٣: ١٢-١٦)

ثم صارت البشارة بالإنجيل تتم في صورة مؤمن شهيد:

وهكذا ظلت الآيات والمعجزات محور الشهادة والتبشير، إلى أن حلَّ عصر الاستشهاد **وبدأت البشارة بالإنجيل والشهادة ليسوع المسيح تظهر بدون معجزة، كقوة أعلى من المعجزة، أعلى من روابط الأسرة، أعلى من محبة العالم وتهديده**، أعلى من الطبيعة البشرية والتزاماتها وخوفها من الموت، وأعلى من كل الحياة التي على الأرض. فكان منظر إنسان مؤمن حديث الإيمان يستشهد علناً تحت أقسى أنواع التعذيب والموت، باسم

يسوع، ومن أجل يسوع؛ هو أوضح تعبير عن معنى الإيمان بالمسيح وقوته، إذ كان بحد ذاته كفيلاً بأن يجعل الواقفين يؤمنون بالرب يسوع، بل إن الوالي نفسه والمعذّبين كانوا كثيراً ما يرتعبون ويؤمنون. وهل يمكن لأي إنسان أن يتمالك نفسه إزاء منظر الأُم "دولاجي" وهي تُقدِّم أولادها السبعة الصغار للذبح، وتشجِّعهم على الاستشهاد، ثم تُقدِّم نفسها للسيف بعدهم حبًّا في المسيح؟!

الفرق بين الكرازة بالمعجزة والكرازة بالاستشهاد:

وهكذا فالاستشهاد برز كمحور آخر دارت عليه البشارة بالإنجيل، والشهادة للرب يسوع. لم تكن هذه القوة معجزة في حد ذاتها، لأنها لا تبدو منفصلة عن طبيعة الإنسان، كالمعجزة. فشفاء الأعرج وإقامة "طابيثا" من الموت مثلاً لم تكن قوة طبيعية في بطرس الرسول، ولكن كانت قوة آتية من خارجه، استحضرها القديس بطرس بالدعاء والتوسُّل والإيمان. أما الاستشهاد فهو قوة تعادل المعجزة تماماً، ولكنه قوة متحدة بطبيعة الإنسان. والإنسان الشهيد يتقبَّل نفس قوة المعجزة، إنما في طبيعته لتكون قوة حاضرة فيه يشهد بها للحياة الأخرى، لا ليشفي بها مرض الآخرين بل عدم إيمانهم. هنا الشهيد يتقبَّل من الروح القدس قوة ومعجزة يُعلنها في نفسه كأنها صارت له ومنه، يُميت بها ذاته ليُحيي بها الآخرين، يوازِن بها ــ أمام نفسه، وأمام الله، وأمام الحاضرين ــ بين أفضلية الموت للمسيح وبين الحياة بدون المسيح، شاهداً بهذا أنَّ: «لي الحياة هي المسيح، والموت هو ربح.» (في ١: ٢١)

الشهيد، بقوة شهادته، يُعلن عن إيمان تغلغل فيه، وعن قوة إلهية حيَّة

اتحدت بطبيعته. هذه القوة تستعلن قيمتها عند سفك الدم، عندما يسقط الجسد على الأرض؛ فتتجسَّم الشهادة، وتتحـدَّد، وتُعلَـن، وتُـضاف لحساب الإنجيل، كقوة حياة إلهية متحدة بالطبيعة البشرية، يدفعها الموت بالصدق، كشهادة لا تكذب، وكأساس تنمو عليه الكنيسة وترتفع.

فإن كانت المعجزات والآيات في العصر الأول تُعتبر إنجيلاً مقروءاً من فوق الطبيعة البشرية، وبواسطتها؛ فالاستشهاد في العصر الذي يليه صار إنجيلاً مقروءاً في صميم الطبيعة البشرية، كفعل إلهي بشري فوق الطبيعة ومتحد بها.

❖❖❖

إذن، فالتدرج في الشهادة للمسيح والإنجيل والحياة الأبدية، سـار في العالم بدقة مُدهشة:

أولاً: بقوة المعجزة كإقامة الميت حيًّا، لإظهار قوة الله في حد ذاتهـا، منفردة، كقوة أعلى من الموت وأعلى من الطبيعة البشرية.

ثم ثانياً: بقوة الاستشهاد، أي قبول الموت عن فرح وسرور، بـسبب قبول قوة الحياة الأبدية الفاعلة في الطبيعة البشرية، كقـوة تـستطيع أن ترفع الطبيعة البشرية فوق ذاتها في لحظة واحدة، بإيمان منقطع الـنظير، كقوة تتوازن مع الموت ثم تقهره بشجاعة.

أما **ثالثاً: فهنا تنفتح الشهادة على المجال الرهباني**، الذي يأتي في الدرجة الثالثة، للشهادة للمسيح والإنجيل والحياة الأبدية ضد العـالم، وذلـك **بقبول قوة من الله، بفعل الروح القدس للخـروج مـن العـالم شـكلاً وموضوعاً**. أما شكلاً، فهذا معروف؛ وأما موضوعاً، فـذلك بتحويـل

الطبيعة البشرية من الوضع الطبيعي ـــ الميت بالخطية ـــ إلى الوضع فوق الطبيعي ـــ الحي بالنعمة ـــ يوماً بيوم، ثم البقاء في هذا الوضع الفائق على الدوام ذبيحة حية، وشهادة أبدية للقوة الإلهية، التي استقبلها الإنسان في صميم طبيعته.

الحياة الرهبانية تتضمن القوتين معاً: المعجزة والاستشهاد:

فالحياة الرهبانية تشمل الفعلين السابقين للروح القدس: فعل المعجزة بإقامة الميت حيًّا، وفعل الاستشهاد الذي يرفع الطبيعة البشرية فوق ذاتها، ثم يزيد عليهما الروح القدس استمرار قيام الإنسان في حالة التحوُّل من الموت إلى الحياة كل يوم، مع بقاء تمسُّكه بالوضع الفائق للطبيعة.

فالراهب إنسان مسيحي قد مات، ولكنه قام ليعيش، شاهداً كل أيام حياته للقيامة الحقيقية.

وهو مُستقبِل في طبيعته الميتة فعلاً حيًّا فائقاً لطبيعته، الذي هو نسمة الحياة الأبدية. لذلك هو يستشهد كل يوم بفرح:

[وحينما كفَّ الاضطهاد، بعد أن تقبَّل بطرس خاتم الشهداء إكليله، غادر أنطونيوس الإسكندرية وعاد راجعاً إلى وحدته، حيث قدَّم نفسه كل يوم شهيداً إزاء ضميره، محارباً في معارك الإيمان الخفية، إذ كان يمارس النسك بغيرة فائقة.][٢]

والراهب بذلك لا يمثِّل إلاَّ صورة أصيلة للإيمان الأول، كفعل حي للروح القدس، الذي بدأ يوم الخمسين كالنار، ثم عَبْرَ عصور الشهداء

(2) J. Quasten, *Patrology,* III, Ch. 47.

فتخضَّب بالدم، ثم استقر خلف العالم يوازنه ويشهد ضده.

❖ ❖ ❖

الرهبنة، إذن، هي آخر مرحلة من مراحل الشهادة للإيمان المسيحي الحار الملتهب، الذي استقر في الكنيسة بفعل الروح القدس. ليست الرهبنة إيماناً مسيحياً خاصاً، ولا درجة من درجات الكمال في الإيمان، وإنما هي صورة حيَّة للشهادة للإيمان المسيحي، تمثِّل أو تُعيد إلى الذهن بدء الانفعال للإيمان، لمَّا حلَّ الروح القدس يوم الخمسين، حينما ترك كل إنسان كل ما له وأهله وبيته وانضم للرسل كوصية الرب أصلاً. وهي تمثِّل أيضاً، أو تُعيد إلى الذهن، الانفعال الإيماني للاستشهاد، حينما استلزمت الشهادة للمسيح حمل الصليب والموت علناً!

فالرهبنة حياة شهادة لإيمان حار، كصورة صادقة لإيمان الكنيسة الأولى وحياتها، فهي نموذج للحياة المسيحية الأصيلة، حسب الوصية تماماً، ليست نموذجاً أعلى وإنما نموذجاً صادقاً.

لذلك حينما نتكلَّم عن الرهبنة، فنحن نتكلَّم عن الحياة المسيحية الصادقة، وحينما نتكلَّم عن المسيحية الصادقة نتكلَّم عن الرهبنة، كنموذج لها، حي وموجود!!



الروح القدس والاستشهاد

يوليو ١٩٧٣م

الروح القدس والاستشهاد[1]

اليوم تعيِّد الكنيسة لتذكار شهادة القديسَيْن بطرس وبولس.
هذه الشهادة هي ثمرة مباشرة لحلول الروح القدس يوم الخمسين.

تذكرون قول الرب الذي سجَّله لنا لوقا الإنجيلي في سفر الأعمال:
+ «لكنكم ستنالون **قوة** متى **حلَّ** الروح القدس عليكم، **وتكونون لي شهوداً في أورشليم** وفي كل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض.» (أع ١: ٨)

إذن، هذا العيد أو هذه الشهادة التي ختمها الرسولان بطرس وبولس بالدم، هي تحقيقٌ مباشر لوعد الرب، وبرهانٌ لعمل الروح القدس.

معروف أنه يستحيل على أي إنسان أن يقول ــ مجرد قول ــ إن المسيح رب إلاَّ بالروح القدس، فكم بالحري تتطلب الشهادة للمسيح باستعداد سفك الدم؟ يلزمنا هنا أن نتأمل طويلاً في معنى الاستشهاد.

معنى الاستشهاد:

قد يبدو الاستشهاد بسفك الدم على اسم المسيح عملاً من أعمال الشجاعة أو البطولة أو مجرد قوة إيمان، ولكنه في الحقيقة عمل من أعمال الروح القدس المباشرة التي يطبعها في الإنسان على أساس أنه ينقل

---

(١) نص الكلمة التي أُلقيت بكنيسة القديس العظيم أنبا مقار الكبير بديره العامر ببرية شيهيت، يوم عيد آبائنا الرسل الأطهار الموافق ١٢ يوليو ١٩٧٣م / ٥ أبيب ١٦٨٩ش.

للإنسان الذي يؤمن بالمسيح صفة من صفات المسيح التي هي "وَضْع الذات" أو بذلها للموت: «لي سلطان أن أضعها» (يو ١٠: ١٨). فالمسيح وَضَع ذاته وأطاع الآب حتى الموت، موت الصليب (في ٢: ٨).

دور الروح القدس في الاستشهاد:

وظيفة الروح القدس الأساسية فينا هي أن ينقل لنا كل ما للمسيح، وضمناً هذا السلطان عينه أي سلطان المسيح على ذاته: «لي سلطان أن أضعها». فكما وَضَعَ المسيح ذاته على الصليب وأطاع الآب حتى الموت، وبذلك أصبح موت المسيح هو بحدِّ ذاته طاعة للآب، وبالتالي صورة وشهادة لتمجيد الآب؛ هكذا تماماً ينقل لنا الروح القدس هذه الصفة الأساسية التي كانت للمسيح، وهي سلطان وَضْع الذات وبذلها للموت طاعة وشهادة لمجد المسيح والآب.

والمسيح لما وضع ذاته وأسلم نفسه للموت طاعة للآب، لم يكن مطلب بالصليب مجد نفسه بل مجد الآب، لأن الصليب بحد ذاته إخلاء وفضيحة ومهانة، بل ولعنة في أشد حالاتها.

مثال إخلاء المسيح ذاته:

ولكن الذي ينبغي أن ننتبه إليه جيداً هو أن وضع الذات وبذلها بالصليب، لم يأتِ فجأة في حياة المسيح، فقَبْل إخلاء الذات من الكرامة البشرية وقبول فضيحة الصليب سبق أن أخلى المسيح ذاته من مجد الألوهة عندما قَبِلَ أن يتجسَّد في صورة إنسان كعبد من عبيد الله!

إذن، الإخلاء تمَّ على مستويين في المسيح:

الأول: سرِّي داخلي وخاص جداً على مستوى الله.

الثاني: علني وعمومي وعلى مستوى الناس بالصليب.

هكذا تماماً في موهبة الاستشهاد العلني بالنسبة لنا، لا يمكن أن نتهيَّأ لها فجأة وبدون مسبقات، بل يلزم بالضرورة أن يكون الروح القدس قد جاز بالإنسان إخلاءً سريًّا داخلياً في أعماق الحياة مع الله، إخلاءً يبلغ فيه الإنسان أولاً إلى رفض كل مجد وكرامة تكون من اختصاص الإلهيات والمقدسات التي نسميها اليوم كرامة الكهنوت أو القديسين، حيث يعيش المؤمن بإحساس العبد المرفوض والمتألِّم أي نفس الإحساس الذي عاشه المسيح:

+ «هوذا عبدي يعقل، يتعالى ويرتقي ويتسامى جداً، كما اندهش منك كثيرون. كان منظره كذا مُفْسَداً أكثر من الرجل، وصورته أكثر من بني آدم... لا صورة له ولا جمال فننظر إليه، ولا منظر فنشتهيه. محتقر ومخذول من الناس، رجل أوجاع ومُختَبر الحزن، وكمُستَّر عنه وجوهنا ("يخفون وجوههم عنه")، محتقر فلم نعتدَّ به... ونحن حسبناه مُصاباً مضروباً من الله ومذلولاً!... ظُلِمَ أما هو فتذلَّل ولم يفتح فاه.» (إش ٥٢: ١٣، ١٤؛ ٥٣: ٢، ٣، ٤، ٧)

هنا، وعلى هذه الحال من الرفض والمهانة، وبهذا الإخلاء الداخلي أمام الله وكما من الله، يمكن أن يأتي إخلاء الذات على الصليب، ويحتمل الإنسان عار الموت العلني وفضيحة التعذيب حتى الموت حيث الشهادةُ الداخلية تُغذّي الشهادةَ الخارجية.

ولكن الصليب لا يمكن أن يتركّب على كرامة. الشهادة للمسيح من خلال الفضيحة والتعذيب وسفك الدم يستحيل أن يقبلها إنسان متمسِّك بذاته وكرامته.

سرُّ احتمال الصليب وقبوله بفرح، يكمن في الحياة التي تسبقه. الشهادة للمسيح بسفك الدم تتجمع قوتها وإمكانياتها من اتضاع الحياة السابقة. فموت الذات بسفك الدم يلزم أن يسبقه إنكار الذات بالخضوع لكل تأديبات الله.

عمل الروح القدس في الاستشهاد:

حينما ينقل لنا الروح القدس قوة عمل المسيح في الإخلاء، الذي هو تمهيد للصليب، ثم في إنكار الذات وبذلها حتى الموت بسفك الدم الفعلي على الصليب؛ فإنه ينقلها إلينا ويغرسها في طبيعتنا الجديدة، لا كأنها أعمال غريبة عن الروح القدس، بل هي كعمل من صميم اختصاص الروح القدس، ومناسبة أشد المناسبة لصفاته الخصوصية!! فالروح القدس يعمل فينا وهو في حالة إخلاء لذاته أيضاً، بل وإنكار لذاته على أعلى مستوى. فالمسيح يصف عمل الروح القدس لنا وفينا هكذا:

+ «**لأنه لا يتكلَّم من نفسه**، بل كل ما يسمع يتكلَّم به ... **ذاك يُمجِّدني**، لأنه **يأخذ مما لي ويُخبركم**.» (يو ١٦: ١٣، ١٤)

ويمكن تشبيه الروح القدس بالتلسكوب الذي يكشف لنا أسرار السماء ويُقنعنا بحقيقتها دون أن يكشف نفسه هو. فعندما نضع عيننا على التلسكوب، نرى السماء في الحال بكل وضوح وجمال ومجد، دون أن تقع عيننا على شيء من تركيب التلسكوب، أو يتدخل التلسكوب

في إضافة أو حذف أي شيء من حقيقة النجم الذي نرصده؛ بل ونقتنع أن عيننا هي التي ترى مباشرة كل مجد السماء، إذ لا ترى أي أثر لهذا الوسيط الذي يتوسَّط بين عيننا وبين السماء!! حيث ينحصر عمل التلسكوب في أنه يكشف مجد السماء لعين الإنسان وحسب!!

الروح القدس يعمل هكذا: يمجِّد المسيح دون أن يتمجَّد هو، لأنه يُخلي ذاته: «لا يتكلَّم من نفسه»، «ذاك يُمجِّدني، لأنه يأخذ مما لي ويُخبركم».

الروح القدس يعمل فينا من خلال إخلاء ذواتنا:

حالة الإخلاء الكلِّي التي يعمل من خلالها الروح القدس فينا، والتي هي من صميم صفاته الأقنومية، تؤثِّر فينا تأثيراً مباشراً ومُشابهاً، فتلغي إحساسنا البشري وتتجاوز منطقنا العقلي، لنرى المسيح في حقيقة ذاته الإلهية، وبالتالي تنكشف لنا آلامه الخلاصية على الصليب في صميم دوافعها الإلهية الكريمة والمجيدة، فنتحقَّق فيها من أمرين خطيرين للغاية:

الأول: حب الآب لنا في بذل ابنه.

والثاني: حب الابن للآب ولنا في طاعته حتى الموت من أجلنا!!

هذا يكشف لنا أهمية الصفة العجيبة التي هي **"الإخلاء"**: «لا يتكلَّم من نفسه. ذاك يُمجِّدني»، التي يُباشِر بها الروح القدس عمله فينا للرؤيا الإلهية الصافية، ولمعرفة الحق الإلهي الخالص لشخص يسوع المسيح والآب؛ إذ أن هذه الصفة ليست في الواقع لازمة للروح القدس في ذاته بقدر ما هي لازمة لنا في ذواتنا لإمكانية الرؤيا الصافية ومعرفة الحق الخالص من شوائب الفكر والمنطق البشري. فالإخلاء من الذات ومن

المنطق البشري والقياسات العقلية لازمٌ لنا أشد اللزوم حتى نستطيع أن نرى الإلهيات في عمل المسيح، ونُصدِّق الحق في كلمة الله، ونفهم منطق الله في الصليب، ونقبل مواهب الله الفائقة المجانية التي بلا حساب وبلا كيل، والتي حصل عليها المسيح لنا من الله الآب بدمه!

أما بدون الروح القدس فلا يمكن أن نرى المسيح إلاَّ «رجل أوجاع ومختبر الحزن... مضروباً من الله ومذلولاً»، ولا نرى الصليب إلاَّ "جهالة" و"عاراً" و"لعنةً"! لأننا نرى ذلك من خلال إحساسنا بذاتنا وخضوعنا لمنطقنا العقلي. أما بتوسُّط الروح القدس أو بالحري من خلال الملء بالروح القدس، فنحن نرى المسيح (مع استفانوس الشهيد) جالساً عن يمين الآب في السموات، كما نرى الصليب (مع بولس الرسول) قوة الله للخلاص، الذي به استُعلِن مجد المسيح والآب! أي أن الروح القدس يُعطينا أن نرى المسيح ونفهم عمله بصورة من المجد حتى على الصليب، وهذه الصورة لا يمكن أن تُرَى بالعين البشرية أو تُفهَم بالعقل البشري.

الروح القدس يكشف لنا حقيقة صليب المسيح:

ولكن تشبيهنا لعمل الروح القدس فينا بالتلسكوب، يظل بعد كل هذا تشبيهاً ناقصاً، لأن التلسكوب بالرغم من أنه يُرينا الشيء بصورة واضحة جداً ومجَّدة جداً، إلاَّ أن هذا الشيء يظل ببعده عنا كما هو، فيوهمنا أننا على بُعد خطوة من الشيء مع أننا نكون على بعد مئات الأميال. ولكن الروح القدس لا يُرينا المسيح من على بُعد، ولا يكشف لنا حقيقة الصليب كعمل آخر خارج عنا. الروح القدس ينقلنا عَبْرَ نفسه

إلى المسيح، وينقل المسيح إلينا عَبْرَ نفسه أيضاً؛ فيصير أو يحلّ المسيح في قلبنا بالروح القدس، ونصير نحن في قلب المسيح بالروح القدس أيضاً.

الروح القدس يلغي كل ما يفصلنا عن المسيح:

الروح القدس يختزل ـــ بإخلائه الفعلي لذاته وبطبيعته القدوسة ـــ المسافة الروحية مع كل الأجواء المعاكسة التي تفصلنا عن قداسة المسيح. أو على وجه أصح يلغيها تماماً بإخلائه العملي لذاته وبقوة قداسته الفائقة، فلا يعود شيء قط يفصلنا عن المسيح، ولا خطيئة ولا عجز ولا موت ولا أية قوة مُعاكسة شريرة أيًّا كانت. بل إن الروح القدس يصنع من ذاته عملاً خلْقياً جديداً فينا (خليقة جديدة من ذاته)، يجعلنا به مؤهَّلين في الحال للاتحاد بالمسيح؛ فيصير موت المسيح موتنا، وقيامته قيامتنا، وحياته حياتنا، وجلوسه عن يمين الآب جلوساً لنا، ومجده أيضاً مجدنا!! ننظر إليه فنرى أنفسنا، ونعرفه فنعرف أنفسنا، لأننا بواسطة الروح القدس نتحقق أننا "من لحمه ومن عظامه"، وأن "المسيح نفسه يحيا فينا".

الروح القدس يختزل كل حاجز يفصلنا عن المسيح، ويلغي كل ما يعوق الاتحاد، سواء كان هذا العائق زمنياً أو مكانياً أو كيانياً أو خلقياً أو نفسياً أو عقلياً من أي نوع. ففي ملء الروح القدس أرى نفسي في الحال ـــ بكل ثقة وبلا حاجة إلى أي تفكير أو برهان ـــ أني مع المسيح صُلِبتُ، ومع المسيح قمتُ، ومع المسيح أجلس في السماويات!! لا كأني أحصل على هذا ببرِّي أو بطهارة يدي أو قلبي، ولكني أحصل على كل ما حصل عليه المسيح لأجلي بتوسُّط الروح القدس الذي يلغي أي عائق

ويتجاوز أية حاجة إلى برهان أو منطق! إنها رؤيا من خلال الروح القدس مُفرحة، وواقع مُشْبِع معاً؛ هبة وحق معاً، حياة وشهادة معاً، خبر وإيمان معاً!

استشهاد الرسولَيْن فعل من أفعال الامتلاء بالروح القدس:

إذن، استشهاد الرسولَيْن بطرس وبولس في هذا اليوم المبارك، ما هو إلاَّ فعل من أفعال الامتلاء من الروح القدس، الذي أكمل فيهما عملاً من أعمال طبيعته الفائقة وهو الإخلاء لحساب مجد المسيح؟! هذا الذي جعل هذين الرسولين الكريمين يقبلان سفك الدم باعتبار أنه أعلى حالات الإخلاء أو إنكار الذات كشهادة لمجد المسيح على مستوى صليب الرب الذي بذل عليه نفسه لمجد الآب!! الروح القدس كان يشهد فيهما بإلحاح ــ منذ يوم الخمسين ــ لموت الرب المحيي، وكانا هما يشهدان أيضاً وباستمرار. لذلك جاء سفك دمهما ختماً صادقاً لشهادة الروح القدس فيهما، وشهادتهما بالروح القدس لمجد المسيح الحيّ حسب وعده!!

كيف نُعيِّد روحياً لتذكار سفك دم الرسولين بطرس وبولس:

الحقيقة أن صوم الرسل بأكمله يُعتبر عيداً متصلاً لعمل الروح القدس في الكنيسة، فهو عيد الخدمة والصلاة المتواترة من أجل إرسال الفَعَلَة إلى الحصاد، وتكريس الكهنة الذين وعد بهم الرب قديماً على لسان النبي إرميا في العهد القديم قائلاً: «وأُعطيكم رعاة حسب قلبي، فيرعونكم بالمعرفة والفهم.» (إر ٣: ١٥)

أما سفك دم القديسين بطرس وبولس على اسم المسيح في هذا اليوم،

وبعد خدمة طويلة مثمرة للغاية، فهو تمجيدٌ قدَّمته الكنيسة لشخص الرب. فكما كان سفك دم المسيح على الصليب أول تمجيد للآب تمّ على الأرض بشهادة الطاعة المطلقة والحب الأمين حتى الموت؛ هكذا قدَّم الرسولان بطرس وبولس شهادتهما للمسيح في ملء طاعة الروح القدس الناطق فيهما لحب المسيح ومجده، فتمَّ فيهما وبهما وعد الرب القائل: «روح الحق، الذي من عند الآب ينبثق، فهو يشهد لي، وتشهدون أنتم أيضاً.» (يو ١٥: ٢٦ و٢٧)

وينبغي أن ندرك أن سفك دم الرسولين العظيمين بطرس وبولس معاً وفي يوم واحد، هو أعلى ذوكصولوجية حب قدمتها الكنيسة لشخص المسيح، لا على مستوى اللحن والترتيل، كما يفعل المحترفون في هذه الأيام؛ ولكن على مستوى إنكار الذات وبُغضة النفس وقبول حكم الموت والرفض والتعذيب والقطع من أرض الأحياء، بلا خوف أو انزعاج أو ندم أو نظر إلى الوراء!

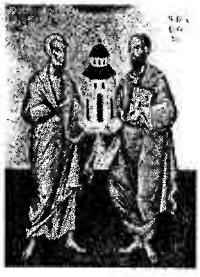
المسيح، اليوم، وفي ذكرى استشهاد الرسولين بطرس وبولس، طالبٌ مثل هذه الذوكصولوجية الصادقة الأمينة باستعداد صبغة الدم. الرب يطلب لحن إنكار الذات بإحساس الصليب، بموت المشيئة، بنية رفض كل حياة لمجد الناس والجسد.

فمَن ذا الذي يُعيِّد اليوم بالروح القدس لموت بطرس وبولس على اسم المسيح؛ إلاَّ الذين لم يحبوا حياتهم حتى الموت؟! يعيشون سهارى متيقظين في كل لحظة كما كان بطرس الرسول على استعداد لأية «**ميتة كان مُزمعاً أن يُمجِّد الله بها.**» (يو ٢١: ١٩)

تمجيدنا لله يرتفع بقدر ارتفاع أنين آلامنا:

إذن، ومن قول الرب لبطرس الرسول يتضح جليًّا أن **تمجيد الله** يرتفع ليس بارتفاع طبقة اللحن من الحناجر المتقنة للحفظ؛ بل بارتفاع أنين الألم والظلم وعنف الاضطهاد حتى الموت: «تمدُّ يديك وآخر يُمنطقك، ويحملك **حيث لا تشاء**. قال الرب هذا (لبطرس) مشيراً إلى أية ميتة كان مُزمعاً أن **يُمجِّد الله بها**.» (يو ٢١: ١٨ و١٩)

نعم، هذا هو لحن عيدنا اليوم، أيها الأحباء. وهذا هو تصميم تمجيدنا لله والمسيح، أن نكون في هذه اللحظة وكل لحظة آتية، باستعداد الشهادة للمسيح بملء الضمير، بكل إخلاص النية، بكل عزم، باستعداد إنكار الذات حتى الدم؛ هذا الذي لا يمكن أن نبلغه إلاَّ بملء الروح القدس. آمين.



أعمال الروح القدس في العهد القديم

أغسطس ١٩٧٦

بمناسبة صوم الرسل وتقليد الكنيسة من جهة قراءة سفر أعمال الرسل أثناء فترة الخمسين وما بعدها.

أعمال الروح القدس في العهد القديم

بطرس الرسول يجمل عمل الروح في كل الأسفار هكذا: «عالمين هذا أولاً، أن كل نبوَّة الكتاب ليست من تفسير خاص، **لأنه لم تأت نبوَّة قط بمشيئة إنسان بل تكلَّم أُناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس.**» (٢بط ١: ٢٠ و٢١)

بل وقد اعتبر بطرس الرسول أن الروح القدس الذي كان في الأنبياء والقديسين في العهد القديم، كان يخدم بوضوح قضية آلام المسيح الفدائية، وأمجاد قيامته التي للتبرير والخلاص:

+ «نائلين غاية إيمانكم **خلاص النفوس، الخلاص الذي فتَّش وبحث عنه أنبياء الذين تنبَّأوا عن النعمة التي لأجلكم، باحثين أي وقت** أو ما الوقت (زمان البر والخلاص) الذي كان يدل عليه **روح المسيح الذي فيهم إذ سبق فشهد بالآلام التي للمسيح والأمجاد (القيامة) التي بعدها.** الذين أُعلن لهم أنهم ليس لأنفسهم بل لنا كانوا يخدمون بهذه الأمور التي أُخبرتم بها أنتم الآن بواسطة الذين بشَّروكم في الروح القدس المُرسل من السماء التي تشتهي الملائكة

أن تطّلع عليها.» (١بط ١: ٩-١٢)

والحقيقة أن بطرس الرسول كان يعتمد في تقريره هذا على شهادة تلميذي عمواس، اللذين أخبرا التلاميذ كيف بدأ الرب يشرح لهما ويفسِّر منهج الإشارات، **التي أوردها الروح القدس على لسان الأنبياء في كل أسفار العهد القديم الخاص بآلامه ثم أمجاده:**

+ «أما كان ينبغي أن المسيح يتألم بهذا ويدخل إلى مجده. ثم ابتدأ من موسى (الأسفار الخمسة) ومن جميع الأنبياء يفسِّر لهما الأمور المختصة به في جميع الكتب[1].» (لو ٢٤: ٢٦، ٢٧)

وفي قول الرب لتلاميذه مباشرة: «هذا هو الكلام الذي كلّمتكم به وأنا بعد معكم، أنه لابد أن يتم جميع ما هو **مكتوب عني في ناموس موسى والأنبياء والمزامير**، حينئذ فتح ذهنهم ليفهموا الكتب.» (لو ٢٤: ٤٤ و٤٥)

والآن تظهر أمامنا حقيقة عمل الروح القدس في العهد القديم في غاية الوضوح، وهي أن أعمال الروح القدس في الأسفار العهد القديم، كما في سفر الأعمال في العهد الجديد، كانت في جملتها تخدم الخلاص الذي نعيش نحن فيه الآن، والذي كان عيداً أن يكشفه الروح القدس عندما يُستعلن المسيح في آلامه وقيامته: «الذين أُعلن لهم أنهم ليس **لأنفسهم بل لنا كانوا يخدمون بهذه الأمور** التي أُخبرتم بها أنتم الآن بواسطة الذين **بشَّروكم في الروح القدس** المُرسَل من السماء.» (١بط ١: ١٢)

---

(١) ليلاحظ القارئ كلمة «الأمور المختصَّة به في "**جميع**" الكتب»، حيث هنا يؤكِّد الرب أن جميع الكتب أي جميع الأسفار المقدَّسة في العهد القديم تختص بالرب.

إذن، فأعمال الروح القدس في العهد القديم كانت ذات صلة أساسية بعمل الروح القدس في العهد الجديد!!

ولكن كيف كان يعمل الروح القدس في العهد القديم؟

إن كانت أعمال الروح القدس، التي بدأ يعملها المسيح في العهد الجديد، هي بعينها التي كان يخدم بها الأنبياء والقديسون في العهد القديم، فنحن نتوقَّع تطابقاً شديداً بين المنهجين؛ غير أن أعمال الروح التي تمَّت بالمسيح في العهد الجديد كانت علنية، واضحة، عامة. أما أعمال الروح في العهد القديم فكانت سريَّة، رمزية، خاصة.

وبالدراسة والتعمُّق نجد أن الروح القدس أكمل عمله في العهد القديم على ثلاثة مستويات:

أولاً: مستوى الكهنوت والذبائح.

ثانياً: مستوى القضاة والملوك.

ثالثاً: مستوى الأنبياء.

أولاً: أعمال الروح القدس على مستوى الكهنوت والذبائح
- الملامح الأولى لعمل الخلاص
في مسحة الكهنوت للتقديس والفداء

وظيفة الكهنوت في العهد القديم يمكن أن نلخّصها في كلمة واحدة: "**التقديس**"، أي التكريس للمصالحة. فالكهنوت في مجمله كان عملية تقديس أو تكريس يقوم بها الروح القدس - **مسحة الكهنة** - ليفرز عيِّنة **مختارة** من البشرية "**لتخدم**" الله **نيابة عن الشعب**، لتوصيل "**بر الله**" للناس.

أما الذبائح في العهد القديم فيمكن تلخيصها في كلمة واحدة أيضاً: "**فدية**"، أي تحمُّل الآلام والموت عن آخرين، حيث ترفع الخطية - التي سببها الموت - عن نفس الخاطئ، ليضعها على رأس الذبيحة، لتموت "**لتبرير الخاطئ**". وهذه العملية، التي كانت تتم في الحقيقة بواسطة الروح القدس، الذي كان يُمسح به الكهنة والمختارون، كانت عملية **سريَّة**، أي لا يُدرَك فيها ماذا يتم في الشخص أو ماذا يتم في الذبيحة. وكانت **رمزية**، تشير إلى المسيح الواحد ككاهن وذبيحة معاً. وكانت **خاصة**، في حدود الشخص **المختار**.

ولكن الروح القدس في العهد القديم لم يحتفظ بالكهنوت والذبائح في شكلها السرِّي المغلق، بل عاد وأفصح عنها، وكشف عن مفهومها، وأشار بوضوح إلى مرموزها.

فإشعياء النبي كشف في نهاية العهد القديم عن المفهوم الروحي الأصيل لمعنى "**الكهنوت ككل**"، أنه: "**خدمة وطاعة عبد واحد مختار آتٍ في ملء الزمان**":

+ «هوذا عبدي الذي أعضده **مختاري** الذي سُرَّت به نفسي، **وضعت روحي عليه** (لأن الرب مسحني) فيُخرج الحق (البر) للأُمم.» (إش ٤٢: ١)

كما كشف أيضاً عن المفهوم الروحي السرِّي لماهية موت الذبيحة: "**الموت الكفَّاري**"، ليس على المستوى الحيواني، بل باعتباره الكاهن نفسه، أو الخادم، أو العبد!!:

+ «**جعل نفسه "ذبيحة إثم"** ... "**كشاة** تُساق إلى الذبح" ... "**سكب للموت نفسه** ... **وهو حَمَلَ خطية كثيرين** (الكل)" ... "**الرب وضع عليه إثم جميعنا**".» (إش ٥٣: ٦-١٢)

وهكذا يوضِّح لنا إشعياء النبي أن عمل الروح القدس السرِّي، الذي كان يعمله في الكهنوت والذبائح ألف سنة ويزيد، وبدون ملل، الذي ظلَّ يعمله الروح في كل العهد القديم، **إنما كان يقوم على أساس عمله، أي عمل الروح القدس، في المسيح** ككاهن مختار وذبيحة مختارة معاً: «**وضعت روحي عليه**» – «**لأن الرب مسحني**.» (إش ٤٢: ١؛ ٦١: ١)

كما كشف إشعياء النبي أن ما كانت تجلبه كل الذبائح في العهد القديم بالنسبة ليهوه (الله) من رضى أو سرور، كانت في حقيقتها نابعة ومستمدَّة من مسرَّة الله الآب في ذبيحة ابنه:

+ «هوذا عبدي الذي أعضده، مختاري الذي **سُرَّت به نفسي** ... أما

الرب **فسُرَّ بأن يسحقه بالحزن إن جعل نفسه ذبيحة إثم ... ومسرَّة الرب بيده تنجح.**» (إش ٤٢: ١، ٥٣: ١٠)

وهذا هو بعينه ما أعلنه الله في العهد الجديد، على مياه الأردن، بصوت من السماء، عندما قام الآب **بمسح ابنه قدوس القديسين، بالروح القدس**، لبدء خدمة الكهنوت الحقيقية على الصليب!! «أنت ابني الحبيب بكَ سُررت.» (لو ٣: ٢٢)

على أنه ينبغي أن نفهم أن رضى الله وسروره في ذبائح العهد القديم، لم تكن في الذبائح الحيوانية بل فيما كانت تجلبه للخاطئ من إحساس برفع الذنب أو التبرير، وهذا أوضحه إشعياء النبي أيضاً، بصورة جلية، بقوله: «وعبدي البار **بمعرفته يُبرِّر كثيرين وآثامهم هو يحملها.**» (إش ٥٣: ١١)

هنا الربط بين كهنوت وذبيحة المسيح، وكهنوت وذبائح العهد القديم، هو المفتاح السرِّي الذي **يفتح لنا آفاقاً هائلة لماهية عمل الروح القدس في كهنوت وذبائح العهد القديم**، على أساس عمل الروح القدس في خدمة وذبيحة المسيح، **الذي تم بصورة كهنوتية عالية، كمسحة عليا من الله، بالروح القدس، من السماء، بعلامة منظورة**؛ فصار هذا بحد ذاته كشفاً لسر اختصاص عمل الروح القدس في كل أسفار العهد القديم!!

لأن المسيح لم يُمسح و لم يُذبح ليُجبر نقص كهنوت العهد القديم فحسب: «ما جئت لأنقض بل لأُكمِّل» (مت ٥: ١٧)؛ بل وليجعل

الشعب كله على مستوى الكهنوت «**مملكة كهنة وأُمة مقدَّسة**»[٢] (خر ١٩: ٦)، أي شعب مبرَّر مخصَّص لخدمة الله بتقديم كل إنسان نفسه ذبيحة على مثال المسيح: «من أجلك نُمات كل النهار قد حُسبنا مثل غنم للذبح.» (رو ٨: ٣٦)

فالكهنوت في العهد القديم، كاختصاص في سبط لاوي، قام على أساس عدم صلاحية الشعب عامة أن «**يخدم الله**» ككهنة، لنقص عام في مستوى القداسة والطهارة. هذا النقص العام لم يستطع حتى الكهنوت المخصَّص أن يعوِّضه، بالرغم من مسحة التقديس التي نالها من الله، بل اكتفى أن يبقى هو، بحد ذاته وبعجزه، رمزاً وإشارة للمسيح الكاهن الوحيد المختار، الذي بقداسته المطلقة وذبيحة نفسه، قدَّس وبرَّر له شعباً مختاراً، جعله كله خداماً لله = «شعباً مبرَّراً ومملكة كهنة» على مستوى نفسه في «القداسة والحق».

على هذا الأساس تستضيء صورة العهد القديم كله بكل أسفاره أمام ذهننا، فكل إخفاقات التاريخ المقدَّس، على مدى كافة الأسفار، ولكل الشخصيات، كان منشؤها عدم وجود الكاهن الحقيقي المبرَّر، الذي يُصالح، والذبيحة الحقيقية التي تبرِّر، على مستوى الروح، لرفع العجز الكامن في طبيعة الإنسان، سواء في نفسه أو في غيره.

أما عمل المسحة (الروح القدس) التي كان يُمسح بها الكهنة، ألوف ألوف، لأجيال وراء أجيال، فكان عملها أن تشهد من جهة على

---

(٢) كما يمنح المسيح نفسه للكنيسة، كرئيس كهنة، مذبوحاً على الصليب، هكذا تقيم الكنيسة أشخاصاً مختارين يحملون رسالة المسيح ليصالحوا الشعب بالله، كسفراء عن المسيح.

استعداد سخاء الله، بإصرار دائم لتقديس الإنسان؛ ومن جهة أخرى على قصور دائم في طبيعة الإنسان للاستجابة لفعل التقديس بالروح، بانتظار مَنْ تحل عليه المسحة، كالمثيل على المثيل، فيصير، بدمه، التقديس الكامل لكل الشعب مجّاناً.

لذلك، كانت الأسفار كلها، وكانت الشخصيات المسئولة كلها، تدور حول شخصية الكاهن الوحيد المختار القادم «العبد المتألّم»، الذي قدم نفسه ذبيحة إثم، «ليُبرِّر كثيرين (الجميع)»[٣]. وتتبلور جميع الأسفار في أن جميع الأنبياء كانوا، بروح الله، ينادون بالبر (العدل)، وظل جميع القضاة ثم الملوك، بإلهام وتدبير الروح على ضوء مناداة الأنبياء، يحاولون تحقيق البر – العدل في قصور وعجز، إلى أن جاء المسيح الذي صار هو نفسه، بدمه وبروحه، للعالم كله برًّا وقداسة وفداءً أبديًّا (١كو ١: ٣٠).

إذن، فحينما نسمع في العهد الجديد أن «**الله كان، في المسيح، مصالحاً العالم لنفسه غير حاسب لهم خطاياهم**»، وفي موضع سابق أن الله «**صالحنا لنفسه بيسوع المسيح وأعطانا خدمة المصالحة**» (٢كو ٥: ١٩، ١٨)؛ فإن هذا يعتبر إشارة بليغة إلى **عمل مسحة الكهنوت السمائي العالي التي للمسيح، والتي منحها لنا بواسطة كهنوته السرّي**: «واضعاً فينا كلمة المصالحة»، لكي «نسعى كسفراء عن المسيح، نطلب عن المسيح، تصالحوا مع الله» (٢كو ٥: ٢٠). وبإشارة أخرى بليغة، ينعطف بولس الرسول مرَّة واحدة لكي يشير إلى أن هذه المصالحة العُظمَى للبشرية مع

(٣) «الكثرة» تفيد "الكل" في المدلول اللغوي العبري.

الله، التي تمّت بمسحة كهنوت المسيح، هي قائمة أساساً على «**سر الذبيحة**»، ذبيحة المصالحة التي أكملها المسيح أمام الله، في نفسه، عوض كل ذبائح العهد القديم، عندما حمل خطايانا فمات على الصليب «لأنه جعل الذي لم يعرف خطية، خطيةً لأجلنا، لنصير نحن بر الله فيه.» (٢كو ٥: ٢١)

وبهذا يتحقّق أمامنا، بصورة رائعة ناصعة، أن الروح القدس كان في القديم يعمل في سر الكهنوت والذبيحة، لمصالحة الإنسان بالله من خلال فعل كهنوت المسيح وذبيحته، بأثر رجعي فائق: «دم المسيح معروفاً قبل تأسيس العالم ولكن قد أُظهِرَ في الأزمنة الأخيرة من أجلكم» (١بط ١: ١٩ و٢٠)، لأن المسيح قد تعيَّن، منذ الأزل وقبل تأسيس العالم، ليحمل قضية الإنسان ويتبنَّاه: «فإذ ذاك كان يجب أن يتألَّم مراراً كثيرة منذ تأسيس العالم ولكنه الآن أُظهِرَ مرَّة عند انقضاء الدهور ليُبطِل الخطية بذبيحة نفسه.» (عب ٩: ٢٦)

ثانياً: أعمال الروح القدس على مستوى القضاة والملوك
= الملامح الأولى للخلاص بروح القوة والرئاسة والقيادة

(أ) **القضاة**: بدأت أعمال الخلاص بالنسبة للشعب في العهد القديم على أيدي القضاة.

وفي الحقيقة يعتبر الله نفسه هو قاضي إسرائيل:

+ «وحَدَثَ في الغد أن موسى جلس ليقضي للشعب ... فقال موسى إن الشعب يأتي إليَّ ليسأل الله!!» (خر ١٨: ١٣ و١٥)

ولكن عصر القضاة يبدأ بعد موت يشوع، حينما صرخ الشعب لله يطلب الخلاص: «**وأقام الرب قضاة فخلصوهم من يد ناهبيهم**» (قض ٢: ١٦). هؤلاء كانوا يتكلَّمون ويعملون بروح الله.

وكان أول القضاة «**عُثْنِيئيل**» أخا كالب، وآخر القضاة كان شمشون، ودبورة كانت الرابعة في ترتيب القضاة. ولكن هذا لم يمنع قيام قضاة حتى وفي زمن الملوك، لأداء مهمة خاصة يدعوهم لها الروح القدس. وكان اعتمادهم الكلِّي على ممارسة وظيفتهم الخطيرة في الحرب والسلم هو الروح القدس، لتقرير **ما هو الحق**، واستعادة **ما هو حق**. فالقاضي في العهد القديم هو مقرر الحق ومُقيمه، لذلك فهو المخلِّص من يد الناهبين، والمقام لهذا الخلاص كحقيقة تُعاش:

+ «وحينما أقام الرب لهم قضاة، كان الرب مع القاضي، **وخلَّصهم من يد أعدائهم، كل أيام القضاة ...، وعند موت القاضي كانوا**

يرجعون ويفسدون أكثر من آبائهم ...» (قض ٢: ١٨، ١٩)

وتعطينا طريقة إقامة القضاة المفاجئة بواسطة الروح القدس فكرة مبكِّرة، عن كيفية حلول الروح القدس على الإنسان، وبدون وسيط على الإطلاق، بعكس إقامة الكهنة التي كان يسبقها اختبار، ثم اختيار، ثم تقديس بالمسحة، علني، ووضع اليد. ولكن الملاحظ أن المسحة لا يصحبها في الكهنوت أيَّة علامة أو قوَّة، فسرُّ الكهنوت كان دائماً ينطوي على السرِّية في البذل والفداء، في مظهر إخلاء وضعف، وليس في مواهب وقوَّة.

والسبب في ذلك واضح، لأن الكاهن صاحب وظيفة ممتازة بحد ذاتها، فهو الوسيط المصالح بين الخاطئ والله، يبارك ويلعن، ويرشد وينذر، كما من الله، بحسب قوانين وأصول ونواميس دقيقة موضوعة سابقاً، يطبِّقها دون أن يخرج عليها، لا بالزيادة ولا بالنقصان. فهو، بحسب تعبير الرسالة إلى العبرانيين، عبد أمين على بيت الله (عب ٣: ٥). ومثل هذه الوظيفة لا تقبل آيات ومعجزات؛ أولاً لأن الكاهن يطبِّق نواميس دقيقة موضوعة وحسب، وثانياً لئلا بالمعجزات والآيات تزداد هيبته في أعين الشعب، أو في عين نفسه، فيتعالى على الله الذي يمثِّله.

أما القاضي فلأنه من عامة الشعب «ها عشيرتي هي الذُّلَّى في مَنَسَّى وأنا الأصغر في بيت أبي» (قض ٦: ١٥)، وقد أقامه الله لخلاص شعب برمته، لذلك فقد لزمت هنا المعجزة والآية جدًّا، أولاً: حتى يتحقَّق الشعب أن الأمر من الله، وثانياً: لكي لا يخور القاضي بسبب ضعفه وفقره وذُلِّه ومسكنته.

والقضاة كان يقيمهم الروح القدس من عامة الشعب، بدون سبق إنذار أو ترقُّب أو تعيين؛ كقوَّة تحل عليهم أو قوَّة تلبسهم لبساً، فتتغيَّر أشخاصهم في الحال، حيث يكون حلول الروح على مستوى القوة والمباغتة، لدرجة يتعذَّر معها الرفض أو المقاومة، كما في شمشون أو جدعون أو شاول، حيث يتغيَّر الشخص تغيُّراً شاملاً ومفاجئاً فيصير «رجُلاً آخر»، بتعبير الكتاب، لكي يصلح لأداء المهمة العظمى للخلاص التي أقامه الروح لها لخلاص الشعب من الأعداء، أو لقيادته في الضيق، بقوة فائقة على الطبيعة وبأعمال إعجازية خارقة، حيث كان يعمل روح الله في القضاة سواء بأيديهم أو بقلوبهم أو بمنطقهم الذي لا يُقاوَم، لجمع كلمة الشعب وإلهاب نار الغيرة فيه وتوحيد قواه وقيادته كرجل واحد وبنفس واحدة، لخلاص يسبق الروح فيعيِّنه ويحدِّد زمنه، حتى يبقى الروح القدس متفوقاً فوق قوَّة الشعب وعدده وأسلحته، ويكون هو صاحب الكلمة والمشورة والنجاح والقيادة: «**لا بالقدرة ولا بالقوة بل بروحي** قال رب الجنود.» (زك ٤: ٦)

وربما كان هذا هو السبب في أن الروح كان يحل ويملأ بقوَّة مفاجئة ومباغتة، وبدون تمهيد أو تدريب سابق، حتى لا يتوهَّم القاضي أو الشعب أن هذا كان بتقوى الأشخاص أو بقداسة الشعب، ومن جهة أخرى حتى يقتنع الشخص ويقتنع الشعب أن التعيين صدر من الله، بدون تدخُّل أو تزكية من إنسان:

+ «فأقام الرب **مخلِّصاً لبني إسرائيل فخلَّصهم**: عُثْنِيئيل بن قناز أخا كالب الأصغر. **فكان عليه روح الرب**، وقضى لإسرائيل، وخرج للحرب، فدفع الرب **ليده** ... ملك آرام ... واستراحت الأرض.»

(قض ٣: ٩-١١)

+ «وكان **روح الرب على يَفْتاح**، ... ونذر يَفْتاح نذراً للـــرب ... فدفعهم الرب **ليده**.» (قض ١١: ٢٩-٣٢)

+ «ونزل شمشون وأبوه وأُمه إلى تِمنَة، وإذا بشبل أسد يزمجر للقائه، **فحلَّ عليه روح الرب** فشقَّه كشَق الجدي وليس **في يده** شـــيء.» (قض ١٤: ٥-٦)

هنا الحلول مُباغت وسريع للغاية ليُناسب هجوم الأسد.

+ «وحل روح الله على شاول عندما سمع الكلام، ... فوقع رعـــب الرب على الشعب **فخرجوا كرجل واحد**.» (١صم ١١: ٦-٧)

+ «**ولبس روح الرب جَدْعُون**، وقال جدعون لله إن كنت **تخلِّـــص بيدي**، إسرائيل **كما تكلَّمتَ** ...» (قض ٦: ٣٤ و٣٦)

من هذه الآيات نستشف كيفية ومعـــنى حلـــول "روح الـــرب" في القضاة، لأن بهذا الحلول استطاع الله **أن يعمل، ويحكم، ويؤدِّب، ويجازي، ويخلِّص بنفسه، من خلال الإنسان**.

فالله في العهد القديم كان يتراءى خارج الإنسان، بهيئة ظـــاهرة، إمـــا بواسطة ملاك - «وقال لي ملاك الله ... أنا إله بيت إيـــل ...» (تـــك ٣١: ١١ و١٣)، «**ها أنا مُرسِلٌ ملاكاً أمام وجهك ليحفظك** في الطريق، ويجيء بك إلى المكان الذي أعددتُه. احتـــرز منه واسمـــع لـــصوته ولا تتمرَّد عليه، **لأنه لا يصفح عن ذنوبكم لأن اسمي فيـــه** (أي إني مـــستعلن فيه).» (خر ٢٣: ٢٠-٢١)

وإما كان الله نفسه يتراءى داخل الإنسان، "بروحه"، كقوَّة سريَّة، غير منظورة، تحل في كل الكيان.

وقد استقرَّ علماء اللاهوت المتخصِّصون في العهد القديم على أن تعبير «روح الله» يعني الله نفسه، مستعلَناً في عمل سرِّي، أو في قوَّة ما داخل الإنسان أو خارجه: «من قاس **روح الرب** ... **فبمَنْ تُشبِّهون الله** وأي شبه تعادلون به» (إش ٤٠: ١٣ و١٨). كما اعتبروا حلول «روح الله» في القضاة كقوَّة فعَّالة دخلت كيانهم لم يكن شيئاً آخر سوى حلول الله نفسه(٤). ولكن هذا الحلول الإلهي في الإنسان (القضاة) لم يمنع من مفارقة روح الله لهم، عند سقوط بعضهم في الخطية، وانطراحهم بعيداً عن الله، مثل شاول. ولكن ضعف الإنسان لم يستنفد صبر الله ولا سخاء روحه قط، فقد ظلَّ الله يُقيم مخلِّصين عوض الساقطين، على مدى التاريخ.

كما يُلاحظ القارئ أن العهد القديم استخدم في حلول الأقنوم الثالث نفس الاصطلاح الذي استخدمه العهد الجديد في حلول الأقنومين الثاني والثالث «ولبس روح الرب جدعون»، «**تُلْبَسون** قوَّة من الأعالي»، «كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح **قد لبستم** المسيح» (غل ٣: ٢٧)؛ حيث "اللُّبْس" هنا هو عملية سريَّة للغاية، تفيد تغييراً جذريًّا في طبيعة الإنسان، لا يُفقدها كيانها، بل **يضيف** إليها ما هو ليس لها. وهو نفس التعبير الذي استخدمه بولس الرسول بخصوص تحديد طبيعة الإنسان: «**تخلعوا** ... العتيق **وتلبسوا الجديد**» (أف ٤: ٢٢-٢٤)، حيث يصير الإنسان

(4) *Theol. of O.T.*, by Davidson, p. 116, 123.

خليقة جديدة؛ ولكن الخلع هنا، الذي يتم بموت المسيح في العهد الجديد، يفيد موتاً سريًّا لجسم الخطية: «إن كان المسيح فيكم، فالجسد ميت بسبب الخطية» (رو ٨: ١٠)، أما في العهد القديم فالخلع يفيد انتفاضة يفقد فيها الإنسان كل ضعفه وخوفه، ويُلبَس قوَّة الله، لإتيان المعجزة.

ولا يصعب على القارئ أن يستشف من تاريخ القضاة ورسالتهم، القائمة على أساس حلول الروح القدس عليهم، واقتدارهم في القول والعمل للخلاص، سواء بالحرب أو بالقيادة في السلم، تحت ظل الناموس؛ لا يصعب على القارئ أن يستشف أنهم يمثلون صورة مبكِّرة للخلاص الماسيَّاني، بعمل الروح القدس، العتيد أن يُستعلَن في المسيح، كمخلِّص، وكقاضٍ، قضى لنا من الناهبين لنا، ومن عبودية الشيطان، بالحرب العلنية ضد الشيطان، هذه الحرب التي بدأت بعد مسحة المسيح بالروح في الأردن: «إن كنت أنا بروح الله أُخرِج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله» (مت ١٢: ٢٨)؛ أو بالحرب غير المنظورة التي أكملها المسيح على الصليب.

لذلك، فإن عمل الروح القدس في "القضاة" لا يمكن تفريقه عن عمله في العهد الجديد، إلا بالقدر الذي يمكن أن نفرِّق به الخلاص من العبودية جسديًّا - في معناه الضيق، والخلاص من العبودية الروحية - في معناه المتَّسع اللانهائي، روحيًّا.

على أنه حتى ما كان يعانيه الشعب من مذلَّة السبي أو التأديب الجسدي بأي نوع، هذا لم يكن إلا عقاباً لشرور وتعدِّيات على وصايا

الله والناموس الروحي. فعمل الروح القدس في "**القاضي**"، في العهد القديم، كان يدور ما بين الخطية والعقاب والتوبة والخلاص، إنما على مستوى الشعب؛ حيث كان روح الله يعمل دائماً على مستويين: يبني ويهدم، يغرس ويقلع. يرضى فيعفو، ويغضب فيعاقب: «إذ غسل السيد قذر بنات صهيون، ونقَّى **دم** أورشليم من وسطها، بروح القضاء، وبروح الإحراق.» (إش ٤: ٤)

بهذا وذاك كان «**روح القضاء**»، في العهد القديم، يعمل عمل الماء والدم، في العهد الجديد، بموت المسيح، حيث قضى لنا **على الصليب**.

هذا هو الوجه الأول للصليب، أي عملية القضاء ضد الشيطان = (روح القضاء).

أما الوجه الثاني للصليب، فهو عملية ذبيحة المحرقة المقدَّمة لله عن خطايا الشعب = (روح الإحراق).

إذن، فروح القضاء وروح الإحراق، في العهد القديم، توضَّحا على الصليب بقوة فائقة. أما **روح الإحراق**، في العهد الجديد، فهو نار الروح القدس الذي فسَّره بولس الرسول هكذا: «إذ اغتسلتم، بل تقدَّستم، بل تبرَّرتم باسم الرب يسوع وبروح إلهنا.» (١كو ٦: ١١)

وفي الحقيقة يعتبر سفر القضاة، في العهد القديم، بأشخاصه الذين اختارهم روح الله من عامة الشعب، صورة مطابقة وشارحة لسفر أعمال الرسل لخلاص شعب إسرائيل في العهد الجديد، لأن في كليهما **يُستعلن الروح القدس، كعمل تصحبه المواهب الممتازة والمعجزات الفائقة على قوى الإنسان الطبيعية، لخلاص الإنسان وتمجيد الله**. في حين أن

الروح القدس، في أسفار الأنبياء، في العهد القديم كما في الأناجيل، في العهد الجديد، **يُستعلن بـ"كلمة الله" الفعَّالة للخلاص أيضاً، ولكن من داخل الإنسان، أي في ضمير الإنسان، لتغييره للخلاص ولتمجيد الله بالنهاية.**

على أن استعلان وظيفة الروح القدس **بالعمل** (في سفر القضاة وسفر أعمال الرسل)، أو **بالكلمة** (في سفر الأنبياء والأناجيل)، كل منهما ملتحم بالآخر **"العمل والكلمة"**، وكل منهما معجزة وآية، تهدف نحو الخلاص ولتمجيد الله، وهما وظيفتان أساسيَّتان للروح القدس في العهد القديم، كما هو في العهد الجديد.

(ب) عمل الروح القدس على مستوى الملوك:

يُعتبر الملوك في العهد القديم ورثة لنظام "القضاة"، ولكن بصورة رسمية أكثر وبصفة دائمة نوعاً ما، لأن إقامة الروح القدس للقضاة، للخلاص، كانت تدعو إليها الضرورة الشديدة، بسبب وقوع الشعب تحت الضيقة أو السبي.

ولكن نظام مسح الملوك بالدهن، لحلول الروح القدس عليهم، أخذ صفة وضع سياسي ورسمي دائم للمحاماة الدائمة عن الشعب، ولقيادته أيضاً في الحرب والسلم، بالقوة والقانون. وهكذا لا يمكن أن نغفل سبب قيامه، من واقع مركز إسرائيل الحرج وسط شعوب معادية.

فبينما الروح القدس يحل على القضاة بصورة مباغتة، وبدون اختيار

أو تزكية، بل وبدون إعداد أو استعداد، حيث كان الحلول تفرضه ضرورة ملحة سريعة – من الواقع؛ نجد عكس ذلك في حالة إقامة الملوك. إذ أن النظام أو الطقس بدأ يدخل في رسامة الملوك، لحلول الروح القدس، وذلك بالاختيار، والإعداد، والمسح بدهن المسحة، حيث يتخصَّص الشخص أو يتقدَّس، ويصير ملكاً دائماً من قِبَلِ الله، «مسيحاً للرب»، حيث المسحة تعتبر كختم سرِّي يطبع على الملك صورة الله، ويمده بجلال وهيبة روح الله الذي يحل عليه، ولكن بدون معجزات باهرة، بعكس ما حدث في القضاة:

+ «فأخذ صموئيل قنينة الدهن وصبَّ على رأسه (شاول) وقبَّله وقال: أليس لأن الرب قد مَسحك على ميراثه رئيساً.» (١صم ١٠: ١)

+ «فأخذ صموئيل قرن الدهن ومسحه في وسط إخوته، وحلَّ روح الرب على داود من ذلك اليوم فصاعداً.» (١صم ١٦: ١٣)

هنا مفهوم الخلاص بالروح القدس، الذي يحقِّقه نظام الملوكية في العهد القديم، بدأ يمتد خطوة أعمق، في الرمز، عن مفهوم الخلاص الذي حقَّقه قيام القضاة. فالخلاص في القضاة، هو "**خلاص من الناهبين**" بالقوة والبأس والمعجزة، أما الخلاص في "**الملوك**"، فهو للتعبير عن خلاص بالمجد والجلال وهيبة الرئاسة «وبروح مُنتَدبة (رئاسي) اعضُدني.» (مز ٥١: ١٢)

فالملك في القديم، بعد زمن القضاة، بدأ يأخذ صورة "شخص الله" نفسه، جالساً على عرشه، وفي يده صولجان الملك، بل وبدأ الله يمدُّه بهيبته الخاصة وصفاته، التي كانت تقع على الأعداء، كرعبة ورعدة، تدفعهم

للخضوع والتذلُّل، حتى وبدون حرب كما في أيام سليمان الملك.

وعلى العموم، فإن عصر الملوك في العهد القديم يمثِّل ويرمز لـ"ملكوت الله" في المستقبل، **وكان حلول الروح القدس على الملوك، بالمسحة، يتمِّم بالفعل حضور الله في وسط الشعب، ويحقِّق الخلاص بالتفوُّق القائم على سلطان الله وحضوره.**

ولا يغيب عن البال أن الله كان يحسب نفسه، أو يحسبه الوحي، أنه "**ملك إسرائيل**"، المتفوق على كل الملوك (مز ٩٥)، الحقيقي والوحيد، وأن كل ملك إنما هو صورة ورمز، أو فم ويد تتمِّم مشيئة الله: «بمجد مُلْكك ينطقون وبجبروتك يتكلَّمون، ليعرِّفوا بني آدم قدرتك ومجد جلال مُلكك، مُلكك مُلك كل الدهور، وسلطانك في كل دور فدور.» (مز ١٤٥: ١١-١٣)

وحينما كان ينخدع الشعب من سلطان وقوَّة من يحل عليهم روح الرب للتسلُّط، كان روح الله يلهم الملك أو القاضي أن يرد السلطان الحقيقي إلى صاحبه:

+ «وقال رجال إسرائيل لجدعون **تسلَّط علينا أنت وابنك وابن ابنك، لأنك قد خلَّصتنا** من يد مديان، فقال لهم جدعون **لا أتسلَّط عليكم**، ولا يتسلَّط ابني عليكم. **الرب يتسلَّط عليكم**.» (قض ٨: ٢٢، ٢٣)

لذلك لا يمكن أن يحسب نظام "**الملوكية**" في العهد القديم، بالنسبة لشعب إسرائيل، أنه مثل أي نظام ملوكية لأي شعب آخر، فملك إسرائيل ملك ممسوح بروح الله، فهو قائد ملهم ومشرِّع، يستمد قوانين

مملكته من الروح الذي حلَّ عليه من قِبَلِ الله، ليتمِّم أعمال الله ومشورته، ويؤسِّس العدل والبر على الأرض بالنسبة للشعب، لأنه مختار من الله بفم نبي.

ولكن من بعد سليمان الملك اختفت من الملوك عامة مواهب الروح والإلهامات التابعة، لكي تمهِّد لمفهوم المسيَّا الملك الواحد الوحيد الحقيقي.

لذلك نلاحظ كيف انتقلت اصطلاحات الملوكية "**العرش**" و"**التاج**" و"**قضيب الملك**"، شيئاً فشيئاً، من المفهوم البشري إلى التعبيرات الروحية: "**عرش النعمة**"، "**تاج الخلاص**"، "**قضيب تأديبات الله**". وهكذا انكشف عمل الروح القدس في هذه الاصطلاحات، وجاء المزمور الثاني ليكشف بصراحة ووضوح أكثر عن الحقيقة الإلهية المختفية وراء نظام الملوكية القديم برمَّته:

+ «**أنا قد مسحت ملكاً على صهيون** جبل قدسي، أنت ابني أنا اليوم ولدتك، اسألني فأعطيك الأمم ميراثاً لك، **وأقاصي الأرض مُلكاً لكَ**.» (مز ٢: ٦-٨)

والعجب أنه قد تمَّ في أيام الملوك، أي في صميم العهد القديم نفسه، انكشاف مفهوم نظام الملوكية برمَّته، عند الإعلان عن المسيَّا أنه "الملك" الحقيقي، بالمفهوم الروحي الإلهي، مما شجع الملوك في إسرائيل أن يأخذوا أكثر فأكثر صفات وأعمالاً إلهية، ليست لهم أصلاً، بل كانت من اختصاص رؤساء الكهنة:

+ «**وبنى داود هناك مذبحاً للرب، وأصعد محرقات وذبائح سلامة، واستجاب الرب** من أجل الأرض، فكفَّت الضربة عن إسرائيل.»

(٢صم ٢٤: ٢٥)

وفي هذا الجو السرِّي لمفهوم الملوكية، بدأ طقس رسامة الملوك يأخذ تعبيرات كهنوتية وماسيَّانية صريحة وواضحة. فمزمور ١١٠ صار تسبحة التتويج الرسمية في يوم مسح أي ملك لإسرائيل:

+ «قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك. يرسل الرب قضيب عزَّك من صهيون ... أقسم الرب ولن يندم أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق».

وكذلك، وبنفس الروح، كان يُقال المزمور الثاني في طقس رسامة الملوك.

وليس أعجب من المزمور ٧٢، الذي ألَّفه سليمان، طالباً من أجل أبيه ومن أجل نفسه روح قضاء وعدل، وروح فهم للحق، وروح خلاص للبائسين، وسحقاً للظالمين، ورهبة وخشية تقع على الأعداء حتى يلحسوا أمامه التراب، وحتى يسجد له كل ملوك الأرض!! وهكذا يسترسل في الدعاء، حتى يختلط على القارئ هل هو يتكلَّم عن نفسه كملك أرضي، أم يتكلَّم عن المسيَّا (الله) الذي «تتعبَّد له كل الأُمم»؟ (مز ٧٢: ١١)

وهكذا تنجلي الملوكية في إسرائيل، بكل طقوسها وإعلاناتها ومواهبها الروحية - المحدودة آنذاك، عن حقيقة «**ملكوت الله**»، التي انكشفت بمسح المسيح، وبإرساليته كملك حقيقي على كل الأُمم، الذي استُعلن للرسل ثم للأمم، بقوَّة فائقة وسلطان إلهي، بالروح القدس، يوم الخمسين، جاعلاً من كل الذين آمنوا به واقتبلوا سرَّ قيامته، **ملوكاً وكهنة معه لله أبيه، بمسحة الروح القدس ومواهبه الفائقة**. وهذه الحقيقة العجيبة

نراها في غاية الوضوح في العهد القديم، كما في العهد الجديد تماماً.

ففي العهد القديم:

+ «كنت أرى في رؤى الليل وإذا مع سُحُب السماء مثل ابن إنسان أتى وجاء إلى القديم الأيام، فقرَّبوه قدَّامه، **فأُعطي سلطاناً ومجداً وملكوتاً لتتعبَّد له كل الشعوب والأُمم والألسنة ... أما قديسو العلي فيأخذون المملكة ويمتلكون المملكة إلى الأبد وإلى أبد الآبدين ... وأعطى الدينونة لقديسي العلي، وبلغ الوقت فامتلك القديسون المملكة ... والمملكة والسلطان وعظمة المملكة تحت كل السماء تُعطَى لشعب قديسي العلي، ملكوته ملكوت أبدي.**» (دا ٧: ١٣، ١٤، ١٨، ٢٢، ٢٧)

وفي العهد الجديد:

+ «لأنك ذُبحت واشتريتنا لله بدمك، من كل قبيلة ولسان وشعب وأُمَّة، **وجعلتنا لإلهنا ملوكاً وكهنة، فسنملك على الأرض.**» (رؤ ٥: ٩، ١٠)

وكأنما كل نظام الملوكية في إسرائيل صُنع وخُطِّطَ بالروح، **لينتهي إلى الصورة والنعمة التي نحن فيها مُقيمون، في المسيح، بالروح القدس، مع انتظار ملء استعلانها بمجيئه.**

لذلك كيف نعبر على سفري الملوك الأول والثاني، دون أن نكتشف أنفسنا في كل حركة من حركات الروح، الذي كان يدبِّر خطة الخلاص العظمى من أجلنا نحن، «الذين أُعلن لهم أنهم، ليس لأنفسهم، بل لنا، كانوا يخدمون بهذه الأمور، التي أُخبرتم بها أنتم، الآن، بواسطة الذين بشَّروكم في الروح القدس المُرسَل من السماء.» (١بط ١: ١٢)

فإن كان الروح القدس في سفر القضاة في القديم هو المثيل المطابق لعمل الروح القدس في سفر أعمال الرسل الذي لم ينته بعد، إذ لا يزال الروح القدس يعمل فينا بنفس المواهب والقوَّة، لتكميل القديسين، لعمل الخدمة، لبنيان جسد المسيح، إلى أن ننتهي جميعنا إلى وحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله، إلى إنسان كامل، إلى قياس قامة ملء المسيح (أف ٤: ١٢-١٣)؛ هكذا أيضاً عمل الروح القدس في سفر الملوك، **فهو المثيل المطابق لعمل الروح القدس لاستعلان سر ملكوت الله فينا، الذي صار انسكاب الروح القدس يوم الخمسين هو ختمه الخالد فينا كمسحة الملوك**: «إذ آمنتم **خُتمتم بروح الموعد القدوس الذي هو عربون ميراثنا** ...» (أف ١: ١٣-١٤)، الذي كشفه سفر الرؤيا بوضوح: «جعلنا **ملوكاً** وكهنة لله أبيه» (رؤ ١: ٦)، حيث الملوكية أو ملكوت الله، في العهد الجديد، هو الدور الأعظم سريَّة الذي تقوم به الكنيسة. فالكنيسة في العهد الجديد تتمِّم سفر الملوك وتعلن أسراره الفائقة: «**والمملكة والسلطان وعظمة المملكة تحت كل السماء تعطَى لشعب قديسي العلي، ملكوته ملكوت أبدي.**» (دا ٧: ٢٧)

ثالثاً: الشهادة بالكلمة:

عمل الروح القدس على مستوى الأنبياء

درجات الأنبياء في العهد القديم تنقسم إلى ثلاثة مستويات:

١ - **رائي** = النطق العبري Roeh

٢ - **الناظر** = النطق العبري Hõzeh

٣ - **النبي** = النطق العبري Nabi

أولاً: الرائي:

وإن كان من الصعب التفريق بين عمل الروح القدس في هذه المستويات لأن كل واحد منهم قد يقوم بعمل الآخر، إلا أن التفريق في الأسماء واضح على مدى التاريخ. ففي بداية العهد القديم، كان التفريق بين النبي والرائي واضحاً جدًّا، كما ذكر الكتاب: «هوذا يوجد بيدي ربع شاقل فضة فأعطيه **لرجل الله** فيخبرنا عن طريقنا، **لأن سابقاً في إسرائيل** هكذا كان يقول الرجل عند ذهابه ليسأل الله هلم نذهب إلى **الرائي**، لأن النبي اليوم كان يُدعى سابقاً **الرائي** ...» (١صم ٩: ٨-٩)

واضح هنا أن زمان تدوين سفري صموئيل النبي جاء متأخراً جدًّا عن زمن صموئيل نفسه، كذلك واضح جدًّا أنه بمضي الزمن حدث تغيير في استخدام هذين اللقبين، من لقب الرائي إلى لقب النبي، وهو لقب **رجل الله** الذي كان يعطي مشورة من الله ويرد على أسئلة الشعب باسم الله.

ولقد صار النبي في العصور المتأخِّرة عضواً في جماعة تُدعَى جماعة

الأنبياء – وهي جماعة تسمع وترى الغيبيات وهي في شبه غيبوبة، في حين أن الرائي كان شخصاً قائماً بنفسه، ولكنه كان ذا أهمية وقدرة تفوق قدرات النبي في جماعة الأنبياء، والذي يمثّل **شخصية الرائي** في العهد القديم تمثيلاً دقيقاً، وبالدرجة الأُولى هو صموئيل النبي.

ثانياً: الناظر:

أما لقب "الناظر" Hõzeh فقد جاء للأسف في الترجمة العربية للعهد القديم كثيراً تحت كلمة الرائي، مع أنها ذات أصل لغوي آخر في اللغة العبرية. وهي تفيد "النظر" وليس "الرؤيا": «الذين **يقولون للرائين لا تروا وللناظرين لا تنظروا** لنا بالمستقيمات (بالاستقامة)، كلِّمونا بالناعمات. انظروا مخادعات (خداعاً) ...» (إش ٣٠: ١٠)

والفرق بين الاثنين أن الرؤيا (وبالتالي الرائي) تفيد المعرفة بالروح، والعقل في حالة "غيبة". أما النظر (وبالتالي الناظر) فتفيد المعرفة بالروح للأمور المستقبلة بالاستشفاف، والعقل في حالة صحو. والناظر بالروح يسمَّى أيضاً **العارف بالروح**: «لأن ملك بابل وقف على أُم الطريق ليعرف عرافة ... بالترافيم نظر إلى الكبد.» (حز ٢١: ٢١)

ووظيفة "الناظر"، كما جاءت في سفر أخبار أيام الملوك الأول والثاني تحت كلمة "رائي"، جاءت متعلّقة دائماً بالملك وبكل مهامه ومختلف أعماله، فكان "الناظر" هو رجل الله المُرسَل من الله، الذي **ينظر المستقبلات بالروح، ويشير على الملك** بما ينظره بالروح، أو يوبِّخه على أعماله الشريرة، **فكان يعمل عمل النبي تماماً ولكن في حدود مهام الملك**. وكان ذا كرامة ويُحسب في الشعب كرئيس:

+ «لأن الرب قد سكب عليكم روح سُبات وأغمض عيونكم، الأنبياء **ورؤساؤكم الناظرون** غطاهم، وصارت لكم رؤيا الكل مثل كلام السفر المختوم الذي يدفعونه لعارف الكتابة قائلين اقرأ هذا فيقول لا أستطيع لأنه مختوم.» (إش ٢٩: ١٠، ١١)

+ «ورجع يهوشافاط ملك يهوذا إلى بيته بسلام إلى أورشليم وخرج للقائه ياهو بن حناني الرائي، وقال للملك يهوشافاط أتُساعد الشرير وتحب مبغضي الرب، فلذلك الغضب عليك من قبل الرب.» (٢أي ١٩: ١-٢)

+ «وبقية أمور منسَّى (الملك) وصلاته إلى إلهه وكلام الرائين (الناظرين) Hõzeh الذين كلَّموه باسم الرب إله إسرائيل ها هي في أخبار ملوك إسرائيل، وصلاته والاستجابة له وكل خطاياه وخيانته ... قبل تواضعه ها هي **مكتوبة في أخبار الرائين** (الناظرين) Hõzeh.» (٢أي ٣٣: ١٨-١٩)

وهنا يُلاحَظ أنه كان من صميم أعمال الناظر والرائي والنبي تدوين أخبار عصره بالروح، كمؤرِّخ مُلهَم، وخصوصاً الأخبار الملكية التي كلَّفه الله بعلاجها:

+ «وأمور داود الملك الأولى والأخيرة هي مكتوبة في سفر أخبار **صموئيل الرائي** وأخبار ناثان النبي وأخبار جاد الرائي.» (١أي ٢٩: ٢٩)

+ «وبقية أمور سليمان الأُولى والأخيرة أما هي **مكتوبة في أخبار ناثان النبي، وفي نبوَّة أخيَّا الشيلوني، وفي رؤى يَعْدُو الرائي** ...» (٢أي ٩: ٢٩)

+ «وأمور رحبعام الأُولى والأخيرة أما هي مكتوبة في أخبار **شَمِعيا النبي وعِدُّو الرائي** ...» (٢أي ١٢: ١٥)

وهنا تتحوَّل الشهادة التلقائية بكلمة الله التي يرسلها في موقف خاص إلى شهادة دائمة مدوَّنة في سفر، لتصبح ميراثاً قانونيًّا وتشريعيًّا للشعب.

والرائي كان يتنبَّأ أيضاً - دون أن يدَّعي أنه نبي - بتلقائية كمَنْ يرى أمامه بعينيه الحوادث القادمة مكتوبة كتابة وكأنها في صفحة يقرأها ويعيها:

+ «فقال أَمَصْيا لعاموس أيها الرائي (الناظر = Hõzeh) اذهب اهرب إلى أرض يهوذا ... وهناك تنبَّأ ... فأجاب عاموس وقال لأَمَصْيا لست أنا نبيًّا ولا أنا ابن نبي (أي ليست مهنتي ولا أتبع جماعة الأنبياء) بل أنا راعٍ وجاني جمّيز، فأخذني الرب من وراء الضأن وقال لي الرب اذهب تنبَّأ لشعبي، فالآن اسمع قول الرب ...» (عا ٧: ١٢-١٦)

وفي نهاية العهد القديم كان معروفاً أن "النبي" يستطيع بالروح أن **يتنبَّأ، ويرَى** الرؤيا، **ويعرف** عرافة أو ينظر نظراً:

+ «وتكون يدي **على الأنبياء** الذين **يرون** الباطل والذين **يعرفون** بالكذب.» (حز ١٣: ٩)

ثالثاً: النبي:

كلمة "نبي" و"أنبياء" Nabiim لم تكن مُستخدمة أو معروفة عند شعب إسرائيل، منذ البدء، ولكنها دخيلة بعد زمان صموئيل بمدَّة طويلة، كما سبق وأشرنا، وكما هو وارد في تسجيلات سفر صموئيل الأول.

الروح والكلمة: الشيء الذي يسترعي الانتباه أن الأنبياء القُدامَى وخاصة الكبار كانوا يعتبرون أنفسهم شيئاً آخر غير الرائين والناظرين. فبينما الرائي والناظر **يتكلَّم كفم لروح الرب** الذي يحل عليه، نجد النبي **يتكلَّم عن "يد الرب"** التي تحل عليه وتمسكه، **فينطق بكلمة الله:**

+ «فإنه هكذا **قال لي الرب بشدة اليد،** وأنذرني أن لا أسلك في طريق هذا الشعب.» (إش ٨: ١١)

+ «**ومدَّ الرب يده ولمس فمي، وقال الرب لي:** ها قد جعلت **كلامي في فمك.**» (إر ١: ٩)

+ «لم أجلس في محفل المازحين مبتهجاً، **من أجل يدك جلست وحدي** لأنك قد ملأتني غضباً.» (إر ١٥: ١٧)

+ «**فحملني الروح** وأخذني فذهبت مُرًّا في حرارة روحي، **ويد الرب كانت شديدة عليَّ.**» (حز ٣: ١٤)

هذا الاختلاف الواضح في التعبير عن كيفية عمل الروح في كل من الفريقين، فريق الرائين والناظرين من جانب، وفريق الأنبياء في جانب آخر، هذا بحد ذاته يوضِّح في الحقيقة اختلافاً في نوع الرسالة والدعوة والواجب المُلقَى على كل من الفريقين، الذي كان غالباً بالنسبة للأنبياء ثورة جارفة ضد كل شيء، وخاصة أعمال الملوك وعثراتهم وانحرافات رؤساء الكهنة والكهنة. فجاءت دعوتهم تحت ضغط نفساني شديد، جعلهم يندفعون في النطق بالكلمة بشدَّة وعنف ضد الواقع المنحرف:

+ «**قد أقنعتني يا رب فاقتنعتُ وألححتَ عليَّ فغلبتَ، ... كلما تكلَّمتُ صرختُ، ناديت: "ظلمٌ واغتصاب"، لأن كلمة الرب**

صارت لي للعار وللسخرة كل النهار، فقلت لا أذكره ولا أنطق بعد باسمه، فكان **في قلبي كنار محرقة محصورة في عظامي، فمللت من الإمساك ولم أستطع.**» (إر ٢٠: ٧-٩)

+ «إن السيد الرب لا يصنع أمراً إلا وهو يعلن سرَّه لعبيده الأنبياء. **الأسد قد زمجر، فمَنْ لا يخاف؟ السيد الرب قد تكلَّم فمَنْ لا يتنبَّأ؟**» (عا ٣: ٧-٨)

والنبي يعي تماماً أن "الكلمة" أو "الكلام" الذي ينطقه إنما هو «كلمة الرب» يقولها بفمه، ولكنه يستمدها من روح الله مباشرة. والعلاقة بين "**الكلمة**" و"**روح الله**"، عند الأنبياء، علاقة واضحة تكاد تكون ملموسة ومتَّصلة ودائمة:

+ «**ثم حملني الروح، فسمعت خلفي صوت رعد عظيم**: مبارك مجد الرب من مكانه.» (حز ٣: ١٢)

+ «ومدَّ شبه يد وأخذني بناصية رأسي **ورفعني روح** بين الأرض والسماء وأتى بي في رؤى الله... **وقال...**» (حز ٨: ٣، ٥)

+ «فقال لي يا ابن آدم قُم على قدميك فأتكلَّم معك، **فدخل فيَّ روح لَمَّا تكلَّم معي وأقامني على قدميَّ، فسمعت المتكلِّم معي وقال ...**» (حز ٢: ١-٣)

هنا واضح أن إرسالية النبي هي **الشهادة بكلمة الله، بقوَّة الروح القدس – الناطق في الأنبياء** – أمام الملوك ورؤساء الكهنة وبقية الشعب:

+ «فاحتملتهم سنين كثيرة **وأشهدتَ عليهم بروحك عن يد أنبيائك.**» (نح ٩: ٣٠)

+ «بل جعلوا قلبهم ماساً لئلاً يسمعوا الشريعة **والكلام الذي أرسله رب الجنود "بروحه" عن يد الأنبياء الأوَّلين.**» (زك ٧: ١٢)

وفي شهادة مُبدعة لميخا النبي، يقارن هذا النبي الملتهب بين الكلمة الكاذبة في فم الأنبياء الكذبة من الرائين والعرَّافين، وبين نفسه كنبي **امتلأ بقوَّة روح الرب للشهادة:**

+ «هكذا قال الرب على الأنبياء الذين يضلون شعبي ... تكون لكم ليلة بلا رؤيا، ظلام لكم بدون عرافة، تغيب الشمس عن الأنبياء ويظلم عليهم النهار **فيخزى الراؤون ويخجل العرَّافون ... لكنني أنا ملآن قوَّة روح الرب وحقًّا وبأساً لأخبر يعقوب بذنبه وإسرائيل بخطيته.**» (مي ٣: ٥-٨)

وغالباً ما كان يمتلئ النبي من روح الله فجأة، فيأتي بأعمال خارقة للطبيعة مثل إيليا النبي الذي جرى فسبق فرسان مركبة أخآب من جبل الكرمل إلى مدينة يزرعيل نحو ١٥ ميلاً (١مل ١٨: ٤٦)، الأمر الذي جعل بني الأنبياء يقولون لأليشع تلميذه بعد صعود إيليا في المركبة أنه ربما يكون «حمله روح الرب **وطرحه على أحد الجبال.**» (٢مل ٢: ١٦)

وطبعاً، هذا يعتبر مقدِّمة لما عمله الروح القدس مع فيلبس المبشِّر عندما خطفه من أمام الخصي فوجِدَ في أشدود (أع ٨: ٣٩).

وهذا أيضاً يعزِّز القول الذي يقوله بعض النُسَّاك بأن طغمة السوَّاح لها قدرة على الانتقال اللحظي بالروح القدس محمولين من مكان لمكان، أو السير في الهواء، ولكن ليس للاستعراض: «اطرح نفسك من على جناح الهيكل» (مت ٤: ٥، ٦)، وإنما لإظهار مصدر السلطان والقوَّة

التي يكرزون بها ولتمجيد الله الذي يخدمون الحق والخلاص باسمه، لأن مجال خدمتهم وإنذارهم وتوبيخهم كان لدى العظماء والمتعظّمين في الشعب، أي رؤساء الكهنة والملوك. لذلك لزم أحياناً أن تتعزَّز كلمة الله في فمهم بسلطان فائق لردِّ الملوك ورؤساء الكهنة إلى الطريق المستقيم.

وهنا نشير إلى الحكمة البالغة في اختيار الأنبياء من طغمة العلمانيين غالباً، بل ومن الفقراء المُعدَمين القانعين:

+ «لست أنا نبيًّا ولا أنا ابن نبي (بالاحتراف)، بل **أنا راعي غنم** وجاني جميز، **ولكن الله قال لي تنبَّأ**.» (عا ٧: ١٤)

وذلك حتى تنفصل رسالة الحق عن رسالة العدل تماماً، فيصير الأنبياء المسئولون عن النطق بالحق الإلهي رقباء من قِبَلِ الله على المسئولين عن تأسيس العدل وتنفيذه، وهذا لنا فيه رجعة عند البحث في رسالة الروح القدس في العهد الجديد.

موقف الأنبياء من الله:

أما بخصوص الأنبياء بالنسبة للشهادة "**بالكلمة**"، فموسى يُعتبر رأس جميع الأنبياء بصفته المَثَل الأعلى، كأول نبي تكلَّم مع الله وجهاً لوجه، وأخذ "**الكلمة**" (لوحي الشهادة) من يهوه ليكلِّم بها شعب إسرائيل، ويقودهم بها على مدى التاريخ، «أنت تتكلَّم بكل ما آمرك به.» (خر ٧: ٢)

أما النبي الآخر بعد موسى، الذي رآه موسى بالنبوَّة أنه "مثله" (تثنية ١٥: ١٨)، فهو المسيح «كلمة الله» نفسه!

أما جميع الأنبياء مُن موسى للمسيح فقد كانوا أوعية متعدِّدة الأنواع،

قريبة جدًّا من فم الله، عاشت في حضرته وكانت مسوقة بالروح القدس الذي كان ينطق فيهم بحسب تعبير بولس الرسول في رسالته إلى العبرانيين: «**الله بعدما كلَّم الآباء بالأنبياء** قديماً بأنواع وطرق كثيرة كلَّمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه.» (عب ١: ١)

ويؤكِّد لنا بطرس الرسول أن «كل نبوَّة الكتاب ليست من تفسير خاص لأنه لم تأتِ نبوَّة قط بمشيئة إنسان، بل تكلَّم "**رجال الله**"، القديسون مسوقين من الروح القدس.» (٢بط ١: ٢٠-٢١)

ولكن إرميا النبي يعطينا صورة مُبدعة عن موقف الأنبياء من الله وكيفية حصولهم على كلمة الله الصادقة، فالنبي الصادق الطائع لروح الله، يغشى(٥) مجلس الله كواحد من ملائكته: «**لو وقفوا في مجلسي لأخبروا شعبي بكلامي** ورَدُّوهم عن طريقهم الرديء وعن شر أعمالهم.» (إر ٢٣: ٢٢)

ولكن لم تقتصر رسالة الأنبياء على النطق بالكلمة لإعلان حق الله وتثبيت عدله وبرّه، ولكن تعدَّى ذلك أحياناً إلى التأثير في المستقبل بقوَّة خارقة، وإليك حادثة من هذا النوع تبيِّن سلطان النبي الروحي على الزمن والتاريخ والحروب والخلاص في المستقبل:

+ «ومرض أليشع مرضه الذي مات به. فنزل إليه يوآش ملك إسرائيل وبكى على وجهه وقال يا أبي يا أبي، **يا مركبة إسرائيل وفرسانها**. فقال له أليشع: خُذ قوساً وسهاماً. فأخذ لنفسه قوساً وسهاماً. ثم قال لملك

---

(٥) يغشى = حلّ أو أتى في المكان.

إسرائيل: ركّب يدك على القوس. فركب يده، **ثم وضع أليشع يده على يدي الملك**. وقال: افتح الكوَّة لجهة الشرق. ففتحها فقال أليشع: ارم فرمى. فقال: سهم خلاص للرب، وسهم خلاص من أرام، فإنك تضرب أرام في أفيق إلى الفناء. ثم قال: خُذ السهام. فأخذها. ثم قال لملك إسرائيل: اضرب على الأرض. فضرب ثلاث مرَّات ووقف. فغضب عليه رجل الله وقال: لو ضربت خمس أو ست مرَّات، حينئذ ضربت أرام إلى الفناء. وأما الآن فإنك إنما تضرب أرام ثلاث مرَّات.» (٢مل ١٣: ١٤-١٩)

وهذه الواقعة تشرح لنا العلاقة الأساسية القائمة بالروح القدس بين النبي والملك في العهد القديم، حيث يبدو الملك خاضعاً طائعاً باكياً على وجه أليشع وهو يحتضر، متوسلاً منه المعونة باعتباره قوَّة إسرائيل الخفية: «يا مركبة إسرائيل وفرسانها». ثم من وضع يد أليشع النبي على يد الملك، يتَّضح أمامنا مركز النبوَّة بالنسبة لسلطان الملوكية!

وأخيراً تنطلق من شفتي أليشع النبي من انطلاق سهم الملك كلمات نافذة بالروح القدس تخترق حاجب الزمن لتكيف المستقبل وتُخضع حوادثه القادمة لسلطان الإرادة النبوية بشموخ، لا يمكن وصفه، إلا بكونه إلهيًّا بملء الكلمة.

هنا تظهر رسالة الروح القدس في فم النبي وإرادته بالنسبة لمصير الشعب وملوكه، فائقة إلى أقصى حد، **فكانت عندما تُقبَل تُخضع** الحاضر لإرادة الإنسان، وتكيِّف المستقبل بقدر ما يتمنَّى ويترجَّى، تحرك السماء وتزلزل الأرض، لإقامة حق الله لخير الإنسان، وتثبيت العدل لصالح

الضعفاء. **وكانت عندما تُرفَض** تجلب العار والبوار على الشعب وعلى ملوكه معاً، مع دينونة مخيفة، فيقف لهم الحاضر مُرًّا كالإفسنتين، والمستقبل يصير عدوًّا مخيفاً بلياليه السوداء المرعبة، حيث تصير الخصومة مع الروح القدس وبالاً على الإنسان.

على أن رفض الملوك ورؤساء الكهنة والشعب للأنبياء الذين استشهدوا على أيديهم، وسفكوا دماءهم في نهاية إعلانهم لكلمة الله، هو بحد ذاته أعمق تعبير عن أصالة الرسالة التي حمَّلها الروح القدس للأنبياء، لتكون مثيلاً نبويًّا للمسيَّا الآتي، المرفوض والمصلوب بيد رؤساء الكهنة والملوك معاً.

هذه الرسالة عينها، رسالة الروح القدس النبوية الرائعة، وضعها الروح على أكتاف الكنيسة - في المسيح - لتشهد بفمه وتموت كل يوم عند إعلان الحق والمناداة بالعدل في وجه الملوك والرؤساء لدى شعوب كل الأرض.

مختصر المقال

+++

١. الروح القدس، منذ البدء، يعمل لخلاص الإنسان على أسُس واضحة ثابتة، فكما كان "**ناطقاً بالحق في الأنبياء**"، **كان مخلِّصاً بالمعجزة في القضاة، ومؤسِّساً للعدل والبر في الملوك، ومصالحاً الخطاة مع الله في الكهنوت.**

٢. أربعة اتجاهات يعمل فيها الروح القدس للخلاص على مدى جميع أسفار العهد القديم: النطق بالحق، الخلاص من يد الأعداء، تأسيس

العدل والبر، ومصالحة الخطاة.

٣. وأربعة أشخاص استخدمهم الروح القدس لتكميل رسالته لخلاص الإنسان، على مدى أسفار العهد القديم: النبي، والقاضي، والملك، والكاهن.

٤. وأربعة أقسام سجَّل فيها الروح القدس جميع أعماله الخاصة بخلاص الإنسان في العهد القديم:

(أ) أسفار الأنبياء وما يتبعها مثل المزامير والأمثال ... إلخ.

(ب) سفر القضاة ...

(ج) أسفار الملوك وما يتبعها ...

(د) أسفار الناموس وما يتبعها ...

وكان الروح القدس يعمل هذا كله على أساس نفس الخلاص ونوع الوظائف التي سيقوم بها المسيح، مستمداً منه سلطان العمل بأثر رجعي إنما في ظلال ورموز وعجز بشري، لذلك عندما جاء الرب يسوع أعلن أنه: «ما جئتُ لأنقضَ بل لأُكمِّل»!

مقالات قصيرة
عن الروح القدس

نشرت بمجلة مرقس ما بين عامي ١٩٦٧ – ١٩٧٠، والفكرة مأخوذة أصلاً من كتاب عن الروح القدس ولكن أُعيد صياغة الفكر والتعبير صياغة شاملة جديدة مع الصلوات.

المحتويات

صفحة

١ – أسبقية الروح ٦٥٥
٢ – رجاء الروح ٦٥٧
٣ – واقعية الروح ٦٥٩
٤ – تنازُل الروح ٦٦١
٥ – توزيع الروح ٦٦٣
٦ – إعلان الروح ٦٦٦
٧ – تأثير الروح في العالم الدنيوي ٦٦٨
٨ – غضب الروح ٦٧٠
٩ – مخاوف الروح وأخطاره ٦٧٢
١٠ – الروح القدس وإلهام الشجاعة للجندي في الجيش ٦٧٤
١١ – الجمال الهندسي للروح ٦٧٧
١٢ – رخاء الروح ٦٨٠
١٣ – أولوية الروح ٦٨٣
١٤ – الروح يشهد ٦٨٥
١٥ – الروح يكرز بالجمال ٦٨٨
١٦ – ميراث الروح ٦٩١
١٧ – فيض الروح ٦٩٣
١٨ – سُكنى الروح ٦٩٦
١٩ – روح الله وبهجة الخلاص ٦٩٨

- ١ -

أسبقية الروح

■ «وروح الله يرفُّ على وجه المياه.» (تك ١: ٢)

قبل أن يقول الله: «ليكن نور»، كان روح الله يرفُّ على وجه المياه. لقد كان الروح هو المفتاح الأول الذي انبعث منه صوتٌ في الكون وللنفس البشرية. لم يكن هناك فائدة من حضور النور، ما لم يكن الروح أولاً. فالنور لا يجعل وجه المياه سعيداً، ما لم ترفّ الحياة عليه.

إن النور هو في الخارج فقط، أما الروح فمكان راحته في الداخل حيث تنبعث السعادة من العمق. هكذا أيضاً من العبث أن تحيطني بالنور وعشب الحقل وطير السماء وسمك البحر، بل حتى ولو بلغت القمة في علاقتي مع إخوتي البشر الذين خُلقوا على صورة الله؛ فلن تكون هناك سعادة في أعماقي، ما لم يرفّ الروح على وجه نفسي.

إن ما يجعلني سعيداً ليس ما أحصل عليه، بل ما أكونه؛ وما أكونه أنا هو الروح!! إذن، فقد كان من الضرورة حضور الروح قبل كل هبات الله: قبل النور، وقبل الجَلَد، وقبل كل الخليقة، وقبل عشب الحقل. وكما أنه من الحسن أن يسبق فرحُ الحياة في القلب الفرحَ بالكون، هكذا قبل أن يقوم النور يجب أن يرفّ روح الله على وجه المياه.

أيها الروح الإلهي الذي سبق نسيمُك كلَّ الأشياء،

إنني، بجهل، أسعى لأقلب ترتيب أعمالك،

إنني أسأل عن الأشياء قبل أن أسأل عنك.

إنني قبل أن أطلبك، أسعى في طلب النور والشمس والقمر والنجوم والعشب الأخضر وطير السماء وحيوان الأرض ووجوه الناس.

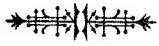
لقد نسيتُ أن النور بدونك لا يكون، والحشائش لا تنمو، والطيور والحيوانات لا توجد.

تعالَ أنت بنفسك في قلبي قبل كل شيء، ورفّ على وجه المياه.

لتُعطِ النور حقيقته ومعناه، وللحشائش قُوَّتها ونفعها، وللطير والحيوان أُلفته وصُحبته معي.

تعالَ واجعلني أرى صورة الله التي في الإنسان، فأطلبها قبل أن أطلبه، وأُحبها فأحبه، وأُكرمها في كل وجه، فأجد الفرح والسلام.

فبدونك، أيام خليقتي هي أُمسية حزينة، بدون صباح؛ ولكن عندما تتحرك على وجه المياه سوف يشرق في قلبي سبت الخلود الذي لا يغشاه ليل!



- ٢ -

رجاء الروح

■ «لا يدين (لا يسكن) روحي في الإنسان إلى الأبد.» (تك ٦: ٣)

وإن كفَّ روح الله عن مؤازرة الإنسان عامة فليس دائماً، لأنه سيكون هناك سلام للروح في النهاية، إذ لا يمكن أن تدوم قوتان متضادتان!! لابد أن تنتصر واحدة وتصبح الكل في الكل. فهل يمكن أن تكون هي الجسد؟ أم تكون الروح؟

الطوفان يجيب مبدئياً على هذا السؤال. فكل جسد متمرِّد تحطَّم، وكل الشهوات الحيوانية غرقت مع ارتفاع ينابيع الغمر، وكل فجور العالم آنئذ دُفن تحت الأمواج العاتية. وأخيراً، ساد الحب وتسلَّط ونجا الإيمان حاملاً الروح في فُلْك النفس.

أيتها الروح المجيدة التي لله، التي استُعلنت وسط ظلام الفيضان، لقد كنت كحمامة مُبشِّرة بالسلام والراحة فوق المياه، ولكنك تخبرين عن راحة أعظم من تلك التي على جبال أرارات، عندما تحين الأوقات التي لا يكون فيها بحر ولا غمر ولا خوف ولا خطية.

إنك تخبرين عن صيف بلا عواصف، عن صباح مُشرق إلى الأبد بلا سحاب، عن لحظات أبدية بلا خوف. لقد كان "قوس قزح"، الذي أُقيم كعهد وسط المياه، ذو السبعة الألوان، رمزاً لسبعة أرواح الله. فذاك

كان وعداً بالانعتاق من عقوبة الجسد، أما أنت فلما أشرقت على الأردن، صرت ضماناً للانعتاق من الخطية إلى الأبد، أمَّا كمال وعدك بالخلاص فسيتم حتماً عندما تتحقق الرؤيا في بَطْمُس.

• • •

يا روح الله، لماذا أنا في حرب معك؟ مع أنه ليس في الخليقة مَن يعصاك!!
نتحدث أن الطبيعة كلها تطيع ناموسك الذي وضَعْتَه لها،
أما قلبي فقد عجز وحده أن يقول: "فلتكن مشيئتك"!
أنا الذي خلقتني لأكون معجزة الكون، وقفتُ وحدي وسط الخليقة كلها أتصارع معك! مع أني في أشد الحاجة أن أخضع لك وأُذعِن لتدبيرك.
أتوسَّل إليك، أيها الروح القدس، روح المسيح، روح الآب!
اِهزمْ إرادتي حتى ينتهي عصياني، وأخضعْ قلبي لك حتى أسير وفق ناموسك.
وَحِّد قصدي مع قصدك، حتى أتصالح مع كل شيء، فتعمل الأشياء كلها للخير لحياتي معك.
دعني أعرف الفرح، لكي أكون بغير شذوذ وسط الكون الحي،
فلا أتداخل وأُفسد ترتيب عملك الذي صنَعَته يداك المباركتان.
إن كل الأشياء سوف تمجدك معي، عندما أكفّ عن عصياني لناموسك.

- ٣ -

واقعية الروح

■ «فقال فرعون لعبيده: هل نجد مثل هذا رجلاً فيه روح الله؟» (تك ٤١: ٣٨)

لقد كان فرعون عالمياً، فكيف يستطيع أن يحترم رجلاً كان ينتمي إلى الله، وإلى عِظَم الاتساع والأبدية؟

إن السبب في ذلك هو أن روح الله، كما الأبدية، يحتوي الساعة الحاضرة كجزء منها. فروح الذي له سلطان الأبدية الخالدة، له أيضاً بالضرورة تدبير الزمن الحاضر وكفاءته؛ وهو ظاهر كما في أمور الله، كذلك في أمور الناس.

إذا لم تكن ترى أبعد منك، فأنت لا تُناسب مصر، ولا تصلح لفرعون، ولا تنفع في المجاعة المُقبلة على البلاد. ولكن إن كنتَ، بالروح، ترى ما لا يُرى، فأنت رجل الساعة أكثر من هؤلاء الذين يدَّعون أنهم "رجال العصر".

والذي يريد أن يدفع العصر الذي يعيش فيه أمامه، يجب أن يسبقه بالرؤيا التي لا تخطئ، لأن العالم الحاضر يُضيء الآن بواسطة النور الآتي من الأبدية، المنعكس على القلوب الأمينة.

فيا روح المسيح، اجعلني نوراً للأرض التي أسكن فيها.
لقد تعودتُ أن أسألك من أجل أمور الحياة الحاضرة.
أتوسَّل إليك أن تعدَّني للحياة الأبدية،
حتى أكون نوراً للذين يطلبون شهادة الدهر الآتي،
وأصلح أن أُعطي مشورة نافعة لحياة الناس.



- ٤ -

تنازُل الروح

■ «وملأته من روح الله بالحكمة والفهم والمعرفة وكل صنعة، لاختراع مخترعات ليعمل في الذهب والفضة والنحاس.» (خر ٣١: ٣ و٤)

عجيبة أن يمتلئ إنسان بالروح من أجل أعمال يدوية بسيطة! ويُلهَم بالحكمة والفهم وبكل معرفة، لا لشيء سوى أن يعمل في النحاس والحديد. إن هذا يبدو شيئاً تافهاً بسيطاً، فالكل يعتقد أن الرجل إنما يُعْطَى إلهاماً لكي يعيش بالروح أفضل من معيشة أهل هذا العالم. ولكن أن يمتلئ إنسان بالروح من أجل أمور عادية في هذه الحياة، ويؤتَى روح الحكمة، لكي يؤدِّي أشياء تبدو جميلة لعين الجسد وحسب، ألاَ يعتبر هذا تنازُلاً عن علو مصدر الإلهام والحياة؟

كلاَّ، إن هذا صعودٌ بالإلهام، خفيٌّ. فمجد الروح هو في قدرته وسلطانه لإعلان نفسه، في إظهار ذاته في الأشياء الصغرى، كما في الكبرى. فالحكمة التي تلهم العقل، تلهم اليد والعين لمجد الله.

النحاس والحديد والخشب حينما يلمسه الروح في حذْق الصناعة وحكمتها، يستطيع أن ينطق بمجد الله. إن جمال الله مُعلَّن للعين البسيطة في كل شيء، حتى وسط البشاعة والتشويه. وحينما يتقدَّس القلب بالروح، يستطيع أن يحسَّ بالسلام وسط العاصفة، ويلمح القوة من خلال الضعف، ويؤمن بالحياة ويراها وسط الموت.

فيا روح المسيح، الروح الذي وهب الحكمة بصنعة النحاس والحديد الذي في هذا العالم، أنا آتي إليك لكي أجد الله في كل ما أحتاج إليه.

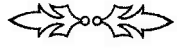
إن ما أريده ليس العزلة عن العالم، بل سلطان الروح الذي يعمل في العالم، القدرة على القيام بالواجبات اليومية العادية.

من أجل هذا، ألْهِمْني حكمة للأعمال الجسدية، حتى أستَعلِن الله في كل شيء.

اجعلني مناسباً لكل خدمة، طالما كل عمل يمكن أن يتخلله الروح.

ساعدني في تكريس كل ما أربحه، لخدمة الحب، ولنفع البشرية، ولإطلاق سراح مَن هم في عبودية الفكر بعيداً عنك، حتى أصنع لك أصدقاءَ بمال الظلم.

إن تجسُّد المسيح سوف يصبح كاملاً عندما تملأني، أيها الروح، لعمل النحاس والفضة وكل شيء.



- ٥ -

توزيع الروح

■ «فنزل الرب في سحابة وتكلّم معه، وأخذ من الروح الذي عليه وجعل على السبعين رجلاً الشيوخ.»
(عد ١١: ٢٥)

إن الرب يتكلّم عادةً في سحاب، أي يُعلن ذاته خلال الأوقات أو الأشياء، التي تُعتبر حاجزاً أو مانعاً عن الرؤيا.

هكذا تصبح أوقات حزني هي هي أوقات شركتي، ويصبح صمت الأرض، بل وهَجْوُها لي، حديثاً مشتركاً مع أغاني السماء.

هذه هي الميزة الكبرى لسحابتي، إنها تُبدِّد وحدتي، حينما أرى من خلالها الله. لقد كانت تبدو من قبل ضد سلامي وعزائي، حينما كنت أجهل صوت الله فيها، فكانت تخيفني وتدفعني بعيداً عن حقيقة نفسي. هذا هو طقس الرسالة التي تأتي خلال السحاب، أو خلال الصعاب، تأتي كرسالة من أجل البشرية. وحينما أُذعِن لها، تلبسني روح السلام، ولا أُمانع أو أرتاع حينما تأخذُ الروح الذي وضعته عليَّ، وتضعه على الآخرين!!

وحينما أُرحِّب بمواهب الآخرين، أشعر أن حِمْلي مشترك مع كل الذين يعملون! وعندما أنقص ليزيد الآخرون، لا أكون أبداً صغيراً، وكلما كنت تحت السحابة صرت أقرب لجميع الناس، لأننا لا نتقابل

جميعاً تحت أشعة الشمس، ولكننا نتقابل كلنا تحت سحاب الصعاب. فالمشقات التي نعانيها معاً تلهب طاقات الحب. إنها تحمل حياتي إلى حياتك، وأفكاري إلى أفكارك، وقلبي إلى قلبك. فالحب يجد دائماً مدخلاً خلال الحواجز التي أقامتها الصعوبات بين الإنسان وأخيه الإنسان، فتوحِّد روح داود بروح يوناثان.

• • •

يا ابن الإنسان، دَعْ صليبك يكون واسطتي لعبوري نحو أخي الإنسان.

دعني أتقابل تحت ظل سحابة حضورك، وجهاً لوجه مع نفس حبيبي، الذي يناصبني العداء.

أريد أن نرتبط كلانا بوحدانية الروح، شهادة لعملك،

أريد أن نتَّحد في سر عشائك الرباني، في سر آلامك المخفية.

لقد فشلنا أن نتَّحد تحت وحدانية الإخاء واليُسر، والمنفعة الكاذبة، فاربطنا بصليبك، يا ابن الإنسان؛

وحّدنا بذبيحتك وتجرُّدك وفقرك وألمك، وَصِّلْنا بواسطة سحابتك.

أحضر قلوبنا إلى حضرتك، فوق العواطف والأحاسيس الجسدية، بلمسة نعمتك، المشتعلة بلمسة صليبك، بالآلام التي أسلمتَ ذاتك لها على الصليب.

دعنا في أتون النار، ولكن ليس كل واحد بمفرده، إنما في زمالة الألم، ثلاثةً ثلاثةً، حتى نرى الرابع بشبهك.

إنه استعلان لمجد الألم والعذاب، في هذا الدهر،

حينما يصيران واسطة لتجمعنا في سحابة حضورك،
حينما يأخذ الروح من القوي ويُعطي الضعيف، بسخاء المحبة لمجد الكنيسة.



- ٦ -

إعلان الروح

■ «فلما حلَّت عليهم الروح تنبَّأوا، ولكنهم لم يزيدوا.» (عدد ١١: ٢٥)

+ «لما حلَّت عليهم الروح تنبَّأوا».

إن حلول الروح يفكُّ عقدة اللسان المربوط بعجز الخطيئة، ويُجلي الرؤيا أمام العين التي تعتَّمت بالشهوة.

إن أوقات الإعلانات والرؤى هي أوقات انفتاح الذهن. اصمت وانتظر بإيمان وأنت ترى الله.

هذا هو ناموس نظرة الروح الداخلية. أو لماذا رأى اسطفانوس السماء مفتوحة وابن الإنسان جالساً عن يمين الله؟ أليس ذلك بسبب أن الروح كان حالاً عليه؟

والروح وديع هادئ، كالحمامة، وفي الوداعة والهدوء تنظر العين ما لم تكن تراه!!

هناك مئات من الأشياء الروحية العجيبة تحيط بي، ومع هذا لا أستطيع أن أراها إذا كان يعوزني الهدوء والوداعة. لماذا كانت هاجر تعاني البؤس والشقاء في الصحراء؟ وبئر الماء كان أمام عينيها مباشرة، ومع ذلك تاهت عن رؤيتها؟ لم تكن إرادة النظر التي مَنعَتْها من الرؤية، ولكن حاجتها إلى

حلول الروح!! أو بالحري إلى الهدوء والوداعة.

الحزن والكآبة يفسدان العين الجسدية، فما بالك بعين الروح؟ اليأس يُبدِّد الخيرات والنِّعَم من محيط الرؤيا، ويخفي منظر الله الواقف أمامنا. وعندما يحلُّ الروح، نرى ما لم نكن نراه، ولكن عندما نحاول أن نزيد الرؤيا تكفُّ وتتلاشى.



أيها الروح الذي يحلُّ في القلب، فترى العين ما لا يُرى، وينطق اللسان برجاء الخلاص،

إني أنتظرك، وأعدُّ قلبي لمجيئك كل يوم، وأُهيئ قلبي بالشكر مُقدَّماً، وأعدُّ لساني بالتسبيح.

تكلَّم، يا روح الله، بالسلام لنفسي، حتى أتيقظ للأنغام العذبة التي تعزف حولي بعجائب الله التي تحيط بي.

تكلَّم بالسلام لنفسي، حتى أستطيع في أحرج ساعات ظلمتي أن أرى السلَّم القائم بين الأرض والسماء، والملائكة آتية إليَّ من فوق.

تكلَّم، يا روح الله، بالسلام لنفسي، حتى أدرك في شدة حيرتي أن هناك سبعة آلاف ركبة حولي، تسجد لك في الخفاء، فأتنبَّأ برحمتك، التي تفوق عجز الإنسان.



- ٧ -

تأثير الروح في العالم الدنيوي

■ «ولما جاءوا إلى هناك، إلى جِبْعَة، إذا بزمرة من الأنبياء لقيته (شاول)، فحلَّ عليه روح الله فتنبَّأ في وسطهم.» (١صم ١٠: ١٠)

+ «ولما جاءوا إلى هناك ... إذا بزمرة من الأنبياء لقيته».

ما أعظم فعل الجماعة على النفس الضعيفة، وما أحلى اجتماع الإخوة في عين الروح. إذ لما اجتمعوا لم يكن من مانع لدى الروح لكي يحلَّ على هذه الزمرة، ويحلَّ أيضاً على شاول. هكذا تنحصر النفس الضعيفة في مجال أقوياء فتقوى؛ وتتبارك الروح السقيمة وسط الكنيسة وتتقدس.

الروح لما يحلُّ يأخذ من القوي ويعطي الضعيف. فالضعيف يتشدَّد والقوي يزداد قوة!!

ما أغنى الروح وما أكثر اتضاعه، لأنه دائماً أبداً لا يُعطي من ذاته، فإنه لا يزال يأخذ من المسيح ويُعطينا. وها هو مستتر في الكنيسة، لا يعمل إلاَّ من خلال الوسائط المقدسة!!

ولكنه لا ينحصر داخل الكنيسة، فإنه يتابع القديسين أينما ساروا، وأينما حلُّوا، يُقدِّس لهم القفار والجبال، ويجعل من "جبعة" معبداً لله.

إنه ليس الجبل الذي يُقدِّس، ولا الصوت البشري هو الذي يحوِّل. فالأماكن التي تبدو لك مقدسة اليوم لم تكن مقدسة بالأمس، والتي

كانت مقدسة بالأمس ليست مقدسة الآن. والكلمات التي تُـدخل إلى قلوبنا البهجة في المساء، ربما كانت بلا فاعلية في الصباح!! فالله يختار وسائطه المقدسة بنفسه، ويختار الأشياء الخاصة به، لكي يتقدَّس فيها ويُقدِّس بها مَن يشاء. وما على الإنسان إلاَّ أن يعدَّ قلبه دائماً ويميل بأُذنه، لعله يصيب في القفر ما لم يُصبْه في القُدْس، ويسمع في اليأس ما لم يسمعه في أبهج ساعات العمر!!



يا روح المسيح، قدّس الدنيا التي أعيش في وسطها.
قدّس الجبل والوادي والصُّحبة وكل الجماعة، حيث أحيا كل يوم وأعمل.
اجعلْ أُذني تلتقط رسالتك وسط ضجيج هذا العالم، حتى أُفرز صوتك الحلو من بين آلاف الأصوات التي أسمعها.
وافتحْ عيني، لأكتشف قداسة الناس حولي، فلا أُعدَم زمرة الأنبياء كل حين، إذ أجدها في إخوتي وأحبائي وزملائي وكل الناس، أينما كانوا.
فقط، اكشفْ لي حضرتك في وسط الزمان والمكان، فينطلق لساني بالحديث عنك، وبتسبيحك وشكرك، في وقت مناسب وغير مناسب.



- ٨ -

غضب الروح

■ «فحلَّ روح الله على شاول عندما سمع هذا الكلام وحَمِيَ غضبه جداً.» (١صم ١١: ٦)

يوجد غضب بشري، ويوجد غضب إلهي. «غضب الإنسان لا يصنع بر الله» (يع ١: ٢٠)، ولا يوافق قصد مشيئته، لأنه من حركة النفس عندما تحقد وتثور لذاتها، ذلك لأنها تستاء من الألم.

الغضب المقدس يتفجَّر من الروح في القلب، أما غضب الإنسان فينبع من جرح يكون قد أصاب الذات.

عندما يحمى غضب الروح في قلب الإنسان، ينسى نفسه، ويطلب ما لله. وعندما يهيج القلب بالغضب المُفسد، ينسى الإنسان الله، وكل ما هو لله، ولا يذكر إلاَّ نفسه، وما أصاب كرامته.

عندما يغضب الله لنفسه، يهتف له الأبرار، لأنه مستحق كرامة ومجداً. وعندما يغضب الإنسان لنفسه، يبكي القديسون، لأن اسم الله يُهان!!

فيا روح المسيح، يا مَن أتيتَ لكي تقدِّس كل غرائز طبيعتي لله، قدِّس غضبي لك، ليُمجّدك، ويخدم برَّك.
لقد أتيتَ لا لكي تُهلك بل لتخلّص.

فلا تطفئ شجاعتي، التي تدفعني للغضب المُفسِد، بل اشعلها بروحك لكي تنقاد إلى المتواضعين.

اسند غضبي، حتى لا يتحيَّز لنفسي أو "ليوم بشر"، واملك على تسرُّعي، حتى لا أحكم قبل الوقت، أو أدين، وأنا مديون.

لا تجعلني أغضب على خطيئة إنسان أو خطئه، وأنا واقع مثله تحت الحكم!!

أيقظ ضميري، يا روح الله، حتى لا أحزن على اليقطينة الذابلة، وأنسى المدينة الهالكة، فأغضب لتوافه الأمور، وأنسى عملك العظيم، وجسامة الخدمة!!

تكلَّم في قلبي، يا روح الله، حينما تثور طبيعتي فيَّ، حتى لا أنطق إلا بكلمات الصَّحْو واليقين، وكل ما يبني الآخرين؛

وحينما تشعل غضبي على بيتك وأولادك ومقدَّساتك وعبادتك وحقك، امنع نفسي من أن تنزل بمستوى الغيرة المقدسة، إلى مستوى الطين والتراب.



- ٩ -

مخاوف الروح وأخطاره

يظن الجهلاء أن للروح القدس مخاوفَ وأخطاراً، ولكن ليس الروح هو الذي يُلقينا على الجبال؛ بل كبرياؤنا، ولا هو الذي يُسقطنا في حضيض الأودية؛ بل يأسنا وصغر نفوسنا.

فعلى الإنسان الذي يُصادق الروح القدس، أن يحذر من هذين الخطرين: خطر الزهو والاعتداد بالذات، وخطر اليأس وصغر النفس.

لأنه بينما يكون الروح صاعداً بنا إلى علو التأمل والصلاة، وبينما تنتابنا أفكار الزهو والخيلاء، فنسقط على شوامخ جبال الرؤى والتجلّيات والأحلام، حيث يفصلنا عن الواقع مخاطر النزول؛ فلا يمكن أن نعود إلى اتضاعنا السهل، إلاَّ بالمحن والانحدار تلو الانحدار!!

كذلك بينما يكون الروح حاملاً النفس في مركبته النارية الملتهبة، وقد احتواها بحرارة العبادة، والغيرة المتقدة، ثم يحدث أن تميل إلى اليأس والشك من صعودها وتتمسَّك برُبُط خطاياها، وتفقد رجاءها؛ حينئذ يتخلَّى عنها الروح، فتقع في حضيض الدنيا، وتلتصق بتراب الأرض، حيث يفصلها عن حقيقة الروح والحياة الأبدية هوَّة سحيقة، وبحر اليأس، الذي لا يمكن عبوره إلاَّ على دم المسيح!!

فيا روح الله، الذي أصعد إيليا إلى السماء على مركبته النارية،
أعطني اتضاع المسيح، الذي أصعده من تراب القبر إلى عرش الله.
حقِّق فيَّ رجاء المسيح ووعده،
خُذ منه وأعطني، خُذ مما له وحصِّني، لأن الصعود بالروح شاق، شاق جداً، لإنسان يحمل ثقل خطاياه.
إن كان العشار المبرَّر لم يستطع أن يرفع عينيه إلى السماء، فكيف ترتفع روحي لتبلغ الله؟ وإن كان التلميذ الغيور صرخ أنه غير مستحق لأن يقترب الرب إلى سفينته، فكيف أبلغ أنا حضرة القدير؟
وإن كان الصعود شاقاً بهذا المقدار، فاحتمال السقوط من بعد الصعود أشق وأخطر.
فيا روح الله، أمِّني ضد الزَّهْو والكبرياء.
الناس في العالم يؤمّنون حياتهم ضد الفقر والعوز والذلة، ولكن أمِّني أنت ضد الغِنَى والعظمة والكرامة.
أمنِّي ضد نفسي حتى لا تطلب العزة التي لله وحده.
أمنِّي ضد الارتفاع الخاطئ، لئلا أسقط، ويكون سقوطي عظيماً.
احملني في مركبتك الخفيفة، التي تلغي ثقلي، واحتويني بحرارتك التي تعزلني عن العالم، فأرتفع حيث تشاء!

- ١٠ -

الروح القدس
وإلهام الشجاعة للجندي في الجيش

■ «فحلّ الروح على عماساي رأس الثوالث فقال: لك نحن يا داود، ومعك نحن يا ابن يسّى. سلامٌ سلامٌ لك، وسلامٌ لمساعديك، لأن إلهك مُعينك. فقبِلَهم داود وجعلهم رؤوس الجيوش.» (١أي ١٢: ١٨)

عماساي هذا كان ضابطاً كبيراً رئيساً على ثلاث فرق، حلَّ عليه روح الله، ودفعه لينضم إلى جيش داود لتثبيت مملكته، من بعد موت شاول، وذلك لقمع المتمردين على داود من الأسباط المتخاذلة التي كانت موالية لشاول.

والجديد في الأمر أن نعرض: كيف يحل روح الله على جندي محارب؟ هل يمكن؟ ثم يلهمه الكلمة الشُّجاعة والخطة الناجحة؟

من هذه الحادثة نعلم أن أولاد الله، الله معهم، أينما كانوا، وأينما حلُّوا، حتى ولو قام عليهم جيش، أو ساروا في وسط وادٍ يُخيِّم عليه ظل الموت!!

وفرق بين جندي يستمد شجاعته من قساوة القلب ووحشية قوته، وبين جندي يستمد شجاعته من إلهام الروح، حيث ترتفع كفاءته ولياقته الحربية فوق كل قوة العدو، مهما كان سلاحه متفوِّقاً وفتَّاكاً! لأن روح الله حينما

يُعطي الشجاعة، يُعطيها كالتزام، وكواجب، ينبعان من الإحساس بأن الدافع على الحرب صحيح، فيستمد الجندي يقين النصرة من الله، مع عمق السلام الداخلي، الذي يجعل الإنسان يرتفع فوق الأحداث، ويسْخَر من تعظُّم عدوه، وكثرة سلاحه، كما سَخَر الفتى داود من جليات الجبار، إذ بضربة واحدة بحصاة ملساء (زلطة)، من المقلاع الصغير (نبْلة)، قضى داود على جليات، فَخْر جيوش الأعداء. إذن، فـ «لا بالقدرة ولا بالقوة، بل بروحي قال رب الجنود.» (زك ٤: ٦)

ولكن لكي نُميِّز الشجاعة التي يبثها الروح في قلب المحارب من الشجاعة التي تستثيرها الغرائز فيه، ينبغي أن نبحث معها عن السلام وعن الله وعن احترام الروابط. فشجاعة الروح لابد وأن تفيض في القلب سلاماً، وتلهم مواقع الله وتحرُّكاته معنا، وتزيد من حساسيتنا تجاه إخوتنا من بني الإنسان في كل مكان: «فحلَّ الروح... فقال: ... سلامٌ سلامٌ لك، وسلامٌ لمساعديك، لأن إلهك مُعينك».

فإذا نجح الروح في تلقيننا شجاعة القتال، مع توفير الروابط الإنسانية التي تربطنا بكافة الأجناس البشرية، تنقَّت الروح الحربية، وارتفعت أساليب القتال إلى مستوى النضال الشريف، من أجل القِيَم البشرية، والحرية والأخلاق.

فيا روح المسيح، الذي يستطيع أن يجعل الحرب وسيلة للنضال من أجل سمو الإنسان، وتدعيم الحرية، ونصرة الأخلاق؛ أعطني، وأعطِ كل جندي على خط النار مثل هذه الشجاعة الروحية.
وأسّس فيَّ، بالإلهام، أساليب القتال الشريف الذي لا يعرف

الخوف، ولا يميل إلى التهرُّب من الواجب، كما غرسه الله في الوجود الإنساني؛ حتى بالجهاد والنضال الذي يفرضه الواجب علينا، نصفِّي مصادر القوة الظالمة، ونقضي على التجبُّر والوحشية الآدمية، في كل صورها المكشوفة والمخادعة، التي سلبت الإنسان منذ البدء، وحتى اليوم، إحساسه بالإخاء والحب والسلام، وحَرَمته أغلى وأثمن عنصر في كيانه، ألاَ وهو الحرية.

وإن كنتَ، يا روح الله، تستطيع أن تجعل من شجاعة الحرب والقتال الدموي وسيلة لسمو الإنسان، فلا تحرمني من شجاعة الحرب والقتال، على مستوى النفس والإرادة تجاه الخطيئة، لأني إن عشتُ طاهراً لك، فسأكون درعاً مستتراً لأُمَّتي، أصدُّ عنها النكسة، وأفديها حتماً من الهزيمة، لأن «البر يرفع شأن الأُمة، وعار الشعوب الخطيئة.» (أم ١٤: ٣٤)

- ١١ -

الجمال الهندسي للروح

■ «وأعطى داودُ سليمانَ ابنه... مثال كل ما كان عنده بالروح لديار بيت الرب ولجميع المخادع حواليه، ولخزائن بيت الله وخزائن الأقداس (من جهة هندسة المباني).» (١أي ٢٨: ١١ و١٢)

روح الله هو المختص بالإبداع الفني في الخليقة. فالآب يأمر، والابن يُنفِّذ، والروح يُبدع الجمال ويُتقن! وفي النهاية تحدِّث السماء بمجد الله، والفَلَك يُخبر بعمل يديه (مز ١٩: ١).

ولولا روح الله الذي فينا، الذي هو روح الجمال والإبداع والتذوُّق الفني، ما استطعنا أن نرى في الخليقة أي جمال، بل ولا عرفنا أنه يوجد جمال البتة!! فالروح الذي استطاع أن يُعبِّر عن مجد الله، بواسطة الإبداع والإتقان للخلائق في السماء والأرض، عاد واستقر في روح الإنسان، فألهمه اكتشاف الجمال فيها، الذي هو لمسة يديه، وبالتالي ألهمه معرفة القدير: «لأن أموره غير المنظورة تُرَى منذ خلق العالم مُدْرَكةً بالمصنوعات، قدرته السرمدية ولاهوته، حتى إنهم بلا عذر.» (رو ١: ٢٠)

وهكذا صار الجمال الهندسي لروح الله واسطة لمعرفة القدير. فالجمال وحي وإلهام؛ وإن أحسن الإنسان تقبُّله واستخدامه، دخل في مجال الرؤيا الكاشفة لمجد الله وحكمته!!

وقد أعطى الله الإنسان في صميم خلقته وكجزء من نفخة روحه فيه؛ هذا الإحساس الجمالي، والتذوُّق الفني والهندسي، كنعمة عامة، وكمدخل للتعرُّف على الله، واستقراء وجوده في الخليقة، وبالتالي في نفسه.

والإنسان أول ما عبَّر بالإلهام عن الله، بأعمال يديه، عبَّر بالفن الهندسي. فالأهرامات تُعتبر أول مرحلة من التعبير الإلهامي عن اللاهوت - ممثَّلاً في فكرة الخلود - الذي يحسه الإنسان في أعماقه، وقد صاغ الإنسان، بالأهرامات، تعبيره عن الله، بالضخامة الهندسية، وبأكثر ما يمكن من المادة، وبآلاف آلاف الأطنان، ليفصح عن إحساسه بعِظَم الله وضخامته.

وفي المرحلة التي تليها من الإلهام، انتقل الإنسان في تعبيره عن الله، من الضخامة الهندسية إلى الدقة الجمالية، فدخل في مرحلة النحت، نحت التماثيل الدقيقة والجميلة. فبكمية من المادة، أقل بكثير جداً من الأهرامات، ربما بطنٌ واحد أو أقل، استطاع الإنسان أن يُجسِّد إحساسه باللاهوت، مستخدماً إحساسه الفني الدقيق، ليفصح عن جمال الله وانسجامه اللانهائي.

وفي الدرجة التي تليها من الإلهام، انتقل الإنسان من مرحلة النحت إلى مرحلة التصوير بالألوان. وهنا بعدَّة جرامات قليلة من المادة، استطاع أن يُعبِّر عن اللاهوت في أروع أحاسيس الحنان والطهارة.

ومن عصر الإلهام بالصورة، انتقل الإنسان إلى عصر الإلهام بالموسيقى، حيث بالحركة الآلية واختلاف الأصوات، استطاع أن يُعبِّر عن إحساسه بالله بواسطة النغم الجميل، باللحن المؤثِّر، الذي يبلغ بالشعور حتى أعماق الإحساس بالله.

ومع عصر الموسيقى، انفتح إلهام الإنسان إلى الترتيل، حيث اكتشف في حنجرته وفي صدره أعظم واسطة يُعبِّر بها عن إحساسه بالله. وهنا وبدون مادة أو أية حركة آلية - بالصلاة - وصل الإنسان إلى آخر درجة للتعبير عن الله!



فيا روح المسيح، الذي بثَّ في الإنسان، في كل العصور، أن يُعبّر عن وجودك في الخليقة وفي الإنسان، ألهمني أنا أيضاً الواسطة، التي أُعبّر بها عن إحساسي بك، وأن أحسك وأراك في كل هيكل، في كل جمال، في كل وجه، في كل صورة، في كل لحن، في كل صلاة؛
حتى حينما أراك وأحبك في كل خليقة، وفي كل إنسان، يصير كل شيء وكل جمال وكل جسد طاهراً في عيني، وواسطة لينطلق فمي بالتسبيح لقدرتك الفائقة، وجمالك المبدع، ووجودك في كل وجود!!

✞ ✞ ✞

- ١٢ -

رخاء الروح

■ «وكان روح الله على عزريا بن عوديد. فخرج للقاء آسا وقال له: اسمعوا لي يا آسا وجميع يهوذا وبنيامين. الرب معكم مّا كنتم معه.» (٢أي ١٥: ١، ٢)

ليس الله موجوداً فقط، بل هو أيضاً الوجود ذاته، الوجود الكلّي، الذي يستمد منه كل كائن وجوده. ويستحيل أن يوجد شيء ما بدون الله. لذلك ما أسهل أن نكون مع الله، لأن كياننا مرتبط به دائماً، وفي كل لحظة، ارتباطاً صميمياً؛ وما أسهل أن نطلب الله فنجده، لأنه موجود في صميم وجودنا. ففي اللحظة التي نشخص إليه في أعماقنا، حتماً نجده.

كما أنه مستحيل أن نجد الله خارج أنفسنا، أي خارج وجودنا، وعبثاً نطلبه، أو نفتش عليه في غير قلبنا.

ولكن كيف نجد الله، ونبقى معه؟

حينما نسلّم له كل عواطفنا وحبنا، حينئذ نتواجه في الحال مع عطفه وحبه.

حينما نسلّم له كل قلبنا، نبدأ نحس بقلبه.

حينما نسلّم له العين ثم الأُذن ثم اللسان، يبدأ شخصه يتصوَّر في إحساسنا، ويبدأ صوته يرن في أعماقنا، ويوقظ ذهننا، ويبدأ لساننا يتلذّذ

بكلامه، ويتعوَّد عليه، ويلتقطه من وسط آلاف الكلمات.

وباختصار، حينما نسلِّم كياننا كله لله، حينئذ، وحينئذ فقط، نجده ونحسه، لأن عملية تسليم الكيان لله هي، في حقيقتها، انفتاح على الله، الذي تستمد منه النفس كيانها. فإذا انفتحت النفس على الله، وَجَدَته، وأحسَّته، وتعرَّفت عليه. أما إذا أنكرت النفس الله، أو أهملت السعي في طلبه، أو تلاهت عن التشوُّق إليه، انغلقت على ذاتها، فلا تعود تحس إلاَّ بنفسها، ومهما حاولت البحث عن الله بالفكر والبرهان، فلن تجده.

فكما أن العين تصاب بالعمى الكلِّي، حينما ترفض أن تسلِّم ذاتها للنور وتنفتح عليه باستمرار، فيصبح النور غير موجود بالنسبة لها؛ كذلك النفس التي ترفض تسليم ذاتها لله، مصدر وجودها، تسليماً خاضعاً مذعناً وباستمرار، أو تفقد الشوق للوجود معه، فإنها تفقد إحساسها بوجود الله قليلاً قليلاً، حتى تصطدم في النهاية بالحقيقة المرعبة: إن الله غير موجود بالنسبة لها!!

• • •

فيا روح الله، الذي كشف هذه الحقيقة العظمى لعزريا بن عوديد منذ آلاف السنين، أتوسل إليك أن تكشف هذا السر لي، ولقارئ هذه السطور، لكي نعلم علم اليقين:

أن الله موجود فقط لمن يطلبه،

وأنه يكون فقط مع الذي يكون معه،

وأن ما من وسيلة قط للتعرُّف على صفات الله، إلاَّ بالحب!!

وأنَّ ترك الله وإهماله من القلب، هو الطريق الواسع، المؤدِّي إلى

غياب الله عن الرؤيا، ثم إلى إنكاره.

وإذ علمنا هذه الحقيقة، نتوسل إليك، يا روح الله، أن تلهمنا الوسيلة تلو الوسيلة، لطلب الله على الدوام، من كل قلبنا، والالتصاق به باجتهاد لا يكلّ، حتى يصبح وجود الله حقيقة حياتنا الأولى والعظمى، وحتى لا نكتفي ببرهان وجود الله، بل نتلذذ ونسعد بهذا الوجود في حياتنا، كلما استُعلِن لنا.



- ١٣ -

أولوية الروح

■ «وأعطيتهم روحك الصالح لتعليمهم، ولم تمنع مَنَّكَ عن أفواههم، وأعطيتهم ماءً لعطشهم.» (نح ٩: ٢٠)

الروح الصالح أولاً، ثم المن، ثم الماء. هكذا يعضد الله الإنسانَ في مسيرة غربته على الأرض. وهكذا ينبِّه المسيح قلبنا أن نطلب كل يوم مشيئة الله ومعرفته قبل خبز الكفاف!! لأنه إن كانت روحنا هزيلة فينا، فمن العبث أن نشدِّد الجسد. وإن كان الصلاح يعوزنا، فباطلٌ هو الأكل وباطل يكون الشبع.

أما مجد الإنسان ففي معرفة الله وصلاح روحه، لا في قوة جسده أو وفرة طعامه وشرابه. فإذا امتلأ الإنسان من معرفة الله وروحه الصالح، فوجهه سيلمع، ولو من كسرة خبز!

هكذا شهد كل عبيد نبوخذناصَّر للفتى دانيال، الذي صلّى وصام عن أطايب الملك، فتحوَّلت صلاته إلى فهم وحكمة، وتحوَّل صومه إلى نضارة وقوة.

• • •

فيا روح الله الصالح، يا مَن ملأت قلب دانيال فهماً وحكمة، وسندت جسده في الجوع، ومسحته بالقوة؛

أعطني أن لا أرتبك من أجل خبز الجسد وأعوازه، بل أولاً أطلب ملكوت الله وبره.

هَبْني أن أهيم بقوة صلاحك، فلا أيأس من عوز خبزي أو ضعف جسدي، لأن قوتك تُشدّد ضعفي، بل وستقيمني يوماً ما من الموت. أما جسدي فكعشب الأرض يذبل، ونضارة جسدي كزهر العشب الذي تلفحه الشمس، فيسقط ولا يقوم.

يا روح الله الصالح، يا مَن لم تمنع المن عن إسرائيل الجائع المتذمِّر، ثم غرَّمته ثمن شهوته مضاعفاً؛

أتوسَّل إليك أن تعلمني، بصلاحك، أنه لا فائدة من شبعي وملئي وازديادي، طالما لم يشبع قلبي منك، وتمتلئ روحي من حبك وصلاحك.

علِّمني، علِّمني، علِّمني، أن مغانم الدنيا كلها بدونك خسارة في خسارة.

- ١٤ -

الروح يشهد

■ «احتملتهم سنين كثيرة، وأشهدتَ عليهم بروحك عن يد أنبيائك.» (نح ٩: ٣٠)

يا لصبر الله! ويا لاحتمال الله! لخطايانا الكثيرة واعوجاج سيرتنا.

يتأنَّى علينا برأفات كثيرة سنين كثيرة، يُرسل لنا كل صباح مَن ينبِّهنا أو يتنبَّأ لنا، ولا يدعنا ننام إلاَّ وينخس ضمائرنا، بكتاب أو بكلمة عابرة.

كل ذلك برفق دون أن يجرح أو يفضح، ودون أن يُهدِّد ويتوعد، بل كمجرد شاهد نصوح، لعلنا نجعل لاستهتارنا حدًّا، ونقوم فنلوم أنفسنا ونوقظ إرادتنا.

ولكننا لا نعبأ بلطف الله ولا نُقيم وزناً لنُصح الروح لنا، بل نسوِّف ونسوِّف، ونتمادى حتى يتبدَّد خوف الله من قلبنا، فينقطع رجاء الله فينا، وحينئذ لا يعود روح الله يعمل بعد كمنبِّه أو مُذكِّر؛ بل ويكفّ عن الملامة والتأنيب، ويقف منحصراً فينا شاهداً علينا، بلا انقطاع، حتى ليكاد أنينه يصم آذان قلبنا، ولكن الخطيئة تبلِّد الإحساس وتخدِّر الضمير؛ فيمر الصباح وليس مُعكِّر، ويمر المساء ولا شيء يؤذي، وتمر الأسابيع تفرُّ كعربات القطار، وتعبر السنة برمَّتها، والضمير يستمرئ حياة الانحلال والتعدِّي، ولا يكاد يشعر بالخطية، والخطية بدون الروح القدس يصبح تعاطيها سهلاً كالماء.

ولكن، واحسرتاه! كل ذلك والروح القدس منقلب على النفس داخلها، يُسجِّل عليها درجة اعوجاجها أولاً بأول، ويزن ثقل انجذابها لشهوات التراب، ويقيس مسافة تباعدها عن الله مصدر خلاصها وحياتها. فإذا بلغت إلى الدرجة الحرجة، وانحطَّت إلى المستوى الذي لا قيام منه، وجمحت إلى الحد الذي لا عودة بعده، يبدأ قضاء الله.

• • •

ولكن، يا روح الله، أنا لا أزال أطلب وجهك،
لا أزال أترجى رحمتك،
فلا تطوي صفحة الحب هكذا سريعاً،
لأنه لا يزال عندي كلام لك،
وعندي توبة وندامة،
وعندي دموع،
وعندي صلاة وصلاة، وأصوام.
تأنَّى قليلاً، ولا تختم على أيام الرفق واللطف والوداد.
أنا لستُ كفواً لغضبك، ولا حملاً لأشهادك وموازينك وقلمك.
أصرخ إليك لا تتعجَّل،
كُنْ لي ضميناً عند نفسك.
وإن انحنتْ بالإثم وعلى الإثم نفسي،
فاستقامتها بين أصابعك.
وإن انحدرتُ حتى الهاوية،
فيدك ترفعني إلى العلو، إلى السماء، لأني لا أطيق سقوطي.

وإن تباعدتُ عنك بإرادتي،
فأين أهرب من روحك؟
اجذبني، فأعود سريعاً،
لأن بُعدي لا يشفيه إلا قُربك!!

* * *

- ١٥ -
الروح يكرز بالجمال

■ «بروحه زيَّن السموات» (أي ٢٦: ١٣ سبعينية)

لا يوجد شيء يضيء من ذاته. إن بهاء كل شيء هو من روح الله! وروح الله هو روح الحب والفداء، والفداء هو مركز بهاء الكون!

وإن كان نجم يمتاز عن نجم في المجد، لكن لا يستطيع الواحد أن يقول للآخر: «لا حاجة لي إليك» (١كو ١٢: ٢١)، فجمال الكون يعتمد على جمال كل فرد فيه! وكل فرد يستمد جماله من روح الله! آه لو علم ذلك الإنسان!

وحتى هذا القانون الذي نسميه الجاذبية الأرضية، ليس سوى علامة ابن الإنسان في السماء! حيث مركز الحب الإلهي أصل الجاذبية وجوهرها! وهكذا كل جُرم في الكون يستحيل أن يكون مركزاً لنفسه، وكل العوالم يحتاج كل واحد منها أن يكون جزءاً في مركز الآخر. وكما أن الآب أعين الكل تترجَّاه، وهو يعطيهم طعامهم في حينه؛ هكذا يعتني الروح أن يوزِّع القوة في السماء ولا يستأثر أحد بسلطانه لنفسه! فالسلطان الذي زيَّن السموات هو من روح ذاك الذي جعل الكل أعضاءً في جسده.

فيا ابن الله يا مَن يُحصي عدد النجوم، وقد أعطاها أسماءً بحسب زينتها،

عرّفني باسمي واسم أخي الذي نقشته على كفّك.

وامنحني أن أرى في وجوه نجوم السماء صورة للوحدة العظمى التي تنتظرنا معك في الأعالي، حينما نصبح كلنا أعضاءً فيك.

يا مَن السموات تتحدث بمجدك، افتح شفتيَّ، لأنطق معها بتسبحتك، فليس مجدك مجد أضواء آتية من نجوم بعيدة، أو مِزَاج ألوان وأطياف وشموس، أو فكرة عن نِسَب وأبعاد شاسعة، فكل هذا مجد محصور.

أما مجدك فهو مجد الروح، مجد الفداء والذبيحة، التي الخليقة كلها تئن وتتمخض معاً، تنتظر استعلانها، عندما يُشرق مجد الآب في وجه يسوع المسيح، ببهاء الروح، يوم مجيئه العظيم الذي صار على الأبواب.

يا ابن الله، ألهمني أن أستشف من وراء زينة السموات عِظَم اهتمامك بي، ورجاء وعد مجيئك.

علِّمني أن عجائب السماء لا تُستَجلى إلا من خلال عجيبة صليبك.

والجمال، كل الجمال، الذي في الطبيعة، لا منظر له إلا في سر الجلجثة.

وكما حزنت الشمس وأظلمت السموات، يوم عار صلبوتك، لابد وأن تفرح الدنيا كلها وتتهلل في مجد مجيئك.

نعم، لأنه كما في السماء كذلك يكون على الأرض، مجد واحد،

وبهاء واحد، نستمده من قلبك المطعون من أجل الجميع. وإن عرَّفتني ذلك، فسأعرف أن روحك هو الذي زيَّن السموات من أجلي.

* * *

- ١٦ -

ميراث الروح

■ «روح الله صنعني، ونسمة القدير أحيتني.» (أي ٣٣: ٤)

إن كان واحد يفتخر بميراث أجداده الصالحين، ويفرح ويرتاح لسلسلة نَسَبه إن كانوا قديسين، فلا يزال أمامه أن يبرهن للعالم أنه جدير بهذا الميراث، وأهل لهذا النَسَب.

نحن من روح الله وقد صنعنا وتبنَّانا، فأبونا روح، وقد استقر في خلقتنا، وبه نحيا ونتنفس. فروح الله موجود وماكث فينا؛ إن طلبناه، يوجد لنا ونعرفه ونحسه؛ وإن تركناه، يتركنا ولا نعود نراه أو نعرفه، مع أنه يظل يحيينا. إن كرَّمناه، يكرمنا ويشهد لنا؛ وإن احتقرناه، نصغر جداً، لأنه ينكرنا.

إن كنا قد ورثنا الجسد من آدم، فورثنا به الخطيئة والضعف والتلف والموت؛ فنحن قد قبلنا ميراث الحياة الأبدية والقداسة، بواسطة الروح الذي نفخه الله في جبلتنا، وجدَّده يسوع المسيح في أحشائنا، بالقيامة من بين الأموات، روحاً مستقيماً ومحيياً، روح النبوَّة والعفة، روح القداسة والعدالة والبر.

فإن كنا نئن بسبب ميراث الجسد، فعلينا أن نتشدَّد، بسبب ميراث الروح.

وإن كانت الخطيئة والموت يعملان في أجسادنا، فالحياة والقداسة تسكن الآن أرواحنا.

وإن كان القبر ينتظر الجسد، فالسماء تتلهف لاستقبال الروح.

• • •

فيا روح الله، أبي وجابلي وسيد حياتي، يا مَن كرَّمت طبيعتي بقيامة يسوع المسيح من بين الأموات، فأقمتني بقيامته، وولدتني مجدَّداً، لميراث لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل، محفوظ لي في السماء؛

أظهر حنان أبوَّتك لي،

وحكمة صنعتك فيَّ،

وهيبة سيادتك عليَّ.

اكشف عن عيني لأرى قيامتي بك،

لأتقبل مذك ميلادي وميراثي.

❊ ❊ ❊

- ١٧ -

فيض الروح

■ «هانذا أُفيض لكم روحي. أُعلّمكم كلماتي.»
(أم ١: ٢٣)

الصوت هنا صوت الحكمة، وحينما تتكلم الحكمة فالله هو المتكلّم. فالله هو «الحكيم وحده بيسوع المسيح.» (رو ١٦: ٢٧)

المسيح هو حكمة الله، وكلمة الله، فالمسيح هو استعلان حكمة الله وعلمه وكلمته: «الله... كلّمنا... في ابنه» (عب ١: ١، ٢). ولكننا لم نفهم "كلمة الله"، ولا يمكن أن نعرفه إلاّ بعد أن يفيض علينا روحه. وإذ يفيض الله روحه، يُعلّمنا الروح كل شيء، «وأما المعزِّي، الروح القدس، الذي سيُرسله الآب باسمي، فهو يُعلّمكم كل شيء.» (يو ١٤: ٢٦)

الله أفاض علينا روحه مرات كثيرة وعديدة، في الخلقة، وعلى جبل سيناء، وبالأنبياء، وعلى العذراء، وفي الميلاد والعماد والقيامة؛ ولكن ليس مثل يومَ الخمسين!!

كان يوم الخمسين هو يوم الروح القدس الفريد، الذي فيه انفتحت السماء، وفاض روح الله بغزارة على روح الإنسان الميتة، كما يفيض المطر على أرض جدباء مُعطشة، فارتوت طبيعة الإنسان من روح الله، وأثمرت معرفةً وحكمةً وقداسةً وبراً إلى مدى الأيام. ومنذ ذلك اليوم، والسماء مفتوحة، ووعد الله قائم إزاء كل بشر. فالبشرية تتجدَّد بفعل

الروح، وتغتسل بسرِّ الكلمة، كما يتجدَّد وجه الأرض بأشعة الشمس ورَخِّ المطر!!

وليس جزافاً أن يُقال عن الروح القدس، كما يُقال عن الماء إنه يفيض. فالروح يفيض من لدن الله، كالماء من الينبوع. والفيض في الماء وفي الروح سواء، لا يكون إلاَّ من ملء. لذلك يقول الكتاب إن في المسيح حلَّ كلُّ ملء اللاهوت جسدياً، ومن ملئه نحن جميعاً أخذنا نعمة فوق نعمة.

أما كل مَن يعطش، فعليه أن يأتي إلى ملء المسيح ويشرب، ومَن يشرب من سر المسيح، يرتوي، وتفيض من بطنه أنهار ماء حي. لأنه يستحيل - حسب الوعد - أن يشرب أحد من روح الله، إلا ويمتلئ معرفة، ويفيض بشارة مُفرحة.

• • •

فيا روح الله، في ذكرَى انسكابك يوم الخمسين، لتكميل وعد الآب،
إني آتيك عطشاناً، عطشاناً إليك وإلى معرفتك.
فاسقني كلمة، كلمة الحياة المذخر فيها كل كنوز الحكمة،
أشربها فأشرب سر المعرفة والحق،
فأدخل لُجة الحب الإلهي، حيث الارتواء والامتلاء وسر الفيض.
يا روح الله، يا وعد الآب الصادق،
قلبي اليوم إليك يُصلي، الكنيسة كلها تصلي،
أعلن ذاتك من السماء،

وبث فينا روح قوة "لنتقوَّى من ضعف"،
وامنحنا الشجاعة مع
«الذين بالإيمان: قهروا ممالك، صنعوا براً، نالوا مواعيد، سَدُّوا أفواه أسود، أطفأوا قوة النار، نَجَوْا من حَدّ السيف، تقوَّوْا من ضعف، صاروا أشداء في الحرب، هزموا جيوش غرباء.» (عب ١١: ٣٣، ٣٤)

***

- ١٨ -

سُكنى الروح

■ «لا تطرحني من قدّام وجهك، وروحك القدوس لا تنزعه مني.» (مز ٥١: ١١)

يا لها من خطيئة لعينة مُفزعة، أرعبت قلب نبي مختار. فإن كانت المزامير كلها لحن توبة واستغفار، فالمزمور الحادي والخمسون يبرز من دونها جميعاً، كقرار. فخطيئة داود فيه أرهقت حسه، وأذرفت دمعه، وعمَّقت انسحاق روحه حتى التراب.

صادقة هي كلمة الروح، على فم بولس الرسول، ومستحقة كل قبول: إن «كل خطية يفعلها الإنسان هي خارجة عن الجسد، لكن الذي يزني يُخطئ إلى جسده. أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذي فيكم.» (١كو ٦: ١٨، ١٩)

من جهة هذا يصرخ داود، متوجِّعاً، عندما أحس أن الروح القدس لم يَعُد يطيق السُّكنى فيه، وهو يطلب الفراق، ويلح في الخروج من هيكله، بلا عودة. يا له من إحساس مُرعب، عندما يقف الإنسان، في لحظة، وحيداً مطروحاً من أمام وجه الله، بسبب نجاسة الجسد، والروح مزمع أن يُفارق هيكله إلى الأبد.

يا له من ثمن باهظ. أبهذا تُثمَّن خطية الجسد؟ أبهذه النهاية المحزنة تنتهي العشرة مع الله، إزاء لذة ساعة، يصحو الإنسان بعدها، فإذا هو فاقد الوجود

في حضرة الله، مطروحاً فارغاً طريداً، يعبث في هيكله روح الإثم، وتتراقص فيه أشباح النجاسة! حقًّا ما أسهل الخطيئة! وحقاً ما أشنع عقابها! إنها كأس سم زعاف، مُذاب في لذة كالسُكَّر، لا يتبيَّن الإنسان منه طعم السم وأثره المدمِّر، إلاَّ بعد أن يسري الموت في الأعضاء.

• • •

فيا روح الله القدوس، يا روح الطهارة والعفة والحياء، أتوسل إليك أن تفتح عيني، لأتبيَّن مواقع موتي وهلاكي، وأُقدِّر خطورة ذللي، وأكشف الفخاخ المنصوبة حولي.

جنّبني أماكن الخطية، حتى ولو كان فيها ربح حلال، فالمال سيفنى، ولا يبقى بعده إلا الندم.

جنّبني مواقف العثرة، حتى ولو كان فيها سرور لنفسي، فالسرور ستنطفئ بهجته، ولا يبقى بعده إلا نزيف الضمير.

سلّحني بمنطق الروح، وإحساس الخلود إزاء سحر الأجساد والعيون، لأُدرك بالحق واليقين، أن التراب حتماً سيعود إلى التراب، والجمال واللذة سراب في سراب.

يا روح الله القدوس، اسكن في قلبي، واختم حواسي، بعهد أبدي، حتى أظل أميناً وفياً على قداسة الدم، الذي سَرَى في جسدي.

❁ ❁ ❁

- ١٩ -

روح الله وبهجة الخلاص

■ «رُدَّ لي بهجة خلاصك، وبروح مُنتَدِبة (رئاسي) اعضُدْني.» (مز ٥١: ١٢)

نحن لا زلنا بصدد مزمور التوبة، أو بالحري مزمور الخطية: "ارحمني يا الله مثل عظيم رحمتك"!!

قد يصفح الله عن الخطية، كوعده للتائبين، وتجف الدموع، وقليلاً قليلاً تزول القطيعة والغربة، التي تكون قد انحدرت إليها النفس بعيداً عن الله، بسبب حماقتها.

بل وقد يحلُّ السلام، وتدخل النفس منطقة الأمان، ولكن أين الفرح؟ أين البهجة الأولى؟ أين التهليل والترنُّم؟ أين الابتسامة العريضة والوجه المضيء؟ أين تعضيد الروح والرأس المرفوعة؟

كلها ضاعت. وقد ذوت النفس، وانحنت على نفسها، وغاب عنها خلاصها، واختفت بهجتها. فهذا هو سر الخلاص الذي تفقده النفس يوم تخلع عنها ثوب طهارتها.

قد يعود الله، ويستر عورتها برحمته، حينما ترتد إليه باكية، وقد يُلبسها أقمصة جلد ليرفع خزيها وعارها.

ولكن، أن تكون عروساً، وأن تتزيَّن بلباس العُرس، وأن تفرح بوجه

العريس، فهذا حصيلة أمانة ينبغي أن تُمتحن كل يوم بالنار من جديد!!

ليس كل مَن يسقط ويقوم يعود إلى بهجته الأولى، إذ بعد التوبة يتبقّى أمام النفس اختبار الركض في ميدان الطهارة، كل يوم مجدَّداً، حتى يُختَبَر مدى اجتهادها، بل مدى غيرتها، بل مدى صلابتها وعزمها؛ حتى تفوز برضا الحبيب وتعود إلى بهجتها الأولى.

من جهة هذا يصرخ داود: «**رُدَّ لي بهجة خلاصك**»! وإذ يرى عجزه وتحطُّمه وانكساره، ويرى الميدان طويلاً طويلاً أمامه، والعافية فيه مضمحلة، يصرخ: "**وبروح رئاسي عضدني**"!!

يوجد «روح الحكمة والفهم، روح المشورة والقوة، روح المعرفة ومخافة الرب» (إش ١١: ٢)، ولكن داود يطلب "**روح رئاسي**"، لأن نفسه انحنت فيه حتى التصقت بالتراب، وروحه ذابت في أحشائه، فلم يَعُد يستطيع أن يرفع وجهه أمام مرءوسيه!!

• • •

فيا روح الله، أعِن توبتي حتى تفوز بتزكيتك،
وانظر إلى حزني وذلي، وامتحن قلبي لعلَّه يصبح يوماً حسب قلبك؛
فأفوز برضاك، وتردّ لي بهجة خلاصك.

مع الروح القدس
في جهادنا اليومي

Synergy (*)

يونية ١٩٧٥

(*) Synergy كلمة يونانية الأصل معناها «وحدة العمل». وقد صارت اصطلاحاً لاهوتياً عميقاً يشرح التعليم الأرثوذكسي في كيفية اتفاق النعمة مع الجهد البشري في كل عمل صالح.

المحتويات

صفحة

(١) الروح القدس والتدرُّج من حياة الخطية إلى حياة القداسة ٧٠٤
(٢) الروح القدس وجهادنا المتواصل ضد الخطية ٧١٤
(٣) الروح القدس والأعمال الصالحة ٧٢٠
(٤) الروح القدس وإنكار الذات ٧٢٨
(٥) الروح القدس وانسكاب المحبة ٧٣٤
(٦) «لا تُحزنوا روح الله القدوس الذي به خُتِمتُم ليوم الفداء» ٧٣٩

(١)

الروح القدس

والتدُّرج من حياة الخطية إلى حياة القداسة

الروح القدس لا يعمل في السطح ولا من الظاهر، إنه يعمل في الداخل وفي الخفاء جداً.

لذلك إذا أردنا أن نتتبع عمل الروح في حياتنا، يلزمنا أن نتعمق كل شيء، نتعمق فكرنا، نتعمق ضميرنا، نتعمق دوافع سلوكنا، نتعمق رغباتنا وشهواتنا، الطيب منها والرديء، نتعمق صلواتنا وصومنا ودموعنا، نتعمق خدمتنا وأخيراً نتعمق حب الله والناس.

لأنه من هذا العمق نتواجه مع فكر الروح القدس ومطالبه وأهدافه فينا.

والتعمق دائماً يتطلب جهداً، فإذا أهملنا التعمق بسبب صعوبة الجهد المبذول، فإننا ننطرح على السطح ونعيش في مظاهر الأقوال والأعمال فلا نتواجه مع الروح القدس.

أما لماذا لا يعمل الروح القدس إلا في الأعماق، فذلك راجع إلى طبيعة الإنسان، لأن الدوافع والأسباب والغايات الحقيقية التي تحرك الإنسان والتي يتحرك الإنسان بمقتضاها لا تعمل ولا توجد إلا في

أعماقه؛ أما على السطح فلا توجد ولا تعمل إلا الدوافع المزيفة التي تحركها وتتحكم فيها التقاليد الاجتماعية والتأثيرات البيئية والتربوية وإيحاءات الغير.

حينما يبدأ الروح القدس عمله في أعماق الإنسان، يبدأ الإنسان يكتشف مفاعيل الروح القدس الأولية على هيئة صراع داخل الفكر والضمير والأعضاء، صراع بين «روح الحياة في المسيح يسوع» (رو ٨: ٢) - أي روح الحق والقداسة والبر والتعفف - ضد روح الباطل والنجاسة والخداع والشهوة.

هنا الصراع يبدو مُرّاً وغير محتمل على ضمير الإنسان وفكره، بسبب إمكانية السقوط في الشر مع وجود روح القداسة في ذات الوقت، حيث يبلغ التأنيب أَوَجَه «لأني لست أعرف ما أنا أفعله، إذ لست أفعل ما أريده بل ما أبغضه فإياه أفعل ... فالآن لست بعد أفعل ذلك أنا **بل الخطية الساكنة فيَّ**، فإني أعلم أنه ليس ساكن فيَّ - أي في جسدي - شيء صالح. **لأن الإرادة** حاضرة عندي، وأما أن **أفعل** الحسنى فلست أجد. لأني لست أفعل الصالح الذي أريده بل الشر الذي لست أريده فإياه أفعل.» (رو ٧: ١٥-١٩)

أما النتيجة الحتمية التي يبتغيها الروح القدس في هذه المرحلة فهي بغضة الخطيئة جداً. وبقدر ما يزداد وجود الروح القدس يزداد تبكيته لسلوك الإنسان، فيزداد الإنسان بغضة لحياة الشر والخطيئة جداً.

هنا يكون الإنسان منحازاً إلى الروح القدس بضميره أو قلبه، الذي أسماه بولس الرسول «فكر» أو «عقل» أو «ذهن». (وهذا الالتباس ناتج

من تغير حدث على مدى العصور في معنى الكلمة (νοῦς)، حيث التوبة في عرف لغة الإنجيل هي تغيير يتم في العقل (μετάνοια)، كذلك أيضاً فإن عمل الروح القدس لتجديد الإنسان يتم في الذهن أيضاً: «تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم» (رو١٢: ٢). "تغيروا عن شكلكم = μετα-μόρφωσις" أي تغيُّر من طور إلى طور، أي تغيُّر ذهن = νοῦς.

ولكن لشدة الأسف بينما يكون الإنسان منحازاً للروح القدس بقلبه يكون جسده منحازاً للخطيئة: «لأن الجسد يشتهي ضد الروح والروح ضد الجسد، وهذان يقاوم أحدهما الآخر حتى تفعلون ما لا تريدون» (غل ٥: ١٧)، وذلك بسبب امتداد غير سويٍّ لسلطان الغريزة والعادة الذي يحتاج إلى بعض الوقت ليخضع وينضبط لسلطان الضمير والقلب بالروح القدس. علماً بأن الخطيئة تستغل دائماً الغريزة الطبيعية في الإنسان لتنحرف بها دون المطالب الطبيعية.

فإن كانت الخطيئة تجد لها في غرائز وشهوات جسد الإنسان قاعدة تختبئ فيها وتعمل من خلالها، فإن الروح القدس يجد له في قلب الإنسان (أو عقله وضميره) قاعدة يسكن فيها ليبدأ عمله ضد عنصر الشر المتسلط على جسد الإنسان: «اسلكوا بالروح فلا تكمِّلوا شهوة الجسد» (غل ٥: ١٦)، حيث يبدأ التغيير والتجديد في الذهن، وهذا أسهل نوعاً ما.

وهذا يوضحه بولس الرسول عندما يشرح حالة الإنسان وهو تحت فاعلية الروح القدس في بداية صراعه ضد الخطية:

+ «فإني أُسَرُّ بناموس الله بحسب الإنسان الباطن، ولكني أرى ناموساً آخر في أعضائي يحارب ناموس ذهني ويسبيني إلى ناموس الخطية الكائن في أعضائي. ويحي أنا الإنسان الشقي، من ينقذني من جسد هذا الموت. أشكر الله بيسوع المسيح ربنا. إذاً أنا نفسي بذهني أخدم ناموس الله ولكن بالجسد ناموس الخطية» (رو ٧: ٢٢-٢٥).

ولكن إذا انحاز العقل والضمير للشر نهائياً ورفض بإصرار قبول الروح القدس أو الوقوف بجانب مشورته، يتوقف إيحاء الخير، وينعدم بذلك الصراع بين الخير والشر، ويقف بالتالي التبكيت ويتخلى الله عن الإنسان، ويسلمه للعدو: «وكما لم يستحسنوا أن يُبقوا الله في معرفتهم أسلمهم الله إلى ذهن مرفوض ليفعلوا ما لا يليق.» (رو ١: ٢٨)

وهنا يصبح الذهن **ذهناً مرفوضاً** يفعل كل ما لا يليق بلا مانع وبلا أقل تأنيب!! بل ويُسر الذهن المرفوض بالذين يفعلون الشر (رو ١: ٣٢)، حيث يصبح الذهن هنا فاقداً للنور الإلهي، تابعاً للجسد متوافقاً معه، ويسميه بولس الرسول «ذهناً جسدياً»: «متداخلاً في ما لم ينظره منتفخاً باطلاً من قِبَل **ذهنه الجسدي**.» (كو ٢: ١٨)

وهذا الانغلاب الخطير الشامل إنما يبدأ بهجمات الشيطان المتعددة لتشكيك الذهن في ما هو خيِّر وصالح، ويضغط على الإرادة حتى يكسر حاجز المقاومة حيث يبتدئ الإنسان يستسلم إلى ما لا نهاية.

أما إذا ساد الروح القدس على الذهن وقَبِلَ الإنسان تبكيت الروح القدس واستجاب له بالفعل، فإن ذهنه يصبح شيئاً فشيئاً ذهناً روحياً. ويمتد أثر الروح القدس من العقل النشيط المتجمد ليشمل كل مَلَكَات

الإنسان العليا فيسمَّى إنساناً روحياً، حيث يصبح ناموس الذهن - أي القانون الذي يسلك بمقتضاه - هو نفسه ناموس الروح القدس!! ويعبِّر عن ذلك بولس الرسول هكذا: «أُسرُّ بناموس الله بحسب الإنسان الباطن ... وبذهني أخدم ناموس الله.» (رو ٧: ٢٢، ٢٥)

ونلخص **درجات عمل الروح القدس** هكذا:

(أ) بدون عمل الروح القدس يشرب الإنسان الخطيئة كالماء دون أي صراع أو نزاع أو إحساس باللوم أو الندم. إذ يكون مقياس الصلاح (الوصية) والهاتف الداعي إليه غير موجود.

(ب) يبدأ الروح القدس عمله بطرح الوصية أمام ذهن الإنسان كمقياس إلهي وكرسول يطالب بحق الله!! فيبدأ في الحال الصراع بين الذهن القابل لهتاف الصلاح وبين الخطيئة الرابضة في الأعضاء كالحية يحركها الشيطان ويتحرك بها. حيث الصراع هنا يتم داخل الإنسان بين الذهن (أو العقل أو القلب أو الضمير) وبين الجسد. حيث يستريح في الذهن ناموس «روح الحياة في المسيح يسوع» كما يستريح في الجسد ناموس «الخطيئة والموت».

(ج) يزداد عمل الروح القدس بمقدار قبول الذهن له وطاعته لمشورته حيث تزداد حدة الصراع، ولكن كلما ازداد الصراع كان ذلك برهاناً أو مقياساً لفاعلية الروح القدس المتزايدة حيث يكون هدف الروح هو الوصول إلى القناعة الأكيدة بشناعة الخطية.

(د) إذا بلغ الذهن إلى القناعة الكلية بشناعة الخطية وخطرها الأكيد، يكون هذا معناه أن الذهن انحاز لناموس الروح القدس، وهذا بذاته هو

حالة تقديس للذهن.

(هـ) تقديس الذهن لا يبقى بدون عمل؛ إذ بمجرد أن يتحرر الذهن من ناموس الخطية ويتقدس بالروح القدس، ترتفع القدرة القتالية للإرادة، بيقين المعرفة الصالحة للذهن، لمواجهة الخطية الرابضة في الجسد والمتحركة بفعل الشهوة التي يُلهبها الشيطان بنوع من الخداع والتهويل الكاذب.

(و) بدء غلبة الإرادة على حركة الخطية وإيحاءاتها الشهوانية المخادعة، هو هو بدء حياة البر أو التقوى أو القداسة.

(ز) هذا الصراع القائم في أساسه بين ناموس الروح القدس في الذهن وبين ناموس الخطية والموت في الجسد لا يكفُّ ولا ينتهي قط طالما الجسد ينبض بالحياة، بل يصير دائماً أبداً على أعلى مستوى من الاستعداد للتأجج في الإنسان الذي يجاهد في السيرة المقدسة، تارة يرتفع إلى أقصى درجة من الحرارة حيث يرتفع الذهن إلى أعلى درجة من القداسة، وتارة يهدأ عندما تسود النعمة وتملك فتحل محل الصراع إلى حين.

(ح) ولكن مجرد القناعة الذهنية بشناعة الخطية وضررها المفسد والمهلك لا يبرر الإنسان، ولكن يبرره الله وحده. حيث يتضح أن الله هو وحده القدوس! ولكن معلوم أن بر المسيح نضح علينا، فالمسيح برَّر الخطاة بسفك دمه الكفاري!

إذن، فالوصول إلى قناعة الذهن بشناعة الخطية والإيقان ببر المسيح

وتبريره هو بحد ذاته منفذ عملي للدخول في حياة البر أو حياة القداسة.

والآن نشرح هذا بمعنى آخر:

(ط) إن موت المسيح الكفاري بسفك دمه عن الخطاة دان الخطية وأهى على سلطانها القتَّال للناس! إذن فالوصول إلى القناعة الذهنية بشناعة الخطية وبالتالي رفضها ذهنياً هو هو الخروج العملي من تحت دينونتها الرهيبة، هذا إنما يكون حتماً من فعل الروح القدس ودم المسيح: «لأن ناموس روح الحياة في المسيح يسوع قد أعتقني من ناموس الخطية والموت!!» (رو ٨: ٢)

(ي) إذن، فازدياد الذهن والضمير إحساساً بالخطية وبفعلها المدمر لحياة الإنسان وخلاصه، حتى ولو لم يكن الإنسان قد بدأ في حياة القداسة كما ينبغي، هذا لا يجب أن يوصلنا إلى يأس، لأنه في الواقع لا يوصلنا إلى الوقوع تحت دينونة الخطية بل بالعكس فهو يخرجنا من تحت دينونة الخطيئة!! لأن جحد الخطيئة والشيطان في الذهن وفي الضمير عن صدق وقناعة كاملة هو بحد ذاته فعل من أفعال الروح القدس وهو ناتج أصلاً من فعل تبرير المسيح للخطاة بدمه، وبدينونته للخطية والشيطان على الصليب. وهذا ما يفعله المعمَّد قبل أن يبدأ حياة الإيمان المسيحي العملي.

إذن، فكل مرة نجحد فيها الخطيئة والشيطان في الذهن، أي في القلب، عن صدق وإخلاص وقناعة روحية كاملة، هذا بحد ذاته هو تمسُّكٌ ببر المسيح وإعلان إيمان صحيح، وهو كفيل أن يهيئ لنا بداية جديدة لحياة القداسة ودفعاً جديداً لممارسة القداسة عملياً!

(ك) ولكن بدون حياة القداسة، أي بدون الانتقال من الاقتناع الذهني بشناعة الخطية إلى قتال الإرادة الفعلي ضد الخطيئة العاملة في الجسد بالأهواء وغرور الشهوات، يجعل بر المسيح بلا ثمر فينا، ولا يكون له في حياتنا شهادة، بل يبقى مجرد وثيقة في يدنا قابلة للصرف، ولكن لم تُصرف بعد للانتفاع بها.

لأنه لا يمكن أن يُستعلن بر المسيح في الذهن فقط، إذ يتحتم أن ينتقل إلى حياة القداسة وغلبة الخطية أولاً بأول. كما أنه يستحيل أن يوجد خلاص في حياة الخطية.

(ل) لذلك فإن عمل الروح القدس في الإنسان الذي يظهر كصراع ذهني ضد ناموس الخطية الرابض في الأعضاء، يتحتم أن يزداد ويزداد ويزداد حتى ينتقل الذهن من الاقتناع بشناعة الخطية (التي هي حالة القداسة الفكرية) إلى إشعال الإرادة نفسها بالقداسة بالفعل. وهكذا تنتقل القداسة من الذهن إلى الإرادة الفعلية، وبالتالي إلى الجسد فيسود الروح القدس على الإنسان كما في الذهن كذلك في الجسد والأعضاء جميعاً.

(م) وهكذا يظل بر المسيح متعلقاً أساساً بتخلُّصنا من ناموس الخطية العامل في الأعضاء!

(ن) هنا يلزمنا جداً أن نعلم أن علاقتنا الشخصية الدائمة بالمسيح بالحب الصادق من خلال إيحاءات الروح القدس المستمرة هي الأساس القوي جداً للانتصار على ناموس الخطية مهما كان سلطانه: «الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات» (غل ٥: ٢٤). هنا

كلمة «للمسيح» تفيد علاقة قريبة شديدة متصلة اتصالاً مستمراً لا ينفصم ولا ينفصل، حيث معروف أن اتحادنا بالمسيح الآن هو اتحاد بالمسيح القائم من الأموات المُعطِي الروح القدس بالنفخة السرية من خلال كل أسرار الكنيسة: «إن كان أحد "في المسيح" فهو خليقة جديدة.» (٢كو ٥: ١٧)

(س) فإذا قارنَّا في الختام بين ناموس الخطية وناموس روح الحياة، اكتشفنا مقدار الهوة المريعة بين الخديعة التي ننساق إليها إذا اخترنا لأنفسنا الخطية، وبين أصالة الحق والنور الذي سنسير فيه إذا اخترنا الروح القدس وسمعنا صوته ولم نُقسِّي القلب.

فناموس «**الخطية والموت**» قانون صارم مستبد شرس، بلا عقل أو حكمة أو أية منفعة، ناموس أعمى لا معنى له ولا غاية إلا الموت والهلاك الذي شبهه الرسول بسريان النجوم التائهة في فلك الفضاء وهي تحترق وتتلاشى، أو الغيوم التي يسوقها النوء بلا أي نظام، أو سقوط أوراق الخريف كيفما كان فتذريها الريح عن وجه الأرض ولا يقر لها قرار (رسالة يهوذا: ١٢ و١٣).

فإذا تسلط ناموس الخطية على الأعضاء أعمى الذهن وجرَّده شيئاً فشيئاً من إدراك الحق الإلهي، وحقَّر في نظره العفة والقداسة، وقلَّل من شأن كل فضيلة وكل ما هو لله. فإذا ملك ناموس الخطية على الأعضاء وعلى الذهن أفهى على الإرادة بالتالي وأذلَّها تحت كل شهوة ونجاسة واستعبد الإنسان كلية.

أما إذا فحصنا ناموس «روح الحياة في المسيح» نجده من حيث القوة

أقوى من ناموس الخطية وأكثر سيادةً وسلطاناً، وقد مثّله الرب يسوع في إنجيل لوقا الأصحاح الحادي عشر بـ «الرجل الأقوى». فإن كان الشيطان قوياً، فالروح القدس أقوى، «ولكن متى جاء من هو أقوى منه فإنه يغلبه وينزع سلاحه الكامل الذي اتكل عليه ويوزِّع غنائمه.» (لو ١١: ٢٠-٢٦)

فإن كان ناموس الخطية يُحدر الإنسان إلى ما هو دون الطبيعة حتى ينتهي به إلى الموت فكراً وعملاً، فناموس روح الحياة في المسيح يسوع يرفع الفكر والإرادة والعمل بل وحتى الجسد إلى ما فوق الطبيعة حتى إلى حياة أبدية.

وإن كان ناموس الخطية يعمل في جو من الظلام على أساس الكذب والخداع والكلام الملق والتصورات المفخمة المهولة المملوءة باللذة المخادعة، حتى يتم إلقاء الشبكة وحينئذ يمد الشيطان يده بسرعة خاطفة ليذبح الفريسة قبل أن تستيقظ؛ فإن ناموس الروح القدس يعمل في النور على أساس الحق درجة درجة بتروٍ، وبرهان صدقه فيه، حيث كلما ساد ناموس الروح كلما ساد الإنسان على نفسه وأهوائه وغرائزه، وفاحت من ذهنه وفمه وسلوكه رائحة القداسة، حيث كل خطوة تكون ذات معنى وذات أثر وذات انسجام أعظم مع النفس ومع الناس والله والكون والخليقة كلها.

واضح، إذن، أنه مستحيل على الإنسان أن ينعتق من ناموس الخطية والموت إلا بهذا الناموس الأقوى والأعظم: «ناموس روح الحياة في المسيح يسوع».

(٢)

الروح القدس

وجهادنا المتواصل ضد الخطية

+ «أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقويني.» (في ٤: ١٣)

ينبغي أن نلتفت جداً إلى أساس جهادنا الروحي ضد الجسد والخطيئة والعالم، لأن أي جهاد لا يقوم على الإيمان الصحيح لا يفيد شيئاً.

فأول كل شيء ينبغي أن نثق تماماً أن المسيح لا يعمل فينا بدون الروح القدس، والروح القدس لا يعمل فينا بدون المسيح، ونحن بدورنا نحيل أن نعمل شيئاً بدون المسيح والروح القدس.

فالروح القدس يأخذ من المسيح ويعطينا، أي أن الروح القدس لا يعطينا من ذاته شيئاً مباشرة، ولكن قدرته الفائقة العجيبة جداً تنحصر في أنه يستطيع أن يأخذ **كل** ما للمسيح ويعطينا، لأن كل ما عمله وأكمله المسيح في حياته فهو لنا.

فالمسيح أكمل في نفسه ومن أجلنا كل واجبات ومتطلبات القداسة اللازمة والمفروضة لحياة كل إنسان أمام الله: «لأجلهم أُقدِّس أنا ذاتي» (يو ١٧: ١٩). لذلك فخارجاً عن حياة المسيح أو بدون حياة المسيح، لا أمل ولا رجاء ولا نصيب في أية قداسة أو بر أو فداء لأي إنسان: «ومنه أنتم بالمسيح يسوع الذي صار لنا حكمة من الله وبراً وقداسة

وفداءً.» (١كو ١: ٣٠)

ولكن في نفس الوقت نجد أن كل ما عمله وأكمله المسيح في حياته ضد الخطيئة والموت من أجلنا، كونه «دان الخطيئة في الجسد» (رو٨:٣)، كان يستحيل أن ينتقل إلينا أو يصير له فاعلية في حياتنا إلا بالروح القدس، كما هو مكتوب: «لأن ناموس **"روح الحياة" في المسيح يسوع** قد أعتقني من ناموس الخطية.» (رو ٨: ٢)

أي أن الروح القدس – ذا القوة والقدرة الفائقة على الطبيعة البشرية وعلى العقل وعلى المنطق وعلى الجسد – هو الذي يتولى عملية فك ناموس الخطيئة وتحطيم سلطان الموت من الطبيعة البشرية لدى كل إنسان، بعملية – سرية أو سرائرية فائقة، تتلخص في إحلال حياة المسيح – **أي المسيح الحي** – بدل حياتنا الآدمية العتيقة، يأخذ كل ما لنا ويعطينا كل ما للمسيح حتى يستطيع الإنسان في النهاية أن يقول عن إحساس يقيني: «أحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ» (غل ٢: ٢٠). وذلك كله على أساس شرط واحد، هو أن نؤمن ونعتمد على أن المسيح مات على الصليب كخاطىء لأجلنا، وقام من الأموات كبارٌّ لأجلنا. أي «أُسلم من أجل خطايانا وأُقيم لأجل تبريرنا.» (رو ٤: ٢٥)

غير أن الروح القدس **أيضاً** هو الذي يقوم بإقناعنا بهذا الإيمان، أي بالإيمان بموت المسيح وقيامته عنا، ويرفع إيماننا هذا إلى مستوى اليقين الفائق على المنطق والعقل. وهكذا نجد أنه حتى الإيمان نفسه الذي هو أساس عمل الروح القدس فينا هو في الحقيقة ليس منا أصلاً، بل هو عطية الله الفائقة، غير أنه يصبح في النهاية، إذا تمسكنا به، ملكاً لنا وفعلاً

إلهياً ثابتاً فينا، وأساساً لعمل الروح القدس الفائق الوصف.

الروح القدس يحوِّل فينا الإيمان إلى عمل:

أما الإيمان هنا فهو الإيمان بموت المسيح الكفاري عن الخطاة وقيامته لتبريرهم أمام الله الآب.

وأما العمل هنا الذي نقصده فهو الجهاد ضد الخطيئة للسلوك بحسب القداسة.

الإيمان والعمل لا يمكن فك ارتباطهما ببعض، ولكن الإيمان بما عمله المسيح من أجلنا لا يتحول تلقائياً أو بالجهد الذاتي إلى عمل، أي إلى جهاد ضد الخطيئة لبلوغ القداسة، بل لابد من توسط الروح القدس!!

الروح القدس يستخدم إيماننا الفائق الواثق بشخص المسيح الحي، فمن خلال الإيمان ينفذ الروح القدس إلى أعماق كيان الإنسان الفكري والإرادي، فيجعل الفكر والإرادة في حالة خضوع وقبول شديد لفكر المسيح وإرادته، فيبدأ الإنسان في الدخول في حالة تغيير شديد، ويصبح قادراً في الحال على العمل والجهاد ضد الخطيئة بسهولة وبقوة فائقة على كل إمكانياته الفكرية والإرادية السابقة، مما يكشف فعلاً عن حدوث حالة حلول للمسيح بالإيمان داخل القلب وعن سيطرة الروح القدس على الفكر والإرادة. وما يصبح على الإنسان بعد ذلك إلا الخضوع المتواصل والطاعة المذعنة الفَرِحَة لعمل الروح القدس، حتى يكمل الإنسان بإرادته الجديدة وبفكره الجديد عمل الخلاص بالجهاد النشط الحار ضد الخطية وكل شبه خطية.

«**تموا** خلاصكم بخوف ورعدة، **لأن** الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا من أجل المسرة.» (في ٢: ١٢،١٣)

واضح هنا من قول الرسول أن الله هو الذي يبدأ أولاً بعمله الشخصي بالروح القدس داخل إرادتنا، وبإقناعنا للعمل ضد الخطية بسرور الإرادة، ولذلك يطالبنا بالتتميم، أي يطالبنا بتكميل عمله الذي بدأه فينا، بخوف ورعدة، لئلا نفقد خلاصنا ويصير عمله فينا شاهداً ضدنا. وليلاحظ القارئ وضع حرف «**لأن**» بين «**تموا خلاصكم**» وبين «**الله هو العامل فيكم**». فعملنا متوقف بالضرورة على عمل الله المُسبق فينا!!

وهذه المبادرة العجيبة والسرية التي يقوم بها الله داخلنا على مستوى الإرادة والعمل هي بسبب أن الله يعلم تماماً بضعف الجسد وانهزام الإرادة البشرية تجاه سطوة ناموس الخطية ولعنة الموت: «لأنه ما كان الناموس عاجزاً عنه، **في ما كان ضعيفاً بالجسد**، فالله إذ أرسل ابنه في شبه جسد الخطية، ولأجل الخطية، دان الخطية في الجسد، لكي يتم حكم الناموس فينا، (قُرِئَت **بر** الناموس) نحن السالكين ليس حسب الجسد **بل حسب الروح**.» (رو ٨: ٣،٤)

أي أن المسيح جاء ليمنحنا (في نفسه) بر الناموس متجاوزاً عن ضعف جسدنا، معطياً لنا ما كان له بالجسد من بر ومن نصرة ضد الخطيئة، عطاءً سرياً أو سرائريًّا بحلوله فينا بواسطة عمل روحه القدوس داخلنا، وذلك برفع الإرادة إلى مستوى إرادة المسيح، ورفع الفكر إلى مستوى فكر المسيح حتى إلى درجة العمل والجهاد ضد الخطية بسرور الإرادة:

«لأن الله هو العامل **فيكم** أن تريدوا وأن تعملوا من أجل المسرة».

إذن، فعطاء الله بالمسيح ليس فقط عطاءً إيمانياً فكرياً أو إيمانياً نظرياً، بل هو إيمان عملي ضد الخطيئة.

من أجل هذا يصرخ يعقوب الرسول مُحذِّراً أن «الإيمان بدون أعمال ميت» (يع ٢: ٢٠)، لأن مباشرة العمل الخلاصي والجهاد ضد الخطية هي العلامة الوحيدة على أن الروح القدس قائم وفعَّال داخل الكيان الفكري والإرادي، وأن المسيح حي قائم في القلب، أي أن الإيمان حي فعلاً!!

ومن مضمون الوسائل الفعَّالة جداً التي يستخدمها الروح القدس لإقناعنا بمواصلة الجهاد والعمل والسهر ضد الخطية، إدخاله إيانا في إحساس واقعي بالعفو والبراءة بفعل دم المسيح الماسح والغاسل للخطايا بصورة مفرحة مذهلة للعقل، كلما جاهدنا جهاداً صحيحاً حسب إرادة الله ومسرته!

هنا مواصلة الجهاد والنمو فيه ليس من إرادة بشرية ولا من طموح ذاتي، بل هو في الحقيقة طاعة صادقة لصوت الروح القدس وحثه المقنع والمفرح للقلب لمواصلة الجهاد، ونتيجة مباشرة لتذوق عذوبة العمل المضني والجهاد المتواصل ضد الخطية، تحت قيادة الروح القدس بحيث أن كل خطوة في جهادنا الروحي ضد الخطيئة، بقيادة الروح القدس وتحت طاعته، تجعلنا نمسك أكثر بحقيقة فعل الدم وحقيقة معنى التبرير وحقيقة الحياة الأبدية: «**جاهد جهاد الإيمان الحسن وأمسك بالحياة الأبدية** التي إليها دُعيت.» (١تي ٦: ١٢)

هذا الجهاد الروحي بكل مفاعيله الداخلية التي يخلقها الروح القدس في إرادتنا خلقاً متواصلاً بلذة فائقة، وبضبط فائق لكل شهوة وكل انحراف، باستعذاب كل صوم وكل حرمان وكل تعفف وكل مقاطعة لما هو شبه شر، وكل وقوف في الصلاة والسهر مهما طال، هذا كله هو ما يقصده بولس الرسول بقوله «لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح» (رو ٨: ١). فالسلوك حسب الروح هو هو هذا الجهاد العذب المتواصل ضد الخطية تحت قيادة الروح القدس.

(٣)

الروح القدس والأعمال الصالحة

نحن مقدَّسون بالمسيح، أو في المسيح. وخارجاً عن المسيح أو بدون المسيح لا يُدعَى إنسانٌ ما أنه قديس: «لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح.» (غل ٣: ٢٧)

هي إذن «**قداسة المسيح**» التي تُنسب إلى أولاده، يلبسونها فوق عريهم أو فوق خزيهم فإذا بهم قديسون وأبرار. وليس أحد قديساً من ذاته أو من أعماله، لأنه بدون المسيح لا يوجد عمل صالح أمام الله: «وأنتم الذين كنتم قبلاً أجنبيين وأعداء في الفكر في الأعمال الشريرة، قد صالحكم الآن في جسم بشريته بالموت ليحضركم **قديسين** وبلا لوم ولا شكوى أمامه. **إن ثبتُّم على الإيمان.**» (كو ١: ٢١-٢٣)

ولكن لا يمكن أن تُضاف إلينا قداسة المسيح بدون الروح القدس. الروح القدس أول كل شيء وبداية كل شيء، فهو يضطلع في المعمودية بعملية غسيل سرية أو سرائرية عميقة أشد العمق فائقة أشد التفوق. فهو غسيل يتعمق الطبيعة في كيانها العتيق، يرفع عنها لعنة الموت ورائحته، ويهبها قوة حياة لا تزول، لأن الروح القدس يغسل الإنسان بدم موت المسيح ويدهنه بدهن قيامته السرية، فيخرج من جرن المعمودية خليقة أخرى مقدسة في المسيح لله. «لكن اغتسلتم بل تقدستم بل تبررتم باسم الرب يسوع **وبروح** إلهنا» (١كو ٦: ١١). (الغسيل للجسد، والتبرير

للنفس، والتقديس للروح).

إذن فقداسة القديس ليست في أصلها إلا موت المسيح وقيامته ينقلها الروح القدس من طبيعة المسيح ويغرسها في طبيعتنا أولاً بأول، في سر لا يُنطق به، عبر الإيمان وعبر التوبة وعبر المعمودية وعبر كل تناول وعبر كل قراءة الإنجيل، حتى نتغير عن شكلنا كلية ويصبح «المسيح حياتنا» (في ١: ٢١) و«يحل المسيح بالإيمان في قلوبنا.» (أف ٣: ١٧)

إذن فالقداسة هي هبة المسيح العظمى، هي سُكنى المسيح في القلب بالإيمان، هي موته الذي يلغي نجاساتنا، وهي حياته التي تجدد خلقتنا.

القداسة في المسيح هبة كاملة، وفي النهاية وبعد تكميل كل سر تشمل كيان الإنسان كله جسداً ونفساً وروحاً، لأنه فعل داخلي وعمل إلهي كامل وفائق، ينتهي بها إلى مستوى خليقة كاملة مؤهَّلة للظهور أمام الله بلا لوم!

+ «وإله السلام نفسه **يقدسكم بالتمام**، ولتُحفظ روحكم ونفسكم وجسدكم كاملة بلا لوم عند مجيء ربنا يسوع المسيح. أمين هو الذي يدعوكم **الذي سيفعل أيضاً**.» (١تس ٥: ٢٣-٢٤)

هذا هو التقديس السري الفائق الذي يضطلع به الروح القدس «**نفسه**» فيعمله في صميم طبيعة الإنسان، لكن في غير إحساس مادي أو وعي شعوري للإنسان، وذلك بالإيمان وبالإنجيل ومن داخل أسرار الكنيسة!

ولكن، وبعد هذا التقديس السرائري، يتبقى عمل تقديسي آخر أو تقديس تكميلي يضطلع به الروح القدس **بواسطة الإنسان نفسه** من خلال

الأعمال الصالحة! «فإذ لنا هذه المواعيد أيها الأحباء **لنطهِّر ذواتنا** من كل دنس الجسد والروح **مكمِّلين القداسة** في خوف الله.» (٢كو ٧: ١)

أي أنه بعد تقديس الله لنا – بواسطة تبنِّيه لنا في ابنه وبالروح القدس – تقديساً مجانياً كاملاً بالنعمة «إذ لنا هذه المواعيد»، يعود الله ويطالبنا صراحة بأن نجاهد الجهاد الحسن على مستوى الجسد والروح ضد أية خطيئة تمس طهارة الجسد أو الروح: «لنطهر ذواتنا من كل دنس الجسد والروح»، ثم نرتفع بهذا الجهاد إلي مستوى أعمال القداسة، كالصلاة بلا تظاهر، والصوم بلا افتخار، وحفظ كلمة الإنجيل بوعي روحي وخوف، والمواظبة على المحبة الأخوية الصادقة بالشركة في الجسد والدم عن استحقاق طهارة القلب، وخدمة البذل والشهادة في حينها. وبالاختصار «**مكمِّلين** القداسة في خوف الله»، حيث لا تكون الأعمال الصالحة بدءاً أو أساساً للقداسة، ولكنها كما يقول الرسول «**تكميلاً**» حتمياً لها، بحيث إذا توقفت الأعمال الصالحة أو أُهملت، لا تكمل فينا القداسة التي وُهبت لنا في المسيح بالروح القدس، بل تصبح بلا نفع.

بل وأكثر من ذلك، فإن الله يرى أن تكميل القداسة المفروضة علينا بالعمل الصالح – والتي بدأها هو فينا مجاناً – لا يكون تكميلاً سهلاً أو كأنه تكميل لا يحتاج إلى حذر وانتباه، بل هو خطير للغاية، يحتاج إلى «**خوف** ورعدة كثيرة»، لئلا يتحول إلى افتخار وتعالي أو يتحول إلى عمل روتيني ميت، فلا يؤدي إلى تقديس حقيقي للجسد والنفس والروح، أي إلى الاتحاد بالمسيح، بل إلى رياء فسقوط!

لذلك، فمؤازرة الروح القدس في العمل «لتكميل القداسة في خوف

الله» أمر فائق الخطورة والأهمية لخلاصنا. لأن الروح القدس محب جداً للعمل الصالح، وهو الذي يقترحه ويحث عليه، ويعطي المثابرة والنشاط، ويُعين ضعفاتنا ويعلّمنا ما ينبغي أن نصلي من أجله، ويشفع في جهلنا وعدم معرفتنا بأنّات لا يُنطق بها، لأنه هو وحده الذي يعرف ما هي حاجة القديسين، وماذا ينبغي أن يكون اهتمامهم، وما هو لازم للروح لتكميل القداسة!

على أنه ينبغي أن ندرك أن الأعمال الصالحة أو أعمال «تكميل القداسة» ليست من صنع بشر، ولا هي خبرات جماعة نساك أقوياء اقترحوها من أنفسهم، بل هي من صنع الروح القدس وإلحاحات النعمة النابعة من جهاد المسيح، فهي وصية إنجيلية وهي عمل الله الخفي في قلوب الأتقياء: «لأننا نحن عمله، مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدها لكي نسلك فيها.» (أف ٢: ١٠)

أي أن الأعمال الصالحة هي هي أعمال الروح القدس، أي أعمال قداسة أو تقديس، وهي نابعة أصلاً من المسيح الذي جعل حياته كلها «**عملاً صالحاً**» لحسابنا، لذلك يقول الرب: «بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً» (يو ١٥: ٥). وهو قد سبق فأعدَّ لنا كل الأعمال الصالحة اللازمة لتكميل قداستنا واتحادنا فيه، لا كأنها أعمال توهب بلا جهد بل يقول: «لكي **نسلك** فيها»، أي بمعاناة وآلام وحروب ومقاومات كثيرة وعنيدة، لكن المسيح سبق أيضاً ووهبنا «**المعزّي**» الروح القدس المعطي القوة: «تنالون قوة متى حلَّ الروح القدس عليكم» (أع ١: ٨)، ذاك الذي يستطيع أن يجعل مع جهادنا وسهرنا ومعاناتنا عزاءً ما بعده عزاء،

لأن طبيعة الروح القدس تحول طبيعة الألم إلى لذة وفرح وانتصار القداسة: «من أجلك نُمات كل النهار، قد حُسبنا مثل غنم للذبح. ولكن في هذه جميعها **يعظم انتصارنا بالذي أحبنا.**» (رو ٨: ٣٦، ٣٧)

إذن، فأن يصبح الإنسان قديساً أمام الله وبلا لوم فهذا من عمل المسيح مباشرة في الطبيعة البشرية، وهذا يعتمد أساساً وكلية على الإيمان بالمسيح والاعتماد لموته وقيامته وقبول الروح القدس: «مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي باركنا بكل بركة روحية في السماويات في المسيح، كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة.» (أف ١: ٣-٤)

ولكن لكي يقبل كل واحد منا قداسة المسيح شخصياً ويحتفظ بهذه القداسة يوماً بعد يوم ويكملها على مستوى الحياة والشهادة، فإن مؤازرة الروح القدس للأعمال الصالحة تصبح ضرورة حتمية: «روح الحق يرشدكم إلى جميع الحق» (يو ١٦: ١٣)، «تموا خلاصكم بخوف ورعدة» (في ٢: ١٢)، «خلاصنا الآن أقرب مما كان حين آمنَّا» (رو ١٣: ١١)، «مكمِّلين القداسة في خوف الله» (٢كو ٧: ١)، «في سيرة تليق بالقداسة... مقدماً نفسك في كل شيء قدوة للأعمال الحسنة.» (تي ٢: ٣، ٧)

وأعمال القداسة قد تبدو لكثيرين وكأنها زيادة أو مغالاة في العبادة أو التقوى، إذ يكفي في نظرهم أن لا نعمل الشر وكفى، ولكن أمر الله في هذا يقطع بالإلزام: «بل نظير القدوس الذي دعاكم كونوا أنتم أيضاً **قديسين في كل سيرة**، لأنه مكتوب كونوا قديسين لأني أنا قدوس»

(١بط ١: ١٥ و١٦)، لأن القداسة «بدونها لن يعاين أحد الرب.» (عب ١٢: ١٤)

ومعلوم أن الوصية في العهد القديم التي كانت مكتوبة بحرف الكلمة على الحجر (رمز للقلب الحجري)، صارت مكتوبة في العهد الجديد بالروح القدس على القلب اللحمي. الروح القدس هو الذي يوصي بالقداسة ويرسم كل أعمالها في الضمير.

لذلك فبقدر ما كانت أعضاء الإنسان مغلوبة ومستعبدة لشهوات النجاسة بسبب ضعف الجسد، تصبح بنعمة الروح القدس وقوته الفائقة وبإلحاحاته في القلب قادرة ومستعدة أن تكون مُستعبَدَة، بكل فرح وسرور، لأعمال القداسة: «أتكلم إنسانياً من أجل ضعف جسدكم. لأنه كما قدَّمتم أعضاءكم عبيداً للنجاسة والإثم للإثم، هكذا الآن قدموا أعضاءكم عبيداً للبر للقداسة» (رو ٦: ١٩). هنا القداسة عمل وممارسة وجهاد.

كذلك هنا الإشارة إلي الشيطان واضحة جداً في التعبير عن استعباد أعضاء الإنسان للنجاسة إلى درجة الاشتعال، كذلك الإشارة إلى الروح القدس واضحة أيضاً في الانتقال من عبودية الأعضاء للنجاسة إلى عبودية الأعضاء للبر والقداسة، حيث يرفع الروح القدس مستوى الإرادة لقبول الأعمال الصالحة والفرح بعملها ومحبتها الشديدة إلى درجة العبودية! وكأن القلب كله قد أصبح كنزاً لكل فكر صالح ولكل فعل ومبادرة صالحة، كنزاً لا ينتهي بواسطة عمل الروح القدس المتجدد فيه: «الإنسان الصالح من كنز قلبه الصالح يُخرج الصلاح!» (لو ٦: ٤٥)

ويلاحظ هنا أن وصف القلب باعتباره الكنز الصالح كناية سرية عن أنه صار مسكناً للروح القدس، علماً بأن الروح القدس يوصف بحسب التقليد الكنسي أنه «كنز الصالحات»[1]. ولكن، وحتى بعد أن يصير القلب متقدساً بالروح القدس وكنزاً للصالحات، فإنه يتبقى عليه بالضرورة عملية إخراج العمل الصالح من القلب إلى حيز التنفيذ، وإلا يفقد القلب صفته الإلهية أنه «كنز الصالحات»، لأن الكنز إذا لم يُستخدم يصير هو هو الوزنة المطمورة في التراب. (وما هو التراب إلا الجسد الترابي الذي أغلق على موهبة الروح - أي الإيمان - فلم تثمر عملاً صالحاً).

ولكن يلذ لنا أن نعيد ونعيد أمام ذهن القارئ أن القلب بدون كنزه الصالح، أي بدون قوة الروح القدس ونوره، يستحيل أن يفعل من ذاته صلاحاً بأي حال من الأحوال: «الجميع زاغوا وفسدوا معاً - ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحد» (رو ٣: ١٢)، «الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا.» (في ٢: ١٣)

ولكن بمجرد قبول الإنسان للروح القدس والانقياد تحت مشورته وسلطانه ونوره، يصبح الإنسان قادراً على أن يفعل الصلاح، ويُحسب له هذا الفعل الصالح براً وكأنه من عمل الإنسان الخاص ومن صميم إرادته وإيمانه!! هنا اتضاع المسيح وإخلاء الروح القدس، حيث يتنازل كل منهما عن دوره الأساسي في خروج العمل الصالح من قلب الإنسان إلى حيِّز الفعل والتكميل ليُحسب كلية لحساب الإنسان، وكأنه من

(١) قطع صلاة الساعة الثالثة - الأجبية المقدسة.

جهده الخاص وإرادته وإيمانه وحده!! ولسان حال الإنسان في ذلك أمام الله: «لأن منك الجميع ومن يدك أعطيناك» (١أي ٢٩: ١٤)، أو بلغة القداس: «نقرِّب لك قرابينك من الذي لك»(٢).

(٢) قداس القديس باسيليوس - قبل سر حلول الروح القدس.

(٤)

الروح القدس وإنكار الذات

الأعمال الصالحة خطرة لأنها تجيز للنفس الضعيفة أن تعتقد خطأ أنها منبع العمل الصالح فهي بالتالي منبع الصلاح، في حين أن العمل شيء والصلاح شيء آخر. فالكنز الصالح الذي يستقر في القلب فيجعله صالحاً ويهبه قوة العمل الصالح هو الله نفسه؛ هو الروح القدس "الكنز الوحيد للصلاح": «لماذا تدعوني صالحاً، ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله.» (مت ١٩: ١٧)

الله هو سبب الصلاح وأصل القداسة وعِلَّتها الأولى والأخيرة وليس الإنسان، مهما كان.

لذلك، فالتأمين الوحيد الذي يجعل العمل الذي يعمله الإنسان صالحاً حقاً ويجعله قديساً، هو نسبته الكلية لله، أي أن يكون باعتقاد راسخ أشد الرسوخ أنه عطية من الله، وأن تُنسب بالتالي ثماره وكل نتائجه لله.

فإذا علمنا أن السبب الرئيسي أو الأصل اللاهوتي الصرف الذي يكمن وراء كل عمل صالح هو تمجيد الله، كما يقول الرب: «لكي يروا أعمالكم الحسنة، ويمجدوا أباكم الذي في السموات» (مت ٥: ١٦)، إذا علمنا ذلك تماماً وتأكدنا منه تماماً، أدركنا لماذا وعلى أي أساس وتحت أية شروط يعطينا الله القوة والبصيرة والنعمة والنشاط الروحي للصلاة والتسبيح والخدمة والوعظ والبذل والمحبة! ثم لماذا يسحبها من

بين أيدينا ويتركنا فارغين تماماً جافين باردين، نتلفت وراءنا وأمامنا وكأنه هجرنا مرة واحدة.

إذاً، فالعمل الصالح يقف ليفرق بين تمجيد الذات الطامحة في الدنيا أو الطامعة في الشهرة. فإن تحدد تماماً أنه لحساب الله، زاد العمل الصالح وعَظُم مقداره وازدادت موارده وتأمنت منافعه بلا حدود، وإن هو انحرف لحساب تمجيد الذات، قلّ وشحَّ على ممر الزمن، وبهت لونه في أعين الله والناس، وضعفت ثمراته واحتُقِرت جداً، وتساقطت أخيراً لتدوسها الأرجل.

الروح القدس هو الذي يعطي للعمل الصالح "مذاقة الصلاح الحقيقي"، إذ يجعل في صميم الجهد المبذول الإحساس الصادق الأمين بمصدر هذا الجهد الصالح وهذا البذل الصالح، يجعل الإنسان يستنشق من عمله ومن جهده رائحة الله نفسه تفوح بالقداسة، فيزداد الإنسان يقيناً أنه ليس صاحب هذا العمل الصالح مع أنه يجاهد بصميم الإرادة، وهذا بالتالي يجعله يلتهب بإحساس قرب الله التهاباً فيحترق شوقاً لجهادٍ أكثر وبذل أعظم.

الروح القدس يقنع النفس في أثناء الجهاد الصالح قناعة ما بعدها قناعة، أن كل صلاح الله المقتنى من خلال العمل الصالح هو لها، ولكن ليس منها!! وأن القداسة الحقيقية ليست في ذات العمل، ولكن في الاقتراب الشديد من الله في أثناء العمل، ثم في ردِّ فضل العمل إلى صاحبه!

غياب الإحساس المستمر بمجد الله وتمجيده في أثناء العمل الصالح،

ينفي صفة الصلاح المنسوبة للعمل ويفيد غياب الروح القدس بل وغياب الإيمان بالله حيث تكون الذات هي وحدها صاحبة العمل والمترجية كرامة ومجداً من ورائه: «كيف تقدرون أن تؤمنوا وأنتم تقبلون مجداً بعضكم من بعض؟» (يو ٥: ٤٤)

إذن فإنكار الذات هو عمل الروح القدس الأساسي داخل النفس لضمان قيام أي عمل صالح ودوامه، حيث الوسيلة العملية والإيجابية لممارسة إنكار الذات هنا هي تمجيد الله بإصرار كلي، سواء بالكلام أو بالفكر أو بالتصور أو بالإيمان أو بكل قطرة عرق أو بكل الجهد، حيث يقف الروح القدس ليشهد لله بقوة أعظم من كل حِيَل الذات وخبثها وتهافتها على الكرامة والتمجيد: «الروح القدس يشهد لي، وأنتم تشهدون أيضاً» (راجع يو ١٥: ٢٦-٢٧). ولكن يستحيل على الروح القدس أن يشهد للمسيح بواسطة عمل الإنسان وقوله إلا من خلال إنكار الذات، حيث يمكن أن يكون الله في النهاية هو الكل في الكل!!

فإن كانت هناك صلاة يمكن أن تكون عملاً صالحاً، فهي التي لتمجيد الله وتسبيحه وشكره، وإن كانت هناك خدمة ما أو وعظ أو كرازة يمكن أن يُقال عنها إنها عمل صالح من أعمال شهادة الروح القدس، فهي التي تنتهي ليس فقط إلي مجرد خلاص النفوس، بل التي تنتهي أيضاً إلي طاعة الحق والإيمان وسيادة الله على كل النفوس. كذلك كل أمانة وكل عدل وكل بذل وكل حب، إنما تُحسب أعمالاً صالحة معمولة بالروح القدس إذا كانت لازدياد مجد الله كشهادة عملية لأمانته وعدله وفدائه وحبه.

وهنا فليلاحظ القارئ أن عمل الروح القدس من أجل إنكار الذات من خلال العمل الصالح هو ليس مجرد حرب ضد النفس أو مقاومة سلبية لإلغاء وجودها أو كيانها، بل هو عمل إيجابي صرف لضبط كل عمل صالح حتى يسير في مساره الأصيل والأمين: من الله وإليه عَبْر الإنسان - بشهادة الذات نفسها! حيث تصبح النفس البشرية في النهاية هي أعظم منتفع من العمل الصالح إذا سار في مساره الإلهي الصحيح، أي إذا بدأ العمل باعتراف النفس بفضل الله وانتهى العمل إلى تمجيد الله، حيث تتقدس النفس البشرية بتقديس الله!!

"**قدوس قدوس قدوس رب الصباؤوت، السماء والأرض مملوءتان من مجدك**". ملء السماء من مجد الله أمر مفروغ منه، فهو قائم بالخدمة الملائكية. الحاجة أشد الحاجة لنا نحن البشر إلى أن تمتلئ الأرض من مجد الله، هذا هو عمل الإنسان الصالح، أن تمتلئ الكنيسة من مجد الله بالعطاء والشهادة وبالخدمة الصالحة، أن يمتلئ كل دير من مجد الله بالتسبيح والانسحاق والتفاني في المحبة الإلهية، أن يمتلئ كل بيت من مجد الله بالتعاون والطاعة والقدوة الصالحة. وهذا وذاك لن يتأتى إلا من خلال إنكار الذات على مستوى الكنيسة والدير والأسرة لإفساح الطريق للشهادة المطلقة لله حتى تمتلئ الأرض حقاً من مجد الله وحده.

ولكن لحسن حظ الإنسان أن الذي ينكر نفسه من أجل الله لا يضيع ولا يبقى وحده في فراغ، بل يدخل في الحال في قوة مجال المسيح والصليب وسر الإخلاء الإلهي الذي يؤول إلى سر الوجود الأعظم: «إن أراد أحد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني» (مت ١٦:

٢٤). وهنا ينكشف سر إنكار الذات كأساس للعمل الصالح المصبوغ بالألم والدم الذي يؤهل إلى الشركة مع المسيح «**لمجد الله**».

أن نتبع الروح القدس وننقاد إلى مشورته الأولى في الجهاد بأن ننكر ذواتنا في كل عمل وفكر من أجل مجد الله، هو هو أن نتبع المسيح حاملين الصليب في مسيرة الطاعة العظمى لمجد الله!! لذلك يقول الرسول عن يقين: «لأن كل الذين ينقادون بروح الله، فأولئك هم أبناء الله.» (رو ٨: ١٤)

المسيح نفسه قيل عنه إنه أنكر ذاته (وهذا يسمَّى الإخلاء)، وقيل عنه إنه انقاد بالروح: «وكان يُقتاد بالروح في البرية» (لو ٤: ١). بهذا الإخلاء والانقياد الطائع العجيب انتهى بالطاعة حتى الموت موت الصليب. لذلك قيل إن الله «رفَّعه» (في ٢: ٩). هكذا يتحقق بكل قوة تبين أن إنكار الذات والانقياد الدائم في ذلك بالروح لتكميل كل عمل صالح هو الطريق السري المؤدي بنا إلى مجد الله في العلا عبر الصليب على الأرض، الذي ينتهي بنا أن يكون الله فينا هو كل شيء.

ولكن هل يكون إنكار الذات كأساس العمل الصالح سهلاً بغير التضحية بأثمن وأعز العلاقات البشرية؟ الأب، الأم، الأخ، الأخت، الزوجة، الأولاد؟ أو هل يكون بغير نزاع متواصل عنيف ضد الذات وتعلقاتها العاطفية ومتعلقاتها الأرضية وكرامتها وشهرتها وراحتها وآمالها الوهمية؟ هنا ينبري الروح القدس ليعزي الإنسان عن كل ثمين مفقود، وعن كل عزيز مهجور، وعن التخلي عن كل أمل مهما توطد، في سبيل تكميل كل عمل صالح لمجد الله.

أما بدون الروح القدس وبدون عزائه السهل العجيب الحاضر مع الإنسان في الجهاد الصالح في كل لحظة وكل مكان، فيستحيل على الإنسان أن يتجاوز ذاته التي تربَّت على العطف الزائف والحنان الزائل والمجد الدنيوي، وتغذت على الكبرياء وطلب المزيد من الدنيا بلا تعقل وبلا نهاية.

(٥)

الروح القدس وانسكاب المحبة

+ «لأن محبة الله قد انسكبت في قلوبنا بالروح القدس المُعطَى لنا.» (رو ٥: ٥)

حينما يبلغ إنكار الذات إلى الحدّ الفاصل بين الذات الطامحة وبين تمجيد الله، وحين يطوِّح الإنسان بكل علاقاته العاطفية وتعلقاته الدنيوية ويثبِّت وجهه نحو الله في شجاعة الإيمان وطاعة البذل وكرامة الخدمة، تنسكب محبة الله في القلب بواسطة الروح القدس بسرٍّ إلهي يفوق الوصف.

الروح القدس، فوق عمله في الأسرار، فهو يعمل كذلك من خلال العمل الصالح كالصلاة مثلاً، حينما يبلغ العمل درجة الصفاء في تمجيد الله!

انسكاب الحب الإلهي بواسطة الروح القدس هنا هو عمل جيد في الطبيعة البشرية، وهو متمم للفداء والتقديس بالدم الإلهي. فالحب الإلهي المعطَى لنا هو ثمرة من ثمرات الصليب!

الحب الإلهي حينما يشتعل في القلب، يكون أول علامة حية ساخنة من علامات الاقتراب الشديد من الله الذي يمهد للاتحاد، لأن «الله محبة»!

المحبة الإلهية شيء آخر غير المحبة البشرية أو المحبة الطبيعية، محبة الله أقرب إلى النار في طبيعتها منها إلى أي شيء آخر نعرفه، هي ليست صفة

بل طبيعة إلهية ذات فاعلية عميقة وتأثير شديد كالنار على كل كيان الإنسان. حينما تنسكب فيه تُغيِّر كل شيء فيه!! تغيِّر من طبيعته ذاتـــها، فتخلق فيه إمكانيات وتحملات وطاقات وإدراكات جديدة، وتلغي منه ضعفات وتعثرات واضطرارات كان ميئوساً منها، لأن الحب قوة مصحِّحة مؤدِّبة بسلطان وسيادة لا حدود لجبروتها، غايتها في الإنسان أن تجعله أكثر ملاءمة للحياة مع الله متناغماً مع إرادته المقدسة متوافقاً مع غاياته.

وما يصنعه الحب في الواحد يصنعه في الآخر، كلٌّ حسب احتياجه، حتى يصير كل إنسان قريباً من أخيه الإنسان. فالحب الإلهي عامل اتحاد لا يجارَى، يعمل بإقناع وبسيطرة وبسرٍّ يفوق الوصف. هو أثمن ما يقتني الإنسان في حياته على الأرض، هو رباط الشركة، الشركة مع الله ومع القديسين **لا شركة بدون حب، ولا حب بدون الروح القدس.**

في البداية ينسكب الحب من الله في القلب سكيباً بسر الروح القدس، ولذلك عندما يبلغ الإنسان درجة **إنكار الذات**، تتم الشركة مع الله. بعد ذلك يفيض الحب الإلهي من الإنسان على الآخرين بفعل الروح القدس الساكن في القلب بعدما ينجح الروح القدس في تحطيم كبرياء الإنسان وتنظيف وساخات قلبه.

انسكاب الحب الإلهي في القلب لا يمكن أن يتم إلا بالروح القدس. لا يوجد فاصل زمني ولا فارق كياني يفصل أو يفرِّق بين الحب والروح القدس، فحالما يوجد الروح القدس تنسكب المحبة الإلهية في القلب المتعطش لله.

وطالما الروح القدس ساكن في القلب، فالمحبة تفيض بلا مانع بل وبسرور شديد كأنهار ماء حي تروي أينما تجري!

لا يمكن أن نفصل بين الحب الإلهي والروح القدس. ولكن تعوُّق انسكاب الحب في القلب ليس معناه غياب الروح القدس، ولكن يكون سببه انشغال الروح القدس بتأديب الإنسان وتنظيف وساخاته أولاً. **الروح القدس لا يكل ولا يمل من التأديب والتوبيخ، فهو لا يطيق أية خطية مهما كانت صغيرة لأنها تُعيق انسكاب الحب وتُعيق سكناه!!** وتأديب الروح القدس **وتوبيخه المستمر للقلب هو هو الحب** في أعمق درجاته العملية!!

الحب الإلهي لا ينسكب من الله في القلب إلا بعد أن ينجح الروح القدس في تطهير القلب من أي حب آخر، وأصعب معوقات انسكاب الحب الإلهي هو **حب الذات**، وهو جذر سام ضارب في أرض الشهوة، ثمراته كلها مُرَّة: طمع، حسد، حقد، كرامة، عظمة، بغضة، عداوة، وأخطرها الطمع وقد سماه بولس الرسول «عبادة الأوثان» (كو ٣: ٥)، لأن الطمع يجعل النفس، بدل أن تكون هيكلاً للروح القدس تُقدِّم بواسطته ذبائح الحب؛ تصير هيكلاً لروح الخبث، تُضحِّي فيه للشيطان ضحايا شهواتها.

علامة سكنى الروح القدس في القلب هي **وجود المحبة**. أما علامة نجاح الروح القدس وتملُّكه على القلب فهي **فيضان المحبة أو انسكابها على الآخرين** بلا حساب ولا حذر.

فيضان المحبة يثبت وجود الروح القدس داخل القلب، ويكشف عن نشاطه وفرحه. الروح القدس يبلغ منتهى نشاطه وفرحه داخل قلب

الإنسان حينما ينجح بإقناع المحبة في جمع شمل أولاد الله في وحدانية صادقة أي شركة الإيمان والعبادة والصلح والسلام. لأن هذا هو جسد المسيح: «محتملين بعضكم بعضاً **في المحبة**، مجتهدين أن **تحفظوا وحدانية الروح برباط السلام، جسدٌ واحدٌ وروحٌ واحدٌ.**» (أف ٤: ٢-٤)

أي أن محبة الله المنسكبة في القلب بواسطة الروح القدس هي أصلاً وأساساً لتكوين شركة جسد المسيح، **أي كنيسة الحب والبذل**، أهل بيت الله - رعية القديسين. الروح القدس هو الصانع لهذه الوحدانية «وحدانية الروح» - بيت المحبة. ولكن حفظ هذه الوحدانية قائم ودائم، يحتاج إلى **جهد من الإنسان ومن الروح القدس** لا يكل ولا يمل، **جهد احتمال** «محتملين بعضكم بعضاً»، **وجهد حفظ الصلح** «تحفظوا وحدانية الروح برباط الصلح». وهذه هي علامة المحبة الصادقة والطاهرة بشدة كما يقول بطرس الرسول: «المحبة الأخوية العديمة الرياء»، «من قلب طاهر بشدة» (١بط ١: ٢٢)، أي أن يكون لها **"جهد احتمال"** دائم لا يكل حتى إلى الموت، لأن المحبة أقوى من الموت، **وجهد حفظ رباط الصلح مع الإخوة قائم لا ينقطع مهما كانت التكلفة.**

انقطاع المحبة وتوقُّف الصلح لا يلغي وجود الروح القدس، ولكن يكشف عن حرج موقفه، فهو يصير في حالة **"حزن" وينحجب نوره الساطع فجأة وكأنه قد "انطفأ"**. وهذا معناه أن الخطية قد استعادت قُوَّتها ورفعت قرنها البشع، ونجحت بشراستها - ولو إلى حين - في اقتحام قلب الإنسان وإفساد هيكل الروح القدس، وأخمدت حركة الحب. وإذ بالحبيب يُجرح في بيت أحبائه. وفي لحظة يظهر وكأنما «**المعزِّي**» **صار**

حزيناً يحتاج إلى عزاء!! وبات الروح ومصباحه منطفئاً في القلب ودنيا الإنسان كلها ظلاماً!

يا لرقة الروح القدس ولطفه وحنانه وتودده للإنسان! فهو إذا لم ينجح في أن يجعل الحب الإلهي مسرة القلب وشغل الفكر الشاغل، **ينحصر داخل النفس ويحزن** ويكتئب ويصير **في غمٍّ شديد**، وكأنه يسترجع مواقف الرب حينما وقف إزاء جحود الإنسان يتوجع: «نفسي **حزينة جداً** حتى الموت!!» (مت ٢٦: ٣٨)، أو إزاء فقدان الرجاء في الطريق إلى قبر لعازر؟ «**بكى** يسوع.» (يو ١١: ٣٥)

هكذا أيضاً يحذرنا بولس الرسول: «لا تُحزنوا روح الله القدوس الذي به خُتمتم ليوم الفداء!!» (أف ٤: ٣٠)، لأن المسيح نور العالم لما صلبوه انحجب نوره فصار العالم كله في ظلمة!! هكذا أيضاً الروح القدس نور الضمير وناره الوهاجة، إذا **أُهينت المحبة أو خُذلت القداسة أو** افتُضح العقل وامتُهنت الرزانة، خبا نوره وانحجبت ناره عن الإنسان، لأن **في طاعته** ينتقل الإنسان في حرارة الحب كل يوم «من مجد، إلى مجد كما من الرب الروح» (٢كو ٣: ١٨)، **وفي جحوده وعناده ينطفئ لهيبه فجأة** ويصير الإنسان في ظلام وبرودة وعداوة لا يعرف إلى أين يسير!! «لا تطفئوا الروح.» (١تس ٥: ١٩)

(٦)

«لا تُحزنوا روح الله القدوس، الذي به ختمتم ليوم الفداء»؛ «لا تُطفئوا الروح»

(أف ٤: ٣٠؛ ١تس ٥: ١٩)

الإنسان المسيحي مجاهد بالدرجة الأولى، يتقلد "سيف الروح الناري" منذ أول لحظة يخرج فيها من ماء المعمودية كمولود جديد، «هو يعمدكم بالروح القدس ونار.» (مت ٣: ١١)

فالإنسان المسيحي يقوم في هذا الجهاد والسيف لا يفارق يده والنار لا تفارق عقله وقلبه حتى آخر لحظة من حياته ساعة أن يستودع الجسد للتراب الذي أُخذ منه، مُضمَّخاً بعطر المحبة الخالصة الكثيرة الثمن، وتنطلق الروح في نصرة الروح والتهاب الحب واستنارة الحكمة، لتحيا إلى الأبد وتسبِّح في حضرة خالقها.

في ساعات نصرة الجهاد الواعي تحتضن النعمة الإنسان وتلذذه بثمرات الحب الإلهي ونور المعرفة الفائقة، فيحس الإنسان أنه أسعد خليقة على الأرض، بل ويتحدى الملائكة في سعادته ودالته مع الله. في هذه الساعات يفرح الروح القدس بالإنسان جداً.

ولكن حينما ترتد النفس وتنحصر تحت حماقة غرائزها الطبيعية وهيجان اللاشعور، وينبطح الإنسان في أرض المعركة ويتعدى وصايا

الحب الإلهي؛ ينحصر الروح القدس داخل القلب ويكتئب جداً، إذ تتوقف رسالته الأولى والعظمى: رسالة الحب الإلهي، ويصبح خلاص الإنسان في خطر، ويتعطل عمل الفداء.

وهنا يقف **الصديق** الأعظم للإنسان حائراً قلقاً **حزيناً**: «لا تُحزنوا روح الله القدوس الذي به خُتمتُم ليوم الفداء».

وأمام جهالة الإنسان هذه وحماقته الشديدة، حينما يطرح الحكمة خلف ظهره وينبذ الرزانة والوقار ويتدانى إلى مستوى البهيمية أو ما دون، ويدخل عقله في منطقة الظلمة راضياً مستسلماً لأهواء الهوان صائراً في ذلة واحتقار، يرتد الروح القدس إلى خلف وينطفئ نوره في القلب، ويتوقف لسانه الناري في العقل، فلا يُسمع له صوت فضيلة ولا حركة نعمة ولا فعل إحراق وتطهير: «لا تطفئوا الروح»!

كل خطيئة ضد المحبة هي خطيئة ضد الآب وضد الابن، وضد الروح القدس بالدرجة الأولى لأنه هو الذي يقود الإنسان إلى حضن الآب والابن. وبالتالي، فكل عداوة وكل بغضة وكل حقد وكل حسد وكل مذمة وكل دينونة وكل احتقار أو إهمال وامتهان للآخرين هي هي خطايا موجهة ضد عمل الروح القدس ورسالته، وهي كفيلة بأن تجعله في غم وحزن واكتئاب، مع أنه هو المتكفل بتعزية الإنسان!! علماً بأن حزن الروح القدس هو بعينه الذي يرتد على الإنسان شعوراً بالخيبة والمرارة والجفاف الشديد، إن كان في القراءة أو الصلاة أو الخدمة، مع وجع في القلب وغُصَّة أشبه ما تكون بغُصَّة الموت! لأنه إذا ضاع الحب والعزاء من قلب الإنسان فماذا يتبقى له؟

كذلك، فإن كل خطيئة ضد الحكمة والحق والرزانة هي خطيئة ضد الروح القدس، وبالتالي فكل خطيئة ضد العفة والقداسة وكل كذب أو افتراء وكل تصاغر وخفة في السلوك أو التدبير هي خطايا موجَّهة ضد الروح القدس مباشرة، لأنه هو المتكفل بتلقين الإنسان «كل الحق»، وهي كفيلة بأن تطغى على نوره وعلى تأججه واشتعاله في القلب حتى تطفئه. فإذا انطفأ الروح القدس في القلب فماذا يتبقى للإنسان إلا ظلام وبرودة، فلا إلهام ولا فهم ولا مشورة ولا حكمة، بل تخبُّط في الجهالة وفقدان هدف الحياة فيتخبط الإنسان ولا يعرف إلى أين يسير.

وهكذا فإن الروح القدس إذا أُحزن بالأعمال والأقوال التي هي ضد المحبة وأُطفئ بالأعمال والأقوال التي هي ضد الرزانة والحق، لا يتبقى للإنسان أي مصدر للعزاء أو الرجاء، ولا أي ملجأ يلتجئ إليه، ولا أي معين يستصرخ نحوه. لذلك يقول الرب إن الخطيئة ضد الآب تُغفر والتي ضد الابن تغفر أيضاً، ولكن التي ضد الروح القدس لا تجد لها منفذاً ولا غفراناً!! لأن الروح القدس هو الذي يمسك بيد الإنسان ويقوده بالحب وبالحق إلى حضن الابن ثم إلى حضن الآب!!

والآن، إذا عدنا إلى قائمة الخطايا التي يسردها بولس الرسول في رسالته إلى أفسس وفي رسالته الأولى إلى تسالونيكي باعتبار أنها خطايا تحزن الروح القدس وتطفئه، نجدها في مجملها تنقسم بوضوح إلى قسمين واضحين: خطايا ضد المحبة وخطايا ضد الحق، وخطايا تحزن الروح القدس، وخطايا تطفئ نوره ولهيبه.

وهنا نرجو القارئ أن يقرأ بتؤدة وبفحص:

أولاً: كل الآيات الواردة في أفسس ٤:١٤-٣٢، ٥:١-٢١.
ثانياً: كل الآيات الواردة في ١تس ٥:١٥-٢٤.

١ - «كي لا نكون فيما بعد أطفالاً مضطربين ومحمولين بكل ريح تعليم، بحيلة الناس، بمكر إلى مكيدة الضلال. بل صادقين في المحبة، ننمو في كل شيء إلى ذاك الذي هو الرأس: المسيح، الذي منه كل الجسد مركباً معاً، ومقترناً بمؤازرة كل مفصل، حسب عملٍ، على قياس كل جزء يحُصِّل نمو الجسد لبنيانه في المحبة».

«فأقول هذا وأشهد في الرب: أن لا تسلكوا فيما بعد كما يسلك سائر الأمم أيضاً ببُطل ذهنهم، إذ هم مظلمو الفكر ومتجنِّبون عن حياة الله لسبب الجهل الذي فيهم بسبب غلاظة قلوبهم. الذين إذ هم قد فقدوا الحس أسلموا نفوسهم للدعارة ليعملوا كل نجاسة في الطمع. وأما أنتم فلم تتعلموا المسيح هكذا، إن كنتم قد سمعتموه وعُلِّمتم فيه كما هو حقٌّ في يسوع، أن تخلعوا من جهة التصرف السابق الإنسان العتيق الفاسد بحسب شهوات الغرور، وتتجدّدوا بروح ذهنكم، وتلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق».

«لذلك اطرحوا عنكم الكذب وتكلموا بالصدق كل واحد مع قريبه، لأننا بعضنا أعضاءُ البعض، اغضبوا ولا تخطئوا. لا تغرب الشمس على غيظكم. ولا تعطوا إبليس مكاناً. لا يسرق السارق في ما بعد بل بالحري يتعب عاملاً الصالح بيديه، ليكون له أن يعطي من له احتياج. لا تخرج كلمة ردية من أفواهكم، بل كل ما كان صالحاً للبنيان حسب الحاجة كي يعطي نعمة للسامعين. ولا تحزنوا روح الله القدوس الذي به خُتمتُم ليوم الفداء. ليُرفع من بينكم كل مرارة وسخط وغضب وصياح

وتحديف مع كل خبث. وكونوا لطفاء بعضكم نحو بعضٍ، شفوقين متسامحين كما سامحكم الله أيضاً في المسيح».

«فكونوا متمثّلين بالله كأولاد أحباء. واسلكوا في المحبة، كما أحبَّنا المسيح أيضاً وأسلم نفسه لأجلنا قرباناً وذبيحة لله رائحة طيبة».

«وأما الزنا وكل نجاسة أو طمع فلا يُسَمَّ بينكم، كما يليق بقديسين. ولا القباحة ولا كلام السفاهة والهزل التي لا تليق، بل بالحري الشكر. فإنكم تعلمون هذا أن كل زانٍ أو نجس أو طمَّاع الذي هو عابدٌ للأوثان ليس له ميراث في ملكوت المسيح والله. ولا يغرَّكم أحدٌ بكلام باطل، لأنه بسبب هذه الأمور يأتي غضب الله على أبناء المعصية. فلا تكونوا شركاءهم، لأنكم كنتم قبلاً ظلمة، وأما الآن فنور في الرب. اسلكوا كأولاد نور، لأن ثمر الروح هو في كل صلاح وبر وحق، مختبرين ما هو مرضيٌّ عند الرب. ولا تشتركوا في أعمال الظلمة غير المثمرة، بل بالحري وبِّخوها، لأن الأمور الحادثة منهم سراً ذكْرُها أيضاً قبيح. ولكن الكل إذا توبَّخ يُظهَر بالنور. لأن كل ما أُظهِرَ فهو نور. لذلك يقول استيقظ أيها النائم وقُمْ من الأموات فيضيء لك المسيح».

«فانظروا كيف تسلكون بالتدقيق، لا كجهلاء بل كحكماء، مُفتدين الوقت لأن الأيام شريرة. من أجل ذلك لا تكونوا أغبياء، بل فاهمين ما هي مشيئة الرب. ولا تسكروا بالخمر الذي فيه الخلاعة، بل امتلئوا بالروح. مكلِّمين بعضكم بعضاً بمزامير وتسابيح وأغاني روحية، مترنمين ومرتلين في قلوبكم للرب. شاكرين كل حين على كل شيء في اسم

ربنا يسوع المسيح، لله والآب. خاضعين بعضكم لبعض في خوف الله».

٢ - « انظروا أن لا يجازي أحدٌ أحداً عن شر بشرٍّ، بل كل حين اتبعوا الخير بعضكم لبعض وللجميع. افرحوا كلَّ حين. صلوا بلا انقطاع. اشكروا في كل شيء. لأن هذه هي مشيئة الله في المسيح يسوع من جهتكم. لا تطفئوا الروح. لا تحتقروا النبوات. امتحنوا كل شيء. تمسكوا بالحسن. امتنعوا عن كل شبه شر. وإله السلام نفسه يقدِّسكم بالتمام، ولتُحفظْ روحكم ونفسكم وجسدكم كاملة بلا لوم عند مجيء ربنا يسوع المسيح. أمينٌ هو الذي يدعوكم، الذي سيفعل أيضاً» (أف ٤: ١٤-٣٢، ٥: ٢١، ١تس ٥: ١٥-٢٤).

ونحن نجد أن اهتمام بولس الرسول بسرد قائمة هذه الخطايا بكل تدقيق وكل وضوح وفهم، لا ينبغي أن يعبر عليه القارئ بخفة، كمجرد قراءة، فهذه هي جذور الهلاك التي توطَّنت في النفس وتسببت في موت كثيرين، وبرودة كثيرين، وانصداد الكثيرين عن الصلاة وعن حب الكلمة والقراءة.

لينظر كل واحد فينا أي جذر من هذه الجذور تتغذى عليه نفسه، لأن ذلك يكون حتماً هو علة مرضه وتلف ضميره والسبب المباشر لضعف إرادته، لأن كل خطيئة من هذه الخطايا كفيلة أن تُحزن الروح القدس أو تطفئه داخل القلب، فيقطع عن القلب - إن آجلاً أو عاجلاً - موارد حرارة الحب والنور والحق!

والمطلوب الآن كعمل سريع أو كإسعاف أوَّلي أن نقف طويلاً أمام أي خطية يكون قد تربى لها خلسة سلطان على الفكر أو الجسد،

وبصراخ شديد ودموع وتوسل لدى الروح القدس نطلب مزيداً من حساسية الضمير ضد هذه الخطية، لأن ذلك هو بمثابة أقل ترضية للروح القدس، حتى يلتهب مرة أخرى ويشتعل القلب بحرارة الحب الإلهي ونور الحق، فنستطيع أن نقف ضد سلطان الخطية التي أحببناها وملّكناها على القلب برغم وجود الروح القدس!!

هنا يلزمنا أن نفهم جيداً أن الروح القدس هو صديق حقيقي - وقت الشدة والضيق والمذلة - لأن الصديق الحقيقي هو من يحزن لسقطة الإنسان وتدانيه في الأعمال المهينة، والروح القدس أشد من يحزن على ضياع خلاص الإنسان، ولكنه صديق، ليس فقط يحزن وحسب، بل هو معين قوي جداً يستطيع أن يمسك بيد الإنسان ويقيمه من كل سقطة، بل ومن أعماق الموت، ويغسله بدم المسيح، ويرفع عنه عار أشنع الخطايا، ويقدمه للمسيح كابن أو كجذوة منتشلة من النار، لأنه خالق ومحيي.

والروح القدس بقدر ما تُحزنه أصغر الخطايا وتطفئه أقل حماقة، فهو أيضاً تسترضيه أقل أعمال التوبة وأصغر أنواع الجهادات، إذا قُدِّمت بثقة كاملة فيه، مع إخلاص نية وصدق ضمير وانفتاح شجاع لتقبُّل عمله وتعزيته.

الروح القدس وديع حقاً ولطيف غاية اللطف، يحتمل كل جهادات الإنسان بأكثر مما يفتكر الإنسان. فهو يبقى على إخلاصه وحبه وتوده للإنسان، حتى ولو أحزنَّاه سبعين مرة سبع مرات كل يوم. لأن العودة إليه - بتوبة ودموع ونية صادقة - تسترضيه غاية الرضى. وهو - على

طول المدى - لا يجمع لنا رصيد تعديات بل يجمع لنا رصيداً من الترضيات، يحفظ لنا كل أعمال الندامة والتوبة ولا يحفظ لنا شيئاً من أعمال قساوة القلب والجهالة عندما نعود إليه، لأنه وديع ومتواضع القلب حقاً يأخذ مما للمسيح ويعطينا (راجع يو ١٦: ١٤، ١٥).



الروح القدس في مواجهة العدو لحساب ملكوت الله

عيد الخمسين ١٩٧٨

الروح القدس في مواجهة العدو لحساب ملكوت الله

كان حلول الروح القدس يوم الخمسين هو بدء تاريخ الكنيسة، كنيسة الرسل، باعتباره نقطة الانطلاق للخدمة والشهادة بعد الملء من قوَّة الروح القدس. ومنذ ذلك اليوم والكنيسة تسير وتمتد تحت قيادة الروح القدس، تكتب تاريخها يوماً بعد يوم، بدموعها وآلامها، في صراعها ضد روح العالم.

والكنيسة في صراعها هذا، لم تخرج عن منهج عريسها، الذي بعد أن امتلأ بالروح القدس يوم العماد، اُقتيد بالروح إلى البرية ليُجرَّب من إبليس.

وهكذا بالتالي كل إنسان في الكنيسة، كلُّ مَنْ اعتمد للمسيح وامتلأ بالروح القدس، فإنه يواجه حتماً هذه المواجهة من العدو، في برية العالم وعلى مدى الحياة، إنما تحت قيادة الروح القدس أيضاً. لأن بمجرَّد أن يحوز الإنسان على روح الحق فإنه يكون بمثابة إعلان حرب على روح الباطل: «روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله، لأنه لا يراه ولا يعرفه، وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم ويكون فيكم.» (يو ١٤: ١٧)

العالم لا يطيق مختاري الله، أبناء الله الذين قَبلوا روح الحق وساروا تحت قيادته: «لأن كل الذين ينقادون بروح الله، فأولئك هم أبناء الله.» (رو ٨: ١٤)

النقطة الأساسية التي يلهمنا بها هذا العيد، عيد حلول الروح القدس، هي أننا مدعوون حتماً إلى هذه المواجهة مع العدو، إن كنا حقاً قد قبلنا الروح القدس، وأحببنا الحق، وعاهدنا المسيح على حفظ هذه الأمانة العُظمى، أن نكون أبناء الله مولودين حقًّا من فوق، وحافظين عهد البنوية، لأن المسيح صارحنا بكل صدق وأمانة في ختام كرازته وقبل انطلاقه إلى الآب مباشرة قائلاً: «إن كان **العالم يُبغضكم فاعلموا أنه قد أبغضني قبلكم، لو كنتم من العالم لكان العالم يحب خاصته، ولكنكم لستم من العالم بل أنا اخترتكم من العالم لذلك يُبغضكم العالم**، اذكروا الكلام الذي قلته لكم: ليس عبد أعظم من سيده، **إن كانوا قد اضطهدوني فسيضطهدونكم**، وإن كانوا قد حفظوا كلامي فسيحفظون كلامكم، **لكنهم إنما يفعلون بكم هذا كله من أجل اسمي** ... ومتى جاء المعزِّي ... روح الحق ... **فهو يشهد لي وتشهدون أنتم أيضاً**.» (يو ١٥: ١٨-٢٧)

على هذا الأساس تكون تجربة المسيح في البرية من الشيطان بعد مسحته وامتلائه من الروح القدس، هي لحسابنا ضد روح العالم، وهي رائدنا الوحيد في أوقات مواجهتنا للعدو أثناء مسيرتنا في العالم، سواء من جهة الكنيسة ككل أو من جهة كل مَنْ اعتمد للمسيح ونال مسحة الروح القدس في الكنيسة؛ معنى هذا أننا لا نجوز بعد أيَّة تجربة وحدنا، فالمسيح لم يقبل المسحة أصلاً لنفسه بل قَبِلَ مسحة الروح القدس لملئنا نحن، ودخل التجربة ليُعيد

إلينا نصرتنا الأُولى على قوى الشر والظلام التي كانت في آدم.

الكتاب لا يقول عبثاً - بعد أن انتصر المسيح على إبليس في كل ما جُرِّب به - أنه «**كان مع الوحوش، وصارت الملائكة تخدمه**» (مر ١: ١٣، مت ٤: ١١). هنا آدم يعود إلى وضعه الأول قبل السقوط، لقد استردَّ المسيح ما فقده آدم، فإن آدم بعد خروجه من لدن الله بسبب المخالفة فَقَدَ في الحال أُلفته وسيادته على الوحوش وصداقته للخليقة السماوية. لذلك صارت صحبة الوحوش للإنسان ورؤية الملائكة بعد سقوط آدم أحد أحلام العصر الماسيَّاني، وكانت تُحسب في النبوَّات أبرز علامات عودة رضى الله على الإنسان: [«فيسكن الذئب مع الخروف، ويربض النمر مع الجدي، والعجل والشِّبل والمسمَّن معاً، **وصبي صغير** يسوقها» (إش ١١: ٦) - يلاحَظ هنا كلمة «صبي صغير» ترمز إلى الطفولة أي عودة الإنسان إلى ملكوت الله: «إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد فلن تدخلوا ملكوت السموات» (مت ١٨: ٣)، وهي أيضاً إشارة سريَّة غاية في العمق والإبداع إلى الميلاد الجديد في المعمودية، «وكأطفال مولودين الآن، اشتهوا اللبن العقلي عديم الغش لكي تنموا به» (١بط ٢: ٢)].

المسيح هنا حقَّق الحلم الماسيَّاني وأدخل الإنسان إلى ملكوت الله بالفعل والقوَّة: «إن كنت أنا بأصبع الله أُخرج الشياطين، فقد أقبل عليكم ملكوت الله» (لو ١١: ٢٠). وكما يقول العلاَّمة كلمندس الإسكندري: «وكملك حقيقي على الخليقة جاءت الملائكة وصارت تخدمه.»[1]

---

(١) كلمندس الإسكندري .*Exc. Theod.* 85

المسيح بالمسحة والامتلاء من الروح القدس في الأردن ونصرته على الشيطان، أعاد للإنسان سيادته مرَّة أخرى على الشيطان وعلى قوى الشر، وردَّ له سلامه مع الخليقة كلها ووحوش الأرض، وصالحه مع الملائكة التي بعد أن كانت تحجزه عن العودة إلى الفردوس بسيف لهيب نار متقلِّب صارت مرَّة أخرى أرواحاً مرسَلة لخدمة العتيدين أن يرثوا الخلاص من بني آدم.

لقد سلَّم المسيح إلى الذين يؤمنون به هذه القوَّة الفعَّالة، أي مسحة الروح القدس والامتلاء من مواهبه وسلطانه ليكون لمن يؤمن باسمه هذه النصرة عينها ضد مصادمات العدو، وهذه المصالحة عينها مع الخلائق السمائية للخلاص وخدمة الخلاص.

لذلك نجد الوحي الإلهي لم يفرِّق بين ما سيكمِّله (المسيَّا) بشخصه من أجلنا، وما سيؤول إلينا بسبب وبقوَّة اسمه وروحه. وأشار الروح إلى هذه النصرة عينها في المزامير باعتبار أن النصرة ضد قوَّات الشر هي للرجل "البار" «**الساكن "دائماً" في ستر العلي**»، الذي «جعل العلي ملجأه»، «وتحت جناحيه يحتمي، بره درع وسلاح، لا يخشى من هول الليل، ولا من سهم يطير في النهار، ولا من الوبأ يسري في الظلام أو هلاك يفسد في الظهيرة، يسقط عن جانبك ألوف وعن يمينك ربوات وإليك لا يقترب، ترى ذلك بعينيك وتتأمَّل مجازاة الأشرار. لأن لك الرب ملجأ، وأنت جعلت العلي مسكنك فلا يلاقيك شر ولا تدنو ضربة من خيمتك **لأنه يوصي ملائكته به** لكي يحفظوك في كل طرقك. على الأيدي يحملونك لكي **لا تُصدَم بحجرٍ رجلُك، على الأسد والحيَّة تطأ** (الشيطان وقوَّات العدو) والشبل والثعبان

تدوس، لأنه تعلّق بي أُنجيه، وأستره لأنه عرف اسمي، يدعوني فأستجيب له، في الضيق أنا معه، أُنقذه وأُمجّده. بطول الأيام أُشبعه وأُريه خلاصي.» (مز ٩١ – ترجمة دقيقة عن الأصل العبري)

هذا المزمور يصوِّر نصرة المسيَّا – ساكن العُلا – نفسه تصويراً محكماً في تجربته في البرية وحربه مع الشيطان ثم مسالمة الوحوش وخدمة الملائكة بكل دقائقها، ثم ينطلق منها تباعاً وفي غير فاصلٍ زمني أو شخصي إلى نصرة مَنْ سيسكن في ستره ويتمسَّك باسمه!!

هذا المزمور من أقوى المزامير التي تشدِّد قلب الإنسان المسيحي في حربه اللامنظورة مع قوَّات العدو باعتباره وثيقة حربية نافذة المفعول أكمل المسيح كل مطاليبها وشروطها على جبل التجربة وجثسيماني والجلجثة ووهبها بالروح القدس لكل مَنْ يتمسَّك باسم الرب وهو في التجربة(٢).

---

(٢) إبصالية واطس لربي يسوع على ثيوتوكية يوم الجمعة:
"بالحقيقة قد تقدَّمتُ إلى رئيس عظيم الذي هو اسم الخلاص لربنا يسوع المسيح.
ربنا يسوع المسيح أعطى علامة لعبيده الذين يخافونه لكي يهربوا من وجه القوس.
ربنا يسوع المسيح أعطى علامة لعبيده الذين يخافونه لكي يسدوا أفواه الأسود.
ربنا يسوع المسيح أعطى علامة لعبيده الذين يخافونه ليطفئوا قوَّة النار.
ربنا يسوع المسيح أعطى علامة لعبيده الذين يخافونه لكي يخرجوا الشياطين.
ربنا يسوع المسيح أعطى علامة لعبيده الذين يخافونه لكي يتسلَّطوا على أعدائهم.
وهذا هو اسم الخلاص الذي لربنا يسوع المسيح وصليبه المحيي الذي صُلبَ عليه.
طوبى للإنسان الذي يترك عنه هذا العمر واهتماماته المملوءة تعباً القاتلة للنفس.
ويحمل صليبه يوماً فيوماً ويلصق عقله وقلبه باسم الخلاص الذي لربنا يسوع المسيح.
يفرح قلبنا ويتهلَّل لساننا إذا تلونا اسم الخلاص الذي لربنا يسوع المسيح.
إذا ما رتَّلنا فلنقل بحلاوة يا ربنا يسوع المسيح اصنع رحمة مع نفوسنا". (الأبصلمودية المقدَّسة)

ولكن العجيب إذا فحصنا هذه المصادمة الحتمية مع العدو وبحثنا أسبابها وأهدافها، نجد أن الروح القدس هو سبب قيام الحرب مع قوَّات الظلام والشر، وهو هو بنفسه ضمين النصرة والقوَّة الفعَّالة التي لا تُهزَم أبداً ضد قوَّات الظلام والشر.

فبمجرَّد أن مُسح المسيح وامتلأ من الروح القدس - روح ضد العالم - **أُقتيدَ بالروح القدس نفسه ليُجرَّب من إبليس**، رئيس هذا العالم، وهكذا نحن أيضاً بمجرَّد أن نقبل الروح القدس ونعتمد وننال المسحة ونستنير ونمتلئ من روح الحق، يكون هذا بمثابة إعلان حرب ضد الشيطان، فندخل مباشرة في صراع مع قوَّات الظلام وروح الباطل الذي يُسيطر على فكر العالم ويسوقه إلى الشر والخطية إرغاماً.

كل هذا لابد أن ينير بصيرتنا لكي نعيد تقييمنا لمعنى التجارب عموماً، ثم لأسباب ومنابع المصادمات التي يسوقها العالم ضدنا ويُحكِم الشيطان تصويبها نحونا ...

فالمسألة ليست فردية بحال من الأحوال، وإن كانت التجارب تتشكَّل حسب قامة كل مؤمن ويضبطها الله حتى لا تتعدَّى قط احتمال كل إنسان على قدر إيمانه وصبره، **ولكن التجارب عموماً هي تفاعل حتمي بين روح الله الذي يقودنا إلى ملكوته وبين قوات الشر والظلام التي تحجزنا عن نوال نصيبنا الأسمى**. ولكن المسيح لم يتركنا لنبدأ طريق الصراع ونختمه بإمكانياتنا الهزيلة، فالمسيح أسَّس لنا طريق النصرة إذ غلب رئيس العالم - رأس الشر - وقال: «ثقوا (أو "تهلَّلوا") أنا قد غلبت العالم» (يو١٦: ٣٣)، «رئيس هذا العالم يأتي وليس له فيَّ شيء» (يو ١٤:

٣٠)، **وأعطانا أن نغلب باسمه كل قوات الظلمة وأعمال الشر طالما نتمسَّك باسمه وبالروح القدس.**

+ «وهكذا كان أُناس منكم (مغلوبين للزنا والسرقة والطمع والسُّكر والشتيمة)، لكن اغتسلتم (أي اعتمدتم) بل تقدَّستم (بالدم - القدسات للقديسين) بل تبرَّرتم **باسم الرب يسوع، وبروح إلهنا.**» (١كو ٦: ٩-١١)

هنا **اسم المسيح والروح القدس** يعيد إلى ذهننا مرَّة أخرى **شخص المسيح** الصاعد من الأردن **ممتلئاً من الروح القدس** متجهاً نحو البرية ليخوض التجربة العُظمَى ضد قوَّات الظلمة.

وعلينا أن نلتفت جدًّا أن الشيطان لا يحارب بطرق مكشوفة للفكر العادي ولا على مستوى المنطق العقلي أو البديهة البشرية، بل كما يقول بولس الرسول: «لأن سرّ الإثم يعمل الآن فقط (أي أعمال خفية كلها تحايل وخداع) إلى أن يُرفَع من الوسط الذي يحجز (ظهوره). وحينئذ يُستعلَن الأثيم الذي الرب **يبيده بنفخة فمه** (الروح القدس) ويُبطله بظهوره (الشخصي)، فإن مجيئه (المنافق) سيصحبه فعل إبليس بشتى أنواع العجائب والآيات والخوارق الكاذبة **وكل خديعة للإثم**، في الذين يهلكون **لأنهم لم يقبلوا محبة الحق التي تخلّصهم**، لذلك يرسل الله لهم عمل الضلال الذي يجعلهم **يصدِّقون الكذب** حتى يُدان جميع الذين لم يؤمنوا بالحق بل سُرُّوا بالإثم.» (٢تس ٢: ٧-١٢)

بسبب هذا الخداع الخفي والتحايل وطرق الغش التي يستخدمها الشيطان، فإن كل مَنْ لا يتمسَّك باسم المسيح وبالروح القدس - أي

روح الحق والمعرفة والفهم والمشورة التي من الله، فإنه يسقط بسهولة في خداع وغش الشيطان، ويعمل أعمال الشيطان دون أن ينتبه، معتبراً أنها أصول الدنيا أو العُرف السائد أو هي طبيعة الإنسان أو ربما هو مرض أو ربما هي الصدفة أو خطأ غير مقصود أو مجرَّد نتيجة للتسرُّع في الكلام أو التصرُّف، مع أنها تكون خيوط الشيطان المنسوجة بدقة هائلة ورفيعة جدًّا حتى لا تُرى، تلتف حول الفكر بدهاء وبطء ومكر لتحجب عنه نور التفريق بين الحق والباطل، ثم تضغط على الضمير لتخنقه حتى يفقد الحساسية للحق شيئاً فشيئاً دون أن يشعر كثيراً. وأخيراً تدخل هذه المشورات والتصورات في حيِّز التنفيذ حتى تسكن أعماق الأعضاء لتستَعْبِد في النهاية ليس العقل وحده بل والجسد نفسه. وفي النهاية يسكنَ ويتمكَّن ناموس الخطية في كيان الإنسان ويستعبد الفكر واللسان والضمير والأعضاء والسلوك.

أما الروح القدس - روح الحق - روح الحكمة والفهم والمشورة الصالحة، فهو وحده القادر أن يكشف للإنسان بقوَّة واستقامة حركات الشيطان وحِيَله الماكرة جدًّا سواء في الفكر أو الضمير أو السلوك أو الأعضاء، مهما كانت خبيثة وماكرة، وذلك بقوَّة أكثر دقة وأكثر عمقاً وأكثر إحاطة من حِيَل الشيطان، حينما نرتمي تحت الصليب طالبين المعونة في وقتها؛ فروح الحق أقوى بما لا يُقاس من روح الباطل. والروح القدس يكشف للإنسان جميع حِيَل الشيطان ويبطلها واحدة فواحدة بدقة وحزم، باستنارة وفهم ومنطق إلهي لا يُعانَد كما يقول بولس الرسول: «**لأننا لا نجهل أفكاره**»! (٢كو ٢: ١١)

ويلزمنا في جهادنا أن نتيقّن أن عمل الروح القدس في المختارين هو أن **يعين المجرَّبين**، لا كأنه يُدفع إلى ذلك أو يحتاج إلى توسُّل، **بل هو عمله الخاص، لأن أية تجربة تصيب الإنسان الذي قَبِل الروح القدس وآمن بالمسيح يعتبرها الروح تجربة مصوَّبة للمسيح نفسه الذي هو الحق، أي مصوَّبة لله، فالروح القدس يعمل هنا في التجربة عملاً إلهيًّا حسب مسرَّته، هو من صميم اختصاصه وطبيعته.**

لذلك يؤكِّد القديس بولس الرسول أن الله أمين فيما له أي فيما يخص الحق، لذلك لا يجعل الإنسان يجرَّبُ بالشرور أو بالباطل فوق احتماله أو طاقته، بل يجعل مع التجربة البشرية منفذاً إلهيًّا، هذا المنفذ هو التدخُّل السريع والأمين والأكيد من قِبَلِ الروح القدس ليرفع الإنسان فوق مستواه، وليعين المجرَّبين لحساب تجربة المسيح، لأنه بذلك يتزكّى ضد الباطل وينتصر للمسيح الذي دفع لكل مَنْ يؤمن به ثمن النصرة على العالم!

الروح القدس في تعضيده لنا أثناء التجربة يشهد للمسيح من داخل الإنسان، ويعين الإنسان لكي يشهد هو أيضاً للمسيح: «الروح القدس يشهد لي وتشهدون أنتم أيضاً» (يو ١٥: ٢٦،٢٧)، الحق ضد الباطل.

من هذا نرى أن الروح القدس هو المنبِّه والكاشف للشر المخبَّأ ضدَّنا والقوة الفاحصة لأعمال الباطل وحقد الشيطان، في حرب النور ضد الظلمة داخل طبيعة الإنسان.

ولكن ليتنا نثق أنه إن كان الشيطان لا يمكن أن يحارب إلا المؤمنين الذين امتلأوا بالروح القدس، فالروح القدس لا يمكن أن يخذل المؤمنين بالمسيح، كلُّ مَنْ انقاد للروح القدس وأحبَّه، وتمسَّك به واقتناه كحق

وحياة: «يعلم الرب أن يُنقذ الأتقياء من التجربة، ويحفظ الأثمة إلى يوم الدين مُعَاقَبين.» (٢بط ٢: ٩)

وإن كان الشيطان يستطيع أن يُظلم بصيرة الإنسان بالسقوط في الخطية والانحراف وراء تيار الشر والأشرار، ويُدخِل في طبيعة الإنسان عنصر الجهل والنسيان والغفلة وعوامل التراخي والإهمال واللامبالاة، التي يستخدمها الشيطان كأمضى سلاح لربط فريسته لتكون مطية مطيعة لسُكناه، فإنه بالمقابل نجد أن الروح القدس حينما يسكن في الإنسان يمد طبيعته الجديدة:

بالاستنارة: «لكي تخبروا بفضائل الذي دعاكم من الظلمة إلى نوره العجيب.» (١بط ٢: ٩) ...

وبالفهم: «أبارك الرب الذي نصحني» (مز ١٦: ٧) لأن الروح القدس هو «روح المشورة والفهم» ...

وبالمعرفة بأصول الحق: وهذه إحدى الصفات الجوهرية لطبيعة الروح القدس التي ينالها الملتصقون بالرب: «روح الحق الذي **يعرِّفكم بكل شيء**»، «**أعطاني السيد الرب لسان المتعلِّمين** لأعرف أن أُغيثَ المُعييَ بكلمة.» (إش ٥٠: ٤)

وباليقظة القلبية الداخلية: «**يوقظ كل صباح. يوقظ لي أذناً لأسمع كالمتعلِّمين**، السيد الرب **فتح لي أُذناً** وأنا لم أُعاند، إلى الوراء لم أرتد.» (إش ٥٠: ٤-٥)

هذه هي صفات الطبيعة الجديدة للإنسان الجديد المولود من الماء والروح، التي يهبها الروح القدس من نفسه ليعيش بها كل مَنْ آمن

بالمسيح واعتمد شاهداً للحق ضد الباطل وكل قوى الظلام، بكل استنارة وفهم ومعرفة ويقظة، وحساسية ليس للشر فقط بل ولشبه الشر أيضاً. وهذه الصفات إذا وُجِدَت في إنسان، فإنها تكون الدليل العملي لسُكنَى الروح القدس.

ولقد نبَّه الرب إلى هذه الحقيقة مستشهداً بالأنبياء:

+ «إنه مكتوب في الأنبياء، **ويكون الجميع متعلَّمين من الله.**» (يو ٦: ٤٥)

+ «إن شاء أحد أن **يعمل مشيئته (الله) يعرف التعليم هل هو من الله،** أم أتكلَّم أنا من نفسي.» (يو ٧: ١٧)

ونكاد نقول أيها الأحباء إن المعرفة الحساسة المستنيرة بالروح القدس المتمسِّكة بالحق الإلهي، هي أشد وسيلة لدحر الشيطان وهو لا يزال يعمل في الفكر محاولاً أن يستميل الضمير إلى حماقات الخطية وجهالات الشر. لأن الشيطان لا يدخل إلى الإنسان إلا من باب العقل والتصوُّر. فالخطية تبدأ بحركة عقلية، ولا يمكن توقيفها إلا باستنارة عقلية لكشف مقدار بُطل الباطل. وهذه الاستنارة العقلية لا يحصل عليها الإنسان إلا بالروح القدس وبالكلمة أي بالإنجيل، لأن "الكلمة" هي بآن واحد فعل الروح القدس وهي قوَّة الله الحاملة لسلطان الله، وهي جوهر العقل الذي يشكِّل العقل ويبنيه.

لذلك نجد الرب يلجأ إلى "الكلمة المكتوبة"، هذا السلاح المرعب ليواجه به خداع الشيطان: «**مكتوب** لا تجرِّب الرب إلهك» (مت٤:٧). وهنا لا يمكن أن يغيب عن بالنا أن كلام المسيح نفسه **هو روح، وحياة.** والكتاب كله موحى به من الله، أي أنه مكتوب بالروح القدس!!

لذلك، كانت "الكلمة" بالإنجيل بالنسبة لِمَنْ آمن بالمسيح واسطة فعَّالة للاقتراب المباشر والمستمر لروح الله وفكر الله، لإعطاء مزيد من الاستنارة العقلية، بل ومزيد من قوَّة الله وسلطانه، لكشف كل حركات الشيطان وإبطالها. والنتيجة نصرة على العالم ومزيد من سر الحياة الأبدية!!

وكما كان المسيح «بروح الله يُخرج الشياطين» (مت ١٢:٢٨) حتى صار رعبة وهلاكاً للشيطان وجنوده، كذلك صار اسمه وصارت كلمته «روح وحياة» (يو ٦:٦٣)؛ فهي في ذاتها لها نفس السلطان.

وهذا يتضح لنا عندما أعطى المسيح تلاميذه السلطان لإخراج الشياطين وطردهم: «ثم دعا تلاميذه الاثنى عشر وأعطاهم سلطاناً (سلطان الروح القدس) على أرواح نجسة حتى يُخرجوها» (مت ١٠: ١). على أن سلطان المسيح الذي سلَّمه لتلاميذه بصورة أمر «أخرجوا شياطين» انحصر في الدعاء باسمه: «يا رب، حتى الشياطين **تخضع لنا باسمك**.» (لو ١٠: ١٨)

ثم انتقل هذا السلطان عينه بأمر المسيح من التلاميذ إلى الكنيسة - أي المؤمنين - عبر الدهور: «**وهذه الآيات تتبع المؤمنين: يُخرجون الشياطين باسمي**.» (مر ١٦: ١٧)

لذلك اعتبر القديس بولس الرسول التمسُّك **باسم المسيح مع الالتصاق بالروح القدس**، هو مصدر اغتسال من وسخ الخطية، ومصدر تقديس في الله وتبرير من كل دينونة للخلاص كما سبق وقلنا.

وأيضاً اعتبر بولس الرسول أن "**الكلمة**" باعتبارها حاملة لقوَّة الروح القدس الذي أوحى بها هي قادرة - بحد ذاتها - أن تحكِّم الإنسان

للخلاص: «وأنك منذ الطفولية تعرف **الكتب المقدَّسة القادرة أن تُحكِّمك** (تجعلك حكيماً) **للخلاص، بالإيمان الذي في المسيح يسوع** ... كل الكتاب هو **موحىً به من الله.**» (٢تي ٣: ١٥-١٦)

والكتاب المقدَّس حينما يتعرَّض إلى **إخراج الشياطين** باسم المسيح، الذي صار آية وحقًّا يتبع المؤمنين إلى مدى الدهور، فإنه يقصد بذلك إظهار مدى السلطان والتفوُّق الذي صار لنا - باسم المسيح وبروح الله - لكشف أعمال الشيطان ورصد حركاته وتصوراته في الفكر والقلب، والقدرة على إبطالها، لأن المؤمن وقد أصبح له سلطان من قِبَلِ الله وباسم المسيح أن يطرد الشيطان ذاته ويحطِّم مسكنه داخل جسد إنسان آخر، ليس من الصعب أن يُبطِل مشورته ويطرد أفكاره وتصوراته من نفسه هو، هادماً حركاته في الضمير وناموسه الرابض في أعضاء الجسد. ولكن هذا لا يتم إلا بالروح القدس الساكن في القلب - كما سبق وقلنا - على أن يكون الإنسان قد تدرَّب كيف ينقاد باتضاع وبساطة لمشورة الروح القدس، المدعو أيضاً «**روح المشورة.**» (إش١١: ٢)

والكتاب المقدَّس يفرِّق بين سلطان إخراج الشيطان - الذي أعطاه المسيح لتلاميذه ثم للمؤمنين عامة - الذي ظهر في أعلى صورة علنية له بإخراجه من أجساد الناس وطرده من سكناه جهاراً، وبين الصورة الأقل كما يراها بولس الرسول بالسيطرة على خداعه ومكره هكذا: هادمين وساوس الشيطان وكل كبرياء يرتفع ضد معرفة الله ومستأسرين كل فكر لطاعة المسيح، مؤكِّدين أن حربنا مع الشيطان وإن كانت في الجسد ولكنها ليست بأسلحة جسدية بل بسلاح الله، أي بالروح القدس

(انظر: ٢كو ١٠: ٣-٦)

ولكن يلزمنا هنا جدًّا أن نكشف ما هو هدف المسيح من إعطائنا السلطان على الشيطان؟ سواء بإخراجه أو إبطال شروره ومشوراته، إنه ليس مجرَّد سلطان للتفوُّق أو السيادة لنزداد ثقة بأنفسنا أو نفرح بانتصارنا، كما أخطأ التلاميذ السبعون يوماً حينما عادوا فرحين قائلين للرب: «فرجع السبعون **بفرح** قائلين: يا رب، **حتى الشياطين تخضع لنا باسمك**»، فردَّ عليهم المسيح محذِّراً ومصحِّحاً: «لكن **لا تفرحوا بهذا: أن الأرواح تخضع لكم، بل افرحوا بالحري أن أسماءكم كُتبت في السموات.**» (لو ١٠: ١٧، ٢٠)

واضح من هذا أن السلطان الذي أعطاه لنا المسيح باسمه على الشيطان وقوى الشر لإخضاعها هو أساساً علامة اختيار وتبنِّي أننا صرنا مكتوبين مع المختارين في السماء للخلاص وليس مجرَّد التفوُّق أو السيادة على الشيطان.

فالمسيح غلب الشيطان لنا حتى لا ننغلب له، فتُكتب أسماؤنا في السموات. أما المسيح فغلب لأنه ابن الله، وأما نحن فأعطانا أن نغلب لأننا صرنا أبناء الله فيه. فالنصرة على الشيطان هي بالدرجة الأُولى علامة اختيار وتبنِّي في المسيح وبالمسيح.

وهو أعطانا سلطاناً أن ندوس كل قوَّة العدو لا لنفرح ونتباهى بقوَّتنا، بل بالحري لكي لا نخاف منه حتى لا ننهزم لأوهامه وأباطيله فيسقطنا من سيادتنا ونصرتنا التي لنا بالمسيح ويحرمنا من خلاصنا واختيارنا الأبدي.

أو بمعنى آخر أكثر وضوحاً واختصاراً، قد أُعطي لنا أن نهزم مملكة الشيطان ليسود ملكوت الله، وأن نُخرج الشيطان ليسكن الروح القدس، وأن ندوس كل قوَّة العدو لتسود قوَّة الروح القدس على كل حياتنا، وأن نُبطِل كل حِيَل الشياطين وأفكاره وتصوراته لكي يصير لنا فكر المسيح وقداسته.

هذا هو عمل المسيح والروح القدس للشهادة قبالة الشيطان وكل قوَّة العدو في حياتنا. وهذا هو كيفية تأسيس ملكوت الله بالجهاد والعرق والدموع بالصراع المتواصل الذي لا راحة فيه.

انظروا إلى المسيح في جثسيماني في آخر مراحل المعركة الحاسمة ضد الشيطان، فهذا المنظر المهيب والمسيح جاثٍ على ركبتيه يصلِّي إلى الآب بلحاجة ثلاث مرَّات متتالية والعرق يتصبَّبُ على الأرض بنقط أليمة كنقطة الدم، هذا المنظر يصوِّر لنا كيفية مواجهة تحدِّي العدو في حياتنا، ومعنى الجهاد ضد قوَّات الظلمة: «هذه ساعتكم وسلطان الظلمة» (لو ٢٢:٥٣)، بسهر الليالي في الصلاة، ومعنى الوقوف في مواجهة المجرِّب بالجهاد حتى الدم في أخطر مراحل الحسم التي انتهت بالصليب، هذه الفترة القصيرة التي قضاها الرب وحده في صراعه الخفي ضد الشيطان وقوَّاته قبل الصليب والتي كانت تساوي في عنفها بحسب تقدير المسيح حرباً يخوضها إثنا عشر جيشاً من الملائكة! «رئيس هذا العالم يأتي وليس له فيَّ شيء» (يو ١٤:٣٠)!!

والمسيح إذ يعلم مقدار المعاناة المضاعفة التي سنلاقيها نحن بعد "انطلاقه" في مواجهة قوَّات الظلمة ورئيس هذا العالم بكل أشراره وشروره من أجل اسم المسيح، سبق وأكَّد أنه لن يتركنا يتامى في حرب مثل هذه، لن تكون متكافئة

قط إذا جُزناها وحدنا: «حين كنت معهم في العالم كنت أحفظهم في اسمك ... أما الآن فإني آتي إليك ... العالم أبغضهم لأنهم ليسوا من العالم، كما أني أنا لست من العالم ...» (يو ١٧)

المسيح يصوِّر هنا عمق الصراع الذي وُهِبَ لنا أن نخوضه ضد قوَّات الظلمة في العالم من أجل اسم المسيح بعد صعوده. لذلك أرسل الروح القدس المعزِّي: «وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزِّياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد، روح الحق ... **لا أترككم يتامى**، إني آتي إليكم ... أنتم فيَّ وأنا فيكم ... وأما المعزِّي الروح القدس الذي سيُرسله الآب باسمي، فهو يعلِّمكم كل شيء، ويذكِّركم بكل ما قلته لكم.» (يو ١٤: ١٦-٢٦)

وهكذا أعطى التأمين الكامل لرجحان كفَّة كل المجاهدين من أجل كنوته بإرساله الروح القدس للعزاء والتعليم ومعرفة الحق والتذكير بأقوال الرب، كعناصر قوَّة وجهاد وأسلحة جوهرية في حربنا الطويلة ضد روح الشر في العالم.

وهكذا ومنذ يوم الخمسين حتى الآن والروح القدس يشفع فينا،
في حربنا وجهادنا، في حزننا وآلامنا،
بأنَّات لا يُنطق بها!



الروح القدس يمنحنا القيامة

بمناسبة عيد الخمسين ١٩٧٩

الروح القدس يمنحنا القيامة

بمناسبة عيد الخمسين ١٩٧٩

الروح القدس في الكنيسة منذ يوم الخمسين وحتى الآن يُحضرنا كل يوم مع المسيح لندخل بكل كياننا داخل مجال المسيح، مجال القيامة، مجال فعل الخلاص بكل دقائقه، ونستلهم الإنجيل بكل دقائق معناه الصحيحة لنعيش فعل المسيح وكلمته، لأن الروح الذي أقام المسيح هو الآن معنا حاضر في الكنيسة يُضيء في قلوبنا سر قيامة المسيح في كل لحظة ليُقيمنا من لعنة موت الخطية.

فالإطار العام لعمل الروح القدس ينحصر في أن حلول الروح القدس يوم الخمسين أعطى للإنسان الوجه الآخر والفعَّال لقيامة المسيح. فبحلول الروح القدس دخلت قوَّة قيامة المسيح إلى العالم لتصير فعَّالة ومجدِّدة للطبيعة البشرية. لذلك يُشدِّد الرسول بطرس قائلاً: «مولودين ثانية لرجاء حي بقيامة يسوع المسيح من الأموات» (١بط ١: ٣)، هذا يكمِّله القديس بولس بقوله: «إن كان الروح الذي أقام يسوع من الأموات ساكناً فيكم، فالذي أقام المسيح من الأموات سيُحيي أجسادكم المائتة أيضاً بروحه الساكن فيكم.» (رو ٨: ١١)

ولكن الروح القدس لا يُعطي قوَّة القيامة من لعنة الموت الساكنة في الأعضاء ميكانيكيًّا، بل يلزم الاعتماد الشديد والقوي على الروح القدس

بالانقياد له، وبإلقاء كل الرجاء على النعمة: «إن كنتم بالروح **تُميتون** أعمال الجسد **فستحيون**» (رو ٨: ١٣). هنا الروح القدس يُميت ويُحيي، وهذه إحدى صفات الله العجيبة والمشجِّعة والتي تحفظ تجديد الخلقة بالروح القدس.

على أن كل مَنْ حصل على روح القيامة، أي الموت عن العالم والحياة لله في هذا الدهر بقوَّة الروح القدس وفعَّاليته والانقياد له بالسلوك العلني والخفي، فإنه ينال سر القيامة العتيدة، لأن سُكنى الروح القدس الآن في كيان الإنسان بفعل الإيمان والشهادة والأسرار وقوَّة الكلمة، يُعطي قدرة قيامة الجسد في الحياة الأبدية كما يتكلَّم جميع آباء الكنيسة في هذا الأمر، وهذا برهانه العملي: الفرح المذهل الذي يعيشه المؤمنون في هذا الدهر.

إذن فحضور الروح القدس في يوم الخمسين والآثار القويَّة التي صاحبت حضوره وحلوله، والتي لا تزال تعمل في الكنيسة ككل وفي المؤمنين كأفراد (المواهب)، هو في الحقيقة الوجه الآخر والدائم لقيامة المسيح، لذلك إن كانت الكنيسة تعيش بالفعل في **قيامة المسيح** (اخرستوس آنستي)، فهي لأنها نالت **روح القيامة** وتعيشه وتتنفَّس به.

طبيعة الروح القدس وطبيعة الإنسان

تغيير وتجديد للطبيعة عن طريق الشركة:

يظل علم اللاهوت يوضِّح ويدقِّق، للتفريق الهائل بين الطبيعة الإلهية والطبيعة البشرية. فالفارق بينهما هائل ومطلق ولا يقوى أي عقل أو منطق أن يتصوَّر مقدار الهوَّة التي تفصل بينهما. فالله هو "آخَر" كلِّي ومطلق بالنسبة للإنسان، ولا يستطيع الإنسان أن يتصوَّره أو يُقيِّمه.

وبعد أن اتحد "الكلمة" اللوغس - أي كلمة الله ابن الله - بالطبيعة البشرية، مولوداً من الروح القدس والعذراء مريم، جمع في نفسه هذا النقيض الهائل، أي الإلهي والبشري معاً في نفسه!! دون أن يفقد الكامل المطلق - أي الإلهي فيه - شيئاً، ولكن زاد الناقص العاجز - أي البشري فيه - كل شيء وكل كرامة.

أقول، وبالرغم من هذا الاتحاد الإعجازي الفائق، فقد ظلَّت الطبيعة الإلهية بالنسبة لنا نحن كأفراد شيئاً لا يُقترب إليه لا بالفكر ولا بالحس ولا بالأثر الفعَّال. فواضح من حياة التلاميذ الأخصاء مع المسيح أنهم على مدى كل حياته على الأرض، وبالرغم من كل ما أتاه من معجزات، ثم في صلبه وموته وحتى بعد قيامته وظهوره، لم يدركوا لاهوته. والسبب في ذلك أن القربى والاتحاد والتصالح الذي تمَّ بين الطبيعة الإلهية والطبيعة البشرية فيه ظلَّت منحصرة في أقنومه الشخصي، كما يحدِّده اللاهوت أنه "اتحاد أقنومي"، أي اتحاد شخصي. وظلَّ هذا

الاتحاد بآثاره الهائلة نحو البشرية كلها ينتظر حلول الروح القدس في الأفراد المؤمنين باسمه.

لذلك شدَّد المسيح أنه: «خيرٌ لكم أن أنطلق، لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزِّي» (يو ١٦:٧). إذن فخير البشرية ومجدها العظيم والبعيد الأثر، كان ينتظر قيامة الرب وصعوده بعد القيامة، لكي يُرسل الروح القدس، ليكمِّل عمل الرب الخلاصي.

ثم شدَّد المسيح أيضاً على تلاميذه أن لا يبرحوا من مكانهم في أورشليم مجمِّداً حركتهم تجميداً كليًّا حتى يُلبسوا قوَّة من الأعالي، وذلك ليتهيَّأوا للبشارة والشهادة. وذلك بأن يكونوا هُم أولاً على مستوى المسيح في تكميل عمل الخلاص - أي على مستوى القيامة، أي جدَّة الحياة الإنسانية: «الأشياء العتيقة قد مضت. هوذا الكل قد صار جديداً» (٢كو ٥: ١٧). لقد وُلِدَ الإنسان من جديد من طبيعة المسيح المقام بواسطة الروح القدس.

وبقبول الكنيسة، يوم الخمسين، الروح القدس، أي بسُكنى روح الله في قلب الإنسان وكيانه باتحاد صميمي سرِّي، اختُزلت الهوَّة التي كانت تفصل الله عن الإنسان، أي دخلت الطبيعة البشرية في شركة حيَّة وفعَّالة مع الطبيعة الإلهية على أساس أن ينال الإنسان ثمار اتحاد الطبيعة الإلهية بالطبيعة البشرية التي تمَّت جوهريًّا وأقنوميًّا في المسيح، واستُعلنت بالقيامة من جهة روح القداسة، لننال نحن بالنعمة بصفتنا أبناءً نرث ميراث المسيح في المجد، وبذلك تمَّ شفاء عجز الطبيعة البشرية وقصورها وموتها ونوال قوَّة قيامتها وكرامة ومجد صعودها إلى السماء الذي تمَّ لها في

المسيح المقام، ولكن بالنعمة، كهبة، دون أن تفقد الإنسانية بشريتها - إنما مجرَّد اكتساب مواهب المسيح، «أعطيتهم المجد الذي أعطيتني»، «أنا فيهم وأنتَ فيَّ.» (يو ١٧: ٢٢، ٢٣)

ولكي نوضِّح ذلك على المستوى العملي نشير إلى كيف أن بولس الرسول يفصل بين إنسان نال الروح القدس ودخل في شركة الطبيعة الإلهية عن إنسان لم ينل هذه الشركة ولم يصر روحيًّا بعد هكذا:

+ «وأنا أيها الإخوة لم أستطع أن أُكلِّمكم كروحيين (سيرة سماوية) بل **كجسديين** (سيرة أرضية)، كأطفال في المسيح، سقيتكم لبناً لا طعاماً لأنكم لم تكونوا بعد تستطيعون، بل الآن أيضاً لا تستطيعون. لأنكم بعد جسديون. **فإنه إذ فيكم حسد وخصام وانشقاق ألستم جسديين وتسلكون بحسب البشر.** لأنه متى قال واحد أنا لبولس وآخر أنا لأبلُّوس أفلستم جسديين؟» (١كو ٣: ١-٤)

فالروح القدس حينما يعمل في الطبيعة البشرية يرفع الإنسان فوق كل انقسام أو تحزُّب أو حسد مهما كان ...

نخلُص من هذا، **أن سُكنى الروح القدس في الإنسان وانتماء طبيعة الإنسان بالقلب والفكر والإرادة لوصايا الرب مع الاشتراك في أسرار المسيح، هذا يكون له ثمار حيَّة سلوكية تشهد في حياة الإنسان،** وهي التي تختم على مدى صحة الشركة في الروح القدس والاقتداء بالمسيح والنمو في عمل النعمة بشهادة الضمير والسلوك.

مواهب الروح القدس

(أ) الموهبة الأُولى: تجاه المسيح نفسه:

والإعلان الهام بل والتحذير الخطير الذي يتحدَّانا هو أنه بالرغم من أن جميع مواهب الروح القدس مهما تعدَّدت، فالروح واحد، ولكن تبقى **موهبة "معرفة الكلمة" على أُسُس صحيحة من الإنجيل وبفهم صحيح وإدراك صحيح بحسب الفكر الإنجيلي واللاهوتي، تبقى هي الأساس الأوَّل الذي لا غِنَى عنه والذي عليه يتوقَّف عمل كل موهبة أخرى**، ويكفي أن نتصوَّر إنساناً يسعى لينال موهبة الخدمة أو التعليم أو النبوَّة أو التكلُّم باللسان أو الشفاء أو الوعظ، وهو غير متأسِّس على معرفة الإنجيل بعهديه معرفة متقنة، فالعثرة والتخبُّط والبلبلة التي قد يقع فيها كفيلة أن تلغي كل موهبة أخرى، بل وتشكِّك في مصدرها وتهدم الكنيسة.

وهكذا فقبل الانشغال بمواهب الروح القدس يتحتَّم أن يكون الانشغال أولاً بالمسيح، بالإيمان الصحيح على أساس دراسة الكلمة وفهم معناها على أصولها الرسولية التقليدية، ثم الدخول في اختبار فاعليتها وصدقها، لأن كل معرفة بالمسيح بدون شهادة إنجيلية وبدون خبرة روحية تسليمية تصير مجرَّد علم لا يبني بل ينفخ.

ومن هنا يتضح ضرورة، بل حتمية، اجتماع أصحاب المواهب معاً تحت قيادة المسيح في عمل جسد واحد موحَّد داخل الكنيسة. كما يستحيل نجاح موهبة تعمل بمفردها، لأن من الرأس الواحد تنبع كل

الأعمال بانسجام نحو غاية واحدة.

هذا يُدخلنا مباشرة في موضوع عمل الروح القدس الأول والأساسي بالنسبة لخلاصنا وحياتنا وفرحنا الدائم الحقيقي، وهو علاقتنا الشخصية جميعاً بالرب على أساس كلمته الحيَّة: «إن أحبني أحد يحفظ وصاياي» (يو ١٤: ٢٣). فإذا اتحدنا في حفظ الوصية اتحدنا في حبِّه!!

أي أن كل مواهب الروح القدس إذا انحصرت في الإنسان بدون علاقة حيَّة دائمة ومعرفة وثيقة بالمسيح، فإنها تصبح بلا قيمة بل وبلا ثمرة، بل ولا تغني عن الدينونة! «يا رب يا رب أليس باسمك تنبَّأنا وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوَّات كثيرة؟ فحينئذ أصرِّح لهم أني لم أعرفكم قط. اذهبوا عني يا فاعلي الإثم» (مت ٧: ٢٢-٢٣)، «هذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته.» (يو ١٧: ٣)

(ب) الموهبة الثانية: تجاه الآخرين:

هذا بدوره ينقلنا مرَّة أخرى إلى عمل الروح القدس في علاقتنا بالآخرين، الآخرين من كل نوع، الأحباء والأعداء والأهل والإخوة والزملاء والرؤساء والخَدَم والحكومة وقوانين الدولة، والعقائد والأديان الأخرى.

وأخطر ما يلاقيه المنشغلون بنوال المواهب، هو اختراع مبادئ وأفكار جديدة لهم كأنها من إلهام الروح القدس، وهي انعكاس شخصي ذاتي لخبراتهم وإخفاقاتهم وخساراتهم السابقة، أو ربما انعكاس لطموحات ذاتية ولأمراض نفسية مختفية لم تظهر لهم وللمجتمع بوضوح، فنسمع عن

تصرُّفات غريبة عن المفهوم التقليدي المسيحي والكنسي بحسب الإنجيل.

علماً بأن الروح القدس نفسه لا يعمل شيئاً من ذاته، أي لا يمكن أن يشير بمشورة غير ما أشار بها المسيح، كما يقول الرب: «لا يتكلَّم من نفسه... بل يأخذ مما لي ويخبركم... ويذكِّركم بكل ما قلته لكم» (يو ١٦: ١٣ و١٤، ١٤: ٢٦). وهكذا يتضح أن مشورة الروح القدس ستظل محدودة تماماً في حدود وصايا المسيح وتعليمه فقط، ولا جديد بالمرَّة.

ووصايا المسيح واضحة محدَّدة مفهومة بكل بساطة وإعجاز ...

- فمن جهة **مَنْ هو قريبي**: أعطى المَثَل (السامري الصالح: لو ١٠: ٢٩-٣٧) [ضد السلام الاجتماعي الذي يقوم على المصالح العنصرية أو الأُسرية] جاعلاً **معنى القرابة** في مفهوم إنساني رائع ينحصر في معنى البذل والرحمة دون النظر إلى عوامل معاكسة مهما كانت، فاليهودي الذي كان على شفا الموت أنقذه عدوه السامري بينما كهنة اليهود لم يرْثوا لحاله وعَبَروا عليه وتركوه.
- ومن جهة **الإخوة**: «فأخذ ولداً وأقامه في وسطهم ثم احتضنه وقال لهم: مَنْ قَبِلَ واحداً من أولاد مثل هذا باسمي يقبلني، ومَنْ يقبلني فليس يقبلني أنا بل الذي أرسلني» (مر ٩: ٣٦)، «إذا أراد أحد أن يكون أولاً فيكون آخر الكل وخادماً للكل» (مر ٩: ٣٥)، «أنتم تعلمون أن الذين يُحسبون رؤساء الأُمم يسودونهم، وأن عظماءهم يتسلَّطون عليهم. فلا يكون هكذا فيكم. بل مَنْ أراد أن يصير فيكم عظيماً يكون لكم خادماً.

ومَنْ أراد أن يصير فيكم أولاً يكون للجميع عبداً» (مر ١٠: ٤٢-٤٤). وبهذا يكون المسيح قد أسَّس قانون العلاقات التي تربط أية جماعة تجتمع باسم المسيح وتعمل بقوَّة الروح القدس. فالأُخوَّة المسيحية لا تقبل السيادة، والخدمة شرف.

- ومن جهة **الرؤساء**: «على كرسي موسى جلس الكتبة والفريسيُّون، فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه. ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا، لأنهم يقولون ولا يفعلون.» (مت ٢٣: ٢-٣)
- ومن جهة **الخَدَم**: «أنتم تدعونني معلِّماً وسيِّداً، وحسناً تقولون، لأني أنا كذلك. فإن كنت وأنا السيِّد والمعلِّم قد غسلت أرجلكم، فأنتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض. لأني أعطيتكم مثالاً حتى كما صنعت أنا بكم تصنعون أنتم أيضاً.» (يو ١٣: ١٣-١٥)

وبهذا العمل الواحد ألغى المسيح من الكنيسة أيَّة محاولة للتعالي الطبقي في الوظائف الكهنوتية.

- ومن جهة **الحكومة والقوانين**: «أَعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله» (مت ٢٢: ٢١). هنا يصالح المسيح السيرة الروحية الخالصة بواجبات السياسة - أي الدولة عن أمر والتزام (أعطوا)، ثم **الالتزام بقوانين الدولة حتى الجائر والخطأ منها**: «ماذا تظن يا سمعان؟ ممَّن يأخذ ملوك الأرض الجباية أو الجزية، أَمن بنيهم أم من الأجانب؟ فقال له بطرس: من الأجانب. قال له يسوع:

فإذاً البنون أحرار. **ولكن لئلا نُعثرهم اذهب** إلى البحر وألق صنارة والسمكة التي تطلع أولاً خُذها. ومتى فتحت فاها تجد إستاراً فخذه وأعطهمْ عني وعنك» (مت ١٧: ٢٥-٢٧). وهكذا استعبَدَ المسيح نفسه لقانون الضرائب لغاية رائعة وكريمة وهي أن لا يُعثِر أحداً في ولائه لصاحب السلطان!

- ومن جهة **العقائد الأخرى**: «فأجابه يوحنا قائلاً: يا معلِّم رأينا واحداً يُخرج شياطين باسمك **وهو ليس يتبعنا، فمنعناه لأنه ليس يتبعنا**. فقال يسوع: **لا تمنعوه** ... لأن مَنْ ليس علينا فهو معنا» (مر ٩: ٣٨-٤٠). وهكذا ارتفع المسيح فوق التحزُّب والتبعية والتشيُّع للمبادئ والأشخاص.

أما الذين يقاومون الطريق الصحيح فقانونهم عند المسيح: «**اتركوهم** هم عميان قادة عميان.» (مت ١٥: ١٤)

- ومن جهة **الأديان الأخرى**: «لي خراف أُخر ليست من هذه الحظيرة، ينبغي أن آتي بتلك أيضاً فتسمع صوتي، وتكون رعية واحدة وراعٍ واحد» (يو ١٠: ١٦). «في كل أُمَّة الذي يتَّقيه ويصنع البر مقبول عنده.» (أع ١٠: ٣٥)

- ومن جهة **الأعداء ومجابهة التحدِّي والظُّلم والاضطهاد**: «أحبوا أعداءكم» (مت ٥: ٤٤)، «إن جاع عدوَّك فأطعمه، وإن عطش فاسقه» (رو ١٢: ٢٠)، «لا تنتقموا لأنفسكم أيها الأحباء، بل أعطوا مكاناً للغضب. لأنه مكتوب: لي النقمة أنا أجازي يقول الرب» (رو ١٢: ١٩). «لا تغرب الشمس على غيظكم، ولا

تعطوا إبليس مكاناً» (أف ٤: ٢٦-٢٧). «طوبى لكم إذا عيَّروكم وطردوكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة، من أجلي، كاذبين. افرحوا وتهلَّلوا!!» (مت ٥: ١١-١٢)

- من جهة **الولائم**: «وقال أيضاً للذي دعاه: إذا صنعتَ غداءً أو عشاءً فلا تدْعُ أصدقاءك ولا إخوتك ولا أقرباءك ولا الجيران الأغنياء لئلا يَدْعُوك هم أيضاً فتكون لك مكافأة. بل إذا صنعت ضيافة فادعُ: المساكين الجُدْع العُرج العُمي، فيكون لك الطوبى إذ ليس لهم حتى يكافوك لأنك تُكافى في قيامة الأبرار.» (لو ١٤: ١٢-١٤)

وبهذا يكون المسيح قد وضع أُسس العلاقات الإنسانية على المستوى الروحي للذين يريدون أن يعيشوا بالتقوى بقيادة الروح القدس حسب الإنجيل.

(ج) الموهبة الثالثة: الانفتاح على الجماعة (الكنيسة):

فإذا تمَّ هذا تتجلَّى الكنيسة كمجتمع مسيحي منقاد بالروح القدس يحوي كل طبقات الشعب بكل ضعفاتها وأعوازها وأمراضها. ليس كجماعة روحية عالية مصلِّية باللسان متحابة بالفكر ومتكتلة تحت اسم، بل جماعة تحوي حتماً كل المتناقضات الإنسانية وكل القامات، وبواسطة الروح القدس تتصالح المتناقضات وتأتلف المفارقات. فالكنيسة بأسقفها جماعة تائبين، جسم يموت ويحيا كل يوم، ينسى ما هو وراء ويمتد إلى قدَّام، يفقد أعضاء ميِّتة ويقبل أعضاء حيَّة، يتغيَّر عن شكله، يتجدَّد بذهنه.

هكذا أسَّس المسيح الكنيسة على أساس الاغتسال الدائم، وهكذا وضع الروح القدس فيها ليصنع هذا التقديس والتطهير لحساب المسيح الرأس الواحد. بل إن تأليف وحدة جسم الكنيسة من هذه المتناقضات هو البرهان الوحيد على أن قوَّة الروح القدس فعَّالة في الكنيسة بالحب الإلهي، وفعل دم الخلاص الذي له القوَّة والقدرة أن يمسح ويزيل كل وسخ الجسد والروح لكي يجعل الاثنين واحداً، ويرفع العداوة والحاجز المتوسِّط بين الإنسان وأخيه الإنسان بل وبين الإنسان والله نفسه، ويضم القريبين والبعيدين معاً في أُلفة الجسد الواحد.

والقديس بولس الرسول يشرح هذا بكل اعتناء ووضوح في رسالة كورنثوس الأُولى الأصحاح الثالث عشر، حيث يقطع أن كل موهبة حتى ولو كانت هي الإيمان نفسه القادر أن ينقل الجبال، أو حتى بلوغ التكلُّم مع الملائكة بلسانهم، بدون الاتحاد بالقريب في حب، والتفاعل مع الجسد البشري في إخلاص وتصديق وصبر واحتمال وعدم تململ أو ضجر أو ينونة، إنما تكون مواهب باطلة لا تفيد شيئاً إلا ضجيجاً كضجيج القرع على الصنوج، ثم يذهب طنينها مع الرياح!

مراجعة وفحص لكل موهبة:

(أ) لمجد المسيح:

أما الاختبار النهائي الذي يحكم على كل موهبة مهما كانت عظيمة، وإن كانت هي تعمل حقًّا من الروح القدس أو هي انفعالات مبهمة غير معروف مصدرها وغايتها، فهي النتيجة التي تنتهي إليها هذه المواهب، فإذا كانت وظلَّت واستمرَّت " **لمجد المسيح**" وحده، تكون حقًّا من عمل

الروح القدس، لأن معيار عمل الروح القدس قدَّمه المسيح بوضوح: «**ذاك يمجِّدني**» (يو١٦: ١٤). والمسيح لا يمكن فصله عن الكنيسة كجسد كامل الأعضاء.

(ب) خطأ الانغلاق:

أما علامة انحصار الموهبة في الذاتية الإنسانية، فتكون واضحة عند تكوين الحلقات الضيقة، أي الشلل المغلقة التي تتعصَّب لقائدها بصورة عمياء: هذا لبولس وهذا لأبولُّوس. ألعل بولس صُلب لأجلكم. أم باسم بولس اعتمدتم؟ (١كو ١: ١٠-١٣)

وهكذا كانت تنحصر سعادة بعض الجماعات في مجرَّد التأمُّلات، بحيث لا تقوَى هذه الجماعات على الانفتاح العام للشركة العامة، بل ولا تقوَى بالفعل على مجابهة استيعاب العلانية الكنسية. وحينئذ لا تحتمل أي نقد أو توجيه في هذا الأمر، فكان مآلها للزوال.

وينبغي أن لا يخفى قط على كل مَنْ أراد أن يعيش في دائرة الإيمان الصحيح بالمسيح، أنه لا يمكن أن تحسب أيَّة جماعة مجتمعة باسم المسيح أنها تعيش وتعمل بالروح القدس، إلا إذا كان المسيح هو بنفسه وهو وحده قائدها، والمسيح لا يقود أحداً قط لا فرداً ولا جماعة ولا كنيسة إلا على أساس أن يوحِّدها بجسده الكلِّي، أي الكنيسة كلها، فكل اجتماع وكل صلاة لأية جماعة أو حلقة أو عقيدة أو كنيسة لا تنشئ رغبة ملحَّة في الاتحاد بأعضاء المسيح، أي بالكنيسة كلها في كل العالم، في شوق بل في اجتهاد، بل في حرارة ودموع، بل في توسُّل وبذل، بل في تذلُّل وانسحاق، فإن مثل هذا الاجتماع لا يكون مُساقاً بالروح

القدس بحسب الحق والإنجيل. لأن المجتمعين بهذا الشكل لا يكونون مفتوحين على قلب المسيح وفكره، ولا يكونون بالتالي منقادين بالروح القدس: «لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله» (رو ٨: ١٤). وأولاد الله هم عائلة واحدة، هم «أهل بيت الله» (أف٢: ١٩) بحسب تعبير الرسول بولس. وأولاد الله بيت واحد لا ينقسمون، لا يعيشون ولا يسعدون أفراداً وجماعات، بل سعادتهم تتوقّف على إحساسهم أنهم جسد واحد، إنسان واحد كامل في المسيح، عروس مزيَّنة بالفضائل لعريسها الوحيد، كنيسة مجتمعة في حضرة الله، مستضيئة كلها بالروح القدس والمسيح فيها الكل في الكل. من هذا كان يشدِّد الآباء الرسوليون على أن "لا خلاص خارج الكنيسة".

(ج) خطر الانشقاق:

من هنا كان اهتمام بولس الرسول أن يقدِّم المؤمنين جميعهم كعذراء عفيفة للمسيح، كنيسة متجلِّية ومنيرة بالروح القدس، بفكر واحد وقلب واحد ونفس واحدة، حيث لا يمكن أن يتم هذا إلا بتفريغهم من ذواتهم.

وكان اهتمام الرسول بولس شديداً بأن يلغي من الكنيسة كل تحزُّب وكل شقاق وكل انقسام وكل تجمُّعات خاصة تحت أسماء بشرية خاصة، مهما كانت، حتى ولو كانت باسم بولس نفسه أو أبولُّس نفسه لاتِّباع آراء بشرية هو جحد للمعمودية والموت والقيامة التي قبلها المؤمنون **باسم المسيح فقط**، الذي مات لأجل كل واحد ليجمع الكل في نفسه مبرهناً أنه ليس اسم آخر تحت السماء يمكن أن نخلُص به عن طريق مباشر أو غير مباشر.

لذلك اعتبر القديس بولس الرسول أن أي انقسام في الجماعة يعني غياب الروح القدس وهو حتماً ينشئ خصومة، وبالتالي ينشئ نقداً ودينونة وحسداً للمتقدِّمين بالروح. وبالتالي يطفئ الروح القدس، فيتوقَّف النور الذي عليه نسير، وأكَّد ذلك يوحنا الرسول في بساطة متناهية أن المحبة تجمع المؤمنين وتمنحهم أبوَّة الله بصفة مستمرَّة: «كل من يحب فقد وُلِدَ من الله» (١يو ٤: ٧)، وأن انقسام القلب وفقدان المحبة من الجماعة تفرط عقدها وتعمي بصيرتها من نحو الحق فيتوقَّف سيرها في طريق المسيح: «لا يعلم إلى أين يمضي لأن الظلمة (فقدان الروح القدس) قد أعمت عينيه.» (١يو ٢: ١١)

(د) الدينونة والحسد والغيرة:

والحقيقة أن أخطر ما واجهته الكنيسة على مدى تاريخها الطويل هو الانقسام، ليس الناشئ فقط عن عدم الإيمان أو عدم المعرفة أو عدم الفهم، بل والناشئ أيضاً من حلول الروح القدس وإعطاء مواهب ممتازة لكنيسة دون كنيسة ولجماعة دون جماعة ولفرد دون فرد، وهذا لم يكن مفاجئاً للمفهوم الكنسي أو اللاهوتي، فالرب سبق وأنذر: «ما جئت لألقي سلاماً بل سيفاً» (مت ١٠: ٣٤)، وهو سيف الكلمة الذي يفرِّق مَنْ يؤمن عمَّن لا يؤمن؛ وكذلك قول الرسول بولس إن هناك مواهب متعدِّدة كتعدُّد الأعضاء وأهميتها في الجسد والواحد لا يُعطَى كالآخر، بل كما قُسم لكل واحد من إيمان، فلا ينبغي أن يرتئي الإنسان فوق ما ينبغي أن يرتئي.

والقديس بولس الرسول يوبِّخ بشدَّة الذين نالوا المواهب وبدأوا يفتخرون بها على الذين لم ينالوا مثلها، قائلاً: «فهذا أيها الإخوة حوَّلته

تشبيهاً إلى نفسي وإلى أبولُّوس من أجلكم، لكي تتعلَّموا فينا أن لا تفتكروا (في الإنسان) فوق ما هو مكتوب، **كي لا ينتفخ أحد على الآخر**، من أجل أحد. **لأنه مَنْ يميِّزك؟** وأي شيء عندك لم تأخذه (كعطية) **وإن كنت أخذت** (مواهب) **فلماذا تفتخر كأنك لم تأخذ** (أي كأنه ليس من الله بل صارت لكَ بجهادك)؟» (١كو ٤: ٦-٧)

من هذا يتضح أن الحصول على إحدى المواهب الفائقة لا يعصم الإنسان من الخطأ، بل يكون أكثر تعرُّضاً لحرب الشيطان للسقوط في الكبرياء والتعالي.

ثم يعود بولس الرسول ويوبِّخ كذلك الذين لم يأخذوا المواهب ويهاجموا الذين أخذوا موضِّحاً مدى الخطورة التي ستحدث لهم إذ سيفارقهم الروح القدس نفسه، إذا كان تمجُّمهم عن غير فحص وامتحان وتدقيق شديد للتمييز بالروح بين ما هو نافع وغير نافع وبين ما هو خطأ وصواب: «افرحوا كل حين. صلُّوا بلا انقطاع. اشكروا في كل شيء. لأن هذه هي مشيئة الله في المسيح يسوع من جهتكم. **لا تطفئوا الروح**. لا تحتقروا النبوَّات. امتحنوا كل شيء، تمسَّكوا بالحسن. امتنعوا عن كل شبه شر.» (١تس ٥: ١٦ - ٢٢)

ثم يحسم هذا الصراع الحادث داخل الكنيسة من جهة السعي نحو المواهب من جهة، ومن جهة أخرى مهاجمة الذين نالوا مواهب ممتازة وفائقة، ثم احتقار الذين نالوا المواهب للذين لم ينالوا، يحسم الأمر هكذا:

+ "جدُّوا للمواهب الفائقة، ولكن أريكم طريقاً أفضل. وهو المحبة. لأن المحبة هي أفضل المواهب قاطبة. وهي الموهبة التي بدونها لا

يمكن أن تُحسب أية موهبة أخرى أنها موهبة"[1].

وهكذا يقلب بولس الرسول كل خطط الشيطان التي يستخدمها لانقسام الكنيسة بسبب الغيرة والحسد من المواهب الفائقة، جاعلاً المحبة وهي أسهل وأبسط وأعم موهبة، فوق أعظم وأعلى المواهب تفوُّقاً وامتيازاً. وهي في متناول الجميع.

(١٩٧٩)



(١) خلاصة الأصحاحات ١٢ و١٣ و١٤ من الرسالة الأُولى إلى أهل كورنثوس.

حلول الروح القدس يوم الخمسين
موعد الآب

عيد الخمسين ١٩٧٣

اب ... المحبة ... ٢٣ ج٢

حلول الروح القدس يوم الخمسين

موعد الآب[1]

إكمال الفداء:

لقد تكلَّمنا عن الصعود الذي أكمله الرب في اليوم الأربعين من قيامته، **فأكمل به الفداء الذي بدأه على الصليب**. لأنه لما انطلق في ذلك اليوم وعَبَرَ الحجاب الذي كان يفصلنا عن الآب، ودخل إلى ما داخل الحجاب كسابق من أجلنا؛ دخل ودمه على يديه وتراءى أمام الآب مذبوحاً بالحب والطاعة **في جسم بشريته**، فارتدَّ غضب الله عن معصية الإنسان إلى الأبد، إذ صار الابن بذاته ذبيحة فداء عن عجز البشرية وقصورها. لذلك قيل: «**دخل يسوع كسابق لأجلنا ... فوجد فداءً أبدياً**.» (عب ٦: ٢٠؛ ٩: ١٢)

فبالصعود والجلوس عن يمين الآب، **أكمل المسيح التدبير** الذي من أجله نزل من السماء، **أكمل الفداء وضَمِنَ الخلاص لكل مَن يؤمن به**.

ماذا بعد الفداء؟

ولكن الجديد في الأمر، يا أحبائي، والذي يلزم جداً أن ننتبه إليه أنه – ومن بعد الفداء والخلاص – **يتبقَّى أن ندخل في شركة الآب، لنحيا معه بالحب كبنين!!**

---

(١) نص كلمة أُلقيت في عيد الخمسين (عيد حلول الروح القدس) سنة ١٩٧٣م.

لأنه أن نموت مع المسيح ونقوم معه ونجلس معه في السماويات شيءٌ؛ **ولكن أن نحيا الآن مع الآب في شركة حب البنين**، فهذا شيءٌ آخر. هذا هو **التدبير الذي أكمله الروح القدس الذي سبق وقيل عنه إنه "موعد الآب"**، الذي تحدَّد له يوم في تاريخ الإنسان، وتنبأ عنه الأنبياء، وتكلَّم عنه المسيح، وتحقَّق في يوم الخمسين.

عمل الابن وعمل الآب:

فنحن نعلم أن **المسيح أكمل لنا التدبير بالجسد**، الذي هو الموت والقيامة والصعود والجلوس عن يمين الآب. أما في يوم الخمسين، **فالآب أكمل التدبير بالروح القدس**. لأن **غاية المسيح كانت الخلاص** برفع الخطيئة وعقوبتها، واستعادة مركز الإنسان مع الله على أساس صلح دائم؛ أما **غاية الآب** فهي أن نحيا معه بالحب في شركة البنين، الذي هو عمل ما بعد الفداء والخلاص والمصالحة.

لما رفع الابن العداوة بالجسد،
انسكب حب الآب بالروح القدس:

وحيث ينتهي اختصاص الابن بالخلاص والمصالحة، يبدأ اختصاص الآب بالحب والتبنِّي. وفي هذا يقول الرب بغاية الوضوح: «**في ذلك اليوم** تطلبون باسمي. ولست أقول لكم إني أنا أسأل الآب من أجلكم، **لأن الآب نفسه يحبكم**، لأنكم قد أحببتموني، وآمنتم أني من عند الله خرجت.» (يو ١٦: ٢٦ و٢٧)

أما قوله: «في ذلك اليوم ... **الآب نفسه يحبكم**»، فهذا قد تحقَّق بصورة محددة يوم الخمسين، عندما أرسل الآب الروحَ القدس، روحه

الخاص، روح الحب الأبوي المعبَّر عنه بـ "**موعد الآب**". وهذا يشرحه بولس الرسول بقوله: «**لأن محبة الله قد انسكبت في قلوبنا بالروح القدس المُعطَى لنا.**» (رو ٥: ٥)

أي أن أول صورة ينبغي أن تنطبع في أذهاننا وقلوبنا عن هذا اليوم العظيم، يوم الخمسين، **هي انعطاف الآب نحونا بالحب الأبوي** الناري الذي سكبه على البشرية، **بعد أن أكمل لها الابن كل أعواز الفداء والخلاص**، بعدما غسلها بالدم وصنع لها تطهيراً كاملاً لكل خطاياها، مُصالِحاً إيَّاها مع الآب بصليبه.

هذا هو نصيبنا الفاخر في هذا اليوم المشهود، يا أحبائي، هذا هو كنز الحب الذي اغترف منه الأتقياء بالجهد في كل زمان ومكان و لم يفرغ أبداً، كنز يوم الخمسين، كنز حرارة تضطرم بالحب الأبوي تجعلنا لا نكف عن الصراخ: "**يا أَبَا الآب**"، لأن روح يوم الخمسين روح ناري مُرسَل توًّا من عند الآب، يحمل في لهيبه حنو الآب، وانعطافه الشديد الذي ظل محتجزاً عن الإنسان آلاف السنين.

حب الآب روح ناري يلد ويُجدِّد ويرفع من الأرض إلى السماء:

آه يا أحبائي! لو أدركتم فاعلية هذا الحب الناري ونوعيته لأن سره عميق، فقد ثبت أنه قادر على الولادة، وطبيعته ظهرت كنار إلهية قادرة أن تحوِّل طبيعتنا، كما تحوِّل النار التراب إلى ذهب. لأن بالحب الذي أحب الله به ابنه الوحيد المحبوب؛ هكذا ارتضى في هذا "**اليوم الإلهي**"، يوم الخمسين - إن جاز هذا التعبير - أن يحبنا بذات الحب الإلهي، ويسكب من روح قدسه علينا علناً، فنقلنا من عبيد إلى أبناء، ومن

الأرض إلى السماء، كرامة لابنه الذي نزل إلى ترابنا، الذي ذبح ذاته من أجلنا!

الروح القدس وثيقة تبنٍّ أعظم من قَسَم:

في القديم لما أطاع إبراهيم الله وأقدم على ذبح ابنه طوعاً لصوت القدير، نال إبراهيم تعطُّفات الله الجزيلة وأقسم له بذاته أن يباركه ويجعله بركة. الآن، يا أحبائي، وفي يوم الخمسين، هذا الذي به تباركت كل أيامنا، لما أكمل المسيح التدبير بالجسد وأطاع أباه حتى الموت، موت الصليب، وصعد وتراءى بجسده المذبوح أمام الآب؛ لم يُقسم الله في هذه المرة، بل صنع ما هو أعظم من القَسَم، إذ فاضت أحشاؤه على البشرية كلها، وسكب روحه القدوس المذّخر فيه كل حنان الله ولطفه وإحسانه على كل بشر، كقول يوئيل نبي العنصرة (يوئيل ٢: ٢٨ و٢٩)، وهذا الروح الأبوي تباركت كل الأرض.

وماذا كانت صورة هذا الحب؟ كانت وثيقة تبنٍّ!! لأنه كما أحب الآبُ القدوس ابنَه، هكذا وبذات الروح أحبنا وأرسل روح ابنه إلى قلوبنا (غل ٤: ٦)، فكان التبنِّي الذي أصبح لنا به كل الحق أن ندعو الله "يا أَبَا الآب". الروح القدس الذي سكبه علينا الآب هو ذاته الذي يصرخ فينا شاهداً أننا أولاد الله!

هذا هو روح التبنِّي الذي أدخلنا في شركة ميراث المسيح، أي في بنوَّة الله!! كما يقول بولس الرسول:

+ «بل أخذتم روح التبنِّي الذي به نصرخ: **"يا أَبَا الآب"**! الروح نفسه أيضاً يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله. فإن كنا (صرنا) أولاداً

فإننا ورثة أيضاً، **ورثة الله ووارثون مع المسيح!**» (رو ٨: ١٥ - ١٧)

موعد الآب بالروح القدس مسحة بنوَّة تحمل حياة لا تزول:

وهكذا أُكمِل "**موعد الآب**" بالروح القدس، وتَمَّت عملية التبنِّي التي طالما وعد بها الرب وطالما انتظرها التلاميذ بعد أن هيَّأ لها الابن في ذاته كل ما هو لازم لها؛ كما اجتمع تلاميذه في العليَّة أيضاً، حسب الوصية، يترقَّبون الموعد بصلاة وطلبة وبنفسٍ واحدة.

وتحقَّق الوعد بمسحة نارية من لدن الآب تحمل للإنسان قوة حياة لا تزول، في شركة مع الله أعمق من أن ينطق بها لسان بشر، نعيشها الآن بملء العلانية، **قوامها وجوهرها حب أبوي هو بحد ذاته مُحيي، يحمل سر الولادة من فوق!!**

المسيح «يرى نسلاً تطول أيامه، ومسرَّة الرب بيده تنجح. مِن تعب نفسه يرى ويشبع.» (إش ٥٣: ١٠، ١١)

فيا لفرحة يسوع المسيح في ذلك اليوم وهو جالسٌ في السماء عن يمين الآب، يرى الروح القدس يختم بختم الآب على كل تدبيره الذي أكمله بالآلام، ويرى تلاميذه وقد تبنَّاهم الآب ككنيسة تدخل في عهدها الجديد، عهد مسرَّة الآب، عهد الحب الأبدي الذي لن يُنزع منها إلى طول الأيام.

كان ينبغي أن يفرح المسيح بذلك، لأن هذه كانت طلبته التي سبق أن قدَّمها إلى أبيه بإلحاح متوسِّلاً: «**ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به**»

(يو ١٧: ٢٦)! هذه هي مسحة الآب التي سكبها، حسب طلب المسيح وإكراماً لحبه، على الكنيسة المجتمعة بنفسٍ واحدة يوم الخمسين، والتي لا زالت مجتمعة وجامعة حتى هذا اليوم تحت يد الآب، لقبول هذه المسحة عينها، مسحة الابتهاج، مسحة الحب الأبوي بالروح القدس على مثال مسحة الابن "المتجسِّد" على نهر الأردن، **عندما تقبَّل الروح النازل عليه بصوت الآب قائلاً: «هذا هو ابني الحبيب الذي به سُررتُ!!»** (مت ٣: ١٧)

يا أحبائي، التساوي هنا بين **حب الآب لابنه وحبه للإنسان الجديد**، الممثَّل في كنيسة الرسل المجتمعة في العليَّة، أمر يفوق العقل! لأن الحب الذي ينسكب بالروح القدس من الآب في الابن، صار بنفس الصورة والمثال ينسكب أيضاً، وبالروح القدس، من الآب في البشرية الجديدة على كل مَن يقبل الفداء والتبنِّي في المسيح: «ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به.» (يو ١٧: ٢٦)

شركة حياة جوهرها حب في الآب وفي الابن بالروح القدس:

وقد سبق وقلت إن الروح المنسكب من الآب بمسحة الحب هو في حقيقته حياة في الآب! الروح هنا يضم البشرية إلى شركة مع الآب، شركة حب وحياة أبدية معه؛ لأن حب الآب هو الحياة، والحياة في شركة الآب هي منتهى الحب!

المسيح كان يرى هذا اليوم العجيب، يوم أن تحيا الكنيسة بحب الآب! فكانت ترتاح نفسه إلى مصير قطيعه الصغير؛ وهكذا كان يطمئنهم عندما خيَّم عليهم ظل الصليب بأحزانه المبكِّرة إذ قال لهم: «**إني أنا حيٌّ فأنتم ستحيون**» (يو ١٤: ١٩). أما هذه الحياة فكان قد سبق

وشرح لهم مصدرها بوضوح بقوله: «**أنا حيٌّ بالآب**» (يو ٦: ٥٧). وهكذا ينجلي المعنى في الآيتين معاً هكذا: "لأني أنا حيٌّ بالآب، فأنتم ستحيون معي بالآب".

هذه هي شركة الحياة مع الآب والابن والروح القدس، التي رآها وعاشها وفرح بها التلاميذ، وسجَّلها يوحنا الرسول بعد ذلك، وعلَّمنا أنها هي هي ذات الشركة القائمة والمعروضة علينا الآن:

+ «فإن الحياة أُظهِرَت، وقد رأينا ونشهد **ونُخبركم بالحياة الأبدية التي كانت عند الآب وأُظهِرَت لنا**. الذي رأيناه وسمعناه نُخبركم به، لكي يكون لكم أيضاً شركة معنا. **وأما شركتنا نحن فهي مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح**. ونكتب إليكم هذا **لكي يكون فرحكم كاملاً**.» (١يو ١: ٢ - ٤)

التلذُّذ بهذه الشركة يحتاج إلى إضرام مواهب الروح كالنفخ في النار:

ونحن، يا أحبائي، لا نستطيع أن نعبُر على هذا الكلام دون أن نحس في أعماقنا بهذه الشركة، شركة الحب والحياة مع الآب ومع الابن بالروح القدس الذي انسكب يوم الخمسين، واستوطن الكنيسة وسكن هياكلنا بوداعة وسكينة واتضاع مُذهل.

صحيحٌ يا أحبائي، أن روح يوم الخمسين كان محسوساً ومنظوراً كألسنة نارية، ولكن الروح لم يبرد ولم ينطفئ. فناره مخفية للقلوب التي تعرف أن تضرمه بالصلاة، وتلهبه بالاتضاع والحب. نار الروح القدس حيَّة، تحتاج فقط لمن ينفخ فيها، هي لا يمكن أن تموت، بل تنتظر زيت

النعمة لتشتعل بها المواهب وتتزكّى المسحة. فطوبى لمن يجمع كل يوم ولو قطرة زيت واحدة، لأنه سيرى بعينيه كيف يشتعل الروح وتفوح رائحة المسيح الزكية.

زيتنا، يا إخوة، نجمعه كما تجمع النحلة النشطة العسل من رحيق الزهور: بالسهر والخدمة، بالبذل والمسكنة الصادقة، بالفقر الحلو والصوم المبهج، بالصلاة التي لا تنقطع، بتكريم كل إنسان، بالشكر على كل حال، بلسان يُبارك على كل اسم. فالزهور كثيرة في بستان الرهبان، والرحيق مختبئ لا تكتشفه إلاَّ النحلة الذكية.

أما الروح القدس فهو، بحسب طبيعته، وديع وهادئ، لا يسمع أحد صوته ولم تُرَ هيئته قط، إلاَّ للذين اجتمعوا بنفسٍ واحدة في أُلفة المحبة يطلبون موعد الآب، أو بالحري فتحوا قلوبهم وفغروا أفواههم ورفعوا وجوههم إلى فوق حيث المسيح جالس، يُطالبون بحق البنين ويترجَّون وجه الآب. لهؤلاء يظهر الروح كنور يملأ البصيرة، ونار تملأ القلب حتى يفيض كل لسان بتمجيد الله. الشبان يرون بالرؤيا «**نور العالم**» (يو٨: ١٢)، والشيوخ يتحقّقونه بالأحلام.

الشركة مع الرسل في مواهب وبركات يوم الخمسين

لم تنقطع قط من الكنيسة:

ولكن لا ننسى أبداً، أيها الأحباء، أن بحلول الروح يوم الخمسين، الذي لا يزال مُخيِّماً على الكنيسة منذ ذلك اليوم ولا يزال يملأنا حياةً ونوراً وحباً؛ قد صار لنا به نصيب مع القديسين لا ينقطع، **لأنه روح شركة صادقة حقيقية ممتدة من الرسل** أنفسهم منذ ذلك اليوم بلا انقطاع،

حيث لا يعوزنا إلاَّ أن نتمسك بهذا الروح حسب الوعد، لأنه روح الموعد القدوس الحي على الدوام، نمسكه بقلوبنا ولا نرخيه قط، نستنشقه بأرواحنا ونتودَّد إليه بكل مشاعرنا حتى ندرك كمال نصيبنا فيه مع القديسين ومع المسيح نفسه، كما يقول بولس الرسول: «شاكرين **الآب الذي أهَّلنا لشركة ميراث القديسين في النور**، الذي أنقذنا من سلطان الظلمة، ونقلنا إلى **ملكوت ابن محبته**.» (كو ١: ١٢ و١٣)

هذا كله، يا أحبائي، هو منتهى طلب المسيح الذي قدَّمه للآب بإلحاح ورجاء: «أيها الآب أريد أن هؤلاء الذين أعطيتني **يكونون معي حيث أكون أنا**.» (يو ١٧: ٢٤)

نفخة المسيح بعد القيامة وحلول الروح القدس يوم الخمسين:

وقد بلغني، أيها الأحباء، أن بعضاً منكم يسأل عن علاقة نفخة المسيح للروح القدس في تلاميذه بعد القيامة مباشرة وحلول الروح القدس يوم الخمسين، باعتبار أني تكلَّمت سابقاً عن كل منهما بالنسبة للخليقة الجديدة وميلاد الإنسان الجديد(٢).

وقد رجعت إلى القديس أثناسيوس في هذا الأمر فوجدته يقول هكذا:

[وإذ نفخ في وجه "التلاميذ" أعطاهم الروح القدس من عنده، وبهذه الكيفية سكبه الآب «**على كل بشر**» (أع٢:١٧)، كما هو مكتوب.](٣)

---

(٢) راجع كتاب: "القيامة والخليقة الجديدة"، للمؤلِّف.

(٣) "رسائل القديس أثناسيوس عن الروح القدس"، ص ٩٦.

ويعني بذلك أن **المسيح أعطى الروح القدس للتلاميذ، والآب أعطاه لكل بشر**؛ أي أن الآب أكمل عمل الابن على نفس المستوى أو بـ **"هذه الكيفية"**.

ورجعت أيضاً إلى القديس غريغوريوس الثيئولوغوس فوجدته يقول هكذا:

[إن التلاميذ تقبَّلوا الروح القدس على ثلاث مراحل، بقدر ما استطاعوا، وفي ثلاث مناسبات: قبل أن يتمجَّد المسيح بالآلام (أي بالصليب)، وبعد أن تمجَّد بقيامته، وبعد صعوده أي عودته إلى السماء.

في المناسبة الأولى استُعلِن الروح بشفاء المرضى وطرد الأرواح النجسة التي لا يمكن أن تتم بدون الروح القدس، وهكذا النفخة التي نفخها فيهم بعد القيامة تُظهِر بوضوح أنها إلهام إلهي، وهكذا أيضاً توزيع الألسنة النارية التي نعيِّد لها اليوم.

في المناسبة الأولى استُعلِن الروح بغير وضوح؛ وفي الثانية: بوضوح أكثر؛ أما في هذه (يوم الخمسين): فبكمال أكثر، إذ فيها لم يَعُد وجوده **بالقوة** (أو بالفعل)، بل نستطيع أن نقول إنه **بجوهره** (أو بأقنومه)، يشترك معنا ويسكن فينا.][٤]

ومن كلام القديس غريغوريوس الثيئولوغوس نفهم أن عمل الروح القدس بنفخة المسيح بعد القيامة **كان فعلاً إلهياً**، لم يحدِّده القديس غريغوريوس. أما حلوله يوم الخمسين **فكان تواجُداً ذاتياً**، وأيضاً لم يحدِّد القديس غريغوريوس نوع عمله.

---

(٤) "عظة على يوم الخمسين" - NPNF, Vol. VII, p. 383.

ولكن يبدو لنا أن العلاقة بين نفخة المسيح للروح القدس بعد القيامة وحلول الروح القدس يوم الخمسين هي **علاقة وطيدة للغاية ومُكمِّلة بعضها لبعض**. فعل الابن الذي أكمله بالتجسُّد والفداء، ينتهي عند الخليقة الجديدة التي «**ولدها ثانية** لرجاء حي، **بقيامة يسوع المسيح** من الأموات» (١بط ١: ٣) على صورته، نافخاً فيها من روحه القدوس لتحيا، بصفته الابن الخالق وآدم الثاني الروح المحيي!! ولكن إذ يلزم تكميل هذه الخلقة بعمل الآب، أمر المسيح تلاميذه، حتى وبعد هذه النفخة، أن لا يبرحوا من مكانهم بل أن ينتظروا أيضاً "موعد الآب". أي أنه بعد أن أكمل التلاميذ "**موعد الابن**"، انتظروا حتى يكملوا "**موعد الآب**".

+ حيث "**موعد الابن**" هو في حقيقته شركة مع المسيح بالروح القدس. فالمسيح نفخ فيهم الروح القدس بعد القيامة، لتكون لهم شركة كاملة في موته وقيامته كخليقة جديدة؛ إذ يستحيل أن يحصل التلاميذ على شركة مع المسيح بدون الروح القدس.
+ وحيث "**موعد الآب**" هو أيضاً شركة مع الآب بالروح القدس بقبول التبنِّي.

لذلك نرى أن نفخة المسيح – **ابن الله** – التي نفخها في تلاميذه بعد قيامته بالروح القدس، ثم حلول الروح القدس **من عند الآب** كمسحة يوم الخمسين، يكملان معاً عملاً واحداً في الإنسان مع أنهما فعلان سرِّيان، كل منهما قائم بذاته، **كالمعمودية والمسحة**. فكل منهما سرٌّ لفعل الروح القدس، ولكنهما معاً يُكمِلان عملاً واحداً لخلقة الإنسان الجديد

بالروح القدس باسم الآب والابن والروح القدس!!! «هو سيُعمِّدكم بالروح القدس ونار.» (مت ٣: ١١)

هذان الفعلان اللذان أكملهما كل من **الابن** بنفخة الروح القدس بعد القيامة، **والآب** بإرسال موعده القدوس للتلاميذ في يوم الخمسين، نتقبَّلهما نحن الآن معاً بالمعمودية والمسحة باسم الآب والابن والروح القدس، لقبول نفس ما قبله التلاميذ بعد القيامة وفي يوم الخمسين، أي الميلاد الجديد لخلقة جديدة، ككنيسة حيَّة، كجسم المسيح.

لماذا ارتباط عطية يوم الخمسين بصعود المسيح؟

معلومٌ من قول الرب إن إرسال "موعد الآب" أي الروح القدس، يوم الخمسين، حاملاً مسحة الآب بالحب والتبنِّي في شركة حياة أبدية معه، كان رهن عودة الابن إلى الآب، حاملاً في ذاته كمال إرساليته، أي بشرية جديدة مفدية ومُكمَّلة، واضعاً إيَّاها موضع المصالحة مع الآب بجلوسه الكريم المكرَّم الذي جلسه من أجلنا عن يمين العظمة في الأعالي.

فإذ أكمل الابن إرساليته هكذا مُحقِّقاً كل مشيئة الآب من نحونا، وإذ لم يَعُد يتبقى أي عائق يمنعنا عن الحياة مع الآب بلا لوم؛ حصل لنا المسيح بالتالي على موعد الآب بتوسُّط جلوسه عن يمين الآب، شفيعاً إلى الأبد للبشرية المتغرِّبة على الأرض. وفي هذا يقول بطرس الرسول في يوم الخمسين: «وإذ ارتفع **بيمين الله**، وأخذ موعد الروح القدس **من الآب**، **سكب** هذا الذي أنتم الآن تبصرونه وتسمعونه.» (أع ٢: ٣٣)

لماذا المسيح باكورة، ثم الذين للمسيح، وهكذا سيحيا الجميع؟

من قول بولس الرسول: «لأنه كما في آدم يموت الجميع، هكذا في المسيح سيُحيا الجميع... المسيح باكورة، ثم الذين للمسيح في مجيئه» (١كو ١٥: ٢٢ و٢٣)، ندرك أن الشركة التي حصل عليها المسيح لنا مع الآب في جسم بشريته (بتجسُّده) عندما أكملها بالجلوس عن يمين الآب؛ كانت هي العربون، أو الباكورة، أو النموذج الكامل، الذي تقرَّر في تدبير المسيح أن تقوم عليه شركة حياة البشرية كلها مع الآب والابن والروح القدس.

لذلك لم يتوقف المسيح عن عمله بعدما صعد وجلس عن يمين العظمة في الأعالي، لأنه لم يكن ممكناً أن يرتاح المسيح في ذاته أو **"يَكمُل فرحه"** إلاَّ بكمال تدبيره، عندما يرى البشرية قد نالت في ذاتها شركة مع الآب وعلاقة أبدية وحباً وتبنِّياً يساوي ما حصل عليه لنا في جسم بشريته! هذا كان طلبة خاصة وتوسُّلاً من المسيح لدى الآب قبل الصليب، هكذا: «أما الآن **فإني آتي إليك**. وأتكلَّم بهذا **في العالم ليكون لهم "فرحي كاملاً" فيهم**.» (يو ١٧: ١٣)

البشرية خلعت ثوب تيتُّمها يوم الخمسين وقَبِلَت سر الآب:

لقد شعر المسيح، عند اقتراب الساعة، أن البشرية أصبحت محتاجة أشد الاحتياج إلى روح أُبوَّة الآب، حتى لا يعيش الإنسان بعد يتيماً بإحساس مَن لا أب له.

واستطاع المسيح أن يملأ هذا الإحساس بالنسبة للتلاميذ، باعتباره الابن النازل من السماء من حضن الآب حاملاً صورة الآب وحنانه،

وهنا هو يتركهم، فكيف يعيشون بعده بدون حنان أُبوَّة الله ورعايته؟ لذلك وعد تلاميذه أنه بمجرد صعوده سيطلب من الآب أن يُرسِل لهم الباراكليت، روح التعزية، من الآب، حاملاً للبشرية كلها أحشاء تحنُّنات الأُبوَّة كشركة حياة تدوم إلى الأبد مع الله الآب!! لذلك قال لتلاميذه: «لا أترككم يتامى!!» (يو ١٤: ١٨)

إن روح يوم الخمسين هو حقيقة روح حنان الأُبوَّة لعزاء الإنسان كي يعيش كابن في بيت الله إلى الأبد.

لقد أدخلنا الآب يوم الخمسين في شركة معه، هي - على درجة ما - مما هو موجود وحاصل بينه وبين ابنه الحبيب! لدرجة أن الروح القدس أصبح عليه أن ينقل لنا حديث الآب القدوس الخاص مع ابنه، حديث الحب الإلهي الخالص: «متى جاء ذاك، روح الحق، فهو يُرشدكم إلى جميع الحق، لأنه لا يتكلَّم من نفسه، بل **كل ما يسمع يتكلَّم به**، ويُخبركم... يأخذ مما لي ويُخبركم. كل ما للآب هو لي» (يو ١٦: ١٣-١٥). وهكذا أدخلنا الروح القدس في سر شركة الآب مع الابن!

جلوس المسيح عن يمين الآب
هو بحدِّ ذاته توسُّط دائم لتكميل ملء البشرية:

هذا هو الروح القدس الذي سكبه الآب يوم الخمسين، حسب وعده القدوس، ليُعرِّفنا بما لم يخطر على قلب بشر، ولينقل لنا سر الآب مع ابنه، ويُلقِّننا الحب الأبوي، ردًّا على الخضوع والطاعة التي أظهرها الابن من نحو الآب في الصليب والآلام حتى الموت! ثم ليهب لنا كل بركات

أسرار الشركة التي بين الآب والابن، تماماً كما استطاع الابن بصعوده بجسم بشريتنا أن يُجلسنا معه في السماويَّات عن يمين الآب!!!

لأنه كما أجلس المسيحُ البشريةَ في ذاته عن يمين الآب مرة، بصعوده وجلوسه عن يمين الآب؛ هكذا توسَّط المسيح لدى الآب أن يُرسل الروح القدس يوم الخمسين ليُكمل على الدوام وحتى النهاية شركة الإنسان مع الآب على مستوى البنين.

وبولس الرسول يكشف لنا الصلة الجوهرية بين صعود المسيح وجلوسه عن يمين الآب، وبين تكميل ملء البشرية بالروح القدس للدخول في نفس الشركة التي أكملها المسيح في السماء، إذ يقول: «صعد أيضاً فوق جميع السموات، **لكي يملأ الكل**» (أف ٤: ١٠). إن كلمة "لكي" توضِّح أن صعود المسيح كان بداية وعلة أساسية وسبباً جوهرياً مستمراً لاكتمال ملء البشرية في الشركة مع الله!! وهذا توضِّحه أيضاً الآية التي سبق أن قلناها: «دخل يسوع كسابق لأجلنا.» (عب ٦: ٢٠)

لذلك، يا أحبائي، لم أستطع أن أكتب لكم عن الصعود دون أن أكتب لكم عن يوم الخمسين. فالصلة بينهما وثيقة وجوهرية في تدبير الخلاص الذي لا يزال المسيح يُكمِّله لنا بتوسُّط جلوسه عن يمين العظمة في الأعالي! حتى إلى الملء الكلِّي!

لذلك أيضاً أُنبِّه ذهنكم إلى نصيبنا المبارَك في المسيح الجالس فوق، حتى لا نكف عن التطلُّع إليه بشخوص القلب، بنداء الحب، لأن سيرتنا الحقيقية – أيها الأحباء – هي في السموات التي ننتظر منها المخلِّص (في

٣: ٢٠)! وحينما نُكثِر التطلُّع إلى فوق حيث الذبيحة قائمة، تتحـــرَّك أحشاء الآب نحونا ليُضرِم روحه القدوس فينا، ليُكمِل عمله فينا حتى إلى ملء قامة بشرية المسيح الجالس في حضنه الأبوي.

الصوم والروح القدس والخدمة

١٩٧٩

الصوم والروح القدس والخدمة[1]

صوم الآباء التلاميذ القديسين، وهو صوم العنصرة:

ورد في الدسقولية διδασκαλία، أي كتاب: "التعليم" للاثني عشر رسولاً (من مدوَّنات القرن الثالث) - الباب ٣١:

[وبعد أن يُكمِّلوا عيد الخمسين، عيِّدوا أيضاً أسبوعاً آخر، لأنه واجبٌ أن يُفرَح بموهبة الله التي دفعها لنا. ومن بعد ذلك صوموا أسبوعاً آخر، لأنه حقٌّ أن نفرح بالموهبة التي لله التي دفعها لنا ثم نصوم بعد الراحة... ومن بعد الصوم نأمركم أن تصوموا كل الأربعاء التي للأسابيع وكل جمعة...][2]

ولكن يعود كتاب "قوانين" الرسل (المسمَّى بالتطلسات - من كُتُب كليمندس الروماني - مدوَّنات القرن الرابع)، ويُصحِّح مدة الصوم المحددة بعد حلول الروح القدس يوم الخمسين، فيلغي أولاً أسبوع العيد والراحة بعد يوم الخمسين، ثم يمدُّ أسبوع الصوم ويجعله أربعين يوماً هكذا:

[وإذ سمعوا صوتاً كصوت الريح العاصف وشمُّوا رائحة طيِّبة لم يشمُّوا مثلها في العالم، وظهرت بينهم ألسنة من نار تحلُّ على كل

---

(١) نص كلمة أُلقيت في عيد العنصرة سنة ١٩٧٩م.

(٢) مخطوطة النوموكانون - المكتبة الأهلية بباريس.

واحد منهم، وذلك بعد صعود المسيح إلى السماء بعشرة أيام تتمة خمسين يوماً من بعد انبعاثه من بين الأموات وهو عيد البنديقسطي؛ فجعلوا يتكلّمون بألسن جديدة التي (للبلاد) التي يتوجَّهون إليها لدُعا (لدعوة) أهلها إلى الإيمان، وألهمهم (الروح القدس) ما ينبغي أن يفعلوه الناس من (تعليم) الصلاة والعبادة والسُّنَن والشرائع، وشكروا الله على ما ألهمهم وعرَّفهم (به)، **فصاموا أربعين يوماً** (وهم) **يشكرون الله على ذلك**، ثم غسل بطرس أرجل التلاميذ... ثم تفرَّقوا في البلدان القاصية لدعوة الناس إلى الإيمان].

ثم يعود كتاب: "**مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة**" للمؤرخ والعالِم "ابن كبر" كاهن كنيسة المُعلَّقة (القرن الثالث عشر)، موضِّحاً في (الباب ١٩) كيف عدَّلت الكنيسة منذ زمنٍ سابق مدة صوم الرسل وجعلته مفتوحاً قابلاً للزيادة والنقصان، وذلك لتلتئم نهاية صوم الرسل مع عيد استشهاد الرسولَيْن بطرس وبولس هكذا:

[**صوم الآباء القديسين التلاميذ ويُسمَّى "صوم العنصرة"**، أوله يوم الاثنين الذي بعد الخمسين، وآخره الرابع من أبيب ليلة عيد تذكار شهادة الرسولَيْن السلّيحَيْن بطرس وبولس، وهو من الأصوام التي أُجريت مجرى الأربعاء والجمعة، يُصام فيه إلى التاسعة، ولا يؤكل فيه شيء من اللحوم إلاَّ السمك. ومن الناس مَن يأكل اللبن والجبن، والأفضل تركهما].

وهذا هو الذي استقرَّ في البيعة القبطية الأرثوذكسية حتى اليوم. ويُلاحَظ

أن الصوم سُمِّيَ أولاً بـ "**صوم العنصرة**"، ثم "**صوم القديسين التلاميذ**"، وأخيراً أُطلق عليه "**صوم الرسل**" عندما ارتبط عيده بيوم استشهاد الرسولَيْن بطرس وبولس، وهذا جاء متأخراً. وليكن في علم القارئ أن التلاميذ لما صاموا أولاً بعد حلول الروح القدس لم يكن هذا الصوم مرتبطاً باستشهاد أحد من التلاميذ أو الرسل، ولكن كان مرتبطاً بوعد الرب: «حين يُرفع العريس عنهم، فحينئذ يصومون» (مت ٩: ١٥، مر ٢: ٢٠، لو ٥: ٣٥)، حيث أصبح الصوم هو الواسطة الجديدة للتقابُل الدائم والمستمر مع الرب المُقام: «ها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر» (مت ٢٨: ٢٠)، وذلك بواسطة الروح القدس الذي أُرسل ليأخذ من المسيح ويُخبرنا بكل شيء.

ليس جزافاً أن تبدأ الكنيسة صوم الرسل بعد حلول الروح القدس يوم الخمسين، ويستمر سفر الأعمال يوضِّح العلاقة بين حلول الروح القدس والصوم (الذي تسميه الكنيسة الأولى "صوم العنصرة")، وبين إرسالية التلاميذ للكرازة، وهي علاقة صميمية:

+ «وبينما هم **يخدمون** الرب **ويصومون**، **قال الروح القدس**: **أفرزوا** لي برنابا وشاول للعمل الذي **دعوتهما** إليه، **فصاموا** حينئذ **وصلُّوا ووضعوا عليهما الأيادي**، ثم أطلقوهما. فهذان إذ **أُرسِلا من الروح القدس... ناديا بكلمة الله**.» (أع ١٣: ٢-٥)

ويلاحظ القارئ جيداً كيف كانت الخدمة في الكنيسة الأولى يؤازرها باستمرار الصوم كحالة ملازِمة: «بينما هم يخدمون ويصومون»، وكأنه صومٌ مستمر للعنصرة أو هو استجابة حتمية لمفاعيل الروح داخل النفس والجسد، فهو صوم للفرح والتهليل بالروح والبذل.

ثم فليلاحظ القارئ أيضاً كيف أن الروح القدس كان يعمل تلقائياً وبصورة علنية واضحة ومُدرَكة من خلال "الخدمة والصوم" هكذا: «وبينما هم يخدمون الرب ويصومون، **قال** الروح القدس». ومرة أخرى نودُّ لو ينتبه القارئ لأهمية مركز الروح القدس كصاحب مبادرة وقيادة كاملة في أية إرسالية للخدمة، بشرط أن تكون قائمة على الصوم المستمر، إذ يكون الروح القدس هو القائد والموجِّه للجماعة ومُعطي المشورة لدعوة الأشخاص الذين يختارهم بأسمائهم: «**قال** الروح القدس: **أفرزوا** لي **برنابا وشاول للعمل** الذي **دعوتهما** إليه».

وأخيراً يُعطي الكتاب المقدس الصفة الرسمية والإلهية لمثل هذه الخدمة والإرسالية التي تتوفر فيها هذه الشروط، أي شروط خدمة الرب، بالصوم مع الانصياع الكلّي لإرشاد الروح القدس وإطاعة توجيهه، إذ يسميها الكتاب: «فهذان إذ **أُرسِلا من الروح القدس**».

هذا كله يكشف لنا عن سر نجاح المناداة بكلمة الله في الكنيسة الأولى، إذ نستطيع بكل ثقة أن نعتبرها "خدمة بالروح القدس".

وإذا تأملنا أكثر في بداية العلاقة بين الصوم والروح القدس، نجد أن حلول الروح القدس يوم الخمسين سبقه الصوم والصلاة لمدة عشرة أيام، ثم تلاه بعد ذلك صوم (لمدة أسبوع بحسب الدسقولية)، صوم للإرسالية والخدمة. هذا الوضع تكرر بحذافيره بعد ذلك تماماً: «وبينما هم **يخدمون** الرب **ويصومون** (بعد يوم الخمسين طبعاً)، قال الروح القدس (حلولٌ آخر ناطق لحساب الخدمة): أفرزوا لي برنابا وشاول للعمل الذي دعوتهما إليه. فصاموا حينئذ وصلّوا (للمرة الثانية بعد استعلان الروح

القدس ونُطقه)»!!

إذن، فالصوم أمرٌ حتمي لاختيار الأشخاص للخدمة لنوال الروح القدس، وذلك لضمان مشورته ومبادرته وتوجيهه لاختيار الشخص المناسب لنوع الخدمة. ثم يعود أيضاً الصوم ليكون ضرورة للخدمة ذاتها، لضمان عمل الروح القدس ونوال مواهبه وقيادته.

والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن مباشرة هو: لماذا الصوم ضرورة لنوال إرشاد الروح القدس لاختيار اللائقين للخدمة؟ ثم لماذا الصوم ضرورة لنوال قيادة الروح القدس للخدمة؟

أما الإجابة على هذين السؤالين فهي واضحة جداً من حياة وسلوك الرب يسوع نفسه ومن تعليمه، فهو الذي "وُلد من الروح القدس ومن العذراء القديسة مريم"، وهو الذي صام أربعين يوماً وأربعين ليلة بعد أن حلَّ الروح القدس عليه في نهر الأردن لمسحة الخدمة، والتي بعدها انطلق يكرز بملكوت الله. ثم هو الرب نفسه الذي أوضح أن محور الخدمة يقوم أساساً على أن مقاومة أعمال الشيطان، وإخراج أتباعه من السُّكنى في نفوس المصابين، لا تتم إلاَّ بالصلاة والصوم. وكان عجز التلاميذ عن إخراج الشيطان من المريض سببه غياب الصوم والصلاة من حياة التلاميذ: «هذا الجنس لا يمكن أن يخرج بشئ إلاَّ بالصلاة والصوم.» (مر ٩: ٢٩)

ومعلومٌ بكل وضوح أن المناداة بالكلمة لحساب ملكوت الله لخلاص الناس، هو العمل الإيجابي لفكِّ الناس من أَسْر مملكة الشيطان وحلّ

قيودهم من عبودية الخطية. لذلك فالمناداة بالكلمة والصوم وعمل الروح القدس، هو منهجٌ كامل.

وهكذا أصبح ضرورياً أن يكون واضحاً جداً **أن المناداة بالكلمة وخدمة ملكوت الله هي عمل مباشر ضد سلطان الشيطان ومملكته على كل المستويات الفكرية والسلوكية والجسدية. فالشيطان يسكن العقل، ويسكن الضمير، ويسكن أعضاء الجسد.** وبذلك أصبح من المستحيل على الكنيسة أو على أي خادم أن يواجه الخدمة لحساب ملكوت الله بدون الروح القدس. فالروح القدس هو الغريم الوحيد الذي له السلطان المطلق لتحطيم مملكة الشيطان.

وقد رأينا كيف أن الروح القدس يستحيل أن يقود أو يُعلِن عن مشورته على مستوى الكنيسة أو الخادم إلاَّ بالشروط التي سبق وأعلنها المسيح، كما يستحيل على الخادم بدون الروح القدس أن يواجه أعمال الظلمة وسلطان الشيطان وفكّ قيوده التي يُقيِّد بها ضحاياه!!

ويلزم أن يكون حاضراً في الذهن دائماً توضيح الرب في الإنجيل كيف أنه كان يُخرِج الشيطان بالروح القدس!! «**إن كنتُ بأَصْبُعِ الله أُخرِج الشياطين، فقد أقبل عليكم ملكوت الله**» (لو ١١: ٢٠)، حيث اصطلاح: "أصبع الله" هو كناية عن الروح القدس، وقد أوضح ذلك الرب أيضاً بعد ذلك (راجع: مت ١٢: ٢٨).

كذلك واضحٌ هنا من قول الرب إن **إخراج الشياطين، وهو الجزء السلبي في الصراع مع الشر، يساوي مجيء أو قبول ملكوت الله!**

فلما عثر اليهود في سلطان المسيح الإلهي، وأنكروا عليه أنه بروح الله كان يُخرج الشياطين ويلغي عملهم وسلطانهم ويحلُّ قيودهم التي قيَّدوا بها ضحاياهم، إذ قالوا بخبث وعدم لياقة إنه إنما ببعلزبول - أي بالشيطان - كان يصنع هذا؛ اعتبرهم المسيح في الحال مجدِّفين على لاهوته وعلى الروح القدس نفسه!! ففقدوا غفران خطاياهم إلى الأبد.

ويُلاحَظ أنه في الأسرار الكنسية التي يتم فيها نوال الروح القدس مثل المعمودية والمسحة والإفخارستيا والكهنوت، يتحتَّم الصوم قبل وبعد تتميم السر:

- ففي **المعمودية** نصَّت قوانين الرسل على صوم المعمِّد والمعتمِد يومين طيًّا قبل العماد، أما بعده فبقدر ما يرتئي المعمِّد.
- أما **الإفخارستيا** ففي طقسها الأول الرسولي كانت تُجرى في الغروب عند دخول المساء في نهاية يوم السبت (أي عشية الأحد)، وكانوا يأتون إلى الكنيسة صائمين اليوم كله. أما الآن فيتحتَّم صوم تسع ساعات قبل التناول، على أن يبدأ الصوم بعد منتصف الليل مهما كان موعد القداس متأخِّراً. وفي بلاد الحبشة (مأخوذ عن الطقس القبطي) لا يزالون يصومون بعد التناول تسع ساعات أيضاً.
- أما في **الكهنوت**، وبالأخص في رسامة الأساقفة، فالصوم قبل الرسامة حتمي على الشعب والإكليروس، ليتم الاختيار حسب مشورة الروح القدس. وأما بعد الرسامة فيطول ويتنوع من صوم انقطاعي لمدة خمسة أيام يفطر بعدها يومي السبت والأحد، وذلك

لمدة ثلاثة أسابيع؛ ثم انقطاعي ثلاثة أيام يفطر في الرابع، وذلك إلى كمال السنة كلها بعد الرسامة. كل هذا ضماناً لإضرام الموهبة الثمينة التي بوضع اليد.

الروح القدس وعمله في الخدمة:

واضحٌ من تدقيق الرب على التلاميذ أن لا يقربوا الخدمة إلاَّ بعد أن يعتمدوا بالروح القدس لنوال قوة فائقة من الأعالي ليصيروا شهوداً للمسيح المُقام؛ ومن هذا يتضح أن الروح القدس هو العامل الأول والأساسي في الخدمة، ليس من جهة قوة الشهادة وحكمة المنطق الذي لا يُعانَد فحسب، بل ومن جهة حدود الكلام نفسه ومعناه ومبناه: «لستم أنتم المتكلِّمين بل روح أبيكم الذي يتكلَّم فيكم» (مت ١٠: ٢٠)، «لأنكم تُعطَوْن في تلك الساعة ما تتكلَّمون به.» (مت ١٠: ١٩)

إذن، فالروح القدس للخادم هو قوة وفكر ونُطق وحكمة خاصة بعمل هام ومحدود لحساب الشهادة للمسيح في تلقائية مُذهلة: «عند افتتاح فمي» (أف ٦:٩). وكأن الكتاب المقدس يؤكِّد بهذا أن المسئولية الشخصية للخادم في الشهادة للمسيح تكون غير معتمدة على قدراته الشخصية مباشرة، بل وينبغي أن تكون كذلك حتى يستطيع الروح القدس أن يعمل بكل قوة الله. ولكن بالرغم من ذلك يختفي الروح القدس تماماً ولا يظهر إلاَّ الخادم وحده، وكأنه هو الذي يتكلَّم ويشهد: «روح الحق ... هو يشهد لي. وتشهدون أنتم أيضاً.» (يو ١٥: ٢٦، ٢٧)

لذلك وبلا جدال، فإن الهبة العظمى التي يتحتَّم أن ينالها الخادم ليُؤهَّل لخدمته، هي تلك التي وعد بها المسيح لكل مَن سيُرسله باسمه: «كما

أرسلني الآب أُرسلكم أنا. ولما قال هذا نفخ (فيهم) وقال لهم: اقبلوا الروح القدس!» (يو ٢٠: ٢١-٢٢)

هذا هو الروح القدس باب الخادم المفتوح على السماء بلا مانع. وطوبى للكنيسة التي يكون لخدامها باب مفتوح على السماء، لأن أبواب جحيم الأرض لن تقوى عليها!!

كيف يوصِّل الروح القدس الرسالة؟

إن أصعب ما واجهه المسيح هو تعريف نفسه لتلاميذه، وبالتالي للعالم جاهداً بكل أقواله وتعاليمه وأمثلته أن يُقرِّب إلى ذهن الإنسان: "**مَن هو الله**"؟ مَن هو الله في ذاته الخاصة؟ وما هو عمله الذاتي وغايته الذاتية من خلقة الإنسان وكل خليقة أخرى وكل الوجود الموجود؟ وقد بقيت هذه الصعوبة بعد كل هذا قائمة وشديدة. فالله آخَر كلِّي بالنسبة للإنسان بسبب طبيعة الله الأخرى وصفاته جميعها بالتالي.

لذلك لم يتبقَّ من وسيلة ليُعرِّف بها الله نفسه للإنسان إلاَّ بعمل يعمله في الإنسان نفسه مباشرة، فيكشف كشفاً غير مباشر عن ذاته المنعطفة نحو الإنسان، وعن ما يراه في الإنسان وما يريده له، وخاصة من جهة رفع حُكم الموت عنه وتبرئته، تمهيداً لقيامته ومنحه حياة أخرى أبدية غير مادية.

لقد صنع الله ذلك للإنسان بأن اتحد بجسد الإنسان اتحاداً خاصاً ذاتياً، أي أنه امتلك جسد إنسان لنفسه وأخذه له خاصة، فاستطاع أن ينسب لنفسه "الله" و"الإنسان" في وحدانية وشخصية مطلقة، وأن يتكلَّم بسهولة وصِدق وتلقائية أنه ابن الله وابن الإنسان. وعلى هذا بدأ

يكشف لهم كل ما عند الله من نحو الإنسان ويوطّد نوعاً من الصلات والحب والمودة والألفة بين الله والإنسان، بل وبين الإنسان الذي تبنّاه في ذاته أمام الله أبيه.

ولكن حتى وبعد أن تجسَّد "**كلمة الله**" وصار إنساناً، وصالَح طبيعتنا العاجزة في كماله المطلق ورفع عجزنا وقصورنا الذاتي والشخصي وحمله في ذاته وشخصه الكلّي القداسة والمجد - أقول، حتى وبعد ذلك كله، أعلن الرب أنه إذا انطلق سيُرسل لنا المعزِّي حتى لا نبقى يتامى، إشارة بليغة غاية العمق أن الروح القدس سيقوم بعمل التبنِّي، أي الميلاد الروحاني الجديد من السماء لله، أي يلدنا في طبيعة جديدة على شِبه المسيح.

وهكذا ينكشف لنا أن إرسال الروح القدس هو لتكميل عمل المسيح في طبيعتنا، وحيث اضطلع الروح القدس بتسليم الإنسان كل الوساطة التي بين الله والإنسان والتي نالها الابن بالتجسُّد، وكل المواهب التي نتجت من اتحاد الله بالإنسان في شخص المسيح. فالروح القدس صار هو سر الفعل والقول الإلهي بالحياة والتقديس في صميم طبيعة الإنسان المحتاجة إلى تجديد وتقويم.

الروح القدس يربط بين نظام الله الفائق في الكون الممتد نحو الكمال والجمال والمجد، وبين نظام الخليقة وخاصة البشرية المتردِّية نحو الموت والعدم، المستعبَدة للمرض والقصور والحزن والألم والإذلال تحت قوانين الطبيعة الجبرية الصارمة.

الحركتان والفعلان قائمان جنباً إلى جنب: حركة التجديد لبلوغ

أقصى الكمال والمجد، وحركة الضمور والتقهقر نحو العدم. هذان الفعلان قائمان داخل العالم، بل داخل فكر الإنسان وداخل قلب الإنسان ووجدانه وكل دائرة الخلق جميعاً.

هكذا يلزم أن ننتبه أنه يوجد الآن في العالم سرٌّ خطير وكبير هو الروح القدس يدور بعجلة عملاقة، ومن شدة تفوُّق هذا السر وجبروته ودقته المتناهية، الذي يتحكم في كل همسة ولمسة في الخليقة، ونحن أيضاً جميعاً منجذبون إلى بؤرته الأقوى من كياننا بمجالات، لا نقوى على فهمها أو حصرها مع أننا نحسها كثيراً ونرهبها.

الله بالروح القدس لا يزال يتكلَّم في العالم كل ثانية ليُكمِّل تدبيره الفائق، وعلينا أن نحس هذه الكلمة أو بالأقل ندرك هذا التدبير، إما داخلنا وإما خارجنا. فإذا سمعنا وإذا انسجمنا مع الكلمة أو التدبير نصير داخل مجال الله ونصير منفعلين بالروح القدس، فنتحرك ونتغيَّر على طول المدى، وفق قصد الله الذي يعمل كل شيء نحو الكمال.

وسيَّان إن كان قبولنا وانفعالنا لكلمة الله الحيَّة الفعَّالة بطريق إلهام مباشر أو بحسب تقليد مرسوم ومختبر على مدى عهود الله الطويلة مع الإنسان، لأن في النهاية يتحتم أن ينطبق هذا على ذاك دون أي نشاز. فالله له كلمة واحدة منذ بدء الخليقة حتى نهايتها. ولن يبقى في النهاية سواها في السماء والأرض، وكل مَن يخالفها يزول.

ومن الاختبارات الهائلة التي أخصبت فكر الإنسان وروحه على مدى التاريخ الروحي للإنسان منذ بدء الخلق، هو انفتاحه على مجال عمل كلمة الله في النظام الكوني جنباً إلى جنب مع اختبار آخر أخطر وأروع،

هو انفتاح وعي الإنسان وبصيرته على عمل كلمة الله داخل ضمير الإنسان وكيانه النفسي كعطاء مجاني من الله. فالله قائمٌ داخل الإنسان وخارجه كقوة إيجابية وحكمة منسكبة ونور وحياة وفرح وسلام ورجاء وحب، إنما في مجال مستور عن قياس العقل الطبيعي الذي لا يستطيع أن يقيس النور إلاَّ على الظلمة، والفرح إلاَّ على الحزن، والجمال إلاَّ على القُبح، والرجاء إلاَّ على اليأس، والحبَّ إلاَّ على البغضة، في حين أن مجال الله يخلو نهائياً من الظلمة واليأس والقُبح والحزن والبغضة.

لذلك فإن أول انكشاف لمجال الله يحدث داخل النفس يُصاحبه صدمة ذهول للعقل، لأن في هذه اللحظة يسمو الإنسان فوق كل خبراته القياسية القائمة على الخطأ والصواب ويأخذ قياساً جديداً مطلقاً للحياة له طبيعة الإيجابية المطلقة التي هي طبيعة الله!!

هكذا وبينما الإنسان يكون مرتبكاً في خبراته الناقصة وقصوره وعوزه وخطئه وقبحه وعداوته وبكائه، يكون الله لا يزال يتكلَّم بروحه القدوس في الريح والروح، في الصخرة والشجرة، في الدمعة والابتسامة، في المرض والصحة، في اليأس والرجاء، في الموت والحياة، بقوة إيجابية قاهرة تلغي كل السلبيات، ليس إلغاءً رخيصاً كما يمسح الطفل خطأه بالممحاة حتى لا يراه معلِّمه، بل بأن يمنح الخطأ نفسه إضافة إيجابية من طبيعته الفائقة، تجعل الإنسان يتجاوز عجزه وقُبحه ليأخذ جمالاً أوفر وحكمة أغزر ونجاحاً أكثر حتى تصبح الخطيئة برًّا!

فالروح القدس أرسله المسيح ليُوفر على نفسه، أي على المسيح، حياة أخرى على الأرض بالجسد تُقدَّر بآلاف السنين، كان عليه أن يقضيها

في تعليم البشرية لينقلها من الموت إلى الحياة، من الخطية إلى البرّ، من الظلمة إلى النور.

والذي يُناسبنا جداً في هذا المقام هو التأمل كيف وبأي حال، وبأي تحديد دخل الروح القدس دخولاً واقعياً ومنظوراً ومحسوساً إلى العالم يوم الخمسين بعد أن سبق وحدَّد المسيح ميعاد مجيئه ليكون الإنسان في انتظاره!! الأمر الذي يوضِّح أن عمل الروح القدس منذ بدء يوم الخمسين فصاعداً لن يكون جزءاً طبيعياً في طبيعة الكون المادي المخلوق. فالعالم معروف أنه كان يسير مسيرته الطبيعية بكل إحكام وتدبير روح الله من جهة كل ما يتعلَّق بمساره الطبيعي؛ ولكن دخول الروح القدس إلى العالم دخولاً مُفاجئاً وجديداً يوم الخمسين وبسابق وعد وتحديد، بل وبتعيين اختصاصات جديدة كل الجدَّة لعمل الروح القدس أثناء حلوله وإقامته داخل هيكل الإنسان؛ هذا أمر جديد ومُذهل للعقل ويحتاج إلى تبصُّر وتعمُّق وفهم كثير؛ بل إن هذا الحدث الخطير يلزم أن يرتفع من جهتنا إلى مقابلة هذا الواقع بواقع من طرفنا. فحلول الروح القدس يتحتَّم أن يُقابله استعداد دائم منا لقبول الحلول، ثم إنَّ إرتضاء الروح القدس لسُكنى هيكل الإنسان الداخلي يتحتَّم أن يُقابله عند الإنسان إعداد جاد لإراحة الروح داخل هيكل روح يُناسبه، واستعداد الروح القدس بالنطق بكلمة الله داخل قلب الإنسان وفكره وضميره يُحتِّم أن يكون القلب والفكر والضمير على مستوى الإنجيل أولاً ثم والإصغاء المرهف والاستجابة السريعة والنَّعَم والآمين.

لقد دخل الروح القدس عالم الكيان الإنساني يوم الخمسين في طبيعة

نارية، ولكن أية نار؟ يقول عنها يوحنا المعمدان: «أنا أُعمِّدكم بماء، ولكن يأتي مَن هو أقوى مني، الذي لست أهلاً أن أحلَّ سيور حذائه. هو سيُعمِّدكم بالروح القدس **ونار**» (لو ٣: ١٦)، أي نار تصبغ وتعمِّد، أي تُجدِّد، تعبيراً عن أعظم فعل تأثيري إيجابي للتطهير سيصيب الطبيعة البشرية إصابة جذرية دون أن يؤذيها أو يلغيها.

في العلوم البشرية تأكَّد لدى الإنسان في القديم وفي الحديث، تأكَّد لديه بالمعرفة والخبرة ما للنار المادية من أثر ثنائي فعَّال وخطير على عالم المخلوقات، فهي إما تكون أصل كل الخير والنماء كنار الشمس، وإما تكون سبب كل الفناء والدمار كالنار التي تحرق البيوت والمدن برمَّتها، سواء كانت في صورها المادية البسيطة الملتهبة أو في أسرارها الذرية والنووية والنيوترونية الرهيبة والخفية. فقنبلة هيروشيما كان وزنها ٣٠ جراماً وخلَّفت وراءها من النار والدمار ما أذاب الصخور والجبال ودكَّها دكّاً تحت المحيط.

الروح القدس أدخل عالمنا الإنساني ناراً أخرى لا تزال تحتاج منا إلى إدراك وتعمُّق بل إلى جرأة إيمان أن نمدِّد أرواحنا إلى بؤرتها، لندرك سرَّ فاعليتها الجديدة التي لا يزال العالم منذ أن تلقَّاها حتى إلى هذه الساعة منفعلاً بها أشد الانفعال، أفراداً وجماعات، عاشقين ومتوحِّدين، خادمين ومُبشِّرين، مُصلِّين وباذلين؛ فهي تُلهب الروح وتُلهب الضمير والوجدان وتشعل الحب وتنير البصيرة وتكشف الحق المختفي وراء أستار ظلام، المحتجب خلف جهالات الفكر وانحطاط الحس وتداني الغرائز. هذه نار الله التي حالما تغشى طبيعة الإنسان، فإنها تأخذ في القلب لمعان وجه الله

كموسى في القديم وتأكل كل زغل الإنسان، ولكن في سرِّ الأعماق. هذه النار مسكنها عالم الكيان الداخلي للإنسان، ولكن لهيبها يضطرم علناً وظاهراً، كما حدث يوم الخمسين، لتصير عنصراً أساسياً في طبيعة الإنسان الجديد، لم تدخل سرًّا ولم تُمنَح جزئياً، بل هبطت من السماء جهاراً وتوزَّعت بالتساوي على كل الحاضرين المنتظرين حضورها بالإيمان والصلاة تعبيراً عن حقٍّ صار من حقوق الخليقة الجديدة كلها القابلة لروح الله والمعتمِدة لموت المسيح والشاهدة لقيامته، دون تفريق.

مرة أخرى، فإن معمودية النار بالروح القدس صارت هي طبيعة الكنيسة التي تُولَد منها صغاراً وكباراً، تُولَد ملتهبين، ونتغذَّى بها من داخل أسرارها فنزداد التهاباً. ثم ما هذه الطبيعة الجديدة التي لكنيسة الله؟ ليست هي أوهاماً أو أوصافاً غير معروفة أو غير مختَبَرة، إنها تماماً طبيعة النار الإلهية التي تغذِّي احتراق المحبة لله منذ الدهر والتي تخلق في الكنيسة أعمدة نورانية في كل جيل، ولكنها الآن صارت احتراقاً متواصلاً في الطبيعة الجديدة التي تُضرم أشواق البذل والخدمة والشهادة، التي تُفرِّخ من كل جيل أبطالاً يقتحمون أتون التجارب وأصعب المصاعب ليشهدوا بكلمة الحياة وللمسيح المُقام. هذه هي الطبيعة النارية التي للكنيسة، التي تستمد كيانها من الله، من السماء - كيوم الخمسين - والتي لا تزال تتوهج بحركات تكريسية يتبتَّل لها أعزّ وأجمل القامات والقدرات - ذبائح - في أعمار الزهور، محرقات الروح القدس التي يُقدِّمها كل يوم باقاتٍ باقاتٍ للآب باسم المسيح!!

ولكن لا ينبغي أن يتوه عن بالنا سر التهاب الطبيعة الإنسانية عند

قبولها الروح القدس واشتعالها بسعير الحب الذي طالما أمسك بالضمير، فإنه يُشعل كل مَلَكَات القلب والفكر بل وكل أعضاء الجسد، حتى يصير الإنسان وكأنه في أتون الثلاث فتية. النار تلفُّه من كل الجهات وهو ينشد نشيد الظفر، والمسيح قائمٌ في قلب النار وكأنه هو الذي يُضرمها، وهو الذي يُضمِّخ بها كل أعضاء الإنسان الجديد، فيخرج الإنسان وقد انصبغ بطبيعة النار دون أن يمسَّه منها أذى، بل دون أن يبقى فيه أذى. فسرُّ طبيعة النار الإلهية معروفٌ في الكتاب المقدس أنها تأكل وتختزل كل ما دخل إلى الإنسان وليس من الله، حتى يصير الله ظاهراً وكأنه الكل في الكل، وكل ما لا يتناسب مع الله في حياة الإنسان المائعة الرخوة من الداخل يشمله ذلك اللهيب حتى إلى مخاخ عظامه ونوايا أفكاره وضميره، في كل أيام جهالاته السالفة.

لذلك كم من الخسارة المُريعة والمُحزنة التي أصابتنا عند كل مرة نُحجم فيها عن أن نُلقي بذواتنا في نار أتون الروح القدس الذي أخرج جبابرة الإيمان والشهادة والحب عن جدارة. أما نار الروح القدس فقائمة لا تُطفأ ولن تُطفأ في كنيسة الله منذ أن نخست الثلاثة الآلاف التائبين على يد بطرس الرسول يوم الخمسين حتى اليوم؛ في كل سرٍّ، وكل كلمة، وكل قصة، وكل تاريخ، وكل اسم شهيد أو قديس اشتعل بالحب وباع الدنيا وحمل شعلة الإيمان وشهد وعَبَرَ محمولاً بتلك النار الأبدية محترقاً بالحب الإلهي.

ليس جزافاً يُلمِّح الكتاب المقدس أن في أواخر الأيام تبرد المحبة بسبب كثرة الخطية. فـ "المحبة والنار" التي يُضرمها الروح القدس لا يفترقان

قط، هما وجهان لطبيعة واحدة. فإذا تجلّى الروح القدس في ضمير الإنسان، اشتعل الحب الإلهي بنار الله، إلى أن تضمحل الخطيئة من الأعضاء كما تأكل النار شوائب الذهب. وإذا تُركت الخطيئة والعداوة لتبيت في القلب، انطفأ مصباح الله، وبردت المحبة، وغاب الروح القدس، وأظْلَمَ الطريق، وتاه الإنسان عن مقصده الأول، فيسير وهو لا يعلم إلى أين يسير!

وهكذا بدخول الروح القدس وحلول ناره المضطرمة في طبيعة الإنسان الجديد يوم الخمسين، انكشفت المفارقة الحياتية التي كانت مخفية في هذا العالم والتي ربما لا تزال مخفية عن أعين اللاهين عن حقهم الإلهي المبارك، فانحدروا نحو مصيرهم المحتوم. فإما حياة مضطرمة بقُوَى إلهية جديدة للتغيير إلى أفضل، وإما حياة في برودة الموت تسير بلا تغيير إلى الهلاك.

والمفارقة قائمة داخل كل قلب وكل فكر، كل يوم، فإما قبول تلقائي لشخص الروح القدس، وإما التزام بقبول شخص الشيطان!! إما نار من الله وحرارة لا تهدأ حتى تأكل الخطية، وإما برودة ولا مبالاة تُكرِّس الخطية وترتوي بها وتبني عليها. إما لهيب الحب الإلهي الذي يشعل القلب والفكر والوجدان فيذيب من كل الماضي والحاضر كل أدران الحق والعداوة كما تذوب الثلوج في وهج الشمس، وإما عداوة تُكرِّس عداوة وخصومة توثّق خصومة وبغضة تُزكّي بغضة، كطبقات من الجليد فوق القلب حتى لا يعود للقلب أية قدرة على الإحساس بنخس الروح القدس لا من الداخل ولا من الخارج مهما عصفت بالإنسان أعنف الحوادث.

لقد أوضح الرب دور الروح القدس في عملية التغيير الجوهري في

طبيعة الإنسان، حينما حدَّد هدف مجيئه تحديداً مُدهشاً ومثيراً: «**جئتُ لأُلقي ناراً على الأرض**»، وكأنما المسيح ولأول وهلة لم يجيء إلاَّ ليُلقي هذه النار على أرض الإنسان.

هنا تتكشَّف خيوط العلاقة السرِّية بين مجيء المسيح (أي تجسُّده) وبين مجيء الروح القدس؛ ولكن كلمة «أُلقي ناراً على الأرض» (لو ١٢: ٤٩) تفيد أنه يُلقيها من فوق من السماء من عند الآب: «إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزِّي، ولكن إن ذهبتُ أُرسله إليكم... روح الحق، الذي من عند الآب ينبثق.» (يو ١٦: ٧؛ ١٥: ٢٦)

ولكن الذي يربط بين أهمية مجيء المسيح وبين أهمية مجيء الروح القدس الناري إلى درجة مثيرة ويربط ربطاً وثيقاً بينهما، هو قول المسيح: «جئتُ لأُلقي ناراً على الأرض، فماذا أُريد لو اضطرمت ("ولا أريد إلاَّ اضطرامها")؟» (لو ١٢: ٤٩)، وكأنما تتركَّز كل إرادة الروح القدس في إضرام إرادة المسيح في قلب كل إنسان.

معنى هذا أن أثر التجسُّد في الطبيعة الإنسانية لا يمكن أن يتم ويبلغ غايته إلاَّ باضطرام الروح القدس داخل هذه الطبيعة، فإن كان المسيح بالتجسُّد الإلهي قد فتح الطبيعة البشرية الترابية للإنسان عامة لقبول الاتحاد بالطبيعة الإلهية من خلال ذبيحته، فإنه بإرساله الروح القدس جعل هذا الاتحاد - المستحيل أصلاً - أمراً ممكناً وضرورياً، وذلك بعمليات تحوُّلية عميقة وممتدة بإيجابية مطلقة لحساب الله تفوق التصوُّر!!

فالإنسان الذي يؤمن بالمسيح ويقبل أن ينصبغ بموته بكل معنى ليعيش بقيامته بكل ثقة ويقين، فإن الروح القدس يضطلع بتبنِّيه لله بتحوُّلات

جذرية في صميم طبيعته البشرية بعمليات خطيرة يحسُّ فيها الإنسان ظواهرها فقط، كنار تتأجَّج في أحشائه وتأكل بقوة وجبروت طبقات وطبقات من رواسب ميراث البشرية الميت وأخطاء الأعمار المختلفة التي تعيش في مكوِّنات صفاتنا الموروثة، مع كل أخطاء الشعور والإحساس والأفكار والأعمال والوجدان. فكل مفاعيل الروح القدس النارية لا تخرج عن كونها ظواهر نحسُّها لأفعال سرِّية عميقة مُطهِّرة ومُحوِّلة لطبيعة الإنسان، لا ندرك كنهها على وجه الإطلاق، لأنها تفوق كل قياسات المعرفة، ولكن دخولنا فيها يُعطينا ما يُسمَّى بيقين الرجاء بغير المنظور.

هذا التغيير الجذري والجوهري الحادث بقوة النار الإلهية في صفات هذه الطبيعة البشرية الميتة لتغيير إمكانياتها وقدراتها ومواهبها، بل وشكلها الحقيقي الجوهري؛ أمرٌ سيظل مخفيًّا علينا الآن حتى يُستعلَن المسيح. ويؤكِّد لنا يوحنا الرسول بشيء من الحسرة، لكن بكثير من الرضا والرضوخ قائلاً: «أيها الأحباء، الآن نحن أولاد الله، ولم يُظْهَر بعد (لم يُستعلَن بعد) ماذا سنكون. ولكن نعلم أنه إذا أُظْهِرَ (المسيح) **نكون مثله، لأننا سنراه كما هو.** وكل مَن عنده **هذا الرجاء به،** يُطهِّر نفسه كما هو طاهر.» (١يو ٣: ٢-٣)

ولكن الذي نريد أن نعلنه بشيء من الحذر وبكثير من الفرح لكل مَن يحب المسيح ويجري وراء الروح القدس لمجد الآب، أن قوة نار الروح القدس التي ألقاها المسيح على أرض الإنسان يوم الخمسين، ونشبت في طبيعة صيادي السمك وحوَّلتهم إلى كنيسة رسل وأنبياء ومبشِّرين أطهار

قديسين بلا عيب ولا لوم؛ لم تنحصر قط هذه النار فيهم ولا في الأجيال التي أتت من بعدهم، فهي نار من أهم صفاتها الإلهية أنها لا تُطفأ ولا تُقيَّد. وهنا قول الرب: «جئتُ لأُلقي ناراً **على الأرض**» (لو ١٢: ٤٩)، يوضِّح مدى عمومية هذه النار، فهي ليست منحصرة على أرض الموعد القديم، أرض الأسباط الذين أسخطوا الله، ولا أرض إسرائيل المهجورة، ولا أرض اليهودية المدوسة، ولا السامرة المحتقَرة المنبوذة ولا أورشليم مدينة الملك العظيم الذي هجرها إلى الأبد، بل أرض كل أقطار العالم بلا تفريق ولا تمييز: «**جئتُ** لأُلقي ناراً على **الأرض**».

فكأني بطبيعة الروح القدس النارية التي أرسلها الرب من السماء يوم الخمسين قد لفَّت المسكونة كلها، ولكنها لأنها ليست مادية ولا من المادة تتكون ولا بالمادة تشتعل أو تُطفأ أو تزيد أو تنقص لأنها من طبيعة الله هي، لذلك لم يُؤهَّل ليحملها إلى أقطار العالم إلاَّ الإنسان الذي آمن بالوعد، وقَبِلَ مُرسلها، فاشتعل بها، فأنارت أمامه طريق البشارة حتى إلى أقصى أقطار الأرض وأنارت طريق الحياة والخلود عَبْرَ قارات الدنيا ومحيطاتها، وهي لا تزال مذخورة في قلوب تحترق بها حباً وإخلاصاً وأمانة وبذلاً وموتاً بل قيامة وحياة إلى نهاية الدهر.

وهكذا دخل عالم المادة الذي من أخص خصائصه الموت والفناء، طبيعة جديدة من الله في شبه نار من السماء لا تَفْنَى، فهي لا تَمُت للمادة بصلة. واحتوت الكنيسة هذه النار في صدرها تضرمها بالصلاة والصوم لتسليمها بكل قوتها وخصائصها، التي لها القدرة أن تُحوِّل الموت ذاته إلى حياة، والحياة إلى نور. وأنهار العالم الكثيرة بل ومحيطات

العالم بأهوالها والموت المُنْبثُّ فيها بكل أحقاده وسمومه غير قادرة أن تُطفئها، بل إن هي حلّت في المياه تحلّيها وتجعلها مياهاً حيَّة مُحيية، كل مَن يُدفن فيها يقوم حيًّا بل يُولَد منها جديداً من طبيعتها، يُصبغ بصبغة بني الملكوت، ويُختم على الجبهة، ولا يعود يُحسب كابن للتراب أو ابن للموت والجحيم بل ابناً للقيامة، وتسري فيه قيامة الحياة من الله.

كان روح الله قديماً في بدء التكوين يرفُّ على وجه المياه، ليُعطيها رعشة الحياة لتقوم كل الخليقة معاً مُركَّبةً ومتآلفةً يُكمِّل الواحد منها الآخر، كتدبير الخالق، بقوانين تضبطها من العدم وتحجز بينها وبين الفناء المحتوم وتُعلن برتابتها عن الحكمة التي تضبطها. أما في يوم الخمسين فقد انسكب الروح القدس من السماء كلهيب نار على هيئة ألسنة. لم ينسكب الروح القدس على المياه، فخليقة المياه كَمُلَت؛ ولا على الأرض الجرداء، فخليقة الأرض والسماء كَمُلَت؛ بل انسكب على رؤوس جماعة وقفت تصلّي عشرة أيام تنتظر الموعد، بصوم وتوسُّل وقلب واحد غير منقسم، جماعة من الرسل والتلاميذ والعذراء بينهم مع نسوة تقيَّات، عيِّنة من البشرية ارتأت أن تنفصل عن الخطاة لتلتحم بالمسيح المُقام، ليكون لها سيرة في السماء مع المسيح الذي صعد أمام أعينهم في نور السحاب مؤكّداً أنه ذاهب ليُعدَّ لهم هناك مكان إقامة ليبقوا معه كل حين، فانسكبت ألسنة لهيب نار الروح القدس عليهم وسكنت فيهم، كبدء لتكوين جديد.

لقد خُلق الإنسان مرة أخرى في ذلك اليوم، والتحمت عناصر تكوينه بالروح والنار، فصار وليد السماء، ابناً لله، من طبيعة لا تأكلها الخطيئة

بعد؛ بل من طبيعة نارية آكلة تسري في كيان الإنسان حتى أعماق أعماقه، تصفّيه وتنقّيه حتى لا يبقى فيه إلاّ ما يتوافق مع صورة الله الأصيلة بشكل المسيح حتى إلى ملء قامة الروح.

يوم الخمسين يوم ميلاد الكنيسة من السماء، قد تمّ وصار وتحقّق القول المبارك. لقد ألقى المسيح النار الإلهية على الأرض فاحتوتها الكنيسة في صدرها ولا تزال تضطرم في داخلها بسرٍّ لم يُدركه العالم حتى اليوم، ولكن الذين فيهم الروح يُدركون السر الأزلي بشركة الجسد. وظلّت الكنيسة تسلّمها كنار غير منظورة في أسرارها المقدسة المهيبة الملتهبة والمنيرة سرًّا مذخوراً في وعاء الإنجيل والكلمة ينطلق من أحشاء الكنيسة كلما اجتمعت للصلاة، تبثه لكل أولادها في اللقمة التي هي هي جمرة الروح القدس عينها التي سبق الشاروبيم ومسَّ بها - فقط - شفتي عظيم الأنبياء اشعياء، فصار طاهراً في عين الله مؤهَّلاً للنطق بالكلمة. أما الكنيسة فلا رباح أبداً حتى تستودع هذه الجمرات داخل أحشاء أولادها لتسري النار في كل كيان الإنسان وأعضائه وليس شفتيه فقط، لا ليؤهَّل فقط لنطق الكلمة عن صحة وطهارة، بل ليصير أيضاً مسكناً للروح وهيكلاً مقدساً وعضواً في جسد المسيح.

فنار الروح القدس يوم الخمسين التي هبطت وسط ريح سمائي عاصف مُلفت للنظر، هي عنصر خلقة اليوم الثامن الأبدي المتفجِّرة بطاقات ومواهب لم يعرفها العالم سابقاً قط، التي أشرقت في الساعة الثالثة من النهار لتنقل الطبيعة البشرية نقلتها الأخيرة ولتُضيء عالم الإنسان الجديد في طريقه السرِّي نحو السماء. نارٌ، كنار الله التي ظهر

فيها الله على جبل حوريب الذي كاد يحترق تحت رجلي الرب لما أعطى الله موسى الناموس والكلمة المكتوبة بإصبع الله. ولولا قليل، ولولا أنْ سبق الشعب وتقدَّس ورحَّض جسده وامتنع عن نسائه قبل ذلك بثلاثة أيام بأمر الرب وتحذيره، لكانت نار حوريب أفنتهم؛ لأن وحيد الجنس المُصالِح بين الطبائع لم يكن بعد قد جمَّع ووحَّد بين النار والقش، وصالَح الحَمَل مع الذئب، والحياة مع الموت!! ورفع كل حواجز العداوة التي عطَّلت عمل اضطرام أحشاء رحمة الله ولطفه وحنانه وحبه من نحو الإنسان "صورته المحبوبة الممزقة".

ولكن اليوم نزل الروح القدس بطبيعة فعَّالة مُصالحة، بكل مواهب المسيح نفسه، ولكن كما بنار تضطرم بالحب الإلهي؛ ليصنع من الخليقة التي كانت ليست محبوبة فصارت محبوبة متبنَّاة، رعية خاصة وأعضاء أهل في بيت الله.

ولا يزال كل يوم يربط الروح القدس برُبُط من نار لا تقوى على حلِّها قوة ما ولا خليقة ما في الأرض كلها أو في السماء، يربط الأعضاء معاً بأُزر ليرتفق العضو على العضو بحنان ورفق الروح القدس ليعمل المؤمنون كجسد واحد، أحب المسيح أن يكون هو نفسه رأسه المتكلِّم عنه أمام الله ليضمن له التقديس والشفاعة كل حين. لقد أحرقت نار الروح القدس يوم الخمسين القلبَ اليهودي المربوط بتخوم إسرائيل واليهودية وأورشليم، وجعلته قلباً لكل الشعوب، وفكَّت النار عقال اللسان المحبوس في لغة العبرانيين، وأنطقته نطقاً وقراءة بكل لسان لكل أُمة على وجه الأرض. وهكذا أخرج الروح القدس التوراة من سجن

الرقوق المقروءة بلسان واحد عبري إلى إنجيل بشارة بالروح لا بالحرف، بكل لسان، ليُعطي كل إنسان جديد فكر المسيح نفسه بشهادة منطوقة بالروح القدس، فتسري الكلمة من قلب إلى قلب كلهيب من نار لا يُطفأ!!

الروح القدس شخص (أقنوم):

حينما تأملنا في الروح القدس كنار أدركنا طبيعته الملتهبة وعمله المباشر في طبيعتنا الترابية الميتة الرخوة التي رزحت تحت عوامل الفناء الذي صار كميراث يسري في خلايانا، وكيف تستطيع النار أن تصبغ طبيعة الإنسان لتمدَّها بمقوِّمات جديدة لخليقة جديدة تؤهَّل للانتقال من الموت والفساد إلى القداسة والخلود.

ولكن الروح القدس، وإن كان أشد ما نحسُّه منه هو ناره التي تغشى بنا وضمائرنا وأفكارنا وسلوكنا، فنحسُّ وكأننا صرنا ناراً لا نستطيع ان ننحصر حتى تُكمِل عملها فينا حسب وعد المسيح. غير أن الروح القدس هو قبل كل شيء شخصٌ مُحب يتودد إلينا في تواضُع مُذهل، وكأنه يحتاج إلى توبتنا وتغيُّر حياتنا، يتحادث إلينا في بادئ تعرُّفنا عليه كصوت حفيف لا يستطيع المبتدئ أن يتحقق من أنه هو هو الروح القدس نفسه، لأنه كما يقول الكتاب: «**لا يتكلَّم من نفسه**» (يو ١٦: ١٣). فإذا كان شخصٌ ما يتكلَّم إلينا ولكنه لا يتكلَّم من ذاته، يبقى هو كأنه مجهول ولا يظهر إلاَّ المسيح الذي يأخذ منه الروح القدس ويُخبرنا؛ بمعنى أن الروح القدس لا يأمرنا أوامر ذاتية من نفسه لم يعملها أو يتكلَّم بها المسيح، بل هو يُعلِّم بما علَّم به المسيح ثم يُذكِّر بكل ما قاله

المسيح، ثم يُعرِّفنا بكل الحق فيما صنع المسيح من أجل خلاصنا، وفي كل هذا يأخذ وظيفة المعزِّي غير المنظور الذي يُجالسنا سرّاً ليتحدث إلينا بكلام يسوع، فلا نبقى أيتاماً كأن المسيح تركنا.

وبهذا فإن بقاء الروح القدس معنا هو ضمانٌ أكيد ودائم لبقاء المسيح معنا كل الأيام إلى الانقضاء. أي أن الروح القدس يُدخِلنا سرًّا في حضرة المسيح لنسمع كل يوم كلمة من فمه عن طريق الروح القدس الذي يُترجم لنا معنى ومغزى وتفسير كل ما يحدث لنا وضدنا من العالم الباغض لنا - كقول المسيح: «إن كان العالم يُبغضكم، فاعلموا أنه قد أبغضني قبلكم» (يو ١٥: ١٨) - ومن الأشرار الذين يُرسلهم العدو لمضايقة حياتنا، حتى نتوه عن هدف خلاصنا؛ بل ويُفسِّر لنا أسباب ما يجري فينا وحولنا من أمور يختلقها الشيطان ليُبدِّد إيماننا ويُشكِّكنا في إيماننا الذي آمنا به لخلاصنا حتى يُغرِّر بنا بعد ذلك لنتحوَّل إلى أعوان مسالمين للعالم والشيطان.

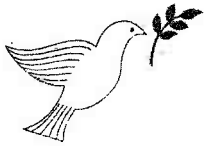
إذن، فشخص الروح القدس ولو أنه غير متجسِّد، وبالتالي غير محدود بحسب قدراتنا الفكرية، إلاَّ أنه أُعطِيَ أن يظهر لنا بالسر في أعماق قلوبنا ونحسه وندركه بالروح كشخص المسيح، لأنه ينقل لنا صورة كاملة للمسيح غاية الكمال، غير أنه يضيف عليها نفسه فتبدو صورة المسيح فائقة اللطف والوداعة والحب والتودُّد قريبة غاية القُرْب للفكر والضمير، وكأننا كدنا نمسك المسيح ونحبسه في قلوبنا، مع أن الذي نمسكه ونحبسه هو الروح القدس!

ولكن كَوْن الروح القدس يكون "مخلياً ذاته" Kenosis بهذا الوصف

الذي قدَّمه المسيح: «لا يتكلَّم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلَّم بـه، ويُخبركم بأمور آتية. ذاك يُمجِّدني، لأنه يأخذ ممـا لي ويُخـبركم... ويُذكِّركم بكل ما قلته لكم» (يـو ١٦: ١٣-١٤؛ ١٤: ٢٦)؛ فهـذا الإخلاء المُذهل يُذكِّرنا بإخلاء المسيح لذاته من مجـده الإلهـي، لكـي يستطيع أن يتنازل إلينا ويلبس جسد بشريتنا ويموت بنا في سرٍّ مُـذهل، لنقوم به ويقوم بنا، لنصعد معه إلى السماء ويصعد بنـا إلى الـسماء، ليجلس بنا عن يمين العظمة. وهكذا يُخلي الروح القدس ذاتـه حـتى يستطيع أن يحلَّ فينا بعد أن نصطبغ بطبيعته، وتتصالح عناصـر الطبيعـة البشرية الميِّتة فينا بعناصر الحياة والخلود في طبيعته النارية.

فالروح القدس بسبب إخلائه لذاته لا يراه العالم ولا يعرفه، ولكـن الذين قبلوه يعرفونه جيداً حينما يكون ماكثاً فيهم؛ غير أنه يظل دائمـاً عاملاً بالإنسان وليس بنفسه وكأنه غير موجود، مع أن وجوده أكيـد، ومتكلِّم فينا، وناطق مُصلٍّ وشاهد لأرواحنا بكل يقين.

عجيب هذا الأقنوم الثالث.



المواهب الكنسية

أو الروح القدس في حياة الكنيسة

عيد العنصرة: يونية ١٩٦٩

المحتويات

صفحة

مقدّمة ٨٣٤

المواهب ٨٣٧

مواهب الكلام ٨٤٣

مواهب التعليم ٨٥٦

المواهب العملية ٨٦٤

موهبة القيادة أو التدبير ٨٦٥

تداخل موهبة التدبير في موهبة التعليم ٨٧٤

مقدِّمة

الروح القدس بالنسبة للكنيسة هو روحها المحيي باعتبار الكنيسة جسد المسيح. ولذلك، فنجاح الكنيسة ونشاطها يتوقّفان على مقدار توافقها مع الروح القدس بصورة أساسية ومطلقة. فإن كان هناك تمجيد لله داخل الكنيسة، وإن كان هناك حرارة في العبادة، وحلاوة في التسبيح، وشجاعة للشهادة، ونصرة فوق المظالم والمصاعب، فهذا كله يعتمد بالدرجة الأُولى على مقدار انسجام الكنيسة مع الروح القدس.

ولكن انسجام الخدمة داخل الكنيسة وتوافقها مع الروح القدس ليس هو مجرَّد شعور أو مجرَّد افتراض ليس له دلالة، أو هو مجرَّد عظات ومحاضرات؛ بل هو في الحقيقة عمل خطير للغاية، كانبثاق النور ينتشر ويؤثِّر ويضبط ويمتد إلى مالانهاية.

فانسجام الكنيسة مع الروح القدس يشبه اقتراب كتلة حديد عادية من مجال مغناطيسي قوي. فبمجرَّد دخولها تحت تأثيره تصير جزءً منه منسجمة معه وتصبح لها نفس صفاته.

ولعل من أروع التعبيرات التي جاءت في الكتاب المقدَّس عن كيفية انسجام الكنيسة مع الروح القدس ودلالة ذلك الانسجام أو نتائجه، ما قاله بولس الرسول مُشبِّهاً نفسه بكنيسة حُبلى بجنين لم يتشكَّل بعد، وبالخدمة والصلاة المتواترة وبفعل روحي سرائري يبدأ هذا الجنين يتغذَّى ويتشكَّل حتى يأخذ صورة أُمه أي الكنيسة، أي جسد المسيح: «يا

أولادي الذين أتمخَّض بكم أيضاً (من جديد أو مـــرَّة أخـــرى) إلى أن يتصوَّر المسيح فيكم.» (غل ٤: ١٩)

هذا معناه أن المؤمنين في الكنيسة يتشكَّلون قليلاً قليلاً بواسطة الخدمة المنسجمة مع الروح القدس حتى يصير لهم شكل المسيح.

فصفات المسيح السريَّة تصير - بواسطة الخدمة الناجحة - منظـــورة في المؤمنين وفعَّالة.

هنا عمل المسيح في الكنيسة شيء، وعمل الروح القدس شيء آخر.

فالمسيح قائم فينا وفي الكنيسة إنما بصورة سريَّة غير منظورة وغـــير مُعلنة، كالجسد السرِّي الذي نأكله على المذبح دون أن يكون لـــه أي مظهر جسدي محقَّق. أما الروح القدس فيكون عمله فينا هـــو إعـــلان المسيح والشهادة له بكافة الطرق المنظورة وغير المنظورة. لذلك فبمجرَّد أن يبدأ الروح القدس عمله فينا، حينئذ يبدأ ينكشف المسيح المستتر فينا؛ وهذا ما أعلنه المسيح عن طبيعة الروح: «ذاك يمجِّدني، لأنه يأخذ مما لي ويُخبركم (يعلنه فيكم ولكم).» (يو ١٦: ١٤)

ويُلاحَظ هنا أن المسيح بهذا الكلام يكشف لنا عن ناحية مـــن نـــواحي طبيعته الخاصة المتضعة العجيبة في أنه لا يمجِّد نفسه قط، فبالرغم من أنه يكون قائماً معنا وفينا بل ومتحداً بنا، إلا أن وجوده يظل مستتراً إلى أن تنفتح حياتنا على الروح القدس بالعبادة الحارة والصلاة، وحينئذ يبدأ الروح القدس يعلـــن عن المسيح الساكن فينا ويمجِّده بأن يُظهر صفاته لنا أولاً ثم فينا ثانياً!!

وهكذا أصبحت الكنيسة مؤتمنة على إعلان صفات المسيح سواء في رعاتها أو مؤمنيها بالصفات الطيبة أو المواهب، وبذلك يـــصبح عمـــل

الكنيسة تمجيداً متواصلاً لشخص الرب يسوع بواسطة الروح القدس. أما إذا عجز الروح القدس عن إعلان المسيح الذي فينا والذي اتحد بواسطة المعمودية والأسرار ووسائط النعمة الأخرى المنظورة وغير المنظورة، فهذا يكون معناه أننا أصبحنا غير أمناء على شخص الرب وغير أكفاء أن نكون شهوداً له، بل وغير متصالحين لا مع المسيح ولا مع الروح القدس نفسه! «إن كان أحد ليس له روح المسيح، فذلك ليس له.» (رو ٨: ٩)

وهكذا أصبح قانون الحياة مع المسيح وخدمته والشهادة له يتوقَّفان بصورة أساسية على مقدار قبولنا لشخص الروح القدس وانسجامنا مع مشيئته، فيكون أنه بقدر ما نقبل الروح القدس فينا ونستجيب لمشيئته بقدر ما ننطلق في الحال نشهد للمسيح ونحبه ونعلن صفاته للعالم!

ولا يفوتنا هنا أن نشير إلى سر اتضاع الثالوث كله، فالآب يقدِّم الابن ليشهد الابن للآب ويمجِّده. والابن يقدِّم الروح القدس ليشهد الروح للابن ويمجِّده، والروح القدس لا يشهد لنفسه ولا يمجِّد نفسه بل يكتفي بأن يشهد للابن ويمجِّده!! ولكن بمجرَّد أن تُعلَن طاعة المسيح فينا بالصفات الطيِّبة والمواهب، ينكشف الآب ويتكشَّف الروح القدس. وهكذا يتحوَّل اتضاع الثالوث المتناهي إلى مجد فائق. لذلك أصبح الاتضاع بالنسبة للكنيسة والمؤمنين هو السر الأعظم الذي يجد فيه الروح القدس مدخلاً لإعلان الثالوث الكلّي الكرامة، والنافذة التي يسكب من خلالها على الكنيسة كافة المواهب التي تشهد لمجد الله.

المواهب Χαρίσματα

حينما أوصى الرب تلاميذه أن لا يبرحوا من أورشليم حتى يُلبَسوا قوَّة من الأعالي (لو ٢٤: ٤٩، أع ١: ٤)، كان هذا بمثابة إشارة واضحة إلى ضرورة المواهب الكنسية، بصورة حتمية، كقوَّة تختص بالشهادة للمسيح والدعوة إلى الملكوت.

حينما كان المسيح مع تلاميذه كان يمنحهم قوَّة للخدمة والشهادة، وكان يدبِّر حياتهم بنفسه؛ ولكن لما تحتَّم أن يصعد إلى السماء أوصاهم أن لا يتحرَّكوا من أورشليم إلى أن يُرسِل لهم "معزِّياً" آخر يمنحهم هذه القوَّة ويحل محله في التدبير.

من هذا يتضح ضمناً أن الكنيسة يستحيل عليها الشهادة للمسيح أو تدبير أمورها إلا بحضور الروح القدس وعمل قوَّته، لذلك يُقال إن الحكم في الكنيسة ثيئوقراطي "أي إلهي"؛ فالله هو الذي يدبِّرها وليس إنسان ...

من وقت صعود المسيح إلى وقت حلول الروح القدس، كانت الكنيسة بدون مدبِّر، لذلك تجمَّد موقف التلاميذ بصورة قاطعة، كأمر إلهي.

لمدَّة عشرة أيام ظل التلاميذ في انتظار حلول الروح القدس، حتى ينالوا قدرة على الحركة.

بهذا يظهر يوم الخمسين كبداية فعلية لحياة الكنيسة، الذي فيه نالت الكنيسة قوَّة وإذناً من الله بالحركة؛ هذه الحركة التي غطَّت كل الأرض

و لم تكُف إلى الآن، ولن تكف، حتى يأتي المسيح ...

وبهذا أيضاً يظهر الروح القدس في الكنيسة كمصدر للحركة، والكلام والشهادة والتعليم والدفاع والاستشهاد.

ولكن يلزم هنا أن ننبِّه إلى أن الروح القدس لا يعمل كمتسلِّط فوق إرادة الإنسان، بل كواهب قوَّة جديدة للإرادة، يجعلها تعمل الصلاح بحريتها؛ الأمر الذي كان مستحيلاً قبلاً أن يعمله الإنسان من ذاته وحده، «وحيث روح الرب هناك حريَّة.» (٢كو ٣: ١٧)

في يوم الخمسين ظهر الروح القدس في الطبيعة البشرية كمُحوِّل عميق وهائل، لا يمكن أن تحدَّه أعظم الألفاظ التي تُستخدم في التدليل على التحولات الطبيعية الأخرى، فهو أكثر من تغيير وأعمق من تحوُّل وأفضل من تجديد؛ هو بلغة المسيح نفسه، ولادة جديدة ثانية (يو ٣: ٥)، أو بلغة الكتاب المقدَّس خلقة جديدة (٢كو ٥: ١٧) يدخل فيها الروح القدس كعامل صميمي.

هنا الحرية التي يهبها الروح القدس للإنسان لا تجعله يفعل كل ما يريد وحسب، كمدلول الحرية في لغة الفلسفة؛ بل تجعل ما يريده الإنسان هو بعينه ما يريده الله! ... أي أن الروح القدس يفتح الطبيعة البشرية على الله، وبهذا يصير الإنسان في علاقة أصيلة بالله، ويدخل معه في رباط حيوي وميراث: «لأن كل الذين ينقادون بروح الله، فأولئك هم أبناء الله.» (رو ٨: ١٤)

الروح القدس بهذه الكيفية، لا يظل غريباً على الطبيعة البشرية، كشيء آخر منفصل عنها، ولكنه يصبح بحد ذاته اتصالاً "إلهيًّا مباشراً"

في شكل خلقة روحانية جديدة على صورة المسيح ومثاله!! وبذلك يرفع الطبيعة البشرية فوق ذاتها، حتى تبلغ إلى "حياة جديدة" إلهيـــة، دون أن تفقد معنى حريتها وإرادتها البشرية!

لذلك لا يستطيع الإنسان الحاصل على الروح القدس، أن يميِّز وجوده بإحساس طبيعي، لأن الروح القدس لا يبقى في الإنسان منفصلاً عنـــه، فنحن لا ندرك الروح القدس إلا بفعله. كما أن المسيح أيضاً لم يكـــن يُدرَك لاهوته بالإحساس الطبيعي، وإنما يُدرَك بالأعمال: «فإن لم تؤمنوا بي فآمنوا بالأعمال» (يو ١٠: ٣٨)، وذلك بسبب "الإخلاء".

مواهب ملء ومواهب خدمة:

الطبيعة البشرية قد ثَبَتَ قطعاً في كل الأجيال، من آدم حـــتى يـــوم الخمسين، أنها عاجزة عن بلوغ الحياة الجديدة، وغير قادرة على الإذعان لصوت الله ووصاياه، وقبول الإيمان بيسوع المسيح؛ لذلك كان من المحتَّم سكب مواهب جديدة وروحانية، ترفع من قدرة الإنسان باســـتمرار، لبلوغ الملء اللازم لميراث الحياة الأبدية.

ولكن لكي يُقبـــل الناس على الإيمان بالمسيح، الذي هو أصل وسبب انسكاب الروح القدس ونوال كافة مواهب الملء، لزم منذ البدء سكب مواهب أخرى فائقة، يستطيع بواسطتها المبشِّرون أن يجذبوا النـــاس إلى الإيمان بالمسيح، وأن يعلِّموهم ويقنعوهم ...

وهكذا نجد أنه منذ البدء احتاجت الكنيسة إلى نوعين من المواهـــب: مواهب ملء، ومواهب شهادة:

- فحرارة الإيمان بالمسيح والثقة المطلقة فيه، والمحبة الرحيمة، والوحدة الفعلية بين المؤمنين، والقدرة على الصوم والصلاة، والمواظبة على كسر الخبز (سر التناول)، والبساطة مع التجـــرُّد، والاتـــضاع، وطاعة الكلمة بثقة، وحرارة العبادة والتقوى؛ كل هذه كانـــت تمثِّل مواهب الملء، التي انسكبت بغِنَى على الكنيسة بعمل النعمة في القلب. وكانت هذه المواهب هي الأساس الذي قامت عليـــه الكنيسة ووحدتها وقوَّتها وقداستها.

- ولكن كان هناك أيضاً مفاعيل أخرى للنعمة، ظهرت ضرورتها منذ البدء بصورة ممتازة لبعض الأخصَّاء المتقدِّمين في النعمة، وتـــدور كلها حول الشهادة للمسيح وتعليم المؤمنين وبناء النفس، وكانت هذه المفاعيل تظهر علانية في المختارين بصورة فائقـــة للطبيعـــة: «شاهداً الله معهم، بآيات، وعجائب، وقوَّات متنوعة، ومواهـــب الروح القدس حسب إرادته» (عب ٢: ٤).

وهذه المفاعيل، تشمل كافة المواهب الفائقة التي للشهادة، وتنقسم إلى ثلاثة أصول:

الأول: ويُعرَف بلغة الإنجيل بالقوَّات δυνάμεις وهي الأعمال ذات القوَّة والجبروت، مثل إخراج الشيَّاطين.

الثاني: ويُعرَف بلغة الإنجيل بالآيات σημεῖα وهي الأعمال الخارقة للعادة، ذات المعنى والمغزى الخصوصي، كتحويل الماء خمراً (يـــو ٢)، وتفتيح عيني الأعمَى (يو ٩).

الثالث: ويُعرَف بلغة الإنجيل بالمعجزات τέρατα وهي الأعمال المدهشة والعجيبة، كشفاء الأعرج (يو ٥). «إن علامات الرسول صُنِعَت بينكم في كل صبر، **بآيات وعجائب وقوَّات**.» (٢كو ١٢: ١٢)

وهذه المواهب والأعمال الفائقة، لا أصل لها في الطبيعة البشرية، ولا علاقة لها إطلاقاً بقوانين الطبيعة. وهي لا تعتمد على ذكاء الإنسان، ولا على قدراته الشخصية أو العصبية، ولا على صلاحه أو برِّه الذاتي، إنما هي مواهب تُعبِّر عن نعمة الله وقوَّته ورحمته وصلاحه، يسكبها حسب مسرَّته على مَنْ يشاء معلناً بها عن العنصر الإلهي المقتدر في الدعوة إلى ملكوت الله، بالإيمان بالمسيح: «فلما رأوا مجاهرة بطرس ويوحنا، ووجدوا أنهما إنسانان عديما العلم وعاميَّان تعجَّبوا، فعرفوهما أنهما كانا مع يسوع. ولكن إذ نظروا الإنسان الذي شُفيَ واقفاً معهما، لم يكن لهم شيء يناقضون به.» (أع ٤: ١٣-١٤)

أما من حيث استخدام الله للطبيعة البشرية للإعلان عن هذه المواهب، فنجد أن الروح القدس كان دائماً يشهد بواسطة الإنسان (القديسين)، عن طريق إحدى وسيلتين: إما القوَّة وإما الكلمة.

واستخدام الروح القدس لقوَّة الإنسان (القديسين)، تظهر في خدمة المرضى والضعفاء، ومواهب الشفاء χαρίσματα ἰαμάτων. أما استخدام الروح القدس لكلام القديسين، فيظهر في مواهب كثيرة، مثل التكلُّم باللغات، والنبوَّة، والتعليم.

+ «إن كان **يتكلَّم** أحد فكأقوال الله. وإن كان يخدم أحد فكأنه من **قوَّة** يمنحها الله ...» (١بط ٤: ١١)

وسوف نقتصر في هذا المقال على **مواهب النعمة التي للشهادة، عن طريق الكلمة والتعليم.**

مواهب الكلام

استخدام النعمة لعقل الإنسان ولسانه للنطق بالكلمة الإلهية، يحتاج إلى تهيُّئ وقتي في طبيعة العقل، لاستقبال فعل الإلهام والاستنارة المباشرة، حتى يتسنَّى للإنسان أن ينطق بالروح بما يريده الله في كل مرَّة. هذا تهيُّئ اللازم لاستقبال فعل الإلهام كل مرَّة، لا يحتاج إلا إلى استعداد داخلي قلبي: «مستعدٌ قلبي يا الله، مستعدٌ قلبي» (مز ٥٧: ٧). ولكن في كل مرَّة يكون الدفق الإلهي متميِّزاً عن كل مرَّة أخرى: «حينئذ امتلأ بطرس من الروح القدس وقال ...» (أع ٤: ٨)

ومواهب الكلام، تنقسم من حيث تدرُّجها في التشبُّع الإلهامي، إلى ثلاث درجات:

الدرجة الأُولى: موهبة الألسن γλώσσαις λαλία

الدرجة الثانية: موهبة النبوَّة προφητεία

الدرجة الثالثة: موهبة التعليم διδασκαλία

التدرُّج الإلهامي في هذه المواهب الثلاث:

في موهبة التعليم يكون الفهم والذكاء وحرية الشرح والتعبير وكافة الحواس الفكرية، في كامل قوَّتها أثناء الإلهام. لذلك نجد أن الذين لهم استعداد طبيعي للمعرفة بواسطة معرفتهم السابقة للقراءة وقدرتهم على الاستيعاب والحفظ، نجدهم قد استفادوا نوعاً ما من "موهبة التعليم"، وذلك بأنهم استطاعوا أن يفحصوا ويقارنوا الروحيات بالروحيات -

على حد قول بولس الرسول (١كو ٢: ١٣)، وبذلك ازدادت قدرتهم على كشف الأسرار فصاروا معلّمين روحيين διδάσκαλοι؛ وهذا نجده واضحاً في سيرة بولس الرسول، حيث الرقوق لم تكن تفارقه حتى في أسفاره. لذلك نجده ينصح أيضاً تيموثاوس أن يُضرم الموهبة التي فيه، التي أخذها مع وضع اليد (١تي ٤: ١٤)، مشيراً في موضع آخر أن معرفته السابقة بالكتب المقدَّسة ذات قيمة من حيث إعطائه فرصة أكثر للخلاص: «وأنك منذ الطفولية **تعرف الكتب المقدَّسة، القادرة أن تُحكّمك للخلاص، بالإيمان** الذي في المسيح يسوع.» (٢تي ٣: ١٥)

أما الأنبياء فهم أقل على كل حال من المعلّمين في الاستفادة من التعليم والقراءة، إذ أن الإلهام أو الوحي الإلهي يباغتهم، فيرتفع عقلهم فجأة ليدرك ما لم يخطر لهم على فكر من قبل، وما لا يمكن أن يتحصَّل عليه إنسان لا بالتعليم ولا بالقراءة ولا بالذكاء.

والرؤى التي يطّلع عليها أصحاب هذه الموهبة - أي موهبة النبوَّة - تحتاج منهم أحياناً إلى جهد كثير لتوضيحها، مثل سفر الرؤيا؛ أو قد لا يتسنَّى لهم إطلاقاً تفسيرها وشرحها، مثل بولس الرسول الذي «اختُطف إلى الفردوس، وسمع كلمات لا يُنطق بها، ولا يسوغ لإنسان أن يتكلّم بها.» (٢كو ١٢: ٤)

وموهبة النبوَّة في العهد الجديد لا تقف عند كشف الزمان الآتي: «يُخبركم بأمور آتية» (يو ١٦: ١٣)، ولكنها تمتد بالأكثر إلى كشف أسرار الله، وكشف أسرار النفوس ومعرفة الضمائر، «لأن الروح يفحص كل شيء حتى أعماق الله.» (١كو ٢: ١٠)

وفي الواقع، لو دققنا لوجدنا أن سفر الرؤيا يحوي معنى النبوَّة وقوَّتها وعملها في العهد الجديد، ككشف كامل ورؤيا ἀποκάλυψις: سواء كشف الزمن الآتي، أو كشف أعمال الكنائس السبع، أو كشف ضمائر الأساقفة (الملائكة) المسئولين عن البشارة في الكنائس، أو كشف أسرار الله المخفاة من جهة صفاته وأعماله.

ولكن - على وجه العموم - الصفة الكنسية السائدة للنبي في العهد الجديد، هي موهبة كشف النفس وتبكيت الضمائر.

أما التمييز بين النبي وهو في حالة الإلهام، وبين المعلم وهو في حالة الإلهام أيضاً، فيقتصر على أن النبي تكون حواسه الفكرية مربوطة بالرؤيا الموضوعية، وسائدة فوق قوَّة الفهم. فهو بالرغم من كونه يعي جدًّا ما يقوله ويستطيع أن يجاوب سائليه، إلا أنه يكون محدوداً بما يراه ويحسه ...

في حين أن المعلِّم تكون قوَّة وحرية الفهم عنده سائدة فوق كل الحواس الأخرى حتى وهو في كامل إلهامه.

غير أنه لم توجد موهبتا النبوَّة والتعليم منفصلتين تماماً في العهد الجديد، لأن الشخص الذي يملك الواحدة يؤهَّل دائماً للدخول في الأخرى. فالمعلِّم الموهوب في المسيحية διδάσκαλος، نجده في لحظة من لحظات استنارته يدخل في إلهام النبوَّة فيصير نبيًّا προφήτης. وكذلك النبي، إذ يحدث أنه وهو تحت تأثير الإلهام ينطق بتعليم، وغالباً ما يكون موبِّخاً شديد الوطأة إذ يكون في فمه إعلان وتحذير معاً، أو قد يكون للتعزية والطمأنينة أيضاً: «عزُّوا عزُّوا شعبي.» (إش ٤٠: ١)

وموهبتا التعليم والنبوَّة، احتلتا معاً في العصر الرسولي مكانة سامية جدًّا، وكانتا ذات تأثير هائل في انتشار الإنجيل والإيمان به.

ومن أمثلة الأنبياء والمعلِّمين في العصر الرسولي: «وكان في أنطاكية في الكنيسة هناك أنبياء ومعلِّمون: برنابا، وسمعان الذي يُدعَى نيجر، ولوكيوس القيرواني، ومناين الذي تربَّى مع هيرودس ...، وشاول (الذي صار فيما بعد رسولاً أيضاً).» (أع ١٣: ١)

وكانت النبوَّة تمهِّد الطريق دائماً للمعلِّمين، فكانت النعمة تستخدم الأنبياء وتُلهب موهبتهم لكشف النفوس وتبكيت الضمائر، وتوبيخ الأعمال والسيرة الرديئة؛ وبهذا يخفضون كل كبرياء الوثنيين والمعاندين من الفلاسفة، وكل علو يرتفع ضد الإيمان (٢كو ١٠: ٥)، وحينئذ يمهِّدون في قفر القلوب سبيلاً للمسيح الآتي، بتلقين التعليم الصحيح بواسطة المعلِّمين.

وبينما في موهبتي التعليم والنبوَّة يكون العقل مع كل الحواس الفكرية في كامل وعيها وانفتاحها لجمهور السامعين، بحيث يكون النبي أو المعلِّم قادراً، حتى وهو في أوج إلهاماته، على تبادل الشعور والحديث والفهم مع السامعين، نجد أنه في موهبة التكلُّم بالألسن يكون العقل مع كافة الحواس الفكرية، مشغولاً في الحديث مع الله فقط.

وذلك يرجع إلى أن إلهام المتكلِّم بالألسن الجديدة، يطغي على قدرة الفهم ويضعف من الإحساس الفكري إلى درجة ينقطع فيها الاتصال العقلي بين المتكلِّم والسامعين.

لذلك، فالذي يتكلَّم بلسان لا يكون كلامه بصورة تعليم أو وعظ أو

نبوَّة. لذلك لا يُحسب المتكلِّم باللسان معلِّماً διδάσκαλος، وكذلك لا يُحسب معزِّياً παράκλητος، كنبي، لأن موهبته تخرج عن حدود التعليم والبناء الإيماني الذي عن طريق المعرفة، لتدخل في حدود مفهوم المعجزة أو الآية وحسب: «إذاً، الألسنة آية، لا للمؤمنين بل لغير المؤمنين.» (١كو ١٤: ٢٢)

فالذي يتكلَّم بلسان يكون تحت إلهام شخصي، فيكون متصلاً بروحه مع الله، ناطقاً بلسانه بما يحسه بروحه، ولكن بلغة أخرى غير لغته؛ لذلك يكون الذهن غير واعٍ تماماً بما ينطقه ولا يستطيع أن يتحكَّم فيه: «لأنه إن كنت **أُصلِّي** بلسانٍ، فروحي تصلِّي، **وأما ذهني فهو بلا ثمر.**» (١كو ١٤: ١٤)

ولهذا السبب يكون الشخص المتكلِّم بلسان مشغولاً عن الناس، منحصراً بروحه وعقله في الله، لذلك يبدو للآخرين كأنه في ذهول؛ وحتى كلامه لا يكون بدقَّة لفظية أو يقظة كاملة. وهذا هو السبب الذي جعل الناس يوم الخمسين يعتبرون أن التلاميذ كانوا في حالة سكر شديد «امتلأوا سُلافة» (أع ٢: ١٣)، لأن الناس رأوا أنه بالرغم من أن التلاميذ كانوا يتكلَّمون بلغاتهم التي يعرفونها، إلا أن الناس لاحظوا أن إحساس التلاميذ كان مبتعداً عن الناس، وكأنما كانوا لا يخاطبون الناس أصلاً، فلم يعتن الناس أن يصغوا إليهم: «لأن مَنْ يتكلَّم بلسان لا يكلِّم الناس بل الله، لأن ليس أحد يسمع.» (١كو ١٤: ٢)

كل ذلك يشير إشارة قويَّة إلى أن موهبة التكلُّم بالألسن، كانت محدودة فعلاً في حدود المعجزة أو الآية لغير المؤمنين، كبرهان عملي لانسكاب الروح على الأمم أيضاً (أع ١٠: ٤٥)، أو «على كل بشر»

(يؤ ٢: ٢٨) حسب نص نبوءة يوئيل النبي؛ فلم تكن هذه الموهبة لتعليم المؤمنين أو غير المؤمنين أصحاب هذه اللغات، وإنما كانت لمجرَّد إقناعهم أن الله قَبِلَ الأمم وفتح الباب لدخولهم في الإيمان؛ وبرهان ذلك نُطق التلاميذ الإعجازي بلغات الأمم.

لذلك نجد أن انطباع المؤمنين عند سماعهم التلاميذ يتكلَّمون أولاً بلغات الأمم كان هو الحيرة والتعجُّب: «وتحيَّروا لأن كل واحد كان يسمعهم يتكلَّمون بلغته» (أع ٢: ٦). ثم تحقق الذين آمنوا من اليهود بعد ذلك، بسبب انسكاب هذه الموهبة بالذات على الأمم الداخلين في الإيمان، أن الله قد قَبِلَ الأمم بكل تأكيد: «فاندهش المؤمنون الذين من أهل الختان... لأن موهبة الروح القدس قد انسكبت على الأمم أيضاً، لأنهم كانوا يسمعونهم يتكلَّمون بألسنة ويعظِّمون الله.» (أع ١٠: ٤٥، ٤٦)

إذن، واضح أن موهبة التكلُّم بالألسن يوم الخمسين كانت آية تشير إلى أمرين:

الأول: دخول الأمم علناً في الإيمان.

وثانياً: بداية مسئولية التلاميذ لخدمة هذه الأمم، لأن انسكاب موهبة التكلُّم بلغة الأمم تضمن دعوةً إلهية صريحة للبشارة لهذه الأمم.

فموهبة التكلُّم بالألسن يوم الخمسين وما بعد ذلك، كانت ذات هدف إلهي واضحٍ، كآية لدخول الأمم وكدعوة صريحة للبشارة لهم. لذلك لا تفيد هذه الموهبة أن هذه الألسن كانت لغات غير مفهومة بل مفهومة تماماً؛ لأن من نصوص الآيات، ومن واقع الهدف وملابسات الزمن الذي بدأت فيه هذه الموهبة، يتَّضح أنها شملت لغات حيَّة كان

يتكلَّم بها الناس في خمس عشرة أمة تقريباً (أع ٢).

وقد ظلَّت هذه الموهبة في البدء، مرافقة لحلول الروح القدس عند العماد ووضع اليد، كبرهان لقبول هؤلاء المعمَّدين في الإيمان. وهذا يذكِّرنا بالنار التي كانت تنزل من السماء وتلتهم الذبيحة في بداية عصر تقديم الذبائح كعلامة رضا إلهي وقبول، وكإلحاح مستمر من الروح القدس للانطلاق والشهادة للمسيح.

لذلك نجد أنه بعد أن رسخ الاعتقاد عامة بقبول الله للأمم، ورسخ إيمان التلاميذ والرسل بضرورة البشارة، كفَّت هذه الموهبة تدريجياً، ثم تلاشت من الكنيسة تقريباً في نهاية عصر الرسل.

وقد ظلَّت هذه الموهبة ملازمة للكنائس الجديدة بصورة شائعة وعامة بين المؤمنين في أيام بولس الرسول: «ولما وضع بولس يديه عليهم، حلَّ الروح القدس عليهم، فطفقوا يتكلَّمون بلغات ويتنبَّأون» (أع ١٩: ٦)، فكان في كل كنيسة يظهر كثيرون من المتكلِّمين باللغات. ولكن لأن معظم الشعب في كل كنيسة كان لا يعرف إلا لغته فقط - أي عاميين - لذلك ظهرت الحاجة إلى مَنْ يُترجم ما ينطقه هؤلاء المتكلِّمين باللغات الأخرى: «فإن اجتمعت الكنيسة كلها في مكان واحد، وكان الجميع يتكلَّمون بألسنة، فدخل **عاميون** أو غير مؤمنين، أفلا يقولون إنكم تهذون؟» (١كو ١٤: ٢٣) ... إذن فالحاجة إلى الترجمة، تنشأ فقط عندما يكون السامعون عاميين.

كما أننا نجد أن هناك محاولة يحاولها بولس الرسول، لتحويل موهبة التكلُّم بلغات إلى موهبة الترجمة أيضاً، وذلك عن طريق المتكلِّم نفسه،

حتى يتحاشى العثرة الناتجة من عدم فهم اللغة التي يتكلَّم بها: «لذلك مَنْ يتكلَّم بلسان فليُصلِّ لكي يُترجم» (١كو ١٤: ١٣)، أي أن المتكلِّم يترجم ما يقوله هو نفسه؛ وذلك حينما يستحضر ذهنه بالصلاة، ويتوسَّل لدى الروح القدس أن يهبه أيضاً، تفسيراً بلغته الوطنية لما نطقه باللغة التي أُعطي أن يتكلَّم بها.

وفي هذا المعنى تماماً يقول القديس بولس الرسول إنه يتكلَّم بلغات أكثر من جميعهم، مشيراً بذلك إلى قدرته الخاصة على التكلُّم بلغات حيَّة كثيرة، وقدرته على ترجمة كل لسان، حسب النعمة المعطاة له وحسب إتقانه الطبيعي لهذه اللغات: «أشكر إلهي إني أتكلَّم بألسنة أكثر من جميعكم» (١كو ١٤: ١٨). وهنا المضمون يفيد لغات حيَّة مفهومة بكل تأكيد، فقد أوضح بولس الرسول قبل ذلك أن موهبة التكلُّم بألسنة لا قيمة لها على الإطلاق إن لم تكن هذه الألسنة لغات حيَّة يمكن ترجمتها:

+ «ربما تكون أنواع لغات هذا عددها في العالم، **وليس شيء منها بلا معنى**. فإن كنت لا أعرف قوَّة اللغة أكون عند المتكلِّم أعجميّاً، والمتكلِّم أعجميّاً عندي، هكذا أنتم أيضاً، إذ أنكم غيورون للمواهب الروحية، اطلبوا لأجل بنيان الكنيسة **أن تزدادوا**، لذلك مَنْ يتكلَّم بلسانٍ فليُصلِّ **لكي يُترجم**.» (١كو ١٤: ١٠ - ١٣)

وهنا كلمة «تزدادوا» تفيد الازدياد في معرفة اللغة وشرحها لازدياد بنيان الكنيسة؛ الأمر الذي توفر لدى كافة الناس بعد ذلك بالتعليم وتلقين اللغات، مما أدى إلى توقُّف هذه الموهبة.

ولكننا، على وجه العموم، نجد أن القديس بولس الرسول يضع موهبة

التكلُّم بألسنة في مرتبة أقل من موهبة النبوَّة: «مَنْ يتنبَّأ أعظم ممن يتكلَّم بألسنة» (١كو ١٤: ٥)، كذلك يضعها أيضاً أقل من موهبة التعليم: «ولكن في كنيسة، أريد أن أتكلَّم خمس كلمات بذهني لكي أُعلِّم آخرين أيضاً، أكثر من عشرة آلاف كلمة بلسان.» (١كو ١٤: ١٩)

وقد حصر بولس الرسول هذه الموهبة خارج محيط التعليم داخل الكنيسة، إذ اعتبرها أنها ليست لبناء الإيمان: «إذن الألسنة آية، لا للمؤمنين، بل لغير المؤمنين.» (١كو ١٤: ٢٢)

ولكن ظلَّ بولس الرسول محتفظاً بوضع التكلُّم بالألسن، كموهبة ذات قيمة روحية شخصية بالنسبة للفرد المتكلِّم، كعمل روحي أو تعزية روحية شخصية: «أُصلِّي بالروح ... أُرتِّل بالروح ... باركتَ بالروح» (١كو ١٤: ١٥ و١٦)، عالماً ذلك الرسول، الذي ارتفع إلى درجة الإعلانات والرؤى، أن التكلُّم بالألسن هي حالة ارتفاع بالروح القدس وإلهام يقبل فيها الإنسان أسرار الروح القدس ويتعزَّى: «مَنْ يتكلَّم بلسان لا يكلِّم الناس بل الله، لأن ليس أحد يسمع، ولكنه **بالروح يتكلَّم بأسرار**.» (١كو ١٤: ٢)

لذلك يعتبر بولس الرسول أن هذه الموهبة ذات منفعة شخصية ضمناً: «مَنْ يتكلَّم بلسان يبني نفسه» (١كو ١٤: ٤). لذلك لا ينكر منفعتها، بل بالحري يودّ لو أن الكل يحرزون هذه النعمة: «إني أريد أن جميعكم تتكلَّمون بألسنة، ولكن بالأولى أن تتنبَّأوا.» (١كو ١٤: ٥)

ولكن بالرغم من ذلك كان بولس الرسول يخشى جداً من إساءة استخدام هذه الموهبة داخل الكنيسة، لأنها كانت قد بدأت تأخذ اهتماماً

ومكانة بين المؤمنين أكثر مما يجب، حتى صارت سبباً للغيرة والتفاخر والتشويش في الكنيسة، مما جعل الرسول يقلِّل من أهميتها ومنفعتها، ويحوِّل اهتمام المؤمنين إلى المواهب الأخرى: «وأيضاً أريكم طريقاً أفضل.» (١كو ١٢: ٣١)

ومجمل تقرير بولس الرسول عن هذه الموهبة، هو أنه إذا أحس أحد المؤمنين وهو داخل الكنيسة بحالة الإلهام والتكلُّم بالألسن، فعليه أن يصلِّي ويسكب قلبه أمام الله بمفرده في الخفاء ويضبط نفسه، فهذا أنفع له إذ يعود إلى بناء نفسه.

أما إذا أحسَّ بحاجة إلى التعبير عمَّا يتقبَّله من الله، وكان لديه رسالة حقيقية من الله للكنيسة، فليُصلِّ أولاً حتى يمكن أن يُترجمها هو بلغة السامعين: «فالآن أيها الإخوة، إن جئتُ إليكم متكلِّماً بألسنة، فماذا أنفعكم إن لم أكلِّمكم إما بإعلان أو بعلم أو بنبوَّة أو بتعليم؟ ... هكذا أنتم أيضاً إن لم تُعطوا باللسان كلاماً يُفهَم، فكيف يُعرَف ما تُكلِّمَ به؟» (١كو ١٤: ٦، ٩)

فإذا تعذر عليه ذلك فليُترجمها آخر، أما إذا لم يوجد مَنْ يُترجم، فليصمت في الكنيسة: «ولكن إن لم يكن مترجم، فليصمت في الكنيسة، وليكلِّم نفسه والله.» (١كو ١٤: ٢٨)

مواهب مترتِّبة على مواهب: المترجمون والحُكَّام:

وقد ترتَّب على موهبة التكلُّم بألسنة، المنسكبة على الكنيسة، قيام موهبة الترجمة ἑρμηνεία γλωσσῶν، كنعمة خاصة وإلهام:

+ «إن كان أحد يتكلَّم بلسان، فاثنين اثنين أو على الأكثر ثلاثة ثلاثة، وبترتيبٍ، وليُترجم واحد.» (١كو ١٤: ٢٧)

كما ترتَّب على موهبة النبوَّة، قيام **موهبة الحُكم الروحي** διακρίσεις πνευμάτων أي التمييز والكشف لمعرفة الحق وحدوده:

+ «أما الأنبياء، فليتكلَّم اثنان أو ثلاثة، **وليحكُم** الآخرون.» (١كو ١٤: ٢٩)

وبواسطة هاتين الموهبتين، أي الترجمة والحُكم الروحي، صار لدى الكنيسة قدرة لتتحكم في موهبتيَ التكلُّم بالألسن والنبوَّة، وهنا تتضح يقظة الروح القدس واهتمامه بالكنيسة وتدبيرها وسدُّه للثغرات، بإقامة تسلسل في المواهب، وتدرُّج في المسئوليات، والمراقبة.

والمُلاحَظ أن الروح القدس أقام مراقبين على موهبة التكلُّم بالألسن وموهبة النبوَّة، ولم يقم مراقباً على موهبة التعليم، والسبب في ذلك أن المعلِّم يكون صاحياً يقظاً لنفسه ولما يقوله، متوقد الذهن بالنعمة، فموهبة التعليم تنصب أساساً على زيادة الوعي العقلي. كما أن الإلهام الذي يدخله المعلِّم، يرفع من قدرته على ضبط كلماته وتوجيه تعليمه باستقامة، حسب قصد الروح تماماً. لذلك فمن غير المعقول أن يقيم الروح القدس رقيباً على المعلِّم، لأن الروح القدس نفسه يكون هو هذا الرقيب الذهني، خصوصاً وأن موهبة التعليم لا تتعدَّى حدود المعقول.

أما في موهبة النبوَّة فيكون العقل تحت تأثير الإلهام أكثر من الفهم لأنه يفحص ما يفوق العقل ويكشف المستورات، فيكون الإنسان أقلَّ ضبطاً

للكلام والمعاني والتعبيرات، لذلك أصبح لزاماً أن يكون هناك رقيب على النبي حينما يتنبَّأ.

وكذلك في موهبة الألسن إذ يكون المتكلِّم مُبتَلَع الذهن، أو حسب تعبير بولس الرسول: «يكون الذهن بلا ثمر» (١كو ١٤: ١٤)؛ لذلك أصبح لزاماً أيضاً أن يكون هناك مترجم يصاحب اللسان حينما يتكلَّم، ليشرح ويُترجم ما يقوله.

وفي الواقع إن قيام هاتين الموهبتين الروحيتين، أي "الترجمة" و"الحكم"، كرقابة على موهبتي التكلُّم بالألسن والنبوَّة منشأه ضعف الطبيعة العقلية للإنسان، وعدم كفايتها لتكون في كمال الإلهام الإلهي وكمال الوعي البشري معاً، لذلك فهي تحتاج إلى وسيط ... كما أن صعوبة التعبير عما لا يرى، تحتاج حتماً إلى مساندة ومراجعة ... لذلك نسمع الإنجيل يشدِّد دائماً أن «**امتحنوا** الأرواح» (١يو ٤: ١)، ويدعو باستمرار إلى «**تمييز** الأرواح.» (١كو ١٢: ١٠)

كذلك نجد في سرد بولس الرسول لقائمة المواهب وتسلسلها يضيف تمييز الأرواح على موهبة النبوة، وكأنهما ملازمان بعضهما البعض: «ولآخر نبوَّة ولآخر تمييز الأرواح». كما يضيف موهبة الترجمة إلى موهبة التكلُّم بالألسن، كضرورة حتمية: «ولآخر أنواع ألسنة، ولآخر ترجمة ألسنة.» (١كو ١٢: ١٠)

والواقع أن ملازمة موهبة النبوَّة بموهبة تمييز الأرواح، وملازمة موهبة التكلُّم بالألسن بموهبة ترجمة الألسن، تظهر لزوميتهما لو فحصنا وضع الكنيسة الطبيعي، خصوصاً في عصورها الأُولى. فالحياة المسيحية كانت

تُمارَس داخل الكنيسة بحرية روحية كاملة، والجماعة كانت تنمو نمـوًّا مكشوفاً تلقائيًّا غير مصطنع، غير مدرسي قط. فكان كل مَـنْ يدفعـه الإلهام إلى التكلُّم أو الشهادة أو تعزية الجماعة، كان مأذوناً له أن يتكلَّم ويعبِّر عمَّا يحسُّه، لذلك أصبح وجود الرقابة الروحية للضبط والتمييـز والحكم، أمراً في غاية الأهمية. ومن هنا نـشأت الـضرورة للمواهـب الضابطة المترتبة على المواهب، وكان الثقل على أصحاب هذه المواهـب شديداً إذ كانوا مسئولين عن تشجيع النمو الروحي وتزكية واضـطرام المواهب في المؤمنين؛ وفي نفس الوقت كانوا مسئولين عن الحـد مـن الانحرافات، وإنذار الذين بلا ترتيب: «ثم نسألكم أيهـا الإخـوة، أن تعرفوا الذين يتعبون بينكم ويـدبِّرونكم في الـرب وينـذرونكم، وأن تعتبروهم كثيراً جدًّا في المحبة من أجل عملهم ... أنذروا الـذين بـلا ترتيب ... لا تطفئوا الروح، لا تحتقروا النبوَّات، **امتحنـوا** كل شيء!!» (١تس ٥: ١٢ و١٤ و١٩-٢١)

مواهب التعليم

لقد تعدَّدت مواهب التعليم في الكنيسة، بسبب عمق الله وأعماله وغِنَى نعمته وغزارة أسراره، فلم يوجد بين الناس قط مَنْ هو كُفء بمفرده أن يستوفي هذه المعرفة الروحية، لذلك سكب الله مواهب متعدِّدة على أشخاص كثيرين، متميِّزين في الاستعداد والعمق والفهم، حتى تُستعلن أسرار المعرفة الإلهية في كافة نواحيها، ويُستكمَل الإيمان.

وتنقسم مواهب التعليم أساساً إلى نوعين:

١ - موهبة التعليم بكلام **معرفة** λόγος γνώσεως

٢ - موهبة التعليم بكلام **حكمة** λόγος σοφίας

+ «الواحد يُعطى بالروح كلام **حكمة**، ولآخر كلام **علم** بحسب الروح الواحد.» (١كو ١٢: ٨)

وفي موضع آخر يشير القديس بولس الرسول إلى الينبوع الواحد الذي تتفجَّر منه هاتان الموهبتان: «... المسيح، المذَّخر فيه جميع كنوز **الحكمة والعلم**.» (كو ٢: ٢، ٣)

أما "موهبة الحكمة" في المفهوم المسيحي في القرن الأول، فكانت تنحصر في معنى الإلهام الإلهي، الذي يجعل الإنسان مقتدراً في الحكم على الأمور العملية التي تخص الحياة المسيحية، وعلى تصريف الأمور، وتمييز المواقف، ومعرفة الحق، وتسليم دقائق الحياة للجيل الناشئ،

وكانت تسمَّى لدى الآباء الأُوَل: "موهبة الإفراز Discretion".

وأما "موهبة العلم γνῶσις"، فكان معناها في القرن الأول مقصوراً على الدراية النظرية الملهمة لمعرفة أصول الديانة، وكانت تقوم على سر استعلان الأمور المختصة بالمسيح كما وردت في العهد القديم، ثم كشف أسرار تدبير الله في التجسُّد وفي الآلام والصلب والقيامة، وعملها الصميمي في خلاص الإنسان: «إن كنتم قد سمعتم **بتدبير نعمة الله المعطاة لي لأجلكم**، أنه **بإعلان عرَّفني بالسر**، كما سبقتُ فكتبتُ بالإيجاز، الذي بحسبه حينما تقرأونه **تقدرون أن تفهموا درايتي بسر المسيح**، الذي في أجيال أُخر **لم يُعرَّف** به بنو البشر، كما قد **أُعلن الآن لرسله القديسين وأنبيائه، بالروح**.» (أف ٣: ٢-٥)

والفرق بين الموهبتين واضح ويتحدَّد تماماً في موضوع الكلام، فالكلام على الحياة الروحية العملية، والعلاقة الشخصية السريَّة مع المسيح، والسلوك في الحياة الاجتماعية بما يطابق الإيمان وبمقتضى الوصايا المسيحية، غير الكلام النظري عن بنود الإيمان وأساس العقيدة.

وهذا الاختلاف الموضوعي بين موهبة كلام الحكمة وموهبة كلام المعرفة، يقتضي بالضرورة اختلافاً في الاستعداد الطبيعي بين **الأشخاص الموهوبين المنعَم عليهم**.

فإن كان يوجد أحياناً مَنْ هو كفء للموهبتين معاً، مثل بولس الرسول، إلا أنهما في واقع الأمر مختلفتان، والكنيسة باستمرار تحتاج إليهما بتحديدهما وتخصُّصهما.

لذلك نجد أن الروح القدس أفرز منذ البدء أشخاصاً مقتدرين، أهَّل بعضهم للحكمة العملية، والبعض الآخر للمعرفة النظرية: «لا أزال شاكراً لأجلكم، ذاكراً إياكم في صلواتي، كي يعطيكم ... روح **الحكمة** والإعلان في **معرفته**.» (أف ١: ١٦-١٧)

ومعروف أنه بالرغم من أن بولس الرسول يقدِّم موهبة الحكمة على موهبة العلم، ربما لأجل سمو الأُولى على الثانية، إلا أنه في تدرُّجهما الطبيعي، تأتي الحكمة بعد الامتلاء من العلم؛ وهذا ما يُشير إليه بولس الرسول بقوله: «ولكننا نتكلَّم بحكمة بين الكاملين»، ويقصد بالكاملين هنا الذين امتلأوا وكملوا في المعرفة النظرية. ثم يستطرد ليفرِّق بين حكمة المسيح وحكمة اليونان: «ولكن بحكمة ليست من هذا الدهر، ولا من عظماء هذا الدهر الذين يُبطَلُون، **بل نتكلَّم بحكمة الله في سرٍّ**. الحكمة المكتومة التي سبق الله **فعيَّنها قبل الدهور لمجدنا**، التي لم يعلمها أحد من عظماء هذا الدهر» (١كو ٢: ٦-٨). وهنا يشير بولس الرسول إلى حكمة الله الموهوبة لنا، حكمة عملية تنقلنا إلى المجد، وهي غير حكمة اليونان النظرية التي تبطل.

ثم في الرسالة إلى العبرانيين يوضِّح بولس الرسول أكثر، الفرق بين الحكمة العملية والمعرفة النظرية، وذلك بالنسبة للمؤمنين: «قد صرتم متباطئي المسامع (يشير إلى إهمالهم المعرفة النظرية)، لأنكم إذ كان ينبغي أن تكونوا معلِّمين (أي كان مفروضاً أن يكونوا مؤهَّلين لموهبة التعليم نفسها) بسبب طول الزمان، تحتاجون أن يعلِّمكم أحد ما هي أركان بداءة أقوال الله (أصول الإيمان الأولية)، وصرتم محتاجين إلى اللبن (المعرفة البسيطة) لا إلى الطعام القوي

(الحكمة العميقة العملية)، لأن كل مَنْ يتناول اللبن (لا يزال يجهل أصول الإيمان الأولية) هو عديم الخبرة في كلام البر (أي ليست له خبرة عملية في الحكمة والسلوك حسب البر) لأنه طفل (أي مبتدئ في الإيمان النظري)، أما الطعام القوي فللبالغين، الذين بسبب التمرُّن (الذين كملوا في المعرفة النظرية وابتدأوا يطبِّقون المعرفة عن الحياة ويتحكَّمون) قد صارت لهم الحواس (الروحية) مدرَّبة على التمييز بين الخير والشر (أي بلغوا إلى الحكمة العملية التي تسمَّى الإفراز = Discretion).» (عب ٥: ١١-١٤)

درجات المعلِّمين:

عرفت الكنيسة أربع درجات من المعلِّمين: «وهو أعطى البعض أن يكونوا **رُسُلاً**، والبعض **أنبياء**، والبعض **مبشِّرين**، والبعض **رُعاة ومعلِّمين**.» (أف ٤: ١١)

الدرجة الأُولى: الرسل:

هؤلاء هم الذين استلموا أصول التعليم من المسيح رأساً؛ كما استلموا موهبة التعليم كأمر إلهي: «وعلِّموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به.» (مت ٢٨: ٢٠)

والرسل يتميَّزون تميُّزاً فائقاً عن كافة المعلِّمين كونهم شركاء رؤية للمسيح، سواء في أعماله أو كلماته، أو آلامه أو مجده، فكانت تعاليمهم ذات أصالة فائقة كشهود عيان في كل ما كانوا يقولونه ويعلِّمون به: «الذي كان من البدء، الذي سمعناه، الذي رأيناه بعيوننا، الذي شاهدناه ولمسته أيدينا ... الذي رأيناه وسمعناه نخبركم به، لكي يكون لكم أيضاً شركة معنا» (١يو ١: ١-٣)، «لأننا لم نتبع خرافات مصنَّعة، إذ عرَّفناكم

بقوة ربنا يسوع المسيح ومجيئه، بل قد كنَّا معاينين عظمته، لأنه أخذ من الله الآب كرامة ومجداً إذ أقبل عليه صوت كهذا من المجد الأسنى: هذا هو ابني الحبيب الذي أنا سُررت به، ونحن سمعنا هذا الصوت مقبلاً من السماء إذ كنَّا معه في الجبل المقدَّس» (٢بط ١: ١٦-١٨). وهذه الدرجة تشمل الاثنى عشر بمتياس الرسول، والسبعين الذين عيَّنهم الرب، وبولس الرسول.

الدرجة الثانية: الأنبياء:

هؤلاء تجيء رتبتهم بعد الرسل، وقبل المبشِّرين، بسبب قدرتهم على اللحاق بالرسل والاقتراب من المسيح بواسطة نعمة الرؤيا ἀποκάλυψις، وانفتاح بصيرتهم التي تؤهِّلهم لإدراك المعرفة الإلهية ومشيئة الله كشهود عيان، لذلك فتعليمهم عن الأمور المختصة بملكوت الله تجيء أكثر عمقاً من معرفة المبشِّرين والمعلِّمين المُلهَمين. وقد كان عليمهم بالفعل أكثر حيوية وتأثيراً في انتشار ملكوت الله، خصوصاً بعد عصر الرسل مباشرة.

و لم تكن وظيفتهم في الكنيسة ثابتة، لأنهم كانوا يجولون من كنيسة إلى أخرى[1]:

+ «ويهوذا وسيلا، إذ كانا هما أيضاً نبيَّين، وعظا الإخوة بكلام كثير وشدَّداهم. **ثم بعد ما صرفا زماناً أُطلِقا بسلامٍ.**» (أع ١٥: ٣٢)

+ «وبينما نحن مقيمون أيَّاماً كثيرة، انحدر من اليهودية نبي اسمه أغابوس،

---

(١) [٤. كل رسول يأتيكم فاقبلوه. ٥. ولا يمكث أكثر من يوم واحد، وإذا وُجِدَت ضرورة فيوم آخر أيضاً؛ وإن بقي ثلاثة أيام فهو نبي كاذب] (الديداخي ١١: ٤،٥).

فجاء إلينا وأخذ منطقة بولس وربط يدي نفسه ورجليه وقال: هـذا يقوله الروح القدس، الرجل الذي له هذه المنطقة، هكـذا سـيربطه اليهود في أورشليم ويسلّمونه إلى أيدي الأُمم.» (أع ٢١: ١٠، ١١)

ويُلاحَظ أن النبوَّة في العهد الجديد، اختصت بإلهام مخاطبـة الـنفس وكشف الضمائر، فكان وعظ الأنبياء شديد الوطأة والتأثير: «ولكن إن كان الجميع يتنبَّأون، فدخل أحد غير مؤمن أو عامي، فإنه يـوبَّخ مـن الجميع، يُحكَم عليه من الجميع، وهكذا تصير خفايا قلبه ظاهرة، وهكذا يخر على وجهه ويسجد لله منادياً أن الله بالحقيقة فيكم.» (١كـو ١٤: ٢٤-٢٥)

ومن أمثلة الأنبياء المشهورين أيضاً: «يوسف الذي دُعيَ من الرسـل برنابا، الذي يُترجَم ابن الوعظ - وهو لاوي قبرصي الجـنس» (أع ٤: ٣٦). ويُلاحَظ هنا أن كلمة برنابا تفسيرها "ابن نابا" أي ابن النبوَّة التي تُرجِمَت باليونانية هكذا: υἱός παρακλὴσεως & υἱός προφητείας

الدرجة الثالثة: المبشِّرون:

والمبشِّر هو أيضاً الإنجيلي، لأن أصل الكلمة واحد، وهذه الدرجـة مكرَّمة جدًّا بسبب ما يلازمها غالباً من استشهاد. هـؤلاء لا يعلِّمـون دقائق الإيمان وإنما ينادون ببشرى الخلاص، ويعلنون مجد المسيح وفخـر الإيمان أينما حلّوا. وعمل المبشِّرين هو في الواقع أساس انتشار المسيحية، وبالتالي أساس الكنيسة كلها. فالإنجيليون هم مؤسِّسو الكنيسة بـالمعنى الحقيقي، لأنهم هم الذين وضعوا أساس الخلاص وبذرة الإيمـان، لـيس بتعاليمهم ونداتهم فحسب، بل وبالأكثر جدًّا، بدمائهم التي سـفكوها

فكانت الشاهد على صدق إيمانهم وتعليمهم! ...

ومن الأمثلة البارزة لمن نالوا هذه الموهبة الكريمة وتخصَّصوا فيها «فيلبس المبشِّر، إذ كان واحداً من السبعة» (أع ٢١: ٨). وطبعاً هناك فارق بين مَنْ هو حاصل من النعمة على موهبة المبشِّر، وبين مَنْ يتطوَّع ليعمل عمل المبشِّر: «اعمل عمل المبشِّر، تمِّم خدمتك.» (٢تي ٤: ٥)

وقد احتفظ لنا المؤرِّخ **يوسابيوس القيصري** بصورة واقعية لعمل المبشِّرين، وصِلَتهم بالرعاة والمعلِّمين في عصر الرسل وما بعده، فيصفهم في كتابه الثالث الفصل السابع والثلاثين هكذا:

[وممَّن اشتهروا في ذلك الوقت كوادراتس الذي يروي التاريخ عنه أنه اشتهر بموهبة النبوَّة مع بنات فيلبس. ويوجد كثيرون آخرون غير هؤلاء ممن اشتهروا في تلك الأيام، الذين **احتلوا المكان الأول بين خلفاء الرسل**. هؤلاء أيضاً إذ كانوا تلاميذ بارزين لتلك الشخصيات العظيمة، فقد **أكملوا أساسات الكنائس** التي وضعها الرسل في كل مكان، **ونادوا بالإنجيل** في مدى واسع، **وبذروا بذار الخلاص** الذي لملكوت السماء في الأرجاء البعيدة والقريبة في كل العالم ... إذ بدأوا **يقومون برحلات طويلة** ويتمِّمون خدمة التبشير، إذ كانوا قد امتلأوا رغبة في الكرازة بالمسيح لمن لم يسمعوا بعد كلمة الإيمان، **وتوصيل الأناجيل** الإلهية إليهم.

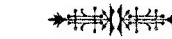
وعندما **وضعوا أساس الإيمان** في البلاد الغريبة، **أقاموا غيرهم كرعاة**، وعهدوا إليهم بتغذية من أُدخِلوا حديثاً، بينما اتجهوا هم ثانية إلى الممالك والشعوب الأخرى، **مؤازرين بنعمة الله وتعضيده**،

لأن أعمالاً عجيبة كثيرة تمّت على أيديهم **بقوّة روح الله**].

الدرجة الرابعة: المعلّمون:

هؤلاء مسئولون عن المؤمنين الذين دخلوا حديثاً يعلّموهم الإيمان، ويشرحون لهم الإنجيل، ويثبّتون لهم العقيدة. فدورهم يأتي بالضرورة بعد المبشر، لأنهم ليسوا مؤسِّسي كنائس ولا هم واضعو أساس الخلاص، وإنما يكمّلون عمل المؤسسين فيبنون نفوس المؤمنين، لذلك فلا غِنَى لأية كنيسة عنهم، وظيفتهم ثابتة في كل كنيسة، لا يتنقّلون، لأنهم يباشرون نمو بناء نفوس تلاميذهم، يوماً بعد يوم ويسهرون عليهم: «حسب نعمة الله المعطاة لي كبنّاء حكيم، قد وضعتُ أساساً، وآخر يبني عليه.» (١كو ٣: ١٠)

هذه الدرجات الأربع من المعلّمين تجيء مطابقة تماماً لاحتياج الكنيسة. وهي تمثّل صورة واقعية لغِنَى الروح القدس وغزارة النعمة الموهوبة من السماء لبناء النفس البشرية، بواسطة يسوع المسيح المعلّم الإلهي: «الذي نزل هو الذي صعد أيضاً فوق جميع السموات **لكي يملأ الكل**. وهو أعطى البعض أن يكونوا رُسلاً، والبعض أنبياء، والبعض مبشّرين، والبعض رُعاة ومعلّمين، لأجل تكميل القديسين، لعمل الخدمة، لبنيان جسد المسيح.» (أف ٤: ١٠-١٢)



المواهب العملية

ولكي تستطيع الكنيسة أن تسوس المؤمنين، وتسهر على المواهب، وتضرمها، وتدبِّر شئونها في الداخل والخارج، وتضبط نظامها، صارت في أشد الحاجة إلى المواهب العملية، التي سكبها الروح القدس عليها بالفعل في الحين الحسن.

والمواهب العملية في الكنيسة تنقسم إلى قسمين كبيرين:

القسم الأول: ويختص بشئون الكنيسة نفسها وفيه نالت الكنيسة موهبتين عظيمتين:

١ - موهبة **التدبير** أي **حكم الكنيسة كلها** χάρισμα κυβερνήσεως

٢ - موهبة **خدمة الاحتياجات الجسدية** χάρισμα διακονίας

القسم الثاني: ويختص بالمواهب التي تذيع مجد الله، لتشديد المؤمنين وتقوية معنويات الكنيسة، وهي تنقسم أيضاً إلى نوعين:

١ - **عمل قوَّات** ἐνεργήματα δηνάμεων

٢ - **مواهب شفاء** χαρίσματα ἰαμάτων

+ «ولآخر مواهب شفاء بالروح الواحد... ولآخر عمل قوَّات.» (١كو ١٢: ٩ و١٠). وهاتان الموهبتان ولو أنهما حسب الظاهر تبدوان عملاً إضافياً على الإيمان، إلا أنهما كانتا ذا شأن عظيم في تأسيس الكنيسة وتقويتها، وإعلان مجد الله الذي فيها، خصوصاً في أيامها الأُولى وفي فترات اضطهادها.

موهبة القيادة

(التدبير κυβέρνησις)

أما بخصوص موهبة قيادة الكنيسة وتدبيرها، فأصبحت ضرورة حيوية منذ أول لحظة اجتمع فيها المؤمنون معاً؛ وذلك بسبب كثرة المواهب التي تدفَّقت على المؤمنين في البداية، والتي احتاجت لمن يسوسها ويضرمها وينمِّيها.

وقد سكب الروح القدس على بعض الأشخاص هذه الموهبة، فجعلهم محبوبين وقادرين أن يجمعوا المتفرِّقين، ويصالحوا المتخالفين، ويشجِّعوا المواهب، ويسندوا الضعفاء، ويقدِّموا المستحقين للكرامة.

ولهذه الموهبة يرجع الفضل في إقامة القسوس في الكنيسة أولاً ...

وقد استعارت الكنيسة اسم هذه الوظيفة القيادية أي شيوخ πρεσβύτεροι أو قسوس، من وظيفة الكاهن في المجمع اليهودي قديماً.

ولكن بتدعيم النظام الكنسي وظهور اختصاصاته الشعبية في البلاد اليونانية، استعاروا اسم الوظيفة المعادلة لها في النظام الحكومي اليوناني وهو ἐπίσκοποι أي أساقفة ومعناها الحرفي **النظارة العُليا**، أي الهيمنة فوق شئون الكنيسة كلها. وكانت هذه الكلمة أصلاً اسماً لوظيفة المهيمنين على شئون الشعب في المقاطعات التابعة لأثينا قديماً.

ونجد في رسالة بطرس الرسول استخدام الاسمين معاً - أي القس والأسقف - للتعبير عن وظيفة وعمل الكاهن. فجاءت كلمة قسوس،

لتعني اسم الوظيفة التي يقوم بها الكاهن. وكلمة أساقفة، لتعني اختصاصات هذه الوظيفة: «أطلب إلى **الشيوخ** (القسوس) الذين بينكم أنا **الشيخ** (القس) رفيقهم، والشاهد لآلام المسيح، وشريك المجد العتيد أن يُعلَن، ارعوا رعية الله التي بينكم **نظاراً** (أساقفة ἐπισκοποῦντες)، لا عن اضطرار بل بالاختيار.» (١بط ٥: ١-٢)

وبهذا المعنى أيضاً يستخدم سفر الأعمال كلمة قسوس وكلمة أساقفة معاً لنفس الأشخاص باعتبار أن القسوسية اسم وظيفة والأسقفية طبيعة عملها: «ومن ميليتس أرسل إلى أفسس واستدعى **قسوس الكنيسة**، فلما جاءوا إليه قال لهم ... احترزوا إذن لأنفسكم ولجميع الرعية التي أقامكم الروح القدس فيها **أساقفة** ἐπισκόπους، لترعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمه.» (أع ٢٠: ١٧، ٢٨)

ولكن لا يُفهَم من هذا أن كلمة أسقف تعني نظارة إدارية فقط بل هي تفيد معنى رعاية الشعب روحيّاً، أي حمل مسئولية قيادة وتدبير النفوس لإدخالها ملكوت السموات، **فعمل** الأسقف ἐπισκοπεῖν يعادل تماماً في مفهوم الكلمة **عمل** الراعي ποιμαίνειν.

ومنذ البداية، كان يُقام في كل كنيسة عدَّة قسوس لرعاية الشعب وتدبير الكنيسة؛ وبمرور الزمن صار من المحتَّم إقامة واحد من بينهم يتقدَّمهم وصار هذا المتقدِّم له اختصاص النظارة العليا فاختصَّ بلقب الأسقف دون غيره، ومن هنا بدأت كلمة أسقف تأخذ معنًى منفصلاً عن القس، وبالتالي بدأت اختصاصات الأسقف تتميَّز عن اختصاصات القس، باعتبار الأسقف "رئيساً" على الكنيسة كلها ومتقدِّماً على الكهنة. وقد ظلَّت رتبة "مقدِّم الكهنة"

مستمرَّة في الكنيسة حتى اليوم إنما بدرجة قس بعد أن انفصلت رتبة الأسقفية عن القسوسية في كافة اختصاصاتها(٢).

---

(٢) [إن مجلس القسوس (الشيوخ) المسيحي، مثل مجلس المشيخة اليهودي الذي اشتُقَّ منه، كان هيئة متَّحدة شرعية. وكان الأسقف - باعتباره حاكم كنيسته - ببساطة قساً بين زملائه القسوس.

ولم يكن للقس المسيحي في البداية - شأنه نموذجه اليهودي الأوَّلي - وظائف ليتورجية (انظر: صلاة تكريس القس - في التقليد الرسولي لهيبوليتس*)، أما وظيفة "الأسقفية" فكانت منذ البدء ليتورجية قبل كل شيء، شأنها شأن "الشمَّاسية" (انظر صلاة تكريس الشمامسة - التقليد الرسولي لهيبوليتس*).

أي أن تاريخ الأسقفية تضمَّن تفككاً مطّرداً في تفرُّدها بالخدمة الليتورجية، هذا التفكُّك الذي لم يكن ممكناً تجنُّبه إذ أنه بنمو الكنيسة وجب أن يصير هكذا لمجرَّد ضرورة (التزايد العددي)]: Gregory Dix (S.P.C.K.) *Apost. Trad. of St. Hippolyt. of Rome,* pp. lxxix & lxxx.

*** صلاة لرسامة أسقف (تكريس أسقف)**

(مترجمة عن الأصل اليوناني للقوانين الرسولية *Apost. Constitution* للقديس هيبوليتس - القرن الثالث)

١. يا الله وأبو ربنا يسوع المسيح، أبو الرأفات وإله كل تعزية، "الساكن في الأعالي والناظر إلى المتواضعات"، الذي يعرف كل الأشياء قبل كونها.

٢. أنت الذي حدَّدتَ حدود كنيستك "بكلمة نعمتك"، الذي سبقتَ فعيَّنتَ منذ البدء جنس البر من إبراهيم، وأقمتَ رؤساءً وكهنة ولم تترك مَقدِسك بلا خُدَّام، الذي سررتَ منذ تأسيس العالم أن تتمجَّد في الذين اخترتهم.

٣. الآن أيضاً اسكب قوَّة الروح الرئاسي، التي من عندك، التي دفعتها إلى ابنك الحبيب يسوع المسيح، التي وهبها لرسلك القديسين الذين أسَّسوا الكنيسة في مواضع قدسك، لتمجيد اسمك بلا انقطاع.

٤. أيها الآب، "العارف قلوب الجميع"، امنح عبدك هذا الذي اخترته للأسقفية **ليرعى** قطيعك المقدَّس، ويكمِّل لكَ رئاسة الكهنوت، **ويخدم** بلا لوم ليلاً ونهاراً بلا انقطاع، لكي يسترضي وجهك ويقدِّم لك قرابين كنيستك المقدَّسة.

٥. ولكي بروح رئاسة الكهنوت يحوز سلطاناً **ليغفر الخطايا** حسب وصيتك، ويعطي قسماً (κλήρους) أي الرسامات الخاصة بدرجة الكهنوت) كأمرك، **وليحلّ كل رباط** بسلطانك الذي أعطيته للرسل، ويرضيك بوداعة وقلب نقي، ويصعد إليك رائحة سرور.

٦. بابنك يسوع المسيح ربنا، الذي لك معه ومع الروح القدس المجد والقوَّة والكرامة، الآن "وكل

ولكن في البدء لم يكن هناك تفريق بين كلمة القس وكلمة الأسقف في شيء، وكانت هذه الدرجة تتوقّف كليًّا على "الموهبة" الممنوحة من النعمة للشخص، فالذي يزكّي أي إنسان لدرجة القسوسية أي الأسقفية، لرعاية وتدبير وحكم الكنيسة، هو الروح القدس، بما يسبق ويمنحه للإنسان من مواهب للقيادة والتدبير.

وموهبة القيادة والتدبير، موهبة دقيقة للغاية لأنها ليست موهبة حرَّة منفردة كبقية المواهب، مثل موهبة النبوَّة أو البشارة أو التعليم، ولكنها مرتبطة بمسئوليات ثابتة وخطيرة، إذ أن الشخص يكون مسئولاً عن كافة الرعية، بما في ذلك أصحاب المواهب الممتازة. لذلك استلزمت موهبة التدبير كفاءة وإلهاماً خَاصَّيْن، يؤهِّلانها أن تكون على مستوى الأبوَّة الكاملة لكافة الشعب، وفي نفس الوقت أن تكون على مستوى كافة المواهب

أوان" وإلى دهر الدهور آمين. Ibid., pp. 4-6

* **رسامة (تكريس) قس**

(مترجمة عن الأصل اليوناني *Apost. Constit.*)

١ - يا الله وأبو ربنا يسوع المسيح ...

٢ - ...

٣ - ... بلا انقطاع (نفس الفقرات ١ - ٣ في صلاة رسامة الأسقف).

٤ - اطّلع على عبدك هذا الذي اخترته ليُعطَى القسوسية، واملأه من روح النعمة والمشورة، ليعضد ويدبِّر شعبك بقلب نقي.

٥ - وكما اطّلعتَ على شعب اختيارك، وأمرتَ موسى أن يختار شيوخاً، (أولئك) الذين ملأتهم من الروح.

٦ - هكذا الآن يا رب امنح أن يبقى روحُ نعمتك بيننا لكي - إذ يمتلئ من أعمال الشفاء وكلمة التعليم، يهذِّب بوداعة شعبك، ويخدمك بفكر نقي ...، ويكمِّل الخدمات الكهنوتية لشعبك بغير عيب بمسيحك، الذي لك مَعه ومع الروح القدس، المجد والكرامة والعبادة إلى الدهور. آمين.

Ibid., pp. 13 & 14.

الأخرى وليس من دونها(٣).

ومن هنا بدأت شروط اختيار القس أو الأسقف ذات تدقيقات كثيرة، ولكن أهمها على وجه العموم أن يكون صاحب "موهبة التدبير"، أي يكون له إلهام القيادة وتصريف الأمور والقدرة الروحية التي لا تُخطئ في الحكم على الأمور: «يَحكُم في كل شيء، وهو لا يُحكَم فيه من أحد.» (١كو ٢:١٥)

ومن الأمور الواضحة جدًّا في الكنيسة الأُولى أن القس أو الأسقف لم يكن له مفهوم الرئاسة المطلقة على الكنيسة، فالشعب كان يشترك اشتراكاً فعليًّا في كافة مسئوليات الكنيسة حتى في أدق الأمور، فلم يكن القسوس أو الأساقفة ينفردون بالتدبير، أو بإصدار الأحكام من دون اجتماع الشعب ومشورته، وخاصة أصحاب المواهب فيه(٤).

---

(٣) [١. اختاروا إذن لأنفسكم أساقفة وشمامسة، لائقين بالرب، رجالاً ودعاء نزيهين، أمناء مزكّين؛ لأنهم يكمّلون أيضاً لكم خدمة الأنبياء والمعلّمين. ٢. فلا تحتقروهم إذن، لأن هؤلاء هم المكرَّمون بينكم مع الأنبياء والمعلّمين.] (الديداخي ١٥: ١، ٢)

[... لأجل هذا أيضاً أيها الأسقف، أسرع أن تَثبُت طاهراً في أعمالك كلها، و(أن) تعرف موضعك ورتبتك أنك **مثال الله قدَّام الناس لما صرت رئيساً على الناس كلهم: الكهنة والملوك والرؤساء والآباء والأولاد والمعلّمين وكل الذين تحت خضوعك.**] (الدسقولية ٣: ٥٢)

(٤) [وأما أنت (المخاطَب هنا هو الأسقف) فتأمَّل الذي يُقرِّفونه، وانظر عيشته بحكمة لتعلم مَنْ هو، وأي نوع هو.

فإذا وجدتَ الذي قيل لكَ لأجله حقًّا، اصنع معه كتعليم الرب: خذه وحده وليس معك أحد، ووبِّخه بينك وبينه لكي يتوب.

فإذا لم يطع خُذ معك آخر أو اثنين. وهكذا فقل له توانيه واردعه بوداعة وحكمة ... فإذا طاب قلبه بكلامكم أنتم الثلاثة، فالخير يكون له. وأيضاً إن لم يسمع من الإكليروس، فقل للكنيسة. فإن لم يُطع الكنيسة، فليكن عندك مثل الأُممي والعشَّار، ولا تقبله في الكنيسة كمسيحي بل استعفِ منه

وهذا نراه مطبَّقاً حتى في كنيسة الرسل بأورشليم التي كانت تضمّهم جميعاً: «حينئذ رأى الرسل والمشايخ (القسوس) **مع كل الكنيسة**، أن **يختاروا** رَجُلَيْن منهم، فيرسلوهما إلى أنطاكية.» (أع ١٥: ٢٢)

ولم يكن هذا مجرَّد تنازل عرفي، ولكن سجَّله الرسل في الخطاب الرسمي الذي أرسلوه إلى أنطاكية، فجعلوا بذلك لمشورة الكنيسة الصفة الرسمية الحتمية في التقرير: «الرسل والقسوس **والإخوة** ... رأينا وقد **صرنا بنفس واحدة**، أن **نختار** رَجُلَيْن ونُرسلهما إليكم.» (أع ١٥: ٢٣-٢٥)

ومن هذه الصيغة الكنسية الرسمية، يظهر معنى الكنيسة وطبيعتها وبالأخص من حيث تدبيرها.

فموهبة القيادة والتدبير تشمل ضمن صميم عملها وإلهامها، قدرة القس أو الأسقف على اشتراك الشعب في التدبير، واستخلاص حكم الله من أفواه الرعية!

وهذا بطبيعة الحال، يُزيد من أهمية وخطورة التدبير في قيادة الكنيسة ورعايتها، ويكشف مدى الإلهام الحقيقي الذي في موهبة التدبير.

والمعروف في الكنيسة الأُولى أن موهبة القيادة والتدبير كانت موهبة قائمة بذاتها، وعملها هو الهيمنة على كافة المواهب الموجودة في الكنيسة، من نبوَّة وبشارة وتعليم وخدمة، وتنسيق عمل أصحاب هذه المواهب وتوجيهها، بالإضافة إلى إمكانيات المدبِّر نفسه، الموهوبة له لبناء النفوس وقيادتها بالروح، أي الرعاية. أي أن موهبة التدبير هي موهبة قائمة

كأُمي. فإذا أراد أن يتوب اقبله إليك مثل أُمي لأنك لا تقبل إليك الأُمي والعشَّار لكي يشتركا معك قبل أن يتوب الواحد منهما ويرجع عن نفاقه الأول ...] (الدسقولية ٨: ٦-١٢)

أساساً على افتراض وجود مواهب أخرى، وذلك لقيادتها ومباشرة عملها وتنسيق اختصاصاتها، وتشجيعها وإضرامها، وامتحانها وتمييزها.

وبذلك كانت موهبة التدبير غير مستقلة بكيانها كموهبة منفصلة عن باقي المواهب، ولكنها في نفس الوقت لها عملها الخاص بعد كل المواهب الأخرى وفوقها.

+ «**أنبوَّة** فبالنسبة إلى الإيمان، أم **خدمة** ففي الخدمة، أم **المعلِّم** ففي التعليم، أم **الواعظ** ففي الوعظ ... **المدبِّر فباجتهاد.**» (رو ١٢: ٦-٨)

وهذا في الواقع وضع إلهي للكنيسة، لأنه يُعطي فرصة لازدهار المواهب ونموها، وفي نفس الوقت يضبطها ويمنع تعارضها أو تداخلها معاً.

فمن أخطر مسئوليات المدبِّر أن لا يطغي على أصحاب المواهب، بسبب أمور شخصية أو جهل أو عناد، فيطفئ الروح من الكنيسة: «لا تطفئوا الروح(٥)، لا تحتقروا النبوَّات(٦)، امتحنوا كل شيء(٧)» (١تس

---

(٥) [وأما الأنبياء، فدعوهم يشكرون، بقدر ما يريدون.] (تعاليم الرسل - الديداخي ١٠: ٧)

(٦) [وكل نبي يتكلّم بالروح (القدس)، لا تجرِّبوه ولا تفحصوه، لأن كل خطية تُغفر، أما هذه الخطية فلن تُغفر.] (الديداخي ١١: ٧)

(٧) [١. كل مَنْ يأتيكم ويعلّمكم كل الأشياء المتقدِّم ذكرها فاقبلوه.

٢. ولكن إن كان الذي يعلّم، يغيِّر من نفسه ويعلّم تعليماً آخر للهدم، فلا تصغوا إليه؛ أما إذا كان يعلّم من أجل ازدياد البر ومخافة الرب، فاقبلوه كالرب.

٣. أما من جهة الرسل والأنبياء، فطبقاً لأمر الإنجيل تصرَّفوا بهذه الطريقة:

٤. كل رسول يأتيكم فاقبلوه كالرب؛

٥. ولا يمكث أكثر من يوم واحد، وإذا وُجدت ضرورة فيوماً آخر أيضاً؛ فإن بقي ثلاثة أيام فهو نبي كذّاب.

٦. وفي رحيل الرسول لا يأخذ سوى الخبز للطريق، فإن طلب فضة فهو نبي كذاب.

٨. لكن ليس كل مَنْ يتكلّم بالروح هو نبي، بل مَنْ كانت له طرق حياة الرب. فمن أساليب

٥: ١٩-٢١). لذلك فإن التدبير في الكنيسة لزم أن يكون "موهبة وإلهام ونعمة"، وليس قدرة شخصية أو كفاءة ذاتية!

وفي نفس الوقت، لا يمكن أن يستهين أصحاب المواهب بالمدبِّر، أي القس أو الأسقف، لأنه صاحب "موهبة" أيضاً، وموهبة التدبير لها الهيمنة والإشراف على كافة المواهب قاطبة ...

والذي يعطي موهبة التدبير صفتها الإلهية فوق المواهب الأخرى، هو وضع اليد؛ فهي الموهبة الوحيدة التي لا يمكن أن تأخذ عملها وتباشر سلطانها ومسئوليتها داخل الكنيسة، إلا بوضع اليد. فوضع اليد يرفع موهبة التدبير فوق كافة المواهب الأخرى، باعتبار أن وضع اليد بمثابة ختم رسولي لتسجيل موهبة التدبير، وإعطائها **اختصاصات** رسولية.

ولكن هذا الامتياز الرسولي الفائق لا يعطي المدبِّرين، قسوساً أو أساقفة، فرصة التعالي على الشعب، بل يزيد من قدرتهم في اقترابهم واتحادهم بالشعب(٨)...

لأن كافة الامتيازات الروحية التي لموهبة القسوسية أو الأسقفية، لا يظهر

حياته إذن، يُعرف النبي الكاذب والنبي الحقيقي.

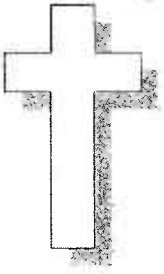
٩. كل نبي يأمر بمائدة بالروح ولا يتعفف عن الأكل منها، فهو نبي كذاب.

١٠. وكل نبي يعلِّم بالحق ولا يعمل بما يعلِّم، فهو نبي كذاب] (الديداخي ١١: ١-٦، ٨-١٠)

(٨) [٤٤. ارع القطيع بغير غطرسة ولا ازدراء كأن لك عليهم سلطاناً، لكن كراعٍ صالح تجمع الحملان إلى حضنك وتقوّى الحبالى فكن رحيماً صالحاً وديعاً ... ولا مترفع القلب ... ٤٥. ولا تمزأ بالشعب الذي تحتك] (دسق ٤: ٤٤، ٤٥).

[ولكن لا يهون الملك بأجناده وعساكره الذين هم دونه. لا يهون الرؤساء من هم دونهم ... الرؤساء لا شيء إذا لم يكن لهم مَنْ يرأسون عليه ... ولا يتعال الأسقف على الشمامسة والقسّاء ولا يتعالى القسّاء على الشعب لأن قيام الكنيسة بعضها ببعض. لو لم يكن علمانيون على مَنْ يكون الأسقف أو القسيس.] (قوانين الآباء الرسل: الباب ٤٩)

مجدها أو إكليلها في الحياة الحاضرة. «أطلب إلى **الشيوخ (القسوس)** الـذين بينكم، أنا **الشيخ (القس) رفيقهم** والشاهد لآلام المسيح، وشريك المجد العتيد أن يُعلَن. ارعوا رعية الله التي بينكم نُظَّاراً (أساقفة)، لا عن اضـطرار بـل بالاختيار؛ ولا لربح قبيح بل بنشاط، **ولا كمَنْ يسود على الأنـصبة**، بـل صائرين أمثلة للرعية. **ومتى ظهر رئيس الرعاة، تنالون إكليل** المجد الـذي لا يبلَى.» (١بط ٥: ١-٤)



تداخل موهبة التدبير في موهبة التعليم

بتقدُّم الكنيسة في الزمن وظهور تعاليمها واحتكاكها المستمر بالثقافات والفلسفات اليونانية، ابتدأت تواجه مبادئ وأفكاراً وتعاليم غريبة، احتاجت منذ أول ظهورها إلى قدرة كبيرة لمحاجاتها وتفنيد أخطائها، وقطع الطريق عليها لمنع انتشارها بين المؤمنين السذج، فابتدأ التعليم في الكنيسة يحتاج إلى سلطة، وابتدأت السلطة في الكنيسة تحتاج إلى عمق كبير ووعي في التعليم متزايد.

لذلك اضطرت الكنيسة لمواجهة هذا الضغط المتزايد، أن تمزج بين موهبة التعليم وموهبة التدبير بحكم الظروف الصعبة، فجعلت من بعض معلّمين قسوساً.

وبذلك ابتدأت تظهر في الكنيسة فئة جديدة من المدبِّرين أي القسوس، لهم صفة "التدبير التعليمي" بجوار التدبير الرعوي، هذه الفئة أوضحها بولس الرسول: «والبعض رعاة ومعلّمين.» (أف ٤: ١١)

وهكذا صار لدى الكنيسة رعاة **مدبِّرين** (**حاكمون**)، ورعاة **معلّمون**:

رعاة مدبِّرون[٩] πρεσβύτεροι κυβερνῶντες

---

(٩) **الرعاة المدبِّرون (الأساقفة):**

على مدى الدسقولية كلها، نرى أن كل أثقال المؤمنين وتدبير احتياجاتهم الروحية والجسدية – كجماعة بصفة عامة وكأفراد بصفة خاصة – ملقاة على الأسقف (دسق ٥: ٣٨-٤٠)، يعاونه في ذلك

رعاة معلّمون(١٠) πρεσβύτεροι διδάσκοντες

ثم ابتدأ أن يُشترط في الأساقفة عند اختيارهم، لا موهبة التدبير فحسب بل زيد على ذلك القدرة على التعليم، وذلك بسبب الظروف الصعبة التي بدأت تواجهها الكنيسة في مقاومة التعاليم الغريبة. ولكن لم تشترط الكنيسة في الأسقف أن يكون صاحب "موهبة تعليم"، بل اكتفت فقط أن يكون «**صالحاً للتعليم**» (١تي ٣: ٢). لأنه يتعذر فعلاً العثور على إنسان له موهبة التعليم وموهبة التدبير معاً، لاختلاف طبيعة كل من هاتين الموهبتين عن الأخرى.

الشمامسة المتَّصلون به اتصالاً مباشراً دون وسيط، باعتبارهم "أعين وآذان وفم الأسقف" (٨: ٥٠)

فعلى الأسقف أن يقوم بالتعليم العام للشعب (٣: ٢١-٢٣)، والتعليم الفردي للجُهَّال (٣: ٢٠ و٣٩-٤٥، ٤: ٣٨)، وإنذار المنافقين (٣: ٣٠-٣٨)، وتقوية الضعفاء (٣: ٧٠، ١٥: ١١)، وطلب الضالين وردهم وتثبيتهم (٣: ٣٩، ٤: ٣٩ و٤٠)، وتشجيع صغار النفوس واليائسين (٤: ٣٦، ٨: ٢٠، ١٥: ١١) وبذله ذاته عنهم (٤: ٣٧)، وتعزية الثابتين (٣: ٥٣)، وتجنُّب إعثار ناقصي القامة (٣: ٤٦-٤٨، ٤: ٩-١٢ و١٦ و١٧)، وتوبيخ المخطئين (٤: ١٣، ٨: ٦-٩)، وقبول التائبين (٣: ٥٣-٥٥ و٦٠-٦٢) والعفو عنهم (٤: ١٥-٢١، ٨: ٢٢-٢٤)، والحكم باستقامة في القضايا (٣: ٥٩، ٨: ١-٣ و٥٣ و٦١-٨٧)، ومعاقبة المذنبين (٤: ٦، ٨: ٦٧-٧١ و٨٣ و٨٤)، وردع الأشرار أو قطعهم (٨: ٣٧-٤٤)، وسد احتياجات رجال الإكليروس وخدم الكنيسة (٦: ١٧-٢٣)، ورعاية الأرامل (٦: ٢٠، ١٢: ١، ١٧: ١) والأيتام (١٧: ١-٤)، وسد أعواز الغرباء، والمتضيقين، والمساكين، والجياع والعطاش، والعرايا، والمرضى، والمسجونين، والذين ليس لهم مكان، والمنفيين (٣: ١٦، ٦: ١٧، ١٢: ١٢-١٧).

وواضح من تعاملات الأسقف - السابق ذكرها - مع شعبه على اختلاف طوائفهم فرداً فرداً، أن إيبارشية الأسقف كانت محدودة - كنيسة أو قرية أو مدينة واحدة (انظر: دسقولية ٣: ١-٢)؛ إذ أن نظام الأسقفية الواحدة على عدة مراكز رعوية Monarchical Episcopate لم يكن قد وُجِدَ بعد.

(١٠) **الرعاة المعلّمون (القسوس)**:

أما القسوس، فالدسقولية لا تتكلّم بشأنهم كثيراً. ويظهر دورهم أنهم معلّمون للكنيسة كجماعة (المقدِّمة: ٣، ٦: ١٠، ٢١)، بالإضافة إلى قيامهم بتعليم الموعوظين وتعميدهم (١٥: ٣٦)؛ كما أنهم مشيرو الأسقف (٦: ٢١)، وأعضاء في مجلس الحكم (٨: ٦٢).

ولكي يكون الأسقف «صالحاً للتعليم»، يرى الإنجيل أنه ينبغي أن يجتهد بذاته للحصول على المعرفة باجتهاده، وهذا طبعاً يختلف عن صفات الموهبة، لأن "موهبة العلم" لا تعتمد على الاجتهاد الشخصي. وهذا نقرأه بوضوح في الشروط التي يضعها القديس بولس الرسول لصلاحية الأسقف أن يكون الأسقف: «ملازماً للكلمة الصادقة التي بحسب التعليم، لكي يكون قادراً أن يعظ بالتعليم الصحيح ويوبِّخ المناقضين.» (تي ١: ٩)

وهنا يتبيَّن أن أمر انتخاب الأسقف ولياقته لا يتعلَّق بموهبة التعليم، وإنما بالدراسة المستمرة والقراءة والتحصيل الشخصي، حتى يكون "قادراً" أن يعظ ويوبِّخ ويناقض التعليم الغريب(١١).

ولكن هذه القدرة الجديدة المطلوبة من الأسقف، لا تعني أنه يمكنها في حال من الأحوال أن تلغي مواهب التعليم التي يمنحها الروح القدس لأفراد الشعب، لأن موهبة التعليم التي ينالها الموهوبون بالنعمة إيجابية مطلقة لبناء الإيمان؛ أما القدرة على التعليم التي يتحصَّل عليها الأسقف من القراءة والدراسة، فهي لمجرَّد التمييز بين التعليم الصحيح والخطأ.

وحينما يشير بولس الرسول، إلى أهمية قدرة الأسقف على أن «يفصِّل كلمة الحق بالاستقامة» (٢تي ٢: ١٥)، يستخدم كلمة

---

(١١) [وليكن الأسقف غير شرير، صابر القلب في التعليم، يعلِّم كل حين، ويدرس ويجتهد في الكتب الربانية، ويستمر في القراءة ليفسِّر الكتب بتأن ...] (دسق ٣: ٢١)

[اهتم بالكلمة أيها الأسقف، لكي إذا كانت لك قدرة فسِّر الكتب كلها - كل حرف (فيها)، لكي تُشبع شعبك وتسقيه من نور الناموس بغنَى، بواسطة كثرة تعليمك "أضيئوا بنور المعرفة - قال الرب - مادام الزمان".] (دسق ٣: ٢٣؛ انظر كذلك الفقرات ٣: ٣٠ - ٤٠)

«يفصِّل» أو "يقطع" وهي كلمة ذات أصل ومدلول طقسي قديم، فهي نفس الكلمة المستخدمة في طقس "تقطيع" الخروف على المذبح، وتفيد التقسيم الصحيح وفصل ما يصح أن يقدَّم لله، مما لا يصح تقديمه.

وهنا نجد أن بولس الرسول يجعل "الكلمة" تحل محل "الخروف" فيقول: «يفصِّل (أو يقطِّع) كلمة الحق» وطبعاً المسيح هو المرموز إليه سواء في الخروف أو «كلمة الحق» أي أن الأسقف يلزم أن يكون واعياً تماماً للكلام الذي يطابق شخص المسيح ولاهوته، فأصبحت كلمة "يقطع" أو «يفصِّل» هنا ذات مدلول لاهوتي صرف(١٢).

فالأسقف هو حارس التعليم الصحيح، أكثر منه معلِّم، وهو عليه أن يميِّز الكلام، أكثر مما يتكلَّم.

وهذا يطابق وظيفته تماماً "كناظر من أعلى"، أي كمَنْ يشرف على كل ما يُقال في الكنيسة.

فإذا ابتدأ الأسقف يعلِّم بنفسه، فإنه في الحقيقة يكون قد نزل قليلاً عن مستواه كأسقف إلى مستوى المعلِّم، حيث يُحتمل أن يكون تحت مراقبة غيره وحكم آخرين، خصوصاً إذا دخل في مجال التنبُّؤ.

---

(١٢) [... (الأسقف) ... ويفسِّر الإنجيل باتفاق مع الأنبياء والناموس، هكذا أيضاً فليكن تفسير الناموس والأنبياء متَّفقاً مع الإنجيل - لأن الرب قال: «فتِّشوا الكتب فهي تشهد لأجلي» (يو٥:٣٩) وأيضاً: «لأن موسى كتب من أجلي»(يو٥:٤٦).

ولكن قبل كل شيء، (عليه أن) يميِّز جيداً الناموس الحقيقي من الناموس الثاني، ويُظهر ما هو الناموس قدَّام المؤمنين، وما هو رباط الناموس الثاني لغير المؤمنين - لكي لا يكون أحد تحت الرباطات.] (دسق ٣: ٢١، ٢٢)

ولكن بختام العصر الرسولي تقريباً، وبسبب قيام انحرافات وبدعٍ إيمانية خطيرة بدأت تهدِّد الكنائس، مالت الكنيسة أكثر إلى ضرورة الجمع بين موهبتي التعليم والتدبير: «أما الشيوخ (القسوس) **المدبِّرون حسناً**، فليُحسبوا أهلاً لكرامة مضاعفة، ولا سيما الذين **يتعبون في الكلمة والتعليم**.» (١تي ٥: ١٧)

أما بعد انتهاء العصر الرسولي، فقد صار من المحتَّم على الأسقف أن يكون معلِّماً قبل كل شيء، بسبب دخول الكنيسة في حرب مع الهراطقة والمعلِّمين الكذبة، الذين لم يكفوا أبداً حتى اليوم.

انتقال اختصاصات الرسل في الحل والربط، إلى الأسقف بوضع اليد:

لقد وهب الرب الرسل موهبة أخرى فوق كل المواهب وهي موهبة الحل والربط، التي هي مغفرة الخطايا وعدم مغفرتها.

وتُعتبر هذه الموهبة حابسة لكافة المواهب بسبب نفاذ مفعولها على مستوى سمائي، فالحل والربط أو الغفران وعدم الغفران الذي يجريه الرسول على الأرض يصير نافذ المفعول في السماء، هذا السلطان الخطير أُعطي للكنيسة امتداداً سريًّا ودخولاً صميميًّا في الحياة الأخرى الأبدية. كما أمدَّ الرسل بقوَّة فائقة لرفع ثقل الخطايا وآثارها من ضمائر الشعب، كنعمة وهبة عالية من هبات المسيح الفائقة الوصف. فابن الإنسان الذي له وحده السلطان أن يغفر الخطايا على الأرض، سلَّم الرسل هذا السلطان عينه، كامتداد لوجوده وبرهان على عمله الدائم في الكنيسة: «ها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر.» (مت ٢٨: ٢٠)

ولقد ظهرت قيمة هذا السلطان الذي للحل والربط أكثر فأكثر في محيط التدبير الكنسي، حينما واجهت الكنيسة مواقف حرجة وصعبة،

إزاء معلّمين ومدبّرين وأساقفة مبتدعين خارجين عن الإيمان الصحيح.

لذلك صار من الضروري، بل ومن المحتَّم أن يسلِّم الرسل سلطان الحل والربط للأساقفة بوضع اليد الرسولية، حتى يباشروا تدبير الكنيسة بنفس القوَّة والسلطان الرسولي المسلَّم من المسيح نفسه(١٣).

ومن أمثلة رؤساء الكنائس الذين نالوا هذا السلطان الرسولي بوضع اليد، برنابا وتيموثاوس وسلوانس وأندرونيكوس وسيلا ومرقس، وبقية الذين عيَّنهم الرسل أساقفة بوضع اليد، فصاروا واعتُبروا أساقفة رسوليين، الذين تسلسل منهم بقية الأساقفة من جيل إلى جيل.

ولكن لم تنتقل "موهبة الرسولية" نفسها إلى الأساقفة بوضع اليد، إنما الذي انتقل إليهم هو اختصاصات الرسل وليس مواهبهم.

فـ"موهبة الرسولية"، كانت بحد ذاتها موهبة فريدة أعطاها المسيح لأفراد معيَّنين ولم تتكرَّر في الكنيسة، وقد كانت هذه الموهبة فريدة فعلاً لأنها جمعت في ذاتها كافة المواهب. فالرسل كانوا أنبياء وبشيرين، ومعلّمين وأصحاب لغات، وذوي كلام حكمة وكلام علم، وأصحاب تمييز أرواح وحُكاماً ومدبّرين، وشهداء، وفوق ذلك كله تقدَّسوا برؤية الرب وسماع كلامه: «أنتم الآن أنقياء لسبب الكلام الذي كلَّمتكم به.» (يو ١٥: ٣)

---

(١٣) [... فإن لك السلطان أن تدين الذين أخطأوا، لأنكم (أيها الأساقفة)، أنتم الذين قال لكم: «الذي تربطونه على الأرض يكون مربوطاً في السموات، والذي تحلونه على الأرض يكون محلولاً في السموات» (راجع يو ٢٠: ٢٣). احكم أيها الأسقف بسلطان كمثل الله - لكن الذين يتوبون اقبلهم إليك ...] (دس ٣: ٥٢، ٥٣)

هذه المواهب كلها توزَّعت بعد ذلك فصار من العسير أن تجد بعد الرسل أسقفاً يحمل أكثر من موهبة! ...

لذلك فوضع يد الرسولية، لم تنقل مواهب الرسل للأساقفة وإنما نقلت إليهم اختصاصاتهم والتزاماتهم فقط؛ وأهمَّها حفظ الإيمان، والتعليم الصحيح، وتدبير الرعية، وفصل كلمة الحق باستقامة، والفقر، والاستعداد للاستشهاد.

أما مواهب الرسولية وإلهاماتها، فظلَّت من اختصاص الروح القدس يمنحها لواحد بقدر، ولآخر بقدر آخر؛ كمسرَّة الله، واستعداد الشخص واستحقاقه.

الروح القدس
وحركات التبشير المعاصرة

أغسطس سنة ١٩٧٦

الروح القدس والحركات التبشيرية المعاصرة ٢٩ ج٢

الروح القدس وحركات التبشير المعاصرة

✝✝✝

يموج العالم اليوم بحركات روحية كثيرة ذات طابع تبشيري، يصحبها أحياناً مواهب، مثل موهبة الشفاء، وإخراج الشياطين، والتكلُّم بألسنة، وغير ذلك، ويشترك في هذه الحركة جماعات من كل الكنائس: بروتستانتية وكاثوليكية وأرثوذكسية (خلقيدونية) مع كهنة وأساقفة وكاردينالات.

ويلزم أن نعبِّر للقارئ عن موقفنا من هذه الحركات:

أولاً: الكنيسة القبطية الأرثوذكسية كنيسة تقليدية محافظة، تقبل تاريخيًّا ولكنها لا تعترف لاهوتيًّا بأية حركة روحية خارجة عنها، لأن الموافقة اللاهوتية تلتزم حتماً بموافقة عقائدية مسبقة. ولكن الكنيسة القبطية ليست منعزلة فهي تقيس نفسها على حركة الروح في كافة أنحاء العالم لكي لا تكون أقل بل أكثر دائماً.

ثانياً: من جهة المواهب، كان من تقليد الكنيسة وواجباتها الأساسية، أن كل موهبة خارج الأسرار السبعة التقليدية تظهر في الشعب، يلزم أن تتحقَّق منها الكنيسة بمعرفتها في الحال؛ فإذا تأكَّدت من صحتها، أعلنت ذلك وأدخلت صاحبها ضمن الدرجات الكهنوتية(١)، إذا لم

---

(١) القوانين الرسولية لهيبوليتس "١٠": [إذا قُيِّد معترف بالسلسلة وأُلقي في السجن من أجل اسم، فلا ينبغي أن توضع عليه اليد ليكون شماساً أو كاهناً لأنه أصبح مالكاً لوظيفة (كرامة τιμή) الكهنوتية باعترافه، ولكن إذا اختير ليكون أسقفاً أن توضع عليه اليد].

يوجد ما يمنعه عن ذلك، لتصير خدمته من داخل الكنيسة وتحت ملاحظتها(٢). أما إذا تحقّقت من عدم صحتها منعت صاحبها من القيام بأي اتصال بالشعب وأعلنت ذلك. وأي إبطاء في ذلك يصيب الكنيسة ببلبلة.

ثالثاً: ما يتردَّد اليوم بخصوص هذه المواهب، نود أن نعلن أن في حالة ظهور مواهب روحية مفاجئة (تؤمِّن الكنيسة على صحتها بعد فحصها) في أي شخص مؤمن نال المعمودية ومارس بقية الأسرار، لا يكون ذلك برهاناً على ضعف أو بطلان الأسرار أو عدم فاعليتها؛ بل على العكس فإن هذا يُعتبر فعلاً إضافيًّا من أفعال الروح القدس، أُضيف على عمل الروح في الأسرار، ليهيِّئ الشخص لعمل إضافي للخدمة، أو التبشير، أو الشهادة، أو لمجرَّد الإعلان عن حقيقة عمل الروح القدس ووجوده في الهيكل البشري الجديد، لإثبات صحة الإنجيل وحقيقة الروح القدس نفسه.

رابعاً: لا يسمَّى عمل الروح القدس الإضافي هنا "معمودية" بأي حال من الأحوال، بل يسمَّى امتلاءً بأفعال إضافية للروح القدس كقول الكتاب للمؤمنين في أفسس: «امتلئوا بالروح، مكلِّمين بعضكم بعضاً بمزامير وتسابيح وأغاني روحية، مترنِّمين ومرتِّلين في قلوبكم للرب» (أف ٥: ١٨، ١٩)، أو **يسمَّى إضرام الموهبة** التي في الإنسان

انظر: *The Apost. Trad.*, by Greg. Dix, p. 18

(٢) القوانين الرسولية لهيوليتس "١٥": [إذا أخذ أحد العلمانيين موهبة الشفاء باستعلان، يُعتبر كاهناً بدون وضع اليد عليه لأن الأمر ظاهر بحد ذاته (لأن العمل نفسه سيُظهر ذلك)].

أصلاً كقول بولس الرسول لتيموثاوس: «أُذكِّرُك أن تضرم أيضاً موهبة الله التي فيك بوضع يديّ، لأن الله لم يعطنا روح **الفشل** بل روح **القوَّة** والمحبة والنصح» (٢تي ١: ٦، ٧)، «لا تهمل الموهبة التي فيك المعطاة لكَ بالنبوَّة مع وضع أيدي القسوسية. اهتم بهذا وكُن فيه، لكي يكون **تقدمك ظاهراً** في كل شيء. لاحظ نفسك والتعليم وداوم على ذلك، لأنك **إذا فعلت هذا تخلِّص نفسك والذين يسمعونك أيضاً**.» (١تي ٤: ١٤-١٦)

ويلزم أن يدرك كل أرثوذكسي أن كلمة "المعمودية بالروح القدس" التي تُقال اليوم على كل إنسان يمتلئ بفعل الروح القدس، محاولة خبيثة للانتقاص من سر المعمودية. فلو أدرك القارئ أن كلمة "المعمودية بالروح القدس" لا تستقيم هكذا بمفردها، إذ يلزم أن يُفهم أنها **معمودية بالروح القدس للمسيح**، لأن الذي يعتمد بالروح **يعتمد لموت المسيح وقيامته**، وهكذا يستحيل أن تتكرَّر المعمودية(٣). كذلك يتضح أن كلمة معمودية بالروح لا تقتصر على مفاعيل ظاهرة بل تشمل اتحاداً سريًّا بموت المسيح وقيامته ونوال سر الحياة الأبدية.

ويمكن مقارنة عمل الروح القدس في سر المعمودية، ثم عمله بعد ذلك عندما يتقبَّل الإنسان مفاعيل جديدة (حيث تضرم الموهبة الأُولى وتصير متقدة بغيرة للخدمة والحب والبذل) بما تم في حياة المسيح.

---

(٣) أي أن الإنسان بالمعمودية يجوز الموت فعلاً ويقوم للحياة الأبدية فعلاً، فهل يمكن أن يموت الإنسان مرتين أو يقوم مرتين؟ إن تكرار المعمودية فوق أنه جهل بلاهوت الخلاص، هو أيضاً تلويث لقانون الإيمان: [ونعترف بمعمودية **واحدة** لمغفرة الخطايا ...].

ففي المعمودية في الأردن حلَّ الروح القدس على المسيح، فاقتاده للجهاد الشخصي والتجربة مع الشيطان، ثم على جبل التجلِّي ظهر بنور ومجد ظاهري وشهادة من الآب مسموعة؛ هكذا يعمل فينا الروح القدس أولاً في الداخل وبعد ذلك في الخارج، أولاً نرتوي نحن وثانياً نروي الآخرين.

خامساً: وامتداداً من النقطتين السالفتين، أي أن مواهب الروح القدس التي تظهر على المؤمنين بعد نوالهم الأسرار الكنسية التقليدية هي مواهب إضافية أو أفعال ممتدَّة من فعل أو **موهبة الأسرار السابقة**، «اضرم الموهبة **التي فيك**»، يتبيَّن لنا بوضوح أن هذه المواهب هي أفعال إضافية يعطيها الروح أو لا يعطيها، وقد يأخذها إنسان ولا يأخذها آخر؛ فهي ليست حتمية. لذلك **فالسعي الزائد إليها أو الإلحاح الشديد لنوالها** وخصوصاً من الأشخاص الذين لم يقع عليهم اختيار الله للخدمة يعتبر انحرافاً خطيراً قد يفسد الإيمان ويوقع الإنسان إما في خطر اليأس في حالة عدم النوال، أو في خطر العجرفة والاستظهار في حالة نوال هذه المواهب الإضافية، إذ يشعر في نفسه كأنه نالها بذراعه وبدون الكنيسة!!

أما بالنسبة للذين اختارهم الله للخدمة، أو تقدَّموا هم لحمل نيرها في الكهنوت والشموسية، فإن السعي الحثيث (بالصلاة المتخصِّصة)، لإضرام الموهبة التي فيهم التي أخذوها بوضع اليد، ليتَّقد فيهم فعل الروح القدس وقوَّته، يعتبر واجباً مستمراً والتزاماً كنسيًّا، إذا أهملوه يحسبه عليهم الكتاب على لسان بولس الرسول أنه "روح فشل" حلَّ

فيهم عوض "روح القوَّة"، وأنه تقهقر في حمل مسئولية الكرازة عوض «لكي يكون **تقدُّمك** ظاهراً»، وإهمال للخلاص «تخلِّص نفسك والذين يسمعونك».

سادساً: وامتداداً من النقطة السالفة يتَّضح أن هناك خطراً واضحاً على الذين ينالون المواهب الفائقة الإضافية من جهة الإحساس بالتميُّز، وكأنهم نالوا هذه المواهب لأنهم أفضل من غيرهم، والحقيقة أنه فضلاً عن أن نوال المواهب الفائقة الإضافية هو واجب بالنسبة للخادم إلا أنه نير أيضاً، «فكل مَنْ أُعطي كثيراً يُطالب منه كثير، ومَنْ يودعونه كثيراً يُطالبونه بأكثر» (لو ١٢: ٤٨)؛ ليس من جهة الثمر فقط بل ومن جهة سمة الروح القدس الأساسية وهي التواضع **الفائق**، والذي يتحتَّم أن يظهر في العلائق بالرؤساء والزملاء والأبناء.

لأن من شأن المواهب الفائقة أنها تزيد من الإحساس بالقوَّة الروحية والاستنارة الإنجيلية والتوافق في السلطان الروحي، وخصوصاً عندما تصير الكلمة بالصلاة نافذة المفعول، أو الخدمة مؤثِّرة بصورة سرية فائقة، أو باختصار عندما يصير مع الكلمة الروحية فعل روحي معيَّن فائق. فإذا قارن الإنسان نفسه بغيره ممن ليس فيهم هذا الفعل الفائق يصيبه سهم الشيطان فيغتر أو يتعالى: «ولئلا أرتفع بفرط الإعلانات، أُعطيتُ شوكة في الجسد، ملاك الشيطان ليلطمني لئلا أرتفع» (٢كو ١٢: ٧)، فيستصعب الشخص الروحاني واجبات الخضوع لمن هم ليسوا في مستواه، أو يستصغر من فعل الأسرار في حد ذاتها، أو يتعالى على كنيسته ورؤسائها وأسرارها. هنا ينبغي أن

يلتفت الإنسان المغرور بمواهبه العلنية أن هناك أفعالاً روحية ومواهب فائقة غير منظورة وغير معلنة أو ليست على مستوى الآية والمعجزة، وهي في نفس الوقت أعلى من الآية والمعجزة، مثل فعل المحبة الإلهية وفعل الصبر أو البذل أو التواضع الإلهي، أو فعل الاستنارة والتمييز بالروح، هذه كلها أفعال فائقة للروح القدس ولكن ليست على مستوى العلانية الواضحة. ومن الأمور التي ينبغي أن ترسخ في أذهان ذوي المواهب، أن أية دينونة يقيمها الإنسان على غيره من جهة أفضليته على الآخرين، أو اهتمامه بمواهبه أكثر من اهتمامه بأسرار الكنيسة الثابتة، كفيلة بأن تحوُل بينه وبين مصدر قوَّته وتنقلب موهبته إلى تجربة قد تجره إلى الهلاك.

لذلك أصبح من الضروري جدًّا لذوي المواهب أن لا يكتفوا بمواهبهم، وأن يدينوا أنفسهم دائماً ولا يخفوا ضعفاتهم وراء مواهبهم، ويتعلموا من بولس الرسول كيف يقمعون الجسد!! ولا يظهروا للناس أنهم وحدهم المتكلِّمون بفم الله، لأن ليس فعل الآيات أو التنبُّؤ أو مواهب الشفاء أو إخراج الشياطين أو عمل الآيات والمعجزات قادر بحد ذاته أن يضمن لنا الخلاص، فالمسيح حذر جدًّا من جهة هذا الأمر بقوله: «كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم: يا رب يا رب، **أليس باسمك تنبَّأنا، وباسمك أخرجنا شياطين، وباسمك صنعنا قوات كثيرة؟ فحينئذ أُصرِّح لهم إني لم أعرفكم قط! اذهبوا عني يا فاعلي الإثم.**» (مت ٧: ٢٢-٢٣)

ولكن ليس من المعقول إطلاقاً أنه بسبب هذه المخاطر التي ترافق

أصحاب المواهب أن يهرب الخدَّام من المواهب أو تستغني الكنيسة عن المواهب. وهنا يتضاعف العبء على المسئولين في الكنيسة حتى لا تؤول المواهب إلى عثرات فينطفئ الروح في الكنيسة.

مواهب الكلمة ومواهب الفعل:

واضح في العمل الكرازي أنه يوجد مجالان لعمل الروح القدس:

١. **مجال الكلمة:** وهنا يعطي الروح القدس استنارة وفهماً ومعرفة بأصول الخلاص والفداء والتبرير من واقع كلمة الإنجيل وكتابات الأنبياء والآباء المُلهَمَة. هنا عمل الروح القدس ينصب في كشف سر المسيح كما يقول بولس الرسول: «إنه **بإعلان عرَّفني بالسر كما سبقتُ فكتبتُ** بالإيجاز، الذي بحسبه **حينما تقرأونه، تقدرون أن تفهموا درايتي بسر المسيح**، الذي في أجيال أُخر لم يُعرَّف به بنو البشر كما **قد أُعلِنَ** الآن لرُسُلِه القديسين وأنبيائه بالروح.» (أف ٣: ٣-٥)

وهنا يعمل الروح القدس في الكارزين بواسطة مواهب الكلمة لكل ما يلزم للبشارة بالإنجيل لإقناع الفكر لإطاعة الإيمان: «يذكِّركم بكل ما قلته لكم» (يو١٤: ٢٦). أي أن عمل الروح القدس يتجه في المبشِّرين بالكلمة لإقناع فكري وروحي **لإنارة الإنجيل في الذهن** للذين قبلوا الإيمان، أما الذين رفضوا الإيمان فلا تصبح مواهب الكلمة ذات تأثير بالنسبة لهم: «الذين فيهم إله هذا الدهر (الشيطان) قد **أعمى أذهان** غير المؤمنين، لئلا تُضيء لهم إنارة إنجيل مجد المسيح الذي هو صورة الله.» (٢كو ٤: ٤)

أي أن **مواهب الكلمة لازمة وحتمية بالنسبة للمؤمنين**، وهذا هو الذي

نسميه بالوعظ التعليمي لبناء الإيمان وتغذية القلب بالمعرفة الإلهية لنمو الحب الإلهي والاستزادة من الارتواء لتكميل العشرة مع الله.

٢. **مجال الفعل**: وهنا لا يعطي الروح القدس شيئاً للكارزين، ولكن يعمل بنفسه إنما من خلال خدمة الكارز بالإنجيل حيث يلهب جو الكرازة بتأثير فائق على كل ما يتصوَّره العقل.

فمجال الخدمة يكون مشحوناً بتأثير فعَّال بشدة، حيث تكون الكلمات بسيطة للغاية وليس فيها ما يدعو للتأثير الشديد، ولكن يصحبها قوَّة خارقة غير عادية للإقناع بدون محاجاة أو ضغط. هنا الروح القدس يكون حاضراً ولا يصعب أن يحسه الجميع برهبة وخوف وبفرح شديد أيضاً. ويشير بولس الرسول إلى هذا **الفعل باعتباره قوَّة مباشرة من الروح القدس لجعل "الكلمة" فعَّالة** ونافذة المفعول: «**بالإنجيل الذي صرت أنا خادماً له**، حسب موهبة نعمة الله المعطاة لي **حسب فعل قوَّته**.» (أف ٣: ٦-٧)

هنا الروح القدس يعمل في القلوب بقوَّة مباشرة وليس في العقول حيث يحدث التبكيت بشدَّة، والضغط المتواصل على الضمير للاعتراف بكل الخطايا الثقيلة والمخبوءة، والاستسلام للرب لتقديم الحياة بكل لهفة وإصرار.

ومواهب الفعل تمتد لتشمل كل الآيات والمعجزات والأعمال الخارقة، لا كأنها استعراضات لقوَّة الروح القدس ولكن للشهادة للكلمة، ولتثبيت صدق الإنجيل وتمجيد الرب، وذلك لجذب الخطاة لطاعة الإنجيل لمجد الله.

لذلك، فإن كانت مواهب "**الكلمة**" لازمة جدًّا لنمو المؤمنين في الإيمان والمعرفة والحب والحياة مع الله؛ فمواهب "**الفعل**" لازمة جدًّا لغير المؤمنين وللمؤمنين البعيدين عن حياة التقوى، كما يقول بولس الرسول: «ولكن إن كان الجميع يتنبَّأون (الوعظ الروحي المبكِّت) فدخل أحد **غير مؤمن أو عامي** فإنه **يوبَّخ** من الجميع. **يُحكَم عليه** من الجميع، وهكذا **تصير خفايا قلبه ظاهرة**. وهكذا **يخرُّ على وجهه** ويسجد لله مناديـاً أن **الله بالحقيقة فيكم**.» (١كو ١٤: ٢٤-٢٥)

وإن كنا نلاحظ أحياناً أن "**مواهب الكلمة**" تكون لفئة من الكارزين متخصِّصة في مجال المؤمنين للوعظ الإنجيلي وشرح الكلمة للبناء، وأن "**مواهب الفعل**" لفئة أخرى من الكارزين متخصِّصة في وعظ التوبة لتبكيت الشاردين والباردين والمناداة للبعيدين وغير المؤمنين بقوة سرية فائقة؛ إلا أنه في كثير من الأحيان أيضاً نجد **مواهب "الكلمة" ومواهب "الفعل" يعملان معاً** للدعوة والملء، للتوبة والبناء، لتسليم الحياة والنمو في المعرفة معاً، كما يقول بولس الرسول: «حتى أكون خادماً ليسوع المسيح لأجل الأمم، مباشراً **لإنجيل** الله ككاهن، **ليكون قربان الأمم مقبولاً مقدَّساً بالروح القدس**، ... لأجل إطاعة الأمم **بالقول والفعل**، بقوَّة آيات وعجائب بقوَّة روح الله.» (رو ١٥: ١٦-١٩)

لذلك فالكنيسة التي تضعف فيها مواهب "**فعل**" الروح القدس تقل فيها مباشرة القدرة على التبكيت والتوبة والتبشير لمؤمنين جدد. أما الحصول على مواهب "**فعل**" الروح القدس فلا تأتي للكاهن والكارز

بالدراسة والاجتهاد في المعرفة، ولكن بالدخول في مجال الروح القدس مباشرة، للتبكيت الشخصي والتوبة وتسليم الحياة بالصلاة الحارة المتواترة والاعتراف الشامل بالروح الصادق، حتى يصبح الكارز إناءً حاملاً للروح، لأن "مواهب الفعل" ليست شيئاً آخر سوى حضور الروح القدس المتكلّم والعامل: «روح الحق يرشدكم إلى جميع الحق، لأنه لا يتكلّم من نفسه، بل كل ما يسمع **يتكلّم به، ويخبركم** بأمور آتية. ذاك يمجّدني لأنه **يأخذ مما لي ويخبركم.**» (يو ١٦: ١٣-١٤)

سابعاً: نوعان أساسيان للملء الروحي:

كذلك من الأمور التي أصبح من الضروري أن يعرفها المتشوقون للملء الروحي أن هناك نوعين للامتلاء من الروح:

١. **نوعٌ ينبع في الإنسان** للإنسان ذاته وهذا أعلنه المسيح للسامرية: «مَنْ يشرب من الماء الذي أعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد، بل الماء الذي أعطيه **يصير "فيه" ينبوع** ماء ينبع إلى حياة أبدية» (يو ٤: ١٤). وهذا الملء الشخصي هو الذي يعطي المواهب الشخصية اللائقة بالنفوس الهادئة المحبة للعزلة والاختلاء، مثل المحبة والاتضاع والاستنارة والعشرة الملتهبة مع الرب والصلاة العميقة والدراسة والتأمل في أقوال الله، مع النصرة الكاملة على الأهواء والشهوات وقمع الجسد.

٢. أما النوع الثاني **فهو ينبع "من" الإنسان** للآخرين، وهذا أعلنه المسيح في اليوم الأخير من عيد المظال قائلاً: «مَنْ آمن بي كما قال الكتاب، **تجري "من" بطنه أنهار ماء حي.** قال هذا عن الروح الذي كان المؤمنون به مزمعين أن يقبلوه، لأن الروح القدس لم يكن قد أُعطي

بعد، لأن يسوع لم يكن قد مُجِّد بعد.» (يو ٧: ٣٨-٣٩)

وهذا الملء واضح أنه ليس شخصياً فهو للآخرين. وهذا هو الملء الذي تصاحبه مواهب البشارة والخدمة والرعاية والتعليم والنبوَّة والوعظ والتبكيت بالروح وتمييز الأرواح والآيات.

ولكن ليس معنى هذا أنه يوجد تحديد قاطع مانع، فربما يمتلئ الإنسان من النوعين أو يبدأ بواحد ويكمِّل بالآخر، وفي معظم الحالات يختار الروح القدس للإنسان ما يناسبه من الملء والمواهب. ولكن المهم أن لا يفتخر أصحاب الملء الواحد على الملء الآخر، والأهم أن يوجد لدى الكارزين ملء على كل حال.

كذلك يستحيل أن يعطي الروح القدس مواهب لإنسان وهو في أعماق نفسه لا يشعر بحاجة حقيقية إليها، أو لخادم يشتهيها وهو لا يستطيع أن يتاجر بها.

والمواهب في حد ذاتها ليست أهدافاً نجري وراءها بل هي أدوات ممتازة ومؤهلات فائقة لمهنة العبادة الشريفة أخذاً وعطاءً، لذلك فكل مَنْ ليست العبادة الحقة غايته الصادقة ومهنته الشريفة، فالمؤهلات أي المواهب تبدو بالنسبة له متعاً وكماليات مرفوضة.

ثامناً: اللاهوت والخبرات الروحية الفردية:

ما هو اللاهوت وما هي الخبرات الروحية؟

١. اللاهوت في أبسط تعريف له هو استعلان صفات الله وطبيعته في مقولات واضحة قاطعة مفهومة وقابلة للإدراك العقلي.

هذه المقولات ثابتة غير متغيرة static. لذلك فهي أحكام لا تنقض، كأن يقول الله على لسان موسى في سفر التثنية: «هذه هي الوصايا والفرائض والأحكام التي أمر الرب إلهكم أن أُعلِّمكم لتعملوها... اسمع يا إسرائيل: الرب إلهنا رب واحد» (تث٦: ١، ٤) أو أن يقول الرب يسوع المسيح: «أنا والآب واحد.» (يو ١٠: ٣٠)

٢. أما الخبرات الروحية الفردية في أبسط تعريف لها فهي استعلان مشيئة الله وقصده في قلب الإنسان والإعلان عن عمله. وفي هذه الخبرات يتقابل الفرد مع الله في الصلاة أو بالإلهام أو الرؤية. وهذه الخبرات إما تخص الفرد في نفسه أو تخص الجماعة أو الكنيسة. وهذه المقابلة مع الله لا تقف عند حدود ثابتة بل تتغير من يوم إلى يوم ومن موقف إلى موقف؛ فهي غير ثابتة، متغيرة، متحرِّكة Dynamic، كقول بولس الرسول: «ونحن جميعاً ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف، كما في مرآة، **نتغير إلى تلك الصورة** عينها، **من مجد إلى مجد** كما من الرب الروح» (٢كو ٣: ١٨). وعن خبرته الخاصة يقول: «إنه لا يوافقني أن أفتخر، فإني آتي إلى مناظر الرب وإعلاناته. أعرف إنساناً ... اختُطف إلى الفردوس، **وسمع كلمات لا يُنطق بها ولا يسوغ لإنسان أن يتكلَّم بها.**» (٢كو ١٢: ١-٤)

وليس ما يقوم به الكاهن أو الخادم من وعظ كل يوم إلا خبرة روحية خاصة في إطار أحكام اللاهوت العامة أخذها لنفسه ليحيا بها

ويعطيها للشعب جميعاً ... ولكل كاهن وواعظ خبرته الخاصة.

وهكذا بينما أحكام اللاهوت ثابتة وعامة يخضع لها الجميع، باعتبارها استعلانات مصدَّقة أتت إلينا من الله باستعلان فائق سابق، فنتلاقى فيها جميعاً كحقيقة ذات سلطان، كقانون يتحتَّم الخضوع له خضوعاً مذعناً كاملاً، نجد الخبرات الروحية استعلانات شخصية فردية لا تلتزم بها الجماعة، وإن كانت أحياناً تقبلها الجماعة وتقننها كخبرة القديس أنطونيوس مثلاً وخبرة القديس باخوميوس. "فالتوحد" بدأ كإلهام وخبرة فردية شخصية خالصة عند أنطونيوس الشاب العلماني، ونظام الشركة بدأ كإلهام وخبرة فردية شخصية خالصة عند باخوم الجندي المسرَّح من الخدمة، ولكن بعد نجاح خبرة كل منهما وهما علمانيان أميَّان، أخذت بها الكنيسة فصار نظام التوحُّد ونظام الشركة في العبادة طقسين كنسيين رسميين.

ولقد كانت الكنيسة القبطية أول كنيسة في العالم تحتضن هذه الخبرة الروحية الشخصية العلمانية وتُدْخلها داخل الكنيسة وتُصيِّرها طقساً كنسياً رسميّاً. وعن الكنيسة القبطية أخذت كافة كنائس العالم هذا الوعي التدبيري المتسع الحكيم الذي ظلَّ يخدم الكنيسة ألف وستمائة سنة. علماً بأن البابا الذي شهد هذا الالتحام بين "التوحُّد" و"الشركة" كنظامين علمانيين رسميين وبين الكنيسة كحارسة على اللاهوت والعقيدة والعبادة، هو أثناسيوس أبو الباباوات وأبو العقيدة وحامي الإيمان القويم!!

وهكذا نشأ في مصر أول معانقة رسمية بين اللاهوت العقائدي

يُمثّله أثناسيوس الرسولي البابا الإسكندري، ولاهوت الخبرة الروحية الشخصية العلمانية ويُمثّله القديسان أنطونيوس وباخوميوس.

وماذا نشأ عن ذلك الالتحام؟

نشأ لاهوت عقائدي (كهنوتي) **ذو خبرة روحية** (علمانية) عند الباباوات والكنيسة.

ونشأ لاهوت روحي شخصي **ذو أصالة لاهوتية عقائدية** عند القديسين وسكان البراري ...

ومنذ ذلك الحين وكل من الفريقين - فريق اللاهوت العقائدي ويُمثّله الكهنوت برئاسة الباباوات، وفريق لاهوت الخبرة الروحية ويُمثّله طغمة الرهبان العلمانيون - يحمل مسئولية هذه المصالحة العُظمَى بين فرعي اللاهوت اللذين يقوم عليهما جسم الكنيسة عقلاً وروحاً، كهنوتيّاً وعلمانياً!

أما هذا الانسجام الإلهي المنقطع النظير بين لاهوت العقيدة ولاهوت الخبرة الروحية الذي نشأ في مصر مبكّراً جدًّا فقد صدَّرته مصر إلى كافة أنحاء العالم عندما أملى أثناسيوس قانون الإيمان الأرثوذكسي على العالم كله، وعندما وضع كل من أنطونيوس وباخوميوس الخطوط الكاملة لمنهج التوحُّد الرهباني والشركة الرهبانية.

ولا يفوتنا هنا أن نؤكّد مرَّة أخرى أن الرهبنة القبطية نشأت كحركة علمانية صرف(٤)، **ولعل إصرار القديس باخوميوس أب الشركة في العالم**

(٤) لا تزال الكنيسة القبطية متمسّكة بهذا التقليد إذ تذكر الرهبان في كل صلواتها بعد الكهنة

كله أن يظل علمانيًّا بدون درجة الشموسية بالرغم من إلحاح البابا أثناسيوس عليه مما اضطرَّه إلى الهروب من وجهه ليبقى علمانيًّا حتى الموت، هذا الإصرار العنيد ينطوي على سر الأهمية البالغة لدور العلمانية في الحياة الكنسية، هذا الدور الذي كان يريد أن يؤمِّنه القديس باخوميوس للطقس الرهباني بعيداً عن الضغط الرئاسي الكهنوتي للإبقاء على النظام العلماني الرهباني الحر حفاظاً على نقاوة الحياة الروحية الملهمة بالروح القدس في شكلها الرهباني البسيط المتضع كجزء أساسي في البناء الإيماني العام، على أن يبقى مؤازِراً ومكمِّلاً للدور الكهنوتي الرئاسي (الهيرارشي).

وهذا الاتجاه بحد ذاته أخصب الفكر اللاهوتي الكنسي على ممر العصور، إذ نعلم يقيناً من التاريخ الرهباني أن القديسين الرهبان اضطلعوا بدور الأنبياء للكنيسة إعلاناً للحق الإنجيلي والحياة بمقتضاه، فتأيَّد اللاهوت بالخبرات الروحية الفردية المُلهَمة، وفي نفس الوقت حُفظَت الخبرات الروحية الفردية في أمان خلال نموها الدائم داخل الإطار اللاهوتي المُحكَم!!(٥)

وهكذا رسخ في التقليد الشرقي أن أية محاولة لاستقلال الحركات الروحانية القائمة على خبرات شخصية عن مضمون اللاهوت وأحكامه

والشمامسة، أما في قراءة التحليل فلا تذكر الرهبان إطلاقاً باعتبارهم من طغمة الشعب: [عبيدك يا رب خُدَّام هذا اليوم القمامصة والقسوس والشمامسة والإكليروس **والشعب** ...] (تحليل الخدام - القداس الإلهي)

(٥) على أن الرهبنة كحركة علمانية روحانية مُلهَمَة بالروح القدس، حافظة ومُلهِمَة للتراث الكنسي، ظلَّت تضعف على ممر الزمن بقدر تداخلها في الرئاسات الكهنوتية وخضوعها الذليل لشهوة الكهنوت.

ووصاية رجال اللاهوت المسئولين، خطر كل الخطر ينذر بالسقوط وبتصدع الألفة التقليدية بين اللاهوت والخبرة الروحية الفردية.

كذلك فإن ترفُّع اللاهوتيين التقليديين عن الخبرة الروحية الشخصية المُلهَمة بالروح القدس خطر ينذر بجمود اللاهوت وحرمانه من صوت الله في الأشخاص الملهَمين، كما ينذر بجفاف المقولات اللاهوتية مما يؤدِّي حتماً إلى ضمور الروح في الكنيسة.

وهكذا استقر في التقليد الكنسي أنه **لا لاهوت بدون خبرات روحية (علمانية) ولا خبرات روحية بدون لاهوت (كهنوت)**، لأن هذا وذاك إنما هما عقل الكنيسة وقلبها.

تاسعاً: العطش الروحي وأوان الملء:

يشهد هذا الجيل ربما في العالم كله عطشاً للروح منقطع النظير، فبقدر ما تفنَّن الشيطان في غواية الشباب وأسقاهم من نقع الخطية والخلاعة وأعمى أذهان المؤمنين وغير المؤمنين عن إنارة إنجيل المسيح، إلا أن الروح في وسط هذه السنين الماجنة أبقى له بقية خرجت تطلب وجه الرب بإلحاح وجوع وعطش شديد، شيء لم يسبق أن رآه العالم، ولعل الله ذكر رحمته أيضاً لمصر من وسط هذا الغضب كقول حبقوق النبي: «**يا رب قد سمعت خبرك فجزعت. يا رب عملك في وسط السنين أحيه. في وسط السنين عرِّف. في الغضب اذكر الرحمة.**» (حب ٣: ٢)

فهذه الجموع الحاشدة من الشباب التي تجتمع في الكنائس إنما تعبِّر

عن العطش الروحي الذي أصبح يلح طالباً الملء، وهذا في الحقيقة هو بدء المدّ الكبير الذي وعد به الله على لسان إشعياء النبي أن يكون في الأيام الأخيرة: «لأن الأرض تمتلئ من معرفة الرب كما تغطّي المياه البحر» (إش ١١: ٩)، حيث ينسكب الروح مجّاناً ليشرب منه كل عطشان إلى معرفة الله: «أيها العِطاش جميعاً هلموا إلى المياه، والذي ليس له فضة، تعالوا اشتروا وكلوا، هلموا اشتروا بلا فضة وبلا ثمن خمراً ولبناً.» (إش ٥٥: ١)

فطوبى للذي يعطش الآن لأنه زمان الملء، وطوبى لمن يشرب ويمتلئ كقول الروح في سفر الرؤيا: «مَنْ يعطش فليأتِ.
ومَنْ يُرِد فليأخذ ماء حياة مجّاناً.» (رؤ ٢٢: ١٧)



ماذا حدث يوم الخمسين؟

عيد الخمسين يونية ١٩٨١

بمناسبة مرور ١٦٠٠ سنة على انعقاد المجمع المسكوني الثاني بالقسطنطينية لتقرير لاهوت الروح القدس - مايو سنة ٣٨١م.

ماذا حدث يوم الخمسين؟



إذا استثنينا المظاهر والملابسات التي صاحبت حلول الروح القدس في ذلك اليوم - وهي التي يركّز عليها بعض المنشغلين بيوم الخمسين، فيُضعفون من مضمون أفعال الروح القدس الداخلية في كيان التلاميذ وتفكيرهم وسلوكهم - نجد أن هذه الأفعال بحدِّ ذاتها، هي أهم ما يحتاج إليه أيّ إنسان يشتاق إلى التوبة واقتناء الروح القدس.

مفاعيل يوم الخمسين:

إن أول ما يسترعي انتباه قارئ سفر الأعمال، هو سرعة التبدُّل المدهشة في سلوك التلاميذ بعد حلول الروح القدس عليهم، إذ انطلقوا بقوَّة للشهادة بقيامة المسيح؛ فإذا أردنا أن نعرف سر ذلك - وهذا يهمنا للغاية - يلزم أن نعرف أن الروح القدس هو:

أولاً: روح القيامة:

أي الروح الذي أقام يسوع المسيح من بين الأموات بقوَّة ومجد عظيم. هذا الروح نفسه - الحاملُ لمجد القيامة غير المنظورة، ولقوَّة القيامة الحقيقية - دخل أعماق التلاميذ عندما حلَّ عليهم، فاستُعلِنَت قيامة المسيح لهم على مستوى الواقع الكياني، فسَرَى في **أجسادهم وأرواحهم وعقولهم**، أقول أجسادهم، لأن قيامة المسيح ذاتها هي قيامة

بالجسد نفسه الذي تألَّم جدًّا وجُرِحَ جروح الموت النازفة؛ هذه القيامة بالجسد خصَّ جسد التلاميذ منها دفعة قويَّة جعلتهم يؤمنون ويثقون **بقيامة الأجساد.**

أما أرواحهم فمسَّتها نار الروح القدس نار طبيعة الله الآكلة، فرفعت عنها كلَّ الإحساس بالعجز واليأس والارتباط بالجسد والأرض، **فأحسُّوا بقيامة الروح أيضاً** مع الجسد ليستوطنوا بمقتضاها السماء ويأخذوا ميراث السمائيين مع المسيح المُقام؛ فمنذ ذلك اليوم تغرَّب التلاميذ عن بيوتهم وأوطانهم، لأنهم استوطنوا السماء فعلاً. لذلك نسمع باندهاش أن هؤلاء الخائفين لم يعُدْ يُرهبهُم أيُّ تهديد أو سجن أو ضرب أو قتل، بل كان ذلك يُبهجهُم: «وأما هم فذهبوا فرحين من أمام المجمع لأنهم حُسِبُوا مستأهلين أن يُهانوا من أجل اسمه» (أع ٥: ٤١)؛ لماذا؟ لأن روح القيامة من بين الأموات رفعهم إلى جهة الأمان، ليكونوا دائماً مع زمرة الأرواح في موطن النور.

كذلك فإن الروح الذي أقام يسوع المسيح من بين الأموات، أخذ يفتح عقولهم ليفهموا أسباب هذه القيامة وسرَّها العجيب؛ فروح القيامة الذي سكن جسد التلاميذ وروحهم، سكن عقلهم، وهو نفسه «روح الحق»، لذلك بدأ يعرِّفهم «جميع الحق» (يو ١٦: ١٣) من جهة المصالحة التي تمَّت لحساب البشر عندما ارتفع المسيح وجلس عن يمين العظمة في السموات بجسده؛ هكذا أدرك التلاميذ أن القيامة التي صارت فيهم أعطتهم مع المسيح وفي المسيح، سرَّ المصالحة مع الآب.

وهكذا إذ كملت كل مفاعيل القيامة في كيانهم الجسدي والروحي

والفكري، انطلقوا في الحال يبشِّرون بقيامة المسيح من بين الأموات، بقوة وحكمة، وإقناع لا يُقاوَم، وفي نفس الوقت، **بفرحٍ** أذهل كل مَنْ سمعهم ورآهم، إذ كانوا دائماً في حالة بساطة وابتهاج قلب، دون أيَّة مظاهر من تلك التي نسمع عنها الآن عند الذين ينتمون إلى يوم الخمسين.

ثانياً: روح المحبة، أو روح رفع الحواجز:

فالذي يمنع المحبة، هي الحواجز ...

(أ) رفع حاجز العداوة مع الله:

حينما سكب الله الروح القدس بغنًى في قلوب التلاميذ يوم الخمسين، كان هو هو روح المحبة الإلهية، الروح الذي به «أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل مَنْ يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية» (يو ٣: ١٦)، وهو أيضاً روح الحياة في المسيح يسوع. لذلك فإن أول ما انتفع به التلاميذ من هذا الانسكاب، هو أنهم شعروا بسقوط حمل الخطايا عن الجسد، وقشور النجاسة من الأعين، وانكسار رُبُط ناموس الخطية العامل في الأعضاء؛ فشعروا أنهم دخلوا مجال حرية أولاد الله، وأحسُّوا بحب الله الغامر، فامتلأوا شكراً وتمجيداً وتسبيحاً وشعروا بقربهم الشديد من الله.

(ب) رفع حاجز العداوة مع الشعوب:

ولأن روح محبة الله لا يبقى في قلب المحبوب بلا فعل، لذلك بدأ للحال في كسر الحواجز التي تفصلهم عن كل الناس والشعوب بلا

تمييز، لأن الروح القدس الذي أرسله المسيح من عند الآب أُرسِلَ أصلاً للعالم ليصالح الله به العالم لنفسه، بعد أن رفع المسيح حجاب الخطية المتوسِّط بين الله والعالم بالصليب، لذلك شعر التلاميذ - بالروح الساكن فيهم - أن كل القيود والحواجز التي تفصلهم عن كافة الشعوب والطبقات والأجناس، قد سقطت في الحال: «لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح، ليس يهودي ولا يوناني، ليس عبدٌ ولا حرٌّ، ليس ذكر وأُنثى، لأنكم جميعاً واحد في المسيح يسوع.» (غل ٣: ٢٧، ٢٨)

هذا الانفتاح على كافة طبقات الناس وشعوب العالم، لم يَنَلْهُ التلاميذ كاقتناع عقلي ليفكَّ روابط التعصُّب الشديد - بل كقوَّة حب إلهي، انسكب في قلوبهم بفيض غامر.

(ج) رفع الحاجز للتخاطب مع الأُمم:

لم يستطع التلاميذ أن يحتملوا طاقة هذا الحب الغامر نحو الآخرين، فطفقوا يتكلَّمون بألسنة هذه الشعوب وكأنهم وُلِدوا فيها. هذا هو روح الحب الإلهي الذي سكن قلبهم فحطَّم للحال هذا الحاجز ونطق فيهم بكل ألسنة الأمم.

(د) رفع الحاجز للعبادة المشتركة مع الشعوب:

كان التكلُّم بألسنة الأمم، تعبيراً قويًّا دامغاً عن أصالة ومعنى هذا الحب، ودعوةً لخدمة هذه الشعوب. وهكذا انطلقوا ليؤسِّسوا هيكلاً جديداً، ليس لسليمان، بل للمسيح في كافة أنحاء العالم.

ونحن نندهش حينما نفحص هذا التسلسل، **فروح المحبة الإلهية** لما

انسكب عليهم في ذلك اليوم، رفع أولاً **حاجز الخطية** الذي كان يفصلهم عن الله الآب، ثم رُفِعَ بالتالي **حاجز العداوة والبغضة والتعالي من نحو الآخرين** وكل شعوب الأرض، ثم **انكسر حاجز عدم التخاطب مع الأمم** لما أعطاهم الروح أن ينطقوا بألسنة هذه الشعوب المكروهة، ثم **انكسر حاجز حظر العبادة المشتركة** عندما أقنعهم بتأسيس كنيسة المسيح في شتى أنحاء المسكونة.

ثالثاً: روح الله القدوس، أو روح التقديس:

بحلول الروح القدس على التلاميذ، دخلوا في مجال القداسة الفعلية، لا من حيث الجسد فقط، بل وكلّ الكيان أيضاً، فحُسبوا إلى مدى الدهر "الرسل القديسين"، وهذا تعبيرٌ عن التخصُّص الكلّي لله، اللقبُ الذي كان لا يحصل عليه إلا رئيس الكهنة، منقوشاً على التاج «قدسٌ للرب» (خر ٢٨: ٣٦)، أو الآباءُ البطاركة الأوائل، أو الأنبياء. لكن هذا لم يصر لقباً للتلاميذ، بل طبيعة جديدة لكيان بشري مخصَّص كلّيًّا لله؛ لماذا؟ لأن الذي سكن قلوب التلاميذ هو روح الله القدوس، ويستحيل أن يحل الله في هيكل دون أن يقدِّسه: «أما تعلمون أنكم هيكل الله، وروح الله يسكن فيكم؟» (١كو ٣: ١٦). لذلك صارت القداسة بالنسبة للتلاميذ هي النتيجة المباشرة لحلول الله فيهم يوم الخمسين؛ وكانت هذه بحد ذاتها أعظم هبة للتلاميذ ولكل العالم، لأن الله لم يعد غائباً أو مجهولاً أو مخيفاً للإنسان فيما بعد، بل حاضراً حضوراً فعليّاً أحسَّ به التلاميذ وأدركوه - وهو الذي كان غير المُدرَك - لا بالإدراك العقلي الذي يعتمد على الحواس أو التصوُّر، بل بإدراك الكيان للكيان؛ الله صار موجوداً في أعماقهم كحقيقة مدركة أشد من إدراكهم لحقيقة أنفسهم، فكل مجد الله وعظمته اللانهائية

مع كل بساطته حبه، صارت تُلهب قلوبهم كالنار. فالحضرة الإلهية بكل ما عُرِفَ عنها من خصائص، صارت هي بعينها التي تكشف عن الله الذي فيهم؛ وكانت النتيجة المباشرة هي هذا السلوك الفائق في القداسة، هذه المحبة، وهذا الإلهام الذي كتبوا به كل ما أحسُّوه وأدركوه عن الله في الأناجيل، التي تكشف عن عمق القداسة التي كانوا يعيشون بها، ويفكّرون ويسلكون ويتأمَّلون فيها.

رابعاً: روح المسيح، أو روح الفداء:

لما تأكد التلاميذ أن المسيح سيُصلَب فعلاً ويرحل عنهم، ملأ الحزن قلوبهم، لأن روح المسيح كان غائباً عنهم؛ ولما رأوه قد صُلِبَ ومات فعلاً، ملأ الخوف والهَلَع والهرب قلوبهم، لأن روح المسيح كان غائباً أيضاً؛ ولما دفن وقُبِرَ لثلاثة أيام، أنهى اليأس كلُّ اليأس على رجائهم في المسيَّا الفادي؛ ولما قام فعلاً من الموت وظهر لهم، شكُّوا وظلَّ إيمانهم شيئاً برغم كل تأكيداته لهم، لأن روح المسيح لم يكن قد حلَّ فيهم بعد.

ولكن لما حلَّ الروح القدس يوم الخمسين، انقشعت كل هذه المجهولات المعتمة عن عقولهم، وتبدَّدت المخاوف والشكوك؛ لأن الروح القدس الذي حلَّ فيهم **هو روح المسيح الفادي**، الذي حمل معه إليهم المسيح مولوداً، ومصلوباً، وقائماً من بين الأموات، وصاعداً إلى الآب وعلى صليبه كلُّ أحمال خطايا البشرية، فأدركوا كل معنى الفداء؛ فالمسيح الذي غاب عنهم بالصعود وهم في حيرة مما سيعملون ويقولون، عاد إليهم هو نفسه يوم الخمسين بكل قوَّة وعمل الفداء الذي صنعه،

ليسلِّمه إليهم بالروح القدس، لأن بالروح القدس أُكمِلَ الفداء، أُكمِلَت القيامة، ومنذ ذلك اليوم والمسيح الفادي قائمٌ وموجود (لا في قلب التلاميذ فحسب، بل وفي قلب الكنيسة) بكل قوَّة الفداء وعمله، متكلِّماً في أفواههم بالروح القدس عن كل ما يخص الخلاص والفداء، والمصالحة التي أكملها والتي صارت لهم وفيهم.

هذا الحلول الدائم الذي صار للمسيح في قلوب التلاميذ بالإيمان، بواسطة الروح القدس، صار تاريخاً جديداً للكنيسة في قلب كل إنسان يقبل الروح القدس، حيث يصير عمل الفداء عطية فعَّالة لتكميل الخلاص كل يوم، لأن وعده: «ها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر» (مت ٢٨: ٢٠)، كان ليس من أجل تعزيتنا فقط، بل أيضاً من أجل تكميل خلاصنا بالكشف المتواصل لمفاعيل الفداء الذي يكمِّله في قلوبنا كل يوم.

ولكن الروح القدس هو هو روح المسيح، روح الابن:

لهذا، ومنذ يوم الخمسين قَبِل التلاميذ الروح الذي نطق فيهم يا أَبَّا الآب، لأن الروح القدس ينطق فيهم بفم المسيح مخاطباً الآب بدالة البنين، لهذا فإنه **من عمق الفداء، اقترب التلاميذ جدًّا من الحدود التي تجمع بين المسيح والله. فالمسيح الذي قدَّم الفداء للآب موجود ومستعلن في قلوب التلاميذ بالروح القدس "روح الابن"، والآب الذي قَبِلَ الفداء موجود ومُستعلَن في قلوب التلاميذ "بروح الله الآب".**

من هنا صار استعلان حدود الفداء، هو استعلان الآب والابن بالروح القدس، الذي يكشف هذه الحدود السرِّية التي بلا حدود ليُستعلَن الثالوث لأول مرَّة كحقيقةٍ قائمة بالروح القدس في قلوب التلاميذ.

لذلك فإن في استعلان سر الفداء، استُعلنَت حدود علاقة الآب بالابن من أجل المفديين؛ وهكذا لولا الفداء وحلول الروح القدس، ما استطعنا أن ندرك سر الثالوث؛ فالفداء أعطانا حق حلول الروح القدس يوم الخمسين، وفي الفداء كَشَفَ لنا الروح القدس – الذي هو روح الآب وروح الابن – عمل الآب والابن. وهكذا أصبح يومُ الخمسين يومَ استعلان سرِّ الفداء بأعماقه الهائلة، وبالتالي استعلان سرِّ الثالوث الفاعل في الفداء وانكشاف مسرَّة الآب ومسرَّة الابن ومسرَّة الروح القدس، لخلاص الإنسان.

وبعد يوم الخمسين – وربما في نفس اليوم – بدأ التلاميذ التعميد "باسم الآب والابن والروح القدس"، وبوضع أيدي التلاميذ حلَّ الروح القدس على الأمم أيضاً، فأُدرِكَ عن يقين وببرهان – بواسطة عمل الروح القدس الناطق في المعمَّدين – أن الفداء صار لجميع الأمم وليس لليهود فحسب.

وهكذا صار مسيح الجليل والأردن، واليهودية والسامرة وأورشليم، مسيح العالم كله وإلى أقصى الأرض؛ وبدأ الروح القدس يشهد للمسيح ويمجِّده في كل العالم بفم التلاميذ ومَنْ بَعْدَهم.

خامساً: روح سكب المواهب بغنًى، ولكن على قياس المسيح:

السؤال الذي يلزم أن نبدأ به هذا الموضوع هو لماذا حلَّ الروح القدس يوم الخمسين، ولماذا لم يحل قبل أو أثناء خدمة المسيح؟

هنا الجواب يوضِّح سر العلاقة الصميمية بين عمل المسيح وعمل الروح القدس، ويحدِّد حلول الروح القدس في يوم الخمسين كضرورة حتمية:

- لأن الروح القدس يلزم لكي يحل ويمنح مواهب أن يكون هناك قياسٌ محدَّد لهذه المواهب يخدم فداءَ الإنسان وتكميل خلاصه. أي كان يستحيل أن يحل الروح القدس قبل أن يكمِّل المسيح تعاليمه ويرسم نموذج الحياة المسيحية وأصول الصلاح، والصفات التي يمكن أن يعيش بها الإنسان وهو في حالة التبني لله. كذلك كان يلزم تكميل كل عناصر الفداء لكي يقدِّمها الروح القدس كأفعالٍ حيَّة لحياتنا.

فلما جاء المسيح ووضع نموذج الإنسان الكامل، وأكمل الفداء وانطلق إلى السماء، أرسل الروح القدس من عند الآب لكي يحلَّ في قلوبنا ويملأنا بروح الحياة، ويهبنا كل صفات المسيح وإيمانه وفكره؛ وهذه هي بعينها مواهب الروح القدس.

- فمواهب الروح القدس هي نموذج لصفات المسيح، إذا نلناها استطعنا أن نعلن المسيح ونُظهر صفاته، وبهذا يكون الروح القدس قد اضطلع بمهمته الأُولى والعُظمَى، وهي أن يمجِّد المسيح «ذاك يمجِّدني»، «يأخذ مما لي ويُخبركم.» (يو ١٦: ١٤)
- ثم يضطلع بتلقيننا كلَّ أفكار المسيح «أما نحن فلنا فكر المسيح» (١كو ٢: ١٦)، فالروح القدس وهو روح المسيح «يعلِّمنا ويذكِّرنا بكل ما قاله لنا المسيح»، والروح القدس سمَّاه المسيح «روح الحق»، علماً بأن المسيح قال عن ذاته: «أنا هو الحق» (يو ١٤: ٦)، وهكذا إذ يحل الروح القدس يعلِّمنا «جميع الحق» أي كل ما للمسيح!! وباختصار يجعلنا مثل المسيح، في كل شيء.

- وهكذا تتحدَّد معالم وحدود مواهب الروح القدس بصفات المسيح، بمعنى أن كل موهبة ينالها إنسان ولا تكون مطابقة للمسيح عملاً وفكراً وسلوكاً لنصير مثله، تكون غريبة عن الروح القدس، أي لا تُحسب موهبة صادقة.

لأن الروح القدس هو روح المسيح، ويمتنع أن يعطينا شيئاً بخلاف ما للمسيح: «تعلَّموا مني، لأني وديع ومتواضع القلب» (مت ١١: ٢٩)، و«يكفي التلميذ أن يكون كمعلِّمه.» (مت ١٠: ٢٥)!!

- ولهذا أيضاً قيل إن الله «لا يعطي الروح القدس بمكيال» (راجع: يو ٣: ٣٤)، لماذا؟ لأن صفات المسيح من جهة حبّه، وصبره، واحتماله، وتواضعه، وآلامه، وطاعته، إنما هي بغير حدود. لذلك كان عمل الروح القدس في التلاميذ يزداد كل يوم بلا كيل، ليسدَّ أعواز البشرية المتعطِّلة عن الخلاص، وليقدِّم النموذج الكامل للمسيح.

- **الجهل بالإنجيل وبالمسيح، يمنع الملء من الروح:**

لأن الروح القدس مرتبط بالمسيح، وقد تحدَّد عمله أن يمجِّد المسيح ويعلنه، تحتَّم على الإنسان أن يكون عارفاً بالمسيح عالماً صفاته؛ وإلا فإن مثل هذه العطايا ستخدم مجد الإنسان وليس مجد المسيح. وهنا يمتنع الروح القدس أن يعطي الملء الحقيقي الذي يعمل لحساب المسيح فقط؛ لأن الامتلاء بالروح القدس هو بداية مسيرة الاقتداء بحياة المسيح، للشهادة له، وذلك بتطبيق تعاليمه

ووصاياه، والسلوك بحسب صفاته، ليكون الإنسان الممتلئ بالروح، له فكر المسيح، ومحبة المسيح، وطاعة المسيح، حاملاً صليبه حسب الوصية، مقتفياً آثار الرب وأعماله، ليكون نوراً للعالم، بالنور الذي فيه.

- وكما كان الصليب مركز إشعاع نور المسيح، والمحور الأساسي الذي تدور حوله حياة المسيح وفداؤه وكل صفاته وأعماله؛ ولأن الروح القدس هو روح المسيح الذي لا يمكن أن يحلَّ في قلوبنا أو يُستعلَن بدون الصليب، لذلك يستحيل أن يعطينا الروح شكل المسيح «الإنسان الجديد الذي يتجدَّد للمعرفة حسب صورة خالقه» (كو ٣: ١٠)، إذا كان صليب آلام المسيح غائباً عن تقديرنا وتفكيرنا أو احتمالنا، أو مستثقلاً أو مكروهاً.

أما جوهر الصليب فهو المحبة، المحبة الباذلة. فإن كان لا ملء من الروح القدس بدون صليب، فلأنه لا ملء من الروح القدس بدون محبة، محبة عاملة بقوة الروح القدس لحمل الصليب في كل الاتجاهات، سواء تجاه أعداء ظالمين، أو تجاه خطاة مساكين، أو فقراء معوزين.

والمحبة العاملة بالروح القدس لحمل الصليب، قوتها بلا حدود، احتمالها بلا حدود، عطاؤها بلا حدود، ونورها بلا حدود.

وهكذا تبدو مواهب الروح القدس جدِّية أقصى ما يكون الجد، غريبة عن مظاهر الانفعالات غير الرزينة أو المُعثِرَة.

- أما إذا تأهَّلنا لأن ندخل دائرة صليب المسيح، ووُضِعَ علينا أن

نحمل نيره، ذلك حينما تنقلب موازين الحق، فسوف يكشف لنا الروح القدس عن سرِّ ذلك المشهد المثير، حيث قيافا جالسٌ على عظمة كرسي الحكم والمسيح مرفوعٌ على صليب الهوان والموت.

- وإذ تضيق نفوسنا عندما يُطبقُ علينا الظلم، ويقترب منا شبح الموت ونصرخُ «إلهي إلهي لماذا تركتني» (مت ٢٧:٤٦)، نكون قد بلغنا نهاية الشوط مع الروح القدس ليعطي ملءَ سرِّ القيامة وقوَّتها، وينفخ فينا نسمة باردة من الحياة الأبدية تردُّ إلينا ثقتنا ورجاءنا بالدهر الآتي.
- ويكفينا أن الرب أكَّد لنا قيامته بذات الجسد المُثخَّن بالجراح المميتة، ليؤكِّد لنا نصرة الحياة على الموت، والقيامة على الهاوية، في صميم جسدنا، هذا الذي يئن الآن عن عجز من ثقل أتعاب هذا الدهر وأهوال الموت. فروح القيامة من الموت يسكن منذ الآن أجسادنا الضعيفة هذه، مؤكداً قيامتها مع الروح.

وهكذا انطلق التلاميذ يوم الخمسين، وفي قلبهم أثمن عطية نالها الإنسان على الأرض، عطية الروح القدس الذي لم يكفّ عن تمجيد المسيح منذ ذلك اليوم وحتى هذه الساعة، بقوةٍ لا تُعانَد،

ورجاء لا يخزَى، وحبٌّ قاهر،

وفرحٍ لا يُنطق به!

يوم الخمسين وميلاد الكنيسة

٢٠٠٢م

يوم الخمسين وميلاد الكنيسة



الروح القدس بين العهد القديم والعهد الجديد:

يوم الخمسين وحلول الروح القدس على التلاميذ مجتمعين، كان هو يوم تدشين الكنيسة وبدء حياتها العملية لافتتاح العهد الجديد، لأن الروح القدس الذي كان يعمل في العهد القديم كان يعمل بمواهبه التنبُّؤية والإعلان عن قوة الله في عمل المعجزات. أما الروح القدس الذي حلَّ على التلاميذ فكان حلولاً أقنوميًّا مالئاً، ملأ التلاميذ وملأ المكان، وكان بهيئة ألسنة نار استقرت على التلاميذ تعبيراً عن حضرة الله، كالنار المشتعلة في العلِّيقة. وقد عبَّر عنه القديس أنطونيوس بأنه "الروح الناري".

مقارنة بين حلول الروح القدس على العذراء وحلوله على التلاميذ:

وإذا قارنَّا حلول الروح القدس على العذراء القديسة مريم وقوة العليِّ التي ظلَّلتها لتلد الكلمة ابن الله وحلول الروح القدس على التلاميذ مع قبول قوة من الأعالي حسب وعد المسيح: «لكنكم ستنالون قوة متى حلَّ الروح القدس عليكم» (أع ١: ٨)؛ نستنتج في الحال أنه حدث ميلاد الكنيسة، الخليقة الجديدة للإنسان، التي عبَّر عنها القديس بولس الرسول لاهوتيًّا أنها جسد المسيح وأن المسيح نفسه هو رأسها (أف ٥: ٢٣).

والتناسق شديد الطباق. فغياب المسيح أنشأ ظهور الكنيسة، وهو مضمون ما قاله المسيح للتلاميذ قبل الصلب: «وأنا أطلب من الآب فيعطيكم مُعزِّياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد، روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه، أما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم ويكون فيكم. لا أترككم يتامى إني آتي إليكم.» (يو ١٤: ١٦ - ١٨)

بحلول الروح القدس يوم الخمسين استلم المسيح رئاسة الكنيسة:

فبحلول الروح القدس يوم الخمسين تم وعد الآب وظهور المعزِّي الآخر، واستلم المسيح رئاسة الكنيسة، وبدأ جسد المسيح يستعلن الخليقة الجديدة فيه. وابتدأت الإفخارستيا من أول يوم: «وإذ هم يكسرون الخبز في البيوت، كانوا يتناولون الطعام بابتهاج وبساطة قلب، مُسبِّحين الله ولهم نعمة لدى جميع الشعب. **وكان الرب كل يوم يضمُّ إلى الكنيسة** الذين يخلصون» (أع ٢: ٤٦ و٤٧). وهذا يعلن كيف كانت تُبنى الكنيسة.

وتأسَّست الخليقة الجديدة على الأرض:

وهكذا كانت البداية، بداية الخليقة الجديدة المحسوبة أنها خليقة سماوية تعيش على الأرض ورأسها في السماء، لأن رأسها المسيح وقد أسسها المسيح بجسده القائم من بين الأموات. وهكذا عُرفت الكنيسة كبيت الله بتعبير القديس بولس الرسول: «فلستم إذن بعد غرباء ونُزُلاً، بل رعية مع القديسين **وأهل بيت الله**» (أف ٢: ١٩). وبحسب تعبير القديس بطرس الرسول: «وأما أنتم فجنس مختار وكهنوت ملوكي أُمة مقدَّسة شعب اقتناء، لكي تخبروا بفضائل الذي دعاكم من الظلمة إلى نوره العجيب.» (١بط ٢: ٩)

علاقة الكنيسة بالخليقة السماوية:

أما علاقة الكنيسة بالخليقة السماوية فهي على مستوى علاقة المسيح كما عبَّر عنها بولس الرسول في سفر العبرانيين: «متى أَدخَلَ البكر إلى العالم، يقول، فلتسجد له كل ملائكة الله» (عب ١: ٦). أما عن الكنيسة فيقول بولس الرسول إلى أهل أفسس: «لكي يُعرَّف الآن عند الرؤساء والسلاطين في السماويات **بواسطة الكنيسة** بحكمة الله المتنوعة، حسب قصد الدهور الذي صنعه في المسيح يسوع ربنا» (أف ٣: ١٠ و١١). فالكنيسة منوطٌ بها استعلان سر المسيح الذي فيها لكل الخلائق السماوية!

ومعنى هذا أن الكنيسة كخليقة جديدة سماوية دخلتْ في عداد الخلائق السماوية لتستعلن لها سر المسيح ابن الله فيها.

ويضيف بولس الرسول، من جهة عمل الكنيسة كخليقة جديدة سماوية، أنه سيكون لها دور هام في تسبيح وتمجيد الله كخورُس أمامي: «مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي باركنا بكل بركة روحية في السماويات، في المسيح، كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم **قدَّامه** في المحبة. إذ سبق فعيَّننا للتبني بيسوع المسيح لنفسه حسب مسرَّة مشيئته، **لمدح مجد نعمته التي أنعم بها علينا في المحبوب الذي فيه لنا الفداء بدمه، غفران الخطايا، حسب غنى نعمته التي أجزلها لنا بكل حكمة وفطنة**، إذ عرَّفنا بسرِّ مشيئته حسب مسرته التي قصدها في نفسه.» (أف ١: ٣-٩)

معالم علاقة الكنيسة بالمسيح رأسها:

فلكون الكنيسة تمثل جسد المسيح والمسيح هو رأسها، صارت العلاقة بين المسيح والكنيسة علاقة فائقة القدر والسموّ والسرِّية جداً.

١. فأول وأهم ما سلَّمه المسيح للكنيسة أنه **سلَّمها كل مكاسبه الإلهية الفائقة جداً**. وهذا يكشفه بولس الرسول بمنتهى الوضوح والأهمية. ولكن القديس بولس يقدِّم لهذا السر الرهيب بأنه يلزمنا روح حكمة وإعلان وأن تستنير عيون أذهاننا حتى ندرك هذا السر الرهيب. اسمع يا أخي هذا الكلام بانتباه:

+ «لا أزال شاكراً لأجلكم ذاكراً إياكم في صلواتي، كي يعطيكم إله ربنا يسوع المسيح أبو المجد روح الحكمة والإعلان في معرفته، مستنيرة عيون أذهانكم لتعلموا ما هو رجاء دعوته، وما هو غنى مجد ميراثه في القديسين (الكنيسة)، وما هي عظمة قدرته الفائقة نحونا (نحو الكنيسة) نحن المؤمنين حسب عمل شدة قوته الذي عمله في المسيح (من أجلنا، أي من أجل الكنيسة)، إذ أقامه من الأموات وأجلسه عن يمينه في السموات، فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة وكل اسم يسمَّى ليس في هذا الدهر فقط بل في المستقبل أيضاً، وأخضع كل شيء تحت قدميه، وإياه جعل رأساً فوق كل شيء، **للكنيسة التي هي جسده**: ملء الذي يملأ الكل في الكل.» (أف ١: ١٦-٢٣)

٢. أمام هذا السر الخطير، لابد أن يكون القارئ أو السامع على أعلى ما يمكن من الفهم والحكمة والإعلان، ليدرك **سمو هذا العمل السري الخطير** أن الله أقام المسيح من بين الأمواتِ وأجلسه عن يمينه ورفعه فوق جميع الخلائق السماوية العالية القدر جميعاً، وأخضع كل شيء له، لكي يسلِّمه للكنيسة. **فالكنيسة بالمسيح الذي فيها هي أعلى من كل الخلائق السماوية**، والكلُّ مُخضع لها في السماء.

وهذا الأمر الخطير عبَّر عنه بولس الرسول في موضع آخر بأننا أولاد الله. فإنْ كنا أبناء فنحن ورثة مع المسيح لله! (رو ٨: ١٧)

٣. **ومن حيث المعرفة الإلهية السرية المفتوحة أمامنا** يقول بولس الرسول بمقدِّمة طويلة يصل في نهايتها إلى السرِّ الرهيب المفتوح أمامنا:

+ «بسبب هذا أحني ركبتيَّ لدى أبي ربنا يسوع المسيح الذي منه تُسمَّى كل عشيرة في السموات وعلى الأرض، لكي يعطيكم بحسب غنى مجده أن تتأيَّدوا بالقوة بروحه (الروح القدس) في الإنسان الباطن "الإنسان الجديد أي الخليقة الجديدة"، ليحل المسيح بالإيمان في قلوبكم، وأنتم متأصِّلون ومتأسِّسون في المحبة، حتى تستطيعوا أن تدركوا مع جميع القديسين (الكنيسة) ما هو العرض والطول والعُمق والعُلو، وتعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة **لكي تمتلئوا إلى كل ملء الله**، والقادر أن يفعل فوق كل شيء أكثر جداً مما نطلب أو نفتكر بحسب القوة التي تعمل فينا، له المجد في الكنيسة في المسيح يسوع إلى جميع

أجيال دهر الدهور. آمين.» (أف ٣: ١٤-٢١)

٤. لقد تدرَّج القديس بولس **في هذه الآيات بدءاً من عمل الروح في الإنسان الجديد** ليحل المسيح فيه بالإيمان في القلب، على أن تكونوا متأسِّسين على المحبة، حتى تستطيعوا بالروح والإنسان الجديد والمحبة أن **تدركوا محبة المسيح من نحونا ومن نحو الآب**، ويعترف أنها فائقة المعرفة، إذا بلغتموها تكونون قد بلغتم معرفة ملء الآب! هذا أرهب الأسرار التي تعرَّض لها القديس بولس، ولكن لو أخذناها تدريجياً يسهل إدراكها، لأنه يقول أيضاً إن ملء اللاهوت حلَّ في المسيح جسدياً: «وأنتم مملوؤون فيه» (كو ٢: ١٠). فإن كان لنا ملء المسيح لاهوتيًّا، يكون لنا في الحال ملء اللاهوت الذي للآب، لأن الآب والمسيح واحدٌ في كل شيء، وملءُ الواحد هو ملءُ الآخر، ولذلك قال: «وإليه نأتي (أنا والآب) وعنده نصنع منزلاً» (يو ١٤: ٢٣). وفي الحقيقة، الآب أعطى ملْئه للمسيح لكي يعطيه لنا، والمسيح نفسه اعترف بذلك: «وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني، ليكونوا واحداً كما أننا نحن (الآب والابن) واحد.» (يو ١٧: ٢٢)

٥. فإذا ما بلغ الروح القدس فينا إلى ملء معرفة المسيح نمتلئ في الحال بملء معرفة الآب: «أنا معكم زماناً هذه مدته و لم تعرفني يا فيلبُّس؟ الذي رآني فقد رأى الآب، فكيف تقول أنت أرنا الآب؟ ... صدِّقوني أني في الآب والآب فيَّ.» (يو ١٤: ٩، ١١)

ولكننا ندرك بين السطور أن الروح القدس هو الوسيط بين الآب والمسيح ليجعل كل ما للآب للابن في الروح، وأن الروح

القدس هو الوسيط الذي وقف بيننا وبين المسيح ليعطينا كل ما للمسيح وكل ما للآب.

٦. وفي موضع آخر يطبِّق كل ما للآب على كل ما للابن. وبما أن المسيح ممجَّد في الآب، وأن «كل ما هو لي فهو لك، وما هو لك فهو لي» (صلاة المسيح للآب يو ١٧: ١٠)، وبما أن المسيح عاد يقول: «وأنا ممجَّد فيهم»؛ أصبح بالضرورة الآب والابن والكنيسة ممجَّدين معاً: «كل ما هو لي، فهو لكَ؛ وما هو لكَ فهو لي؛ وأنا ممجَّد فيهم.» (يو ١٧: ١٠)

فالعلاقة التي ربط بها الكنيسة بنفسه عاد وربطها في نفسه وفي الآب.

لأن بالنهاية يكشف القديس يوحنا الرسول أن شركة الكنيسة الرسولية الأولى كانت مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح. ثم عاد يوحنا الرسول يدعو الكنيسة أن يكون لها نفس الشركة التي للرسل مع الآب والابن ليكمُل فرحهم (١يو ١: ٣، ٤).

٧. والعلاقة التي تربط المسيح بالكنيسة خطيرة جداً، إذ بدأت بأن يصير كل ملء المسيح هو ملء الكنيسة: «فإنه فيه يحل كل ملء اللاهوت جسديّاً، وأنتم مملوؤون فيه، الذي هو رأس كل رياسة وسلطان. وبه أيضاً خُتنتم ختاناً غير مصنوع بيد، بخلع جسم خطايا البشرية بختان المسيح.» (كو ٢: ٩-١١)

٨. فالمسيح أخذ من الآب صورة الإنسان الجديد المولود من فوق وهو فوق كل رياسة وسلطان ليمنحها لنا، أو على وجه الأصح

لنكون نحن هذا الإنسان الجديد، لأن المسيح حلَّ فيه كل ملء اللاهوت جسدياً ليملأنا بنفسه: «وأنتم مملوؤون فيه» (كو ٢: ١٠). وهكذا انفكَّت كل العلاقات التي كانت تربطنا بآدم وبالتراب لنأخذ علاقات إلهية سماوية في المسيح ونكون خليقة جديدة فيه. فالكنيسة أصبحت في المسيح نموذج الخليقة الجديدة، التي أخذت سلطان الملء والشركة في المسيح والآب.

٩. أما العلاقة السرِّية التي تربط الكنيسة فهي على أقدس مستوى يصعب جداً شرحها، ولكن يمكن فقط تمثيلها مع التحفظ من أي انحراف جسداني. فالكنيسة للمسيح هي على مستوى عروس لعريس، وقد جاءت في الأناجيل مغطاة. فمثلاً في إنجيل متى ٩: ١٤ و١٥: «حينئذ أتى إليه تلاميذ يوحنا قائلين: لماذا نصوم نحن والفرِّيسيين كثيراً وأما تلاميذك فلا يصومون، فقال لهم يسوع: هل يستطيع بنو العرس أن ينوحوا ما دام العريس معهم. ولكن ستأتي أيام حين يُرفع العريس عنهم فحينئذ يصومون». وبالمكشوف كأن المسيح يقول: "أنا عريس الكنيسة". وقد أتت في سفر الرؤيا بحالة مُستعلَنة: «هللويا، فإنه قد ملك الرب الإله القادر على كل شيء، لنفرحْ ونتهلَّل ونعطه المجد لأن عُرسَ الخروف قد جاء وامرأته هيأت نفسها، وأُعطَيت أن تلبس بَزّاً نقيّاً بهيّاً، لأن البزَّ هو تبرّرات القدِّيسين.» (رؤ ١٩: ٦-٨)

هنا وصف الكنيسة قد اكتمل. والبزُّ هنا هو البوص الذي كان يُصنع منه أثواب الكهنة في مصر وإسرائيل، وهو الكتان الأبيض

جداً رمز النقاوة، وقد عبَّر عنه هنا بـ«تبرُّرات القديسين» أي بأعمالهم في خدمة الرب الإله؛ وأما عشاء عُرس الخروف فيبدو كاستعلان الكنيسة في مجد عريسها وحضور المسيح عريسها مع أرواح القديسين والملائكة القديسين.

١٠. أما وضع الكنيسة بالنسبة للمسيح وهي على الأرض، "فالمسيح رأس الكنيسة"، بمعنى مدبِّرها الإلهي، وهو «مخلِّص الجسد» (أف ٥: ٢٣)، أي أنه افتدى الجسد من لعنة الموت وعتقه من عبودية الشيطان والعالم، بالإضافة إلى الخلاص الأخير، وهو استعلان الإنسان الجديد وقد أخذ «صورة خالقه» (كو ٣: ١٠) في المجد، وأصبح «على صورة جسد مجده.» (في ٣: ٢١)

١١. وقد نُسبت الكنيسة للمسيح كما تُنسب المرأة لرجلها من حيث أنهما بحسب السرّ المقدس «جسد واحد» (أف ٥: ٣١): «أيها الرجال أحبوا نساءكم كما أحب المسيح أيضاً الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها، لكي يقدِّسها مطهِّراً إياها بغسل الماء بالكلمة (المعمودية)، لكي يُحضرها لنفسه كنيسة مجيدة لا دَنَس فيها ولا غَضن (تشوهات الشيخوخة) أو شيء من مثل ذلك، بل تكون مقدَّسة وبلا عيب.» (أف ٥: ٢٥-٢٧)

والقديس بولس يكشف هنا السرَّ الذي يربط المسيح بالكنيسة جسده: «كذلك يجب على الرجال أن يحبوا نساءهم كأجسادهم» (أف ٥: ٢٨)، فأَوضحَ سرَّ أن الكنيسة هي بالحقيقة الجسد الخاص بالمسيح الذي يحبه باعتبار أنه صاحبه؛ وكذلك: «مَنْ يحب امرأته

يحب نفسه». هنا كشف آخر استعلاني بالدرجة الأولى أنها محبوبة كما يحب المسيح نفسه المرتبطة بالجسد.

١٢. إذن، المفهوم الجديد علينا هو أن المسيح أعطى جسده ونفسه للكنيسة، فأصبحت الكنيسة كأنها هي الجسد السري للمسيح نفسه، والجسد يستحيل أن يحيا بدون النفس - طبعاً هذا كله خارج معنى الأقنوم. «فإنه لم يبغض أحد جسده قط بل يقوته ويربيه كما الرب أيضاً للكنيسة». وهذا يعني أن المسيح هو الذي يُطعم الكنيسة بطعام الحق السماوي - المن المخفى - ويعتني بنموها لنفسه: «لأننا أعضاء جسمه، من لحمه ومن عظامه» (أف ٥: ٢٨-٣٠). هذا أوضح استعلان عن معنى أن الكنيسة هي جسد المسيح، فهي هي الجسد المقام من الموت والذي صعد إلى السموات: «وفيما هم يتكلّمون بهذا وقف يسوع نفسه في وسطهم وقال: سلام لكم. فجزعوا وخافوا وظنوا أنهم رأوا روحاً. فقال لهم: ما بالكم مُضطربين ولماذا تخطر أفكار في قلوبكم؟ انظروا يديَّ ورجليَّ. إني أنا هو، جسُّوني وانظروا، فإن الروح ليس له لحم وعظام كما تَرَوْن لي. وحين قال هذا أراهم يديه ورجليه.» (لو ٢٤: ٣٦-٤٠)

١٣. هذا هو جسد المسيح الذي قام به من بين الأموات وجروحه عليه، وهذا هو نفسه جسده الذي جعله الكنيسة التي تعيش بقيامته، وهذا هو الذي يقول عنه القديس بولس في رسالته إلى أهل أفسس (والتي نتأمل في آياتها): «أننا أعضاء جسمه، من لحمه

ومن عظامه» (أف ٥: ٣٠). لأننا وُلدنا جديداً خليقة جديدة من جسده المُقام، كما يقول القديس بطرس: «مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح، الذي حسب رحمته الكثيرة ولدنا ثانية لرجاء حي بقيامة يسوع المسيح من الأموات» (١بط ١: ٣). فقيامة يسوع المسيح من بين الأموات بجسده حيًّا وعليه جروحه، هي بالنسبة لنا رأس الخليقة الجديدة التي منها وُلدنا، فنحن مولودون من جسد قيامة الرب يسوع المسيح كخليقة جديدة حيَّة بحياة المسيح، غالبة الموت ووارثة الحياة الأبدية.

فالكنيسة هي جسد المسيح الحي المُقام من بين الموت ونحن أعضاء هذا الجسد، وكلنا أي جميع المؤمنين من الأول حتى النهاية نكوِّن جسد المسيح الكامل، كما يقول بولس الرسول:

١ - «إلى أن ننتهي جميعنا إلى وحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله، إلى إنسان كامل، إلى قياس قامة ملء المسيح.» (أف ٤: ١٣)

٢ - «بل صادقين في المحبة ننمو في كل شيء إلى ذاك الذي هو الرأس المسيح، الذي منه كل الجسد (= الكنيسة)، مركَّباً معاً ومقترناً بمؤازرة كل مفصل، حسب عمل، علي قياس كل جزء يحصِّل نمو الجسد لبنيانه في المحبة.» (أف ٤: ١٥-١٦)

وحدة الإيمان وكمال معرفة المسيح:

في الآية الأولى بناء جسد المسيح قائم على **وحدة الإيمان وكمال معرفة المسيح**. طبعاً ذلك في جدَّة الحياة أو في الإنسان الجديد الذي يتجدَّد كل يوم ويمتلئ معرفة ويفيض إيماناً، أي في كنيسة تحيا حقًّا في المسيح وتجتمع

على التوالي في رباط واحد لاهتمام واحد بالروح، حيث الإيمان يزكيه أعمال روحية شاهدة، والمعرفة يستزيدها الإعلان والاستعلان للموهوبين.

المحبة الصادقة القائمة على البذل والعطاء:

في الآية الثانية: عنصر البنيان هو المحبة الصادقة، أي التي ليس لها أهداف إلا البذل والعطاء. الأب يبذل من أجل ابنه، والابن يبذل لأبيه، والقدوة حيَّة بالأب والابن والأصدقاء فيما بينهم برباط محبة شديدة تشدِّد أزر خدمتهم بعضهم للبعض وللآخرين بسخاء. والمثل والقدوة والقوة هو المسيح رأس الكنيسة ورأس كل واحد منا، حيث يُشتَمُّ فيهم رائحة صليبه. هذه الكنيسة تُلحق وتشترك في شركة الرسل. والتركيب والاقتران والمؤازرة والمفصل المسئول عن النمو هو الروح القدس العامل بين المحبِّين.

أبواب الجحيم لن تقوى عليها:

«وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها.» (متى ١٦: ١٨)

والصخرة كانت إيمان القديس بطرس: «أنت هو المسيح ابن الله الحي.» (مت ١٦: ١٦)

وعاشت الكنيسة إلى الآن ألفي سنة، وانفتحت عليها أبواب الجحيم وليس باباً واحداً، لأن من داخلها عمل الشيطان أكثر من خارجها، بالنار والسيف والوحوش وبالسجن والجوع والتعذيب. ولا يوجد في اللغة ما يمكن أن يعبِّر عن كثرة الأهوال التي عانتها الكنيسة. ولكن

الكنيسة هي جسد المسيح، والمسيح هو رأسها، فبقيت الكنيسة وفني كل مَنْ عاداها.

+ «هي تبيد ولكن أنت تبقى، وكلها كثوب تَبْلَى، وكرداء تطويها فتتغيَّر، ولكن أنتَ أنتَ وسِنوك لن تَفْنَى.» (عب ١: ١١،١٢)

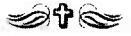
+ «وأخضع كل شيء تحت قدميه، وإياه جعل رأساً فوق كل شيء للكنيسة، التي هي جسده، ملء الذي يملأ الكل في الكل.» (أف ١: ٢٢،٢٣)

يعني أن الكنيسة في كل مؤمن محب للمسيح وللكنيسة، والكنيسة تحوي كل المؤمنين فيها.

الأب متى المسكين

يوم الخمسين ٢٠٠٢م

الفهرس الموضوعي للكتاب



١. الروح القدس: ألقابه وصفاته

أ – **الروح المحيي**: ١٠٠، ١٧١، ٢٣٥، ١٢٤، ٨٣٤، ٩٠٣
+ روح الحياة ١٠٠، ٢٩٥، ٩٠٥
+ الذي أقام الرب يسوع من الأموات ٢٣٨
+ وسيان القول أن الآب أقامه أو أنه قام بذاته أو أن الروح القدس أقامه ٢٣٥
+ فالقيامة إعلان مباشر للاهوت الرب والحياة الكائنة فيه ٢٣٥
+ روح القيامة ٩٠٣

ب – الباراكليت (الشفيع والمعزي):
١٠٦، ١٢٤، ١٢٧، ١٢٩، ١٣٧، ١٤٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧٥، ٢٨٩، ٢٩٧، ٤٧٣، ٨٣٧
+ الاسم ومدلوله العملي ٤٤٥-٤٥٢، شفيع أو محامي ٤٤٥-٤٥٠، معزي ٤٥٠، ٤٥٢
+ ارتباط المعنيين معاً ٤٥٢ لا يشفع إلا بعد أن يبكت ثم يعزي ٤٥٢

ج – **روح الحق** ١٦٩، ٢٨٩، ٢٩٥، ٢٩٧، ٩١٠

د – **روح القداسة**: ٦٤، ٦٥، ٩٥، ٢٩٥ والتقديس ٩٠٧

هـ – **روح المسيح**: ٦٩، ٢٢٥، ٢٩٥، ٢٩٧، ٢٣٨ وروح فداء المسيح ٩٠٨، بمعنى أنه يملك كل ما للمسيح، ويدرك كل ما للمسيح وقادر أن يعطينا كل ما للمسيح ٢٢٥ وبدونه يستحيل الإيمان بالمسيح ولا نوال خلاصه ٢٢٥

و – **المسحة والختم**: ٣٨، ٦٤، ٩٧، ١٢٦، ١٢٨، ١٨٧، ١٩٥، ٢٠٥، ٢٩٥، ٢٩٨، ٣٠٥، ٣١٠، ٣١٧، ٣٣٦، ٤٧٣، ٤٧٨
+ به نقتني بماء صورة الله ونعمته ٣٨، ٦٤، يرادف الختان الذي كان لإبراهيم ختماً لبر الإيمان ١٩٩
+ يحمل اسم وصورة المسيح ٢٠١، على مثال مسح المسيح بالروح القدس بعد العماد ٣٠٥، ٣١٠
+ ختم الشركة والتبعية للروح القدس ٤٧٨

ز – **موعد الآب**: ١٨١، ١٨٢، ٧٨٧، ٧٩١، ٧٩٨
+ روح الآب ٦٩، ٤١٢

ح – **الروح الناري**: ٥٠، ٨٦، ١٠٩، ١١٠، ١١٨، ١١٩، ١٢٣، ١٢٤، ١٦٥، ٢٨٥، ٨١٧، ٨٢٨، ٩٠٣
+ جئت لألقي ناراً على الأرض ولا أريد إلا اضطرامها ٨٢٢، ٨٢٤
+ علاقة مجيء الرب في التجسد بإرسال الروح القدس الناري ٨٢٢، ٨٢٣
+ يحرق الشهوات ٥٠، ٨٦، ٨٨، ١٠٩، ١١٩، ٨١٨
+ يليّن القلوب القاسية ٥٢، ٩٠
+ النار العقلية ٤٩٦، ٤٩٨؛ ينير البصيرة ويكشف الحق ٨١٨
+ يلهب الضمير، ويشعل القلب بالحب ٨١٨-٨٢٢
+ يحرق كل ما دخل إلى الإنسان وليس من الله، حتى يصير الله الكل في الكل ٨٢٠، ٨٢٤

ط – ألقاب وصفات أخرى آبائية:
+ روح المحبة ٦٨٨، ٩٠٥، ٩٠٦
+ ضيف طبيعتنا الإلهي ١٠٩
+ المحبوب السمائي ١٠٩

+ لباس العرس، والصورة السمائية الملتحفة بالنور الذي لا يوصف ١٢٧، ١٢٨، ٤٧٦
+ الخمر الجديدة ١٢٨
+ مكمِّل القديسين ١٤٨
+ روح الاستعلانات ١٤٨
+ روح النبوة (الناطق في الأنبياء) ٢٤٨، ٢٦٦، ٢٨٩، ٢٩٥
+ قوة الآب ٢٦٦، ٢٩٥
+ الرباط الإلهي الذي به تتحد نفوسنا بالآب والابن ٣٤٨
+ روح الشركة بين الخالق والمخلوق ٣٤٨، ٤٧٧
+ روح التبني ٣٥٣
+ روح الوحدة ٣٦٣
+ روح السلام الحقيقي ٤٢١
+ العصارة المحيية ٤٢٢
+ الشراب المحيي ٤٢٣ والماء الحي ٤٥٥، ٤٥٨، ٤٥٩
+ ندى السماء، ومطر النعمة ٤٥٤

٢. لاهوت الروح القدس

أ- أقنوم إلهي في الثالوث المتساوي: ١٤، ٢٣، ٢٥، ٢١٠، ٢٤٧
+ متحد مع الآب والابن في الطبيعة والجوهر ٦٤، ٦٥، ٢٤٨، ٢٧٤، ٢٧٩، ٢٨١، ٢٨٨، ٢٩٨، ٣٠٠
+ كل شيء هو من الآب، بالابن، في الروح القدس ٦٦، ٦٧، ٦٩، ٢١٠، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٤٨، ٣٥١
+ مساوي للآب والابن في المجد، والكرامة، والعمل ٢١٠، ٢٧١، ٢٨١، ٢٨٤
+ الأقانيم الثلاثة تعمل كذات واحدة بآن واحد ٢١٢، ٢٦٦، ٢٨٧، ٢٩٩، ٣٠٠
+ أول استخدام لإصطلاح الثالوث ٢٥١
+ إيمان الكنيسة الجامعة في الثالوث أساسه قول الرب: «عمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس» ٢٩٨
+ حلول أحد الأقانيم هو حلول للثالوث كله ١٨، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٤٨
+ خطأ القول بأن الروح القدس يخضع للكلمة ٢٥١، ٢٥٢، أو للآب والابن ٢٥٩، ٢٦٦
+ خطأ القول بأن أُقنومي الابن والروح القدس خاضعان لله الآب ٢٦٧
+ بدعة التدرج في المجد والكرامة في الثالوث ٢٧٤، ٢٨٢
+ الأريوسيون أنكروا لاهوت الروح القدس ٢٧٥، ٢٧٦
+ إنكار وحدانية الآب والابن في الجوهر يؤدي إنكار لاهوت الروح القدس ٢٧٧
+ أفضل ذبيحة لدى الله هي ظهور وحدة الأب والابن والروح القدس في تآلف الشعب المسيحي ٢٦١
ب- أقنوم متميز في اللاهوت له عمله الخاص: ٢١٧، ٢٤٨، ٢٧١، ٢٨١، ٤٤٢
+ متخصص في توصيل عمل الآب والابن ٦٧، ٦٩، ٣٤٨
+ المتقن لكل الأشياء والساكب الحياة على العالم ٤٤١
+ الابن يشهد للآب، والروح القدس يشهد للابن ٨٣٤

+ يلهم الأنبياء والرسل وكل الخلائق العاقلة بالحق ٢٨٥، ٤٤٢
+ التقديس من اختصاص الروح القدس ٦٥، ١٦٦، ٢٨٥، ٢٩٤، ٢٩٥، ٣٣٨، ٣٥١، ٣٥٢، ٤٤٢، ٩٠٧
+ الإنارة وظيفة الروح القدس ٢٦٦، ٤٤١
+ بالروح القدس نرتفع بالابن وبالابن نصعد إلى الآب ٢٥٨
+ واحد مع تنوع مواهبه ٢٨٤، ٣٠٢، ٣٨٩، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٩، ٤٤١
+ لا يمكن الدنو منه بالحس ولكنه مدرك بانتباهة العقل ٤٤١

ج – انبثاق الروح القدس من الآب:

١٦٩، ١٧٢، ٢٤٨، ٢٥٢، ٢٦٧، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٨، ٢٨١، ٢٨٨
+ خطأ القول بالانبثاق من الآب والابن ٢٥٩، فهو منبثق من الآب في الابن ١٧٣
+ انبثاقه غير مرتبط بإرساليته لأنه أزلي ١٦٥

د– الروح القدس وعلاقته بالابن:

+ يرتبط بالابن من جهة الطبيعة والنظام والجوهر، كالابن بالنسبة للآب ٦٩، ٢٨٩، ٢٩١، ٣٤٥
+ لأنه روح الابن كما أنه روح الآب ٣٤١
+ هو التعبير الكياني والصورة الموضحة للابن ٦٥، ٢٩٢، ٣٤٦، ٣٥٠، ٤٠٧، ٨٣٥،
الابن وروح البنوة، قدوس وروح القداسة، الحياة والروح المحيي،... ٢٩٥
+لذلك دُعي روح المسيح ٢٩٧، ٩٠٨، فهو للابن خاصة ٣٠٨، وهو الذي يرسله ٣٠٩، ويحلوله في الإنسان يحل المسيح أيضاً ٦٥، ٦٦، ٧٢، ٣٤٩، ٤٠١، ٤٠٢، ٥٣٨
+ ومن ليس له الروح القدس ليس له شركة في حياة المسيح ٢٥٨، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٥٣
+ الابن لا يتحد بالبشر إلا بالروح القدس ٣٤٥، والابن يوحدنا بأبيه ٣٥٠، ٥٥٣، ٥٥٣
+ الذي يقبل الروح القدس يقبل الابن، والآب الذي في الابن ٤٠٧، ٥٥٣
+ أعماله تشير إلى الابن وتعتمد على ما أكمله ٦٤، ٦٩، ٨٣٥، ٨٣٦
+ لا يتكلم من نفسه بل يأخذ مما للمسيح ويخبرنا ٣٠٩
+ الكلمة قبل تأنسه أعطاه للقديسين باعتباره له خاصة ٢٨٩
+ علاقة الروح القدس بالآب ليست بتوسط الابن ٢٥٢، ٢٧٢
+ خطأ القول بأنه ملاك الله وقوة الله المرسَل بواسطة يسوع المسيح ٢٥١

٣. الروح القدس والتجسد

أ– الابن وحده تجسد، ولكن الآب والروح القدس شاركا في التجسد، بتكوين الطبيعة البشرية للمسيح من العذراء: ١٦٦، ١٧٠، ٢٤٨، ٢٩١، ٢٩٢، ٣٤٠، ٤٠٥، ٥٧١
+ أول حلول للروح القدس متحداً بالكلمة في أحشاء العذراء لخلقة جسد المسيح ٥٧١، ٥٧٢
+ ظهور الله في جسد إنسان هو أول استعلان لطبيعة الكنيسة ١٧٤

+ العذراء نموذج لكل إنسان يتقبل الكلمة بالإيمان، ومعه الروح القدس ليسكن ويعمل من أجل أن يتصور المسيح فيه ٥٧٢-٥٧٩
+ الروح القدس حل العذراء ملازماً للكلمة يوم البشارة من أجل التجسد، وأكمل فعله فيها يوم الخمسين من أجل خلاصها ٥٧٣

ب- المسيح كإنسان تقبّل روحه الخاص بعد العماد: ١٧٠، ٣٠٥
+ لكي نحن فيه نتقبل الروح ٣٠٦، ٣١٠، ٣١٢، ٣٢٢، ٣٤٠، ٣٤٣، ٣٨٩
+ لا يُقال إن الكلمة نال المسحة بل المسيح كإنسان ٣١٧
+ تآلف الروح القدس مع طبيعتنا من جديد، لما منح المسيح الروح القدس لناسوته ٣٤٠

ج - الروح القدس في حياة المسيح:
+ كإنسان، قال المسيح إنه بروح الله يخرج الشياطين ٣١٦
+ ارتباط الصليب بالتجسد بعمل الروح القدس في العذراء وفينا ٥٧٢-٥٩٤، ٥٩٩
+ أقام الرب يسوع المسيح حياً من الأموات، من أجلنا، وليس من أجل نفسه ١٧٠، ٣٤١
+ عطية الروح القدس إحدى نتائج التجسد ٢٥٨، ٢٩١، ٢١٦
+ بالتجسد صرنا، في الروح القدس، نعبد ونكرِّم الثالوث ٢٦٥
+ بالروح القدس، صالح الابن الكلّ مع أبيه ١٤٨، ٤٠٥، ٤٠٩، ٩٠٥

٤. إرسالية الروح القدس

أ- مرسَل من المسيح، وبتوسطه، من عند الآب: ٦٦، ١٧٣، ١٩٨، ٢٤٨، ٢٨٨، ٨٣٧
+ الآب مسحنا بالروح القدس، كوعده، لنكون أعضاءً في جسد ابنه ١٩٨
+ هو حضور المسيح السري في الكنيسة، ليمارس وجوده كرأس لها ٣١
+ مجيئه لازم لاتحادنا بالكنيسة جسد المسيح السري ١٧٤

ب- هدف الصعود إرسال الروح القدس، روح المسيح أو روح الفداء: ٧٩٨-٨٠٢، ٨٣٧، ٩٠٨
+ بالصعود أكمل المسيح الفداء الذي بدأه على الصليب ٧٨٧
+ بعد كمال الفداء بواسطة الابن، انسكب حب الآب بالروح القدس ٧٨٧، ٧٨٨
+ اختفاء جسد المسيح المنظور ضروري للإتحاد، بالإيمان بجسده غير المنظور بتوسط الروح القدس ١٧٤، ١٧٥، ٥٥٣
+ أُرسل ليملأ مكان صعود المسيح بالجسد لتقديس الكنيسة ٢٦٠، ٢٦٢، ٥٧٦، ٥٧٧
+ بعد الصعود صارت إرساليته ممتدة وشاملة ٢٧١، ٨٢٤
+ موعد الآب، بالروح القدس، مسحة بنوة وشركة حياة في الآب والابن ٧٥٠-٨٠٠
+ جلوس المسيح عن يمين الآب توسُّط دائم لتكميل ملء البشرية بالروح القدس ٨٠٠-٨٠١

ج - نفخة المسيح في التلاميذ، قبل

الصعود، لقبول الحياة الجديدة هو برهان على لاهوت المسيح ٢٥٩، ٧٩٥، ٧٩٨
+ المسيح بعد القيامة صار رأس جنسنا الجديد، لذلك نفخ روح الحياة في تلاميذه ٣٤٤، ٣٤٥، ٧٩٥، ٧٩٨
+ الرسل أول من قبلوا الروح القدس، لأن الكنيسة مبنية على أساس الرسل ٣٤٥
+ نفخة الروح القدس وارتباطها بسلطان الحلّ والربط، الذي هو بداية تأسيس الكنيسة ٣٨٠، ٣٨٩
د- يوم الخمسين يوم فيض الروح كما لم يُفَض من قبل: ١٥٢، ٢٠٦، ٦٩٣
+ في معنى العنصرة: محفل ١٥٨
+ فيه تقدس محفل التلاميذ بحضور الروح القدس تقديساً مستمراً ١٥٩
+ ميلاد جديد للتلاميذ والكنيسة في طبيعة جديدة ١٦٠، ١٦١، ٨٢٥
+ حل بشخصه جوهرياً على التلاميذ، واستُعلن أقنومه المتميز باسم الروح القدس ٣٤، ١٦٩، ٣٥٥، ٣٥٧، ٤٥٥
+ الفرق بين «الحلول الجوهري» و«الإتحاد الجوهري» ٣٥٥
+في مظهر العنصرة: ريح وألسنة نار منقسمة ١٦٢، ١٦٨
+ الريح والحضور الإلهي ١٦٣
+ النار وطبيعة الله ١٦٤، للإنارة والتطهير ١٦٥، لإشعال القلب بالحب والغيرة ١٦٥، ٨١٨، ٨٢٢، لتوزيع المواهب ١٦٥
+ ولإخصاب الكنيسة لتصير أماً روحانية ١٦٦، ١٦٧
+ تقدست الطبيعة البشرية ككنيسة، لنولد منها على صورة المسيح ١٦٦
+ الكنيسة اعتمدت بالروح القدس ونار، أما نحن فنولد من الكنيسة بالماء والروح ١٦٦، ١٧٧، ١٧٩
+ في يوم الخمسين بلغ التجسد غايته باتحاد المسيح بالكنيسة ١٧٧، ١٨٠
+ ما حدث يوم الخمسين هو جمع وتوحيد ما تفرق، ببلبلة الألسن، عند برج بابل ٣٨٩، ٤١٨
+ بحلول الروح القدس يوم الخمسين، تشكّلت صورة الكنيسة الأولى: جماعة مكرسين افتقروا باختيارهم، يعيشون حياة شركة ٥٩٠، ٥٩٣
+ الإستشهاد امتداد لفعل يوم الخمسين بصورة فردية ٥٩٣، ٥٩٧
+ الرهبنة امتداد لنفس الفعل ٥٩٣، ٥٩٩
+ يوم الخمسين بداية حياة الكنيسة، وتحرُّكها للشهادة ٥٩٠

٥. عمل الروح القدس في الخليقة والكون

+ شريك في الخلقة مع الآب والابن ٦٦
+ دوره في الخلقة ٢١٧، ٢٩٨
+ الطاقة الإبداعية ٦٧٧، ٦٨٨
+ يوحِّد الخليقة كلها لكي تكون متوافقة ٤١٧
+ أسبقية الروح ٧٠٤
+ هو علة كون الإنسان خُلق على صورة الله ٣٧

٦. عمل الروح القدس في الإنسان

أ- الإنسان مخلوق على صورة الله بنفخة الروح القدس ٣٥، ٣٨، ١٨٤، ٣٣٩، ٦٩١

ب- تجديد خلقته بالمعمودية: ٣٧، ٤٠، ١١٠، ١٤٨، ١٨١، ١٨٤، ٣٥٠، ٣٥٩، ٣٦٠

+ يطبع فينا صورة الله من جديد ٣٩، ٦٥، ٣٥٩، ٣٦٠

+ ولادة جديدة، وخلقة جديدة، واستعادة لحالة النفس قبل السقوط وأسمى منها ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٦

+ صورة المسيح فينا هي امتداد لبهاء صورة مجد الله الآب ١٨٢، ١٨٤، ٣٥٠

+ عمل الآب في خلقة إنساننا الجديد بالروح القدس هو إعادة صورة مجده فينا ١٨٤

+ عمل الابن في خلقة إنساننا الجديد بالروح القدس هو اشتراكنا في موته وقيامته ١٨٤، ٧٦٧، ٧٦٩

+ يصنع للنفس أعضاء روحية جديدة ١٢٨

+ الإنسان الجديد لا يُستعلن تماماً الآن إلا بعد القيامة ٤٢، ١٨٤

ج - تقديس النفس: ٣٩، ٦٤، ١٦٦، ١٦٩، ٢٨٥، ٢٩٤، ٢٩٥، ٣٣٨، ٣٦١، ٥٤٨، ٩٠٧

+ بغسلها وتطهيرها من الخطية ورفع حاجز العداوة مع الله ٣٠، ٣٣٨، ٣٤٦، ٤٥٧، ٤٥٩، ٨٢٣، ٩٠٥

+ بعبورها من الموت إلى الحياة، ومن الرذيلة إلى الفضيلة، ومن العبودية إلى الحرية؛ بالتحرر من الخطية، ومحبة العالم، وعبودية الشيطان ٤١، ٥٢، ٨٨، ٩٠، ١٠٠، ١٠٨، ١٠٩، ٣٣٨، ٣٤٦، ومن الموت والخوف منه ١٣٦

+ ثم الارتقاء بها إلى ما فوق طبيعتها ٣٣٨، ٤٧٢، ٥٤٨، ٨٢٣

+ ويتدرج بها إلى الكمال المسيحي بالاستنارة ٢٣٩، ٣٣٦

د- سكناه في النفس: ٨٧، ٣٤٤، ٣٥٣، ٣٥٩، ٥٧٢، ٥٧٦

+ إنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم ٣٣٦، ٣٤٥، ٣٥٤، ٣٥٩، ٣٦١، ٩٠٧

+ هو الملكوت ١٣١؛ ملكوت الله داخلكم ٣٥٤

+ لا يُدرك إلا بفعله ٨٣٩، إمكانية الإحساس بالنعمة عقلياً ١٤٧

+ لم يسكن في الأنبياء كما سكن فينا ٣٤٤، ٣٥٣، ٣٥٩، ٥٧٢، ٥٧٦

+ يمنح الإنسان شركة حية في الثالوث ٦٧، ١٩٨، ٤٠٧، ٥٥٧

+ وبه نصير شركاء الطبيعة الإلهية ٣٤، ٣٥، ٦٤، ٦٥، ١٨٩، ٢٩١، ٢٩٧، ٢٩٨، ٣٥٢، ٣٥٤، ٣٥٩، ٣٦١، ٣٩٥، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤٢٢، ٥٤٠، ٥٤٨، ٥٥٠، ٧٦٩، ٧٧٢؛ شركة حياة جوهرها حب الآب والابن بالروح القدس ٧٩٢؛ والتلذذ بها هو بإضرام مواهب الروح ٧٩٢، ٧٩٥

+ هدفه النهائي أن يوحِّدنا بالله ٣٤، ٥٢، ٦٤، ٨٩، ١٢٧، ١٩٣، ٢٩٢، ٥٤٨، اتحاداً وثيقاً، ولكنه نسبي وبالمشاركة ٣٤٦، ٣٥٥، ٣٥٦، ٤١٠، ٧٦٨؛ ودون أن نفقد طبيعتنا الخاصة ٢٩١، ٣٥٢، ٧٧٠

+ تمييز ذلك عن الوحدة الكيانية مع الآب والابن ٣٦، ٣٤٥، ٣٥٢، ٥٥٠
+ لم يحل بالقوة أو بالنعمة بل بالجوهر ٣٥٥-٣٦١
+ ليس أعظم من أن يقتني الإنسان الروح القدس لأنه غنى النفس وكساؤها ٤١، ٦١، ٩٢، ٩٤، ٩٦، ٩٧، ٤١٠
+ بدونه تصير النفس عريانة وفقيرة وكطير بلا أجنحة ٥٠، ٦٠، ٧١، ٨٦، ٩٣، ٩٧، ١٢٤
+ الاتحاد بين الروح القدس والنفس، كالعلاقة القائمة بين الروح القدس والشاروبيم ٥٣، ٧٦، ٨٦
+ يسكن في البسطاء المتكلين عليه ١٤٢
+ لا ياتي دفعة واحدة، بل قليلاً قليلاً، وبعد أتعاب كثيرة ١٢٩، ١٤٤
+ سكنى الروح والتعزية بالتجارب ١٣٦
+ يملأنا ويظل مستتراً فينا ٥٠٢، ٥٠٣
+ لا يسكن في نفس متكبرة بل في المتواضعين ١٢٨، ١٣٥ (انظر عوائق الحلول...)
+ لايطيق السكنى في قلب يتصالح مع الخطية ٦٩٦ (انظر عوائق الحلول...)
+ لا يؤهَّل للنعمة من لا يضبط لسانه ١٤٤ (انظر عوائق الحلول...)
+ لا تتكل على إنسان لئلا تخيب من النعمة ١٤١ (انظر عوائق الحلول...)

هـ- يتبنّانا الله ويجعلنا ورثة مع المسيح في الله: ٦٤، ٦٥، ٩٧، ١٨٩، ١٩٣، ٢٣٨
+ أبناء بالتبني وإخوة للمسيح ٣٥٣
+ وبما أننا أبناء يورِّثنا علاقة الابن بالآب ٦٩، ٤٠٣، ٥٥٦، ٩١٠؛ ويعطينا دالة الصلاة للآب بقولنا يا أبا الآب، مخضعين المشيئة لإرادته ٤٠٣، ٤٠٤، ٥٥٦، ٩١٠
+ يعلن لنا سر الثالوث، الفاعل في الفداء، بمسرة الآب والابن والروح القدس ٩١٠

و- يأخذ مما للمسيح ويخبرنا: ٥٦، ٥٧، ٦٧، ٦٩، ١٧٠، ١٨٤، ١٩٣، ٥٥٠، ٨٣٤
+ يورِّثنا الفداء والخلاص ومجد القيامة بواقعية حية حسية ٥٦، ٥٧، ٦٧، ٦٩، ١٨٤، ٢٢٥، ٥٨٢، ٥٨٤
+ شخص الإتصال الدائم بيننا وبين المسيح ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٦٩؛ لا يتكلم من ذاته ٨٢٨، ٨٣٠
+ يشهد للمسيح فينا وبنا ٥٧، ١٧٠، ١٧٢
+ يشكّلنا بشكل المسيح ٦٤، ٦٥، ١٧٠، ١٩٣، ٥٥٠، ٥٥٢؛ وهكذا يحبنا الآب إذ يرى فينا صورة ابنه ٥٥٦
+ يوحِّدنا في المسيح وبه في الآب ١٨٦، ١٨٩، ٣٩٦، ٣٩٧، ٥٥٣

ز- «يعلّمكم كل شيء»، «ويخبركم بجميع الحق»:
+ أى كل ما يتضمنه الوحي الإلهي عن المسيح و لم يعلنه المسيح في حياته على الأرض ٦٨، ١٠٥، ١٢٧، ٢٧٢
+ الاستنارة بنور الحق ١٠٠، ١١٦، ١٦٥
+ يرشد النفس إلى الخلاص ويعلمها الاستهانة بالعالم ١٤٣، ١٥١
+ العارف الحقيقي بالله هو المتتلمذ للروح القدس ٢٦٩
+ الروح القدس يجعلنا نافعين لتدبير الزمان الحاضر كما للدهر الآتى ٦٥٩
+ ويلهم حتى في الأعمال الجسدية وحذق الصناعة ٦٦١

+ يعلمنا ما نتكلم به ويجاوب عنا «لستم أنتم المتكلمين بل روح أبيكم...» ٤٩، ٥٣، ٥٤، ٨٨، ١٢٦، ٤٤٥، ٤٥٢، ٦٨١

ح- يعلن لنا الأشياء الموهوبة لنا من الله:

+ يقود التأمل في الإلهيات ٨٥، ١٢٤، ٢٨٥
+ يشفع فينا بأنّات لا يُنطق بها، ويلهم بالصلاة والتسبيح ١٢٨
+ يعلن الخفيات ونور الرب غير المنطوق به ١٢٨، ١٤٨
+ يعرّفنا بالمسيح وبالآب ٦٤
+ هو مصدر الإلهام والرؤى والإعلانات ٦٦٦
+ هو الملكوت، والفرح الداخلي، السكر الروحاني ٥٣، ١٠٣

ط- يوزع المواهب، والقدرات التي تفوق طبيعتنا ٩٢، ٣٥٢، ٨٤٠

هبة الأسمى هي المحبة ٤٩

هدف الروح القدس الأساسي من خلال مواهبه هو أن نحب المسيح ونحفظ وصاياه ٧٧٣؛ والثاني مثله هو أن نحب الآخرين على كل وجه ٧٧٣، ٧٨٣؛ فمواهبه كانت لرفع حاجز العداوة مع الله ومع الشعوب ٧٨٤، ٧٨٥

+ مواهب متنوعة ولكن الروح واحد ١٦٥، ١٩٤، ١٩٥، ٢٤٣، ٢٦٧، ٢٧١، ٤٠٢، ٤٢٦، ٦٦٣
+ مواهبه هي رائحة المسيح الزكية، يمنحها لأحبائه ٢٦٩
+ كل المواهب لبنيان الكنيسة الواحدة ١٩٥، ٢٤٣، ٤٢٦، كأنها مشتملة بثوب موشّى بالذهب مزينة بأشكال كثيرة ٤٠٢، ٤٠٣
+ المواهب الروحية تحتاج إلى الصلاة لتظل متأججة ٢٤٤
+ لكي يحل الروح القدس بمواهبه لخدمة خلاص الإنسان، تجسد المسيح ووضع نموذج الإنسان الكامل، وأكمل لنا الفداء ٩١٠
+ مواهب الروح القدس هي نموذج صفات المسيح للشهادة له فينا وبنا ٩١٠، ٩١١
+ الآباء لم يتفاخروا قط بما نالوه من مواهب ٤٢

ي- كيفية الحلول والإمتلاء من الروح القدس: ٨٧، ٤٦١-٥٠٥

+ بالعطش إلى المسيح، باشتياقات قلوبنا ٤٥٥، ٤٥٧
- الروح موجود فقط لمن يطلبه بكل كيانه ٦٨٠
- اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره، أولوية الروح ٦٨٣
+ بطاعة الكلمة ٥٩، ٨٨، ٩٢، ٩٩، ١٠٨، ١١١، ١١٢، ١١٧، ١٤٠، ٤٩٣
- الإنجيل كُتب بالروح ومن يتعمقه يدخل في مجال الروح ويبلغ إلى فكر المسيح ٤٦٤، ٤٧٠
- حلول الروح بالكلمة ينشئ استنارة ذهنية وشهادة للمسيح ٤٧١؛ حيث يعمل الإيمان ٥٠٣
+ **بالأسرار** ١٨، ٣١، ٧٢، ٤٧١، ٤٨٨، بالأسرار يعمل الرجاء ٥٠٣
- الحلول بالأسرار ينشئ اتحاداً جزئياً في طبيعة الله ٤٧١، ٤٧٢
- الاستنارة بالكلمة تهيء لتقبُّل السر باشتياق المشيئة للخلاص ٤٧١، ٤٧٢
- بالأسرار تصير هياكلنا مهيأة لحلول أكثر وامتلاء من الروح ٤٧٣

- يلزم أن نستثمر عملياً ما نلناه بالأسرار ٤٧٣، ٤٧٦، ٥٠٣
- الحلول بالأسرار حالة تغذية سرية باللاهوت ٤٧٧
+ **بالصلاة** ٣٧، ٥٠، ٥٤، ٥٩، ٦١، ١١٠، ١١٦، ١٢٩، ١٣٣، ١٣٥، ١٣٦، ٤٨٩، ٤٩٢
- الكنيسة تعلمنا أن لا نكف عن طلب حلول الروح القدس في صلوات السواعي ٤٨٩، ٤٩٠
- الصلاة بالروح تحرر الذهن بمعرفة الحق وتحرر القلب بالدخول في الحب الإلهي ٤٩٢
- الحلول بالصلاة حلول للإمتلاء المتكرر ٤٩٢، ٤٩٣؛ حيث نبلغ الإتحاد بالله بالحب ٥٠٣
- الصلاة على أساس حق الإنجيل وحب المسيح وحفظ الوصية تؤدي إلى الملء ٤٩٤، ٤٩٥
+ الروح القدس منه نبدأ وبه نمتلىء ٤٩٤، ٥٠٤
- منه نقبل روح الوصية كنار تحرق شوائب الفكر البشري ٤٩٦؛ وكمفهوم إلهي نعرف به الحق ٤٩٧، وكروح تبكيت لتعديل السلوك وقبول التأديب ٤٩٧، ٤٩٨
+ الساعي إلى الوصية غير الساعي إلى الفضيلة ٤٩٨، ٤٩٩
+ تحت قيادة الروح نبلغ الإتضاع والطاعة والحب الحقيقي ٤٩٩، ٥٠١
- بإنكار الذات واحتمال الضيقات وصلب الأهواء والشهوات ٥٤، ١٣٤، ١٣٥، ١٤٤
- بالحب الإلهي الذي يلازم كل عمل وهو ثمرة عمل الروح القدس ٥٤، ٥٦، ١١٩، ١٣٥
+ الروح القدس لا يُقتنى ببرنامج جهادات وكثرة الصلاة والصوم ٦٨، ٤٩٣، ٥٠٤
+ الصلاح في طبع النفس تحركه النعمة مع اجتهاد الإنسان ١٤٦
+ أمانة الإنسان تؤهله لملء الروح ١١٥، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٦، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٥، ١٤٣، ١٥٢
+ يُفاض بقدر ما يُقبل ٢٦٢
+ أمْر الرسول «امتلئوا بالروح»، يعني الخضوع للروح، الذي قبلناه بالعماد وسر الميرون، بلا عائق حتى الملء ٧٠، ٧١؛ فتجري من بطننا أنهار ماء حي ٤٥٧، ٤٥٨
+ العذراء قالت: «ليكن لي كقولك» فتم كل شيء، فالحاجة إلى إيمان واثق وتسليم كامل فيتم الملء ٥٨١
+ الإخلاء هو حالة ملء بالروح ٥٢٧

ك- الروح القدس في جهادنا اليومي: ١٣٣، ١٤١، ٧٠٤، ٧٤٥، ٧٤٩، ٧٦٤
+ قبول الروح يتبعه جهاد وصبر على التجارب ١١٥، ١٢٢، ١٢٥، ١٢٨، ١٣٤، ١٣٥، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٧، ١٥١، ١٥٢، ٤٩٩، ٥٠١
+ **بقبولنا الروح القدس ندخل حتماً في مواجهة مع العدو**، كما حدث مع المسيح بعد العماد ٧٤٩، ٧٦٤
- تجربة المسيح بعد امتلائه من الروح هي لحسابنا ٧٥٠، ٧٦٤
+ **الروح القدس والتدرج من حياة الخطية إلى حياة القداسة**، ومن تقديس الذهن إلى تقديس الإرادة ٧٠٤، ٧١٣

- يقودنا للتوبة ويدعو الجميع إليها ٤٩، ٥٢، ٩٢، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١١٨، ١٢٤، ١٣٨، ١٤٠، ١٤٨؛ صبر الروح واحتماله يقودنا إلى التوبة ٦٨٥
- بقدر ما تحزنه أصغر الخطايا تسترضيه أقل أعمال التوبة ٧٤٥
- يسهِّل للنفس التخلص من أوجاعها ١٠٤، ١٠٦، ١١٧، ٣٤٦
- يكمِّل تطهيرها من أهوائها الفاسدة ١١٧، ٣٤٦
- ضرورة الجهاد مع مؤازرة الروح القدس ١١٢، ١١٣، ١١٧، ١٢٣، ١٤١، ٤٩٥
- بدون جهاد لا تشرق علينا النعمة ١٣٣
- الجهاد ضد الأفكار يطرد الشياطين بفعل الروح القدس ١٣٤
- بدون أتعاب الجسد لا نؤهل لنار النعمة الإلهية ١٣٤
- تقلُّب مستمر بين وقت جهاد ووقت معونة بالنعمة ١٣٨، ١٤٤
- الحرارة الأولى والحرارة الثانية ١٥٢، ١٥٣

+ **الروح القدس وجهادنا المتواصل ضد الخطيئة** بيقين الإيمان بشخص المسيح الغالب فينا ٧١٤، ٧١٩
- احتمال الضيقات والتجارب يؤهِّل لعمل الروح القدس ١٣٤، ١٣٥
- إرادة الروح أن يكمِّل محبيه بالآلام والتجارب ١٣٦
- المجاهد بدون صوم كمحارب بلا سلاح ١٤١

+ **الروح القدس والأعمال الصالحة** لتكميل القداسة التي نلناها بالنعمة، من خلال الإيمان والإنجيل والأسرار ٧٢٠، ٧٢٦
- الصلاح من طبع النفس تحركه النعمة مع اجتهاد الإنسان ١٤٦، ٧٢٣
- يشاركنا في جهادنا الروحي بكل أنواعه ٤٩، ٥٤، ٥٩، ٦٠، ١٠٤، ١٥١، ١٥٣، ٧٢٣؛ ويكشف للإنسان حيل الشيطان ٧٥٦، ٧٥٧
- يشدد الضعيف ويزيد القوي قوة ٦٦٨
- يعزينا ويشجعنا في الضيق ٤٩، ١٢٣، ٤٥٠، ٤٥٢، ٩٠٥

+ **الروح القدس وإنكار الذات** لتأمين الصلاح من نسبته للإنسان ٧٢٨، ٧٣٢
- العمل شيء والصلاح الذي يستقر في القلب بالروح شيء آخر ٧٢٨، ٧٣٠
- الحذر من خطرين في السير مع الروح: الزهو والإعتداد بالذات، واليأس وصغر النفس ٦٧٢
- بعد تجارب كثيرة يرسل قوته للإنسان ويخضعه بكليته إلى نيره ١٢٣، ١٢٥، ١٢٨

+ **الروح القدس وانسكاب المحبة**، حيث علامة سكنى الروح القدس في القلب هو وجود المحبة، وعلامة تملكه على القلب هو انسكابها على الآخرين ٧٣٤، ٧٣٨
- يُلهب القلب بالحب ٤٩، ٩٠، ١٠٩، ١١٦، ١٦٥

+ **لا تحزنوا الروح، لا تطفئوا الروح** ٧٣٩، ٧٤٥
- قائمة الخطايا التي تحزن الروح وتطفئه ٧٤٢، ٧٤٤
- غضب الروح يطلب ما لله ٦٧٠

ل- الروح القدس والصلاة: ١٣١، ١٣٣، ١٣٦، ١٣٧، ١٤١، ١٤٢
+ الصلاة بدافع الحب الإلهي تشجعها النعمة ١٣١، ١٣٢
+ الصلاة بتغصُّب تنال معونة الروح ١٣٢
+ تكريم الصلاة يؤهِّل للنعمة وعمل الروح ١٣٢
+ الصلاة بغير فتور مع هدم لمح الأفكار تؤهلان لتأجج القلب بنار الحب الإلهي ورؤية نور مجد المسيح ١٣٣
+ بالصلاة المتضعة تقترب النعمة وتعين ١٣٤
+ الصلاة المستمرة بدموع وحزن يؤهل لعمل الروح ١٣٤، ١٣٥
+ ترتيل المزامير بلا طياشة والإمتلاء من الروح ١٣٥
+ ليس أوفق من وقت الصلاة الحارة النقية لعمل الروح ١٣٦
+ الصلاة الدائمة هي كمال السيرة لأن الروح يصلي فيه دائماً ١٤١، ١٤٧
+ الروح يشفع فينا بأنّات لا يُنطق بها، ويُلهم بالتسبيح والصلاة ١٢٨
+ الصلاة الروحانية هي شركة مع الروح القدس ١٤٢، ١٤٦

م- الروح القدس والهذيذ في الكتب المقدسة ١٢٦، ١٤٤

ن- عوائق الحلول والإمتلاء من الروح القدس: ٥٠٦، ٥٣٤
+ الإهمال والتهاون يطفئ عمل الروح فينا ٦٠، ٦٤، ١٠٨، ١١٩، ١٢٢، ١٤٠، ١٤٤
+ **المادية** ٥٠٦، ٥١١
- الإعتماد على المال ٥٠٧
- الإعتماد على القوة ٥٠٧
- الإعتماد على السياسة والدهاء ٥٠٧
- الإلتجاء إلى الملذات ٥٠٨؛ ميل النفس إلى الشهوات يجعل الروح يقرع ولا يستطيع الدخول ١٤٨
- الجنوح إلى الزنا ٥٠٨
- الحسد والبغضة والغيرة والتحزب ٥٠٨
- المادة وسيلة وليست غاية، وهي حقيقة الحاضر، وعمل الروح هو تحقيق مستقبل الإنسان في حاضره ٥١١
+ **الشكلية**: الإكتفاء بشكليات العبادة والطقس ٥١٢، ٥١٣
+ **الآلية**: الاعتماد على الآلية العقلية أو النفسية أو التخطيط هو استغناء جزئي عن الروح القدس ٥١٤
+ **الدعاية**: دعاية الأشخاص ودعاية الخدمة تعطل عمل الروح ٥١٦، ٥١٨
+ **الاحتكارية**: الروح القدس صاحب السلطة في الخدمة، وليس لأحد أن يدَّعي لنفسه السلطة المطلقة ٥٢٠، ٥٢١
+ **الإستيلائية**: أن نأخذ الروح القدس ثم نجسه ولا نعطي فيقف عطاؤه لنا ٥٢٢، ٥٢٤؛ وهذا ينطبق على الفرد وعلى الكنيسة.
+ **الانفصالية**: ليس في المسيحية فردية شخصية ولا انفصالية جماعية ٥٢٦، ٥٢٧؛ بالإخلاء يتقابل الجميع للإتحاد بالروح القدس ٥٢٧
+ **الإنغلاقية التصوفية**، بالإعتماد على الذات والمناهج النسكية لبلوغ الإتحاد بالله ٥٢٨، ٥٣١
+ **اللاهوتية العقلية**: التي تجعل من الله موضوع دراسة عقلية بدون عبادة أو نسك أو تأمل ٥٣٢-٥٣٤

+ الجهل بالإنجيل وبالمسيح يمنع الملء من الروح القدس ٩١٣
+ غياب صليب المسيح بآلامه وبذله وحبه عن تقديرنا، يمنع الملء من الروح القدس ٩١٣، ٩١٤
س- ثمار الروح القدس: ٨٨، ٨٩، ٩٣، ٩٤، ١٢٧
+ محبة ٥٤، ٥٧، ٩٠، ١٠٢، ١٠٥، ١٢٧، ٩٠٥
+ فرح ٥٣، ٥٦، ٦٠، ١٠٢، ١٠٣، ١٢٧، ١٣٧، ٩٠٥
+ سلام ٥٤، ١٢٧، ١٤٠، ٤١٩
+ طول أناة ٥٦
+ لطف ١٢٧
+ صلاح ١٣٧، ١٤٦
+ إيمان ١٣٦، ١٣٧
+ وداعة (تواضع) ١٢٧
+ تعفف ٥٥
+ تصير النفس روحانية وتنبع من باطنها فضائل الروح بلا مانع ٩٥، ١٢٧، ٥٨٤
+ راحة للنفس وسبت جديد ١٠٠، ١٠٢، ١١٥، ١٢٧
+ بهجة الخلاص ٦٩٨
+ فهم وحكمة لا توصف ١٢٧
+ شجاعة في الحرب الروحية ١٢٧؛ وشجاعة للمحارب مع عمق السلام الداخلي ٦٧٤
+ إفراز الحركات التي من الشيطان والتي من الملائكة والتي من الطبع والتي من تحريك الروح ١٤٦
+ تقديس القلب والكلام كنتيجة للإشتراك في طبيعة الله القدوس ١٤٦، ١٤٧، ١٦٦
+ نور الروح القدس يضيء فيهم، ويشعُّ حتى من وجوههم وأجسادهم ٤١، ١٢٧، ١٢٨، ٤٧٦
+ عمل الروح القدس المفاجئ، بدموع غزيرة، وتوبة حارة، وسجود كثير ١٣٧
+ سكنى الروح في الإنسان له ثمار حية سلوكية تشهد في حياة الإنسان ٧٧٢

٧. عمل الروح القدس في الكنيسة

أ- الكنيسة كمجال لعمل الروح القدس: ٢٦٣
+ حيث الكنيسة فهناك الروح القدس، وحيث الروح القدس تكون الكنيسة ٢٥٨، ٢٦٦، ٤٨٨، ٨٣٤
- أعطاها الروح طبيعة والدة، فصارت به مقدسة وتلد قديسين ١٦٦، ١٧٦ (أنظر: يوم الخمسين).
+ الكنيسة خاضعة لنعمة وسلطان الروح القدس ٢٧، ٥٦، ٨٣٤
- يمدها بالمواهب لنموها وتكميلها ثم استعلائها ٢٤، ٢٧، ٢٥٩، ٨٣٥، ٨٤١
+ بناء جسد المسيح السري للكنيسة بارتفاق الأعضاء في توافق وانسجام لإعلان صفات المسيح ٥٦، ١٧٧، ٤٢١، ٨٣٥، ٨٦٣
- الروح القدس يوحد الكنيسة بالمسيح كعذراء عفيفة له ٤٢٢، ٤٢٣
- المسيح رأس الجسد ونحن الأعضاء وهو الكرمة ونحن الأغصان ٤٢١، ٤٢٢
- فالمسيح، بالروح القدس، جمع البشرية كلها في جسد واحد رأسه المسيح ١٩٤، ٢٤٠
- الروح القدس هو الشراب المحيي الذي يوحد كل من يستقون منه ٤٢٣

- طقس الإنضمام للكنيسة جسد المسيح، هو المعمودية ٦٤، ٢٨٧، ٢٩٤
+ الروح القدس لا يعمل خارج شركة القديسين ٥٧
- بالحب الساخن «من قلب طاهر بشدة» كمؤهل الشركة في جسد المسيح السري ٥٧
- وبشركة الآلام، لتكميل خلاصنا، كأعضاء في جسد المسيح الذي كُمِّل بالآلام ٥٧، ٥٩
- وبشركة الجهاد بالإستجابة لكل وصايا الروح ٥٩
- التنكُّر لشركة الروح القدس تنكُّر للمسيح ٢٤٦
- يستحيل على الكنيسة الشهادة بدون حضور الروح القدس ٢٤، ٦٠٣، ٨٣٧
- فكم بالحري الشهادة للمسيح بالإستشهاد وسفك الدم ٦٠٣، ٦١١
+ الكنيسة رسولية لأنها قائمة على كلمة الرسل التي نطقوها بالروح ٤٦٥
- وهي استمرار لحلول الله بروحه معنا ٤٦٦
- برهان الروح عند الرسل هو نطق كلمة الإنجيل، وعند الآباء هو تفسيرها بالحق ٤٦٦
- الكنيسة ظلت رسولية بسبب الآباء الملهمين ٤٦٦

ب- المواهب الكنسية:

+ **مواهب ملء، ومواهب شهادة** ٨٣٩، ٨٤١
+ **مواهب شهادة:** مواهب فعل قوات وآيات ومعجزات ومواهب كلام ٢٤٤، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٨٩، ٨٩١
- **مواهب الفعل** تأتي للخادم بالدخول مباشرة في مجال الروح لتبكيت المخدومين وتوبتهم وتسليمهم الحياة ٨٩١
- **مواهب الكلام:**
● موهبة الألسن ٨٤٣، الذهن بلا ثمر ٨٤٧، آية لغير المؤمنين، ٨٤٧؛ تشير لدخول الأمم في الإيمان ورفع حاجز التخاطب معهم ٨٤٨، ٧٤٩، ٩٠٦؛ والعبادة المشتركة مع الشعوب ٩٠٦، ٩٠٧؛ تلاشت من الكنيسة بعد رسوخ الإعتقاد بقبول الأمم ٧٤٩؛ ارتبطت بموهبة ترجمة الألسن ٧٤٩، ٨٥٢، ٨٥٣؛ من يتكلم بلسان يبني نفسه ٨٥١
● موهبة النبوة ٨٤٣؛ الذهن في كامل وعيه ٨٤٤؛ لا يُتحصل عليها بالدراسة والتعليم ٨٤٤؛ موهبة لكشف النفس وتبكيت الضمائر ٨٤٤؛ أعظم من موهبة الألسن ٨٥٠؛ لبنيان المؤمنين ٨٥١؛ موهبة الحكم الروحي مترتبة على موهبة النبوة ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٥
● موهبة التعليم ٨٤٣؛ العقل في كامل وعيه، تُضرم بالقراءة في الكتب المقدسة، وبالدراسة والتعليم ٨٤٦، تنقسم إلى كلام معرفة (دراية بسر المسيح) ٨٥٦، ٨٥٨، ٨٨٩؛ وكلام حكمة (إفراز) ٨٥٦؛ لبنيان المؤمنين ٨٥١؛ تداخل موهبتي النبوة والتعليم ٨٤٦
+ **درجات المعلمين:** الرسل ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٧٩؛ الأنبياء ٨٦٠؛ المبشرون ٨٦١، ٨٦٢، المعلمون ٨٦٢
+ **المواهب العملية** ٨٦٤

القسم الأول:

١- موهبة القيادة والتدبير ٨٦٤، ٨٧٢
- إقامة الأساقفة والقسوس ٨٦٥، ٨٦٨
- عملها هو الهيمنة على المواهب في

الكنيسة ٨٧٠
٢- موهبة خدمة الاحتياجات الجسدية ٨٦٤
القسم الثاني:
١ - عمل قوات ٨٦٤
٢ - مواهب شفاء ٨٦٤
+ تداخل موهبتي التدبير والتعليم ٨٧٤
+ ظهور المواهب في شخص عادي نال المعمودية ومارس الأسرار لا يقلل من عمل الروح القدس في الأسرار، فهو عمل إضافي للروح يهيىء للخدمة ٨٨٤
- فهي مواهب إضافية كإضرام لموهبة الأسرار ٨٨٦
- السعي الزائد نحو المواهب يشكّل انحرافاً، إلا أنها ضرورية للخدام المكرسين يلزم طلبها من الله ٨٨٦، ٨٨٧
- نوال المواهب الفائقة الإضافية للخدام واجب ونير يحيط به خطر الغرور ٨٨٧، ٨٨٩
- توجد مواهب فائقة غير منظورة، أعلى من الآية والمعجزة مثل فعل المحبة الإلهية والصبر والبذل والتواضع... ٨٨٧، ٨٨٩
ج - خدام الكنيسة كأداة للروح القدس:
٤٤٣، ٨٤٦، ٨٦٥، ٨٦٨، ٨٦٦
+ حرية سلطان الروح في العمل بوضع اليد ٢٨، ٢٩، ٢٩٤، ٥٢٠، ٥٢١، ٨٦٨، ٨٧٢، ٨٧٧؛ الروح ليس تحت وصاية أحد ٨٨٠
+ التسليم الرسولي بوضع اليد في رسامة الأساقفة والقسوس والشمامسة ٨٦٥، ٨٦٨، ٨٧٢، ٨٧٩؛ الله نفسه يباشر سلطانه بالروح القدس بواسطة المُقامين مدبرين ٢٨
+ سلطان الحل والربط ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٨، ٨٧٧، ٨٧٩
+ الاضطلاع بحفظ الوديعة أي التقليد المسلم بالإيمان ٢٤٣، ٢٤٤
+ التعليم وتفنيد الهرطقة ٨٧٤، ٨٧٧
+ شروط اختيار الأسقف والقس ٨٦٦، ٨٧١
+ مسئولية الكنيسة يشترك فيها الأساقفة والقسوس وكل الشعب ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧٢
+ عمل الأسقف ٨٧٤، ٨٧٧
+ عمل القسوس ٨٧٥
د - الروح القدس والصوم والخدمة:
٨٠٥، ٨٢٥
+ بدأ الرسل الصوم - ككنيسة - بعد حلول الروح يوم الخمسين على أساس قول الرب «حينما يُرفع العريس عنهم حينئذ يصومون» ٨٠٥، ٨٠٧
+ عمل الروح القدس في قيادة الخدمة القائمة على الصوم والصلاة ٢٣٠، ٢٣٤، ٨٠٨، ٨١٢
+ الروح القدس بالنسبة للخدام هو قوة، وفكر، ونُطق، وحكمة لحساب الشهادة للمسيح ٨١٢
+ هدف الخدمة هو التعرف بالله، ووسيلة الله في ذلك التجسد وإرسال الروح القدس ٨١٣، ٨١٧
+ الكنيسة احتوت نار الروح القدس لتسليمها لكل من يولد منها في أسرارها ٨٢٤، ٨٢٥
هـ- الروح القدس روح الوحدة:
٣٣٦، ٤٢٩

+ الروح القدس يجمع ويوحد ١٩٥، ٣٦٧، ٥٣٣
+ التنبؤ عن روح الوحدة في العهد القديم ٣٦٨، ٣٧١
+ كان الرسل يصلُّون بنفس واحدة حينما حل الروح القدس ٣٧٢
+ الروح القدس بعد الخمسين زكّى الوحدة بين المؤمنين ٣٧٢
+ روح الوحدة في رسائل بولس الرسول ٣٧٣، ٣٧٥
- اعتمدنا بروح واحد إلى جسد واحد ٣٧٣
- شركاء الروح القدس ٣٧٣
- أنواع مواهب موجودة ولكن الروح واحد ٣٧٥
- مبنيون معاً مسكناً لله في الروح ٣٧٥
- حفظ وحدانية الروح برباط السلام ٣٧٥
+ في كتابات القديس يوحنا الرسول ٣٧٥، ٣٨٠
- شركتنا مع الآب والابن ٣٧٧، ومع بعضنا البعض ٣٧٧
- الصليب هو الذي بسببه يُعطى الروح القدس، وبسببه يتحد الجميع ٣٧٨
- الروح والماء والدم وسيلة الوحدة، أي الروح والكنيسة ممثّلة في أسرارها ٣٧٩
- نفخة الروح القدس بعد القيامة، وسلطان الحل والربط الذي هو بداية تأسيس الكنيسة ٣٧٩
+ في سفر الرؤيا، الروح القدس والكنيسة متلازمان ٣٧٩، ٣٨٠
+ عند آباء الكنيسة قبل القديس كيرلس الكبير ٣٨١-٣٩٩
- إغناطيوس: الروح يدعوكم للوحدة ٣٨١
- إيرينيئوس: الروح يجمع كل شيء في المسيح رأس الكنيسة ٣٨٣؛ إذ به تقوم الشركة بين الله والإنسان وبين بعضنا البعض ٣٨٤
- كبريانوس: الروح يدعو الكنيسة حمامته الوحيدة التي يعيش أعضاؤها في وحدة وسلام وتوافق ٣٨٦
- أمبروسيوس: الروح الواحد لا يمكن أن يتجزأ أو ينقسم ٣٨٨، ٣٨٩
- باسيليوس: الروح القدس هو روح جسد المسيح السري الذي يحافظ على وحدة الأعضاء فيه ٣٩٠
- غريغوريوس النزينزي: الروح الواحد أعاد المتفرقين إلى الاتحاد ٣٩١
- غريغوريوس النيسي: الروح القدس هو رباط وحدة الكنيسة ٣٩١
- ذهبي الفم: جعلنا جسداً واحداً ٣٩٢
- كيرلس الأورشليمي: أكثر ما يحزن الروح القدس هو الإنعزالية ٣٩٢
- أثناسيوس الرسولي: بالروح نصير في الله وبالتالي نتحد ببعضنا البعض ٣٩٤، ٣٩٧
+ كيرلس الكبير:
- دور الروح القدس في اتحادنا بالله ٤٠١، ٤١٠
- دور الروح القدس في اتحادنا ببعضنا البعض ٤١٢، ٤٢٩
- دور الإفخارستيا في اتحادنا ببعضنا البعض ٤١٣
- الروح القدس يجعلنا واحداً في وحدة الثالوث كما طلب المسيح من أجلنا ٤١٤، ٤١٧

و- الروح القدس والعبادة:

+ العبادة الحقيقية فيه وبواسطته ١١٦

+ الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا ١٧٢
+ طقس السجدة في عيد الخمسين طلباً لاستمرار حلول الروح القدس ودوام عمله ٣٧، ١٧٢
+ العبادة عمل وجهد وتغيّر بقيادة الله ٣٩، ٤١

٨. الروح القدس والأسرار

أ- سر المعمودية:
+ في معمودية الرب يسوع، الروح ظهر كحمامة ١٧٦، ١٨٠
- المسيح كإله يرسل الروح، وكإنسان يقبله ١٧٩، ١٨٠
+ في المعمودية صار الروح القدس فينا، بالسر، بحسب الإيمان والعقيدة، دون أن نشعر، لذلك نؤمَر أن نمتلئ بالروح الذي قبلناه، بالعمل ٧١، ٧٢، ٥٤٤، ٥٤٦
+ الدعاء باسم الثالوث في المعمودية (قانون التعميد) ١٨، ٢٤٧، ٤٧٤، ٩١٠
+ بالمعمودية نولد من الماء والروح ١٦٦، ١٦٨، ٢٦٢
+ بالمعمودية أساس كل الأسرار ٤٧٧؛ وبالأخص الإفخارستيا ٥٤٦
+ آثار عمل الروح القدس في المعمودية ١٠٦، ١١٣، ١٤٨، ١٨٢، ١٩٣، ٢٥٩، ٢٨٥
- ختم المعمدين بصورة المسيح ١٨٦، ١٨٧، ١٩٢، ١٩٣
- نتحد بالمسيح ونصير من لحمه وعظامه ١٩٢، ١٩٣، ٣٤٥، ٣٨٤
- نصير مسيحاً ١٩٣
- المسيح هو الذي يعمد بتوسط الروح القدس ١٧٧، ١٨٠
- تُغفر خطايانا ٢٦٩
- ننال التجديد ونصير خليقة جديدة ١٦٦، ١٨١، ١٨٤، ١٩٠، ١٩٢، ٢٩٢، ٤٧٤
- ننال التبني لله ١٧٩، ١٨٠، ٤٧٤
- نقتني روح القداسة ١٦٦، ٣٤٥
- نشترك في موت المسيح وقيامته ١٨٤
- نأخذ المسيح مجاهداً معنا بعد المعمودية ١٨٤، ١٩٠ ننال الإستنارة لكشف أسرار الله ٢٦٩، ٤٧٤، ٤٧٥
+ المعمودية واحدة لا تتكرر ٨٨٤، ٨٨٦

ب- سر الميرون:
+ مباشرة بعد المعمودية ١٩٥
+ بدل وضع الأيدي بعد العماد ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٨٥، ٢٩٤، ٤٧٨
+ الروح في المعمودية يلد، وفي الميرون يحل على المعتمد ليملأه ٧١، ٧٢، ١٩٧، ٤٧٨
+ مثيل مباشر لمسحة المسيح بالروح القدس على الأردن ١٩٧، ٤٧٨
+ فلك نوح والحمامة وغصن الزيتون كانت رمزاً لهذا السر ١٩٨
- بالمسحة نصير ممسوحين لله ونأخذ نعمة المسيح ١٩٨، ٤٧٨
+ يثبتنا في الثالوث، إنه سر التثبيت ١٩٨
+ ختم الإيمان بعد المعمودية، وعربون الروح القدس في قلوبنا ١٩٨، ١٩٩، ٤٧٨
+ صورة الختم المطبوعة علينا هي صورة المسيح المتألم والمصلوب من أجلنا ٢٠١

+ المسحة تعلمكم كل شيء ٤٧٣
+ طقس المسحة برشم الأعضاء كلها بالميرون لتقديسها، لتصير هيكلاً جديداً لسكنى الروح ٢٠١، ٢٠٢، ٢٤٨
+ العقل أول ما يقدسه الروح القدس ٢٠٢، ٢٠٣
+ بعد ختانة الأعضاء، تصير كلها أعضاء المسيح ٢٠٤
+ تجديد الأعضاء وتطهيرها بعد المعمودية والميرون، بسر التوبة ٢٠٤
+ الختان في الجلجال بعد عبور الأردن، هو رمز لمسحة الميرون، بعد المعمودية ٢٠٥

ج – سر التوبة والإعتراف:

+ الروح القدس في سر الإعتراف يجدد ويغسل الأعضاء التي تلوثت بعد المعمودية ٢٠٤، ٤٧٩
+ التجديد بعد المعمودية لا يتم بالمشيئة فقط، بدموع التوبة والصلاة والصوم، ولكن بسر الإعتراف والتوبة بحلول الروح القدس ٤٧٩، ٤٨٢

د – سر الإفخارستيا: ١٤٧، ٢٥٩، ٢٨٥، ٣١٢، ٤١٣، ٤١٧، ٤٨٢، ٥٣٨، ٥٤٦، ٥٤٤، ٨٣٥

+ الروح القدس يحلّ على القرابين ليحوّلها، ويحلّ على المتناولين ليجعلهم أهلاً للقدسات ٤٨٢
+ يحل الإبن فينا جسدياً في سر الأولوجية، وروحياً بروحه القدوس ٥٣٨، ٥٤١
+ وهكذا نتحد بالابن الذي يوحّدنا مع الآب ٥٤٢
+ هدف التجسد أن يعيد لنا الخلود وعدم الفساد بجسده المقدس وروحه القدوس ٥٤١
+ بشركة الجسد الواحد والروح الواحد يصير الجميع واحداً فيه ٥٤٢، ٥٤٣
+ الإفخارستيا والروح القدس في الكتاب المقدس ٥٤٢، ٥٤٣
+ قبول الروح القدس بالمعمودية هو المؤهل الأساسي لتناول الرب في الإفخارستيا ٥٤٤، ٥٤٥
+ الإفخارستيا تكمّل الشركة الروحية مع المسيح التي بدأت بالمعمودية ٥٤٥
+ الإفخارستيا ليست مجرد علاقة معنوية مجازية بالمسيح، بل بها نصير شركاء في الجسد الواحد، وأعضاؤنا تصير أعضاء المسيح ٥٥٩، ٥٦١
+ بالإفخارستيا تنسكب صفات المسيح فينا، وأهمها الحياة والخلود ٥٦٢، ٥٦٧
+ الإفخارستيا تُدخلنا في قرابة مع الله الآب ٥٦٧، ٥٦٨

هـ– سر مسحة المرضى: ٤٨٢، ٤٨٣

+ حلول الروح القدس لشفاء الجسد، يلزم أن يسبقه أو يرافقه حلوله للتوبة لشفاء الروح ٤٨٣
+ مسحة المرضى قد لا تشفي الجسد، طالما النفس قوية بالروح ٤٨٣

و– سر الزيجة: ٤٨٣، ٤٨٥

+ يحل الروح القدس ليجعل الإثنين واحداً في المسيح ٤٨٣، ٤٨٤
+ يصير كل منهما زوجاً لأن الفردية تلاشت بينهما ٤٨٥
+ هي وحدة بشرية بشبه الكنيسة والمسيح ٤٨٥

ز– سر الكهنوت ٢٩٤، ٤٨٥، ٤٨٧

+ يحل الروح القدس بوضع يد الأسقفية على المختار ٤٨٥
+ يلزم اشتراك الشعب بالتزكية والنطق بالإستحقاق والإشتراك في الصلاة ٤٨٥

+ ويلزم أن يكون المختار مملوءاً من الروح القدس ٤٨٦
+ من يُزكي نفسه لا يقبله الروح ٤٨٦
+ حلول الروح القدس على الشماس يملأه حكمة وتدبيراً ٤٨٦
+ وعلى القس يملأه مواهب رعاية ٤٨٦
+ وعلى الأسقف يملأه قدرة على النظارة ٤٨٦
- وهو حلول نهائي فوق مواهب الشماسية والقسوسية التي يلزم أن يكون قد نالها ٤٨٦
+ الأسقف في الكنيسة، كالله الآب، يهب الروح القدس ٤٨٧
ح- حلول الروح القدس في أسرار أخرى:
+ تكريس الرهبان والكنائس واللفان والصلاة على الموتى ٤٨٧

٩. الروح القدس والوحي

أ- روح النبوة أو الروح النبوي الناطق في الأنبياء ٢٤٨، ٢٦٦، ٢٨٩، ٢٩٥
+ ملهم الأنبياء والرسل ١٦٩، ٢١٧، ٢٥٩، ٢٦٣، ٢٦٦، ٢٧١
+ روح النبوة خاضع للمسيح ويشهد له ١٧٠
+ موهبة النبوة وتفسير الأسفار ٢٢٩، ٨٤٣، ٨٥٥
ب- في العهد القديم:
+ أنواع حلول مفاجئة وفردية ١٦٩
+ كان يُعرف باسم روح الرب ١٦٩
+ الأنبياء تنبأوا عن يوم جديد آتٍ يتغيَّر فيه قلب الإنسان ١٨١
+ يوئيل النبي نبي العنصرة ١٨١، ١٨٢
+ روح الله عُرف بأن له صفة الصلاح المطلق والوجود في كل مكان ٢١٦
+ أعماله الواضحة في العهد القديم هي القوة والإلهام والتقديس والقضاء والبصيرة الكاشفة ٢١٧
+ له جوهر إلهي ٢١٧
+ هو الله الفعال بالقوة ٢١٧
+ يُذكر أحياناً في مقارنة بين الروح والكلمة ٢١٨
+ الروح القدس يعمل منذ البدء لخلاص الإنسان بالمسيح المخلِّص: ناطقاً في الأنبياء، ومخلصاً بالمعجزة في القضاة، ومؤسِّساً للعدل والبر في الملوك، ومُصالحاً الخطاة مع الله في الكهنوت ٦١٥، ٦٤٨
ج - في الأسفار القانونية الثانية:
+ سُمي «حكمة الله» ٢١٩
+ نتج عن ذلك تساوي بين حلول الكلمة وحلول الروح القدس وعملهما ٢١٩، ٢٢٠
+ أعماله، يملأ الكون ويحب البشرية ويطهر أفكار الإنسان وقلبه ٣٢٠
د- في العهد الجديد:
+ **في الأناجيل:**
- هو أداة التجسد ٢٢٢
- حلّ على المسيح في الأردن ٢٢٢
- المسيح يخرج الشياطين بروح الله ٢٢٢
- التجديف على الروح القدس خطية لا تغفر ٢٢٢
- ضرورة الولادة من الماء والروح لملكوت الله ٢٢٢
- العبادة المقبولة بالروح والحق ٢٢٣
- المصدر الوحيد لارتواء الإنسان وصيرورته هو نفسه ينبوعاً يُرتوى منه

٢٢٣
- هو قوة البشارة والشهادة ٢٢٣
+ **في أعمال الرسل:**
- إعلانه عن نفسه عملياً للرسل ٢٤٤
- ريح عاصف وألسنة نارية، علامة الحضرة الإلهية يوم الخمسين ٢٢٥
- موهبة النطق بالألسنة ٢٢٥
- تزعزع المكان بالصلاة والإمتلاء من الروح القدس ٢٢٧
- الشهادة بقوة عظيمة ٢٢٧
- الكذب على الروح القدس عقوبته الموت ٢٢٧
- الرسل يميِّزون بين شهادة الروح القدس وشهادتهم رغم خروجها من أفواههم شهادة واحدة ٢٢٨
- روح الحكمة في الشهيد استفانوس ٢٢٨
- قبول الروح القدس بوضع أيدي الرسل ٢٢٨
- حلول الروح القدس على كرنيليوس قبل المعمودية ٢٢٩
- عمل الروح القدس بالنبوة في العهد الجديد ٢٢٩
- الروح القدس يدبر للخدمة ويختار الخدام لنفسه ٢٣٠
- الروح القدس كحارس للإيمان ومؤدب للمفسدين ٢٣٠
- الملء من الروح القدس يلازمه ملء من الفرح ٢٣٢
- الرسل يبرزون شخص الروح القدس كقاضٍ ومشرع للكنيسة ٢٣٢
- الروح القدس قائد للخدمة والخدام، يسمع أو يمنع عن الكلام ٢٣٢، ٢٣٣
- الروح القدس يعلن عما ينتظر خدامه من شدائد ٢٣٤
- اعتقاد الكنيسة في أسفار العهد القديم أنها منطوقة بالروح القدس ٢٣٥
+ **في الرسائل:**
- استعلان الروح القدس لاهوتياً: ٢٣٥
- الروح محيي ٢٣٥، ٢٣٨
- إذا كان الروح الذي أقام المسيح ساكناً فينا فهو سيحيي أجسادنا الميتة ٢٢٧
- يخلق الإنسان ويلده جديداً ويتبناه لله: ٢٣٨، ٢٣٩
- يحررنا ويتدرج بنا في الكمال المسيحي بالاستنارة ٢٣٩، ٢٤٠
- يوحِّد المؤمنين في جسد المسيح ٢٤٠، ٢٤٢
- يوزع المواهب لخدمة الجسد الواحد لمجد المسيح ٢٤٣
- يحفظ الوديعة المسلمة بالتقليد بسكناه في الأعضاء الأمناء ٢٤٣، ٢٤٤
- ينتظر من المؤمنين أن يضرموا الموهبة بالصلاة والأعمال الصالحة ٢٤٤، ٢٤٥
- التنكر لشركة الروح القدس تنكر للاهوت المسيح شخصاً وصلبٌ له ثانية ٢٤٥

١٠. الروح القدس والتقليد

أ- تقليد الكنيسة حي ومتحرك بالروح القدس ١٣

+ لا يمكن فصل كلمة الإنجيل عن العقيدة وفكر الآباء، فهذا هو التقليد ٤٦٧
+ يلزم التوافق معه تماماً ليكون التعليم صحيحاً نقياً ٤٥٩، ٤١٧
+ هو تسليم من الرب والرسل واستعلان روح الله يوم الخمسين الذي ما زال يلهم الكنيسة حتى اليوم ١٣، ١٤، ٢١١، ٢١٣، ٢٨٧
+ أي خروج عنه يخرجنا عن مفهوم الأرثوذكسية البسيط الثابت وعن حياة الكنيسة ١٣، ٢١٣، ٢١٤، ٢٥٨، ٢٦٠، ٢٦٦، ٢٧٢، ٢٧٣، ٣٥٧
+ كل دراسة أو بحث عن الروح القدس (أو اللاهوت عموماً) بدون معايشة تقوى معه يؤدي للإنحراف عن الحق ٢١٤
+ القديس أثناسيوس قدم بتقواه واستنارته فكراً آبائياً لاهوتياً مطابقاً لفكر الرسل والإنجيل ٢١٤، ٢٨٧
+ عيد الخمسين ومركزه في التقليد الكنسي أيام الرسل وبعدهم ٨٠٥، ٨٠٧
+ المجمع المسكوني الثاني بالقسطنطينية والروح القدس ٢٧
+ التقليد الكنسي والروح القدس وحركات التبشير المعاصرة ٨٨٣، ٨٩٩
+ واجب الكنيسة حسب التقليد التحقق من كل موهبة تظهر في الشعب ٨٨٣
+ خطر استقلال الحركات الروحية القائمة على خبرات شخصية عن مضمون اللاهوت وأحكامه ووصاية رجال اللاهوت المسئولين ٨٩٤، ٨٩٨
+ خطر ترفُّع اللاهوتيين عن الخبرة الروحية الشخصية الملهمة بالروح القدس ٨٩٤، ٨٩٨

ب- التقليد وعمل الروح القدس في اللاهوت النسكي:

+ الروح القدس بمثابة الشراع في السفينة، أما الأعمال والجهادات فهي بمثابة المجاذيف ٢٦
+ غاية الآباء اقتناء الروح القدس ٤١، ٧١
+ كان الروح هو حياتهم والناطق فيهم، وبه سرى التقليد إلينا ٤٢، ٤٩

ج - الروح القدس ومركزه في الثالوث وعمله عند الآباء:

اكليمندس الروماني ٢٤٧
اكليمندس الإسكندري ١٩٤، ٢٦٧، ٢٧١
أثناسيوس الرسولي ١٩، ٢٠، ٣١، ٣٣، ٣٤، ٦٢، ٦٥، ٢٠٤، ٢١٠، ٣٣٤، ٣٩٤، ٣٩٧، ٤٠٧، ٤٧٣، ٧٩٥
أثيناغوراس ٢٥٢، ٤٦٩
غريغوريوس النيسي ١٨٩، ٣٩١، ٤٧١
غريغوريوس النزينزي ٢٧، ٣٢، ١٨٨، ٣٥٦، ٣٩١، ٤٤٣، ٤٥٥، ٤٦٩، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٨٠، ٤٩٢، ٤٩٦، ٤٩٧، ٥٠٢، ٧٩٧
أغسطينوس ١٧٩، ١٩٣، ٢٠٤، ٤٥٢، ٤٥٧، ٤٩٤
إغناطيوس الأنطاكي ٢٤٨، ٣٨١
مار إسحق السرياني ١٣١، ١٤٩
مار أفرآم السرياني ١٩٨
أمبروسيوس ١٨، ٣١، ٣٢، ٣٥، ٣٦، ٣٨، ٤١، ٣٨٨، ٤٠٧، ٤٥٤

أنطونيوس الكبير ٤١، ٥٠، ٨٥، ٨٨، ١٠٤، ١٠٦، ١١٠، ١١٧، ١١٩، ١٢٢، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٩، ٥٠٤
أوريجانوس ٢٧١، ٢٧٤
إيرينيئوس ١٧، ٢١، ٣١، ٣٧، ١٩٤، ٢٥٦، ٢٥٩، ٣٨١، ٣٨٥، ٤٦٨، ٤٨٨
باسيليوس ٢٤، ٣٠، ١٦٩، ١٧٣، ٣٩٠، ٤٤١، ٤٧٢، ٤٧٤، ٤٧٧، ٤٨٣، ٤٩٠، ٥٠٢
برناباس ٢٤٨
تادرس ٤١
ترتليان ٢٥٩، ٢٦٢، ٤٧٨
تاتيان ٢٥٢
ثيوفيلس الأنطاكي ٢٥٠، ٢٥١
ديديموس ١٨، ٢٥، ٣٧
ديونيسيوس الروماني ٢٦٦
كيريانوس ١٩٨، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٧
كيرلس الأورشليمي ١٩، ٢٩، ١٩٧، ٢٠٠، ٢٠٢، ٢٨٢، ٢٨٥، ٢٧٤، ٢٧٧، ٤٧٨
كيرلس الكبير ٢٨، ٣٠، ٢٤، ٣٥، ٣٨، ٦٥، ٦٩، ١٩٤، ٣١٢، ٣٣٨، ٣٦١، ٣٩٩، ٤٢٩، ٥٣٨، ٥٦٨
ميثوديوس ٢٧٤
مقاريوس الكبير ٥٠، ٧٦، ٨٥، ٨٨، ١٠٣، ١٠٥، ١١٧، ١٢١، ١٢٩، ١٥١، ١٥٣، ٥٠٥
هيبوليتس ٥٠٣، ٥٠٥
يوستين ٢٥٠، ٢٥١
+ الهرطقات:
- الغنوسيون يدّعون أنه قوة مؤنثة وأن الكلمة مولود منها ٢٥٤
- باسيليدس اعتبره روحاً خادماً وليس متحداً بالابن جوهرياً ٢٥٤
- فالانتين ادّعى أنه منبثق من الله بصورة غير مباشرة ٢٥٤، ٢٥٦
- المونتانيون أخذوا بوجهة نظر العهد القديم بأنه حكمة الله ٢٥٤
- اليهود المتنصرون أخذوا برأي الغنوسيين ٢٥٥
- المونوآرخيّون جحدوا الثالوث ٢٥٥
- كاليستوس بابا روما ألغى شخصية الروح القدس المتميزة في الثالوث، واعتبره اسماً يعبِّر عن جوهر الله الآب أو جوهر الابن ٢٥٥
- بولس السموساطي اعتبر الروح القدس مجرد خاصية وتأثير ونعمة حلّت على الرسل ٢٥٦
+ مفهوم التجديف على الروح القدس ٣١٨-٣٣٤

سلسلة الرؤية الإلهية للأعياد الكنسية

١ – أعياد الظهور الإلهي

٢ – الصوم الأربعيني المقدس

٣ – مع المسيح في آلامه حتى الصليب

٤ – القيامة والصعود

٥ – الروح القدس الرب المحيي

يُطلب من:

دار مجلة مرقس

القاهرة: ٢٨ شارع شبرا ـــ تليفون ٢٥٧٧٠٦١٤
الإسكندرية: ٨ شارع جرين، محرم بك ـــ تليفون ٤٩٥٢٧٤٠
أو عن طريق مكتبة الدير
أو عن طريق موقع الدير على الإنترنت:
www.stmacariusmonastery.org